المجلس الأعلى للثقافة

ديــــوان

عبد الرحمن شكري



مراجعة وتقديم:

فـــاروق شـــوشـــة

المجلس الأعلى للثقافة

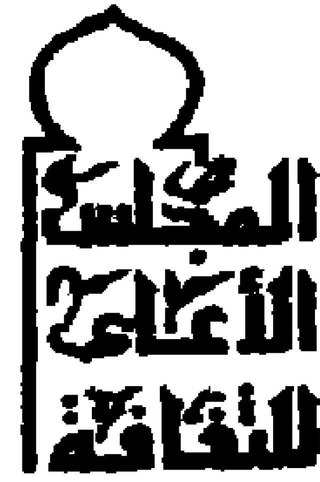
ديـــوان
عبد الرحمن شكرى

(١٢ أكتوبر ١٨٨٦ - ١٥ ديسمبر ١٩٥٨)

جمعه وحققه : نقولا يوسف

شارك فى جمعه : محمد رجب البيومى

مراجعة وتقديم : فاروق شوشة



٢٠٠٠

عبد الرحمن شكرى

شاعر النفس الإنسانية

بقلم

فاروق شوشة

لم يتح لعبد الرحمن شكرى ما أتيح لزميليه فى جماعة الديوان : عباس محمود العقاد وإبراهيم عبد القادر المازنى من شهرة وذيوع صيت ، بالرغم من سبقه لهما فى الظهور على الساحة الأدبية والثقافية بنشر ديوانه الأول « ضوء الفجر » عام ١٩٠٩ ، بينما نشر المازنى ديوانه عام ١٩١٣ والعقاد ديوانه الأول عام ١٩١٣ ، بالإضافة إلى أن شكرى - فى معظم شعره - يقترب من طبيعة الفهم للشعر الذى أشاعته جماعة الديوان - منذ صدور كتاب الديوان عام ١٩٢١ - وهو أن الشعر فى جوهره تعبير عن الوجدان ، وكشف لحالات النفس الإنسانية ، وهو الفهم الذى فى ضوئه وضع عبد الرحمن شكرى فى مستهل ديوانه الأول « ضوء الفجر » بيته المشهور الذى سيصبح من بعد شعاراً للجماعة وهو :

ألا ياطائرَ الفردو   سِ إنَّ الشعرَ وجدان

والغريب أن شكرى لم يشارك فى تأليف كتاب الديوان ، بل إن الجزء الثانى من الكتاب يتضمن فصلين كاملين فى الهجوم على شكرى كتبهما المازنى حين ساءت العلاقة بينهما ، بسبب نقد وجهه شكرى لشعر المازنى ،عندما رأى فيه سرقة واضحة لقصائد معروفة لعدد من الشعراء الإنجليز والألمان والأمريكيين : وقد بدأت القصة عندما نشر شكرى فى مقدمة ديوانه الخامس « الخطرات » عام ١٩١٦ قائمة بقصائد للمازنى يرجعها شكرى إلى مؤلفيها الأصليين ، مبيناً الفرق بين التأثر والسرقة ، ذاكراً صعوبة النقل من لغة إلى أخرى تختلف عنها جوهرياً فى خصائصها . وفى آخر فقرات هذه المقدمة يقول شكرى وهو يتحدث عن المازنى : « وقد لفتنى أديب إلى قصيدة المازنى التى عنوانها « الشاعر المحتضر » اليائية التى نشرت فى « عكاظ » ، واتضح لنا أنها مأخوذة من قصيدة أدونى للشاعر شيللى الإنجليزى . كما لفتنى أديب آخر إلى قصيدة المازنى التى عنوانها « قبر الشعر » وهى منقولة عن « هينى »» الشاعر الألمانى . ولفتنى آخر إلى قصيدة المازنى « فتى فى سباق الموت » وهى للشاعر هود الإنكليزى . ولفتنى أيضا أديب إلى قصيدة المازنى التى عنوانها « الراعى المعبود » وهى منقولة عن الشاعر

لويل الأمريكى . وقصيدة المازنى التى عنوانها « الوردة الرسول » وهى للشاعر ولر الإنكليزى . وأشياء أخرى ليس هذا مكان إظهارها . وقرأت له فى مجلة « البيان » مقالة « تناسخ الأرواح » وهى من أولها إلى آخرها من مجلة « السبكتاتور » لأديسون الكاتب الإنكليزى . ومن مقالاته فى ابن الرومى التى نشرت فى البيان قطع طويلة عن العظماء . وهى مأخوذة من كتاب « شكسبير والعظماء » تأليف ڤيكتور هيجو ومن مقالات كارلايل الأدبية .

وقد ذاعت هذه الأشياء ، ولو كنت أعرف أن المازنى تعمد أخذها لقلت إنه خان أصحابه بهذه الأعمال ، ولكنى لا أصدق تعمد أخذها . ولو أنى رأيت عفريتا لما عرانى من الحيرة والدهشة قدر ما عرانى لرؤية هذه الأشياء . ولا أظن أنى أبرأ من دهشتى طول عمرى . وفى أقل من ذلك مبرر لمروِّجى الإشاعات والتُّهم . ولا أظن أن أحداً يجعل مدحى المازنى وإيثارى إياه وإهدائى الجزء الثالث من ديوانى إليه ، وصداقتى له . ولكن كل هذا لا يمنع من إظهار ما أظهرت ، ومعاتبته فى عمله . لأن الشاعر مأخوذ إلى الأبد بكل ما صنع فى ماضيه ، حتى يداوى ما فعل ويرد كل شىء إلى أصله . وليس الاطلاع قاصرا على رجل دون رجل حتى يأمل المرء ظهور هذه الأشياء ، ولسنا فى قرية من قرى النمل حتى تخفى » . وكان رد المازنى على صديقه شكرى عنيفا ومفزعا . فقد اتهمه بالجنون ، وبأنه صنم الألاعيب ، وكتب يقول : « ولقد سبق لنا أن نبهنا شكرى إلى ما فى شعره من دلائل الاضطراب فى جهازه العصبى ، وأشرنا عليه بالانصراف عن كل تأليف أو نظم ليفوز بالراحة اللازمة له أولاً ، ولأن جهوده عقيمة وتعبه ضائع ثانياً » .

ويبدو أن خطأ شكرى كان يتمثل فى إيثاره الحق والحقيقة على مراعاة الصداقة والزمالة والأخوة ، فلم يشأ أن يغفر للمازنى سقطته التى رآها موجبة للنقد العلنى والتصريح الفاضح ، لكن رد الفعل الهائل عند المازنى جعل شكرى يكفر بكل شىء ، ويفضل الانطواء والانزواء والعكوف بعيدا عن المشاركة فى الحياة الأدبية والنقدية .

وتكفلت نفسه الشديدة الحساسية - حتى المرض - وطبعه المتوجس السيء الظن بالحياة والأحياء ، بإغلاق الدائرة على نفسه ، والتوقف عن الكتابة والنشر ، حتى إن ما جمع له من شعر فى مناسبات متفرقة بعد عام ١٩١٩ - وهو عام الخصومة بينه وبين المازنى - حتى وفاته فى ديسمبر عام ١٩٥٨ لم يزد عن قصائد معدودة هى مجموعة ديوانه الثامن الذى نشر بعد وفاته بعامين ، والذى لا يجاوز حجمه حجم ديوانه الأول .

وسيظل شكرى - نتيجة للعزلة والاعتكاف ، وإهمال رفيقيه له سنوات طويلة بعد هذا التاريخ - مغمورا ، بعيد عن الشهرة والأضواء ، لا يكاد يذكره أحد ، والكثيرون يعتقدون أنه رحل عن الدنيا دون أن يدروا برحيله ، وآخرون يبحثون عنه ويطمعون فى مراسلته أو زيارته ، حتى إذا طيَّر بعض مراسلى الصحف بالإسكندرية إلى صحفهم فى القاهرة نبأ العثور على الشاعر هرع عدد من المحررين والمصورين لمقابلته وإجراء حوارات معه ، لكن آلام الشلل والمرض السكرى ووهن الشيخوخة كانت حائلة بينه وبينهم ، وما هى إلا أيام قليلة حتى رحل شكرى فى الخامس عشر من ديسمبر عام ١٩٥٨ .

أسهم شكرى بنفسه إذن ، بحساسيته المفرطة وتوجسه الدائم فى صنع هذا المصير الفاجع ، كما أسهم رفيقاه العقاد والمازنى - عندما تجاهلاه وأسقطاه من حسابهما سنوات طويلة - فى الإسراع بهذا المصير . بالرغم من اعترافهما معا بأستاذية شكرى ، وريادته ، وسبقه لهما فى الإبداع والمعرفة والاطلاع وتبنى الفكر الجديد فى الشعر والنقد ، ومتابعة التيارات العالمية الشعرية والأدبية .

يقول عنه العقاد - بعد رحيله - فى مقالة نشرت بمجلة الهلال - فبراير ١٩٥٩ - : عرفت عبد الرحمن شكرى قبل خمس وأربعين سنة ، فلم أعرف قبله ولا بعده أحداً من شعرائنا وكتابنا أوسع منه اطلاعاً على أدب اللغة العربية وأدب اللغة الإنجليزية ، وما يترجم إليها من اللغات الأخرى ، ولا أذكر أننى حدثته عن كتاب قرأته إلا وجدت منه علما به وإحاطة بخير ما فيه . وكان يحدثنا أحيانا عن كتب لم نقرأها ولم نلتفت إليها ولا

سيما كتب القصة والتاريخ . وقد كان مع سعة اطلاعة صادق الملاحظة ، نافذ الفطنة ، حسن التخيل ، سريع التمييز بين ألوان الكلام . فلا جرم أن تهيأت له ملكة النقد على أوفاها ؛ لأنه يطلع على الكثير ويميز منه ما يستحسنه وما يأباه ، فلا يكلفه نقد الأدب غير نظرة فى الصفحة والصفحات يلقى بعدها الكتاب وقد وزنه وزنا لا يتأتى لغيره فى الجلسات الطوال » .

ويعترف المازنى بدوره بأستاذية شكرى وسبقه فى مقالة نشرها فى جريدة السياسة عام ١٩٣٠ يقول فيها : « كنا يومئذ طالبين فى مدرسة المعلمين العليا ، وكانت صلتى به وثيقة . كان كل منا يخلط صاحبه بنفسه ، ولكنى لم أكن يومئذ إلا مبتدئا على حين كان هو قد انتهى إلى مذهب معين فى الأدب ، ورأى حاسم فيما ينبغى أن يكون عليه . ومن اللؤم الذى أتجافى بنفسى عنه أن أنكر أنه أول من أخذ بيدى ، وسدد خطاى ، ودلنى على المحجة الواضحة . وأننى لولا عونه المستمر لكان الأرجح أن أظل أتخبط أعواما أخرى ، ولكان من المحتمل جدا أن أضل طريق الهدى » .

وفى موضع آخر ، ومناسبة أخرى - فى مقالة له بجريدة أخبار اليوم : أكتوبر ١٩٤٧ - يقول المازنى عن شكرى قبيل وفاته بعامين : « وتوثقت الصلة بينى وبين شكرى ، فصار أستاذى وهو زميلى . وكان لى قدر يسير من الاطلاع على الأدب العربى ، ولكنه كان ينقصنى التوجيه . فتولاه شكرى فعكفت على الدرس . وبفضل شكرى عرفت عبدالحميد بدوى والسباعى رحمة الله ، ثم عرفت العقاد عن طريق آخر وعرفته بشكرى . فصرنا ثالوثا : العقاد وشكرى والعبد لله . وهكذا صرت أديباً وقررت أن أكون شاعراً وناقداً ... » .

بل المدهش والغريب أن يكون المازنى - وهو الأديب والناقد والكاتب - أعرف الناس بشعر شكرى ، وعمق تمثيله للمذهب الجديد الذى تدعو إليه جماعة الديوان فى الشعر . عندما كتب عدداً من المقالات فى جريدة عكاظ الأسبوعية يقارن فيها بين شعر شكرى باعتباره مثالا *للجديد* وشعر حافظ إبراهيم باعتباره مثالا *للقديم* . وكان رأى

المازنى أن شكرى شاعر لا يصعد طرفه إلى أرفع من آمال النفس البشرية ، ولا يصوّبه إلى أعمق من قلبها ، وذلك دأبه ووكده ، وهو لا يبالغ - كحافظ - فى تحبير شعره وتدبيجه ، بل حسبه من الوشى والتطريز أن يسمعك صوت تدفق الدماء من جراح الفؤاد . وأن يفضى إليك بنجوى القلوب والضمائر ، وأن يريك عيون الندى على خدود الزهر ، وافترار ضوء القمر على مكفهر القبور ، ووميض الابتسامات فى ظلام الصدور ، وأن ينشقك نسيم الرياض وأنفاس السحر ، وأن يشعرك هزة الحنين ودفقة اليأس والأمل ، وأن يغوص بك فى لجج الفكر ليكشف لك عن معانٍ لا يدركها التعبير ، ويتناول أبسط معانى الطبيعة والعقل وأشبهها بالحياة واتصالا بالنفس ، ثم يصوغ لك منها شعرا نقىّ المستشف ، كثير الماء ، جم المحاسن . وهو يختتم رأية النقدى بأن حافظا إذا قيس بشكرى كالبركة الآجنة إلى جانب البحر العميق الزاخر .

وهى رؤية تؤكد ما قلناه فى بداية هذه السطور ، من أن شعر شكرى كان أصدق تمثيلا لمفهوم الشعر الجديد وللدعوة الجديدة التى تبنتها جماعة الديوان من شعر رفيقيه العقاد والمازنى . أما المازنى فقد أجاد وتفوق فى المقالة والقصة والرواية والترجمة ، وتراجع شعره إلى المحل الثانى فى تقدير عبقريته الأدبية والإبداعية . وأما العقاد فإن شعره - على كثرته - لم ينجُ من تأثير معاركه القلمية ومواقفه السياسية - تأكيدا لزعامته وشخصيته القوية المسيطرة - فاتسم بعضه بالنبرة العالية والخطابية والمحفلية والاستجابة للمناسبات الخارجية - التى عابها على شوقى وأضرابه - وابتعد عن فورة الوجدان وأشواق النفس الإنسانية . وأية مقارنة عابرة بين عناوين قصائد شكرى والعقاد تكشف على الفور عن نوعية العالم الشعرى عند شكرى وتفرده وخصوصيته . وهو الأمر الذى التفتت إلى جوهره الدكتورة / سهير القلماوى فى دراستها النقدية عن شكرى فى الكتاب الثالث من سلسلة « أعلام الأدب المعاصر فى مصر » التى تصدر عن مركز الدراسات العربية بالجامعة الأمريكية ، والتى كان يشرف عليها الدكتور / حمدى السكوت والدكتور / مارسدن جونز الأستاذان بالجامعة ثم انفرد بالإشراف عليها الدكتور / السكوت بعد رحيل الدكتور / جونز . فهى ترى « أن شعر الخيال والوجدان

شعر المدرسة الجديدة - كما مثّله شكرى - الذى أنزل العقل من على عرشه فى إلهام الشعراء المعانى والأفكار ، شعر ليس له حدود . إنه خيال متحرر يرفض حدود الزمان والمكان ،كما يرفض أضعف سمات القصيدة التقليدية وهى الطول أو الاتصال والاستمرار ، حتى عندما تنتهى الفكرة أو يبرد الوجدان . إن مدرسة الخيال ، مدرسة رواد الرومانسية ، والرومانسيين أنفسهم ، يركزون على الوحدة العضوية أى على وحدة الموقف الانفعالى .ولذلك لابد أن تندمج الأبيات بعضها فى البعض ، ومن ثم كانت وحدة القصيدة من أهم ما ضغطوا عليه شرطاً من شروط الشعر التجديدى الذى يدعون إليه ، وكان ألذع نقدهم ، وربما أكبر سلاح لهم ، هو نقد تفرق الأبيات فى قصائد شوقى وحافظ وعدم المساس بقيمة القصيدة مهما خالفنا ترتيب الأبيات وغيّرنا نظام تتابعها » .

ثم تقول الدكتورة / سهير القلماوى فى تحليلها لشعر الجماعة الجديدة - جماعة الديوان - : « هذه النقلة الضخمة من شعر العقل إلى شعر الخيال - وأهم روادها شاعرنا شكرى - كانت تجتاز مرحلة المخاض ، وكانت ترتاد ميادين جديدة تمزج فيها الخيال بالفكر للتعبير عن الوجدان . إن الفكرة لابدّ لها من صدى فى الوجدان ، وكل فكرة لها رد فعل فى وجدان الشاعر . وإذا كان سهلاً أن نعدد الأوصاف وأن نتناول مفردات الواقع بالذكر والشرح والوصف فليس سهلاً أبداً أن نسبر غور هذا الوجدان للتعبير عن رد الفعل العاطفى الذى يمتزج فيه الخيال بالفكر والوجدان بالعقل . لهذا كثرت الأفكار وتناثرت الموضوعات التى لا يمكن أن يفى التشبيه بوصفها أو الإلمام بالأجزاء للتعبير عما أثارته فى نفس الشاعر من خواطر وأحاسيس » .

وتدرك الدكتورة / سهير القلماوى ببصيرتها النقدية وقدرتها على التذوق والتحليل أن شكرى لم يقدم نظرية متكاملة لطبيعته وطبيعة شعره أى موضوع الشعر ، وهو أكثر موضوع شغل فكره ، والأمر كذلك فى سائر الموضوعات التى وقف عندها فى شعره . فقد تحدث عن الموت والحياة والحب والثورة والتغير والناس من حوله والمجتمع ككل ، وغير ذلك من موضوعات ، فى أنحاء دواوينه المختلفة . وفى رأيها أننا لو جمعنا أقواله فى الحب مثلا فإننا لن نظفر بموقف موحد . هو فى كل مرة فى حال ، وفى كل مرة هو

أمين على وجدان ، لذلك فهو يعبر عنه دون مراجعة ما قال أو تخيل ما سيقول . إنه - فى رأيها - شاعر قلق فى مرحلة تغيير مضطرب وأشد قلقا .

وللمرء أن يتساءل بعد قراءة ما قالته الدكتورة / سهير القلماوى : وهل كان شكرى مطالباً بنظرية متكاملة لطبيعته وطبيعة شعره ؟ ألا يتنافى هذا مع كونه شاعرا رومانسى الوجدان والنزوع ، قلقا - فى مرحلة تغيير مضطرب وأشد قلقا - كما تقول هى فى عباراتها السابقة ؟ لقد كان شكرى صادقا مع وجدانه ، واهتزازات نفسه وجيشان مشاعره ، بأكثر مما كان منضبط الوتر والاستجابة لنظرية ثابتة أو فكرة مستقرة أو وجهة نظر مكتملة . وكان قلقه عنوان حريته وتمرده ومغامرته الإبداعية ، وانتقاله من حال إلى حال ، ومن رؤية إلى رؤية ، ومن أفق إلى أفق دون قيد إلا قيد الشاعرية وفورة الوجدان .

وفى قصيدته « إلى المجهول » التى يضمها ديوانه الخامس « الخطرات » نجد نموذجاً لعالم شكرى الشعرى ، وقصيدته ذات الأفق اللامحدود ، ونفسه الرومانسى المقترن بجدلية الحوار مع الذات والحياة والكون . وهو يقدم لقصيدته بسطور نثرية شاعرية ، يتحدث فيها عن الولوع بالمجهول وكيف أنه من أمور الحياة والطبيعة والنفس والكون ، وأن الشغف باستطلاعه وكشفه هو الذى أخرج الإنسان من المعيشة فى الكهوف ، ومن حضارة العصر الحجرى من عصور الحضارة ، وأزال عنه خوفه من مظاهر الطبيعة فأخذ يبحث تلك المظاهر . وهو الذى أدى إلى كشف القارات والبحار ، وزاد علمه بالسماء ، وعلّمه ركوب الهواء فى الطائرات ، حتى طمع فى الوصول إلى الأفلاك . وذلك الولوع بالمجهول هو الذى جعله يخترع مخترعات الحضارة التى زادت حياته بهاء ومتعة وراحة ولذة ، وجعله يجد لذة حتى فى ركوب الأخطار من أجل كشف مغاليق الكون والحياة والطبيعة ، ويستشعر اللذة حتى فيما قد يصيبه من الألم أو الهلاك فى أثناء بحثه عن المجهول من أمور الحياة والكون .

ثم يقول شكرى :

يحوطنى منك بحر لست أعرفُه ... ومهمه لست أدرى ما أقاصيه
أقضى حياتى بنفس لست أعرفها ... وحولى الكون لم تُدرك مجاليه
ياليت لى نظرة فى الغيب تسعدنى ... لعلّ فيه ضياء الحق يبديه
أخال أنى غريب وهو لى وطن ... خاب الغريب الذى يرجو مقاصيه
أوليت لى خطوة تدحو مجاهله ... وتكشف الستر عن خافى مساعيه
كأنّ روحىَ عود أنت تُحكمهُ ... فابسط يديك وأطلق من أغانيه
والروح كالكون لا تبدو أسافله ... عند اللبيب ولا يبدو أعاليه
وأكبر الظن أنى هلك أبدا ... شوقا إليك ، وقلبى فيه ما فيه !

هذا الانخلاع فى مواجهة المجهول ، وهذا الظمأ الحاد إلى الكشف والمعرفة والنفاذ إلى سرّ الأسرار ، ملمح رومانسى أصيل فى شعر شكرى ، الذى عندما نضعه فى إطار زمانه بدءاً من العقد الأول من عقود هذا القرن ، مقارنا بما كان يكتبه غيره من الشعراء ، وجدنا هوة شاسعة ، ومذاقاً مغايراً ، ونفساً شعرياً مختلفاً ، وقصيدة تضّج بالخواطر الكبرى وتجيش بزلزال الوقت وبركان الشعور ، تاركة للآخرين أن يجربوا حظوظهم مع شعر المناسبات الخارجية والموضوعات التقليدية والتناول الفاتر البارد .

يقول شكرى فى إحدى قصائده التى تتفجر منها روح التجديد والمغايرة :

أقلِّب طرفى فى وجوه كثيرة ... وأُكثر من تلحاظها وأُطيلُ
وأبغى بديلا من هواك يتاحُ لىَ ... وهيهات ، مالى من هواك بديلُ !
وكيف ! وعندى من خيالك حارسٌ ... تجسّم حتى مايكاد يزولُ
فيهمس فى أذنى ، ويسرى بخاطرى ... ويسمع ما أشدو به وأقولُ
ويشغلنى عما سواه ، فإن أردْ ... سلواً تصدّى دونه فيحولُ
كأنى أسير وهو فى السجن ... فما لى إلى طعم الخلاص سبيلُ

وأعجب من أمرى ، وكيف عشقتكم وقـــد كنت لا يقـــوى علىّ غليلُ
وأرخصنى حُبيك من طول هجرة فـــإن عـــزيز العـــاشـــقين ذليلُ
فـأبكى على نفسى ، وليس بنافـعى إذا تلـفتْ نفـــسى لديك عـــويلُ
وأبكى عـلى العـــزم الذى أنا ناشـــدٌ فـعـــزمى شـــريد فى هواك ضئيلُ
فـيـــا جنّة الـعـــشـــاق ظلك وارف وإنّىَ فـى حـــرّ الغـــرام أقـــيلُ
وكـيف يفـرُّ المرء من ظلّ جسمه ؟ فـطيـــــفـك لى ظـلٌّ لدى ظـليـلُ

يبقى أمران لابدّ من الإشارة إليهما ضمن أى حديث عن عبد الرحمن شكرى .

لقد نجح فى أن يضمن مقدمته لديوانه الخامس « الخطرات » ما يمكن أن يعتبر مشروع نظرية أو وجهة نظر فى الشعر ومذاهبه . ولقد اعتبرتها الدكتور / سهير القلماوى أهم وثيقة فى شرح مذهب مدرسة الديوان ، وأقرب محاولة للخروج بنظرية جديدة ورأى جديد فى الشعر والشاعر وعملية الإبداع نفسها ، ولولا أنه لم يكتبها فى أسلوب علمى لخرجت فعلا نظرية متكاملة جديدة .

فى هذه المقدمة يهاجم شكرى الشعراء الذين يملأون شعرهم بالكلمات الغريبة ، حتى تجيز لهم ادعاء الغرابة ، كأن الغرابة تستعصى على أقل الناس ذهنا واطلاعا . وهو يرى أن العبارة الملأى بالكلمات الغريبة قد تكون أخسّ أسلوبا وديباجة وأقل متانة من العبارة السهلة التى ليس بها غير المألوف من الكلمات . فينبغى للشاعر المبتدئ أن يتطلب المتانة وألا يخلط بينها وبين الغرابة ، كى لا تضله الغرابة عن المتانة فيقنع بها .

وبالرغم من هذه الدعوة الواضحة لتجنب الغريب فى الشعر ، فإن قارئ شعر شكرى تستوقفه مئات الكلمات الغريبة التى يولع شكرى بتكرارها مرة ومرة ، حتى فى القصيدة الواحدة . فهو يكثر من استخدام كلمة *الوزيلة* بمعنى *المرآة* ، *والإقليد* بمعنى ما يفتح به الباب ، واللأواء بمعنى الشدة ، والدقعاء بمعنى الأرض ، والعباديد بمعنى المتفرقة ، والمصمئلات بمعنى المصائب والكوارث ، والضريك بمعنى الأحمق أو الفقير ،

والشخشخان بمعنى القوى الشجاع ، والرعبلة بمعنى الثوب البالى ، والخضرم بمعنى الكثير الواسع والسِّيراء بمعنى المخططة ، والثؤباء بمعنى التثاؤب ، والعزهاة بمعنى الزاهد ، والغطريف بمعنى الماجد السخىّ ، والضمّاء بمعنى الضمام ، إلى آخر هذه المفردات الشديدة الغرابة والحوشية ، وهى كما قلت كثيرة فى شعره ، بالرغم من قوله الصريح المعلن : « إن الشاعر الكبير يأتى بالأسلوب رائعا جليلا من غير تكلف للغريب ، أما المبتدئ فهو الذى يتكلف الغريب كى يخفى به ركاكة عبارته ، وكذلك الوزان يتكلف الغريب كى يخفى به جمود طبعه وقلة معانيه ، فإن الغرابة لا تستعصى على أحد ، وإنما الصعوبة فى الجمع بين المتانة والسهولة » .

الأمر الثانى هو تعرض عبدالرحمن شكرى لموضوع السرقة فى الشعر فى سياق حديثه عن دلائل هلاك الأمم ، وكيف أن من بينها نظرها دائما إلى حياة أجدادها واحتذائهم فيها احتذاء لا روح فيه ولا قوة ولا ذكاء ولا فطنة . ويتحدث شكرى عن النقل والأخذ والسرقة ويحتكم للقراء فى أن يميزوا ما يقال ، فالجهل لا يمنع من السرقة كما أن الاطلاع لا يمنع من الأمانة ، وفى شعر شكرى - على امتداد دواوينه الثمانية - أبيات كثيرة تستحضر بصياغتها وتركيبها ومعناها أبياتا قديمة مشهورة على الفور ، ويعجب القارئ لهذا الاستدعاء الذى قد يحدث أحيانا بمعظم صورة الأبيات القديمة ، ويتساءل عن الهدف منه إذا كان شكرى واعيا به ، وهل هى رغبة فى المعارضة الشعرية أو الفكرية أو استنبات للبيت الشعرى فى تُربة مختلفة وبيئة مغايرة ، أو هى ذاكرة شكرى تنساب من خلال إبداعه الشعرى دون أن يتنبه إلى أن هذه الأبيات ليست له وإنما هى لشعراء سابقين معروفين . وهو يلجأ فى مواضع أخرى إلى تضمن أبيات تراثية مشهورة بين ثنايا قصائده وكأنه يستشهد بها ويؤكد توجّهاً أو فكرةً أو موقفاً ، من بينها :

فقل للشامتين بنا أفيقوا   سيلقى الشامتون كما لقينا

ومن بينها :

أترثى للعباد وأنت منهم   من الرب الذى خلق العبادا

ومنها :

تبسّطنا على الآثام لما رأينا العفو من ثمر الذنوبِ

ومنها :

ولو أنى أردت لرعت قوما (أضاعونى وأى فتى أضاعوا)

وأصل الكلام :

أضاعونى وأىَ فتى أضاعوا ليوم كريهة وسداد ثغر

وقوله :

راحة الهوى تعب واحتماله عجب

الذى يذكرنا بقول أبى نواس :

حامل الهوى تعبُ يستخفّه الطربُ

وقوله :

وما الخلد إلا عزةٌ وطماعة وأنبل كذب يخدع اللُّبَّ والفهما

الذى يذكرنا بقول المتنبى :

وما العشق إلا غرّةٌ وطماعة يعرض قلب نفسه فيصابُ

ويقول :

ألا لا أُبيح العيش مدحا ولا ذما سكت فلا عذراً نطقتُ ولا لوما

الذى يذكرنا بقول المتنبى فى رثاء جدته :

ألا لا أُرى الأحداث حمدا ولا ذما

ويقول :

كللوا بالمجد هاماتهمو فى نعيم العزّ أو فى الأبؤس

وهو يذكرنا بقول مهيار الديلمي في الفخر بقومه الفرس :

عمّموا بالشمس هاماتهمو ... وبنوا أبياتهم بالشهبِ

ويقول :

فليتك تحلو والحوادث مرة ... وليتك وافٍ والأنامُ غوادرُ

وهو يذكرنا بقول أبى فراس الحمداني :

فليتك تحلو والحياة مريرة ... وليت ترضى والأنامُ غضابُ

ويقول :

كفى بنفسى داء أننى رجل ... أخشى الحياة وأقلى سطوة الأجل

وهويذكرنا بقول الشاعر القديم :

كفى بجسمى نحولا أننى رجلٌ ... لولا مخاطبتى إياك لم ترنى

ويقول :

إنا لفى زمن عيش الأديب به ... عيش الخبال سقيم الوجه والحال

وهو يذكرنا بالبيت المعروف :

إنا لفى زمن ترك القبيح به ... من أكثر الناس إحسان وإفضالُ

ويقول :

وإذا كانت النفوس لئاما ... فلماذا تقرّ فى الأجساد

وهو يذكرنا بقول المتنبى :

وإذا كانت النفوس كبارا ... تعبت فى مراد ها الأجسامُ

ويــقـــــــــــــول شــكــرى :

للناس فـى العـيـش من بدو وحـاضـــرة طبع العــقـور وإمــا طبع مـعــقـور

فـيـذكـرنا ببـيت أبـى العـلاء المعـرى :

النـاس للنـاس من بـدو وحـــاضـــرةٍ بعض لبـعض وإن لم يشـعروا خـدمُ

ويــقـــــــــــــول شــكــرى :

وإنى لـتــعــــرونى - إذا لحـت - هزة كما ارتعش المصروع حـينا وجمجما

فينكرنا بالبيت المشهور لأبى صخر الهذلى :

وإنى لــتـــعـــرونى لـذكـــراك هزة كــمـا انـتفض الـعـصـفـور بلّله القطر

أكتفى بهذه النماذج التى تشير إلى ظاهرة واضحة فى العديد من قصائد شكرى : اتكاء دائم على الموروث الشعرى ، واستدعاء لأبيات مختارة من عيون قصائده ، تأكيدا لحضورها الحىّ ، ورغبة فى استعادة جمرها أو جلوتها داخل سياق الإبداع الشعرى الجديد ، أو لعله لون من الولع بامتطاء المألوف من التراكيب والتعابير رغبة فى الوصول إلى أفق شعرى جديد ولغة شعرية جديدة ؟؟

يبقى أن أشير إلى الجهد الكبير الذى يقوم به المجلس الأعلى للثقافة من أجل إعادة نشر ديوان شكرى وتيسيره لقراء هذا الزمان ودارسيه ، من خلال طبعة جديدة تعنى بتحقيق القصائد ومراجعتها وضبطها ضبطا محكما ، بعد أن امتلأت الطبعة السابقة الصادرة عام ١٩٦٠ بأخطاء لا حصر لها ، لغوية وعروضية وإملائية ، فكان لابد من تصويب القديم وصولا إلى صحة الجديد وسلامته ، من خلال جهد شاقٍ مضنٍ ، تطلّب وقتاً وصبْراً كبيرين .

لكن إعادة قراءة ديوان شكرى ، والتجوّل فى أبهاء عالمه الشعرى ومنعطفاته ، متعة كفيلة بإزالة أى عناء ، والقضاء على أية شكوى ... وهى المتعة التى نرجوها لكل من يقبل على قراءة شكرى الذى ظل طويلا مظلوما حياً وميتاً ، وآن أوان إنصافه حتى يعتدل الميزان ، فى النظر إلى شعراء جماعة الديوان .

تقديم

بقلم الأستاذ عبد العزيز مخيون

كان واجباً علىّ ، ووفاءً لأستاذنا الشاعر الكبير ، المغفور له عبد الرحمن شكرى ، وتقديراً لفضله وعلمه وأدبه ، أن أتكفل بطبع ديوانه ، وتقديمه لأدباء هذا العهد الجديد الناهض ، ليتناولوه بالبحث والدرس .

وما أعز تلك الذكرى – ذكرى أيام الدراسة بالمدرسة العباسية الثانوية بالإسكندرية – وكنت بين تلاميذ هذا المربى العظيم ، يوم كان أستاذاً بتلك المدرسة ، كنا نلمس فيه العطف ، والرعاية ، والسماحة ، والتواضع ، والخلق الكريم .

ومع ما امتاز به من اطلاع واسع على شتى العلوم والآداب ، مع ما بلغه منذ شبابه الباكر من مجد أدبى ، وتقدير فى ميادين الشعر والنثر ، وحصوله على الدرجات العلمية العالية ، ما كان ليأنف أن يجلس معنا بعد انتهاء الدروس ساعات كل يوم ، ليزودنا بعلمه ومعرفته ، ويجيبنا على أسئلتنا التى نوجهها إليه فى كل علم وفن .

ثم فرق بيننا الدهر مدة طويلة ، إلى أن قرأت فى إحدى الصحف فى صيف ١٩٥٧ أنه مريض يسكن مع أبناء أخيه بسيدى بشر برمل الإسكندرية ، فذهبت لزيارته ومعى أخى – الأستاذ عبد الله مخيون المحامى ، وهو من تلاميذه أيضاً . كان ، رحمه الله ، يعانى يومذاك مرض الشلل ، وقد ساءت حاله ، وبدا عليه الضعف والعجز عن المشى والكلام ، وفارقناه فى ذلك اليوم والألم يعتصر قلبينا ، وتركنا له عنواننا ورجوناه أن يتصل بنا متى شاء .

وراحت الصحف قبيل وفاته تكتب عنه وعن مرضه واعتكافه ، فأبدى الأستاذ الكبير السيد / ثروت عكاشة – وزير الثقافة والإرشاد – اهتماماً بالغاً بصحة الفقيد وآثاره ، وقرر أن ترعاه الدولة بالعناية والعلاج . غير أن القدر كان السابق ، وانتقل أستاذنا إلى رحمة الله فى ١٥ من ديسمبر عام ١٩٥٨ .

واليوم إذ تغمرنى السعادة لما وفقنى اللّه لإحياء ذكرى هذا الرائد العظيم ، بطبع ديوانه الجليل ، تخليداً لذكراه واعترافاً بفضله ، لا يفوتنى أن أسجل عميق شكرى لصديقى الكاتب الكبير الأستاذ نقولا يوسف - ناظر مدرسة أبو حمص الإعدادية بوزارة التربية سابقاً - على ما قام به من جمع هذا الديوان وتصحيحه ، والإشراف على طبعه وتحقيقه ، وهو عمل شاق دقيق ، نهض به هذا الرجل الوفى لأستاذه على أكمل وجه مستطاع ، وللأستاذ الأديب محمد رجب البيومى ، المدرس بمدرسة المنصورة الثانوية ، على معاونته فى البحث عن القصائد المتفرقة فى الصحف والمجلات ، جزاهما اللّه خير الجزاء على هذا التطوع المشكور .

واللّهَ نسألُ أن يوفقنا إلى ما فيه خير الأمة العربية فى ظل ورعاية رئيسنا الظافر ، وقائد نهضتنا المباركة ، جمال عبد الناصر ، وفقه اللّه ونصره .

الإسكندرية فى ٢٣ يوليه ١٩٦٠

عبد الرحمن شكرى
حياته وآثاره

بقلم: نقولا يوسف

ولد الشاعر عبد الرحمن شكرى بمدينة بورسعيد فى ١٢ من أكتوبر عام ١٨٨٦ ، وتوفى بالإسكندرية فى ١٥ من ديسمبر ١٩٥٨ . وبين هذين المكانين ، وبين هذين الزمنين ، تدور قصة حياته التى دامت اثنين وسبعين عاماً .

وكان أسلافه من عرب المغرب ، نزحوا منذ جيلين إلى وادى النيل ، واندمجوا فى فلاحيه ، وأصبحوا منهم ، وإلى هذه العروبة الأصيلة والموروثة ، يعزى ما عرف عنه من رصانة الأسلوب ، وبلاغة اللفظ ، والصراحة ، والأنفة ، وحب الحرية .

فقد جاءت أسرة « عياد » المغربية إلى أطراف بنى سويف المتاخمة للصحراء ، واستوطنتها ، واختلطت بالفلاحين ، وزرعت النخيل ، وأصبح حسن عياد بن حسن عياد عربياً مصرياً ، ورزق غلاماً سماه أحمد شكرى عياد ، وألحقه بالمدارس وتعلم الفرنسية ، فلما شب ، وظف فى « الضبطية » بالإسكندرية ، ثم صار رئيساً بقلم المرور بالميناء ، ثم تزوج ابنة السيد / محمد المغربى ، وقد عمرت هذه السيدة طويلا ، وكانت مولعة بالحكايات والأساطير ، تقصها على أحفادها الأطفال ، ومنهم شاعرنا ، فتثير خيالهم وشاعريتهم .

وكان نجله محمد شكرى عياد – والد الشاعر -- يحتذى أباه ، فلما كبر التحق بوظيفة فى « الضبطية » أيضا ، ثم تزوج من ابنة سعد المغربى ، ورأس أسرة مغربية ، كان مهندساً وأثرى وأسرف ، وخلف نسلاً كثيراً تشتت واندثر .

وبينما كان محمد شكرى عياد مستقراً فى وظيفته بالضبطية فى عهد الخديو توفيق بدأت الحوادث التى أدت إلى الثورة العرابية . كانت الأحداث تجرى سراعا ؛ فالجيش والشعب فى جانب ، والخديو وأعوانه من الجراكسة وعمال الاستعمار فى جانب آخر .

ويتظاهر الجيش فى ٩ سبتمبر ١٨٨١ أمام عابدين مقدماً مطالبه القومية ، ويضرب الأسطول الإنجليزى الإسكندرية فى ١١ يولية ١٨٨٢ ، ثم تحدث موقعة التل الكبير ، ويحتل الجيش الإنجليزى القاهرة فى ١٥ سبتمبر ١٨٨٢ ، ويسلم عرابى نفسه ، ويحاكم ، ويقبض الإنجليز على زعماء الثورة وعلى الكثيرين من أبناء الشعب .

ويلقى القبض على محمد شكرى عياد – والد الشاعر – متهماً بمناصرة العرابيين ، وبصداقته لفريق منهم ، وخاصة لعبد الله النديم – خطيب الثورة – ويحكم عليه بالسجن ، ويظل فى الحبس زمناً ؛ ولما كان أبوه يُدرِّس اللغة الفرنسية لبعض الكبراء فقد استشفع لابنه المعتقل حتى أطلق سراحه ، ولكنه ظل متعطلا يطارده غضب المحتلين ، وما زال أبوه يواليه بشفاعته حتى عين معاوناً للإدارة بمحافظة بورسعيد .

ونجم عن هذا السجن وهذا التعطل ، وعما كابده من الضيق والإرهاق ، أن مات بعض أبنائه ، ثم ولد له أبناء غير أشداء العود ، منهم الشاعر عبد الرحمن شكرى الذى ولد ببورسعيد فى ١٢ من أكتوبر عام ١٨٨٦ ، وقد أسقط منه لقب « عياد » عندما التحق بالمدارس .

ويحدثنا الشاعر عن طريقة تلقيه العلم فى ذلك العهد . ففى المدرسة الابتدائية كان الشيخ مصطفى يعلم تلاميذه الإعراب قبل تعلم النحو والصرف ، ويعلمهم النحو والصرف عن طريق الإعراب . وكان الشيخ مصطفى شاعراً يجيد حفظ الشعر ، ويلقى على التلميذ بيتاً فى الغزل ، ثم يطلب منه إعرابه ويساعده ، فإذا نسى التلميذ أو سها عما يلقن ، ضربه بالعصا ضرباً مبرحا . فكان تلاميذه – ومنهم شاعرنا – يحفظون الشعر ، وكذلك الإعراب والنحو والصرف ، هكذا بالعصا .

وفى مكتبة أبيه وجد الصبى عبد الرحمن ، بعض دواوين الشعر ومنها : ديوان ابن الفارض ، وديوان البهاء زهير ، وهما من أوائل الدواوين التى درسها ، ثم ديوان

المتنبى ، وكتاب « الوسيلة الأدبية » التى اختار فيها الشيخ المرصفى شيئاً من شعر العرب ، وبعض قصائد محمود سامى البارودى . ومن هنا قرأ شكرى شعر البارودى ووصله بشعراء العرب كالشريف الرضى ، وأبى تمام ، وأبى نواس ، وغيرهم .

وكان السيد عبد الله النديم - الشاعر والصحفى وخطيب الثورة العرابية - يزور والد الشاعر فى بيته وينزل فى ضيافته ، وكانت الحكومة الخديوية تناوئه وتطارده . وكان الصبى يستمع إلى ما يدور من حديث ويعيه . ويقول شكرى : « إنه كان يرى النديم دائماً فى حيرة وقلق ، ولكنه كان ينظر بعين الصقر أو النسر . فكان كالصقر الحائر . وكان هذا بيناً ظاهراً حتى للغلام ، فلابد أن همومه كانت كثيرة » . وكان الشاعر صبياً فى العاشرة حين بلغه موت النديم عام ١٨٩٦ .

قضى الشاعر أيام صباه ببورسعيد مع أبيه حتى عام ١٩٠٠ ، وكان فى الرابعة عشرة من العمر حين حصل على الشهادة الابتدائية عامذاك .. وعلى شاطئ البحر فى مسقط رأسه ، كان يلهو ويمرح ويقرأ .. وتراه فى كتابه « الاعترافات » - الذى طبعه فى شبابه عام ١٩١٦ - يعود فى بعض فصوله إلى أيام الطفولة والصبا ؛ فيتحدث عنها بأسلوب فلسفى ساحر .

ينتقل الشاعر إلى الإسكندرية ليلتحق بمدرسة رأس التين الثانوية المطلة على الميناء ، وعلى شاطئ البحر كان يطوف مع الشعراء فى دواوينهم ، ويتمرس بنظم الشعر ، وظل بهذه المدرسة السنوات الأربع المقررة ، ثم نال الشادة الثانوية (البكالوريا) فى شهر مايو ١٩٠٤ - وترك مدرسة رأس التين ليعود إليها بعد ثمانى سنوات مدرساً .

ثم ارتحل الشاعر إلى القاهرة ، والتحق « بمدرسة الحقوق » ، وظل بها عامين (١٩٠٤ - ١٩٠٦) ، وكانت الحركة الوطنية التى تزعمها مصطفى كامل فى أشدها . فاندمج فيها الشاعر ، وحدث أن نظم شكرى قصيدة وطنية مطلعها :

ثباتاً فإن العار أصعب محملا ∴ من الذل لا يفضى بنا الذل للعار

(وهى القصيدة التى نشر بعض أبياتها بالجزء الأول من ديوانه بعنوان « الثبات » بعد أن صادرتها السلطات) .. وألقاها بحديقة الأزبكية على الجماهير زميل الشاعر بمدرسة الحقوق عبد الحميد بدوى - (القاضى فيما بعد بمحكمة العدل الدولية بلاهاى) - واتصل الخبر برجال الاحتلال ، فاتهموا الشاعر بالتحريض على الثورة ، وفصلوه من مدرسة الحقوق .

وعند ذلك قابل الشاعر الزعيم مصطفى كامل ، وطلب أن يشتغل محرراً بجريدة اللواء ليدفع بقلمه عن حقوق البلاد ، ولكن الزعيم رأى أن يتابع دراسته العالية أولا بمدرسة أخرى ، ثم يعمل بعد ذلك ، إذا شاء فى ميدان الصحافة . وقال له إن البلاد فى حاجة إلى المثقفين ثقافة عالية ؛ فعمل الشاعر بنصيحته ، والتحق بمدرسة المعلمين العليا بالقاهرة ، وظل بها من عام ١٩٠٦ إلى ١٩٠٩ حين حاز دبلومها بتفوق .

وقد وجد الشاعر بمدرسة المعلمين مجالا لإشباع ميوله الأدبية ، إذ كانت تدرس بها الآداب العربية والإنجليزية والفرنسية ، إلى جانب المواد الأخرى : كالتاريخ والتربية وعلم النفس وغيرها ، كما كان يدرس بها كتاب « الذخيرة الذهبية » وهو مجموعة مختارة من أحسن الشعر الإنجليزى ، فوجد فيه شاعرنا ألواناً جديدة من الشعر ، ودفعه ذلك إلى قراءة شكسبير وبيرون وشلى وكيتس وتنيسون ووردسورث وغيرهم .

كان فى أثناء دراسته بمدرسة المعلمين قد عاد إلى كتاب الأغانى ، وحماسة أبى تمام ، وديوان الشريف الرضى ، وغيرهم . ووجد فيها كثيراً من شعر الزخرف والاستعارات والتشبيهات ، والشعر الوجدانى ، فتأثر بهذا كله ، وظهر هذا الأثر فى دواوينه الباكرة ؛ فكان فى أول الأمر - كما يقول - ينظر إلى الشعر كأدب ترف وزخرف وتشبيهات ، ثم راح ينظر إليه كأدب وجدان وإيمان - « فن إيمان فى الموضوع الوطنى ، وفن إيمان ووجدان فى العقيدة والنسب » . وقلّت فى شعره بعد ذلك الزخارف والاستعارات القديمة ، وامتزجت فيه الرومانسية بالواقعية .

كما كان فى تلك الفترة ينظم القصائد ، ويكتب المقالات ، وينشرها فى صحف ذلك العهد ، ومن ذلك مراثيه فى مصطفى كامل وقاسم أمين (حين انتقلا إلى رحمة الله عام ١٩٠٨) والشيخ محمد عبده (١٩٠٥) - وقصائد : فى سبيل الجامعة ، والثبات ، وغيرها .

وقبل أن تنصرم هذه الأعوام الثلاثة بمدرسة المعلمين ، كان الجزء الأول من ديوانه : « ضوء الفجر » فى أيدى القراء . ظهر عام ١٩٠٩ ، وكان الشاعر فى الثالثة والعشرين ، يقف على عتبة الحياة ، ولم يقتحم بعد ساحات مشاكلها ومتاهات تجاريبها ، ومع ذلك فإن روح الثائر المجدد ، الذى سطع فى تلك الباكورة ، كان باهراً ؛ فانبرى

المازنى يقرظه فى الصحف ، وأرسل الشاعر حافظ إبراهيم إلى شكرى يقول :

أفى العشرين تعجز كل طوق	وترقصنا بإحكام القوافى ؟
شهدت بأن شعرك لا يجارى	وزكيت الشهادة باعترافى !
لقد بايعت قبل الناس شكرى	فمن هذا يكابر بالخلاف ؟

وبمدرسة المعلمين توطدت الصلة بين شكرى وإبراهيم عبد القادر المازنى ، فقد كان كلاهما شغوفاً بالشعر ونظمه . ويحدثنا المازنى عن تلك الصلة فى مقالة نشرها بجريدة السياسة فى ٥ أبريل ١٩٣٠ ، ومما قال :

« .. كنا يومئذ طالبين فى مدرسة المعلمين العليا . وكانت صلتى به وثيقة . وكان كل منا يخلط صاحبه بنفسه . ولكنى لم أكن يومئذ إلا مبتدئاً ، على حين كان هو قد انتهى إلى مذهب معين فى الأدب ورأى حاسم فيما ينبغى أن يكون عليه ، ومن اللؤم الذى أتجافى بنفسى عنه ، أن أنكر أنه أول من أخذ بيدى ، وسدد خطاى ، ودلنى على الحجة الواضحة . وأننى لولا عونه المستمر لكان الأرجح أن أظل أتخبط أعواماً أخرى ، ولكان من المحتمل جداً أن أضل طريق الهدى ...) وعاد المازنى - رحمه الله - يتحدث مرة أخرى عن هذه الذكريات (فى مقالة له بجريدة « أخبار اليوم » ٢٥ - ١٠ - ١٩٤٧) أى قبل وفاته بعامين) :

« ... وشاءت الأقدار - أو المصادفة - أيضاً أن أشتغل بالأدب لا بالطب ولا بالقانون ، فقد كان من زملائى فى مدرسة المعلمين : الأستاذ عبد الرحمن شكرى وكان كاتباً شاعراً ، واسع الاطلاع على الأدب العربى ، والآداب الغربية ، وقد أخرج أول جزء من ديوان شعره ، وهو فى السنة الأولى بمدرسة المعلمين ؛ فكانت له ضجة . وكان هذا الديوان - كما كانت يوميات الأستاذ العقاد - بداية اقتحام المذهب الجديد فى الأدب للميدان ، وفاتحة الصراع بينه وبين المذهب القديم - مذهب شوقى وحافظ وأضرابهما - وتوثقت الصلة بينى وبين شكرى ، فصار أستاذى وهو زميلى . وكان لى قدر يسير من الاطلاع على الأدب العربى ، ولكنه كان ينقصنى التوجيه . فتولاه شكرى فعكفت على الدرس . ومن الإنصاف أن أقول إن أساتذتنا فى اللغة الإنجليزية وآدابها كانوا رجالا مخلصين أكفاء ، فأحسنوا توجيهنا وتشجيعنا . وبفضل شكرى عرفت عبد المجيد بدوى (باشا الآن) والسباعى رحمه الله . ثم عرفت العقاد من طريق آخر ، وعرفته بشكرى . فصرنا « ثالوثا » العقاد وشكرى والعبد لله . هكذا صرت أديباً وقررت أن أكون شاعراً وناقداً ... » .

وما أن تخرّج شكرى من مدرسة المعلمين عام ١٩٠٩ حتى أرسل ، لتفوقه ، فى بعثة إلى جامعة شيفيلد بإنجلترا . وهناك مكث ثلاث سنوات (١٩٠٩ - ١٩١٢) قضاها فى الدرس والتحصيل ، والاطلاع والتثقف . ودرس فى الجامعة : التاريخ القديم والحديث ، والتاريخ الدستورى ، والعلوم السياسية والاقتصادية ، والجغرافيا ، والأدب الإنجليزى . وفى نهاية الأعوام الثلاثة حاز من جامعة شيفيلد درجة B . A . فى الآداب ، وذلك فى ٣١ أكتوبر ١٩١٢ .

وكانت هذه الإقامة بإنجلترا ، وزيارته لبعض أقطار أخرى ، ما وسع آفاق ثقافته وتجاربه ، وما أوحى إليه بقصائد ذات صور جديدة ، ومن ذلك قصائد عن الغابة ، والبحر ، والجبل ، والشلال ، والشتاء فى إنجلترا ... وفى ليالى الشتاء الطويلة كان ينكب على مطالعة المئات من الكتب الإنجليزية والمترجمة إليها ، وخاصة فى التاريخ والقصص والأدب ودواوين الشعر .. « وتذكى نار المواقد فى البيوت ، فكأن ألوان النار ألوان الأزهار الزاهية فى جنة الربيع ، وتذكى نار المواقد وجنات الوجوه ، فكأن فى

المواقد جمراً وفى الوجوه جمرا . وتبحث فى القلوب فترى نار الحياة وشرّتها ، وترى الحب والآمال لم يغض منها برد الشتاء وثلجه » ، ولكنه يعود بخياله إلى وطنه ، ويحن إلى سمائة وشمسه ونيله ، وينظم « حنين غريب » و « شاعر فى الغربة » :

أنشقونى نسائم النيل إنى ... لعليل والنيل حاجة نفسى !

وتنقضى أعوام الغربة ، ويعود الغريب إلى وطنه ، وفى قلبه آمال عراض ؛ فلسوف يعلم ويكتب وينظم ، ولن يلقى القلم حتى يتحقق لبلاده ما تصبو إليه من حرية ورفعة ، وتربية صحيحة .

وعاد من إنجلترا فى خريف عام ١٩١٢ ، وكان فى السادسة والعشرين ، واستقبله صديقه المازنى لدى وصوله بقصيدة يقول فيها : - (ديوان المازنى جـ١ - استقبال صديق) :

قد قل من يصدق الوداد فما ... أحس من ودهم سوى كـذبه

أما فتى صادق الهوى كأخى ... « شكرى » يرد الزمان عن نوبه

أوثق من تصطفى وأكرم من ... تأخـذ من عـقله ومن أدبه

وعين الشاعر فى ذلك العام مدرساً للتاريخ واللغة الإنجليزية بمدرسة رأس التين بالإسكندرية ، وبدأ يومذاك جهاده التربوى الذى دام نحو ربع قرن .

ولم يمض عام على عودته هذه إلى وطنه ، حتى ظهر الجزء الثانى من ديوانه (عام ١٩١٣) مصدراً بمقدمة للأستاذ العقاد يقول فيها عن شعر شكرى إنه « ينبسط انبساط البحر فى عمق وسعة وسكون .. » « فإذا تلقى قراء العربية اليوم هذا الجزء الثانى من ديوان شكرى ، فإنما يتلقون صفحات جمعت من الشعر أفانين ، قد سمح بها قلم سخى وقريحة خصبة .. » وفى هذا الجزء الثانى نرى نماذج من الشعر المرسل ومن الرباعيات والمطولات فى شتى المعانى والصور ، وما برح الشاعر الشاب يوقع أناشيده إلى الليل والفجر والطير والزهر ، ولكن هذا كله لا ينسيه وطنه الراسف فى

أغلال الاحتــلال والجمود والرجعية ، فتتوالى قصائده : « حياة الأمم أو التجدد والتغير » و « الحيــاة والعبـادة » و « الحيــاة والعمل » و « الحـرية » و « الحجـاب » و « الإيمان بالحياة » و « نحن إخوة » و « مصـر مهد العلوم » و « الشام فى عصر الاستبداد » .. منادياً بالنهوض ، والعمل ، والتحرر من الخرافات ، والسير في موكب الحضار والعلم ، نحو الحرية والاستقلال والمجد .

وفى خلال عام ١٩١٤ أخذ المازنى ينشر فى جريدة « عكاظ » الأسبوعية ، نقداً لشعر حافظ إبراهيم ، ويعقد الموازنة بين شاعرية شكرى» وشاعرية حافظ . ويقول :

« لا نجد أبلغ فى إظــهار فضــل شكرى والدلالة عليه ، وبيـان ما للمذهب الجديد على القــديم مــن المزية والحسن ، من المـوازنة بين شــاعـر مطبــوع مـثل شــكرى ، وآخر ممــن ينظمــون بالصنــعة مثل حافظ إبراهيم . فإن الله لم يخلق اثنين هما أشد تناقضاً فى المذهب و وتبايناً فى المنزع ، من هذين . والضد - كما قيل - يظهر حسن الضد » .

وبعد أن ينقد شعر حافظ يعود إلى شكرى فيقول :

« أما شكرى فشاعر لا يصعد طرفه إلى أرفع من آمال النفس البشرية ، ولا يصوبه إلى أعمق من قلبها . ذلك دأبه ووكده . وهو لا يبالغ كحافظ فى تحبير شعره وتدبيجه ، بل حسبه من الوشى والتطريز أن يسمعك صوت تدفق الدماء من جرا ح الفؤاد ، وأن يفضى إليك بنجوى القلوب والضمائر ، وأن يريك عيون الندى على خدود الزهر ، وافترار ضوء القمر على مكفهر القبور ، ووميض الابتسامات فى ظلام الصدور ، وأن ينشقك نسيم الرياض وأنفاس السحر ، وأن يشعرك هزة الحنين ودفعة اليأس والأمل ، وأن يغوص بك فى لجج الفكر ليكشف لك عن معان لا يدركها التعبير ، ويتناول أبسط معانى الطبيعة والعقل ، وأشدها ارتباطا بالحياة واتصالا بالنفس ، ثم يصوغ لك منها شعراً نقى المستشف ، كثير الماء ، جم المحاسن .. » .

ويختم المازني موازنته بين الشاعرين بقوله : إن حافظاً إذا قيس إلى شكرى لكالبركة الآجنة إلى جانب البحر العميق الزاخر » .

وفى عام ١٩١٤ أعاد شكرى طبع الجزء الأول من ديوانه لنفاد طبعته . وفى ١٩١٥ طبع الجزء الثالث ، وكان قد سطع نجمه فى أفق الأدب ، وسعى الأدباء إلى مجالسه ، وسجل بعضهم فيما بعد شيئا من ذكريات تلك المجالس . ويقص الأستاذ العقاد بعضاً من تلك الذكريات (وذلك فى مقالته بمجلة « الهلال » ١٩٥٩/٢/١) - فيقول :

« .. عرفت عبد الرحمن شكرى قبل خمس وأربعين سنة ، فلم أعرف قبله ولا بعده أحداً من شعرائنا وكتابنا أوسع منه اطلاعاً على أدب اللغة العربية وأدب اللغة الإنجليزية ، وما يترجم إليها من اللغات الأخرى . ولا أذكر أننى حدثته عن كتاب قرأته إلا وجدت منه علما به وإحاطة بخير ما فيه . وكان يحدثنا أحيانا عن كتب لم نقرأها ولم نلتفت إليها ، ولاسيما كتب القصة والتاريخ . وقد كان مع سعة اطلاعه صادق الملاحظة ، نافذ الفطنة ، حسن التخيل ، سريع التمييز بين ألوان الكلام . فلا جرم أن تهيأت له ملكة النقد على أوفاها ؛ لأنه يطلع على الكثير ويميز منه ما يستحسنه وما يأباه ، فلا يكلفه نقد الأدب غير نظرة فى الصفحة والصفحات يلقى بعدها الكتاب وقد وزنه وزناً لا يتأتى لغيره فى الجلسات الطوال ! » .

ويقول :

« .. ولم يسبقه أحد ، فيما أذكر ، إلى تطبيق البلاغة النفسية - السيكولوجية - المستمدة من أدب الغرب ، على ما يقرؤه من شعر الفحول فى اللغة العربية . ولعله أول من كتب فى لغتنا عن الفرق بين تصوير الخيال وتصوير الوهم . وهما ملتبسان حتى فى موازين بعض النقاد الغربيين .. » .

ويقول : « ولم يكن أمتع من الاستماع إلى شكرى وهو يقرأ القصيدة العربية أو الأوربية ، ويعلق عليها بيتاً بيتاً . أمثال هذه التعليقات ، وما كتبه من النقد فى مؤلفاته قطرة من بحر تلك الآراء النفسية التى كان يرسلها عفو الساعة - ولا يعنى بتقييدها » .

ثم يقول الأستاذ العقاد فى مقالة أخرى نشرها بمجلة « الشهر » (عدد مارس ١٩٥٩) :

« .. إن ما قاله شكرى لصحبه وتلاميذه فى توضيح رأيه لأضعاف ما كتبه أو نشره فى دعوته الأدبية ؛ لأنه كان مطبوعا على التعقيب الجامع الناقد على مطالعاته ومطالعات غيره . يتناول الديوان أو الكتاب أو المقال ، فيجيل فيه بصره لحظة بعد لحظة ، ثم يلقيه وقد فرغ من وزنه وتقديره كما يفرغ الصيرفى البصير من تقويم الجوهرة بعد لمحة من بصره ، ولمسة من يديه . فإذا اطلع سامعه بعد ذلك على الكتابة ، وعاود الاطلاع عليه مرة بعد مرة ، لم يكن ينتهى فيه إلى رأى أصدق من ذلك الرأى الذى فاه به شكرى فى جلسة واحدة ، وخيل إلى سامعه أنه من آراء البديهة والارتجال ، وإنما هو فى الواقع رأى الأناة المحفوظة لساعتها ، يظهر مع المناسبة الحاضرة كلما تحركت دواعيه .. » .

ويتحدث الأستاذ على أدهم (وكان من تلاميذ الشاعر بمدرسة رأس التين الثانوية فيما بين عامى ١٩١٣ - ١٩١٤) عن ذكريات تلك الأيام - وذلك فى مقالة نشرها « بالمجلة » فى فبراير ١٩٥٩ :

« .. وكان الأستاذ شكرى ، فى مجالسه الخاصة ، محدثاً لبقاً ، شائق الحديث ، واسع المعرفة ، نافذ النظرات . وكان يزيد حديثه متعة أنه كان دائم الاطلاع ، سريع القراءة ، قوى الاستيعاب ، حسن الهضم لما يقرأ . وكان له على جميع ما يقرأ تعليقات رائعة ، وتعقيبات نافعة ، وإذا اطمأن إلى جليسه واستراح له ، مضى ينثر ذخائر معرفته ، ونفائس علمه فى تواضع محبب ، وسخاء جميل . وإن أنْسَ من الأشياء فإننى لا أنسى تلك المجالس الرائعة التى كان ينظم شملنا فيها الود الصادق ، والتقدير المتسامى فوق الأغراض الدنيوية والمآرب الأرضية .. » .

* * *

كانت الفترة بين عامى ١٩١٣ و ١٩١٩ فترة خصيبة فى إنتاج الشاعر . ففى ١٩١٣ ظهر الجزء الثانى من ديوانه . وفى ١٩١٥ ظهر الجزء الثالث . وفى١٩١٦ طبع له كل من

الجزء الرابع ، والجزء الخامس من الديوان ، كما نشر له ثلاثة كتب نثرية : « الثمرات » و « حديث إبليس » و « الاعترافات » - (وقد نشر أكثر فصول الكتاب الأخير فى (الجريدة) بين عامى ١٩٠٩ و ١٩١٢ . وفى ١٩١٨ ظهر كل من الجزء السادس من الديوان ، وكتاب « الصحائف » . وفى ١٩١٩ ظهر الجزء السابع ، وقصة « الحلاق المجنون » وهى قصة سيكولوجية نشرها بتوقيع ع . ش .

وفى تلك الفترة فيما بين ١٩١٨ - ١٩٢٠ بدأ تعرفى بعبد الرحمن شكرى ، كان ذلك فى يوم من أكتوبر ١٩١٨ - وكنت بين تلاميذ مدرسة رأس التين الثانوية بالإسكندرية ، كنا صبية صغارا نستهل العام الدراسى الجديد جلوساً فى الفصل المطل على ميناء الإسكندرية ؛ حيث كان الشاعر يجلس مثلنا منذ أربعة عشر عاما ، وكنا ننتظر أستاذنا فى حصته الأولى ذلك العام . وكان بعضنا قد سمع به وعرفه ، والبعض الآخر لم يره بعد ، حين دلف إلى الغرفة ، بخطا ثابتة بطيئة ، شاب نيف على الثلاثين ، متوسط القامة ، ممتلئ الجسم ، مع ميل إلى القصر وإلى السمرة ، وقور ، عصبى المزاج قليلا ، حسن البزة فى غير تأنق ، ذو شارب أسود صغير ، وعلى عينيه الواسعتين النافذتين منظار سميك مستدير ، وفى يده كتب ودفاتر وأضابير ؛ فحييناه وقوفاً كالعادة ، ثم جلسنا ، وراح البعض يهمس : عبد الرحمن شكرى الشاعر الكبير ! .

ولم تمض الدروس الأولى حينذاك - وكان يدرس لنا التاريخ واللغة الإنجليزية - حتى ثبت لدينا أنه رجل جد وعمل ، يميل إلى الهدوء والنظام ، واسع الاطلاع ، غزير المادة ، مثقل بالتجارب والذكريات ، متمكن من اللغتين العربية والإنجليزية على وجه خاص ؛ هذا إلى أنه شاب رصين، قوى الشخصية ، عطوف ، طيب القلب ، مهذب اللفظ ، لا تخرج من فمه كلمة نابية أو لفظة جارحة .. فإذا ما انتهى الدرس رحب بأية مسألة يعرضها عليه تلاميذه ، وناقشهم فيها بصدر رحب ، لا يطعن فى أديب أو غير أديب ، أو صحبهم إلى مكتبة المدرسة ليحبب إليهم المطالعة والبحث .

لم نقنع بهذه الصورة المجملة ، وقد علمنا أنه شاعر وكاتب وناقد .. له خارج النطاق المدرسى جولات وصولات ، فرحنا ننقب عن آثاره المطبوعة فى مكتبات الأنفوشى ورأس

التين ، وهناك عثرنا على ما نشر له حتى ذلك العهد من كتب ودواوين ، وكانت لحسن الحظ ، رخيصة الثمن ، ووجدنا فيها من الأدب والأفكار والإنشاء ما لم نعهده في جل ما لدينا من كتب ومطبوعات .

كانت أيام العام الدراسى تمر على هذا المنوال ، وإذا بثورة عام ١٩١٩ تشب فتضطرب معها الدراسة ، ويخرج التلاميذ إلى المظاهرات ، وتغلق المدارس ويتشتت الشمل ، ثم نعود لنرى أستاذنا فترة أخرى ، ثم نقلت إلى مدرسة أخرى بالقاهرة ، ولم أعد أرى شاعرنا إلا لماما ، وشاءت الظروف أن ألتحق مثله بمدرسة المعلمين العليا ، وأتلقى ما تلقاه هناك من علوم ، ثم أشتغل معلما مثله ، فكانت تجمعنا فيما بعد وفى بلاد شتى ، لجان الامتحان حين كان يعهد إليه أحيانا برئاستها ، فأراه لم يتبدل .. الرجل الفاضل ، المحب للهدوء والعمل والنظام ، ثم الاعتكاف فى صومعته ليلاً ليقرأ الكتاب تلو الكتاب .

كان يقف بيننا فى خلال ثورة ١٩١٩ والدنيا تغلى وتفور .. صامتاً متأملا حزينا ، والشرر يتطاير خلال منظاره السميك ، كانت عيناه تهتفان معنا .. وقصائده الوطنية الصارخة تتحرك أمامنا فى دواوينه وتلتهب .. ها هم تلاميذه يفصلون ، ويعتقلون فى السجن ، ويضربون فى الشوارع بالرصاص ، كما اعتقل والده وسجن من قبل فى الثورة العرابية وتعطل .. وكما فصل هو من المدرسة فى عهد مصطفى كامل وتشرد . وها هو يواجه ثورة ثالثة فى حياته .. أما كان ينبغى أن تحرر بلاده منذ زمن بعيد ؟ ويروح ليتابع جهاده بالقلم نظما ونثرا ، ولكن الصحف تعطل أيضا ، والأقلام تشرد ، والسجون تبتلع الجميع .

كانت الفترة منذ عام ١٨٨٠ فترة ثورية متصلة . يناضل فيها الشعب فى معركة دائمة متأرجحا بين النصر والهزيمة . وكانت الطبقة المتوسطة بالبلاد ، قد جمعت تحت شعاراتها التقدمية كل الطبقات الصاعدة . فمما لا شك فيه أن التحرر الوطنى ، وإلغاء الامتيازات الإقطاعية ، وتسليم المصريين دفة الحكم ، كانت مطالب ضرورية للطبقة المتوسطة فى تلك المرحلة من تاريخها ، ضرورتها لسواها من الطبقات الجديدة ، وإن لم

تكن أشد ضرورة . ولكن لم يقدر لتلك الثورة أن تنجح لأسباب تاريخية . فوجود عامل طفيلي كالاستعمارية العالمية ، كان عائقاً للتطور الطبيعي في مصر . كما أن الطبقة الجديدة نفسها كانت ما تزال أضعف من أن تقود كل هذه الجماهير وتنظمها في معركتها مع الإقطاع الراسخ وحليفه الاستعمار ، وكانت - إذن - أول هزيمة للطبقة المتوسطة المصرية أفضت إلى تحالف دائم بين الاستعمار والإقطاع ؛ ولذلك كان رد الفعل تنكيلا بكل من كانت له بالثورة أدنى صلة نفياً أو قتلا أو سجنا أو تشريدا .

وقد رأينا ما أصاب أسرة عبد الرحمن شكرى من أهوال نتيجة لفصل والده من عمله لاشتراكه فى الثورة ، ولاعتقالة ، وكيف مات بعض أبنائه من الضيق والإرهاق ، وكيف شب البعض الآخر - والشاعر منهم - غير أشداء العود ، وكيف كان يرى عبد الله النديم كالصقر الحائر تثقله الهموم .. فى هذا الجو ولد شاعرنا وسط الهزيمة والفشل والتردد ، عقب ضرب الإسكندرية وهزيمة العرابيين ، وشاهد بعينيه قادة الثورة أنفسهم يعانون المرارة ويحملون الهم ، ووعى ما وعى من تشرد والده وسجنه ، فكانت صدمة لم تغب عن ذاكرته .

وشب عبد الرحمن شكرى وترعرع فى فترة الجزر الثورى التى اقترنت بالاحتلال البريطانى ولورد كرومر وما سمى بسياسة الوفاق . ثم فتح عينيه فجأة على شئ جديد غريب : محاولات لشراء الطبقة المتوسطة نفسها ، وهى التى كان يحمل لها شكرى حتى ذلك الوقت كل احترام ، والتى كانت تتمثل فى عرابى والنديم والبارودى ووالده ، وكل الذين أسهموا فى ثورتها تلك .وهنا بدأت خيانات الأصدقاء وترددهم ، ولأسباب تاريخية جديدة راحت البرجوازية المصرية تؤثر التسليم لأعدائها ، متنكبة بذلك طريقها الذى قدر لها أن تسلكه . ففشلت ثورة ١٩١٩ لتحالف البرجوازية المصرية مع نقيضها الإقطاع . وكانت قد ارتبطت - عن طريق هذا التحالف - بالبرجوازية العالمية الرجعية . مما أدى إلى تحطيم جميع الأجهزة الديمقراطية فى البلاد ، وكانت الضربة التى أصابت الكُتّاب

العرب المصريين . وكانت خط تقسيم حدد لكل منهم غايته وطريقه ، وكذا تعددت مدارس الفكر فى الإقليم المصرى وتبلورت ، وظهر مكان كل كاتب من كتابنا وشعرائنا . وفهمت دوافع الهجوم المجحف غير الموضوعى الذى قام به عدد من الكتاب على شاعرنا شكرى .

ومن هنا انبثقت مأساة شكرى ؛ فثمة آمال عريضة فى كفة ، ونأى تلك الآمال فى الكفة الأخرى ، والرجل لم يولد ميتا كما كتب أحدهم ، وهو الذى يقول :

« كنت أتمنى أن أقطف أزهار الحياة كلها ، وأن أخرج من الحياة عطرها . فإن للحياة عطراً كما للزهر عطرا . كنت أتمنى أن أمتع نفسى بكل شئ فى هذا الوجود ، وفى كل وجود تتصوره وتتوق إليه النفس . كنت أتمنى أن أعانق الوجود ، وأن أقبله قبلة أسقى بها كل ما فى روحه من الجمال والجلال ... » .

فسوداوية شكرى التى تنبرى أحيانا فى شعره ، ليست إذن مرضية ، بل هى بالأحرى وليدة ظروفه الاجتماعية ؛ فهو لم يرفض الحياة قط ، كما أن إيمانه بمسرات الحياة لم ينهزم ، وإنما المسألة أن الآمال بلغت غايتها فى تلك النفس الكبيرة ، الطموح ، ولكن شاءت الأحداث ، وشاءت الأقدار إلا أن تبدل من الأمل يأساً ، وتدفع الشاعر الشاب إلى أن يخلق حوله عالماً من الأحلام والأمانى .. « خلقت كثيراً من الأمانى والأطماع . كنت أطلب كل شئ ، وصارت هذه الأطماع تعظم كلما كبرت ، فصرت أقضى الساعات فى أحلام الأمانى .. » .

إن شكرى لم يرفض النجاح بين قومه ، بل كان النجاح غايته ، ولكنه رأى فئة ممن حوله تصطنع صفات ووسائل معينة للوصول إلى هذا النجاح . وهو لا يرتضى لنفسه هذه الصفات ، بل يؤمن بالوصول السوى إلى غايته . فإذا حاول أن يصطنع مثل هذه السبل لبلوغ غايته فشل فى مسعاه ، وهنا يلجأ الشاعر إلى نقد هذه العادات ويلوم مصطنعيها ، واتخاذهم العلم كقناع ، وهنا نجد حملاته على الرياء والخبث والكذب ،

والحقد والحسد ، والشر عامة .. ومع ذلك فهم فرائس لقوى قاهرة تعبث بهم .. وهذا ما يستدعى العطف عليهم والرثاء لهم .. ويقول لهم إنما نحن إخوة ، وارحمةً للناس ، صرعنا القدر بما بذره فى نفوسنا من قيود لا فكاك لنا منها لسوء الحظ ! .

وفى تلك الأيام حدثت جفوة بين الصديقين شكرى والمازنى .. بالغ بعض الكتاب فى وصفها ، ووقعها فى نفس الشاعر ، وإن كانت لا تعدو كونها مناقشة قلمية فى الصحف ، ما لبثت أن ذهبت مع الريح ، ومع ذلك فلا مفر لمن يؤرخ لشكرى من أن يشير إليها وقد باتت فى ذمة التاريخ .

فقد ظل الأديبان - رحمهما الله - صديقين منذ عهدهما بمدرسة المعلمين ، ثم نقل إلى شكرى أن صديقه يتنقص من شعره وينسب بعضه إلى شعراء الغرب . فكان رد شكرى على ذلك تلك الصفحة التى ختم بها مقدمة الجزء الخامس من ديوانه المطبوع عام ١٩١٦ . وفيها يعد للمازنى ما نقل من شعر ونثر عن الأدباء الغربيين . وقال إن صداقته للمازنى لا تمنع من معاتبته فى عمله هذا ، « لأن الشاعر مأخوذ إلى الأبد بكل ما صنع فى ماضيه ، حتى يداوى ما فعل ويرد كل شئ إلى أصله » ، وكان جواب المازنى أن شرع فى نقد شعر شكرى فى إحدى الجرائد اليومية ، ولعلها جريدة « النظام » ، ورد شكرى على نقد المازنى فى الجريدة نفسها .. ولما طبع المازنى الجزء الثانى من ديوانه عام ١٩١٧ دافع فى مقدمته عن نفسه ، وختم مقالته بقوله : « هذا لا يسعنا إلا أن نشكر لصديقنا شكرى أن نبهنا إلى مآخذ شعرنا والسلام » . ولكن لم يصفُ الجو بين الصديقين ، وظهر بجريدة « عكاظ » خلال سنتى ١٩١٩ و ١٩٢٠ فصول فى نقد شعر المازنى والعقاد بقلم « ناقد » ، وظن البعض أن « ناقداً » هو شكرى نفسه .

وفى عام ١٩٢١ ظهر الجزء الأول والثانى من كتاب « الديوان » الذى اشترك فى تأليفه العقاد والمازنى ، وفيهما فصلان كتبهما المازنى فى نقد شكرى وشعره ، فى لهجة عنيفة يتخللها السب واتهام شكرى بالجنون ، وانتهز بعض الكتاب هذه الجفوة بين

الشاعرين فراحوا يزيدون النار ضراما ، وظهرت بعكاظ ثم بمجلة أبولو مقالات فى هذا الموضوع .

وكان الأستاذ مختار الوكيل قد أصدر كتاباً نقدياً بعنوان « الشعراء المجددون » شاد فيه بفضل شكرى وأدبه ، كما أصدر الدكتور رمزى مفتاح كتاباً بعنوان : « رسائل فى النقد » يناصر فيه شكرى على خصومه .. وأخيراً كتب المازنى مقالة فى « البلاغ » - فى أول سبتمبر ١٩٣٤ - يعتذر فيها عما بدر منه ، ويعلن فضل شكرى وتوجيهه له ، وكتب العقاد بجريدة « الجهاد » فى ٤ سبتمبر ١٩٣٤ يعلن أنه لم يتأثر بأحد ، وعلق شكرى على هاتين المقالتين فى البلاغ (١٩٣٤/٩/٦) فقال إنه ليس أستاذاً لأحد ، ثم عاد شكرى فكتب فى « المقطم » فى ١٩٣٤/٩/١٢ كلمة تحت عنوان : « الشهرة والخلود » يكرر ما قاله ، كما نظم قصيدة بعنوان « بعد الإخاء والعداء » ، وقد ذكر العقاد بجريدة « الأخبار » أن هذه القصيدة قيلت فى الأستاذ المازنى ، وزاد فقال إنها من أروع قصائد الأدب العربى .

تلك خلاصة ذلك النقاش الذى دام بضع سنوات ، وبالغ بعض الناس فى نتائجة حتى قال ذلك البعض إنه أرغم شكرى على الانزواء وتحطيم القلم !! .

ولقد زار شكرى القاهرة عام ١٩٤٤ ، وانتهز تلك الفرصة فزار صديقه القديم المازنى فى دار جريد البلاغ ، كما زار العقاد ، ولم يعد يذكر هذا الموضوع أو يتحدث عنه .

وكانت الفترة - كما سلف - فيما بين عامى ١٩١٢ و ١٩٣٨ هى المدة التي قضاها الشاعر مشتغلا بالتعليم بمدارس وزارة التربية ، وبدأ حياته التعليمية مدرساً بالمدارس الثانوية كما سلف ، وأولاها مدرستا رأس التين والعباسية الثانويتان بالإسكندرية ، ثم رقى ناظراً بالمدارس الثانوية الكبرى ، ومنها مدارس الزقازيق والفيوم وحلوان ، والعباسية الثانوية (١٩٣٤ - ١٩٣٥) ، فمفتشاً بالتعليم الثانوى من عام ١٩٣٥ حتى عام ١٩٣٨ حين اعتزل الخدمة ولم يعد لأية وظيفة بقية حياته .. فقد بلغ برمه بالوظائف

أقصاه ، وقد ظل بها نحو ٢٦ عاما ، كان يشتهى خلالها التفرغ للأدب والبحث وحدهما ، فلم يلق من حكومات ذلك العهد البائد التقدير الجدير بأديب كبير مثله ، أو العمل الذى يتفق مع مواهبه ، بل لقد كان يرى التجاهل والتخطى فى الحقوق ، وقد ادخر الشاعر من مهنة التعليم كثيراً من الذكريات والتجارب . وكان ينوى فى شبابه أن ينشر كتاباً بعنوان « المدارس » - آراء فى التعليم والقائمين به وفى المدارس ونظارها - ونرى إعلاناً عنه عام ١٩١٨ على غلاف ديوانه الجزء السادس وعلى كتابه « الصحائف » . ولكنه عدل عن ذلك ، واكتفى ببعض الفصول التى نشرها فيما بعد كمقالتيه عن « ذكريات سنى التعليم » (بمجلة الرسالة عام ١٩٣٩) .

وكان الشاعر فى أثناء طوافه بالمدن التى قام بها بمهام وظيفته ، يقضى جل فراغه فى القراءة والكتابة ونظم الشعر ، وكان قد كف عن النشر طويلا ، وإن كان لم ينقطع عن الكتابة والنظم . ثم عاد فنشر بمجلة الهلال فى أغسطس ١٩٣٢ قصيدة عن « الطفل » بتوقيع ع . أ .ش ، كما نشر بمجلة أبولو فى يونيه ١٩٣٢ مقالة عن « نقد الطريقة الرمزية » ، نشرتها هذه المجلة التى كانت تناصره ومعها صورة بديعة له ، ثم عاد فكف عن النشر ، وفى عام ١٩٣٥ نشط إلى إذاعة قصائده ومقالاته وقد تراكم منها الكثير . فنشر فى ذلك العام نحو عشرين قصيدة جديدة بالرسالة والمقتطف والمجلة الجديدة وتابع النشر ، فى العام التالى ١٩٣٦ ، فظهر له بالمجلات نحو عشرين قصيدة ، ونحو عشر مقالات ، كما أعاد نشر بعض قصائده القديمة لتوضيح أغراضها . ولم يذع عام ١٩٣٧ غير مقالة بالرسالة بعنوان : « بين تولستوى وماكس نوردو » .

وما كاد الشاعر يعتزل وظيفته بوازرة التعليم حتى رحل إلى مسقط رأسه ومسرح صباه بورسعيد . وسكن مع عائلة أخيه بشارع أفريقية فى إحدى شقق منزل متواضع قريب من البحر تملكه الأسرة هناك ، قانعاً بالمعاش الضئيل الذى كان يتقاضاه كل شهر وعاش نباتياً ، مستقيماً ، مفكراً ، مشغولا بمطالعاته وكتاباته ، متريضاً أحيانا على شاطئ البحر ، ومصطحباً أحيانا أخرى أبناء أخيه يلاعبهم ويدربهم على السباحة

والرياضة ، وظل عزباً لم يتزوج طوال حياته ، ولم يمارس الرذائل ، شغوفاً بالأطفال والأزهار والبحر والكتب . فإذا ما انفرد فى مكتبته العامرة بشتى صنوف المؤلفات نسى نفسه أحيانا ، وراح يقرأ حتى اليوم التالى ، وهكذا قضى الشاعر سبعة عشر عاما فى بورسعيد ، قلما كان يبرحها إلى القاهرة أو غيرها ، وفى خلال تلك الأعوام ، نشر كثيراً من القصائد والأبحاث فى الصحف والمجلات .

ففى عام ١٩٣٨ نشر أكثر من عشر مقالات وثمانى قصائد جديدة ، وزاد اهتمامه عام ١٩٣٩ بكتابة الفصول النقدية والأدبية والنفسية ، فنشر منها فى ذلك العام أكثر من ثلاثين مقالة ، منها دراسات قيمة فى نقد الشعر العباسى ، وقصيدتين جديدتين ، ثم انقطع ثانية عن مراسلة الصحف والمجلات ، وإن كان لم ينقطع عن مطالعاته وكتاباته الخاصة .. وبغتة عاد إلى الميدان عام ١٩٤٧ ، فنشر بعضاً من المقالات فى المقتطف ، وتبعها بفصول كتابه : « نظرات فى النفس والحياة » .. ظهرت فى سلسلة رائعة من ٣٢ مقالة بمجلة المقتطف أيضاً ، وذلك فيما بين أغسطس ١٩٤٧ وسبتمبر ١٩٥١ ، وكلها بتوقيع ع . ش . ويعد هذا الكتاب من خير ما كتب فى النقد والتحليل والتعليق على آراء كبار المؤلفين ، ومنهم جوته وبيكون وأناتول فرانس وشوبنهور ومارسيل بروست وابن المقفع ، وغيرهم .

وفى يوم من يناير ١٩٥٢ كان الشاعر يسير فى أحد شوارع بورسعيد ، حاملا رزمة من الكتب ، اشتراها كعادته وعاد بها فرحاً إلى بيته ، وإذا بالشلل الذى أفلج نصفه الأيمن يباغته فيترنح ويسنده بعضهم إلى المنزل ، وظل مشلولا بقية حياته ، وبذلك أرغمته العلة على ترك القراءة والنظم والكتابة ، وانصرف إلى الراحة والعلاج ، وكان الشلل قد أضعف ذاكرته قليلا وعطل ذراعه اليمنى التى كان يكتب بها ، ومع ذلك فقد ظل إلى آخر نسمة من حياته محتفظاً بقواه العقلية ، ومتحلياً بالصبر والتجلد والإباء . ولما كان من عادته أن يرد على كل من يكتب إليه ، فقد اضطر إلى الكتابة بيده اليسرى حتى لا يكلف غيره عناء الكتابة بدلاً منه : وبذلك أرسل إلى أهله وأصحابه عشرات البطاقات والرسائل فى تلك الفترة العصيبة من حياته !

وفى أكتوبر ١٩٥٥ انتقل إلى الإسكندرية نزولا على رغبة أهله ، وكان يحب الإسكندرية ؛ حيث قضى أعواماً كثيرة طالباً ومدرساً وناظراً ، وحيث طبع كل ما نشر له فى حياته من كتب ودواوين .. واستأجر شقة على مسافة قريبة من البحر بناحية سيدى بشر برمل الإسكندرية ، ونقل معه نصف مكتبته ، ونسق كتبه فى خزائنها ، ولو لم يستطع العودة إلى مطالعتها .

وفى مكتبه بتلك الشقة الصغيرة كان يستقبل القليل من مريديه وتلاميذه ، ويجلس معهم مرحباً مصغياً ، وقضى هناك الأعوام الثلاثة الأخيرة من حياته ملازماً بيته لا يبرحه إلا فيما ندر ؛ وذلك حينما يصفو الجو فيخرج متوكئاً على عصاه ليشترى شيئا من الحوانيت المجاورة ، ليتسلى ثم يعود إلى صومعته .

وكان لا يهتم بالشهرة والدعاية قدر اهتمامه بالهدوء والسلام ، ولطالما نشر فى القديم المقالات والقصائد بتوقيع ع . ش . أو بإمضاءات أخرى ، وحدث أننا أردنا عام ١٩٥٦ تكريمه لبلوغه السبعين فرفض كل نوع من التكريم أو النشر ، وآثر السكينة والسلام . ثم وافق أخيراً على رغبة مجلة « العالم العربى » بالقاهرة - والتى يرأس تحريرها الأستاذ أسعد حسنى - فى إصدار عدد خاص عنه فى هذه الذكرى ، وصدر العدد فى ١٥ سبتمبر ١٩٥٦ ، وبه بعض الدراسات والذكريات عن الشاعر ، فلفت صدوره أنظار الكثيرين ، وكان منهم من نسيه ، ومنهم من الشباب من لم يكن يعرف عنه غير القليل ، لعزوفه عن الدعاية والضجيج . وراح بعض الأدباء والصحفيين يبحث عن بيته أو يكاتبه ، والرجل بطبيعته السمحة يستقبل كل زائر ، ويرد على كل رسالة أو بطاقة ، يكتبها بيده اليسرى ، ثم تكالب عليه الشلل والمرض السكرى ووهن الشيخوخة ، فهدت قواه ، واستجدت آلام أخرى فى نفسه ، وقت الاعتداء الثلاثى الغاشم على بورسعيد ، فقد هدمت قنابل الأسطول الإنجليزى فيما هدمت وهى تضرب بورسعيد ، منزل الشاعر الذى كان لا يملك غيره هو وأسرته ، وأسر ابنا أخيه الضابطان فى البحرية ، ولم يسمع عنهما طويلا .

وفى عام ١٩٥٨ - قبيل وفاته - طير بعض مراسلى الصحف بالإسكندرية إلى صحفهم بالقاهرة « نبأ العثور على الشاعر » ! فحضر نفر من المحررين والمصورين

لمقابلته وهو يحتضر ، ثم نسبوا إليه الأحاديث المختلقة والطرائف العجيبة ، كما نسبوا إليه كلمات لم يقلها وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة !

وفى الساعة الثانية بعد ظهر الإثنين ١٥ من ديسمبر عام ١٩٥٨ انتقل الشاعر إلى عالم الخلود ، بمنزله بسيدى بشر برمل الإسكندرية ، وتحققت أمنيته فى الراحة والهدوء والسلام . كما تحققت آماله فلم يمت حتى شهد بلاده تنعم بالحرية والعزة والاستقلال .

وشيعت جنازته عصر الثلاثاء ١٦ من ديسمبر ١٩٥٨ بالإسكندرية ، وكان على رأس المشيعين نائب الرئيس جمال عبد الناصر ، ونائب السيد وزير الثقافة والإرشاد ، ودفن فى مقبرة متواضعة بمدافن « العمود » بالإسكندرية طبقاً لوصيته ، فلقد ترك الشاعر مظروفاً وحيداً كتب عليه : « لا يفتح إلا بعد وفاتى » . وبه ورقة صغيرة مكتوبة بيده اليسرى جاء بها : « لا تدفنونى فى حجرة تقفل على كالسجن . ولكن فى قبر يهال عليه التراب » !

ولقد كتب الكثير من الأدباء عن شكرى - شاعراً وكاتباً وناقداً ومعلماً ومصلحاً - كتبوا عنه شتى الفصول النقدية والتحليلية ، منذ أن أخرج ديوانه الأول عام ١٩٠٩ وما برحوا يكتبون عنه إلى الساعة ، ولو جمعت ما كتب عنه فى هذه الأعوام الخمسين ، وما كتبه هو فى الرد على ناقديه ومناقشة آرائهم ، لخرجت بكتاب كبير يزدحم بالمتناقضات ، وكثيراً ما كان يناقض ناقده نفسه .. ولا عجب فى هذا ، فهو ككل عظيم من الناس تتضارب فيه الأقوال ، وتختلف وجهات النظر ، وتمدحه فئة وتقدح فيه أخرى ، ويطيب للبعض أن يحوك حوله الطرائف والأساطير .

وأراد شكرى أن يوفر على النقاد بعض الجهد ، فأخذ منذ الشباب الباكر ينشر فصول « الاعترافات » فى الصحف ، ثم طبعها عام ١٩١٦ فى كتاب ، كما راح يصحح بعض الآراء فى عدة مقالات لم تزل مبعثرة فى الصحف والمجلات ، إلى جانب الفصول التى تضمها كتبه الخمسة المطبوعة ، ثم كانت مقدماته النثرية التى صدر بها أجزاء دواوينه الخمسة الأخيرة : شرح فيها رأيه فى الشعر ومذاهبه ، والشعراء وحقيقتهم ،

كما عرف الشعر والشاعر نظماً فى بعض قصائده ، كما فى قصيدته « الشعر » (جـ ٤ ص ٣٣٤) و « أغاريد شاعر » (جـ ٤ ص ٢٤٧) وفى أبيات من قصائد أخرى ، ومن ذلك قوله :

والشعر مرآة الحياة تطل فى مرآتها

فتراه فى آلامها وتراه فى لذاتها

والكون آية شاعر يأتى بمبتكراتها

ويقول فى إحدى تلك المقدمات الموضحة : « لو كانت الحياة شجرة لكان الجمال زهرها والشعر طائرها . وكل شىء فى الوجود قصيدة من قصائد الله ، والشاعر أبلغ قصائده ، والشاعر هو الذى لا يعيش مثل أكثر الناس مقبوراً فى الأحوال التى تحوطه ، هو الذى يحلق فوق ذلك اليوم الذى يعيش فيه ، ثم ينظر فى أعماق الزمن آخذاً بأطراف ما مضى وما يستقبل ، فيجئ شعره أبدياً مثل نظرته ، وهو الذى يلج إلى صميم النفس فينزع عنها غطاءها . لقد كان بالأمس نديم الملوك ، وحلية فى بيوت الأمراء ، ولكنه اليوم رسول الطبيعة ، ترسله مزوداً بالنغمات العذاب ، كى يصقل بها النفوس ويحركها ويزيدها نوراً وناراً » .

والحق ، إن نفس شاعرنا كانت مرآة عظيمة صافية ، تنعكس عليها صورة الحياة ومناظر الوجود .. فهنا ترى صور الحياة الدنيا فى مدها وجزرها ، وسعادتها وشقائها ، وتفاؤلها وتشاؤمها ، وحلوها ومرها .. وهنا تعرض أمامك صور الطبيعة فى كافة أشكالها وألوانها ، فترى سماءها وأفلاكها ، وبحرها وبرها ، وجبالها ووديانها ، وصحراءها وخضرتها ، وغابها وشلاّلها ، واختلاف فصولها وأجوائها .. « فإذا رأيت أن شعره جزء من الطبيعة مثل النجم أو السماء أو البحر فاعلم أنه خير الشعر ، وأما إذا رأيته وأكثره صنعة كاذبة فاعلم أنه شر الشعر ! » .

وها هنا ترى صور النفوس البشرية فى سموها وضعتها ، خيرها وشرها ، فإذا ما أطربك من مرآى جنات الخير والفضائل ، وكشف لك عن محاسن المحبة ، والجود ، والرحمة ، والأمانة ، والعفة ، والسلام .. عرج بك إلى الجحيم الرذيلة والشر ، فكشف لك

عن قبحها وضراوتها ونفّرك من بشاعتها ، فترى قبح الظلم والحقد ، والحسد واللؤم ، والخداع والرياء ، والبغض والعداء ، وهو فى هذا كله لا يعنى إنساناً بالذات فيمدحه أو يهجوه ، بل هو يمدح الفضائل أينما كانت ، ويذم الرذائل حيثما وجدت .

وكما يصور لك النفوس فى كمالها ونقصها ، يصور لك أيضاً الأجساد فى فتنتها وقبحها ، وما تلده تلك الفتنة فى النفس من حب وهجر ، وصد وعتاب ، وأمل ويأس ، وشوق وحنين ، وابتسامات ودموع .

فأنت أمام دنيا سحرية زاخرة بألوان الجمال ، وأزاهير الحب ، ورياحين الحكم ، وأنوار الفلسفات ، وأنت أمام دنيا من الأنغام والموسيقا والترانيم ، تأخذك أول وهلة تلك « السمفونية » الرائعة الصادرة عن قلب يحكى « الأركستر » الكثير الآلات ، والمتعدد النغمات ، فإذا زدت تمعنًا وجدت وسط ذلك المحيط من العاطفة المتوقدة ، والخيال المحلق ، والألحان المنوعة ، والصور الشاملة للنفس والحياة والطبيعة ، فكراً قوياً مسيطراً ، أشبه « بالمايسترو » القدير ، الذى لا تفلت الآلات والأنغام من رقابته .

والحب عند شكرى هو الحياة ومحور الوجود .. الحب الصوفى النبيل .. والعشق الأسمى العفيف ، الخالى من المجون والميول الوضيعة ، الدافع إلى الخير والفضيلة :

يا من به قد نسيت الشر أجمعه لا يجتلى الحسن والأرزاء فى آن

ولن يضيع رجاء فى الحياة إذا ما ظل حبى مكلوءا بإيمانى

****

لست الخليق بأن تنال محبتى إن لم تنل من عفة ورشاد

إنى أريدك كعبة لا حانة إن الدنايا جمة الوراد

خير الهوى حب الفضائل والنهى ومودة الأمثال والأنداد

فتفرد فى الغزل والنسيب ، فى رقة وعفة ورجولة ، واقترنت ترانيم الحب عنده بصور الجمال البشرى والطبيعى فى شتى أجزائه ، وبموسيقى النظم ، ومحاسن التشبيهات ، وتعد ترانيم الحب المتفرقة فى جميع دواوينه ، فى جملتها ، من أعذب وأعظم أشعار الحب والغزل فى الأدب العالمى بأسره ، وكان ينبغى أن يلحن منها الكثير ، ويتغنى بها المطربون ..

وتراه يناجى « المحبوب » بلفظة المذكر ولو كان أنثى، بالأسلوب الصوفى التقليدى ، وهو المحبوب المثالى الذى يعيش فى خيال الشاعر أكثر مما يعيش فى الحقيقة والواقع .. « وما يدرينا - على حد قوله - لعل قيساً بن الملوح كان يشبب بليلى التى فى الدنيا ، التي فى نفسه ، لا بليلى العامرية ! » .

ويوضح لنا الشاعر (فى مقدمة ديوانه الرابع) منزلة الغزل فى الشعر : « وإن مزية الغزل سببها أن حب الجمال حب الحياة . وكلما كان نصيب المرء من حب الجمال أوفر ، كان نصيبه من حب الحياة أعظم . وحب الحياة والجمال من العوامل الاجتماعية القوية التي تزجى الأمم إلى التفوق والاستعلاء ... » .

وشكرى يحب الله ، ويحب الوطن ، ويحب الحياة ، ويحب الجمال ، ويحب الناس ، ويجب الحب ، ولكنه ينفر من الشر والرذيلة والانحراف والقبح .. ويخطئ من يزعم أنه كان يرفض الحياة ، ويزهد فيها ، ويهرب منها ، ويعيش دائما فى عزلة واعتكاف وتشاؤم ويأس . وحتى فى سنيه الأخيرة ، وقد حطمه الشلل ، وقف مرة فى نافذة بيته يسرح البصر فى جمال البحر ، فطرب من روق الجو ، فأخذ قلماً وكتب بيده اليسرى : فى فبراير ١٩٥٦ « .. فاليوم الجو صحو فى الإسكندرية . أقول اليوم والواجب أن أقول الساعة : الجو بلورى ! » .

والعالم عنده عالمان - (مقدمة الجزء السادس) - « عالم الجمال ، وعالم القبح ، وكل منهما ممتزج بأخيه ، منعدم فيه ، والشاعر رسول الجمال ، يسعى فى تحقيق عالمه . وإنما الخير ضرب من الجمال ، والشر ضرب من القبح . والشاعر يعرف أن الشر

محتوم ، ولكنه يعرف أن من الحتم أيضاً الطموح إلى ما وراء الشر المحتوم من الخير المحتوم . ومن أجل ذلك كان كل شاعر كمالياً ، سواء أعرف أم لم يعرف ... » .

وشكرى رجل مؤمن بالله وخيره وجماله ، وله صوفيته الدينية السامية . ولقد دافع عن إيمانه فى مقدمة الجزء السابع حين قال : « ولى كلمة أريد ذكرها فى العقيدة ، ومن يذيع بين الناس أنى على غير هدى ! وأكثر أمثال هذا إما من الجهلاء الأغبياء ، وإما أهل الحقد والحسد . فليس التساؤل والامتعاض من مظاهر الشر ، قلة فى الإيمان ، بل إن ذلك غاية الإيمان .. » .

أليس هو القائل :

إنما الدين قوة وجمال ... وحياة وعدة وعديد
كيف يدرى جلالة الله غر ... حركته ضغائن وحقود ؟

والقائل فى قصيدة : « صوت الله ونجوى المؤمن » :

أنصت ففى الإنصات نجوى النفوس ... فإن صوت الله دان كليم
والنفس بيت الله إن طهرت ... والنفس إن لم تصف مثل الجحيم

وهو يدعو إلى الرحمة بالناس ، وإلى الأخوة العامة :

تعلمنى الأقدار أن أرحم الورى ... فقلبى لكل العالمين رحيم
وإن جميع الناس أهلى وإخوتى ... وإن كان منهم جارم وذميم

وقد تكون هناك حيرة وتساؤل وشك ، ولكن :

والشك مشعال الحكيم وربما ... أضحى حريقاً للجهول الوانى !

وهو يعود لينبه قارئه إلى « سوء الفهم الذى يعتور بعض الناس فى قراءة القصائد

التى تشرح أمثال هذه الخواطر ، والعواطف النفسية التى لها علاقة بالحياة والخلق . فإنه لا يحاول تفهم مغزى القصيدة ، الذى لا يستخلص من أبيات مفردة من القصائد ، بل يستخلصه بأن يفهم وحدة القصيدة الفنية ، وما تقتضيه المقابلة الفنية من اختلاف جوانب الرأى فيها ، واختلاف حالات النفس التى ضمتها القصيدة .. » .

وكما أنه ينبغى على القارئ ألا يتسرع فى الحكم على الشاعر من بيت أو أبيات مفردة ، لا من وحدة القصيدة أو جملة الديوان ، فينسب إليه المروق والإلحاد وهو المؤمن المحب لله ولخليقته ، أو يصفه بالتشاؤم وهو المتفائل المرنم بجمال الحياة ومباهج الوجود فى أكثر شعره ، أو يلصق به الهروب من المجتمع وهو من قضى جل حياته يكتب لهم وينظم ، ويعلم ويربى ، كذلك لا يجب الخلط بين الحقائق التى يؤمن بها الشاعر وبين السخرية اللابسة ثوب الحقيقة أحيانا ، أو الخلط بين التخيل والتوهم (وهو من شرح لنا هذا الفرق فى مقدمة ديوانه الخامس) .. إن الحكم فى كل ذلك للديوان ككل لا يتجزأ ، كما أن النفس لا تتجزأ ، وإن كانت تلبس لكل ظرف لبوسه ، كالسنة تتغير فصولها وتتشكل أجواؤها ، ولكنها سنة واحدة .

هذا الديوان تتشكل فصوله أيضا ، ولكنه يجتمع فى النهاية فى ديوان واحد لشاعر واحد ؛ فبعض قصائده مطولات تجتمع فيها العاطفة والفكر والإرادة ، وبعضها ترانيم وأناشيد وأغان « ليريكية » نظمت للموسيقى والغناء ، وبعضها شعر قصصى للعظة والعبرة ، والبعض شعر مرسل ملئ بالحكم والتجارب ، وغيره رباعيات بها رائع الأمثال .. وهنا وهناك تفنن فى المعانى وابتكار فى القوافى ، وتحرر من القافية أحيانا ومن قواعد العروض قليلا .. روح شعرى منطلق متحرر ، لا يترسم خطا غيره من الشعراء ، ولا يتقيد بنهج معين مرسوم ، وقد يذكرك بشكسبير فى إحاطته بصور النفوس خيرها وشرها ، وحينا ببيرون فى رعده وبرقه ، أو بشلى فى مثالياته ، أو ببليك فى رمزياته ، أو بالمعرى فى بعد غوره وفرط ذكائه ، وتوقد خاطره ، وتعمقه فى التصورات الفلسفية ، وفى زهده وشكه وحيرته ، أو بأبى تمام فى لطافة حسه وميله إلى الحكم

والعظات ، أو بالبحترى فى بداعة الخيال الشعرى ، وصقل اللفظ ، وبداعة المعنى ، أو بابن الرومى فى المعانى المخترعة والتوليد النادر ، أو بابن المعتز فى براعة الوصف والتشبيهات ، أو بالمتنبى فى ثروة الحكم والأمثال ، أو بابن الفارض فى صوفيته وروحانيته ، أو بابن هانئ الأندلسى فى فخامة اللفظ وروعة التراكيب وإجادة التشبيه .. قد يذكرك بهذا أو بذاك ، ولكنه فى النهاية نسيج وحده ، لا يحتذى ولا يسطو ، ولا ينسب لنفسه ما ليس له .

وكما يقول الدكتور محمد مندور فى مقاله عن شكرى : « .. وبذلك جاء شعره أصيلا متميزاً بطابعه الخاص . فهو لا يمكن أن يوصف بأنه شعر عاطفى ، ولا بأنه شعر عقلى ، ولكنه شعر ذو طابع خاص يمكن أن نصفه بأنه شعر التأملات النفسية أو الاستبطان الذاتى ؛ أى تأمل العقل فى النفس البشرية وتحليل عناصرها كوسيلة لمعرفة تلك النفس .. » .

لقد كان شكرى رائداً أهلّ على القصيدة العربية فوجدها ترسف فى أغلال من الشكل والموضوع التقليديين . فكان فى طليعة المبادرين إلى تحرير الشعر من الأغراض القديمة التى كانت تستنفد طاقة الشاعر الإبداعية ؛ فعمد إلى تجاربه الذاتية ، وانفعالاته الخاصة ، ينظمها شعراً رائعا عكس موقفه من الحياة والناس . كما أنه لم يخضع للصياغة الكلاسيكية الموروثة ، فافتن فى أوزانه ؛ مما أضفى على شعره مرونة وموسيقية ، كما كان له الفضل فى أن يكون أول من يثور على القافية ، ويرى فيها عائقاً عن الوحدة العضوية للقصيدة . فأدخل الشعر المرسل . وبذلك أسهم فى وضع أساس القصيدة العربية الجديدة .

أما عن الأسلوب اللغوى ، فلشكرى طريقته الخاصة فى النظم والتعبير .. شعر عربى قوى رصين ، وأسلوب لغوى مكين متين .. يدل على تبحر الشاعر فى اللغة وأساليبها ، وألفاظها ، واشتقاقات الألفاظ ومترادفاتها .. والذين لا ينظرون إلى هذا

الديوان إلا بمنظار اللغة وحدها ، نحوها وصرفها ، فلهم ألا يتسرعوا فى الحكم على هفوة هنا أو فلتة - غير مطبعية - هناك ، قبل القليل من التحقق والبحث . فإن لغتنا العربية أرحب صدراً ، وأكثر مرونة ، وأوسع ترادفا واشتقاقا مما نظن أول وهلة .. وأمامنا المعاجم الكبرى تؤيد هذا وتزيد عليه .. ونحن لا نحاسب الشعراء المجنحين ، كما نحاسب علماء النحو والصرف والعروض . بقدر ما نحاسب الطيور المنطلقة فى رحب الفضاء على طريقة حطها وطيرانها .. ومع هذا كله ، فأين هو الشاعر الذى لم يهفُ قط ؟ !

* * *

هذا هو ديوان الشاعر العبقرى عبد الرحمن شكرى ، فى واقعه وفى طبعته الأولى الشاملة الجامعة .. بعد أن نفدت طبعات أجزائه الأولى منذ أربعين عاما ، ولم يجمع جزؤه الثامن والأخير قبل اليوم .. نخرجه وفاء لأستاذنا ، وعملا بتفويضه ، - وإن كنا لم نحذف منه شيئا - عالمين بأن سنة التطور سوف تخرجه فيما بعد أكثر كمالا ودقة ، وشكلاً وشرحا . فقد كان همنا هنا أن نجمع - بقدر المستطاع - شمله ونضعه فى أيدى أدباء الجيل الجديد الذين كانوا يبحثون عنه ، ويطالبوننا بجمعه وإخراجه .

ولقد تركنا دواوين الشاعر متتابعة طبقاً لتاريخها القديم كما أصدرها الشاعر فى حياته ، دون تبديل ولا تعديل ، وبترتيب القصائد كما كان فى الأصل .. فقد أصبحت فى ذمة التاريخ وهو يقتضينا الدقة والأمانة .

وما كان فى مقدور من يخرج مثل هذا الديوان فى مجلد واحد ، أن يعمد إلى شرح كل بيت وكل لفظ .. وإلا احتاج الأمر إلى مجلد آخر .. فهنا مئات الألفاظ والأبيات التى فسرت فى الهوامش ، ولكن هناك أيضا ألفاظ كثيرة قد يصعب على القارئ المبتدئ تفهمها . كما أن هناك كلمات شرحت مرة ثم تركت لتكرارها فى قصائد أخرى ، وكذلك

لم يكن من السهل شكل هذا الديوان شكلا كاملا كما يحدث فى كتب المطالعة المدرسية .. وأخيراً لم يكن من المستطاع خروجه خلواً من كل هفوة مطبعية لاسيمّا فى الشكل والهمزات وما أشبه .. ففى الطبعات المثالية القادمة نرجو الكمال .. ولله تعالى الحمد على توفيقه ، ولكل من أيدنا وعاوننا وشد عزيمتنا ، عميق الشكر والوفاء .

عبد الرحمن شكرى

رائد الشعر الحديث وأحد أساطين الأدب العربى

بقلم محمد رجب البيومى

ما ذكرتُ فقيد الأدب العربى المغفور له الشاعر الكبير الأستاذ عبد الرحمن شكرى ، إلا طاف بذهنى قول أبى الطيب : « ذو العقل يشقى فى النعيم بعقله » . فقد كان ذهنه الجبار سر مأساته ، إذ أتعب نفسه فى التعليل والتفسير لأوضاع متناقضة تتعدد فى دنيا مليئة بالغرائب والفجاءات ، وقد رزق من رهافة إحساسه ، وشبوب عاطفته ما عمق أغوار المأساة فى فؤاده الملتاع .. وبعقله الحصيف ، وإحساسه الرقيق ، ناء تحت عبء ثقيل من المحن ، فضاق بالأحياء والحياة ، وانزوى فى ركنه الهادئ البعيد ، حتى لقى ربه ، فاستراح من شجنه الثائر ووجده المقيم .

ولقد نشأ الشاعر فى أسرة مثقفة مستنيرة ، فقد كان جده أستاذاً للغة الفرنسية ، ووالده رجلا وطنيا ناصر الثورة العرابية ، وتعرف بزعمائها وأبطالها ، حتى إذا بلغت نهايتها الأليمة ، ترصده الاعتقال والفصل والتعذيب ! وقد ولد فى هذا الجو العابس نجله عبد الرحمن ، فتفتحت عيناه على مظاهر الأسف والحسرة فى أسرته ، والحزن واللهف فى أمته ، ثم نما عوده فتخرج فى مدرسة المعلمين العليا ، وسافر إلى إنجلترا فى بعثة تعليمية ، ورجع إلى وطنه ، وقد ألم بثقافات متسعة محيطة ، وعرف الجديد عن رسالات الخيال والفكر والشعر فى الحياة ، وعقد العزم على التبشير بمُثُل رفيعة فى عوالم الفن والفكر والتربية ، ثم والى أبحاثه الأدبية وقصائده الشعرية فى قوة وإيمان ، فكان رائدا كبيراً فى المضمار الأدبى شعراً ونقداً وتصويراً ، ولكن نوازعه الصريحة قد ألّبت عليه كثيراً ممن أشربوا أدبه ونهلوا من حياته ، فثابر وجالد حتى أدركته العلة الوبيئة ، فلجأ إلى الاستسلام بعد إنتاج حافل ، ويقظة ذات توجيه وتسديد .

يقول الأستاذ عباس محمود العقاد فى تحليل مأساته - نقلا عن جريدة الأخبار ١٩٥٨/١٢/٢٢ : « كان شكرى رجلا مرهف الحس ، عزيز النفس ، كبير الأمل ، كانت

له آمال فى النهضة الأدبية ، وآمال فى وظائف التعليم ، وآمال فى حياته الوجدانية ، فلم يظفر من جميع هذه الآمال بغير الصدمات تلو الصدمات ، ولم يكن له جلد على العراك والجدال ، ولم تكن له تلك الأعصاب التى تثيرها الصدمة بعد الصدمة إلى الحركة . فاعتزل الصحب والناس ، وسكن إلى مأواه الأمين » .

وقول العقاد صادق فى أكثره ، فقد حصر الجهات الثلاث التى اتجه إليها الشاعر ، وسيطرت ردحاً على آفاقه ، فقدم لنا فى محيطها الشاسع خير ما أنتج من أفكار وأقوى ما أسس من البناء ، وإذا كان الرجل قد قوبل بالصدمات تلو الصدمات ، كما ذكر الأستاذ العقاد ، فقد كانت هذه الصدمات تجد مكانها فى شعوره وحده ، ولكنها لم تصب ما أذاع على الناس من روائع خالدة فى البحث النفسى ، والتحليل الأدبى ، أو ما تغنى به من قصائد قوية رنانة كانت فاتحة نهضة حية فى الشعر العربى ، وطلائع صباح مؤتلق وضئ .

لقد كانت رسالة الشعر فى مطلع هذا القرن مجهولة أو كالمجهولة لدى كثير من الشعراء والقراء معاً ؛ فالكثرة الكاثرة من أولئك وهؤلاء يرون جودة الصياغة ، وجزالة التركيب ، وكثرة التشبيه هى كل ما يطلب من الشاعر ، ولا ينتظرون منه غير الحديث عن الأغراض التقليدية فى قوالب محفوظة تمدها الذاكرة الدارسة لا الإحساس المتوقد ، وقصارى المجيد منهم أن يتحدث عما يشعرون به من العواطف السطحية ، أو يألفونه من حوادث الحياة اليومية ، مثل افتتاح خزان ، أو بناء مدرسة ، أو تهنئة بميلاد ، أو مرثية لفقيد . فجاء مطران لينتقل بالشعر إلى الموضوعية الرحبة ، وليتحرر من القوالب المكرورة ، وجاء شكرى عقبه ليعلن وحدة القصيدة ، ويوضح رسالة الشاعر فى الحياة ، وليعمق نظرات مطران - رحمه الله - إلى الفن تعميقاً يصل به إلى الأغوار الدفينة والمسارب الملتوية فى ظلمات الهواجس ، واختلاج النوازع ، ثم ليحل به أسرار الوجود ؛ فيعلل ظواهره ، ويفسر تياراته ، فوظيفة الشاعر كما يقول شكرى : « هى الإبانة عن الصلات التى تربط أعضاء الوجود ومظاهره ، وكل شاعر عبقرى خليق بأن يدعى متنبئاً ،

أليس هو الذى يرمى مجاهل الأبد بعين الصقر ، فيكشف عنها غطاء الظلام ، ويرينا من الأسرار الجليلة ما يهابها الناس فتغرى به أهل القساوة والجهل ؟ » .

وقد أغرى أهل القساوة والجهل بشكرى رحمه الله ، فتعرض لحملات جاهلة من نظامي القريض ، ومحترفى الصناعة ، إذ عجزت قرائحهم الكليلة عن إدراك مناحيه ، فإذاأخذتهم قوة فكرته ، واضطراد منطقه ، ظنوا بشعره جفافاً موهوما ، وجمودا مزعوما ، ونأوا به عن العاطفة المترقرقة ، والوجدان المشبوب ، واهمين أن العاطفة قرينة السطحية والسذاجة والبداهة ! جاهلين أن الوجدان فى عمقه وسعته وانبساطة ، يمنح الشاعر خصوبة حية ونماء مثمرا ، وشكرى يضطر إلى الرد عليهم فيقول : « إن الشعر مهما اختلفت أبوابه لابد أن يكون ذا عاطفة ، ولا أعنى بشعر العواطف رصف كلمات ميتة تدل على التوجع أو ذرف الدموع ، فإن شعر العواطف يحتاج إلى ذهن خصيب وخيال واسع لدرس العواطف ومعرفة أسرارها وتحليلها ، وقلب الشاعر مرآة الكون ، فيه يبصر كل عاطفة جليلة شريفة ، أو قبيحة مرذولة » .

وإذا كان توماس كارليل قد جعل الشاعر فى كتاب الأبطال بطلا يلى النبى منزلة ومكانة ، فما نحسبه يختلف عن شكرى في فهم رسالة الشاعر المجيد ، تلك الرسالة التى تلوح فى استشفاف الروح الإلهى المتدفق فى الأحياء والأشياء ؛ فعليه أن يؤدى مهمته السامية فى إخلاص ووفاء سواء لقى الإقبال أو الإعراض ، فهو - مشتهراً أو غير مشتهر - يقوم بدوره الحى فى الوجود الإنسانى ، فإذا مات كانت الشهرة كما يقول شكرى - فى كتاب الاعترافات - زهرة على قبرة ، فإذا لم تسعده الشهرة ، هبطت روح الطبيعة على قبره تظلله بجناحها ، وتفرخ فوقه أبناءها الشعراء ، تلك الأرواح التى تستمد الوحى من عظامه ، وتسقيه من دموع الرحمة والحب والحنان ... » .

وشكرى إذ يقول ذلك ، إنما يسطر الوحى الملهم فى سياق نثرى لا يدع من الشعر غير القافية والوزن ، وكثيراً ما كانت تأملاته الفكرية ميداناً رائعاً للخيال والإلهام

البصير ، على أن القدر الساخر قد شاء لشكرى أن يحاربه أنصاره وتلاميذه من دعاة التجديد والانطلاق ، فيكابد من حرب الرجعية والتقدمية معاً نارين مستعرتين ، وتضطرب أعصابه في مجالين متناقضين فيميل إلى الانطواء . ولعل مما يعزينا في ذلك أن الرجل قد قاوم فترة طويلة حتى استطاع أن يكتب مئات القصائد ، وأن يخرج أيضا مئات الفصول والأبحاث في مختلف فنون الثقافة ! وبذلك احتل مكان الريادة في الأدب العربي عن جدارة أكيدة وجهد سباق .

أما الحقل التربوى فقد جابهه بأشواك وصخور ، فقد قرأ الشاعر كثيراً عن أساليب التربية الحديثة ، ولمس التقدم التعليمي فى أوربا لمس المتأمل البصير ، ثم عاد إلى مصر ، فوجد المدارس لعهده ، تمهد للوظيفة لا للتربية . وتعطى الدروس للاستظهار لا للتمثيل ، وهي قبل كل شئ بعيدة كل البعد عما ينبغى له من دراسة المجتمع وتفهم نفسيات التلاميذ على ضوء الأبحاث السيكولوجية والاجتماعية ! وتلك حال تصيب المربى الملهم بعقابيل مؤلمة تؤرقه وتضنيه . أضف إليها ما أحاط به من كيد الوصولية ، وتناطح الزمالة ووثوب الأنانية ، وكان شكرى بطبيعته منكمشاً يألف الوحدة ، فحسب هذا عليه ، وعد تكبراً وصلفاً ، ولعل أحرج ما قاساه من ذلك قد كان فى نظارته للمدارس الثانوية ، وإنه ليقول فى مذاكرته عن سنى التعليم التى نشرها سنة ١٩٣٩ بمجلة الرسالة الغراء : « ومنصب ناظر المدرسة الثانوية منصب تحوطه العداوات ، فإذا أراد أن يهئ أسباب النظام قيل إنه متشدد مرهق مجرم ، وإذا تسهل وترك الأمور تجرى فى مجاريها قيل إنه ضعيف كسول ، وإذا كان بين بين اتُّهِم تارة بالإرهاق والإجرام ، وتارة بالضعف والكسل ، واتهم فوق ذلك بالتذبذب والاضطراب » ... وإذا كان الرجل قد ولى النظارة فى عهود مترنحة تعصف بها زعازع السياسة الحزبية ، فإنه باعتداله ونزاهته قد كسب خصومات أليمة ، وأذكر أن بعض كبار الرسميين قد رجاه أن يزيد درجة ابنه فى اللغة الإنجليزية لينتقل من فرقة إلى فرقة فوقها ، فأفهمه شكرى أن الناظر لا يملك شيئا من ذلك ، فاضطغن عليه وشهر به لدى الرؤساء ، فظنوا به الظنون ، ثم آثر الاستقالة حين

تقدمه فى الترقية من دونه دون سبب معقول يذكر ! فأراح الشاعر نفسه ، وترك شئون التعليم لمن يجيدون التحايل والانتهاز . وهكذا خرج من ميدان العمل صفر اليدين قانعاً بمعاش ضئيل لا يفى ببعض ما تطلبه العلة المرهقة من دواء ! فضلا عن الطعام والسكنى والكساء .

أما إخفاقه الوجدانى فلا نعرف دواعيه الأصيلة ، إذ إن شكرى فى غزله وحنينه وشكواه لم يكن شاعرا جزئيا يرسم الصورة القريبة من علاقاته الشخصية ، ولكنه كان يربط الحب بالوجود ، فيتحدث عن فلسفة الألم وطغيان الحسن ، ويرى فى جمال حبيبته مثالا رائعاً لجمال مثالى يتدفق فى النهر والزهر والبدر والأفق والشجر وشتى مجالى السحر فى الطبيعة الناطقة والصامتة ! ومثل هذا العاشق لا تدرك قصته العاطفية من قصائده ، إنما تستشف نوازعه استشفافا يشعل الإحساس ، ويدفع الفكر إلى الاستبصار ، ولن نلمس فى الشعر حقيقة الحوادث العاطفية إلا عند شاعر حسى يدون قصائده الغزلية على طريقة المذكرات اليومية ، ولن يكون ذلك عبد الرحمن شكرى بحال !

على أن اعترافات الشاعر ، وهى قريبة جدا من المذكرات اليومية ، تؤكد لنا أن الرجل قد أحس الحب إحساسا عميقاً تغلغل فى أغواره ، وتسرب فى أعماقه ، وهى وإن لم تصف نهاية حبه التى لا نعرف عنها غير الإخفاق ، فإنها تصور شكرى العاشق تصويراً رائعا ، وتجلو لك صورة حلوة من عاطفة الشاعر ، وأخيلته الحالمة المغردة ، فهو يقول : « إن طيش الحب مثل طيش العصافير فى حركاتها ، وإنه ليخيل إليه أن الحب قد أنبت فى كتفيه أجنحة يطير بها إلى حيث يشاء ، فيحسب أنه لو رمى بنفسه من نافذة منزله لم يسقط ، ولم يصبه أذى ، بل يطير به الحب ، ويخيل إليه أنه قادر على أن يقفز من شارع إلى شارع فوق المنازل من غير أن يلمسها ، ويسمع الحب ألحاناً وأنغاماً غريبة لا يسمعها غيره ، ويحسب أنه مركز هذا الوجود ، وأن حبه موجود منذ الأزل خالدا إلى الأبد مثل جمال حبيبته ، ويحسب أن هذا الوجود لو أصابه العدم لبقى حبه مستقلا عن الوجود » .

وقد كان فشل شكرى الوجداني أمراً محتوماً لمن له سبحاته ونوازعه ، فالعاشق إذا كان مفكراً محللا من ناحية وعاطفياً ثائراً من ناحية ثانية فإن أمواج الهواجس ، وتيارات الظنون لابد أن تقيمه وتقعده، وقد يتحدى القدر بعض العمالقة فيغريهم بدمية حسناء ليس لها رصيد غير الجمال ، فهى لا تفهم صاحبها ، ولا تستطيع أن تسبح معه فى عوالمه ، فتتسع الفجوة بين القلبين ، وتأتى الجفوة الظالمة فتسحق القلب وتذيب الضلوع !! ولعل هذا ما كان .

إن مأساة شكرى هى مأساة العقل الحصيف والإحساس المتوقد ! ذلك العقل الذى يحلل كل شئ ويعلل كل شئ ! وذلك الإحساس الذى يستشف أدق السرائر ، وألطف الخواطر ! ولئن رماه الداء بكارثته الأليمة فما بلغ به غير جسمه ، وبقيت روحه عالية شماء تكلف صاحبها ما تقتضيه الرجولة والإخاء ، فكان لا يهمل الرد على أقل بطاقة صغيرة ترد إليه ، بل يكتب بيده اليسرى ما عجزت عنه يمينه الشلاء ! وظل صابراً على فراش مرضه البطئ حتى لقى ربه ، فعرف الناس مكانته ، وشرفته الدولة أعز تشريف ، وفاضت أنهار المجلات بتحليل أدبه ، والاعتراف بزعامته ، ولن نخلى هذه المقدمة المتواضعة من بعض ماقيل ، ولكننا نختمها بقول الأستاذ عباس محمود العقاد نقلا عن مجلة الهلال فبراير سنة ١٩٥٩ : « .. وله فى ميدان القريض فضل الرائد الذى سبق زمانه فى عدة صفات مأثورات ؛ فهو من أسبق المتقدمين إلى توحيد بنية القصيدة وإلى التصرف فى القافية على أنواع من التصرف المقبول ، فنظم القصيدة من وزن واحد ومقطوعات متعددة القوافى ، ونظمها مزدوجات وأبياتاً من بحر واحد بغير قافية ملتزمة ، وآثر فى تجاربه الأخيرة أن تلتزم القافية مع تعديدها فى مقطوعات القصيدة الواحدة ! وتسنى له فى جميع هذه المناهج أن ينظم الكثير من القصص العاطفية والاجتماعية قبل أن يشيع نظم القصص فى أدبنا الحديث .. » .

هذا رأى العقاد ، وإنه لشهادة رائعة بزعامة الشاعر وريادته ، وما أجدرها أن تكون مسك الختام لمقدمة سريعة تعتمد على الإيجاز .

الطبعة الأولى للديوان جميعه
في مجلد واحد
عام ١٩٦٠
بتفويض من الشاعر
ويشمل أجزاء الديوان السبعة التى طبعها
الشاعر فى حياته من ١٩٠٩ - ١٩١٩

والجزء الثامن ، ويتضمن القصائد
التى نشرها الشاعر فى الصحف والمجلات
بعد عام ١٩١٩ ، والتى لم تنشر
ولم تجمع من قبل فى ديوان .

مؤلفات
عبد الرحمن شكرى

(أ) - شعر :

ديوان عبد الرحمن شكرى (فى ثمانية أجزاء) :

١ - الجزء الأول	:	ضوء الفجر	١٩٠٩ و ١٩١٤
٢ - « الثانى	:	لآلئ الأفكار	١٩١٣
٣ - « الثالث	:	أناشيد الصبا	١٩١٥
٤ - « الرابع	:	زهر الربيع	١٩١٦
٥ - « الخامس	:	الخطرات	١٩١٦
٦ - « السادس	:	الأفنان	١٩١٨
٧ - « السابع	:	أزهار الخريف	١٩١٩
٨ - « الثامن	:	(ويشمل القصائد التى نشرها الشاعر فى الصحف والمجلات ، والتى لم تنشر، ولم تجمع بعد فى ديوان ١٩٦٠) .	

(ب) - نثر :

١ - كتاب الثمرات ١٩١٦

٢ - « حديث إبليس ١٩١٦

٣ - « الاعترافات ١٩١٦

٤ - « الصحائف ١٩١٨

٥ - قصة الحلاق المجنون ١٩١٩ (بقلم ع . ش)

٦ - فى الشعر العباسى - (نشرت فصوله متفرقة بمجلات : الرسالة ، والثقافة ، والهلال ، والمقتطف ، فيما بين ١٩٣٦ - ١٩٣٩ ، ولم تجمع بعد فى كتاب) .

٧ - دراسات نفسية - (نشرت فصوله بمجلات الرسالة ، والثقافة ، والمقتطف ، والهلال فيما بين ١٩٣٦ - ١٩٣٩ ولم تجمع بعد) .

٨ - بين القديم والجديد - (سلسلة مقالات فى إيضاح حقيقة القديم والجديد فى الأدب . نشرت بمجلة الرسالة ١٩٣٨ - ١٩٣٩ بإمضاء مستعار ، ومصدرة بهذه العبارة : « بقلم أحد أساطين الأدب الحديث) .

٩ - كتاب « نظرات فى النفس والحياة » - (نشرت فصوله بمجلة المقتطف بالقاهرة فيما بين أغسطس ١٩٤٧ وسبتمبر ١٩٥١) بتوقيع ع . ش .

١٠ - مقالات وأبحاث مختلفة فى النقد والأدب - (نشرت فى الصحف والمجلات فيما بين ١٩٣٣ - ١٩٤٧) .

الجـــزء الأوّل

ضـــوء الفجـــر

ألا يـا طـائرَ الـفـــــــردو ... سِ إنَّ الشـــعـــرَ وجــــدان

(من قصيدة « عصفور الجنة » في الجزء الثالث لصاحب الديوان)

الطبعة الأولى للجزء الأول

عام ١٩٠٩

والطبعة الثانية ١٩١٤

كسرى والأسيرة

قصـــة

يا فـتـاةَ الحيّ قـومى فـاسـمـعى	قــصـــةً تقــتـل أطمـاعَ الـهـوى
قــصـــة ذات اعــتــبــار آخـذ	بصـمـيـم اللبِّ يقـريه الهـدى[1]
غـضب الجـبـارُ كـسرى غـضبـةً	فنمــا من شـره ـا قــد نما[2]
غــضـبـــة ذات وعـــيــدٍ رائــع	ترك العـــرب كـــأطيــار العــرا
ترك العـــربَ على عـــزتهـــا	تبــتــغى المنعـــةَ مــا بين الربى
أرسل الـغـــارة فى ذى مـــرة	ينزع الغلَّ بتــقـطيــر الدمــا[3]
يفـــقـــد الطرف لـديه لحظه	ويضل السـيف فـيـه والقنـا[4]
رام أمـــراً لم يرمـــه غـــيـــرُه	رُبَّ بــاغ نــال أطـراف المنــى
فـــرمى العـــرب بعـــزم ناقمٍ	ذى اغـتـيــال لم يمانعـه حـمى
فـغـزا من أرضـهم مـا قــد غـزا	وسـبى من أهلهم مـا قـد سـبى
إن فى الـسـبى لخـوداً علمت	سنة البــدر مــلاشــاة الدجى
جـال مـاء الحسن فى أعـضـائهـا	فــإذا نـاجـيــتــه مجَّ الضـحى

* * *

رأت الإيـوان فـى أبـهـــــــة	تطّبى النفس لأوطار الهـوى[5]

(١) ذات اعتبار : أى فيها ما يعتبر به – يقريه هنا معناها يمنحه .

(٢) نما : ذاع وانتشر . المنعة : التحصن – الربى : جمع ربوة وهى أعالى الجبال والأماكن المرتفعة .

(٣) المرة بكسر الميم : الشدة والقوة أى جيش عظيم . وتقطير الدماء : إراقتها .

(٤) أى لعظم هذا الجيش تفقد العين لحظها فيه ويضل السيف .

(٥) اطبى على وزن افتعل : بمعنى استمال .

لو بغــيــر الطهــر عينٌ نظرت لــرأت ذاك مقــامًا للعـــلى
رامَ كـــسـرى من هواها بغــيــة فحسا من حسنها حتى انتشى (١)
وأذلت شــهــوة مــقــبــوحــة منه حــتى رامَ مــا فــوق الرضى
أكلت أحـــشـــاءه والجـــة كـولوج النارِ فى عودِ الغضـا (٢)
جـاء كـسـرى شاهراً أطمـاعه فنضـا من حلمه مـا قد نضـا (٣)
سـامـهـا كلَّ خـسـيس كـارثٍ قـاتل اللذات يزرى بالنهى (٤)
ورمــاهـا بوعـــيــدٍ حــاســر شرس الإرهاب مجلوب الأذى (٥)
ســاءه أن قــد تأبت فــأتت نقـــمـــة فى طى ذياك الإبـا
فـاحـتـمت عنهـا بصـبـرٍ دارعٍ كـاحـتـمـاء الحر عن ضيم عرا (٦)
إيه لله عـــفــاف مـــخلص لك مـــا ســـيم الخنى إلاّ أبَى
ثم قــالت قــولة فى أســرها تبــعث الغلَّ وتهــفــو بالوغى
« قـيـدونى، غللونى ، ضـربوا ملمس العـفـة منى بالعـصـا »
فــأتاها نبــأ من قــومــهــا أنهم عــافــوا لذاذات الكرى (٧)
أو تجـول الحـربُ فى مـيـدانهــا كـمجال الطيشِ فى عهد الصبا
أو يكون الســيفُ فى أعــدائهم مُـعـمــلاً يودى بهـامٍ وطلا (٨)

---

(١) حسا الخمر : شربها . انتشى بمعنى : سكر .
(٢) الغضا : نوع من الشجر .
(٣) نضا بمعنى : خلع .
(٤) كارث : جالب للحزن .
(٥) جاسر : عار .
(٦) دارع : أى لابس الدرع ، والمراد هنا صبر ذى احتمال .
(٧) عـاف : كره .
(٨) أعمل السيف فى الهام : أى جعله عاملا فيها . أودى بالشىء إذا ذهب به . والهام : جمع هامة ، وهى الرؤوس . والطلى : جمع طلية ، وهى العنق .

خطراتٌ فى المساء

مناجاة يوم مضى

نحن نبكى كلَّ ميت راحلٍ كيف لا نأسى على يومٍ مضى (١)
أشباب لك مرجو الضحى أم مشيب لك معذول المسا (٢)
أنت فى حاليك كاس من بهاءٍ خالب الأنحاء محمود الروا
رحم أنتَ لما تأتى به أم ضريح للذى مر بنا
يا حليفَ الحدثِ المقدور ما فعل الحظ بمخلوف المنى
يا سليلَ الدهر كم من حادثٍ يجعل البائسَ محلول العزا (٣)
أنت مأواه فهل من عطفةٍ تدع الناقمَ مجلوب الرضى
قد عهدناك ملاذاً من شقاءٍ وعهدناك ملاذاً للشقا
تبعث الأحداث من مسكنها بعثة الفارسِ أطراف القنا (٤)
تطلق الأحوالَ فينا مثلما يطلق الساحر أقوال الرُّقى (٥)

---

(١) نأسى : أى نحزن .

(٢) اليوم مرجو الضحى ؛ لأن الإنسان إذا استيقظ استيقظت آماله، وانفتحت أبواب حيله ، وانبعثت مساعيه ، فإذا أمسى كان قد صادف من الحوادث ما ينيم آماله .

(٣) العزا : هو العزاء مقصوراً .

(٤) الأحداث : هى الحوادث .

(٥) الرُّقى : جمع رقية .

عاشق المال

خداع الغوانى

نسماتُ الربيع تخفق كالعتـ ... ـب برفقٍ فعل اللبيبِ الخبيرِ
فهى تغدو ما بين غصن نضيرٍ ... فاتن حسنه وغصن نضير
كالرسولِ الأديبِ بين محب ... وحبيبٍ أو كالحكيم السفير
يعقد الصلح فى أناةٍ كما يعـ ... ـقد ربُّ النهى قضاء الأمور (١)
وضياءُ الشمسِ المنيرة كالبشـ ... ـرِ إذا ما احتواه وجه البشير
والندى عاشقٌ يدل عليه الـ ... ـورد إدلال فاتنات الثغور (٢)
وهناك الطير المغرد كالشا ... عرِ يتلو حمدَ الزمان النضير
نغمات لم يحوها المطرب البا ... رع إلا دعوى نفاقٍ وزور
هى برد على القلوبِ وعقد ... للأمانى ومدخل للسرور
تستميل الأغصانَ بالنغم العذ ... بِ فتهتز هزة المخمور (٣)
لك شأو لم تلتمسه مياه ... ما أعدت سوى غناء الخرير
منظرٌ يجعل المهذب يبغى ... لبَّ ذاك الأمر الجليلِ الستير
منظر يبعث الشجونَ ويحبو ... فاتنات المنى ببردٍ نضير (٤)

* * *

(١) الأناة : التؤدة . (٢) معنى إدلال الورد على الندى : أنه إذا تمايل سقط عنه الندى .
(٣) المخمور : هو الذى عملت فيه الخمر . (٤) برد بمعنى : ثوب .

وأتت تخطر المعشّقةُ الحسنـ ـاءُ تزهى بوجهها المستنير (١)
بقوامٍ ينقد من دونه القلـ ـب وطرف يسطو بحسن الفتور(٢)
خلفها العاشق المتيمُ يمشى مشيةَ الظافِر الأمير الخطير
هو يتلو آيات حبٍّ كريح الـ ـزهر فى طيبه ونشر العبير
وهى ملذوذة به كتملى ذى عناء للظل وقت الهجير (٣)
كلمات كأنها الحلم العذ بُ وود يحكى صفاءَ الطَّهور (٤)
ومواثيق جمة تدع الحرَّ على حكمها قرين الأسير
لم تذر للفتاة ما يبعث الشَّك ويزرى بعهده فى الضمير
بينما كان جاثيًا يرسل البثَّ بشجوٍ يلين صم الصخور
جاءت الخادم العجوز لأمر مستجدٍّ من طارقات الأمور
أرسلت دمعها الغزيرَ وقالت أنشب اليأسُ ظفره فى الأمير
أكل الدهرُ ماله وقواه فغدا حظُّه كحظٍّ الفقير
وحليف القمار يدركه الذلُّ ولو كان فى ذمامِ القصور (٥)
أثقل الدَّين ظهرَه وعدا الدهـ ـر عليه بقسمة المقمور (٦)
فغدا يائسًا تكاءده الهـ ـمُّ ببال جوٍ وجدّ عثور (٧)
ثم أهوى إلى الحسامِ وكان الـ ـموتُ منه بموعدٍ مقدور

(١) المعشقة بتشديد الشين : هى المعشوقة تزهى أى يدخلها العجب . والمستنير : المضىء .
(٢) ينقد : أى ينقطع .
(٣) تملى بالشىء : نعم به .
(٤) الطهور بفتح الطاء : الطاهر .
(٥) أى فى حمى القصور .
(٦) عدا معناها : سطا ، والمقمور : المغلوب فى القمار .
(٧) تكاءده : أثقله ، جو : أى كسيف .

فاندبى حظَّك الضئيلَ وعيشى بعد هذا عيش الذليلِ الحقير !

* * *

مَن معينى على الحياةِ وقد ما ت معينى وراحَ عنى نصيرى
حين لم يبقَ لى سوى الأمل المرِّ وذكر رثٍّ وحظٌّ نزور (١)
جزع القلبُ يوم مات وما القلـ ـب على كل نكبةٍ بصبور
هكذا قالت الفتاةُ ومالت في التجاء إلى الحبيب الظهير (٢)
فرماها بنظرة لو رمى الليـ ـث بها لاغتدى بقلب كسير
نظرة ملؤها الخيانة والحقـ ـد تصيب الأحشاءَ قبل الصدور
نظرة تبعث الغضاضة فى النفـ ـس وتصمى بمثل وقع الذكور (٣)
ثم قال اذهبى فقد ذهب الما لُ جميعًا بأنَّتى وزفيرى
فات عمرُ الخداع وانكشف الغيـ ـهبُ منى عن الرجاء القصير (٤)
كنتُ أهواكِ حين مجدك عال يأسر الدهر بالدرور المطير (٥)
كنت أهواك حين جاهك عذب وذراك الأغرّ غير حقير (٦)
كنت أهواكِ حين أنت من الإقـ ـبال والعزّ بالمكان الأثير
كنت أهواك والزمان مؤاتيـ ـك وريب الزمان غير مغير
فإذا شئت فالفراق قريب غير مُبك ولا مهيب قدير
قال ما قال ثم مال إلى البا بِ كميلِ الظمآن نحو الغدير !

---

(١) النزور بفتح النون : المقل .
(٢) الظهير : هو النصير .
(٣) تصمى : أى تصيب ، والذكور : هى السيوف .
(٤) الغيهب : الظلام .
(٥) الدرور بفتح الدال : كناية عن الثروة .
(٦) الذرى بالفتح : الكنف .

هكذا تخدع الرجال الغواني والغواني قنيصةٌ للغرور
باحتيالٍ أدق من خدع الدهـ ـر وزى غض ودمع غزير !

حنين الغريب

عند غروب الشمس

أيُّهذا الغريب ذو البلد النا زح ماذا دهاك عند الغروبِ ؟ (١)
قد عهدناك مستكينًا لريْب الـ ـدهر مستلئماً بعزمٍ صليب (٢)
وعهدناك لست تعرف ما الحـ ـبُّ ولا لوعة الفؤادِ الطروب
وعهدناك ليس يكرثك الضيـ ـمُ ولا سطوة الزمان العصيب (٣)
وعهدناك خاشعًا مستقاداً ذاكراً نعمة الأغر النجيب (٤)
وعهدناك إن زللت فأدليـ ـت بعذر سللت غلّ القطوب (٥)
وعهدناك لا حسوداً ولا غراً طموحًا إلى المكان الخصيب
وعهدناك لا بكيًّا قطوعًا لرجاء المستصرخ المستثيب (٦)
أنت واسيتنا وقد أجلب الدهـ ـر علينا بالمستذلِّ الجديب (٧)
أنت علمتنا الرجاءَ بأن كنـ ـت غريبًا مباسلاً للخطوب (٨)

---

(١) أيهذا أصلها أيها ذا ، وذا هنا اسم إشارة ، هكذا استعملتها العرب .
(٢) المستلئم : الذى لبس اللامة وهى الدرع .
(٣) يكرث : يجلب الحزن القاتل . والعصيب : الصعب الشديد .
(٤) أى إذا أولاك أحد منة كنت ذاكراً لها .
(٥) أدلى بعذره إذا اعتذر . والغل : الحقد . والقطوب : الذى يقطب حاجبيه كثيراً .
(٦) الناقة البكى بتشديد الياء : القليلة اللبن . والمستصرخ : المستنجد . المستثيب : العافى .
(٧) أجلب فلان على فلان : أعان عليه ، أى عاداه وآذاه .
(٨) مباسلا : من البسالة ، أى مدافعاً ومباعدا .

فسقى الله غربةً ألحقتنا برجاءٍ عذبٍ وصبرٍ لبيب
أنت أعطيتنا الطلاقةَ والبشـ ـر وأرفدتنا برأيٍ مصيب (١)
فخليق بنا وقد ظهرت فى وجهك السمح ظلمةُ التقطيب
أن نفدّيك بالنفوس اللواتى هن من جودك الغزير الصبيب (٢)

* * *

أيها النافشون فى قلبه الحز ن ولا تعلمون داءَ القلوب
قد ذكرتم حالاً يروح لها مشـ ـتملا بالشقاءِ والتعذيب
إنما العزُّ أن يكون بأرضٍ أنبتت نبعَ شمله المشعوب
حيث لا يعرف المداراة والضيـ ـم وذلَّ السؤال والتثريب
ما به قلة الولاءِ ولكن ودّه أن يكونَ غير غريب

* * *

مستعير من السماءِ شعار الـ ـحزنِ أم مرتدٍ بعيش الأديب (٣)
فأخوك الأديب فى الأهل والدّا ر له عيشة الغريب الكئيب
ليس فى ثوبهِ سوى طلل با لٍ وداء صعب وجرح رغيب
ليس فى وجهه من البشر إلا مدمع مشرقٌ كلمع الضريب (٤)
ليس فى قلبه سوى الحبِّ والحز نِ وغيظ على الزمان المريب

---

(١) أرفد ورفد : أى أعطى .

(٢) القطعة الأولى التى تنتهى هنا قيلت على لسان أصحاب البلد التى نزلها هذا الغريب . والقطعة التى بعدها على لسان أناس يلومون أصحاب هذه البلد .

(٣) أى هل ظلمة التقطيب مستعارة من ظلمة السماء عند الغروب ، أم لأنك ارتديت بعيش الأديب وهو أسود اللون .

(٤) الضريب : الثلج .

فــــانـدب الـنـادبـات والمـرأة الحـــمـ ـقـاء ممن يـعـددن شق الجـيـوب (١)
فــتـنـتـنـا الحـــسـنـاءُ بـالـزبـرج المحـ ـض وغـابـت فـى مـسـتـقرٍّ غـريـب (٢)
أضـمـر الـغـرب وجـهـهـا فـقـنـعـنـا بـذؤابـاتـهـــــا قـنـوع الـسـلـيـب
منظر يبـعـث الـشـجـونَ ويحـبـو فـاتـنـات المنى ببـردٍ قـشـيـب (٣)
مـسـتـمـد من الجـلال جـلال الـ ـلـه والمظـهـــر الـعـظـيمِ المهـــيـب
أذكـرتـنى الـعـيـش الـلـذيـذ الـذى فـا ت بـغـصـن كـاسٍ وعـود رطـيـب
ثم لـم يـبـق لى سـوى الـذكـر الـغُـرّ فـسـحـقًا لـصـرفـه من غـصـوب (٤)
يـا حـنـيـنًـا إلى الحـبـيـب تـرفـق بـفـؤادٍ أجـهـدتـه بـالـوجـيـب (٥)
يـا حـنـيـنًـا إلى الأغـر الـذى كـا ن خـبـيـرًا طـبـا بـداء الـقـلـوب
هـل يـطـيـب الـزمـان والأمـل المعـ ـسـول نـاءٍ والـصـبـر غـيـر قـريـب !

حمام الكازينو
بالإسكندرية

مـــاذا دهـى الـقـلـب مـن الـ أشـجـانِ يـوم الأحـدِ
حـيـث الـغـوانى فـتـنـة آخـذة بـالجـلـد
حـالـيـة كـأنـهـا آتـيـة عـن مـوعـد (٦)
خـاطـرة فـى مـهـلٍ كـمـشـيـةِ المـقـيـد
تـهـتـز فـى مـشـيـتـهـا كـهـزةِ المسـوّد (٧)

(١) ندب : أى دعا .
(٢) المراد بالحسناء : الشمس ، والزبرج : الذهب .
(٣) القشيب : الجديد .
(٤) سحقاً : أى بعدا .
(٥) الوجيب : الخفقان .
(٦) حالية : أى لابسة حليها .
(٧) المسود بتشديد الواو : الذى يسود ويشرف .

باسمة ضاحكة كالبلبلِ المغرد
خصورها خافية كأنها لم توجد
ضعيفة ناحلة كالزاهد المقتصد [1]
ثيابُها خافقة كالنفس المردد
والبحرُ لا تحده إلا بطولِ الأبد
كأنه ذو دولة مكلل بالزبد
كأنه ذو مهجة موسومة بالحسد .
أمواجه سائرة كالمثلِ المطرد
مياهه ممتدةٌ مثل امتداد الأمد
منبسطٌ منقبضٌ كالعاذل المفند [2]
ظلالها واقعةٌ فى مائه المرتعد
كأنما أطرافها دراهمُ المنتقد
عابثة بمائه مائلة على اليد
كأنما أعضاؤها مخلوقة من غَيَد [3]
فقدُّها معتدلٌ مقوم من أود [4]
وخصرها مختبىء فى قدِّها المنعقد
وشعرُها منتشرٌ كالذهبِ المبدد !

---

(١) الزاهد : المقتصد الذى لا يريد من الدنيا غير الكفاف .
(٢) المفند : المكذب .
(٣) الغيد بفتحتين : النعومة .
(٤) الأود : هو العوج .

الحبُّ نائمٌ ويقظان

نبّئتُ أن الحورَ جئن حديقةً ... بكراً كحاشية الرداءِ الأجدد
حيث الندى فتق الزهور بحيلةٍ ... أزرت بوقعِ الصارمِ المتعمد
والطير مفتونٌ بحسن بيانه ... فمغرد يشجو وغير مغرد
والأرض كالحسناءِ يوم زفافها ... رود النواحي بالمحاسن ترتدى
حيث الهوى وهو العظيم قضاؤه ... شرك الأبى وعقلة المتعبد [1]
أرخى لواحظَه وأطبق جفنَه ... فعل اللبيب القانصِ المترصد
فأمنَّ منه صولة عربية ... تدع العزيز من الفناءِ بموعد
يحسبن ذاك وما أمنّ وإنما ... هى حيلة ذهبت بحزم الأرشد
فمشى إليهن الهوى بترقبٍ ... مشى الشجاعةِ فى فؤاد القعدد [2]
فعثرن فى أذيالهن تخوفاً ... منه وسوين المطارف باليد [3]
وعدون عدوة خائف متظالعٍ ... إن لم يكن متزايلاً فكأن قدِ [4]

* * *

فكأنهن أزاهر منثورةٌ ... نثر المبشر غرة الخبر الندِى [5]

---

(١) العقلة : ما يربط ويقيد به .

(٢) القعدد : الجبان ، والشجاعة تمشى ببطء فى قلب الجبان ، فكأن الهوى أراد أن يأسر الحسان فى غفلتهن فمشى إليهن ببطء كى لا ينتبهن .

(٣) المطارف : جمع مطرف وهو نوع من الثياب . وتسوية المطارف : كناية عن الاستعداد للجرى .

(٤) التظالع فى المشى : الخروج عن الطريق المستقيم . والتزايل : التفكك . والمتزايل الذى تتفكك أعضاؤه .

(٥) غرة الشئ : أوله . والخبر الندى : كناية عن الخبر السار .

وكـــأنهن صــوادفـــاً وشـــوارداً | حبـات عـقـدِ اللؤلؤِ المتبـدد[1]
وكـأنهن نسـائم الصـيف التى | تحـيى رجـاءَ العـاشق المتنهـد
وكـأنهن كـواكب السـعـدِ التى | سكنت فؤادَ الحندس المتجسد[2]
وكـأنهن عــزائم النحسِ الذى | لعب القضاءُ بسعيه المتجدد

* * *

إلا فـتـاة علّهـا مـاء الصـبـا | فتمهلت كبراً بحسن تأود[3]
أأخـــاف هذا الحب فى يقظاته | وأنا التى لعبت بلُبٍّ الأصيد[4]
وأنا التى شقىَ السعيدُ بهجرها | وقضى الجليد بدلها المتوعد[5] ؟

* * *

قـال الغـرام وربّ قـولة ناصح | أبدت لها وجه السبيلِ الأقصد[6]
يـاربّ غـــانيـــة طرقت فناءها | فوصمتها بضراعةِ المستعبد[7]
كـانت تظنُّ فـؤادَها مـتـأبيًـا | عنى ولم تعلم بسهمى المقصد[8]
فـتركـتـهـا والنار بين ضلوعـهـا | تدعـو عليَّ بلهـفـةٍ وتلدد[9]
أحسبت أن الحسنَ يأنف أن يرى | بحنين مفـتـون وجـفنِ مسـهـد

* * *

(١) صدف : أى نفر وصد . والمتبدد : المتفرق .
(٢) الحندس : الظلام .
(٣) علها : أى سقاها . والتأود : التثنى .
(٤) الأصيد : السيد الشريف .
(٥) قضى : أى مات .
(٦) الأقصد : أى الأكثر استقامة .
(٧) الضراعة : الذل .
(٨) المقصد : المصيب .
(٩) تلدد : أى تحرق .

مناجاة الحبيب

لو أن أشجانَ الفؤادِ تطيعني ... لنظمتها لك في القريض نسيبا
أو ما علمت بأنني لك عاشقٌ ... أفنى الزمانَ صبابة ونحيبا
يا بؤس من سكنت إليك لحاظه ... أن كنت أنت على المحبِّ رقيبا
أرنو إليك فتحتويني هيبةٌ ... فأرد طرفي خاشعًا مغلوبا
ما حيلة الطرفِ الذليل إذا كبا ... أن كان شخصك في الفؤاد مهيبا(١)
يا نظرة تهدى الشجون وتنتضى ... سيفًا من الطرف الكحيل مصيبا(٢)
ويعيذك القلب الذى عانى القلى ... من أن تكونَ على الجفاء معيبا
وإذا وضعتك في الجفونِ صيانة ... أذرت عليك لدى البكاء صبيباً
وإذا رغبت لك الضلوع فإنني ... أخشى عليك لهيبها المشبوبا
وإذا وضعتك في الفؤاد فإنني ... أخشى عليك من الفؤاد وجيبا
إن كنت تأبى أنني بك هائم ... فاردد إلىَّ فؤادىَ المسلوبا
أو كنت تبعد بالوصال مضنة ... فابعث إلىَّ خيالكَ المحجوبا
هل بعد أن أفنى الغرامُ حشاشتى ... يأبى دلالك أن تكون طبيبا ؟
حب كماءِ المزن حين وقوعه ... فوق الزهورِ مرقرقًا مسكوبا
ياليت حظى منك أنى نفحة ... تسعى إليك مع النسيم هبوبا
وأود لو ركد النسيمُ وقد رمى ... بى دون قيد الرمح منك قريبا(٣)
فأكونُ منك بحيث يطمع عاشقٌ ... لا أتقى هجرًا ولا تأنيبا

---

(١) كبا : أى عثر .   (٢) انتضى : سل .
(٣) ركد : أى وقف . وقيد الرمح : مقدار طوله .

لو ذاق طعمَ الحب كلُّ مؤنب قلبى لصارَ العاذلون قلوبا
هل نافعى أنى أكتِّم لوعتى عمن يظل بما أسر لعوبا ؟
عجبًا لطرفى يستريح إلى البكا من بعد ما كان البكاءُ غريبا
ما أخلق الدنف المشوق بسلوةٍ إن كان لا يرجو المحب حبيبا

شكوى الزمان

كفى حَزَنًا أن التطلبَ بالصبر وأن مآقى العينِ أدمعها تجرى
لقد لفظتنى رحمةُ الله يافعا فصرت كأنى فى الثمانين من عمرى
رضيتُ بهذا العيش بعد أبوة لأبلغ شأوًا أو أُغيَّب فى قبرى
وحاول منى الهمُّ صبرًا فلم أزل أدافعه حتى أبحتُ له صدرى
وإنى لأدرى أن فى الموت راحة وأجنبه حتى كأنىَ لا أدرى (١)
ولولا تقى لا يملك اليأسُ صرفه لأوردنى يأسى على المسلك الوعر
فما أسرع الأحداثَ إن قلت أبطئى وما أبطأ الآمال إن سمتها نصرى
فإن كان ذنبى من تناقض خطتى فعذرى إلى الأيامِ أن ضاق بى عذرى
وربَّ ليال بتُّ أدحو ظلامها بطرفى وذيل الليل يعثر بالفجر (٢)
وزاولتُ صرف الدهر حتى عرفته فسيّان ما لاقيت فى العسر واليسر
دعانى إليه الفضلُ لما دعوته فما زال بى حتى التقينا على قَدْر (٣)
فما ساءنى ما بتُّ أخفيه جاهدًا ولا سرنى ما يعلم الناسُ من أمرى
هل العيش إلا أن تنالَ بعزمة مقامًا كان النجم من تحته يسرى

---

(١) أجنبه : أى أتجنبه .
(٢) أدحو : أى أبسط .
(٣) أى موعد مقدر .

فـمـا العـزمُ إلّا مـا يبلّغك المنى وما العـجز إلّا أن تُنهنه بـالزجر (١)
إذا كنت ذا عـسـر فكن ذا قناعـة فإنّ احتمالَ العسـر يذهب بالعسر

شكوى الصديق

ومطّلب بالعتبِ هجرىَ لم أزل أداريه حتى عارضته مذاهبُه
يعالج منى باسمَ الثغر راضيًا وأخبر غرًا أنكرته معايبه (٢)
أجودُ بنفسى فى هواه سماحة ويبخل بالنذرالذى أنا طالبه (٣)
وما كل أمرٍ تستقيم صدوره لمن لم يَرُضْهُ تستقيم عواقبه (٤)
لقد سامنى أن أقبل الذل ضلةً هل الغبن إلا ما تقل مطالبه (٥)
ووكل بى الأعراض حتى ألفته وما كل صافى الوجه تصفو مشاربه (٦)
سأندب عهداً كنت فيه بغبطة وهل يرجع العهدُ الذى أنا نادبه
وليل كأغضاءِ الحليم درعته لأقضىَ أو تنجاب عنى غياهبه
وصلت به الأوهام حتى كأنما يراقبها فى مكثها وتراقبه

تحية للشمس
عند شروقها

أَشرقى يا طلعة الشّمـ ـس علينا وأَنيرى
أنت للغرس حياةٌ وحلى الروض النضير
كيف لا ترتاح نفسٌ للبهاءِ المستنير

(١) تنهنه : أى تدفع . (٢) أخبر : أختبر . (٣) النزر : القليل .
(٤) راض الأمر : ذلله . (٥) أقل : أى حمل . (٦) مشاربه : كناية عن مودته .

مـــا رأى ضـــوءك غـــرٌّ ... بسوى الطرف الحسير[1]
غــازلى الغـصنَ برفق ... وامسحى وجهَ الغدير
وسلى الغيد ابتساما ... من أقاحيّ الثغور
واذممى وجه مريب ... واحمدى وجهَ بشير
وسلى المقلةَ أن تشـ ... ـرق بالدمع الغزير
إن فى الدمع إذا استغـ ... زر إعلان السرور
وتمشى فى فضاءِ الـ ... ـله مشىَ المستغير
مشية الحرِّ المرجى ... لعظيمات الأمور

* * *

وابعثى أبناءك الغر ... إلى بيت العليل[2]
سهر الليلَ ولا مسـ ... ـعد فى الليل الطويل
نظرة منك إليه ... خلست بشر الرسول
نظرة غـرَّاء تودى ... بجوى الداء الدخيل
وكان الليلَ لما ... خانه وقت الرحيل
ضامن قلب محب ... راعه قول عذول

* * *

وكأن الشمس تجلى ... فى خمارٍ من لهيب
أقبلت فى الأفق تسعى ... مثل إقبال الحبيب
منظر يفعل فعل الـ ... ـعودِ بالقلب الطروب

---

(١) الحسير : الكليل والضعيف . (٢) أبناء الشمس : كناية عن أشعتها .

غــيــر أنَّ الـليلَ أدرى بـأحــاديثِ الـقـلوب
شــمـلة الـعـاشق والـسـا رقِ والـعـادى المهـيـب (1)
لبـس الأفـق ضــيــاءً بــدّل الجـنـح المـريـب
وشــبــاب المرءِ لا يعـ ـقـبـه غـيـرُ المشـيـب

الحـبُّ والليـل

عـمىَ الدجى عن مطلع الـفـجـرِ في لـيلةٍ كـسـريرة الـدهـرِ
ولـع الـبـكـاء بـنـاظرىً كـمـا ولـع الـنـدى بـبـدائع الـزهـر
والروض ممتنع الرقـادِ وقـد نمَّت عـلـيـه مـواقعُ الـقـطـر
والليل مـشـقـوق الجـيـوب وقـد باح الـسـحـاب بـطلعـة البـدر
والطرف بـالإفـشـاءِ مـتـهـمٌ والـقـلـب مـؤتمن على الـسـر
وأكـادُ أن لا أسـتـقـر جـوى فـكأنما خلـس الـدجى صـبـرى
وأمـلت أن أجـد الـوسـيلةَ لـى عند الـصـبـا فـمـنيت بالهـجـر
لا تلح مـشـتـاقًـا على شـجنٍ إن الـشـبـاب مطيـة العـذر (2)
والسـعى رزقٌ والـهـوى أمـل والـهـجـر يـأكل جـدةَ العـمـر
والحـب إن دبَّ الـسـلـو بـه فـكمـا يـدب الـشـرُ فى الخـيـر
والصـفـو قـد يـفـضى إلى كـدرٍ والـيـسـر قـد يفـضى إلى عـسـر
مـن ناوشـت نظـراته حـسـنًا فـقـد اسـتـشـار الموت بالسـحـر

---

(1) الشملة : كساء .

(2) الشطر الثانى من هذا البيت مأخوذ من قول أبى نواس : إن الشباب مطية الجهل .

النغمات

إذا ترنَّم والآذان ظامئة ... خلنا الرويَّ على آذاننا اندفقا

لج من النغمات الغرِّ يحمدها ... إن النفوس تعانى بينها الغرقا

لو صورت فأقامت غير خافية ... كانت أجل الذى يستعبد الحدقا

كأن شيئًا من الحب الذى غريت ... به الخليقة فى أثنائها انبثقا

* * *

إذا ابتداها عظيم فى مهارته ... حسبت كل ضجيجٍ لج فى الخرس

تظل تفعل بالأحزان ما فعلت ... أشعةُ القمر الوضاح بالغلس (١)

تذوب فيها همومُ النفس خافية ... كما يذوب الندى فى موقع النفس

ينزو الهيامُ بقلبى حين أسمعها ... لعب الرياح بثوب البائس التعس (٢)

كعصفها حين لجت فى تأوبها ... كلجة البحر تطفى شعلةَ القبس (٣)

تثير من نزعات القلب مرحمةً ... ترد عاديةَ المستأسد الشرس

وتبعث الذكر العهد الذى ضمنت ... فتودعِ القلبَ وجداً غير ملتبس

* * *

كأنها ذات حول ليس يعجزها ... إحياء منعفر فى القبر منفرد

كأنها شاعرٌ جادت مخيلتُه الـ ... ـغراءُ بالكلمِ المسعود بالسدد

لا شىءً من حسن الألحان يفضلها ... إلا الخرير وصوت الطائر الغرد

وأنّة النسمة المعطار جاذبة ... جيد الغصون بجبلٍ ليس من مسد

---

(١) الغلس : الظلام . (٢) ينزو : أى يثب .

(٣) الهاء فى كعصفها تعود على الرياح ، كذلك الضمير المستتر فى تطفى .

الفونوغراف

هل علمَ الغريد فى وكره ... شأنَ الذى خفض من قدره ؟
وهل درى المطرب ماذا الذى ... يستحضر الملحود من قبره ؟
يا عجبًا من ناطقٍ أبكم ... تأتلف الألحانُ فى صدره
يستخرج اللحن بمسنونة ... تزيل ذاك اللبس عن أمره
تخطُّ فى أعطافه أحرفاً ... كأنها تبحث عن سره
يروى أحاديث أناسٍ مضوا ... كأنها مرَّت على فكره

حديقة

فيحاء زان شبابها ... لون الربيع الأزهرِ
حيث الفرائد جمةٌ ... تزهو بأروع منظر
من كل محسود البها ... ءِ مكلل ومنوّر
والوردُ يقطر بالندى ... كالعاشقِ المستعبر
والنهر يرفل عندها ... فى ثوبهِ المتكسّر
فكأنه وكأنها ... أحوى استكن بمئزر
تجلى بصفحة مائه ... صور الربيع الأخضر
فكأنّ فوق الماءِ ما ... صنعته كفُّ مصوّرٍ
وكأنّ صورة درهمٍ ... سكنت بخاطر معسر
وكأنّ طلعة فاتن ... أخذت بلبٍّ محير

تتـــــردد الأطيـــــارُ فـــو   ق غـــصـــونهـــا بتـــخطر
كـــــتـــــردّد الآمـــــالِ فى   خلد الطمـــوح المـــتـــرى
مـــــرح الطيـــــور أجل من   مـــــرح الخليع الموســـــر
هـذا يـدبُّ بـه الشـــــقـــــا   ءُ وذاك غـــــيـــــر مكـدر

مغالبة الهوى

هل قلدوك مـــدامعَ الآمـــاق   أم ضـمنوك مـصارع العـشاق !
يا فـتنة أخـذت عليَّ مـذاهبى   وسطت بنقـمـة هجـرة وفـراق
إن كنتِ لا تخـشين صـولة ظالم   مـرّ الوقـيـعـةِ صـادق الإبراق
فدعى مغـالبةَ الضعيف وناجزى   ذل الهـوى وصـبـابة المشـتـاق

مطال الهوى

حـاذر الطيف أن يلم فـيـشـفى   باتصـال الرقـاد نضـواً صـريعـا
أودع القـلب حـبـه زفـرات   سجـرته حـتى اسـتـحال دموعا
أيُّهـا العـاذلون قـد وضع الحـ   ـبُّ على مسـمعى حجابًا منوعا
قـد تبـعت الهـوى إلى آخـر المطـ   ـل فـمـا اسطعت بعـد ذاك نزوعا
وتـخـــوفت أن يدبَّ بـه الخلـ   ـف فطالبتُ بالوفـاءِ تبـوعـا
مـا يضـيـرُ الذى يعللنى بالـ   ـمطل أن أجعل البكاءَ شـفـيعا
طالما قـد ذممت مطلك قـبل الـ   ـخلف حتى فقـدت منه صنيعا
وتنبـهت حـين أعـلنت الأقـ   ـدار بؤْسى ونازعـتنى الهـجوعا

نظـــرة

نظرت إلىّ بعين مـــخـــتـــبـــر		جـمع الدلالَ وحـيـرة الســاهى
يا نـظرة فـى طيـــهـــا نـعم		فكـأنـهـــا من رحـــمـــةِ الله

فى سـبيـل الجـامعـة

برأى ســديدٍ واعـتـزام مـصـمم		يقـوّم مـيل الحـادث المتـجـهّمِ
فـلا قـول يغنى عنك غـيـر مـؤيدٍ		بفـعل حـمـيـد الوقع غيـر مـذمّمِ
ألا عـصبة غـراء يصـدق سـعيـها		تنادى لأمـرٍ مـدبر غـيـر مـبـرم
ألا قـــائـل أو بـاذل أو مـــؤازر		بـرأى يقـوى عـزمـةَ المتـبـرم
فنبصـر إمـا أسـعـدت عـزماتهم		مـحـاسن تزرى بالجـمـانِ المنظم
هنالك آمـــال كـــأن بطونهـــا		تفـتح عن عـيشٍ رقـيق منعم
فـيـا حـسن ذكـر للذين تملكوا		لبابَ الغنى فاسـتمسكوا بالتكرم
أيدعى غنى القـوم سـيـد قـومـه		إذا غـاب عنه فـضل فـعل مـعظم
إذا لم يـكن طبعٌ فـجـودوا تطبـعـا		فـربَّ جـمـيل جـاء من مـتـندم
وأنتم عـمـادٌ للبــلاد مـشـيّـد		فـلا تـتـركـوها كـالبناءِ المهـدم
ألم يـكفـكم فـخـراً وعـزاً وسـؤدداً		رجـــاء مـــحلًى بالثناءِ المفـــخم
فجـودوا فقد جادَ البهاليل قبلكم		وحظهـم الموفــورُ غـــيـــر المثلم
وإنَّ شنيع العـــار أعظم سـبّـة		من الفـقـر إمـا عـادكم من توهّم
إذا لم تـناصـركم حـمـيـةُ مـاجـدٍ		فياضيعة الآمالِ فى الزمن العمى !

مصـرى عـربى

يخطاب أخاه القبطى

بنى البـهـاليل من علياء شـاهقـة ... ومحتد الصيد لا تمشى له الريبُ
إذا تناءى بكم عن مـجـدنا نسبٌ ... فـأنتم فى مـراقى مـجـدكم عـرب
إن التـآلفَ لم يتـرك لنا نسـبًـا ... يلوى بكم دوننا من دونه نسب
أما وقومى وقومى خير ما حلف ... إذا حلفت تدانى المجـد والحسب
إذا الأواصر لم تجـعل لنا سـببًـا ... فـحـرمة الودِ فيـمـا بيننا سبب
إذا هفـوتم رمـيناكم بمعـتـبـة ... فـإن هفونا فلا يملككم الغضب
يدان إن تقطعـونا تقطعـوا يدكم ... كـذاك نحن لنا فى عـزكم أرب
إنى على شـغـفى بالأهل يطربنى ... أنى إليكم إذا فـاخـرت أنتسب
فإن فخرت فبالصيد الأولى أسروا ... حوادث الدهر لم يخذلهم الغلب
كـانت لكم دولة غـراءُ ثابتـة ... فى مرتقى العز تبغى شأوها الشهب
كنتم تطلون فـوق النجم من أنف ... حتى تركتم سهيلاً قلبه يجب

ضـرر اليأس

أخـذ القنوطُ عليكَ كلَّ وسيلةٍ ... من حيث لم يتـرك لرأيك منزلا
واليـأس إن يعـرض لعـزمـة عـازمٍ ... بلغ الصميمَ وحال من أن يعـمـلا
لولا مـزاولة التـجـهّم مـا رأت ... هذى الرذيلة فى فـؤادك مـدخـلا
فـإذا نهجت من التـفكّر منهجًـا ... فـاجـعل فـؤادَك للطلاقـة مـوئلا
كم طالبٍ وجد التجهم مغنمـا ... حتى ثناه اليأسُ عن طلب العـلا

ذكـــرى

مـحـبٌ حـمـاه الـهـجـر أن يـتـصـبّـرا ومن حـاجـة المهـجـورِ أن يـتـذكـرا
وفى الـذكـر الغـرِّ الـتـذاذٌ بما مـضـى ورجـعـة عـيـش جلّ عن أن يـكـدرا
ذكـرت بـه لـيـلاً كـأن نجـومَـهُ ثقـوبٌ نرى منهـا الصـبـاحَ المستـرا
يبيت الندى فـوق الزهـور مرقرقًا كـمـا انبـعـث الطلُّ الرقـيق ليـقطرا
وفى ساعدى ريان من نـهلة الصبا كـمـا فـتح الـشـؤبوب زهرًا منوّرًا
يبـيـت يناجـينى بسـحـر لحـاظه ويسـمـعنى ذاك الحـديـث المغـررا
فـمـا إن طلبـتُ الوصل إلاّ تحـرجـا ومـا إن شكوت الـهـجـرَ إلاّ تحـسـرا
وألتـمـس الـعـذر الخـفـىَّ لصـده ولـسـتُ أريد الـعـذر إلا تعـذرا
فأغضيتُ عن بعض الذى كان فى الهوى ومـا عـشق الفـتـان إلا ليـعـذرا

أعمى يرثى بصره

قال الرغيبُ المواسى لا تكن جزعا فـفـتـنة العين داءٌ غـيـر مـأمـون
وفى الظلام عـبـارات منمـقـة تكن فى لبِّـهـا مـا ليس بالدون(١)
لو أن كل فـتـون مثل مـا زعـمـوا وددت أن لنفـسـى حـالَ مفـتـون
إذا سمعت حبيبًا ليس فى نظرى علمت أنى بين العـزِّ والهـون
كـان الأمين المرجى يوم كـارثـةٍ فـأصـبـح الدهرُ فـيـه غـيـر مـأمـون
أبكى عليـه بعينٍ كـان يعـمـرهـا كـأنـهـا نحـر دامى النحـر مطعـون

(١) يقال إن الخيال يقوى إذا فقد البصر ، وقد قال بشار : « عميت جنيناً والذكاء من العمى » .

لى بعد فقدك سمع كله حذر   يظل يسعدنى من حيث يعيبنى[1]

البخيل

يرعى البخيلُ ماله لولده   يحرسه فى نومه وسهده   يلصقه فى نومه بخده
كأنه يحسبه من جلده   يجمعه بكده أو جده   كأنه يجمعه لعده
وبخله داعية لفقده   فعيشه مستعبد لزهده   مجدبه مستجلب من رغده
إن البخيل معدمٌ فى سعده   كأنما يطلبه بورده

ألومهُ فى التجنّى

ألومُهُ فى التجنِّى ثم أعذرُه   والدمع يفصح عما كنت أستُرُه
يبيت ممتلىء الأجفان من وسنٍ   منعماً وحليف الليل يسهره
ياليته كان يدرى كيف يرحمنى   أو ليتنى كنت أدرى كيف أهجرُه
لكل صبٍّ شفيع من صبابته   ودمعه وشفيع الحسن منظره
إذا نظرت إليه حرتُ من ولهٍ   ياليت قلبى يقسو حين أنظره
أبيت أعذل قلبى فى محبته   والعين فى عبرات الدمع تحدره
فهل تعاون قلبى فى حوائجه   يأيُّها الأمل الممنوع مصدره
بالله يا نسمات الريح سائرة   نحو الحبيب الذى قد طاب عنصره
استودعيه سلامًا كله شجن   من المحبِّ الذى قد مات أكثره !

---

(١) يعيبه لأنه لا يقوم مقام النظر ، وقد قال ابن الرومى :

هل العين بعد السمع تكفى مكانه   أم السمع بعد العين يهدى كما تهدى

الخمـول

كم وردةٍ ليس لهـا ناشقٌ ... يحفها الروضُ بوادٍ سحيق
تَنبت فى زهرٍ كريم الثرى ... مستوثق الأصلِ عزيز العروق
طيبة النكهة لم تبتذل ... يخلس رياها النسيم الرقيق
كللها القطر وماءُ الندى ... بلؤلؤٍ من دمعه ذى بريق
وجدول ينساب بين الرُّبى ... يحسبه الذائقُ كأس الرحيق
وبلبل يعرب عن شجوه ... من حيث لا يأخذ سمع المشوق
وخامل والفضل من حظِّه ... قد أحرجوه بالأذى والعقوق

اليُسرُ بعد العُسْرِ

إن الشتاءَ إذا تطاول أمرُه ... دخل الربيع بطيبه ورِوائه
والليل إما لجّ فى غلوائه ... جاء الصباح بضوئه وبهائه
والسحبُ إما أسقمت وجه السما ... برز الهلال يزينها بضيائه
وكذا الشقاء إذا تمادى عهده ... جاء النعيم يذل من غلوائه

حسناء ماتت فى صِبَاها

أى مهدٍ أهدى المنونُ إليها ... واستعار الربيعُ من وجنتيها
وهى حسناء مثل لؤلؤة الحا ... لى إذا قامت اللحاظ عليها
وسقاها ماءُ الحياءِ مريئًا ... واستبدّ الفتونُ فى مقلتيها
عظة تبعث الشجونَ وتجلى ... خادعات الصروف فى حالتيها

عتابٌ وأعتابٌ

ألا مبلغ عنى الصديق رسالة ... ودون التراضى معتب وغضوب
حمدتك لا أنى أردت مثوبةً ... على الحمدِ لكن كى يقال مصيب
لقد أعلمتك الحادثات مكانها ... فصار على المقدار منك رقيب
وما كنت إلا الدهر فى حال سلمه ... سوى أنه فى الحالتين مريب
وما أخذتك النفس إلا فضائلا ... كأنك معنى فى الضمير عجيب
أظل ولم أكحل بمرآك ناظرى ... كأنىَ بين الأقربين غريب

المشنوق

ضاقت الأرض عن مآثمه فاعـ ... ـتاض عنها برقة الملحود
حملته على الرياحِ وأعلتـ ... ـه عن الناس زاجراً بالوعيد
يعظ الناسَ بالممات كأنّ الـ ... رشد مستجلبٌ من التبعيد
جمعت حوله الورى فله حا ... ل حسود ووقفة المحسود
وأقالته من مآثمه فر ... قة عيش معجل التنكيد
منظر ما أقام بالعين إلّا ... راعها بالبكاءِ والتسهيد
وله فى النفوس وقع أليمٌ ... ينزع الغلَّ من فؤاد الحقود
ذاك من ملّه الشقاء وكل الـ ... ـبؤس منه فصار صنو الشريد
كان فى عيشه من الخبث كالأجـ ... ـرب يغدو فى أهله كالوحيد
ربَّ صحو من سكرةٍ ورخاء ... من عناءٍ ويقظة فى رقود

حسناءُ تغنِّى

ربَّ لحنٍ كـــــأنه المنظر الغض ... يـبـثُّ الآمــــــــالَ والأوطـارا
وغناء عــــذب يدبُّ إلى حــيـ ... ـثُ الأمــانى فـيـخـرج الأسـرارا
وفـم لا يـكــاد يـنـطـق مـن دقَّـ ... ـتــــــه بـالـغـنـاءِ إلا اضـطـرارا
وكـأنَّ الـسكونَ أصـغى إلـيـهـا ... فـأفـاضـت على السكون وقـارا

نصيبى من الحياة

هـل ألومُ المنى وهـن ثـقـــاتـى ... وأسـيغ الأسى بغـيـر شكاةٍ ؟
يـا غـــريمَ البُكـا رويـدك لاتمـ ... ـحى دواعى الـهـمـومِ بالعـبـرات
إن يـكـن حظُّك القليل فـهـل تقـ ... ـضى عليـه بهـذه الحـسـرات
إنَّ عـشـرين حـجـةً تركـتـنى ... لا أرجِّى سـوى الذى هـو آت
إنَّ من أخطأ الرجـاءَ يرى الدّهـ ... ـرَ بعين تقـذى بغـيـر قـذاة
من دهاه الشـقـاءُ فى يقظة الدّهـ ... ـرِ جـزاه النعـيمَ فى الغـفـلات
كـلُّ يومٍ يـفـنـى من المرءِ شـىءٌ ... مـا سـمعنا عليه صـوت النعـاة
كـيـف أثنى على الزمـان إذا كـا ... ن ارتقـابُ الآمـالِ من عـزمـاتى
إن تراخى الرجـاءُ عنى قليـلا ... فـوداعًـا لما بقى من حـيـاتى
يا لهـذى الحـيـاة مَنْ لأنـاسٍ ... يدفـعـون الحـقـوق بالشـبـهـات
فـأناسٌ تسـرُّهم سـيـئـاتى ... وأناس تسـوؤُهم حـسناتى !

الصغير والكبير

رأيتُ الكبيرَ ضئيل الطماح يتبع خاطره ما تولّى
وفى الذكر الغر ذخر جليلٌ لمن جعلته العوادى مقلاً
وإن الصغير أبىُّ الطماح يرجى من الغد عزًّا ونبلا
وفى الحق إن غنىً الأمانى يعجز أن يتبع القولَ فعلا
وفى السعى شىءٌ يعوق الطموحَ فيخطى الأجلّ ويصمى الأفلا

الطموح

بكاءُ العين علّمها السُّهادا وهمُّ النفسِ جشّمها الجلادا
وبى ظمأٌ لو أن الماءَ رىّ له ما بتُّ أفتقد الرقادا
ولو أن الظلامَ بقدر ما بى لما عرف الصباحُ له نفادا
وقد كان الزمانُ إذا رمانى تطرقنى فعلمنى السدادا
وناشتنى الهمومُ ولم أرعها كأنّ لها على حلمى اعتمادا
أهمُّ إلى العلا وتعافُ نفسى لغير قلى مخافةَ أن تكادا
وروّضها طموحى للتمنّى فصيّرت الطلاب لها اعتقادا
وزاولت السباق بها فلمّا سبقت البرق جاريت المرادا
بلغت بها المدى فلو استزادت علواً ما وجدت المستزادا

رثاء مصطفى كامل[1]

نفد العمر على طولِ الليالي   واستباح الموتُ ذكراً غير بالي

ومجالُ الدهر في أحواله   ألحق التالين منا بالأوالي

ياضلوعاً دونها حرُّ الجوى   أصبح السلوانُ بعد الدمعِ غالي

فاجزعي يانفس أولا تجزعي   ما بقاءُ المرءِ إلا للزوال

وانقعي الحزنَ بآماقي إذا   وجد الظمآن ريًّا عند آل

قد يفيد الحزن في مرزئة   لو يعود المرءُ بعد الانتقالِ

وإذا المقدار لم ينج امرأ   جزع الدرع على ذكر النصال

قد مضى من كان فينا رحمةً   لليتامى واعتصاماً للعيال

ولقد عاش على غير قلى   فرماه الدهرُ بالداءِ العضال

باشر الآمال مبذول اللهى   واستقاد الدهر محمود الجلال

ولقد دك المعالي أنه   فارق الأحوال مفقود المثال

أوحش الموت به أنفسنا   والمنى دانيةٌ والمجد عالي

وهب الدهر نفيساً للعلا   واستباح الرد ضنًّا بالنوال

ولئن أودى فقد أبقى لنا   سيراً في مجده غير بوالي

إنما العيش طريقٌ للردى   وخلود المرءِ في حسنِ الفعال

موقف

وليلةٌ كشعار الحزن داجية   لا أستعيذ بها إلا من الأرق

جاءت بأغيد يفرى الليل عن وضح   من وجهه كطلوع البدر في الغسق

(١) كانت وفاة الزعيم مصطفى كامل فى ١١ من فبراير عام ١٩٠٨ .

فبت أودعه النجوى وقد فعلت بى الصبابةُ فعل النوم بالحدق
ينأى به الدلُّ عنى ثم تعطفه نحوى الدموع فعطفيه على قلق
وبات أدنى من الأشواق يحرسه أن لا ألذ سوى مرأى ومعتنق
يدٌّ على القلب تستجدى الهوى ويد على الجفون تصادى عادىَ الغرق
يقول والحر فى الأنفاس يؤلمه ما بال قلبك مطوياً على حرق ؟

التأليف

أبنى أبينا والأمور ضعيفة أسبابها أن تقطعوا اليد باليد
إن الثريا لو تسر نجومها غير الوفاقِ غدت بشمل مشرد
والفرقدين إذا تخلى عنهما ودٌ تناءى فرقد عن فرقد
هل سرَّكم يوم اللجاجةِ أننا ندنى على الأحقادِ عادية الغد ؟
كنا وكنتم فى الصميم من العلا لولا مداهنة الزمان الأنكد
لولا اللجاجة والمراء وعصبة رصدت لكل محزبٍ وموحد
ومن البلية أن نكون وجمعنا متقسمٌ والشامتون بمرصد
يا ابن الفراعنة الأولى ورثوا العلى أرث الأماجد سيداً عن سيد
قم نرجع الفضل الصريحَ ودولة يمشى عليها الدهر مشى مقيد
هذا مقالى شبته بنصيحةٍ فتلق فيه رقة المتودد

الشاعر وحبيبته

دعينى وحظى لست أهلاً لأن ترى حبيبة مشبوب الفؤادِ معذب
إذا ما رأيت البشرَ يملا صفحتى ضياءً فآمالى خديعة خلب

ومـا بـعث الله الأديبَ ليـمـتطى
على سـروات العـزّ أطيبَ مـركب

تريه مكانَ الهـمّ عينٌ بصـيـرةٌ
فـيـحـويه منه كـالخـبـاءِ المطنب

يفـرُّ الرجـاء العـذبُ من خطراته
فرار الصحيح الجسم من لمس أجرب

مـهـيـجـة أشـجـانه لا يمسّـهـا
سـوى كل فـوّارِ الصـبـابةِ أغلب

فـهن كـاعـضـاءِ اللديغ إذا دَنت
لشيءٍ تأذت من حكاك المقـرب

ليلة من ليالى الحبّ

يـارُبَّ ليـلٍ بـتُّ فى جنحـه
أسـتنصـرُ البـدرَ على ندّهِ

فـزارنى زورةً ذى رقـبـة
يرى التـدانى منتـهى جـدّهِ

فـرحت أحكى الدهرَ فى سلمه
وراح يحكى السـيف فى جـهـده

وانتـزع الرقـةَ من قلبـه
وأسـكن الرقـة فى قـده

ثم ائتلفنا عند حكمِ الهـوى
مـثل ائتـلاف الدرّ فى عـقـده

عين اليقظة وعين الحلم

مـا لعـينى دمـعـهـا قـد نفـدا
ولجـنبى لا يمسُّ المرقـدا

آفـةُ العـاشق من حـيث يرى
كـشـقـاءٍ من نعـيمٍ وردا

بعـثت عـينى منهـا نظرةً
قـربتنى منه حـتى بعـدا

قـد عـرفتُ الصـبـر حتى راعنى
بالتنائى فـعـرفتُ الكمـدا

إنَّ عـينى ولهـا الحمـد لقـد
أنجـزت بالنومِ مـا قـد وعـدا

فـأسلّى الهـمَّ عنى بالمنى
ويبـيح العـتب منه مـوعـدا

قـــد أحلَّ اليـــأس قلبى أننى ... قد سجرتُ الشوقَ حتى خمدَا
إنما الآمـــالُ أزكى مـــتــجــرٍ ... لا تخَف من حبسها أن تكسدا

النصيحة

وربَّ خليلٍ لا أجـــود بودِّه ... أراه على العلَّات وهو حميدُ
أناصحه جهدى فيحسب أننى ... أريدُ به شـــرًا ولستُ أريد
فـــصـــرتُ أداريه وإنّى لمشـــفق ... إذا مـــا طويت الرأىَ وهو سديد
مخافةَ أن يقضى الأمورَ بضدها ... فـــيـــدركـــه من دونهن قـــعـــود
إذا اعترضتك الحادثاتُ فلا تكن ... عـــيـــوفـــاً لما يلقى عليك مـــريد
فـــإنّ التـــمـــاسَ الحق ليس بعائبٍ ... مـــجـــداً إذا عـــاب العنيد جحود

الحزم والحدثانُ

أهاب بحـــزمى طارقُ الحـــدثان ... ولم يبق منى الدهرُ غير لسانى
فلو حاولت منى الخطوبُ استكانةً ... لبـــاشـــرتها مـــستلئـــمـــا ببيانى
ولو أوطأتنى الحـــادثاتُ مـــهـــانةً ... أبى لىَ طبـــعى أن تكون مكانى
ولكنَّ مـــثلى ليس تكبـــو به المنى ... ولو كـــان فى أيدى الخطوبِ عنانى

عتابٌ ومحبة

أيمنعنى الأعـــتـــابُ أنك جـــارم ... فـــتنسب لى الهجـــران وهو توهُّمُ
وإنى ضنين أن تمسّك وحـــشـــةٌ ... إذا مـــا دنا من مـــســـمـــعيك الملوم
فـــمـــا أنا بالراجى عن الحبِّ نبـــوة ... ولا انا بالمسطيع صبـــرًا فـــاكـــتم

ولكن إذا ما الداءُ دبَّ بمعصمٍ فأوشكْ بأن لا يحمل الكفَ معصمُ
وما كنتُ أدرى قبلَ هجرك ما الهوى ولكنَّ مَنْ يَبْلُ الأحبةَ يعلم
وما أنكر العتبَ الذى يبعث الرضى فإن كان فى لا شىءَ فهو تبرّم
ولست أبيحُ السرَ للجفنِ ضلّةً ولكنّه بين الضلوعِ مكتَّم

آمال النفس

مالى أراقبُ نفسى فى تمنّيها وحالة اليأسِ ترضينى وأرضيها
نزهتها عن رجاءٍ لست آمنه حتى كأنّىَ بالتنزيه أغنيها
إن الحياةَ إذا ما شَابَهَا ضرعٌ عادت كأنّ المنايا فى حواشيها
لو أنّ لى حيلةً فى الذل أجنبها خوفًا فلا بلغت نفسى أمانيها
أيحسب القومُ أن أرضَى بمنزلةٍ العجزُ أولُها والذلُ ثانيها
سأرقبُ النجحَ والآمال داجيةٌ حتى يجابَ إلى العلياءِ داعيها
إن الحميَّة لو دبّت إلى رممٍ ريعت قلوب الأعادى من عواديها
ولو سَرت بوضيعٍ صار ذا شرفٍ حتى كأنَّ المعالى من معانيها
ولو سَرت بأسيرٍ عاده جلد كأنَّما أسْرُهُ أغرى به تيها
إن اللئيمَ يريك الحزمَ مهلكة ويخلط النصحَ بالتضليل تمويها
وحالة العجزِ لا تبقى على أملٍ من النهوضِ فإن العزمَ ينفيها

ذكرى ليلة

كلفتنى فى هواك أمرا يدعوه أهلُ الوفاءِ غدرا
فابلُ الهوى واستعر ضلوعى لكى ترى هل نطيق صبرا

وربَّ هجـرٍ يعـودُ وصـلا ... وربّ وصلٍ يعـود ذكـرَى
وربَّ ليـلٍ أرخـى عـليـنـا ... لما احتـوانا الظلامُ سـتـرا
وشى بى البـدرُ عند ليلى ... فـخلتـه من دجـاه يعـرى
بـات يمجّ الظـلامَ طـرفـى ... كـأنه بالسـهـادِ مـغـرى
وحين وافى الحـبيبُ ليـلا ... كـاد يكون المسـاءُ فـجـرا
أخـبـره الطرفُ مـا أعـانى ... فـهل رأى فى الجفـاءِ عـذرا
أضنى اصطبارى ونوم عينى ... كـلاهمـا خـاف منه هجـرا
يحـفظ سـمعى عنه حديثاً ... أيام كـان الزمـانُ نضـرا
بتُّ وعـينى بالحـزنِ عـبـرى ... لأعـين بـالـذبـولِ سـكـرَى
جـعلت قلبى للحـبِّ وكـرًا ... فـصـار طرفى للطيفِ وكـرا
مـلأت صـدرى من الليـالى ... فصار مابى فى الصدرِ صدرا

أمـانى الحـب

لـواعجُ الحبِّ تـلـويهـم وتغـريـنى ... وسطوةُ الهـجـرِ تبـقـيهـم وتفنينى
وفى الجـفـون دمـوعٌ ضلَّ رائـدها ... قـول العـذول عليـهـا غـيـرُ مـامـون
نجبى من اليـأسِ ان الحبَّ ذو غـيـر ... وهل يعـودُ بما قـد كـان يلوينى
ما أبعدَ الصبر من قلبى على جلدى ... واقربَ الوجـد من قلبى على دينى
رجـعتُ بـالخسـرِ والآمـال تخـدعنى ... حـتى ظننتُ بانى غـيـر مـغـبـون
من لى بـه وعـيـون الليلِ تـنظرنا ... بعـد التـصـافى فـادنيـه ويدنينى
يكفى من الدهرِ ان الدهرَ يمطلنى ... فـإنّ وعـدَ الليـالى غـيـرُ مضـمـون

يكفى من القربِ أنّ النومَ يجمعنا فـإنّ ذلك وصلٌ غـيـرُ مظنون
إني لأهوى الردى والعيش مقتبلٌ لعلّه بعد موتى فيه يبكينى
كن كيف شئتَ مدلاً أو على صلةٍ فكلُ شيءٍ من الأحبابِ يرضينى

دليل الشوق

أتنكرُ أشواقى وأنت دليلُها وتطفىء أشجانى وأنت غليلُها
وهل عائبى عند العيونِ إذا رنت سوى أنها تدرى بأنى قتيلها
هل الوجدُ إلا أن ترانيَ باكياً إذا لوعة زادت وضرّ قليلها
بسطت لكم بينَ الضلوعِ مكانةً على القلبِ لا يأبى الوفاءَ نزيلها
ولكنَّ آمالى يرجين عطفةً لديك ولو أن الجفاءَ رسولها
شقيتُ بنفسى والحسود عذيرها فكيف شقائى والحبيب عذولها !

مرثية فقيد الوطن والعلم
قاسم أمين[1]

أودى البكاءُ بمعوز السلوان وبقيتُ بين طوارق الأحزانِ
طوراً تكاثرنى الهمومُ وتارةً آوى إلى صبرِ الضعيفِ العانى
يا دمع رفقًا بالمحاجر واتئد فالمرءُ رهنُ قطيعةٍ وليان
ولقد علمتُ وإن عرتنى وحشةٌ أن المنايا آفةُ الإنسان
إن الفجيعةَ بالرجالِ أجلّها فقد الكفاةِ لطارقِ الحدثان
لهفى على الفضلِ الصريح إذا ثوى فى حفرةِ القرم العظيم الشان
ليتَ الزمان وقد أرادك بالذى يأبى أحسّ بمقتلى فرمانى

(١) توفى قاسم أمين عام ١٩٠٨ .

مـال الرجـالُ أمـام نـعـشِك حـسـرةً | مـيلَ الغـصـونِ مع النسـيم الواني
وضعوا الشمالَ على الجفونِ وأختها | مــوكــولة بمجــامعِ الأشـــجــان
وبكى الجليـدُ بكـاءَ ثكلى واحـد | فــرد رمـــاه مـــقطر الفـــرســان
فاذهب كما ذهبَ السحابُ محببا | تثنى عليــه نفــحــةُ الريحــان
يا سـعـد مـا فـعل الزمـانُ بماجـدٍ | غــدَر الزمــانُ بعــودهِ الفــينان
قـد كنتَ تدعـو للعظيم مـغلبـاً | يدنى الرجــاء بهــمــةِ المعــوان
قـد كـان يدنى من فـؤادِك حبّـه | صــدق الجــهــادِ وصــحّــة الإيمان

رثاء قاسم أمين

الدمعُ بعـدك قـد أصابَ مـسيلا | والرزءُ مكّن فى الضلوعِ غليـــلا
وعـدا على الآمال بعـدك عـاصفٌ | صــعبٌ أمــرَّ رجــاءنا المعــســولا
كـانت تفـتح كـالزهورِ فـيجـتنى | لحظُ العــيـــون بهـــاءَها المطلولا
فغَدت كوجهِ التربِ أعوزه الحيا | جــدباً ضنينا بـالثــمــارِ وبيــلا
هل عند رهن القـبـرِ أن زفيـرَنا | يقــرى الســلامَ جنابه المأمـــولا
هل عنده أنى افـتـقـدتُ بفـقـده | رَبُّ الكفــايةِ بكرةً وأصـــيـــلا
أخذَ الفـؤادُ على الجـفون وثيـقـةً | أن لا تميـل إلى العـــزاءِ قليـــلا
ولقـــد رأيتُ الدهرَ فى أحـــوالهِ | تخـذ الأمـانَ على النفـوسِ دليـلا
قل للذى لم يصم رزؤك قلبَـــه | إنى حـــســبت فـؤادَه مـدخــولا
كـيف احتـواك القبـرُ فى أحشائه | ولقـد عـهـدتك صـارمـاً مسلولا
يارُبَّ أقــوامٍ نفــيـت ضــلالهم | وعـجـمـتـهـم حـتى أقمتَ مميلا

أخـذوك بالطرفِ الحسـيـر وربما | بعث العليلُ إلى الضـيـاء عليـلا

زورة حبيب

جعلتُ فيك على العلات آمالى | لما انتزعت حديثَ اليأسِ من بالى
ورحتُ أدأبُ والآمال تُسعدنى | حتى سئمتُ على الآمالِ أحوالى
وفاتنى الحظُّ منبوذًا بمنزلةٍ | ينمٌّ فيها الهوى عن راحةِ السالى
حسبت دمعى قرى والشوق منتجعاً | وخلت قلبى لهيباً والجوى صالى
جريت فى الحبّ مدفوعًا بلاعبث | فما اعتذارى إذا ما فاتنى التالى
يسعى أُناسٌ إلى وردٍ لينقذهم | من الغليلِ وهذا الورد يسعى لى
يا أيها الزائر المدلى بمعذرةٍ | وفى تمهلهِ لو شاءَ إبلالى
لو أننى مودع فى طَىٍّ مقبرة | تسعى على تربها أحييت أوصالى

الحبُّ والرقة

شكوتُ إليه ذلّتى فتحكّما | وأرسلتُ دمعى شافعاً فتبرَّما
وقال له الواشون أنت وصلته | ببعثك طيفاً فى الكرى فتظلّما
وخبر أنى قد تخيلت أننى | تزودتُ منه قبلةً فتألّما
وخبر أنى سوف أخلس نظرةً | إليه فأضحى بالحياءِ ملثّما
وإنى لأهوى أن أموت لعله | إذا مرّ ذكرى فى الحديث ترحّما

فى الفخر والحكم

نقم الحقودُ جنايةَ الرجحان | ومحا النعيمُ فضيلةَ الحرمان
ما زاد ذو جدٍّ ليحتاز العلى | لكنّه قد زادَ للنقصان

ولقد علمتُ وإن شكوت خصاصةً ... ان المنيــــةَ غـــايةُ الإنســـان
عَجَمَ الزمانُ عزيمتى وعجمتُه ... فكأننا علمــان يصطدمــان
ولئن سفلت كما عليت تواضعاً ... حيث الأسافل ما جهلت مكانى
صاحبتهم بالشك حتى ذقتهم ... فعلمتُ أنى قد أبحتُ عنانى
وإذا كريت عن الحوادث غرةً ... راعيتها بلواحظِ اليقظان
روّضتُ نفسى للطماح فراعها ... أنَّ الأمانى آفةُ الإنسان
أربى بنفسى أن أبين سريرتى ... لمضلل قد غرَّه إعلانى
وملمة تنسى الجبان حياتَه ... كشّفتها بحفيظتى وبيانى
ولربما أدع المناظر أبكما ... فى موقفٍ ما حار فيه لسانى
وإذا الحوادثُ نوَّهت بملمّةٍ ... لتروعنى لا يستطارُ جنانى

إلى صديق

دافع الآمال بالتُّهمِ ... لو قراه النومُ لم ينمِ
فيبيتُ الليل يسهره ... وهو يرجو الوصلَ فى الحلم
وإذا ناجى مسامره ... لم يجبه النجمُ من صمم
فاجتباه السهدُ يؤنسه ... واجتباه الحبُّ للألم
وشبابُ الليل متهمٌ ... يقرع الأفلاكَ بالظلم
دبَّ فيه البدر مهتتكاً ... (كدبيب النار فى الفحم)
واستباح الصبحُ دولتَه ... إذ رماه الفجرُ بالهرم
لم يدع منه الصباحُ سوى ... رمقٍ فى شخص منعدم

يقــتــفـيــه وجـهُ ذى خلق أصله من عنصـــرِ الكرمِ
قــد أنار البــشــرُ صــورتَه فـهو فى التعبيسِ يبتسم
حـلّ بـين الـنــاسِ مـنـزلـةً كحلولِ الصفوِ فى الشيَم
واقعٌ فى حــيث لا دنس مــوقع الآمــالِ فى الهــمم
ســائرٌ إلا إلى عــبثِ واقــفٌ إلا عــلــى نــدم
نفـسـه للفـضل تدفـعـه فــهــواه غــيــرُ مـتَّـهـم
جـالَ فـيـه المدحُ ملتـئـمـاً كمجالِ الحمدِ فى النعم
ومـشـت فـيـه فـضـائلُه مــشــيــة الآرام فى الحــرم
وجـدت فـينا مـحـبـتـه كـوجـودِ الدين فى الذمم

ضيقة حال

أعــاتبُ دهرى أو تهــون خطوبُه وأعـذلُ حـالى والدمـوعُ تئـيـبُـه
وكـيف ألومُ الدهرَ فيـمـا يريبنى وأحـسـنُ شيءٍ فى الزمـانِ عـيـوبه
ســأندبُ حظى والأمــانى شـواردٌ كـأنى سـقيّم قـد جـفـاه طبيـبُه
إذا عــبثَ الدهرُ اللئـيمُ ببـائسٍ فحسب نصيبى أنَّ مثلى نصيبه
وصرتُ كمـا شاء الزمـانُ مخـيبـاً يعــاتبنى قلبى كـأنى رقــيـبــه
ودافعتُ آمـالى كـأنى سئمـتُـهـا وأخلفنى صـبـرى كـأنى أريبـه
وَضَـاقَتْ بى الأحـوالُ حتى كـأنَّـهـا فـؤاد مـحبٌ غـاب عنه حـبيـبـه
أضن بصــدرى أن يلمّ به الأسى على الخطبِ إلا أن يضيقَ رحيبه
ولا ارقـبُ الآمـــالَ إلا تـعـلـلاً لعلّ الذى يعـدو المراد يصـيـبـه

سأذكرُ أياماً نعمت بلبسها ... إذا ماشدا عند النضيرِ خطيبه
وما أنا ممن لا يعزى فُؤاده ... إذا خان جدّ أو تناءى قريبه
وللمرءِ أحوالٌ تريد عزيمةً ... يذود بها عن قلبِه ما ينوبه
إذا كان دون الشيبِ للمرءِ مانعٌ ... من الموتِ لم يجرؤ عليه مشيبه

رثاء الشيخ محمد عبده[1]

سجرت فؤادَك حتى خمد ... وأرخصت دمعك حتى نفدْ
وحق على العينِ أن لا تنى ... تشرد من دمعها ما جمد
أردتَ الوفاءَ فهان البكاءُ ... ورمتَ التعزّى فخانَ الجلد
وأسمعك الموت حتى أصم ... فهل للذى فات من مسترد
ولو أقصد الموت غير الإما ... مِ لهان على مصرَ من تفتقد
فكم من مضلٍّ له قد عنا ... وكم من شقيٍّ به قد سعد
ترقب منه الردى غرة ... فقد صار يمزح حتى عمد
أبى ذخره أن يهابَ الردى ... وقد عرف العيشَ حتى زهد
وإنَّ الفتى ليخاف المما ... تَ وما جنب الورد حتى ورد
يقيم على أملٍ خادعٍ ... ومن غرَّه العيشُ لا يقتصد
يرجى سفاها متاب الغدا ... ة فهل أمن الموت من دون غد
وما أخطأ الموتُ فى حكمِه ... ولكنْ لكل بقاءٍ أمد
وقد نال من فضله الحاسدو ... ن حتى الزمان عليه وجد
فيا آية الله لم تقصرى ... فقد عرف الحقُّ من قد جحد

(١) كانت وفاته يوم ١١ من يوليو عام ١٩٠٥ .

وكم رام شأوَك من حاقدٍ | فما ذمّ فضلك حتى حمد
وهل يجهلُ الضوءَ إلا العمى | وينتقصُ الشمسَ إلا الرمد !
وهل يُنكر العيبَ إلا الرضى | وهل يجحد الفضلَ إلا الحسد !

عقيدة الحبّ

زارني والطرفُ مسلوب الكرَى | وانثنى والجسمُ مسلوب الفؤاد
حالة لم ينعم الطرف بها | فأباح الطيفُ لى طعمَ الرُقاد
لم يدر فى خلدى السلوان حـ | ـتى كان الحبُّ فى قلبى اعتقاد
إنما يوحش فى القرب التجافى | مثلما يوحش فى البعد افتقاد
إنْ يَجُدْ بالوصل يُحى رمقاً | هالكاً من مطله هلك اقتصاد
خطة الهجران ما أنكرتها | هكذا الآرام لا تعطى قياد
وعيون ناطقات بالكرى | ألهمتنى كلَّ معنى مستفاد

وصفُ راقصة

آنسةٌ تمرحُ فى جلبابها | كأنها تعجب من شبابها
وشعرها كامة تعنى بها | راقصة كالصلِّ فى انسيابها
كأنها تدور فى إهابها | تكاد أن تخرج من ثيابها

وثوبها يكاد أن يزهى بها !

حالات الحبّ

مـا لعـينى خـانهـا الدمعُ ولا ... عـذر للعين إذا لـم تـسـجمِ
نفـد الدمع على طول البكى ... فـاسـتـعـار الحب لحـمى ودمى
أنا والآلام تسـتـهـدفنى ... نـادم لـو كـان يغـنى نـدمى
قـد كـرهت النومَ حـتى إننى ... لـو أتانى طيـفُكـم لـم أنم
مـا أبالى والهـوى يبـرئنى ... إن رمـانى حـاسـدٌ بالتُّـهم
هانت الأنفسُ فى الحبِّ فـلا ... ترحـم العـاشقَ إن لـم يسـقم
إن أعنت الصبّ فى حمل الهوى ... هـزئت أعـضـاؤه بالألـم
قـد منعت الوصلَ من غيـر قلى ... فـارض لى الصـدَّ إذا لـم يحـرم

طلعة وشجون

يا طلعـةً طلعت بكلِ شجـونى ... أجـهـدت قلبَ متـيمٍ مـفـتـون
ومن العجـائبِ أن تـصد حـبيبة ... وثقت بحـب الصـادق المـامـون
أنا فـى هواكِ بمنزلٍ لم يعـده ... أسف الحـزين وحـالة المجنون
رضى الفـؤادُ بذلتى وخـصـاصـتى ... أرثيـتِ أنـتِ لـذلـك المسـكين ؟
طورًا تكـاثرنى الشـجـونُ وتارةً ... آوى إلى صـبـرٍ عليك أمين !

الحظ القليل الكثير

حـسبى من الدر أنى كلمـا نظرت ... عـينى إلى الأفق جـادتنى بـلألاءِ
وإن ترصّـدَ للأسـعـار جـاهلُهـا ... مـا ضـرّنى حـالُ إرخـاصٍ وإغـلاءِ

وإن ترفع بالأسـرار كـاتمهـا　　ناجيت صوت التقـاء الماء بالماء
وإن تمادى غنى فى غـوايتـه　　علمت أنى كـفيت الداءَ بالداء
إنى لأنظرُ بالعينِ التى نظرت　　مـا بين ذلك من حـالات آلاء

حساد على الصبر

نقم الحسّـادُ أنى صـابر　　رُبَّ صبـر فى فؤاد البائسِ
قـد رأونى ذا سـلام صارمٍ　　ربّ ثَلْمٍ فى سلاح الفـارس

الحزن والسرور

إنّمـا الحـزنُ والسرور غـذاءٌ　　لفؤاد الإنسـان طولَ الحيـاة
فـإذا طاح بالسـرور قـضـاءٌ　　فـارضَ بالحـزن قبل أن لا يؤاتى

مواطن الأشياء

تعرض الأشـيـاء فى أوطانهـا　　آفـة الجـوهرِ أن لا يعـرفـا
كم جـهـولٍ عـزبت عنه النُّهى　　نَبـذَ الدرَّ ونالَ الصَـدَفـا

إلى صديق
بعد إبلاله من مرض

رضـينا بالبـعـادِ وأنت دانى　　فـصـرتَ على بعادك كالأمـانى
وكلّفنا احـتـجابك عنك صبـراً　　وهل يغنى السـماعُ عن العيـانِ
وكـيف تنالك الدنيـا بشىءٍ　　وأنت البـرءُ من حَـدَثِ الزمـان
ومـا هزئت بصـعـدتك العـوادى　　ولكن غـرّها سلس الليـان

ولما جـــاءك الأملُ المرجّى طعلت طلوع يوم أضحيان
ببشرٍ مثل ما نقم الأعادى ووجهٍ مثل ما عشق الغوانى
أرانى يوم أغبطُ فيك نفسى كأنى لستُ أمنحك التهانى !

شاهد الدمع

أحبيبُ لو دبت إليك صبابتى لعلمت أن الحبَّ ليس بمنكر
لا تحسبنّ الدمعَ ليس بخلقه إن البكاءَ موكلٌ بالمحجر
وهل ابتغيتَ على وفائى شاهداً أم هل دللتَ على الصباح بنيّر ؟ !

رثاء الحبّ

ولا تدفنوه بأرضٍ خَلاء فقد كان يأبى المكانَ الجديبا
ولا تنزلوه صميمَ الفؤادِ فإنى أخافُ عليه الوجيبا
ولكن بحيث غناء الطيور يقريه لحنًا لذيذاً رطيبا
وإنى لأخشى عليه الأذى كما كنتُ أخشى عليه الرقيبا
وإن خليقًا بطيبِ المقام من كان يهدى إلىّ الحبيبا
فلا تشمتوا بعظيمٍ مضى فقد كان فينا قديراً مهيبا
ومن عجبٍ أن أراه الحميد وقد كان يدمى الكُلَى والقلوبا
يصول بحالين هجر ووصل يشبّ لهيبًا ويطفى لهيبا
تعالوا نُظَلّلْهُ بالغاديات من السحب لو أسعدت مستثيبا
وننهله من قطرات الندى هنيئاً وننزلْهُ روضاً قشيبا

استهداء رَسْم جميل

يا أبيًّا يعــافُ مــدرجــةَ الجـا ه إذا مــا رأى عليــهــا الهــوانا
قـد عــهـدناكَ منعـة لضـئـيل الـ ـحظ إن لـده الـشـقــاء طعــانا
وعــهـــدناكَ أعظم الناسِ قلبًــا وجـــمــاحــاً وهمـــةً وبيـــانا
تـرسل اللفظَ فى مناجــزة البطـ ـل فـيـهوى سـيـفًـا وينحى سنانا
أنـت خـلو من المداجـــاةِ واللؤ م إذا اسـتـعـبـد النفـاقُ الجبـانا
فــسـقـىَ اللهُ عـزمـةً لـك شـمــا ءَ ونـفـسَـاً لا تـسـتطار جنانا
إن لـى حــرمــةً لديك على مــد حـيك لا تجـزنى عليـهـا امتـهـانا
كـــان هـارون يمنح الخلـع الغـ ـرّاءَ براً بأخـتـهـا وامـتنانا
ولديك الشـفــاءُ من سـقـم القلـ ـب إذا كنتَ تحـمـد الإحـسـانا
طلعـة ضـمـنت مـصـارع قـتـلا هـا اعـتـداء وأودعت أشـجـانا
من مـجـيـرى من الذى تبل القلـ ـب وليس المواصل المعـوانا
شـــرع اللحظَ ثم قـــال لطرفى فى وعـيـدٍ : هن يا عـزيز فـهـانا
فـــأنا اليـــوم إن رمـــانى بلحظٍ قـال طرفى يا مـقلتـيـه أمـانا !

عبادة الحسن

عجبتُ لأشجانٍ مجوسية اللظى أصارتك معشوقًا فصرتَ معبَّدا
وراضَ لى الأعـذار أنى شــاعـر وأنك قد أصبحت فى الحسنِ أوحدا
حنانيكَ يا هذا الحبيب على فتى يحبك حُبًّا حيث ما نفـد ابتـدا
يبيت سـميـرَ الليلِ يخفق قلبُه فيسعده القلبُ الذى ضمن الصدى

نشــدتك لو جــاءَ النعيُّ مــخـبّـراً بموتى فــلا تحــبس بكـاءً مــرددا
وقـل رحمَ اللهُ الوفيَّ الذى قـضـى ولـم يـلق منى فى المحبـةِ مـسـعـدا

الـود الرخيـص

أيهــــا النـاقـم الذى أطلق الكيـ ـدَ ولـم تـثـنـه هـوادةُ حـلـمـى
قـد حلمت الودادَ من غيـر أجـرٍ فـقـبلـت الجـفـاءَ فى غـيـرِ جـرم

إلى صديق

وقــفـتُ عليك القلب عند منازلٍ أوائلهــا مــعـقـودةٌ بطمــوعِــه
فكنـت أخـافى النائبـات وسـاعـداً قـديراً يـردّ الخطبَ قـبل وقـوعـه
تكـثـرت بـالأنـصـار حـتى عـرفـتـه فغـابت غيـابَ الشكِ عند طلوعه
وحـسـبى من الحظِّ المدلِّ بنفسـه إذا قـيـلَ هذا القــرم ملْءُ ضلوعــه

لجـاجـة الحـب

همــو قـيـدوا قـلبى بـهـا وتـواقـفـوا طويلاً مع الأهواءِ يدفـعـهـا العـتبُ
يريـدون أن لا يجـمـعـونا سـفـاهـةً وما نحن إلا الخمـر والبـارد العـذب
يقــولون لا تعطِ الغــرامَ مــقــادةً فـمـا هو إلا الخطب أو دونه الخطب
لك الخـيرُ لا تجزع فـمـا لك حـاجـة إليــهـا ومـا يدرون مـا فـعـلَ الحبُّ
ألا لى غــيــر الخـيــر لى كـل لاعجٍ قـدير من الأشجانِ يضـمـره القلب
هوى نازع الأحـشـاءَ فى مسـتـقـرهـا وأحـدث مـا لا يسـتـحـث له اللب
لقـد أضـمـر الغيبُ المضللُ وصلهـا فيا ليت هذا الهجر أضـمره الغيب

غلالة الصهباء

زارنى زورةً أتيـــهُ بهـــا مـــا تاهَ بالعـزِّ صــاحبُ الخيــلاءِ
قلتُ يا ظالم القلوبِ ترفق بحنينى ولوعـــتى وبكائى
فتمشّى الحَياءُ فى الخدِّ حتى حجبته غلالةُ الصهباء !

مخادعة الهم

نحن قـــومٌ إذا تطرقنا الهمُّ خـدعناه بالرحـيقِ المشـوب
ثم ننفيـــه بالأزاهرِ والشعـ ـرِ ووصلِ المنى وعطفِ الحبيب !

العذر فى الكأس

أيُّها العاذلون فى الكاس مهلاً قد جهلتم علالةَ العشّاق
هى تبر يحيى الطلاقةَ فى النفـ ـسِ ويمحو غضاضةَ الإملاق !

خطرات فى الحياة

قنوع اليأسِ يجحدنى رجائى وهمُّ النفسِ داعيـــةُ الرخاءِ
وقد غَلَبت صروفُ الدهرِ حزمى فجالدتُ المصائبَ بالنجاءِ
وقد سلبت صروفُ الدهر منى كما سلب البقاءُ من البهاء
وقد يُغنى العزاءُ عن التمنّى وقد يُغنى الطلاب عن العزاء
أأجزع من مجالدتى الرزايا كأنى لستُ فى طلب العلاء !

مجلس

أسفرَ وجهُ الأفقِ بالصباحِ — كأنه يبسمُ عن أقاحى
وكلُّنا من منتشٍ وصاحى — قمنا نحيى الفجرَ باصطباحِ
ونخلطُ الوقارَ بالمراح — لا نؤثرُ الجدّ على المزاح
فعرضنا ليس بمستباح — ثارت بنا إلى كؤوس الراح
ولم نطع فى تركها اللواحى — شبيبة تدعو إلى الجماح

سبيل الحب

إذا كان لا يرضيك أنىَ هالك — بحبِّك فابعث فى المنامِ خيالكا
وأجهلُ أسبابَ الهوى غير أننى — أسائلُ عنها مقلتى وجمالكا
محبُّك لو تدعوه والنارُ بينهُ — وبينك تبغى موتَه لسعى لكا

عناءُ الليل والحبّ

ما لحدادِ الليلِ لم يخلعِ — وما لعين الأفقِ لم تهجعِ
لعلّه يفرق من هيبتى — أن يخلسَ الأنداءَ من أدمعى
وربَّ ليل ملّنى جنحه — لو مرّ بالمخطىءِ لم يجزع
قريته من زفرات الحشا — فما لهذا الليل لم يشبع
لم يُدمِ قلبى طول هجرانه — لكن سهمَ اللحظِ لم ينزع
أبدلنى بالوعد من وصله — لكننى بالوعدِ لم أقنع
إن لم أكن عن حبّه مقلعًا — فما لهذا الصدُّ لم يقلع

إن لم يكن حبى له شافعى		فما لجنح الليلِ لم يشفع
إن أشفق الغيث على تربهم		أقولُ هل خانهمو مدمعى ؟
هل حيلة تصرفنى عنكم		فإن صرفَ الدهرِ لم يزمع
دلوا على عطفكم مولعاً		ظمآن لا يسلو ولم يطمع !

خطرات الحبّ

حبيب هل عوتبت فى مغرم		فإننى عوقبتُ فى ظالمِ
إن يك منك البخلُ مستحسناً		فرحمةُ الله على حاتم
لئن أرانى عتبكم عطفة		فإننى أشبهُ بالنائم
أعلم أنى فيكم هالك		حتى كأنى لستُ بالعالمِ
أثريت لما أن تجافيتمو		من مدمعى باللؤلؤِ الساجم
إن تك قد غرتكم صبوتى		لا تستحثوا خدعةَ الراغم
أو أكُ فى معتبتى آثماً		كيف استجزتم زلةَ النادم
أو أكُ بالكتمانِ عاهدتكم		ما حيلتى فى لغط الحالم
وبالمنى أفدى الذى قال لى		ما أنتَ فى حبِّك بالغانم
إذا الرضى أعلن فى ثغره		فخادعٌ أشبه بالباسم
وإن تبدى السخط فى وجهه		فمعتب أشبه بالناقم
وإن أرم إرضاءه جاهداً		لأسكرتنى نظرة الواجم
لو أثم العاشقُ فى حبِّه		لاشتبه المظلومُ بالآثم
لئن يخاصمنى الهوى فيكمُ		عند المنى كان الهوى خاصمى

كيف أرجّى رحمةً منكمُ | إن كان قلبى ليس بالراحم ؟
من كان من أسقامه واثقاً | لم تستمله قالةُ اللائم
من يجعل الحبَّ شفيعاً له | خاصمه الحبُّ لدى الحاكم !

زهرة ووعد

وما زهرةٌ صان الربيعُ بهاءها | وكلّلها الإصباحُ باللؤلؤِ الندى
بأحسن من وعد الحبيبِ وفرحة الـ | ـمحبِّ وقولِ العاذرِ المتودد

اليأس من الحب

وكيف يكونُ الحبُّ عنى راضيًا | وقلبى عنه بالحوادثِ مشغولُ
أشايعه حيناً على ما يريده | وإنّى لأدرى أن ذلك تعليل
ولا راحة فى العيش ما دمت هكذا | يبغضنى فى العيشِ يأس وتاميل
إذا كان طرفى خاننى فى دموعه | فإنّ فؤادى لا محالةَ مدخول !
وضيعنى القومُ الذين حفظتهم | كأنى معنى بالإعادة مملول !

طول الليل

يا ليلُ هل وقف الفلكْ | أم هل دليلك قد هلكْ ؟
ووقفت تلتمس الطريـ | ـقَ فساءَ ظَنُّ الصبِّ بك
ولقد ثقلتَ على المحبِّ | فهل ثقلتَ على الحبك ؟
بينى وبينك يا ظلا | مُ وبين طرفى معترك
يا من أباحَ مقاتلى | وأحلَّ فى صدرى الضنك

لولاك مـــا عـــدل الحســـو   دُ عـلـى هـواكَ ولا مـــــحـكْ
لو كنتَ مـــحـــتكمـــاً عليـ   ـنا لانتـــصـــرتُ عـليك بـك
لـو كـنـتَ تـقـــــضـى بيننـا   لـشكـوتُ عـــــذالى إليـك !

عفـة الطـرف

لـو أن طـرفـى فـــــاسقُ   لـعلـمـت أنـى عـــــاشـقُ
أغـضـى لحـاظى عـفـةً   لـكـنَّ دمـــــعـى نـاطـق
إنَّ المحـبَ مـــــشــــردٌ   فـكأن نـومـى عـــاشق !

لحن يتمشى بالألم

مـطـربى الحىِّ تـعـــالوا أيـقـظـوا   ربـةَ الـدلِّ عـلـى وقـع الـنـغـم
واحـــذروا من رقـــةِ الـســامع أن   يـتـمـشى اللحنُ فـيـه بالألـم !

الأمـانى حـدق

يـذكـرنيـك ضـيـاءُ الهـلالِ   إذا مـا الـهـلال بدا فى الغـسق
فـإن تـكُ قـد غـبتَ عن ناظرىَّ   فـإنِّى تخـذتُ الأمـانى حـدق !

الخمـود والجمـود

قـد أداروا من الخمـود عـقـارا   واسـتـبـاحـوا من الذهولِ وقـارا
واسـتكانوا فـأنفـذ الدهرُ فـيـهم   حكمَـه واسـتـردَّ مـا قـد أعـارا
سلكَ العـجـزُ فـيـهم مـسلك العز   م فظلوا يرون فى المجـد عــارا
لـيـتنى متُّ قـبـل أن أُنكرَ العـيـ   ـشَ ولكننى فـقـدتُ الخـيـارا

أنا فى ذمـــةِ الـزمـــانِ ولـكـن   لا أســيغُ الحـيــاةَ إلا اضـطرارا
يا بنى مـــصـــرَ والمذلة عـــار   إنما يُنكـر المفـــيقُ الخـــمـــارا

الـروض والهـجـير

بعثَ الهـجير إلى الزهور نسيمَـه   بتنفـس كـــتـنفس الولـهـــانِ
خلس الهـجير إلى الزهورِ حياتها   فـغـدَت كطرف الناعسِ الفـتـان
ودّت ذواتُ الحسنِ أن لبوسـهـا   مـن نـسـج ذاك الـرائـع الألـوان

معـانى النظـر

لـهـــا نظرٌ جمٌّ المعـــانى إذا رنت   سـألت فـؤادى أى مـعنى تـريده
إذا نظرت طاحت بقلبى نشـــوةٌ   فـينحل مـعـقـود العـزاءِ جليـده

شـفق الغـروب

وكـــأنما شـــفق الغـــرو   بِ إذا استـقـرَّ على الغـدير
خـجل المليـحـةِ يومَ يجـ   ـلوها الزفـافُ إلى الســرير

الحيـاة قمـار

إنّى رأيتُ المساعى فى مَصَادرِها   والنَّاس مـا بين مـهـمومٍ ومـسرور
مـقـامـرٌ ظافـر راضٍ بقـسـمـتـه   وآخـــر ناقمٌ فـــعلَ المقـــادير

الخاطر والزمن الخالى

يـمـــرُّ بى الخـــاطرُ فى شـجـوه   على هوى فـاتَ وعـهـدٍ قـديم
كـمـــا تجـول الـريحُ فى مـرِّها   بـدارسٍ رثٌّ ذلـيـلِ الأديـــم

الثَّبـاتُ

ثبـاتًا فـإنّ العـارَ أصـعـب مـحـمـلاً ... من الذلِ لا يفـضى بنا الذلّ للعـارِ
وإن تحـسـبـوها خطةَ الطيش إننا ... ذوى العزمِ لا نـغضى لصولةِ جـبار
فـإن روعـونـا كى يقـودوا أشـدة ... ثبـتنا على التـرويعِ نـلهـو بأخطار
فـمـا زادنا التـرويعُ إلا حـمـيّـةً ... وهل حسبوا أن يطفئوا النارَ بالنار
سـيـهـزمـهم منا أبوةُ مـاجـد ... وهمـةُ خطار وعـزمـةُ مـقـدار
فيـا قوم لا حـقـقـتمو قـولَ عـازبِ ... عن الحقِ يستـخـبى الرياءَ بأعـذار
أقـيـمـوا بنا نـهجَ الطريق لغـيـرنا ... فـإنا بنى الأوطانِ كـالجـارِ للجـار

الحـب أعـمـى

يا رئم هل للوفـاءِ مـرتجـع ... فـالحـبُّ أعـمـى يقـوده الطـمعُ
وإن رأيـتَ المحـبَّ ذا ضـرعٍ ... فـفى الصـبا لا يشـينه الضـرع
وليلة بالنجـومِ حـاليـة ... رعـيـتـهـا والفـؤادُ منصـدع
ضـنَّ بـهـا الدهـرُ أن يزوّجـهـا ... فـجـاء نورُ الصـبـاحِ يفـتـرع

لغـز الحيـاة

إذا كـان فى موتِ الفـتى راحـةٌ له ... فـأى رجـاءٍ فى الحـيـاةِ يريدُهُ
عـجـبتُ لهـذا الدهرِ إمّـا يغـرنا ... ببعض المنى حتى يرجى حـميده
وإمّـا شـقـاء ليس يرجى نفـاده ... تمرُّ علينا خـيـلُه وجـنـوده
أنضـحكُ أم نبكى وهـذا زمـانُنا ... عـجيبٌ لدينا وعـدُه ووعـيـدُهُ

دواء الملل

مللتُ فكان العتبُ مني سفاهةً   كلانا له ممن يملُّ بديلُ
ولولا خداعٌ شَابَ طبعك لم يكن   إليك لمن يبغى الوفاء سبيل

الروض بالليل

نزلنا ليلةً بالروضِ نسعى   كسعيِ العامدين إلى يسارِ
إذا لاحت أوائلهُ ابتهجنا   كأنا قد نجونا من إسار
أمنا صولةَ الأيامِ لمَّا   رأينا الروضَ محمود الجوار
إذا ظمىء الفُؤادُ إلى بهاءٍ   فإنَّ الروضَ يذهب بالأوار
شربنا باللواحظِ ما رأينا   من الحسناتِ والطرف الكثار
بهاء آخذ بالنفسِ يسطو   بمثل الخمرِ مأمون الخمار
يميلُ الغصنُ من طربٍ إلينا   كأنَّ الغصنَ مخلوعُ العذار
ومرأى النجمِ من خلل الغصونِ   كمرأى الحسنِ من خللِ الستار

البرق

شَبَّ برقٌ فى فحمةِ الليلِ ماضٍ   شبَّ فى أضلعى لهيبَ الغرام
أنت لحظٌ من الحبيبِ إلينا   أم مغير من طائشات السهام !

أمنية

ولقد قلتُ إذ رأيتُ حبيبى   يتغنى بطرفةٍ من شعرى
ليتنى فى خلال بيتٍ رقيقٍ   لاثماً ثغرَه باطرافِ ثغرى !

جسـم وقـبر

ليس جســمى الذى ترون ولكن ذاكَ قــبــرٌ لمـا تكنّ الضلوعُ
من شــجــونٍ ولوعــةٍ وادّكــارٍ وهمــومٍ تنمُّ عنهــا الدمــوع !

النجــوم

لعــمــرك مــا أدرى أتلك أزاهر مـفـتـحـة أم قـد رأيتُ أمـانيـا ؟
ويبــعـثن نحـوى باللحــاظِ كـأنما يردن ليـعـرفنَ الذى فى فـؤاديا !

الخمــول

إنى وإن كـنـتُ مـنـبـــوذاً بمـنزلةٍ ينمّ فيها الرضى عن موضعِ العجبِ
لذو فـؤادٍ ذكى الطبعِ مـخـتـبىءٍ بين الضلوعِ اختباء البرقِ فى السحب !

نصيب قـليـل

اجـعل الدمعَ والسـهـادَ نـصـيـبى واجـعـل الطيفَ عـاذلى ورقـيـبى
حـسـب الصــدّ أن يميل بقلبٍ ذى شـجـون عن أن يراك حـبـيـبى
لست أصبـو إلى الملالة والهـجـ ـرِ ولو قلّ فى هـواك نصــيــبى

الـروض والحـب

زارنـا والـليـلُ منبــســطٌ فــرأينـا طلعــةَ الشــمسِ
قــمت أسـعى نحـوه جـذلاً وأفــدى النفسَ بالنفس
ثـم عـجنا نحــو حــاليــة ببـــديع طيِّبَ الغــرس
وغنـاءُ الطيــــرِ يطربنـا كــالغــوانى ليلةَ العــرس

صديق عـــدو

تناوشنى الوشـاةُ فـأدريهــا ولكـنْ أنتَ مـغـفـرها المتينُ
وكـيف أصيـبُ أعدائى رماء وهم يحميهمُ الدرعُ الحصينُ ؟

كلمة فى الشاعر بيرون

تقول قولاً فتذرى الدمعَ من شجنٍ كـأنَّ قلبَك مـدلولٌ على العِـبـرِ
ألبـستـه من سوادِ الحزنِ ضافيـةً فخلتهـا من سوادِ القلبِ والبصر
فكرٌ كـأنَّ مـلاكَ الوحى يُسـعـده مـوكَّلٌ بصـروفِ الدهرِ والغـيـر
إذا ظفـرت بمعنى كـان مـوقـعُـه ألذَّ من وقــعـات النجحِ والظفــر
قـد اجـتـبـيت من الآراءِ أشرفـهـا حتى كأنك معنى الصدق فى الخبر !

إلى صـديق(١)

ســامـــر الليلَ بابنةِ العنقـــود وأدرها ترح فــؤادَ العـــمـيـــدِ
خلدت فى الدنانِ حـتى لقـد أَر بَت سنوها على مـدى التخليـد
وئدت كى تعيش حـتى لقـد حا لت وجلت عن هيـئـةِ الموجــود
وتعـدت مـدى الصـفـاء فكادت أن توازى من خلقِ عبـد الحميـد
مـسـتـحـيلُ النديدِ منقطعُ القـر ن لدى مــأقط البـيــان الشـديد
مـتـقـصّى البـيـان يعضّـده الحق برأيٍ فى النائبــاتِ ســديد
أنتَ قــد قــمتَ بالنثـيـر ولكنـ ـك أزريتَ فـيـه بابن العـمـيـد

---

(١) هو الصديق الجليل والأستاذ المفكر عبد الحميد بك بدوى (والقاضى بمحكمة العدل الدولية بلاهاى فيما بعد) .

واطمـأنت بك البـلاغـة حـتى   نسـيت عـهـدها بعبـد الحـمـيـد
وفــضلتَ الورى فلو نظم الكو   ن قصيداً لكنتَ بيتَ القصيد !

موعــد

موعـدٌ يجـذب الفـؤادَ إليـه   سـأذم الزمـانَ حـتى يَحـينا
ووصـالٌ أشـهى لـدىَّ من النجـ   ـحِ سـأفنى الرجـاءَ حـتى يكونا
يا حـبـيـبى لقـد أقـامَ بنا الهـجـ   ـرُ على حكمِـه فكيف رَضينا ؟

عـذير الحب

غــال قلبى بالصـدِّ حين تخلى   أتـراه يـضـن بـالـوصـلِ بخـــلا
إن يكن للعـذولِ فـيـه عـذيرٌ   فـالعـمـيد الشجى بالعذرِ أولى !

عذاب ونعمـة

من اسـتـعـار النومَ من ناظرى   ومـن أبـان العـذرَ للعـاذرِ
إن فندوا السـاحـرَ فى فـعلِه   فـإن سـقـمى حـجـةُ السـاحـر
وردت ظـمـآن فـلـم أرتـو   مـا أشـبـهَ الوارد بالصـادر
إنْ يعـقبَ الصـبـرَ رجـاءٌ فـمن   يؤمننى من مـيـتـةِ الصـابر
إنْ لم يَجِـدْ لى عـاقلٌ حـيلةً   مـا حـيلة المختـبلِ الحـائر
إنْ يجـعلَ الحبُّ شـفـيـعًا له   فـالحبُّ طوعُ الحـاكم الجـائر
إنَّ عـذابَ الحبِّ لى نعـمـة   وجـاحـد النعـمـةِ كـالكافـر !

في التبسط

أدر الكأس فقد طابَ الصبوح لا تطع في تركها قولَ النصيح
وافترعها نصطبح موؤدة خلدت في دنِّها من عهدِ نوح
عاطها أغيد معسولَ اللمى ناعم الأطرافِ كالرئمِ السنيح
جاءنا يمشي بعطفيه الصبا جيئة النومِ إلى الجفنِ القريح
قهوة مشمولة تبدى لنا مثل ما يلفظه الظبيُ الذبيح !

إلى عالم جليل

إن المقرَّ بما أُوتيت مجهود من ينكر الضوءَ والإصباحُ مشهودُ ؟
قد قمت بالبشرِ حتى قيل بارقة وقمت بالحلمِ حتى قيلَ جلمود
وألبس اللهُ منك الدينَ حلّته كأنما هو سِرٌّ فيك موءود

إلى صديق

لابد لي منك مهجوراً ومودودا فاكفف ولست بما تجنيه مجهوداً
وإن تكن لست تدري كيف تحفظنا على الوفاءِ فقد سمناك تقليدا

لقاء على صد

سائل بليلي هل ألوى بآخرِه خوف اغتماضي لما ملني السهد ؟
كم خفت صبري على من ليس ينصفني والآن إن رمت صبراً خانني الجلد
أبيتُ منبعث الآمالِ يحرسني من السلوِ فؤادٌ ملؤه كمد

وَنمَّ بـالحـبُّ لمـا زارنـي هـطـلٌ	من الدمـوعِ ونَـمَّت بالسـلامِ يـد
نبـيت يلـهـو بنا صـد وعـاذلنا	يبيتُ من وهمِه يلهـو به الحَسـد

حبٌّ من لوازم الحياة

شكوتُ إليه هجره فتعللا	وحق لمن أهواهُ أنْ يتدللا
ووافـقـه لينٌ فأرخَى لحاظَه	لأطلق طرفاً راجياً متذللا
وإنّي ليغريني بحبيه أنني	لثمتُ بثغرى ثغرَه فتهللا
ولستُ أبالي أن يضجَّ عواذلي	إذا كان وصلٌ منه يشمت عُذّلا
وما رغبتي في العيشِ إلا لأنني	أُؤمّل أن أهوى حبيباً مؤمَلا
إذا ما خلا قلبي من الحبِ طَرْفَةً	تقبل داءَ اليأس فيما تقبلا
وإن هجر الحبُّ الضلوعَ زهادةً	ترحل قلب الصبِّ فيما ترحلا
فما جاءَ داءُ الحب إلا مخادعاً	وما راحَ داءُ الحب إلا ليقتلا
يرجى المحبون الخلاصَ من الهوى	وأرغب أن أبقى المحبَّ تَلا

الهـوى

راحـةُ الهـوى تعبُ	واحتماله عَجَبُ
لم يدع بنا رمقا	إنّ صدقه كذب
وأعزَّ مطلبه	أنّ جدَّه لعب
الحبيبُ محتكم	فالقلوبُ تضطرب
بالعتابِ منعطف	بالدلالِ منسحب

للعيونِ مختطف   للقلوبِ مختلبُ
غاضبٌ ومن عجبٍ   يستحثنى الغضب
إن بكيتُ منتحباً   يستميله الطرب !

فى التبسط

ربَّ ليلٍ لبست منه شعارَ الـ   ـحزنِ حتى أبحتُ فيه السرورا
قد لهونا فيه بطيبةِ الأنـ   ـفاس ملء الكؤوس ناراً ونورا
روضتها السقاة بالماء حتى   خلت فيها السكونَ شيئًا ستيرا
ثم صار الزجاجُ من عنصر النو   رِ وصار المزيجُ فيه ضميرا !

مغنم أم مغرم

لو أن الهوى مغنمٌ   لأثريت مما أعانى
ويا ليتَ أنَّ العذولَ   شجاه الذى قد شجانى
فيعلمُ أنَّ الهوى   كفيلٌ بما قد دهانى
تحملتُ فيه الجوى   وافنيتُ فيه الأمانى
فما كان إلّا الرضى   بما جر صرف الزمان !

الحياة

ما أشبهَ الحزن بالسرورِ   وأشبهَ المكثَ بالمرورِ
وما أخالُ الحياةَ إلا   كجولةِ الفكرِ فى الضمير

العزيز تعله

كلُّ مــا كــان عــزيزاً ... فــهــو للنفس تعلّه
ومـمــاتُ المــرءِ رزءٌ ... وحــيــاةُ المرءِ ذلّه

كان الخداع وكنت الحذار

مــحبٌ يخادع فيك الوقارا ... ويسألُ عن قلبِه أين سارا
ولولا الوثوق بفضلِ الوفا ... ءِ لما كان يحسبُ فى الهجر عارا
وبادرة ذهبت بالعزا ... ءِ لا يعرف القلبُ فيها قرارا
لقد جلت فى غفلات الزما ... نِ فما أعقب السعى إلا عثارا
وخِلٌّ أعان علىَّ الهمومَ ... فكان الخداع وكنت الحذارا

رثاء عزيز

أمنيةٌ صارت له أملا ... والسن قد هجنه عذلا
وأعين أزرى بها سهد ... فأرسلت من دمعها هطلا
وآمل بالجهلِ ممتنعٌ ... لو يعلم المأمول ما أملا
والمرءُ إن يعرض له قدر ... يضلّ فيما يبتغى الحيلا
أرجو إيابًا بعد مرزئةٍ ... من ساكنٍ يهتاج لى خبلا

ليلة نحسٍ وليلة سعدٍ

هل أثارَ الخيالُ داءً دخيلا ... فاستحال العزاءُ إلا قليلا
واستعار السهادُ عينى وقد أطـ ... ـلقَ نجمُ السماءِ طرفًا كليلا

وكــأنَّ الأوهامَ من عنصــر الحبِ فليـــــست تزولُ حـــتى يزولا
طال عـهـدى بذلك الليلِ يا صبـ ـــح فكـن لـى مـن الـظلامِ بـديـلا
خـبـرونى أين القـبـيح إذا كـا نَ اصطبـارى عن الحبيبِ جميلا
يا عـمـيـد الهـوى إذا مـا تحـرجـ ـت فكن واصلاً شفيقًا منيلا
وإذا كنتَ لست تعلم مـا الحبّ تخـــذنى على الوفـــاءِ دليـــلا
قد بثثتُ النسيمَ ما بى وقد هبَّ فـصـار النسـيـمُ مـثلى عليلا
سئـمـتنى الأحـوال إنّى قـد صـر تُ على الحادثات حـمـلاً ثقيلا
غـفل الدهرُ يا حـبـيـبى فـقم نـنـ ـفض زمـاناً دون الوصـالِ طويلا
ونكتّم عن الحـــواســـد سرًا جلّ عن أن ندعوه شيئاً جليلا
ونبـادر قـبل الحـوادثِ آمـا لًا ونشــفى صبـابةً وغليــلا
احتـوانا الدجى فقم يا حـبـيـبى نتـخـذه إلى الوصـالِ سبـيـلا !

استعطاف

تعرف عقيد الفضلِ ما أنت صانعُ فـإنّى إذا لم تحـتـفظ بى نازعُ
ضمنت لكم فى القلبِ منى مودةً وإنَّ مـــودات القلوبِ ودائع
ولو لم تكن ذاك الذى قد عرفته لأبعـــدنى عن منهلِ الذلِ وازع
ولى عزمـةٌ غرّاء يصدق سعيها وليس بوغـدٍ مـا تكنّ الأضالع

إلى صديق(١)

مـا كلُ ناءٍ عن الأحـبـابِ بالنائى فـفى التـذكـر خطُّ الناعمِ الرائى

(١) هو الأستاذ المفكر عبد الحميد بدوى .

إن كـان يعـوزكم مـا ترحـمـون به
هلا استعرتم من الأضلاعِ أحشائى ؟

يا حبذا العيش والأحوال مسعدة
كـأنما جـرعـت من كـأسٍ صـهـبـاءِ

وكنت كـالأمل الممـدودِ جـانبـه
فى ليلةٍ للـعـــوادى ذات أنواءِ

ضـمنت كلَّ جليلٍ يسـتـعـز به
من الفـضــائلِ إلا النطق بالراء !

وكم بغـيضٍ تردى من مـعـايبـهِ
ضـمنت فى العين منه بعض أقذاء

فلست أغـمضُ عينى بعد نأيِكُم
ولستُ أفـتُـحـهـا إلا على داءِ

فى معلم جاهل

لا تلومـوا الشيخَ الجليلَ على مـا
كـان منه فى مـجلسِ التـدريس

إنمـا همُّـــه التـكـسـبُ بـالآ
ىِ وخطفُ الرغـفـان يوم الخـمـيس

عـمـةٌ فـوق راسـه تشـبـه الور
دةَ فـوق التـرب الذليل الخـسـيس !

ذكرى زورة

ألـم ترَ أنَّ الحبَّ غـيَّـر حـاليـا
وأوردنى الإدلال مـا كنت خـاشيـا

لئن بقيت نفسى ولم يأنِ يومُهـا
فـمـا هو إلّا أن تمـلَّ الأمـانيـا

وكيف أرجّى فى الأمـانى عـلالةً
وقد منع الهجـران ما كنتُ راجيـا

ولم أنسَ يومـاً زارنى بعـد هجـعـةٍ
فـجـاء بإبلالى وطول بلائيـا

لمستُ بكفّى خـدَّه فـحـسـبـتـه
يفـتح فـيـه الزهر غـضًـا وزاهيـا

يعـاتب ذا شجـو فـيـبـسم سـالم
فهل كان يستمرى لذيذَ عتابيا ؟

اذلُّ وينـاى بـالـدلالِ وبـالجـفـا
فـقلتُ له يا ليـت مـا بك مـا بيـا !

رثـاء عـزيز

مـا لعـينى ترى الضـيـاءَ ظلامـا ... ولجنبى يرى الرقـادَ حـرامـا ؟
ولقلبى كـأنه مـسـتـزار ... لا يحلّ الضلوعَ إلا لمـامـا
يا جـديراً بأن أكـونَ شـجـيَّ الـ ... ـقلبِ فيه هل اتقيت الحماما
أنزلتك الأحـداثُ قلبى وقـد كنـ ... ـت لسـمعى وناظرىَّ قـوامـا
كنتَ فى العيشِ منظرًا يبعث البشـ ... ـرَ وللنفس بهجـةً واعتـصامـا

المحب الهالك

سـترى الناسَ حـول قبـ ... ـرى يبكون هـالكـا
وغـداً يسـتريحُ من ... خنتـه فى خـيـالكا
كلُّ شيءٍ سوى الهوى ... لا تدعـهُ ببـالكا
واذكـر العـاشقَ الذى ... مـات صـبـراً بذلكا
نسـبوا شـقـوتى إلى ... حـسـنٍ من دلالكا
ظلمـونى لو أنصـفوا ... زعـموا غـيـر ذلكا !

فى شاب يدّعى سعة الاطلاع كذبا

قل للذى حسبَ العلومَ رغيبـةً ... لا يجتبيها المرءُ إن لم يكذب
مـا زلت تقـرأ كلَّ سـفـرٍ وارمٍ ... حتى قـرأتَ اليوم ما لم يكتب !

الحب يدعم بالحب

رعى الله محبوبًا أعان محبَّه — على ما به والودُّ يدعم بالودِّ
حبيبى سل العذالَ فى غير عطفة — إذا عابنى العذّالُ هل وجدوا وجدى
فيا فاتناً لولاه قامت هواجسٌ — بنا لا نقيم القلب فى منزلِ الصدِّ
عهدتك نعمى للإله وتحفة — لمن بات مخذول الفؤادِ على جهدِ
وما أنت إلّا السعد فى السخطِ والرضى — وما أنا إلّا الشوق فى القربِ والبعد !

المجادلة

وعاوٍ عوى والحق بينى وبينه — فالقمته البطل الذى هو قائله
أعوذ بحزمى ان انازلَ مثله — ويأبى رقيب الحقِّ أن لا أنازله !

حنين واشتياق

أتنكر ما بى وأنت الحبيب — وتجهل دائى وأنت الطبيب ؟
حننتُ إليك فلولا الضلو — ع لطار إليك الفؤاد الطروب
دهتنى حوادثُ هذا الزما — ن فما بال قلبك لا يستريب ؟

داء أم دواء

أبحتُ فؤادى للهوى وسبقته — إليه ولم يعلم بذاك رقيبى
وليس نصيبى أن تكونَ مواصلى — ولكن نصيبى أن تكونَ حبيبى
شقيتُ ولكنْ فى الشقاءِ سعادةٌ — وليس شقائى فى الهوى بعجيبِ

فدمعي على حقِّ الصبابةِ مسعدى		وقلبى إلى مـا لا يريب مـجـيـبى
فإنْ كنتُ مسحوراً فأنت تميمتى		وإنْ كنتُ معلولًا فأنت طبيبى !
أبيتُ كـأنَّ الليلَ صبٌّ سـوادَه		عليَّ فأخفى والدموع تشى بى !

إسعاد الهوى

يا حبيبى إن لم أكن بك مسعو		دًا فـمـاذا يرجو العواذلُ منَّا ؟
اغـتنمنى فـإننى بين قلبى		ومَقَالِ العذولِ فيك مُعَنَّى !

إلى أديب

حمدنا فيكَ ما قالَ البشيرُ		وقبل اليوم برَّأك الضميرُ
ولكنَّ العظيمَ إذا تلظَّى		على مكروهةٍ شمتَ الحقيرُ
وبادرة إليك أقمت فيها		كأنَّ الحقَ ليس له نصير
ولولا عزمة لكَ وانبساط		لدى الأحداث أخطأكَ العثور
فلا تخشَ مراغمةَ الليالى		فإنَّ البدرَ يلزمه السفور
ولا تحمل يراعك عن دعيٍّ		فإنَّ المرءَ يطغيه الغرور
وأنكى ما يكون المرءُ يوماً		إذا كان العذولُ هو العذير
إذا أخذ البعيد عليك أمراً		فلا يزرى بك النظرُ الحسير !

كلماتُ العَواطفْ

وهي

قصيدة من الشعر المرسل

فيها يشرح الشاعرُ ما يحزنه من أمور الحياة ، ومواقع
هذه الأمور من عواطفه ؛ ويطمح إلى حياة أكمل
من هذه الحياة ، وأسعد حالًا ،
وأكثر إنصافًا .

الإهداء

خليلى والإخاء إلى جفاءٍ ... إذا لم يغذه الشوقُ الصحيح
يقولون الصحاب ثمار صدقٍ ... وقد نبلو المرارةَ فى الثمار[١]
شكوت إلى الزمانِ بنى إخائى ... فجاء بك الزمانُ كما أريد
أرانى قد ظفرتُ بذى وفاءٍ ... له خلق يضيق عن الرياء
أظلُّ إذا رأيتك مستفزاً ... كأنّى قد جرعت من العقار[٢]
يؤم بى العلاء أخو وجيف ... وتنبت فىَّ أجنحة النسور[٣]
تقبل طرفة لك من خليلٍ ... وقد يهدى الصديق إلى الصديق
فإن أكُ محسنًا فلربَّ غرّ ... أصاب الفضل فى المحضِ اللباب
وإن أكُ مخطئاً فالفضلُ يؤتى ... من الخطأ المبين عن الصواب
لعلك واجدٌ عذراً صريحًا ... إذا عجز تعرض للتهدى[٤]

---

(١) العرب تقول : الأصحاب ثمار صدق . ويقولون فتيان صدق ، كما قال الشاعر وهو مسكين الدارمى :

وفتيان صدق لست مطلع بعضهم ... على سر بعض غير أنى جماعها

قال عبد يغوث :

ولم أسبأ الزق الروى ولم أقل ... لأيسار صدق أعظموا ضوء ناريا

(٢) استفزه الشوق إذا لم يجعل له قراراً - جرعت أى شربت ، العقار : الخمر .

(٣) يؤم : أى يقصد - أخو وجيف : أى جواد ذو وجيف . والوجيف : نوع من السير فيه إسراع ، النسور : أبعد الطير صعوداً فى السماء .

(٤) التهدى تلمس الإصابة والاهتداء . قال الحمدونى فى طيلسانه :

طال ترداده إلى الرفو حتى ... لو بعثناه وحده لتهدى

وإن تـهــــــد الـزهـور إلى ربيـعٍ … فـقـد يهدى النظيم إلى الحبيب
بلونا سـهـمـةَ الأيام حـتى … رأينا الشكَ يثبت فى اليقين
تقيم السخل فى سبلِ الضوارى … وتقضى للقوىً على الضعيف !
وتغـفـر زلةَ المثرى المفـدى … وترحم كلً جـبـارٍ عنيف !
وتسـعـد ذا الدهاء بما جناه … على صافى السريرةِ من دهاءِ
وتقصد صاحب التقوى بأمرٍ … تحامق من عواقبه الحليم
تليح لمصحر بالآل حتى … يفيض النفس فى الوادى البعيد
وتودعُ فى نفوس الصحب شكاً … يميل به الودودُ عن الودود
وتشقى أنفسًا بالحبً حتى … كأنً الحسنَ من عدد البلاء
فيا لك من شقاءٍ فى نعيمٍ … ويا لك من نعيمٍ فى شقاءِ !
تمد لآمل أملاً عريضا … يذيق العز فى خطرات بال
وما صرف الزمان وإنْ تمادى … بمقص بعض آمالِ الطموح
ومنزلة الرجاءِ من المساعى … كمنزلة البشائر فى الربيع
لعمرك ما النعيم ولا أخوه … بقاتل همتى ومميت شانى
وكم فى العزً مفسدة لقومٍ … وفى الأرزاءِ إعلاء لناس
وكم غرسٍ كريم ليس ينمو … على عللٍ تعهده بماء
وكم من جرعةٍ كانت شفاءً … فعادت غصةً تاتى بداء
وإنّ العودَ بالإحراق يذكو … فيأسرُ طيبهُ انف المشوق
وأيام تناءى الوصلُ عنها … تمرّ كأنها ورقُ الخريف
أضاعت عزتى الدنيا وامسى … جناح الذلً مأمون الخفيف

أيحسدني على صبري أناسٌ ... وليس الصبرُ محمودَ المذاق
وكم من كربة هجمت علينا ... فلما استحكمت جعلت تزول
وإنَّ القرَّ يتبعه حرورٌ ... وجنحُ الليل يفريه الهلال
وإنّ العودَ بعد العرى يكسى ... ومحل الأرض يسعده السحاب
وكانت ضيقة فأقمت فيها ... مقامَ البدرِ أضمره السرار
(فقل للشامتين بنا أفيقوا ... سيلقى الشامتون كما لقينا)
رعاك الله يا وقع الرزايا ... فربٌ فضيلةٍ لك لاتذال
تعهدت المنى بالشكٌ حتى ... أقمت الغافلين على انتباه
وعلمت العظيم وإن تأبى ... معاناة الطوارق بالدواهى
ولم تتطرق المسكين حتى ... أفيض عليك من نورِ الإله
ولو لا أنتَ لم يبلغ رشادا ... غوى بات يكفر وهو لاه
لحاك الله يا حدثا دهانا ... وكنّا قبل ذلك غافلينا
أأطربك الشهيقُ إذا تعالى ... وأصوات الكواعبِ والبنينا ؟
لقد علمتنا ذم العوادى ... وأدرار الرجالِ الباخلينا
كأنك يا جليد القلب آتٍ ... لتوقظَ رحمةً هجعت سنينا
تطامن للنوائب إن تمادت ... فلولا الحزن ما عُرف السرور
ولولا المجدب المنحوس يعدو ... علينا ما استقام لنا النضير
لقد قال السلامى بيتَ شعر ... يردده الخليع من الرجال :
(تبسطنا على الآثام لما ... رأينا العفوَ من ثمر الذنوب)
وإنَّ العفو موقعه عزيزٌ ... وقوع القطر فى الروض الأنيق

فلا تثلم ضميرك بالدنايا ... وهل شىءٌ أرقُّ من الضمير
نقمت من الزمان دنو صرف ... له جدب يقعقع بالشنان
ولم أقر الحياةَ سوى انتقاص ... فهل يثنى الزمانُ على بيانى
ألم ترَ بائسَاً لاقى المنايا ... ولم يذق المرىء من الحياة
فلو أن الحياة على انتظام ... لأخصب محله ورعى الأمانى
جهين أأنتِ مخبرتى أهدىٌ ... أريد من المعيشة أم ضلال ؟
وهل ضمن البقاء من المعانى ... سوى لمعات خداعٍ خلوب ؟
نسائله فيخدعنا مراراً ... كما يتمنعُ المعنى البعيد
نرى فى اليوم ما هو فى أخيه ... كذاك حياة أبقار السواقى !
ولولا عصب أعينها لكانت ... تعانى اليأس والسأمَ الدخيلا
ولولا خدعة الأمل المرجى ... لأسلمنا النفوسَ إلى الحمام
وليس العيش إلَّا ما نعمنا ... به أيام نمرح فى الشباب
إذا سقط العجوز على نعيم ... فقد سقط الهشيمُ على الزهور
بكائى أن أرى رجلا لئيما ... يقدمه الرياء على الكريم
فإن حركته للعرف يوماً ... تبدّى منشداً قولاً رخيصا :
(أترثى للعباد وأنت منهم ... من الرب الذى خلق العبادا)
بكائى إننى أغدو غريباً ... وحولى معشرى وبنو ودادى
بكائى إنَّ لى طبعاً أبيًّا ... ورأياً مثل حدِّ السيف ماضى
بكائى إنَّ فى الدنيا أموراً ... يضيق بمثلها الصدرُ الرحيب
وكم وغد رفيع الجاهِ يغدو ... كأنَّ الكونَ ليس به سواه

تعـاف الرحـمـة الغـراء نزلا   قلوبًا قـد أضـرَّ بهـا التـعـالى
فـإنَّ الزهرَ فى القـيـعـانِ ينمـو   وإنَّ الثلجَ فى قـمم الجـبـال
أرى قـومـاً تسـوسـهم الأعـادى   كـسـوقِ الخـيلِ فى يوم الطراد
أرى زغبَ الحـواصلِ فـوق قـبـرٍ   تضـمن مـا تضـمن من رجـاءِ
وكم مـوتٍ ألذ من الأمـانى   وكم مـوت أشـد من الهـزيمة
وكم من طالبٍ للمـوتِ يأسـاً   تعـمَّـد أن يبـاعـده الحـمـامُ
أخـوك النوم ألين منك مـسـاً   وأوطـأُ مـسلكاً وأجل شـأنًا
ولكن فـيك آياتٌ كـثـار   ومـعـجـزةٌ وذكـرى للغـفـول
تذلُّ الثـائر العـادى وتلهى   أسـيـر العـزِ عن ظلم العـبـاد
وخـوفُ الناس من حكم المنايا   كـخـوف الطفلِ من وجـه الظلام
وإشـفـاقُ السليمِ من العـوادى   كـإشـفـاق المريضِ من الرجـام
ومـا مـسـتـمـسك بالعـيش إلا   كـموقـوفٍ على خـوف الحـمـام
وإنَّ المـوتَ مـرآة أبـانـت   حـيـاةَ المرءِ كـالنفس الرقـيـق
وكم من أيمّ فـجـعـت بإلفٍ   وقـد كـان النصـيـر على الحـيـاة
تمد يدًا لو ان الحقَ فـيـهـا   لأذوته الخـصـاصـةُ والسـؤال
أرى الحـسـناءَ فى طمـر ذليلٍ   وفى الديبـاج ، داجـيـةَ الجـبين
أرى الدنيـا تضـيق بكل حـرٍ   فـتلفظه كـمـا لفظ البـصـاق
أرى خـدعـاً تقـاد بهـا الغـوانى   وفى أعـقـابهـا الذلُ الكمين
أرى الثكلى تكاد تسـيل دمـعـاً   وفى أحـشـائهـا النارُ الأكـول
هواجس تعـتـرينى لست أدرى   أأقـتلهـا وأقنع بالجـهـالة ؟

أم التساؤلُ خيرٌ من سكوت وإنَّ الرأى ينضجه الزمان ؟

* * *

ألم يبلغك أنَّ الموت أودى بمن علقتهم الحربُ الزبون ؟
صفوف الجيش نزقها الحفاظ وعدو الخيل أعجله المغار
ويمم « مقدن » جيش الأعادى فحلَّ بأرضها الفلك المدار
لقد جلبوا السوابق مقربات يضنُّ بقصدها النقعُ المثار
تثير على جوانبها غباراً كأنَّ الأرضَ ليس لها قرار
وقد سكبت جلودُ الخيلِ دمعاً فبان على جوانبها شعار
وأصواتُ المدافعِ إذ تعالت كصوت الحمقِ أغضبها اعتذار
لقد ضاق المجالُ فلا قرار وقد عزَّ النجاءُ فلا فرار
فوجه الجوِ يعبس من شحوب وعين الشمس يكحلها الغبار
كأنَّ المدبرين غداة ولَّوا رؤوس الشرب غازلها الخمار
وضاجعت المقانبُ قائديها بأرضٍ لا ينم بها النهار
وإنَّ الحربَ مرزئةٌ وبلوى وبعض السلم مرزئة وعار !
وإنَّ لكل هائجة سكونا (وإنَّ لكل سائلة قرارا)
كأن الحربَ فى الميدان رسم أجاد صنيعه الحذق اللبيق
فأين الحقد تنفثه اللحاظ وأين البغض يضرب فى الصدور
وإنَّ الحرب آخرها خراب كذاك النار آخرها خمود
وكان اليتمُ ما غنم الصغار وكان الثكلُ ما غنم الكبار !

* * *

ألم يكف الحوادثُ أنَّ عيني تريق القلبَ في ماءِ البكاء
فحسبي أن أعدائي كثيرٌ وأنَّ السعدَ يزلق عن مكاني
يعيبوني وما عابوا بغيضاً ولكن ذلك الخلق الحميدا
إذا ما سبني سفهاءُ قومٍ فما يغني اهتمامي بالعواء
وإن يكُ قد تقدمني أناسٌ فإنَّ السبقَ من بعد الجراء
حياتي بين أعدائي مماتٌ وموتي بين أحبابي حياة
سألزم كسرَ بيتي في احتجاز وأهجرُ كلَّ ممنوعِ الوداد
وكم من وحدةٍ منعت عذابًا وكم من وحدة جلبت عذابا
أأخت اليأسِ هل حلف قديم ؟ فإن اليأسَ فيك لذو طروق
وربَّ مصاحبٍ حلو اللقاءِ سقيم الصدرِ مسموم اللحاظ
كبعضِ الزرعِ تحسبه مريئاً وتحت بهائه السمُّ المميت
وجلدُ الحية الرقطاء يزهو ولكن لا يغرُّ به اللديغ
صبرت له ويحسبني عمياً ولا والله ما أنا بالعميّ
ولكنيٍّ رأيت العفوَ أبقى وهل في القلبِ للشكوى مجال ؟

* * *

هوينا الذكرَ من حبٍّ الغواني كأنَّ الذكرَ من حيلِ الرسول
كفاني من نبيه الذكرِ أنّي تمرُّ بيَ الحسانُ فتترتضيني
أرى دمعي يرنقه احمرار كأنَّ الشوقَ قد ذبح المناما
حنين يترك الأشجانَ جمراً وشوقٌ يترك الزفرات نارا
تغنّى الحبُّ في فجرِ الحياةِ غناء الطير في فلقِ الصباح

نبجّله فيخفضنا سفاهًا ... كأنَّ الحبَّ ميزانٌ ظلوم
تطالبنا الحسانُ به دلالاً ... كأنَّ الحبَّ دَينٌ فى الرقاب
فإن دنّا له لم نلق منه ... سوى المقبوح من غدرِ الملول
وبطش الغدرِ مردودٌ عليه ... كأنّ الغدرَ مغوارٌ سليب
أيا هذا الغرام لطفتَ حتى ... كأنك قد خلقتَ من النفوس
أرى عينًا يصافحها الفتورُ ... وقلباً لا يصافحه الحنان
أرى عينًا يجول السحرُ فيها ... مجالَ الماءِ فى العودِ الرطيب
وحولك من دماءِ الناسِ بحرٌ ... مهيب اللجِ مهجورُ النواحى
وفوقك من نفوس الناسِ طيرٌ ... يظل الجو مملوء الفناء
أتخذلنا ونحن مناصرونا ... وتخذعنا ونحن مناصحونا ؟
وتقصينا ونحن مقربونا ... من التبيان والأدب الغزير
أبوك الوهم متسعُ الفناءِ ... وأنتَ تضيق بالرجلِ الأديب
رجوتُ بك الخلاص من العوادى ... فكنتَ علىَّ عوناً للعوادى
وكم من لحظةٍ نزلت علينا ... نزولَ القطر من خلل السحاب

* * *

أيغلبنى على أمرى التصابى ... ولم تخنع لريب الدهرِ نفسى
لعمرُكَ ما الخمولُ بمستذلى ... فإنّ البرقَ فى طىِّ الغمام
وإن يكُ فى مآقى العين ماءٌ ... فكم من عبرةٍ فيها اعتبار
أما للشاعر الفياضِ دهرٌ ... فينفث بعضَ ما ضمن الضلوع
ولو أنى أردتُ لرعت قوماً ... (أضاعونى وأى فتى أضاعوا)

ولو أنى لفــحتُ بغلٍّ صــدرى لغــاضَ المـاءُ واحــتــرقَ الـهــواءُ

سـأحـدثُ فى غـدٍ حـدثًا عظيـمًا تـظل لـه الـبـــوارقُ تـســـتطار

فــإن أعــمــر فـويل للأعــادى وإن أهـلك فـــويـل لـلـصـــديق

حناناً أيهـــا الوطن المفـــدّى ولا تـســمع مـقــالَ الـسـوءِ فـينا

سنهـديكَ النصيـحةَ مـا استطعنا ونشـدو فـيك بالقـولِ الـعـجيب

له فى نفسِ قـــارئِه فـــعـــالٌ كفـعلِ الغـيثِ فى المرعى الجـديب

وكم من ناعقٍ يـدعـــو لأمـــرٍ نـعـيقَ البـومِ فى الطللِ الخـراب

وآخــــر لا يقـــيـمُ على قـــرارٍ يحــاكى وثُبُـــه وثبَ الجـــراد

ويَحكى فى تنقلِه سـِـفــاهًا خــيــامَ العُــرب بالأرض الخـلاء

يعـيثُ الجـهـلُ فى أبناءِ قـومى كـعـيثِ الذئـبِ فى الغنم النيـام

أبىُّ الـقـلـبِ بـيـنـهُـم ذلـيـلٌ ووغـدُ القلبِ مـرفـوعُ العـمـاد

يفــرِّقُنا التـبـــاغضُ والتـعـــادى كنشـــرِ الريحِ أوراقَ الـغـــصـــون

مـتـى تدعـو الحـمـيـةُ للمـعـالى فتُـصـغى فى العـروقِ لها الدمـاء

وكم من عــبـــرةٍ هبطت علينا هبـــوط الوحـىِ من عنـدِ الإله

إذا عـــاثَ الـقـــوىُ فـــلا تُراعــوا فـــإن الـظـلـمَ نـعشٌ لـلـظـلـوم

ضـئـيلُ الأمـرِ يتـبـعــه عظيمٌ كــذاك النار تقــدح من شـــرار

الجزء الثانى

لآلئُ الأفــــكـار

وإنَّمـا الشـعـرُ مـرآةٌ لغـانيـةٍ ... هىَ الحـيـاةُ فـمن سوءٍ وإحـسـانِ
وإنَّمـا الشـعـرُ تصـويرٌ وتذكـرةٌ ... ومـتـعـةٌ وخيـالٌ غـيـر خـوانِ
وإنَّمـا الشعرُ إحساس بما خفقت ... له القلوبُ كـأقـدار وحِـدْثانِ
من كل معنى يروعُ الفـهمَ طائلهُ ... معنى من الجان فى لفظ من الجانِ

صاحب الديوان

عن الطبعة الأولى للجزء الثانى

عام ١٩١٣

مقدمة

بقلم الأستاذ عباس محمود العقاد

الشعر ومزاياه[1]

ليس الشعر لغواً تهذى به القرائح ، فتتلقاه العقول فى ساع كلالها وفتورها . فلو كان كذلك لما كان له هذا الشأن فى حياة الناس .

لا بل الشعر حقيقة الحقائق ، ولبُّ اللباب ، والجوهر الصميم من كل ما له ظاهر فى متناول الحواس والعقول . وهو ترجمان النفس ، والناقل الأمين عن لسانها . فإن كانت النفس تكذب فيما تحس به أو تداجى بينها وبين ضميرها ، فالشعر كاذب ، وكل شيء فى هذا الوجود كاذب ، والدنيا كلها رياء ، ولا موضع للحقيقة فى شيء من الأشياء .

وقد يخالف الشعر الحقيقة فى صورته . ولكن الحر الأصيل منه لا يتعداها ، ولا يمكن أن يشذ عنها ؛ لأنه لا حقيقة إلا بما ثبت فى النفس واحتواه الحس . والشعر إذا عبر عن الوجدان لا ينطق عن الهوى . إن هو إلا وحى يوحى .

وما هذه الاستعارات والتشبيهات إلا أشياء تختلف فى ظاهرها ، ولكنها فى كنهها واحدة لا خلاف بينها . فليس الجميل قمراً ، ولا الزئير رعداً ، ولا الكريم غماماً ، والشمس لا تتكدر لغياب الحبيب ، ولا الليل ينجاب لحضوره . ولكن الغبطة بالصورة الحسناء ، كالغبطة بالليلة القمراء . والرهبة من زمجرة الأسود فى غابها ، كالرهبة من جلجلة الرعود فى سحابها . وتجدد الروض بعد انهمال المطر كتجدد الأمل بعد نوال المطر . وإن الشمس إن كانت تشرق بعد نأى الحبيب ، فكأنها لا تشرق لأن عين المحب لا تنظر إلى ما يجلوه نورها ، وإن تكشَّف لها فكأنما

---

(١) نشرت هذه المقدمة فى أول الجزء الثانى من هذا الديوان – عام ١٩١٣

هو بادٍ لغيرها - والليل إذا عسعس فما هو بساتر عن عين المحب ، منظراً يشتاق رؤيته بعد أن يمتعه بوجه حبيبه . فإنما هو من الدنيا حسبه ، وهو الضياء الذى يبصر به قلبه .

فهذه معانٍ مترادفة فى لغة النفس، وإن اختلف نطقها فى الشفاه ؛ إذ أنه لا محل فى معجم النفوس إلا للمعانى ، فأما الألفاظ فهى رموز بين الألسنة والآذان .

وهل تبصر العين أو تسمع الأذن إلا بالنفس ؟ أو تبلغ الحواس خبراً إذا كانت النفس ساهية والمدارك غير واعية ؟

والشعر بهذه المثابة باب كبير من أبواب السعادة . بل إن السعادة ما لم تعقها حوائل الحياة لا تدخل إلى القلوب إلا من بابه ، فإنه ما من شيء فى هذه الدنيا يسر لذاته أو يحزن لذاته ؛ وإنما تسر الأشياء أو تحزن بما تكسوها الخواطر من الهيئات ؛ وتكيفها الأذهان من الصور . وآية ذلك أن الشيء الواحد بينما يكون مدعاة البهجة والرضى ؛ إذ يكون فى غير ذلك الوقت مجلبة للأسف والأسى وطريقا إلى الشجن والجوى ؛ والشعر وحده كفيل بأن يبدى لنا الأشياء فى الزمن الذى ترضاه خواطرنا ، وتأنس به أرواحنا ؛ لأنه سلطان متربع فى عرش النفس ، يخلع الحلل على كل سانحة تمثل بين يديه ، ويغض الطرف عن كل ما لا يحب النظر إليه . والشعر أيضاً مسلاة لمن شاء السلوى ، وصدى تسمعه النفس فى وحشة الوحدة ، فتطمئن إليه كما يطمئن الصبى التائه إلى النداء فى الوادى ، ليأنس برجع صوته ، أو يسمع من عساه يقبل لنجدته .

فقد سبقت مشيئة الفطرة بأن يعيش أبناء آدم جماهير وأمماً مجتمعة ، وأن يكونوا نوعاً له غرائز كامنة فى طبائع أفراده يقتضيها بقاؤه ودوامه . فوجب أن يُجبل أبناؤه على الألفة ويذرأوا على التعاطف ودواعى الاجتماع . وقد درج نوع الإنسان على هذه الفطرة . فصرنا وليس يهنأ امرؤ منا بأن ينعم منفرداً ، ولن يطيق أحد أن يبتئس وحده . وما كان المعرى يمدح نفسه ، ولكنه قال قولا فى شرار الناس ، كما يصدق فى خيارهم ، إذ يقول :

ولو أنّي حبيت الخلد فرداً   لما أحببت بالخلد انفرادا

فذلك ما لا فخر فيه لإنسان على إنسان . وأحسب لو أن الناس كلهم كانوا فجرة خسرة ، وكان لا يجوز منهم إلى فردوس الأبرار إلا رجل واحد ، لكان هذا الرجل التقى أشد عذاباً بتقواه وأسوأ جزاء من كل جناة الجحيم وعصاته . وكأنى بذلك الرجل ، وقد طاف فى الجنة حتى بليت نعلاه ، ثم نظر إلى ما حوله نظرة الكاره الزاهد ، فطرح بنفسه فى الكوثر هرباً من هذا النعيم الأعجم . أو صاح بهم ليحملوه إلى جهنم فيصلى النار فيها وهو واجد من يقول له إن عذاب النار أليم ، خير من أن يبقى فى جنة لا يرى فيها من يقول له ما أرغد هذا النعيم !!

ويقينى أنه لو نزع الحسد من الناس يوماً ما ، لاشتراه أولو النعمة ، وفرقوه على الناس مجاناً ليحسدوهم على ما بهم من نعمة . فإن السعادة أنثى لا يكمل سرورها حتى تستجلي مثالها فى المرآة ، وسواء لديها أكان رافع تلك المرآة لها شانئاً حسوداً أو صديقاً مخلصاً ؛ ومن أجل ذلك يرتاح العاشق إلى من يناجيه بأسرار حبيبه ونكايات عذوله . ويحيط الغنى مجلسه بحاشية ينفق عليها لتقول له إنّه ربُّ عيشة راضية ، وهناءة محسودة .

ولا تصدق أنَّ أحداً يصل به احتقار الناس أن لا يبالى بهم قاطبة . ولكنَّه ربما احتقر جيلاً منهم وهو ينتظر النصفة من جيل سواه . أو يهزأ بالفئة التى يعاشرها ، ولكنه يعتقد أنَّ هناك فئة لو لقيته ولقيها لأرضته وأرضاها . وإلّا فلو احتقر المرء ما مضى من الناس وما سيجىء منهم ، لما كلَّف نفسه مشقة أن يقول ذلك بلسانه .

كذلك خلق الإنسان عضواً من جسم تدب حياته فى عروقه ، فلا سبيل له إلى الانفصال عنه ، والتخلى عن عاطفته النوعية ما دام داخلا فى اسم الجنس الذى يشمل الإنسان بأجمعه .

فإذا كان هذا شأن التعاطف فاعلم أنَّ الشعر شىءٌ لا غنى عنه ، وأنه باقٍ ما بقيت الحياة ، وإن تغيرت أساليبه ، وتناسخت أوزانه وأعاريضه .

وإذا كان الناس فى عهد من عهودهم الماضية فى حاجة إلى الشعر ، فهم الآن أحوج ما يكونون إليه . فقد باتت النفوس خواء من جلال العقائد وجمالها ، وخلا جانب من القلوب كانت تعمره فإن لم تخلفها عليه خيالات الشعر وأحلامه ، كسر اليأس القلوب ، وحطمتها رجة الشك واضطراب الحيلة . وها هو القرطاس القديم بين أيدى الشعراء . فليخطوا فيه رسم الفردوس الجديد . وليجعلوه فى الأرض أو فى السماء ، وليكن معاده المثل الأعلى ، أو خلود الذكر ، أو وحدة الإخاء . فإنَّ الإنسانية لا تعيش بغير رجاء .

هذا ولو أنَّ ما ألمحنا إليه من تعاطف الأرواح وتآلف المشارب ، كان أول ما يستفاد من الشعر وآخره ، لما كان الشعر جديراً بالعناية من عصر المادة الذى نحن فيه ، ولكنَّ ثمرة الشعر على ما بها من النعومة والجزالة ، وما لها من ذكاء المشم وحلاوة الطعم تشبع المعدة وتملأ الفم . ولو أمكن إرجاع كل حركة إلى مصدرها الأول من النفس ، لما عسر علينا حساب فضل الشعر بالدرهم والدينار ، وإحصاء قواه المعنوية بما تحصى به قوة الكهرباء والبخار .

فمما لا مشاحة فيه أنَّ كل نهضة من النهضات التى تشحذ عزائم الأمم وتحدوها فى نهج النماء والثراء ، لا تكون إلا بعد فترة يتيقظ فيها الشعور ، وتتحرك العواطف ، وتعتلج نوايا النفوس ومنازعها . وفى هذه الفترة ينبع أعاظم الشعراء وتظهر أنفس مبتكرات الأدب . وما الشعر من تلك العواطف إلا مناطها الذى تتعلق به . بل هو ناقوسها المنبه لها ، وحاديها الذى يأخذ بزمام ركبها .

وهذه إنكلترا نهضت فى تاريخها نهضتين بلغت فى كلتيهما أسمى ما تحلم به أمة من العظمة والمجد . كانت أولاهما فى القرن السابع عشر ؛ أى عقب ازدهار الأدب الإنكليزى فى عهد شكسبير ، فتحركت فى ذلك القرن عوامل الحياة فى الأمة الإنكليزية . ووضع عهدئذ أساس إنكلترا الجديدة . وها هى الآن فى إبان نهضتها

الثانية تقبض على صولجان الدنيا وتطالب كلٌّ فئة منها بقسطها من الحياة والعمل . وما جاءت نهضتها هذه إلا مسبوقة بنهضة أدبية كبرى ظهرت فى أثنائها أكبر الأسماء المعروفة فى الأدب الإنكليزى ، وأعنى بهم أمثال : شلى وبيرون وسكوت وكيتس ووردزورث وكولوردج وسوذى وماكولى ، وغيرهم ممن لم يقرضوا الشعر ، ولكنهم كتبوا فى النقد والأدب .

وهذا شبيه بما حدث فى فرنسا فإنَّ جمهوريتها ليست إلا نفحة من نفحات تلك النهضة الأدبية التى كان يشرف عليها لويس الرابع عشر . وما كان يدرى ذلك الملك المتجبر وهو يمد يديه بالحباء إلى زعماء تلك النهضة أنه يزلزل بيديه قوائم العرش الذى يجلس عليه ، ومن حقق تاريخ القرن الثامن عشر فى فرنسا ولم ير فى ثورته يداً لكورنيل وراسين وموليير وبوالو وشينيه وأمثالهم فهو قاصر النظر . ومثله فى ذلك كمثل من تقول له إنَّ المد والجزر من فعل القمر فيقول لك أين السماء من الماء ؟! ثم تتابعت بعد ذلك ثورات كان يقوم على رأس كل ثورة منها رجال من أهل الخيال الذين يظن بعض كتاب التاريخ أنهم أبعد الناس عن التأثير فى عالم الجد . وقد جهلوا أن الأمم تدأب فى حياتها بين عاملى الحاجة والأمل . فإن كانت المادة تحكم حيز الحاجة من نفوسها ، فالخيال صاحب السلطان على حيز الأمل ، وهو أشد العاملين حثاً وأعذبهما نداء .

وجاء بسمارك فى ألمانيا فأتم تأليف وحدتها بعد أن شاعت فى ولاياتها مصنفات ليسنغ وهردر وجيتى وشيلر وهينى ورفقائهم ؛ فكان الألمانيون أمة ذات أدب واحد قبل أن يكونوا أمة ذات دستور واحد .

وأقرب من ذلك شاهد إلينا ، الدولتان الأموية والعباسية . بل أقرب منهما هذا الذى نشاهده من إقبال ناشئة مصر على الأدب واشتغالها بصوغ الشعر وحفظه . فإنه – ولا شك – عنوان النهضة المرجوة لمصر ، ودليل على تفتق الأذهان وسريان النبض فى مركز الشعور . وفى الأمة نفر ممن يتعاطون صناعة الطب الاجتماعى

يزعمون أن البلد فى غنى عن الأدب ، وأنه ليس بحاجة إلى غير مباحث الاقتصاد وما شاكلها . قالوا ذلك ؛ لأن الثروة قوت الأمة ومصر لا تنتفع إلا بقوتها ولا يمرأها الدم فى شرايينها . وهو قول كما يرى القارئ فى حديث الطب يقضي بأن لايجوز الكلام مع المعود فى غير الأطعمة الدسمة والكينا وسلفات الصودا ... ولا غرابة فالطب تجارب !!

على أن كثرة الكلام فى المال ليست هى التى توجد المال متى كانت الهمم راكدة والنفوس باردة .

فالشعر لا تنحصر مزيته فى الفكاهة العاجلة والترفيه عن الخواطر ، لا بل ولا فى تهذيب الأخلاق وتلطيف الإحساسات ، ولكنه يعين الأمة أيضاً فى حياتها المادية والسياسية وإن لم ترد فيه كلمة عن الاقتصاد والاجتماع . فإنَّما هو كيف كانت موضوعاته وأبوابه مظهرٌ من مظاهر الشعور النفسانى ، ولن تذهب حركة فى النفس بغير أثر ظاهر فى العالم الخارجي .

خدع بعض الباحثين ولا سيما من كان منهم من علماء الطبيعيات ، فقالوا إن الناس اليوم فى نور العلم والتحقيق . وإن آباءنا كانوا ينظرون إلى العالم بعين الشعر أيام الجاهليات الأولى . وكان يحيرهم فى تلك الأزمان المظلمة ما يدركونه الآن من أسرار الطبيعة وخفايا نواميسها ، فيذهبون فى تأويلها مذاهب الحدس والتخيل . وإنما غشيت أصحابنا العلماء مادية العصر فرأوا ذلك الرأى ولست أدرى كيف يخطر لأولئك العلماء الجهلاء أنه يجيء يوم على الإنسان يقف فيه جامداً بين يدى هذا الوجود مهما حصل من العلم وأحاط بأسراره . وهل يؤثر علم النباتى العارف بأجزاء الأشجار على خيشومه وبصره فلا يدعه يتنشق رائحتها ويبتهج بألوانها ؟ وهل علمي بنواميس الطبيعة يعصمنى من الانفعال بمؤثراتها ويذود عنى الخوف مما يدعو فيها إلى الخوف أو الطرب إلى ما يطرب من بدائع مشاهدها ؟

اللهم إنه علم يفقد الإنسان حواسه . ويا لله ما أضعف الإنسانية فإن الفرد منها لتملكه العاطفة فلا يكاد يبصر إلا بنورها أو يسمع إلا بصوتها . وإنَّ الإنسانية بأسرها لتغلب عليها حالةٌ من الأحوال الطارئة فى بعض الأجيال ، فلا تكاد تتوهم أنها تنتقل من تلك الحالة إلى سواها .. ظهرت أميركا بمناجمها واخترعت الآلات التى تصنع الواحدة منها صنع الألوف من العمال ، وأعلنت الحرية فألقى حمل كل طبقة على عاتقها ، وتوجهت الطبقات المختلفة إلى العمل لنفسها والسعى فى طلب رزقها . فحدث من جراء ذلك جميعه تهافت غير مألوف على الذهب . فما هى إلا سنوات مضت فى مقدمات هذه الزوبعة قد ملأت الدنيا غباراً ، ثم أصبحنا لا نسمع إلا سياسة المال وعلم المال وقوة المال وعصر المال ، نسى الناس كل شيء إلا أنهم فى عصر المال . ونسوا أيضاً أن الإنسان لم ينفض عنه فى عصر المال عنصره القديم . وأنه إن كان قد انتقل من فترة إلى فترة فإنه لا يزال فى مكانه من الطبيعة ، ولا يزال يهتز بنبراتها ويجرى مع طياراتها . ولسوف يمضى عصر المال هذا فلا تسمع عنه الأجيال القادمة إلا كما نسمع نحن عن أخبار العصور الخالية . وكذلك لا يبقى إلى الأبد إلا الأبد نفسه .

أقول ذلك ولا أعنى بما قلت كل الشعر ، ولكنى عنيت منه المطبوع الأصيل . إذ ليس لشعر التقليد فائدة قط ، وقلَّ أن يتجاوز أثره القرطاس الذى يكتب فيه ، أو المنبر الذى يلقى عليه . وشتان بين كلام هو قطعة من نفس ، وكلام هو رقعة من طرس .

فالشاعر العبقرى معانيه بناته ، فهن من لحمه ودمه . وأما الشاعر المقلد فمعانيه ربيباته ، فهن غريبات عنه وإن دعاهن باسمه . ولا يثمر شعر هذا الشاعر مهما أتقن التقليد ، كالوردة المصنوعة يبالغ الصانع فى تنميقها ، ويصبغها أحسن صبغة ، ثم يرشها بعطر الورد فيُشم منها عبق الوردة ويُرى لها لونها ورواؤها ولكنها عقيمة لا تنبت شجراً ولا تخرج شهداً . وتبقى بعد هذا الإتقان فى المحاجر زخرفاً باطلا .

ألا وإنّ خير الشعر المطبوع ما ناجى العواطف على اختلافها ، وبث الحياة فى أجزاء النفس بأجمعها كشعر هذا الديوان .

* * *

فإذا تلقى قراء العربية اليوم هذا الجزء الثانى من ديوان شكرى ، فإنما يتلقون صفحات جمعت من الشعر أفانين ؛ قد سمح بها قلم سخى وقريحة خصبة .

فى هذه الصفحات نظرة المتدبر ، وسجدة العابد ، ولمحة العاشق ، وزفرة المتوجع ، وصيحة الغاضب ، ودمعة الحزين ، وابتسامة السخر ، وبشاشة الرضى ، وعبوسة السخط ، وفتور اليأس ، وحرارة الرجاء . وفيها إلى جانب ذلك من روح الرجولة ما يكظم تلك الأهواء ، ويكفكف من غلوائها . فلا تنطلق إلا بما ينبغى من التجمل والثبات .

إن شعر شكرى لا ينحدر انحدار السيل فى شدة وصخب وانصباب ، ولكنه ينبسط انبساط البحر فى عمق وسعة وسكون .

قد يعسر على بعض القراء فهم شيء من شعر شكرى ، فهؤلاء هم الذين يريد أكثرهم من الشاعر أن يخلق فيهم العاطفة التى بها يفهمونه . وليس ذلك مما يطلب منه . ولو حاوله لأفسد شعره بالتعمل والزيادة . ومن دأب المبتدئين من الشعراء أن يتوخوا فى كلامهم الشرح والإسهاب والتفصيل ، ظناً منهم أن ذلك يزيد معانيهم جلاء ويقربها من إحساس قرائهم . وليس أبعد من هذا الظن عن الصواب فإن العواطف لا تتأثر بالإطناب وإنما هو مما يتوسل به إلى إفهام العقول ، وإدخال المعانى إلى الأفكار .

ومن النفوس من لا يصلح لتوقيع جميع أدوار الشعر عليه ، كما لا توقع أدوار (الأوركستر) على القيثار أو المزهر . فإن هذه الآلات الصغيرة لا تسع تلك الأنغام المتنوعة الكثيرة . فإذا سمعت إحدى هذه النفوس أنشودة الشاعر فسبيلها أن تستغرب رنة اللحن الذى ليس فى معزفها وتر يهتز به .

* * *

قال لى بعض المتأدبين إن شعر شكرى مشرب بالأسلوب الإفرنجى ! وأنا لا أعلم ماذا يعنى هؤلاء بقولهم الأسلوب الإفرنجى والأسلوب العربى ؟ فإن المسألة على ما أعتقد ليست مسألة تباين فى الأساليب والتراكيب ، ولكنها مسألة تفاوت فى جوهر الطبائع ، واختلاف بين شعراء الإفرنج وشعراء العرب فى المزاج كاختلاف الأمتين فى الملامح والسحناء .

وأشبه بالحقيقة عندى أن يقال الأسلوب الآرى والأسلوب السامى ، فإنه أدل على جهة الاختلاف بين شعر الإفرنج وشعر العرب .

الآريون أقوام خيال نشأوا فى أقطارٍ طبيعتُها هائلة ، وحيواناتها مخوفة ، ومناظرها فخمة رهيبة . فاتسع لهم مجال الوهم وكبر فى أذهانهم جلال القوى الطبيعية . ومن عادة الذعر أنه يثير الخيالات فى الذهن ويجسم له الوهم . فيصبح شديد التصور ، قوى التشخيص لما هو مجرد عن الشخوص والأشباح .

والساميون أقوام نشأوا فى بلاد صاحية ضاحية ، وليس فيما حولهم ما يخيفهم ويذعرهم . فقويت حواسهم وضعف خيالهم .

ومن ثم كان الآريون أقدر فى شعرهم على وصف سرائر النفوس . وكان الساميون أقدر على تشبيه ظواهر الأشياء ، وذلك لأنَّ مرجع الأول إلى الإحساس الباطن ، ومرجع هذا إلى الحس الظاهر .

السامى يشبه الإنسان بالبدر . ولكن الآرى يزيد أنه يمثل للبدر حياة كحياة الإنسان ، ويروى عنه نوادر الحب والمغازلة والانتقام كأنه بعض الأحياء . وهذا ولا مراء أجمع لمعانى الشعر لأنه يمد فى وشائج التعاطف ، ويولد بين الإنسان وبين ظواهر الطبيعة وداً وائتناساً يجعلهما الشعر السامى وقفاً على الأحياء ، بل على الناس دون سواهم من سائر الأحياء .

وهذا الفرق بين الآرى والسامى فى تصور الأشياء ، وهو السبب فى اتساع الميثولوجى عند الآريين ، وضيقها عند الساميين . فليست الميثولوجى إلا إلباس قوى الطبيعة وظواهرها ثوب الحياة ، ونسبة أعمال إليها تشبه أعمال الأحياء . وتلك طبيعة الآريين فإنهم - كما قلنا - قد امتازوا بقوة التشخيص والخيال على الساميين .

وهذا أيضا هو السبب فى افتقار الأدب السامى إلى الشعر القصصى ، ووفرة أساليب هذا النوع من الشعر فى الأدب الآرى . فإننا إذا راجعنا أكبر قصص الهنود والفرس ، وتقصينا الملاحم الغربية قديمها وحديثها ، وجدنا أنها تدور كلها على روايات الميثولوجى ، وتستمد منها أصولها . وقد وسعت القصص منطقة الشعر الغربى فكانت له ينبوعا تفرعت منه أساليبه وتشعبت أغراضه ومقاصده . وحرم الشعر العربى منها فوقف به التدرج عند أبواب لا يتعداها .

أما تقسيم الشعر إلى قديم وعصرى ، فليس المراد به تقسيمه إلى عربى وإفرنجى ، ولا يراد بالعصرى مقابلته بالقديم . فإنى أعتقد أن الشعر العصرى يشبه الشعر القديم فى أن كليهما يعبر عن الوجدان الصميم . ولكن المراد منه التفريق بين الشعر المطبوع وشعر التقليد الذى تدلى إليه الشعر العربى فى القرون الأخيرة .

فالشاعر قد يكون عصرياً بريئاً من التقليد ، إلا أنه لا يلزم من ذلك أن يكون إفرنجيا فى مسلكه .

وأيما شاعر كان واسع الخيال قوى التشخيص ، فهو أقرب إلى الإفرنج فى بيانه وأشبه بالآريين فى مزاجه وإن كان عربياً أو مصرياً . ولا سيما إذا كان مثل شكرى ، جامعاً بين سعة الخيال وسعة الاطلاع على آداب الغربيين .

حياة الأمم
أو
التجدد والتغير

حياةُ الناس إمّا ماءُ نهرٍ ... فيصلحهُ التدفُّقُ والمسيرُ
وإمّا ماءُ آجنةٍ كثير ... قذاه ، ويأجن الماءُ الطهورُ (١)
وليست هذه العادات إلاّ ... رداءُ العيش تبليه الدهور
رداءُ العيشِ تبليه الليالي ... ويبكي عهد جِدّته الغرور(٢)
وأبكارُ المعاني حائكات ... رداءً عهدُ جِدّته نضيرُ

* * *

نظامات وعادات تقضى ... وبعضُ الأمرِ يصلح إذ يحولُ (٣)
وأسبابُ البقاء لها صيالٌ ... صيال السيل يهلك إذ يصول
وأحكامُ الوجودِ لها مسيلٌ ... مسيلُ السيلِ يهلك إذ يسيل
فإن تسدد طريقَ السيلِ تهلك ... ولا يُغني البكاءُ ولا العويل
ويحيا بالتغيّر كلُّ حيٍّ ... ويردى الفاسد القدرُ العجولُ
فلا تكُ جازعاً في إثرِ أمرٍ ... جليلُ الأمر يعقبهُ الجليل
وآمالٍ وآراءٍ وعادٍ ... سواء في تغيّرها شكولُ(٤)

* * *

(١) أجن الماء : وقف وركد وعطن . (٢) الجدة (بكسر الجيم وتشديد الدال) : كون الشيء جديداً .
(٣) يحول : أي يتغير . (٤) عاد : أي عادات . وشكول : متشابهة .

وكم من أمـــةٍ تخـــشى زَوالاً ... على الأَيامِ أدركـــهـــا الزوالُ
تحـــاذرُ أن تغـــيــرها الليـــالى ... فـيـودى حـالهـا ويجئُ حـال[1]
وبين الدهرِ والدولِ اســتــبــاقٌ ... وبعضُ النَّاس يُعْـوزهُ المجـــال[2]
فــقل للغـــافلين إذا أصـــاخـــوا ... حـيــاتُكم هى الداءُ العـضـالُ
ســتنفــذ فـيكم الأقــدارُ حكمًــا ... ويـرجـــــمكم بـأنـكـده المـآل
وهل يخشى الجديدَ سوى جبانٍ ... له من حبٍّ أقـــدمـــه عـــقـــال

الإيمـان والقضـاء

ليس يدرى مضاضةَ القدرِ الغا ... لبِ إلا مــعـــالج البـأســاءِ[3]
تفـتق الذهن مثلمـا يفـتق الأز ... هار وهنـا مـــرقــــرق الأنداءِ
غـيـر أن الشـقـاءَ قـد يخز النفـ ... ـسَ ويصـمى مجـامعَ الأهواءِ[4]
فـهـو طـوراً يكون بـرءاً لـداءٍ ... وهـو طـوراً يُعــــدُّ فى الأدواء
هو سـيف القـضـاءِ فى يد عـدل ... رُبَّ عـــدل فى وقع ذاك البـــلاء
خـفـيت حكمـةُ الحـوادث عنا ... فــشـقــينا شـقـاوةَ الجـهـلاءِ
لو رأينا منابتَ العـدل فـيـهـا ... لنعـمنا بالعـيـشـةِ الخـشناء
لو رأينا مطالع العــدل منهــا ... مـا شكونا مـضـاضـةَ الأرزاء
وخـداعُ الحـيـاةِ أروعُ جلبـاً ... لأسى المرءِ من خـداع النســاء
سـكـناتُ الإيمان بـرءٌ من الحـــز ... ن ومـــاوى لهـاربٍ من قـضـــاء

---

(١) أودى : ذهب .
(٢) يعوزه المجال : أى لايمكنه .
(٣) المضاضة : الألم ، والبأساء : البؤس .
(٤) يصمى : أى يصيب ، ومجامع الأهواء أى القلب .

هو حصنٌ من الشقاءِ حصينٌ ووقاءٌ أَنْعِمْ به من وقاءِ

كنفٌ مانعٌ وظلٌّ ظليلٌ وشرابٌ يشفى أوامَ الظماءِ[1]

يلج النفسَ بالثبات وبالحز م ويطوى جوانب الضراء

هو روض جمُّ الفروع أنيقٌ ونعيمٌ موطأ الأفناءِ[2]

يدخل الأمنَ والسلامَ على قلـ ـبٍ خفوق الضلوع والأحشاءِ

الحياة والعبادة

أكذبُ الدينِ ما ينيمُ قوى المر ء كما يُخرس الرياحَ الركودُ[3]

إنَّما الدينُ أن تفكَّ عن النفـ ـس من اليأس والخمولِ قيودُ

إنَّما الدينُ أن يجدَّ مجدٌّ أعمل السعىَ أو يجيدَ مُجيد[4]

إنَّما الدينُ قوةٌ وجمالٌ وحياةٌ وعدةٌ وعديد

كيف يدرى جلالةَ النفسِ غرٌّ أزعجته بوارقٌ ورعود

كيف يدرى جلالةَ الله غرٌّ حرَّكته ضغائنٌ وحقود

أعبد اللّهَ بالجهادِ وبالتفـ ـكيرِ ، والعقل عابدٌ معبود

إنَّما هذه الحياةُ جهادٌ والجبانُ الموهونُ فيها جحود[5]

خلق المرءُ كى يناهضَ أمراً فهو فى الموتِ والحياةِ شهيد

كُتبَ الصبرُ فى الحياةِ علينا فالبس الصبرَ فالعظيمُ جليد

---

(١) الأوام : العطش والظمأ .

(٢) جم أى كثير ، وموطأ أى ممهد .

(٣) الركود للرياح : سكونها .

(٤) أعمل السعى أى جد فيه .

(٥) الموهون : الضعيف .

عش شهيداً تناجز الهمَّ والدا ... ءَ إذا أمَّ حتفه الرعديد[1]

فحنينُ الثكلى ووخزُ ضميرٍ ... ودموعٌ يريقها المكدود :[2]

هى ما يعبدُ الأنامُ به اللهَ ... كما يعبدُ القضاءَ الوجود[3]

القلق والغفلة

يا أسيراً قيودُه آمالٌ ... مشكلات لاتستبين لرائى[4]

تبتغى الخيرَ فى مجاهل مايأ ... تى من الدهر والقضاء النائى[5]

لك صدرٌ جم الحنو على النا ... سِ ولكن يضيق بالأرزاءِ

أنت عبدُ البقاءِ لو كره العبـ ... ـدُ إباقاً من رقِّ ذاك البقاءِ[6]

أنت تقرى الأنام من دمعك الغمـ ... ـر شآبيب عاجزات السخاء[7]

أنت تبكى مما يعالجه النَّا ... سُ وتأسى لبادرات البلاء[8]

إنَّ عتباً على القضاءِ سفاهٌ ... غاب عنه مطالع النعماء

ينعم الغافل الغبىُّ ويشقى ... عاتبٌ ساءهُ وقوع القضاء

أيُّها اللائمون فى الحزنِ مهلاً ... غافل القلبِ ميتُ الأحياء

(١) أمَّ : أى سار نحو حتفه والرعديد : الجبان . (٢) الثكلى : هى التى أصيبت بفقد بنيها .

(٣) أى أن الناس تعبد الله بتحمل الشقاء وآلامه .

(٤) مشكلات : من أشكل الأمر إذا التبس واختلط .

(٥) يقال للأرض المجهولة مجهل ، والجمع مجاهل . وهنا أطلقت على العصور المجهولة القادمة . والنائى أى : البعيد . (٦) إباق العبد : هروبه من سيده .

(٧) شآبيب جمع شؤبوب . وشؤبوب الدمع : ماؤه ، وعاجزات السخاء ؛ لأن هذه الدموع لا تفيد .

(٨) تأسى أى : تحزن . وبادرات البلاء : ما يبادر المرء منه .

مـــا بـكـينـا مـن الـشـــقـــاءِ ولـكـــ ـنّا بـكـينـا مـن ذلـنـا لـلقـــضـــاءِ
ضُـــربَ الأمـن والـســـلامُ عـلـيكـم وعـلـينـا عـــرفـــانُ وقـع الـبـــلاءِ[1]
لـو منينا بـعـيـشِكـم مـا رضـينا ضـاحـك الـقـلـبِ جـاهـل بالـبـقـاءِ[2]
لا يـصـيب الـســـلامَ إلا غـبـيّ كـيـف نرضى بـعـيشِ أهلِ الـغـبـاءِ ؟
كـم عـظـيمٍ قـضـى ولـم يـبـلغ الـنجـ ـحَ وغـــرّ أصـــابـه بـريـاءِ[3] !
كـم جـلـيلٍ مـــرجـم بـســـبـــابٍ وضـــئـيـلٍ مـــزيـن بـالـثـنـاء !

الـيـتـيـم

يـتـيـمٌ تـقـاضـاه الـهـمـوم حـيـاتـه وتظمـيه من طـيبِ الحياة خطـوب[4]
ومـا الـيـتـمُ إلا غـربة ومـهـانـة وأى قـريـبٍ للـيـتـيمِ قـريـبُ
يمرُّ بـه الـغـلـمـانُ مـثـنى ومـوحـداً وكلُّ امـرئٍ يـلقى الـيـتـيم غـريبُ
يرى كـلَّ أمٍّ بابـنهـا مـسـتـعـزةً وهـيـهـات أن يحنو عـلـيـه حـبـيب
يسـائلهُ الـغـلـمـانُ عن شـأنِ أهلـه فـيـحـزنـه أن لا يجـيـب مـجـيـب
إذا جـاءه عـيـدٌ من الحول عـاده من الوجـد دمـعٌ هاطلٌ ووجـيب[5]
كـأنَّ سـرورَ الـنـاسِ بـالـعـيـد قـسـوةٌ عليـه تريق الـدمعَ وهـو صـبـيـب[6]
يظل حـسـودًا لـلـذين أظلهـم من العيشِ ، فينانُ النعيمِ رطيب[7]

---

(١) ضرب أى جعل عليكم كالخيمة المنصوبة . (٢) منى بالشىء أى أصيب به .
(٣) قضى أى مات . (٤) تقاضاه أى تتقاضاه . (٥) الحول : العام .
(٦) صبيب : غزير . (٧) الفينان : المورق من الأغصان .

وما علم الغلُّ الفتى كمصيبةٍ دهته فلم يعطف عليه ضريب[1]
فيا ويله قد مزَّق الغلُّ قلبَه وأُنشبَ فيه للشقاءِ نيوب
عزاءك لا يلمم بك الضيمُ إنَّنا يتامى ولكن الشقاءَ ضروب[2]
فهذا يتيمٌ ثاكل صفو عيشه وذاك من الصحبِ الكرام سليب
وكلُّ امرئٍ فى الناس باكٍ وضاحكٍ وكلُّ يتيمٍ لليتيم نسيب
فإن شئتَ فاعدد من رزئت أمانيا وإنك منها ما حييتَ سليب[3]
وما الرزءُ إلا فقد من لو حرمته حييت ولم يعنف عليك وجيب
الا إنَّ بين الناسِ قربى ولو طغى جفاءٌ وأودت بالحنانِ شَعوب[4]
فإن جهلوا أنَّ القلوب أواصرٌ فما جهلوا أنَّ القلوبَ قلوب[5]

الجمال والعبادة

عند قدماء اليونان

كم أمةٍ أحكمت بالحسنِ دولتَها فخلفته وأودى مجدها الفانى
حبُّ الجمالِ حياةٌ لا نفادَ لها لانهبَ دهرٍ ولا أسلاب حدثان[6]
تلك التماثيلُ أم هذى المعابدُ أم تلك الفنون عليه خيرُ عنوان
يارُبَّ مرأى لنا منها ورُبَّ مُنى فيها وحسن قديم العهدِ يونانى !

---

(١) الغل : الحقد . والضريب : هو الند والمثيل .
(٢) لا يلمم أى لا يحل .
(٣) من رزئت أى من أصبت بفقدهم .
(٤) شَعوب أى الموت وهى بفتح الشين .
(٥) أواصر أى صلات نسب . والقلوب قلوب أى من مميزاتها ولوازمها الرأفة .
(٦) لا نهب دهر أى لا تفنى على الأيام .

لهفى على زمنٍ كان الجمالُ به | ما يعبد الناسُ فى دينٍ وإيمانِ
لم يحبس المرء عن آماله فَرَقٌ | منها ولم يثنه عن عزمه ثانى[1]
الحبُّ والحسنُ والأشعارُ دينُهمُ | أنعم بذلك ديناً بين أديان
لم يزر بالحقِّ حبُّ الحسنِ بينهم | فالحقُ والحسنُ إن فكَّرتَ سيّان
كأنما عيشهم من طيبِ مخبرهِ | بيتٌ من الشعر فى حسنٍ وتبيان
يرون فى كل شيءٍ حولهم نفسًا | حيًا وروحًا نماه طيب جثمان
لكلِّ شيءٍ إلهٌ ملؤه جذل | معبَّدٌ بين أزهارٍ وأغصان[2]
وللجمالِ إلهٌ غير ذى بخلٍ | مكللٌ بوريق العودِ فينان
لقد اضاءَت وجوه العيش عندهم | محاسنُ الحبِّ من صدقٍ وإحسان
لا تحسب الحبَّ بين الناس منقصة | فالحبُّ سلوةُ هذا العالمِ الفانى !

الحياة والعمل

المرءُ ليس بمالكٍ يده | حتى تكونَ وسيلة الأملِ
والمرءُ يقمر جسمه كسل | والعمرُ بعض غنيمة الكسل[3]
والعيشُ سرٌّ أنتَ باحثه | فعسى تجوب مجاهلَ السبل[4]
والعيش سجفٌ أنت رافعه | عما جهلت بجدّ ذى حيل[5]
والعيشُ تجربةٌ لسالكه | والياسُ اخطل فيه من خطل[6]

(١) فرق أى خوف . (٢) معبَّد بتشديد الباء أى معبود .
(٣) يقمر أى يكسب فى القمار ، كأنما الكسل يقامر المرء عن جسمه وعمره .
(٤) المجاهل : الأماكن المجهولة . (٥) سجف أى ستار .
(٦) الخطل : الخطأ .

فـحـذار أن تعـتـده غـرضـاً إن الحـيـاةَ وسـيلةُ الرجلِ[1]
لو كـان هـذا العـيشُ غـايتَنا لـم نـطرق الأقـدار بـالأجـل
لا تـزدهـيـك مـنـازل وُطـئـت فـالسـعـىُ خـيـرُ منازلِ النزُل[2]
والنجحُ ليس بخـيـر مكتـسب كـم نجـحـةٍ شـر من الفـشـل
كـم ظـافـر بـأقلِّ مـطـلب خـذلت يداه بمطلب جلل[3]
فـالطيشُ ليس بعـائب الأملِ والعـجـزُ ليس بعـائبِ العـمـل
إن الـذى يسـعى على وجـلٍ غـيـر الذى يسـعى على جـذل !

ضحكات الأطفال

ضحكةٌ منك صوتها صوت تغريـ ـدِ العـصافيـرِ تسـتـفـزُّ القلوبا
ضـحكةٌ ردَّت المشـيبَ شـبـاباً وأمـاتـت من الوجـوهِ الشـحـوبا
ضـحكاتٌ كـأنَّهـا كـلمـات الـ ـلّه تمحـو مـآثمـاً وذنوبا
ضـحكات كـأنها نـغـمـات تتـرك الغـافلَ الغـبىَّ طروبا
ضـحكات لا تعـرف الخـير والشرَّ ولا تضـمـر الجـوى واللغـوبا[4]
تفـزع الهـمَّ من ضلوع ذوى الهـمِّ وتحنى عـلى القـلوبِ القـلوبا[5]
كم أنامت دون الفـؤادِ وجـيـبـاً وأغـاضت من الدمـوع غـروبا[6]

---

(١) تعتده : أى تعده وتحسب .
(٢) لا تزدهيك أى لا تغرك . وطئت أى لانت وطابت . والنزل بضمتين جمع : نازل .
(٣) جلل أى عظيم .
(٤) لأن الطفل يفعل الشر والخير وهو لا يعرف أنه شر أو خير . واللغوب : هو التعب .
(٥) تحنى أى تميل (٦) غروب الدمع : شآبيب مائه .

رُبَّ ضحكٍ قد يضحكُ الغدرُ فيه ويُغطى عن خبِّه أن يريبا [1]
أبيض النفسِ صادق الضحكِ والغا درُ يعطيك ضحكه المكذوبا
ولقد يضحك اللئيمُ رياءً فتراه وهو الضحوك قَطوبا [2]
يا رعى الله للطفولة حالاً تركت بعدها العزاءَ سليبا
يا رعى الله للطفولةِ حالا ما عهدنا الزمانَ فيها مريبا
كم صحبنا فيها الزمانَ أمينا ولبسنا فيها النعيمَ قشيبا [3]

الجمال والموت[4]

باعد الهمّ عن فراشي المناما فرعيت الأشجان نهباً سواما [5]
وجعلت الفراش مأوى همومي فاستزادت من الظلام ظلاما
هو موري الأشواق بعد خمودٍ وهو داءٌ مرٌّ يهيض السقاما [6]
وهو أحنى عليَّ من وضح الصبحِ وأندى يداً وأهدا مقاما [7]
غير أن الفناءَ يخطر في شمـ ـلته غابنا جسوماً نياما [8]
طرقتني في جنحه خطرات أنا محيي الدجى وهن الندامى [9]
نضدت فوقي الرجامُ ضريحاً وسقتني من الحمام مداما [10]

---

(١) الخب : الخداع . (٢) قطوب أي عابس . (٣) الثوب القشيب : هو الجديد .
(٤) يتخيل الشاعر أنه رأى خيال حبيبته التي ماتت فَهمَّ أن يعانق ذلك الخيال فرأى جماله يذهب ولم يبق من الخيال غير هيكل عظمى .
(٥) نهبا أي تتناهبها المسالك ، وسواما : أي غفل عنها راعيها . (٦) موري أي مشعل .
(٧) أحنى أي أكثر حنواً ، وأندى أكثر ندى ، وأهدأ أكثر هدوءًا .
(٨) شملة الليل أي كساؤه أي الظلام . (٩) أحيا الدجى أي سهر .
(١٠) الرجام : الأحجار فوق القبور .

فـرأيتُ الشـيـابَ فـوقـى أكـفـا ... نًا وحـولى جـمـاجـمـاً وعظاما
ورمـــيـتُ الـظـلامَ بـالـنـظـر الآ ... مل أبغى من الظلام مـــرامـــا
إن هـذا الـظـلام بـابٌ إلـى المـو ... ت نـراه وراءنـا وأمـــامـــا
ياسـمـيـرَ الموتى ابن لى حـبيـبًا ... كـان فى مـقـلتىَّ بدرًا تمامـا [1]
غـبنتنى المنونُ فـيـه ولو شـا ... ءَت لسـامـت به الأنـام مـسـامـا

* * *

أىُّ زور يفـرى الدجى عن ضيـاءٍ ... أىُّ زورٍ يـســعـى إلـىَّ لمـامـا
أنـتِ أنـتِ التى هـجـرت لحـاظى ... وتـركـتِ الـفـؤاد يشكو أوامـا
أنتِ فى الموت والحـيـاةِ تقـودين ... فـؤاداً مـتـيـمـاً مـسـتـهـامـا
عـانقـينى فـرُبَّ صـدرٍ خـفـوقٍ ... ظلَّ يحنو عليك عـامـاً فـعـامـا
واجعلى ساعديك عقداً لجيدى ... واجـعلى معصمَيك فيه زمـامـا
عـانقـتنى فـعـانق الداء جـسـمى ... وكـأنَّ الخـيـالَ صـارِ رمـامـا
ورأيت العظامَ تعـرى من اللحم ... وقـد فـارق البـهـاءُ العظامـا
أبعـدى عن مـشـمى النفس المرّ ... فقدماً شممتُ منه البشاما [2]
أبعدى فاك ذاك عن شفتى الظمأى ... فـقـد أبدل الرضـاب لغـامـا [3]
بينمـا أنت كـالضـيـاءِ بهـاءً ... إذ تعـودين رمـةً تتـحـامـى [4]

---

(١) سمير الموتى : الخطاب لليل .
(٢) مشم مكان الشم أى الأنف . والبشام : زهر له رائحة طيبة .
(٣) اللغام : ما يخرج من فم الإبل من الماء .
(٤) تتحامى أى يتحاماها ويبتعد عنها الناس .

عابدة الشمس

(اسم زهرة معروفة)

تديرين نحو الشمسِ وجهًا كأنما ... ترين بوجه الشمسِ ما كتَب الدهرُ
فما حسرت عيناك من طول رقبة ... ويارُبَّ ترصادٍ ينوء به الصبر[1]
أتبغين من تلحاظها شكرَ نعمةٍ ... هى النور لم يحسب عليك له أَجر ؟
تسقِّيك من أضوائها بلواحظٍ ... وللشمس لحظٌ لا بطئٌ ولا شزر
إذا غربتْ أرخيتِ أجفانَ عاشقٍ ... يناجى حبيبًا دونه للدجى ستر
تضيئين وجهَ الروض من فرط صفرةٍ ... فأنت له شمسٌ وأنت له بدر
وفى اللون آيات من النورِ غضةٌ ... ويارُبَّ لون قد يضئُ له جمر
كأنَّك بين الزهرِ فى ليل أربع ... وعشر هلال حوله الأنجم الزُهر
وصفراء من نسل المجوسِ كأنها ... تعالج أمرًا لا يعالجه الزهر
تهمُّ إلى وجه السماءِ كأنما ... لها فى صميم الأرضِ من جذرها أسر
كما يشرئب النسر هيض جناحه ... مقيم على الدهماءِ ألحاظه طير[2]
جحدنا مغاليق الطبيعةِ ضلة ... فكانت حياةُ المرءِ أكثرها سر[3]

---

(١) حسر أى تعب .
(٢) اشرأب : تطلع ومد عنقه . وهيض أى كسر وجرح . والدهماء : الأرض .
(٣) مغاليق الطبيعة : أسرارها الغامضة .

صـوت الليــل [١]

مـلأتَ الكونَ من نفس عـمـيق ... فـاسـمع كلّ ذى قلبٍ مـفـيق
وأجـريت الجـلالَ على سكونٍ ... يفـيض على ظلامك كـالأنين
وأخـرست الحـيـاةَ وراغـبيـهـا ... وريحُ الموتِ تخـفق منك فـيـهـا
كـأنكَ شـدو ظئـر للوليـد ... إذا طردت به صـحـو العنيـد [٢]
كـأن النومَ صنوك حين تجـرى ... على سمع سـرارك ليس يدرى [٣]
وأنتَ عـلالةُ الروحِ الكبـيـرة ... إذا أصـغـت ولجت إلى السـريرة
فصوتُ الليلِ من صـوت الضمـيرِ ... مـهـيب القـولِ كـالهـادى النذير
يئـن صـــداه فى صمّ الضـلوعِ ... ويكسـو النفسَ ثوباً من خـشـوع
فـيـا مـأواى من عنت الحـيـاة ... إذا أنا متُّ لا تهـجـر رفـاتى
فكم ناجـيـتُ سـرَّك فى الظلامِ ... وداءُ النومِ يسـرى فى الأنـام
خلسنا منك أسـرار البـيـانِ ... فـأنت اليمُّ تعـمـره المعـانى [٤]

وصـف البحـر

ألا ليـتنى لجّ كلجِّك زاخـر ... أعب كما تهوى النهى والبصائر [٥]
فكم عبّت النفسُ اللجوج وحاولت ... كبعض سُطاك الآبيات النوافر [٦]
فأخفت من الدرِّ النفوس ومن حلى ... كما اختبأت فيك اللهى والذخائر
كـأن بهـا أفـقـاً كـأفـقك نائيـاً ... ومن دونه كل المدى يتـقـاصـر
أتطرب من لحنِ الخـرير كـأنه ... خـواطر تتلوها عليك السـرائر

---

(١) إذا هدأ الكون بالليل سمعت صوتاً مثل خرير المياه فكأنه صوت سكون الليل وهدوئه .

(٢) الظئر : المرضع . (٣) السرار : المسارة . (٤) خلسنا أى سرقنا .

(٥) أعاد الشاعر نشر هذه القصيدة بمجلة الرسالة (عدد ١٠ أغسطس ١٩٣٦) وأضاف إليها الخمسة والعشرين بيتاً الأولى ... أى لج من الحياة والنهى . (٦) أى النفوس الأبيات .

كما طرب النشوانُ من لحن صوته فجاشت لديك الراقصات الزواخرُ
وإلا فما للموج فى اليمِّ راقصًا دعاه عذارى البحر شاد وشاعر [1]
خريرك يحكى صدحة الدهر صامتًا كأنك دهر بالحوادث مائر [2]
هو الدهر لا يخشى المنايا ولا يهى صباه ولا تقضى عليه المقادر
وأنت شبيه الدهر لا أنت هارم ولا أنت منقوص ولا أنت خاسر
ويصطخب الآذىُّ فيك كأنما اصـ ـطخابك من حكم المنية ساخر [3]
أخفقٌ وإعصار ودفع وهبة كأنك حىّ نابض القلب شاعر !
فريحك أنفاس وموجك نابض كنبض قلوب أعجلته البوادر
خلوت من السمّار كالبيد وامحّت معالم لا تبقى عليها الأعاصر
سوى شلو فلك قد حدرت إلى الردى يلوح كما لاحت رسوم غوائر
وكم جزرٍ مثل الجنان مضيئة كأنْ جَهلتها الصائلات الدوائر
لخيلت نجوم السعد والحب والمنى فحنَّ إليها الشخشخان المخاطر [4]
كما حنَّ للآل الخلوب قوافل تخب بها فى البيد إبل ضوامر [5]
لخلفت فى قلب المخاطر همة على الدهر لا تبلى وتبلى العمائر
يحنُّ إلى ما خلف أفقك ناظر كما تنشد الغيبَ النُّهى والبصائر
كأنَّ منىً للنفس من خلف أفقه تلوح كما لاح السراب المبادر
أو أنَّ مجال السعد درٌّ منظم على الأفق ينحوه الطلوب المغامر
بلى كل نفس للغريب مشوقة وإن خوفتها من سطاه المحاذر
ويصغر فى مرآك عيش ابن يومه ويكبر رأىٌ ذاهب فيك سائر

---

(١) عذارى البحر (أو عرائس البحر) : إشارة إلى الأسطورة الإغريقية .
(٢) مائر : أى مائج . (٣) الآذى : الموج .
(٤) الشخشخان : القوى الشجاع . (٥) الخبب : العدو .

خـواطر مـثل الفلك فيك شـوارد ... يضلُّ عليـهـا عـازب اللب حـائرُ
تناءت بك الأمـــواج وهـى نـوافـر ... وجاءت بك الأمـواج وهى ثوائر(١)
كـأن بهـا عـجزَ المشيب إذا انثنت ... وعـزمَ الشـبـاب الغـرِّ وهى بوادر(٢)
فَنمْ نومـةَ الظل البطئ مـسـيـره ... وثب وثبـةَ الغـضبـان حين يساور
فيـارُبّ حلمٍ خـامل البطشِ هادئ ... ضـمـنتَ وجـهل شـرُّه مـتطاير
كـأن لنـا من لُجّ مـائك واعظًا ... بليـغـا له مما أثرت زواجـر
رأيتك والأمـواج في وثبـاتـهـا ... عـسـاكر حرب قد تلتها عسـاكر
فـبـينا يريق الضـوءُ فـوقك مـاءَه ... وتجرى عليك الريحُ وهى خـواطر
ويتلو عليك الصـائدون غناءَهم ... يـرجّـعــه لحن من الماء مـائر(٣)
ويُسمعك الملاح من شجو قلبه ... أحـاديث قـد تاقت لهن الحرائر(٤)
إذ الجـو جـهـمٌ والرياح كـتـائبٌ ... وإذ أنت مقـبوح السـريرة غـادر(٥)
ورُبَّ سفينٍ يقرع النجم مـجدها ... تقـاذفـهـا مـسـتوفـز اللجّ هامر(٦)
يروّعـهـا في كل هوجاء مـوعـد ... ويسـعى لهـا قـبـر من الماء سـائر
فليس الغـمـامُ الغـمـرُ إلا رياحـهـا ... ومـا المرسلاتُ الهـوجُ إلا الهـوامر
ومـا ذلك اللج الذى فى سـمـائهـا ... بأهدأ من لجّ نمتـه الزواخـر(٧)
إذا ذكـر الملاّح زوجـاً وصـبـيـةً ... طغى شجن في مرجل الصدر فائر(٨)
وتذهل عن مـهـد الوليـدِ رءومـه ... إذا ما رمتـهـا بالوعـيد الزمـاجر(٩)
ومـا هى إلا صـولة ثمت انجلت ... وأكبر غـرقاها المساعى البوائر(١٠)
كـمـا غـرقت في لجـة الدهر دولةٌ ... زهتْ مـا زهتْ والدهر للناس غامر

---

(١) تناءت : بعدت . (٢) أى أن الأمواج إذا ابتدرت الشاطىء كان لها بطش الشباب وعزمه ، وإذا رجعت عنه كان بها عجز المشيب وضعفه . (٣) مائر أى سائل .
(٤) تاق : اشتاق . والحرائر : النساء المحجبات . (٥) كتائب : جيوش .
(٦) أى أن الغمام فى صولته مثل الريح . والرياح مثل الأمواج .
(٧) نمته : نسبته إلى نفسها . (٨) المرجل : القدر وضع على النار .
(٩) الزماجر : جمع زمجرة أى صوت الرياح والأمواج . (١٠) البوائر من بار يبور : إذا تلف .

معانٍ لايذركها التعبير

كم معانٍ يودّ لو صاغها المر ... ءُ وحلّى بها وجوهَ البيانِ

هى ملءُ الضميرِ لم يبلغ اللفـ ... ـظُ مداها ولم تذلها المبانى(1)

كلما رامَ أن يعبرَّ عنها ... إنفت أن تُنالَ بالآذان

فهى عذراءُ لا تحنُّ لناءٍ ... وهى عذراءُ لا تلين لدانى

نزلت فى النفوس منزلَ صدقٍ ... كنزول النفوسِ فى الأبدان

وتأبت عن قانص الحقِ باللفـ ... ـظ ولو كان واسعَ التبيان

هى جزءٌ من النفوسِ وهل تبـ ... ـدو نفوسٌ لمدرك بالعيان

لن تراها بالرأى حتى تراها ... بفؤاد موفقٍ يقظان

طالما نالها أخو الصمتِ والصمـ ... ـتُ كريم البيان جمُّ الأمان

إنَّما تنطق النفوسُ لدى كل ... مصيخٍ إصاخة المذعان(2)

ونجىُّ النفوس ليس الذى الـ ... ـجمَ فاه من رهبةٍ أو هوان

إنَّ وأد الأبناءِ أهون خطباً ... وأثاماً من وأد تلك المعانى(3)

ذلّ من خاف لومةَ الناسِ فى قو ... لة حقٍ فلجَّ فى الكتمان !

---

(1) أذال : أرخص وحقر .

(2) المذعان : الذى يذعن للحجة .

(3) الأثام : اسم مصدر من أثم .

غلامٌ مريضٌ

يكلم أمه

خــبــرينى أمى أئن مــتُّ مــاتــت   نزعـــــاتى إليكم وحنينى ؟
والحنـــانُ الـــذى أضـــمُّ بـــه كـــــ   ـــلَّ قــريب مـــعـــانق أو قـــرينِ
والضـــيـــاءُ الذى ترين بعـــينى   أمـــضىءٌ ســـواد تلك المنون[1]
وهل المرءُ فى المـمـــات غـــبينٌ   أم هو المرءُ فـــيـــه غـــيـــرُ غـــبين
عـــاهدينى أن لا تعـــانى لموتى   حـرقـات تفـيض مـاءَ الجـفـون
وإذا شـئتِ فـاجـعليـه رشـاشًـا   ذلك الدمع واحبسى من أنين[2]
فـى قـليـلٍ مـن البـكـاءِ بـلاغٌ   وكـــثـيـــرُ البكاءِ داء العــيـون
لستُ أرضى لحـرٍّ وجـهك أن يز   رى به من شحوب وجهِ الحزين
لست أرضى لأضلعٍ حـملتنى   أن تعـــانى حـملَ الأسى المكنون
ولصدرٍ قد كان يحنو على جســـ   ـــمى فى المهد لوعة من شجون
العـصـافـيـرُ فى الرياض تغنى   لا كجسمى تحت الترابِ الدفين
كنتُ فى العيش مثل هذى العصافيـ   ـــر أغنى فى وكـــرِىَ المأمـــون
فـــالاحت لى المنون بـوجـــهٍ   أى راءٍ يرضـيـــه وجـــه المنون ؟
ليس ما بى خـوف الجبـانِ ولكن   خوف جهلٍ لا خوف جبن وهون[3]
كـالمكـان الخـراب يبـعث فى النفـــ   ـــسِ خشوعاً ورعدةً للظنين[4]
فهو يخشى وليس يعرف ما يخــ   ـــشى ووجـه الفناءِ غـيـر أمين

---

(١) ضياء العين : لمعانها .
(٢) الرشاش : القليل من الماء أو الدمع .
(٣) الهون : الهوان والذل .
(٤) الظنين : المتهم ويبعث له رعدة ؛ لأنه يذكره بجناية .

التنويم المغنطيسى

أو عزيمة المجرم

« قصة »

بلحاظٍ راميات مصميات ساكنات[1]
كلحاظ الحيةِ الرقـ ـطاءِ عند الوثبات
واعتزام ليس يثنى بدعاءٍ أو شكاة
قادها كرهاً وكانت قبلُ خير الآبيات[2]
جعلت تغضى لتمحى فعل تلك النظرات[3]
فهى كالطير قنيصٌ فى الشباك القانصات
ولها قلبٌ خفوقٌ كجناحِ الطائرات
خيفة الرجس ولا خو ف كخوفِ الغانيات
صار يدعوها إليه بحديث اللحظات
لحظات آمرات فهى طوع الآمرات[4]
تأخذ المرءَ اقتساراً باقتدارِ العزمات
رحمات الله ترعا ها بخير الرحمات
كم يضحى الشر بالطهرِ لحكمِ الشهوات
رُبَّ جانٍ علّم العا جز وجه العزمات
ربّ جانٍ علم الغرّ جذاب الفرصات[5]

(١) مصميات : مصيبات . هذه قصة جناية استخدم مجرم شهوان التنويم المغنطيسى لكى ينال شهوته من فتاة كان يحبها . (٢) الآبيات : المتمنعات .

(٣) يصح فى محا أن يقال : محا يمحو ومحى يمحى ومحا يمحا .

(٤) آمرات : لأنها لحظات المنوم بالمغنطيس . (٥) الفرصات : الفرص .

كـــلُّ خـــبٍ ودهـــاءٍ واعـــتـــزامٍ لـلـجـنـاة
هو مـــحـــســـوب علينا فى أســـاليـب الحـيــاة !

ليتنى كنت إلهًا[1]

ليــتنى كنتُ فى الســمــاءِ إلهــا نافــذَ الأمــرِ فى شــؤونِ الوجــودِ
فـــأضمُّ الـوجـــودَ بين جناحـ ـىَّ وأسطو على الشقـاءِ بجودى
ثـم أحنو على الأنامِ كـمـا يحـ ـنو شـفيقٌ على الرضيع الوليـد
ليس شـــرّى عليـهم بهــتـون إنَّمــا العـــدلُ آيةُ المعــبــود[2]
إنّ وعـــدى لديهم خـيــر وعـــد ووعــيــدى بالشـرِّ غيـر وعــيــد
ليس حكمى عليــهم بشــديدٍ وقـــيـــودى لـديهم بقـــيـــود
ونـدامـــاى فى الملائكة الغـــرّ حـــســـان من الظبــاءِ الغـيــد
مـجـدونى حـتى عطفت عليـهم فـاستراحوا من ضجـة التـمـجيـد
هـم أجــادوا المديحَ والنغمَ العــذ بَ فأعـفـوا من ركـعـةٍ أو سجـود
هم أضــاءوا كـواكـبى بضـيــائى وأثـاروا بـوارقـى ورعـــــــودى
وهـم فى الظلامِ حـــولى قــيـــامٌ لم يهـيـجـوا لواعـجى بالصـدود
كـم عـنـاقٍ لـى بـيـنهـم والتـــزام وارتـشـــاف من الرضـابِ البـرود
لـو ترانـى وعـــزتـى وجـــلالـى وجـنودى وعـــدتـى وعـديدى

(١) المقصود من هذه القصيدة تحذير الناس من نسبة الصفات الإنسانية إلى ذات الله أو أن يقيسوا قدرة الله بقدرة الناس ، ويقصد أيضاً السحر بالذين ينتقدون نظام الكون ، ويزعمون أنهم لو وكل إليهم أمره لأصلحوه .
(٢) هتون : متدفق هاطل .

لو تراني وعــزتي غـيـر عـزها ‏ ة وقولي : أحبكم يا عبيدى !
وهم يبسـمـون عن جـذل جمٍ ‏ وعـيشٍ هناك غـيـرُ عـمـيـدِ
فـتنونـي بمبـسـم وقـوامٍ ‏ وبجـيـدٍ وأعينٍ وخـدودِ
ليس فـيـهم من خائنٍ أو خـبيثٍ ‏ أو لئـيمٍ أوحـاقـدٍ أو حـسـودِ
ولهم في أوائل الفـجـرِ لحنٌ ‏ يوقظون الطيـورَ بالتـغـريد[1]
وسـقـاني من الملائكة الغـرُّ ‏ وصـيـف شـراب أهلِ الخلود
رُبَّ سـاقٍ مـتـوَّج الرأسِ بالزهرِ ‏ صَقـيلِ اللحـاظِ غـيـر عنيـد
ولنا من سـمـائنا فـوق هـذا الـ ‏ ـنَّاس إشرافُ سيدٍ مـعـبـود[2]
كم بعثنا اللحاظَ في غَسَقِ الليل ‏ ولحظ الإلهِ غـيـر شـريد
فـإذا النَّاسُ بين باكٍ وضـحـا ‏ ك ومـضنى من لوعـةٍ أو حـقـود
ورأينا في مـرقـد الـغـادةِ الرو ‏ د نسـاءً حُلّين بالتـجـريد[3]
فضحكنا حتى أفقنا من الضحـ ‏ ـكِ وحتى حسبنه من رعودى
كم رفعنا قناني الخـمـرِ للسـا ‏ رى إذا ضلَّ في الليـالى السـود[4]
فـأضـاءت له الطريق سـويًا ‏ وهدته هدى اللبـيـبِ الرشـيـد
فـأرقنا عليـه ديمة مـزنٍ ‏ سلبت منه جـدة في البـرود[5]
وضـحكنا ضـحكاً يضجُّ له المو ‏ تى ويشكو منه حبيس اللحود[6]

---

(١) لحن : أى غناء ، أى أن الملائكة تغنى فى الفجر لتوقظ الأطيار . (٢) أشرف : أى أطل .
(٣) الغادة الرود : الناعمة . والتجريد : العرى ، أى أن النساء أحسن ما تكون عند العرى .
(٤) قنانى الخمر : دنانها . (٥) البرود : الثياب . (٦) اللحود : القبور .

هكذا تمزح الملائكةُ الغرّ ومزحُ الكرامِ غيرُ شديدِ
رُبَّ مزحٍ سهل المساغ ومزحٍ مستطيل العداءِ غير حميد
مزحنا مزح خالص النفسِ والكـ ـف بريءٌ من سوأةٍ أو حقود[1]
بسط العرش فاستويتُ عليه مستعزاً بملكيَ الممدود
أنا بالخير قائمٌ ، وأخى إبـ ـليس بالشر قائم والوعيد
كم سخرنا من خائفٍ غير ندبٍ إنما الجبنُ آفةُ الرعديد[2]
وطربنا من عابد العملِ الجمّ عظيم الفؤادِ غير قعيد
أنا والحب خالدان ، كلانا ذو صيال ونشوة وجنود !
هو تِربى والكون طفلٌ وليدٌ وسميرى ومسعدى وعقيدى
يا جمالَ الحياةِ من علّم العـ ـشاق رشفَ اللمى ولثمَ النهود ؟
يا جمالَ الحياةِ من علّم الشا عر وصفَ الهوى ونسجَ القصيد ؟
يا ضياءَ الحياةِ من علّم الرا سمَ رسمَ الضحى وورد الخدود ؟
يا حياةَ الحياةِ من علّم الصا نع صُنعَ الدمى الحسان الغيد[3] ؟
يا حياة الحياةِ من علّم المطـ ـربَ حسنَ الغناءِ والتغريد
يا حياة الحياةِ من علّم العـ ـوادَ إفصاح عوده الغريد ؟
قد أرتهم ملائكى طرفَ العيـ ـشِ فأوروا ذكاءَهم بزنودى[4]
أنا شيخٌ وهم تلاميذ صدقٍ شايعونى بالنصرِ والتأييد

---

(١) السوأة : الشئ الذى يشين .
(٢) الندب : الشجاع النشط . والرعديد : الجبان .
(٣) الدمى : التماثيل
(٤) طرف العيش : ما يستحب منه . وأوروا : أى أشعلوا .

سُـــستُ هـذا الأنامَ بـالحلم حـتى ... صـار رأيى فى الحلـم غـيـرَ سـديدِ
وهجـانى من البُـغـاثِ كـثـيـرٌ ... ليـس فـيـهـم من عـاقل أو رشـيـد
هـكـذا سنة الورى ، وقــــديمًا ... هـلك الـليـثُ فى زمـــانِ القــرود
وأتـتنى قـــوارضٌ عن أخ الجـــهــ ... ـلِ فـويـح لمثله من قـصـيـدى
ذهـنه خــــاذل فلو كـــــان ريا ... لذبـابٍ لمـات مـن تـصـــــريد[1]
كـيف أخشى هجو البغاثِ وقد نا ... هضتُ إبليسَ فى زبون كـؤود[2]
فـاعـتـزامُ الجـهـولِ غـيـرُ جليلٍ ... وأمـانـى الحـســودِ غـيـرُ ولود[3]
مـا رعـودى لهم وعـيـدًا ،ولكن ... ضحك سخر بالشانىءِ المجهود[4]
طارق اليـــأس لا تلحْ لـى بأمنٍ ... واعـفنى من حـديثِك المقنود[5]
أنا أقـــوى من أنْ أذلَّ ليـــأسٍ ... مـسـتـعـيـذًا بأمـره المعـقـود
ودم للحــــيــــاةِ هاج بقلبى ... مـوقظًا بعضَ همـتى بالوئيـد[6]
نبضاتٌ فى القلبِ تحيى طموحى ... وتـزيحُ الهـبـاءَ عن مـجلودى
كلُّ عـيش سَـهْلُ المسـاغ وإنْ مـرّ ... سـوى عَـيْشِ يائسٍ مـصـفـود[7]
لهفُ نفـسى على مـراتب عـزٍّ ... تطَّبـينا بالسـؤددِ المعـقـود[8]
لهف نفسى على مـراتب قد يبـ ... ـلغهـا المرءُ فى الخيـالِ البـعـيـد
رُبَّ عيش لى فى السموات رغد ... ليـس عـيشٌ من بعـده بحـمـيـد

---

(١) التصريد : قلة الماء أو المأكول .
(٢) الحرب الزبون : الشديدة البطش . الكؤود : التى تهد وتثقل . (٣) غير ولود : أى لا تلد
(٤) الشانئ : المبغض . (٥) الذى به حلاوة السكر . (٦) وئيد القلب : ضرباته .
(٧) مصفود : أى مقيد . (٨) تطبى : أى تستميل .

كان يقضي القضاء أمرى فما حكـ ... ـمى لدى الحادثات بالمردود

عزلوني عن حكمها فكأنّي ... يوم ذاك السلطان عبد الحميد !

غير أني قد كنتُ أحسن عهداً ... وعهودُ البغاةِ غيرُ عهودى

ولو أني بقيتُ في الدست حيناً ... هلك الناسُ من زمانٍ بعيد[1]

فكأني قردٌ يقلد فيها ... ربّه بئسَ ذاكَ من تقليد !

أيُّها الغافلون قوموا جميعاً ... واسألوني عن عدتي وعديدي

لم تدع لي نوائبُ الدهرِ منها ... غيرَ قلبٍ على الحياةِ جليد

ولسانٍ مثل الحسام رهيفٍ ... وبيانٍ كاللؤلؤ المنضود !

لسان الغيبْ

يا لسان الغيبِ ناجي شاعراً ... كشفَ الغيبَ له طولُ الأنين

عرف الهمَّ فلم يخنع له ... ورمى الدهرَ بصبرٍ لا يخون[2]

إنّما العيشُ عزمٌ لا يني ... يتقاضاه الأسى وهو ديون[3]

ودحا الكون بلحظٍ صادق ... فرأى ما لا يراه الناظرون[4]

يبتغي المخبوءَ في مكمنه ... ويناجي الله في تلك الظنون

ويردُّ الناسَ عن غفلتهم ... ما علا يومًا على الشكِّ اليقين

---

(١) الدست : كرسي الرئاسة (فارسي معرب) .

(٢) يخنع : أي يخضع .

(٣) لايني : لا يتباطأ .

(٤) دحا : أي بسط .

باشـر الحـالات كى يخـبـرها ويرى فى بعض ذاك العـزِّ هون[1]

يا رسـول الغـيبِ لا تعنف به أطرق الشـاعـر فى رفقٍ ولين[2]

إنما الشـاعـر فـيمـا يبـتـغى باحث برٌّ علـى الغـيبِ أمين

بائعٌ باع رخـيـصًـا عـمـره بعـلالات المنى وهو غـبين[3]

ودهتـهُ فى العـوادى حكمٌ جنّ منهـا لبـه أى جنون[4]

قـد أحبّ العـيش لاحب امرىءٍ واجد يخشى على العيش المنون[5]

وقـلاهُ لا قلى مـسـتـضـعفٍ يبـتـغى الآمـال أو حـز الوتين[6]

واسـتـقـاد العـيش لا تكرثه صـولةُ العـادات بالداء الدفين[7]

فـإذا شـاءَ رأى فى الجدب خصبًـا ورأى فى الراكـدِ المـاءَ المعين

نعمى الزواج

إنّمـا عـقـدةُ الزواجِ عـقـالٌ وإسـار أنعم بـه من إسـارِ

هو ذاك النعـيم لو أسلسَ الحظ وباب الجـحـيم عند العـثـار

وهو مأوى المطلول من حدث الدهـ ـر بشـؤبوب ديمـةٍ مـدرار[8]

جـاعل بيننا هضـابًا منيـعـا ت وبـين الأهـواء والأوطـار

---

(١) أى فى بعض ما يراه الناس عزاً يرى ذلا . (٢) رسول الغيب : يقصد به الخيال الصادق .

(٣) العلالات : ما يتعلل به الإنسان . (٤) العوادى : المصائب . (٥) واجد : أى له مال وغناء .

أى أن الشاعر لا يحب العيش كما يحب الأغنياء العيش .

(٦) الشاعر لا يبغض الحياة بغض الضعيف لها .

(٧) استقاد : ذلل وروض . (٨) المطلول : أى وقع عليه الطل .

غيـر أن الحلاب أعـذب ورداً وهو أناى عن ذلةٍ وصغارِ
إنما المورد الحرام كسمٌ الـ ـصلٌ فى طرف مؤخرٍ غدّار
أحكم الله عقدةً هى كالعضـ ـب لدى عقدة الخطوبِ الكبار[1]
جاعلاً ذلك الزواجَ كريماً كزواج الأنداءِ للأزهار
إنَّما الزوج موئلٌ حيث لا مو ئل يُنجى من صولةِ الأقدار
وهى كالنجمةِ المنيرةِ فى جُنـ ـحِ دُجى الخطب للشريد السارى[2]
ولجت فى الصميمِ من حبّةِ القلـ ـبِ وحلّت بموطنِ الأسرار

الشاعر وصورة الكمال[3]

« قصة »

قد حدثوا عن شاعرٍ نابغ مجود الشعر شريفِ المقال
لم يعشق الغيدَ ولكنه هامَ ببكرٍ من بنات الخيال
صُورةُ حسنٍ صاغها لبُّه وحدُّها فى الحسن حدّ الكمال
فصارَ كالطفل رأى بارقاً هاج له أطماعه فى المحال
يمدُّ نحو النجمِ كفًّا له ويحسبُ النجمَ قريب المنال
فأينما سارَ تراءت له كما تراءى خادعاً لمع آل[4]
خيالها دانٍ به حائمٌ كأنه غير عزيز النوال
وربما ألبسها وهمُهُ جسماً وكم وهمٍ غريب الصيال[5]

(١) العضب : السيف . (٢) الشريد : الهائم على وجهه . (٣) قصة شاعر فتنته صورة الكمال فى الحسن ، حتى عشق صورة من بنات ألخيال كانت سبب موته .
(٤) الآل : السراب . (٥) الصيال : من صال يصول .

قـد هجـر الأترابَ من وحـشـةٍ — وصـار يمشى فـوق هام الجـبـالِ(١)
يحـدِّثُ النفسَ بأمـرِ الهـوى — ويسـأل الأرواحَ رجع السـؤال(٢)
فـبـينمـا يسعى على قـمـةٍ — تروِّع النفسَ بمرأى الجـلال(٣)
رأى التى صـوَّرها لبُّـهُ — تصوير صب عـابدٍ للجـمـال
قـالت له : إن كنتَ لى عـاشـقًـا — فـاتبع خطاى واستضئ بالخيـال
فـسـارَ يقـفـو إثرها هائمـاً — والمهـتـدى بالوهم جمُّ الضلال
وهمَّ أن يمسكهَـا جَـاهداً — بين ذراعـيـه بأيد عـجـال
مـازال يعـدو جـهـدَه نحـوها — حـتى هوى من فـوق تلك القـلال
فـرحـمـة الله على شـاعـرٍ — مـات قـتـيلاً للأمـانى الطوال !!

ربَّمـا
أو
المزهوُّ بحميد خلقه

يا سـعـيـداً يتـيـه بالخُلقِ الفَـا — ضلِ فـينا كـتـيـه أهل الثـراءِ
خـفِّض اللحظَ قد يتيح لك العيـ — ـشُ أموراً من حـادثات القـضـاءِ
ربما شبَّ بين جنبـيك للشـر — ضـرامٌ مـا إن له من فناء
كلُّ نفسٍ فيها إلى الخير والشرِ — دواعٍ طويلة الإغـفـاء

---

(١) الأتراب : أى الأصحاب والأنداد ، وهام الجبال : رؤوسها . (٢) الأرواح : هى الرياح .
(٣) روع بتشديد الواو : أزعج وأخاف . (٤) هناك أناس يتيهون بفضائلهم كما يتيه الغنى بغناه وماله . (٥) أتاح له : أى سبب له . (٦) شب : أشعل . (٧) الإغفاء : النوم .

أنت فى اليوم واسعُ الجاه غضٌّ الـ ـخيـرِ لدن الرخـاءِ رطبُ الرجـاءِ
خـالصُ الكفُّ من دمـاءِ قـتـيلٍ أبيضُ الطبعِ لم يشب برياء[1]
ربما كنتَ فى غـد أشـعثَ الطبـ ـع لئيمَ الخصـالِ جمٌّ الشـقـاء[2]
خـاضبَ الكفُّ من دمـاءِ عـدوٍ طائرَ الضـغنِ ثائرَ الشـحناء[3]
أو طريداً يرمـيـه بالنظرِ الشُّـزْ رِ عظيم الرياء جمّ الحـيـاء[4]
كم وجـوهٍ مشـبوبةٍ من حيـاءِ وقلوبٍ لئـيـمـة الأهواء
كلُّ نفسٍ فـيـهـا عـزائم وسنى فـهى كـالغـيبِ لا تبينُ لرائى[5]
ليس تبـدو حـتى يمزّق عنهـا قـدر واقع سـتـور الخـفـاء
أكـثـر النفس ساكنٌ غـيرُ يقظا ن خـفىٌّ خـفـاءَ غـيـر عـفـاء[6]
ربما أضـرمت حـوادث فى النفـ ـسِ ولوعـاً بالخـيـرِ جمٌّ السناء[7]

النساء فى الحياة والموت

قُـمنَ يرفلْنَ فى الليـالى السـودِ بعـد أنْ صـرن طعـمـةً للدودِ[8]
بعـد أن كنَّ للعـيـون جـلاءً فـاتنات بأعينٍ وخـدودِ
مـالئـاتٍ وجـهَ الحـيـاة ضـيـاءً عـابثـاتٍ بمسـعـدات الجـدودِ[9]
هزَّ منهـا الهـوى ثمـارَ صـبـاها هـزةَ الـريـح زهـرة الأمـلـودِ[10]

---

(١) لم يشب : لم يمزج . (٢) أشعث أغبر أى أن الرجل من أهل الخير قد يكون فى غد من أهل الشر .
(٣) ثائر الشحناء : مهيج البغض .
(٤) كما كان هو يرمى غيره بالنظر الشزر . (٥) وسنى : نائمة .
(٦) العفاء : الفناء . (٧) السناء : الضياء . (٨) يرفل : يميس فى الثوب .
(٩) هذه حالة النساء فى الحياة . (١٠) الأملود : الغصن الناعم .

يتـواقـعن كـالنسـيمِ ويجنين ... لحـاظى بثنى تلك القـدودِ

صـرن يخطرن فى الظلام ويرمـيـ ... ـن عـيـونَ الرائين منهـا بداءِ

ويرجِّـعن فى الظلامِ صـراخ الـ ... ـبومِ حتى يسقمن وجهَ الهواء

لابسـات أكـفـانهنَّ حـيـاءً ... إن ترى قـبحـهن عين الرائى(1)

هنَّ فى الموت والحـيـاةِ يخبـئـ ... ـن عـيـوبًا تزرى بذاك الحـيـاءِ

ربما أضـمـر الرياءُ حـيـاءً ... وبدا فى الحـيـاءِ بعضُ الرياء(2) !

الحلال والحرام

إذا لم يَعُـدْ بالشـر مـا أنتَ ناعمٌ ... به فـانتـهـزه ليس فيـه حـرامُ

فكم لذةٍ للمرءِ كـان اغتصابها ... حـرامـاً أحلت والصروفُ كـرام

ومـا كلُّ مـا يأتيك عـفـواً مـحللاً ... ولا كـلُّ مـا لا ينتـحـيـه مـلام

ولكنهـا اللذات مـا غـاب ضـرُّها ... حـلالٌ وإن هـابَ الحـلالَ لئـامُ

فَـرُبَّ حـلالٍ حـرّمـوه وحـرمـة ... أحلوا وألبـاب الأنامِ نيـام !

متى يعـرف الأقـوامُ حـلاً محـرمًا ... فـيـروى من الحلِّ الحـرامِ أوام ؟

---

(1) حالتهن فى الموت كما يصورها الخيال .

(2) أى من أهل الرياء من يستحى من ريائه ، ومن أهل الحياء من هو منافق فى حيائه .

العقاب بالقتل

أطيلوا حـيـاةَ الجـارمين فـإنَّهـا ... حـيـاةٌ إذا سـدّ المطامع عـاقـرُ[1] !
أتبـغـون أن تنفـوا بجـرمٍ جـريمةً ... هى القـتلُ يأتيهـا مقيـد وعـائرُ[2]
فلو أنهم عاشوا وفى السجن معهدٌ ... لتهـذيبهـم عاشـوا وفى العلم زاجرُ
لقـد أخلفـتهـم بلغـة العيشِ برّها ... زمـاناً وحـاجـات الحـيـاةِ غـوادر[3]
لبئس حـيـاة المرءِ والفـقـر عـاكف ... عليـه وأسـبـاب الحـيـاة جـرائر[4]
فـقل للأُلى أذوى النعـيمُ قلوبهم ... أعينوا أُلِى الحاجاتِ فالفقرُ كافر[5]
كـأنكم بالضـامـرين تعـارفـوا ... على نيـةٍ سـوآء والجـوعُ آمـر[6]
هنالك إنِّى للفـقـيـر لعـاذلٌ ... وإنّى لـه مما يعـانيـه عـاذر !

عيون الندى[7]

عـيـون الندى كـونى على الزهر إنَّه ... يطلُّ على العشّاقِ منك ويشرفُ
فليس عيونُ الغيدِ أشعلها الصبا ... بأروع فى لألائهـا حين تعطفُ
ولا أطفـات منك الغـزالةُ رونقًا ... على الروضِ جذلان المدامع يذرف

---

(١) أى أن حياة المجرمين لا تلد الشر إذ سد بينه وبينهم .
(٢) المقيد الذى يصدر العقوبة . أى كيف تنهى الحكومات الناس عن القتل وهى تأتيه .
(٣) البلغة من العيش : الكفاف ، أى القليل من الرزق .
(٤) جرائر : أى جرائم .   (٥) أذوى : جفف وأتلف .
(٦) ضمر : أى صار نحيفا . وسوآء : سيئة ، أى تثور حرب اقتصادية بين الفقراء المعدمين والأغنياء يقسو فيها الفقراء على الأغنياء انتقاما .
(٧) عيون الندى : أى قطراته .

ولا زال مكسالُ النسيم إذا سرى على روضةٍ يحنو عليك ويرؤف
يهزك هزَّ الظئر مهدَ وليدها فلا المهدُ يشكوها ولا هي تعنف[1]
ولا زال غرّيدُ العصافيرِ واقعاً على الزهرِ يحسو منك ريًا ويرشف[2]

الحاجة المكتومة[3]

«قصة»

زعموا أن فتاةً جمعت طيبَ النساءِ
شهرت بالبرِّ والتقـ ـوى وحسنٍ وحياءِ
ما رآها عارفوها ضحكت ضحكَ الضياء
ما رآها عارفوها رددت رجعَ الغناء
هي عاشت في جلالٍ كجلالٍ للمساء[4]
حين ترنو الشمسُ حزنًا وهدوءًا في السماء
لم تجد وجدًا فتمحو ه بإحياء البكاء
فلها عيش رقيق كغديرٍ في الصفاء
وهي لم تُمْنَ بهمٍّ وهي لم تُمْنَ بداء[5]
غير داء خفيت أسـ ـبابه عن كل رائي
وافتقارُ النفس للحبِّ عنيفٌ لا يرائي

---

(١) الظئر : المرضع . (٢) غريد بتشديد الراء : المغرد ، ويحسو : أي يشرب .
(٣) فتاة أحبت فأخفت حبها وماتت من ظمئها إلى لذاته . (٤) رب فتاة هي في سكونها ووقارها مثل المساء في سكونه ووقاره وجلاله .
(٥) مني بالشيء : أصيب به .

هــزلــت فــى كــل يــومٍ　　　فى صــبــاحٍ ومــســاءِ
ولهـــا لحظٌ ضـــعـــيف　　　مـــثل ضـــعـف للفناء
أتراها ســـتـــرت حـــا　　　جـــتَـــهـــا ســتـــر رياء
أم تراها جـــهـلـتـــهـــا　　　جهلَ طهـرٍ أو غـبـاء[1] ؟
عـــمـــرت حـــينًا ومـــاتـت　　　من عـــفـــافٍ وحـــيـــاء !

الإنسان والزمن[2]

حـــيـــوانٌ مـــهـــذب　　　أم إله مـــعـــذّبُ[3] ؟
صـــرَّح الخـــيـــر والأذى　　　فـــيـــه والخـــيـــرُ أغلب[4]
فـــإلى العـــجم نـسـبـة　　　وإلـــى الله يـــنـــســب[5]
وهـو فـى الـشـــرُّ يرغـب　　　وهـو فى الخـيـــر يرغب !
ولـهُ دُونَ شـــــــــرِّه　　　فى الليـــالى مـــؤنب[6]
ولـه دُونَ خَـــيـــره　　　فى الليـــالى مـــهـــذب
نَـــهَـــلٌ هـــذه المـــنـــى　　　والمســـاعى تـقـــرّب

---

(١) أى هل هى كانت تعرف أن سبب مرضها حاجتها إلى الحب أم كانت تشعر بهذه الحاجة ولكنها لم تفهمها لأحد سببين إما لمهارتها وإما غباوتها .

(٢) هذه القصيدة تبحث فى الإنسان وآماله ومنزلته فى الوجود .

(٣) أى هل الإنسان حيوان مهذب أم الإنسان إله معذب .　　　(٤) صرح بالتشديد : أى ظهر .

(٥) أى أن الإنسان بينه وبين الحيوانات صلة كما أن بينه وبين الله صلة .

(٦) أى أن التجارب تدله على أن فى الشر ضره .

لحـيـاة قـبل الحـيـا ة وعـيش لا يـكـذبُ(١)
تـذكـر النفسُ حـالهَـا فـيـه والحـالُ تعـجبُ
فـجنابٌ مـوطـأ واقـتـدارٌ مـحـبّبُ
ولهـا عند أمـسـهـا فى ضـحى اليـومِ مطلب
ومـلالٌ فى يومـهـا وطـمـوحٌ ومـعـتب
ولهـا كـلَّ سـاعـةٍ شـجـن أو تطـرب
مـثلمـا أذكـر الغـريـب حـبـيـبـاً تغـرّب
مـثلمـا هاج للغـريـب جـوى الحزنِ مغرب(٢)
فـالمـآلُ التنـقُّـل والمـآل التـقـلُّب(٣)
والبـقـاءُ التـغـيُّـر والحـيـاةُ التـطـلب(٤)
أومـا تبـصـر الزمـا ن أتـيّـاً لا ينضـب(٥)
وهو للعـمـر مـالئ وهو للعـمـر يسكب
ولـه الكـونُ خـلعـةٌ يرتـديهـا فـيـحـجب(٦)
ولـه القـلـبُ مـنـزلٌ ولـه النـفـسُ مـلعـب !

---

(١) أى هل أمانى الإنسان وأطماعه ورغبته فى حياة أكمل من حياته هذه ، هى فى الحقيقة تذكر لحياة ماضية ، وشوق إلى تلك الحياة الماضية .

(٢) ويحن إلى تلك الحياة الماضية كما يحن الغريب إلى حبيبه عند غروب الشمس .

(٣) أى مآل الإنسان أن يتنقل من حياة إلى حياة .

(٤) أى أن التغير لازم للبقاء والتطلب من لوازم الحياة .

(٥) الأتى بتشديد التاء : السيل العظيم . (٦) خلعة : أى رداء وثياب .

مراجعة الحب

دعنى أقتاتُ من عيونك بالـ ـلحظِ وأروى من خمرةِ الجذلِ[1]
ودعْ جفونى تبلُّ خدَّك بالـ ـدمعِ وتحكى مصارعَ الأمَلِ
نستدفعُ العتبَ بالعناقِ ونَنـ ـفيه بإحياءِ ضجة القبلِ[2]
هل تذكر الموقفَ الرهيب وقد مالت بسمعيك حجة العذل
ولهان أبكى وأنت ذو خجلٍ وقد يراضُ الحبيب بالخجل[3]
تحسب حبيك شرّ منقصةٍ تفعل بالجاهِ فعلةَ الأسل[4]
وإنَّما الحبُّ سلوة جلل على شقاءٍ ذى دولةٍ جلل[5]
وإنَّما الحبّ كالضرامِ إذا أجيع يخبو كخبوةِ الشعل[6]
وإنَّما الحسنُ نهزةٌ تدع الـ ـخائبَ يبكى منها على طَلَل
لقد عرفنا الحياةَ معرفةً يهابها خائفٌ من الزلل
فاملأ بعطفيك ساعدىَّ ولا تترك فؤادى بالصدِّ فى شغل[7]
لم يخلق اللهُ حسنكم عبثًا يا باعثين الهيامَ بالمقل
أليس يرضيك أننى رجلٌ طال من الشِّعرِ مبلغ الأُول ؟

---

(١) أى دعنى أتغذى بالنظر إلى عينك . والجذل : السرور . (٢) ضجة القبل : صوتها .
(٣) أى قد يكون خجل الحبيب داعية إلى إسعافه . (٤) الأسل : الرماح ، أى تحسب أن حبى يجرح شرفك وجاهك كما تجرح الرماح الأجسام . (٥) سلوة جلل : أى عظيمة .
(٦) أى أن الحب إذا أجيع ولم يسعف بالعطف خمد كما تخمد شعل النار .
(٧) العطف : الجانب . والساعد : ما بين الذراع والمعصم . والمعنى عانقنى أو دعنى أعانقك .

مـــا أنت القــارىءِ الأديبِ فــأر قــيكَ بقــولٍ من حكمــةِ الرسلِ
يا دولةَ الحـسنِ غـيـر راقـبـة من الليــالى مــصـــارع الدول
إن تسعدى الشاعرَ القؤول فقد أسـعـدت طبًـا بأمـرك الخـضل[1]
أو تخـذليـه فـأنت عـادية تـسـدّ عنه منافـذَ الحـيل[2]
يا باخــلاً بالنعــيمِ لا عــجب إن أنت عـانيتَ شقـوةَ البـخل[3]
أمــا ترى لذةَ الحـبـيبِ إذا قــبّله عــاشقٌ على وجل !

الحاجات الممتزجة

كم حــاجــةٍ للنفسِ ممزوجــةٍ بحاجة الجسمِ كخمرٍ وماءْ[4]
كــذلك الحبُّ به شــهــوة الـ ـجـسمِ ورىٌّ للنفــوسِ الظمــاءْ
ونفــحــةُ الزهرِ بهــا شــهــوة الـ أنف إذا ســيــقت بريح رخــاءْ
ولذةٌ للنفـس فى طيِّـــهـــا تفـعل فـيـهـا مثلَ فـعلِ الدواءْ
يا عـجـبـاً للنفسِ يهـتـاجـهـا بشـجـوهِ الصـوتُ سليل الهـواءْ
كم من صــلاتٍ بين نفس الفـتى وبين مــوجــوداتِ هـذا الفـضــاءْ
وربَّ لونٍ هاج شــجـــو الفــتى وفــتَّح الذهنَ بمرأى الضـيــاءْ
إنَّ غـذاءَ الذهن فـيـمـا احـتـوى من ســمـع أذن المرءِ أو رأى راءْ

---

(١) أمرك الخضل أى الذى مثل الجديد من الزهر . (٢) العادية : هى المصيبة .

(٣) الخطاب للحبيب : أى أنت بخيل بوصلك فحياتك مثل حياة البخلاء ليس فيها لذة .

(٤) يظن بعض الناس أن لذة الروح مستقلة عن لذة الجسم ، وهذا خطأ ؛ لأن كل لذة نفسية فيها لذ مادية ؛ وكل لذة مادية فيها لذة روحية .

والحسُّ بـابُ الـنـفـسِ كـم والـجِ منه إليـهـا بالحـجى والغـبـاء[1]
إنَّ عنـاءَ الجـسـم فـي فـعـلهِ يغـرى بنفس المرءِ برح العناء
وربَّ داءٍ والج جـسـمـه يصـاب عـقلُ المرءِ منه بداء
لا راحـةً للنفس في حـيث مـا للجـسم فيـه مطلب للرخـاء

أنفاس السَّحر

نسـيمُ الرياضِ وريحُ السـحـرْ أهـابا بشـجـوى حـتى ظهـرْ[2]
يمرُّ علـينا الـنسـيمُ العطرْ ببـرد الدجـى وبطيب الزهرْ[3]
فـمـا استبرد القلب ريح السحر حـتى استثـيـر لهُ مـا اسـتـتر
وكم في الدجى من بديع الغـرر مناظرُ تصـبى الفـتى مـا نظر
ومـيض النجـومِ بوجـه الغُـدُر ولونُ الدجى حـول ظلِّ الشـجـر
نظرتُ إلى النجم لما سـفـر ثـقـيل النعـاس بعـيـد النظر
سـويعـة للقلب فيـهـا عـبـر يهـيج الخـيـالُ بهـا والفكر
فـيـا ليلة من ليـالى السـمـر تريق علينا ضـيـاءَ القـمـر
تطيب الأمـانى بهـا والذِكَـر وتنشـقنا من نسـيمِ السـحـر[4]
جنينا من الحبِّ خـيـرَ الثـمـر ونلنا من اللهـوِ أقـصى وطر

---

(١) الحجى : العقل ، والغباء : الغباوة .
(٢) أهاب بالشئ : دعاه .
(٣) أى النسيم يحمل إلينا برد الدجا وطيب الزهر .
(٤) الذكر : جمع ذكرى .

فـيـا نَفَس الصـبحِ لما ظهـر ويا حِندسَ الليلِ لما انحسـر[1]
لقـد صـرت ذكـرى تشبُّ الذِكَـر بطيب الزهورِ وبرد السحـر[2]

امـرأة تكلـم بعلهـا

ليس الجمـالُ عقـاراً أنت مـالكه إنّ الجمـالَ جمـالُ الله والناسِ[3]
تعتـدّنى سلعـة فى ملكهـا أربٌ تموت داءً ولا يدنو لهـا الآسى[4]
فى كـلّ لحظٍ عطيـلٌ ثـارَ ثـائره وكلُّ خطرةِ فكرٌ رجع وسـواس[5]
وتحسب البعلَ مولى زوجه سفهاً فـهل يُشـايعُ رأيى رأيك القـاسى
وحـاجـةُ النفس فى ندٍّ أخى كـرمٍ جـمٍ ورفقٍ وإعـزاز وإيـنـاس
هل كـلُّ قـولك حقٌّ لا ارتيـاب به أم كل طبعكَ حلوُ الطعم للحاسى
أم أنت عندى كما تهواه من خطلٍ أعـزّ عندى من العـينين والراس
لا يطعم البعل منكم حبّ زوجته فليس يعرف فيـه غيـر أرجاس[6]
لا يصحب البعل منكم روح زوجته دعم الودادِ بأطنابٍ وآسـاس[7]
فـصار رأيكم فى العـيش ذا عِوَجٍ جمّ وآمالُكم من الحبِّ كـاليـاس !

---

(١) نفس الصبح : أى نسيم الصبح . لما ظهر : أى الصبح . (٢) شب النار : أشعلها ، وللذكرى حرقة مثل حرقة النار . (٣) العقار : ما يملكه المرء من البيوت وأمثالها .

(٤) السلعة : الشئ الذى يباع ويشترى ، والآسى : الطبيب .

(٥) عطيل هو القائد المغربى بطل رواية شكسبير . أى أنها ترميه بسوء الظن .

(٦) أرجاس جمع رجس : الشئ الذى يدنس .

(٧) دعم الشئ أن تجعل له دعامة يعتمد عليها .

الحسناء الغادرة

يأسى إليك أحبُّ من تأميلى ... فدعى النفاقَ عزيزة التنويلِ
أدنيتنى حتى ملكتِ مسالكى ... ومنازعى فهجرت هجر مَلولِ
وجعلتِ حسنًا فيك نحو نفوسنا ... لك رائدًا والحسنُ خيرُ دليلِ[1]
فأضاءَ بين ضلوعِنا لك ضوءهُ ... سر الهوى ولواعجِ المخذول
ولبست أهل الحب حلية ساعة ... أو خلعة أبدلتها ببديل
فإذا نأى لك عاشقٌ أُنْسيتِه ... إنّ المقيمَ لديك خيرُ خليل !
وحسبتِ غدرَك كافلاً بشفائهِ ... من دائهِ والغدرُ غيرُ كفيل !

النعمان ويوم بؤسه

« قصة »

« كان للنعمان نديمان فماتا . فحزن عليهما حزناً شديداً ، ودفنهما فى قبر واحد . وجعل يوم موتهما يوم نحس سماه يوم البؤس . فكان يخرج فيه إلى البادية فيأخذ أول من يمر به من الناس فيذبحه على قبرهما ضحية لهما ! فحدثت القصة الآتية فى يوم من أيام بؤسه : »

لقد خرج النعمانُ فى يوم بؤسِهِ ... يرفّه عنه من جوى غال غائله[2]
وقد كان آلى أنّ أولَ قادمٍ ... على قبر ندمانيه تدمى مقاتله[3]

(١) الرائد : الدليل .
(٢) رفه المرء عن نفسه : أى أراحها .
(٣) آلى : أى أقسم . والمقتل هو المكان الذى إذا طعن فيه المرء قتل .

رأى شاعراً ينحوه فى بعضِ سيرِه وكان رحيبًا للعفاة فناؤه[١]
يرجى لديه الخير والخير عازب فيا ليته قد غاب عنه رجاؤه[٢]
فجاءت به الحراسُ وهو مقيدٌ عزيزُ المحيا ثابتُ الجأشِ مطرقُ
فقال له النعمانُ قولةَ عازمٍ على الشرِّ لا يلويه عنه الترفقُ :
طلعتَ علينا طلعةً لك شرّها وقد يدرك الإنسانُ ما فيه ضرُّه
طلعتَ علينا والردى لك راصدٌ عبوسٌ ويومُ البؤْسِ قد طار شرُّه !
فقال له العافى وقد حنَّ قلبُه إلى أهله شوقًا وهاجَ وجيبه :[٣]
هو الجدُّ بالإنسان غادٍ ورائح وربَّ طلوبٍ يتقيه طَليبُه[٤]
تركتُ ورائى صبيةً وحليلةً وجئتُك أبغى حاجة من تفضلِ[٥]
فإن لم يكنْ إلاَّ الممات فخلّنى أودّعُ أهلى قبل ساعةِ مقتلى
فقال له النعمان : هل لك ضامنٌ حلالٌ لنا إن لم تعد أن نقيدَه[٦]
أقم أنت نائى الدارِ لا غر بيننا ضمين غريب خشية أن يكيدَه
فقام غريبُ الدار ينشد ضامناً له بين قوادِ الأميرِ وصحبِه[٧]
إلى أن رأى شيخاً كأنَّ بوجهه دليلاً على ما فيه من طيبِ قلبِه
فقال له : هل فيك للخيرِ منزلٌ دعوتُك للجلىُّ فهل أنت سامعُ[٨] ؟
فقال له : اذهب إننى لك ضامنٌ وأنت وفىٌّ لا محالةَ راجعُ

(١) ينحوه : أى يقصده . والعفاة : طالبو الجود .
(٢) عزب الشئ : بعد .
(٣) العافى : هو المستجدى ، ووجيب القلب : خفقانه .
(٤) الطليب : هو الشئ المطلوب .
(٥) الحليلة : الزوجة .
(٦) أقاده : أى جعله بدل المجرم .
(٧) ينشد : يطلب .
(٨) الجلى : الأمر الجليل العظيم .

مضى ما مضى حتى إذا آن عودهُ ... وقد قرب الميعادُ أو كادَ يذهب
وجاءوا بذاك الشيخِ والسيفُ مصلتٌ ... عليه وحبُّ العيش للنفس أغلبُ[١]
وقالَ له النعمان : هذى جناية ... عليك جنتها فيك شيمةٌ أخرق[٢]
ضمنت غريبَ الدارِ لم تبل صدقَه ... فأوقعك المقدارُ فى شرٍّ مزلقِ !
رأوا فارسًا يعدو كأن وراءَه ... ممات يرجي إنه غير سابقه
فلما أتاهم قال أين ضمينكم ... لقد كنتُ أخشى أننى غير لاحقه[٣]
فإنّ أتيَّ السيلِ عاق مطيّتى ... ولولا أتيُّ السيلِ ما عاق عائقُ[٤]
فقال له النعمان : لا تخشَ بأسَنا ... فأنت أمينٌ أبيضُ الودِّ صادقُ
وما كنتُ أدرى أنَّ فى الناسِ من له ... على نفسه منها رقيبٌ يعينه !
ووالله ما أدرى أواف بعهد ... أحقّ بإجلالِ الفتى أم ضمينه[٥] ؟
ألا عِلّلانى يا خليليَّ أنتما ... على العيش بالإحسان والصدقِ والندى
فقدْ صرتُ لا أخشى من البؤسِ عودةً ... إلى أن يتيح الدهرُ لى عادى الردى[٦] !

اليأس داءٌ والأمل داء

• يدفع العيشُ الإنسان إلى الأمل فلا ينفعه الأمل . ويدفعه إلى

(١) السيف مصلت عليه : أى مرفوع . (٢) هذى : أى ضمانتك الغريب ، والأخرق : الأحمق .
(٣) الضمين : الضامن . (٤)السيل الأتى : هوالعظيم المتدفق .
(٥) أى لست أدرى من أعظم منكما ، من يضمن المحكوم عليه بالقتل فيعرض نفسه للهلاك أو المحكوم عليه الذى يفى لضمينه وهو يمكنه أن ينجى نفسه .
(٦) أتاحه له : أى أصابه به ، العادى : هو من عدا يعدو إذا سطا .

اليأسِ فييأس فلا ينفعه اليأس . ويرى فى اليأس أملاً وفى الأمل يأسًا . ويرى الأمَلَ يزجى إلى اليأس ؛ واليأس يزجى إلى الأمل ؛ فيعلم أن اليأس داء والأمل داء » .

كلما أضمرتُ حبًا لحبيب | كذبت أخلاقه ذاك الهوى
فى ضياء الحسنِ وعدٌ كاذبٌ | مثلما أومضَ برقٌ وخبا
قال داعى الهمِّ قولاً صادقًا | إنما نحن عبيدٌ للمنى
عجبًا للدهر فى أحكامه | يجلب النعمةَ فى داعى الأسى
عجبًا ليس يُروّى غلةً | وقلى والعيشُ لا يخشى القلى[1]
خُلِقَ الإنسان كى يشقى بما | يبتغى فى نيله برءَ الشقا
ولو ان اليأسَ بُرْءٌ للجوى | لم تكن فيه دواعٍ للجوى
ما أتيح اليأسُ إلا شقوة | إنما اليأسُ سبيلٌ للمنى
صاحِ إن العيشَ خلق كاذب | خلق اللخناء ممرور الجنى[2]
نحن نهواه ونقلى حكمَه | فكأن الحبَّ صنوٌ للقلى[3] !

ضوء القمر على القبور

« إذا رأى الإنسان ضوء القمر على الزهور ، خشع من جلالة ذلك المنظر . ولكنه إذا رأى ضوء القمر على القبور ، امتلكه الفزع من قساوة

---

(١) الغلة : حرقة الظمأ . والقلى : المقت .

(٢) اللخناء : الأمة اللئيمة ، وممرور الجنى : أى ذو ثمر مر .

(٣) الصنو : القريب .

ذلك المنظر الذى يحكى له فناءَ الجمال فى الموت ، وفناءَ الموت فى الجمال » .

إنى رأيتُ بياضَ ضوئك موهنًا ... فوق القبور كعارضٍ يتهللُ[1]
ففزعتُ من ذاك البياضِ كأنه ... لون المشيبِ على الذوائبِ يثقلُ[2]
ولربما كره الفتى صورَ الردى ... وهو الجرىء على الحمامِ المقبل[3]
ولَقدْ رأيتك والقبور كأنَّها ... أشباح ساكنة النواظر مُثَّل[4]
نظر البرئ إلى القتيل مجندلاً ... والروعُ فى أنفاسه يتعجل[5]
ولقد رأيت على الهلالِ سآمةً ... سأم يعالج مثلَه المتأملُ
فكأنَّه الحسناء يطرقها الردَى ... فتبيت تذوى فى الفراشِ وتذبل
طوراً يريك الموت فى لحظاته ... حتى كأنَّ الحسنَ داء معضل
ويبيت طوراً فى الرياض يعلّها ... مما يريق على الفضاءِ وينهل[6]

الندامة

« الندامة إذا لم تطرق المرء على سئ فعله ، أغشاه الغى موارد الآثام ، وأرهقه مرادها[7] . وإذا طرقته ، طرقته إما بالعزم والنشاط ، وإما بالهمِّ الذى يخلس العزم والنشاط » .

---

(١) العارض : هو السحاب . إنه يخيل للإنسان أن ضوء القمر على القبور به شئ من الظلام والتجهم . وسبب ذلك أن الإنسان إذا نظر إلى القبور تملكته ذكرى الموت والفناء .

(٢) نوائب الشعر : المسترسل منه . (٣) المقبل : صفة للجرئ . (٤) مثل : جمع ماثل .

(٥) أى أنفاس البرئ ، لأن أنفاس المروع تأتى مستعجلة من الروع .

(٦) يعلها وينهلها : أى يسقيها أولا وثانياً . والقمر يسقى الرياض من ضوئه . (٧) المراد الغشيان .

ندمنا وقد تمحو الندامةُ ما مضى ولكنها قد تؤنس المرءَ في الباقي
وتودى بعزمٍ صادقٍ ذى عرامةٍ وتنحى على بال السليم بإقلاقِ[1]
وتغرى همومًا جمَّةً بفؤادهِ ومن لك من رقّ الهمومِ بمعتاقِ
وقد يخلس الهمُّ الشجاعة والحجى وينبذ لب المرء ليس له واقى
إذا لم تناصرنا عدا الغيُّ عدوةً فترهقنا الآثام أعظم إرهاقِ[2]
وإن هى آتتنا خشينا صيالها بخطبٍ رهيف النابِ ليس له راقى[3]
فطوراً تردُّ المرءَ عن نهج عزمِه وتدفعه طوراً إليه بإعناقِ[4]

ثغر

رُبَّ ثغرٍ قد كان مرتادَ ثغرى ومجيرى من الزمانِ المغيرِ
كان يحنو ثغرى عليهِ كما يحـ ـنو شفيقٌ على الوليدِ الصغيرِ
نائماً فوقه كما نام فوق الـ ـزهرِ شادٍ أذوته نارُ الهجيرِ[5]
ولقد أرشف الرضابَ بشدوٍ مثل مصٍّ الظمآن ماء الغدير
قبل كالدلالِ من رقةٍ تفـ ـعل فينا فعلَ الدلال الغرير
أخرس الهجرُ صوتها لارعي اللّـ ـهُ الذى أحدثت بنات الدهور
كم جنينا من صوتها النغمَ العذ بَ وخمرَ الهوى وخمرَ السرور
ورشفنا فيها الحياةَ كما يُر شف محضُ اللبانِ من ثدى ظيرِ[6]

---

(١) تودى : تذهب ، والعرامة : الشدة ، وتنحى : تسطو . (٢) عدا عدوة : أى سطا سطوة .
(٣) المؤاتاة : الزيارة والمواصلة . والراقى : الذى يشفى بالرقى. (٤) أعنق فى السير : أسرع .
(٥) أذوته : حرقته وأذبلته . والهجير : شدة الحر بالظهر . (٦) اللبان : اللبن . والظئر وتخفيفها الظير : المرضع .

ابتسامات

وميضُ ابتسامات يضئ جوانحى ... ويجلو ظلامَ الهمِّ واليأسَ من صدرى
إذا ابتسمت ضاءَ بعينى ابتسامُها ... كما ضاءَ وجهُ البدرِ فى صفحةِ البحرِ
يكادُ يضئ الغيب فى مستقرِّه ... وميض ابتسام فعله صادق السحر
وأسمعُ فى نفسى أغاريدَ جمّةً ... يهيج صداها فى الجوانحِ والصدر[١]
كأنَّ بها من صادح الطيرِ شاديًا ... يغرِّد فى روضٍ من الحب والشعر[٢]
وإنىٌ لكالبذر الدفين ولحظها ... غذاء كلحظ الشمس للزهرِ والبذر[٣]
ويوقظ آمالى ضياءُ ابتسامِها ... كذاك شعاع الشمس يزخر بالذرِّ[٤]
شعاعُ ابتسامٍ كالغدير خواطرى ... نوازل فيه كالكواعبِ فى النهر ![٥]

عتابٌ أم دلال

لامَ إنِّى ناديتُه يا حياتى ! ... قلتُ : أنَّى يكون وجه شكاةٍ[٦] ؟
قال : لو كنتَ صادقَ الحبِّ لم تد ... عُ على من تحبه بالممات

---

(١) أى أن ضياء ابتسامها يضئ النفس فأسمع فيها تغريد الأشجان ، كما أن ضياء الفجر يطلق على تغريد العصافير .

(٢) صادح الطير : المغرد من الطير ، أى كأن فى نفسى طائراً يغرد فى روض من الحب والشعر .

(٣) كما أن البذر والزهر يتغذى بضياء الشمس ، كذلك أنا أتغذى بضياء لحظات هذه الحبيبة .

(٤) كما أن شعاع الشمس ترى فيه ذرات الهباء ، كذلك ضياء ابتسامها يجلو آمالى ويوقظها .

(٥) أى أن خواطرى فى ضياء ابتسام الحبيبة مثل الفتيات الحسان وهى تستحم بالنهر ، فضياء ابتسامها نهر تنزل فيه خواطرى .

(٦) حيث إن الحياة فانية والنفس خالدة ؛ فادعنى يا نفسى ولا تدعنى ياحياتى .

من ينادى حبيبه بحياةٍ والمنايا رواصدٌ للحياة ؟
نادنى لو أردتَ يا نفس ! إنَّ الـ ـنفسَ أبقى على نعيق النعاة[1]
قلت : إنى أخاف أدعوكَ بالنفـ ـسِ فنفسى كثيرةُ العثرات
لك نفس بيضاءُ خالصةُ الوجـ ـه ونفسى مُسودّةُ الصفحات !
قال : بينى وبين نفسك فى الحـ ـبِّ اقتسام لزلةٍ أو هناة[2]
فاقتسام يكون فى سيئات واقتسام يكون فى الحسنات !

الحسن والآمال النبيلة

ياليتنى لو تكون مجديةً هذى الأمانى صنَّاع أصنام[3]
أعطى لآماليَ التى طرقت فى يقظة الحبِّ بابَ أحلامى
جسم رخام يصونها أبداً وربّ حسنٍ رهين أجسامِ
آمال تُنسى الفتى شقاوتَه وتعدم الشرَّ أىَ إعدامِ
تعلو بنفس المحبِّ عن دنسٍ فيها ولؤم جمٍّ وأوغامِ[4]
وصحةُ النفسِ صحة أبداً للحسن والحسن نهلةُ الظامى[5]
إلى جلال للعيش يظهره حسنُ نفوسٍ وحسن أفهام
أصور الحبَّ دميةً تذر الـ ـخالى شجياً ضمينَ آلامِ[6]

---

(١) المعنى : حيث إن الحياة فانية والنفس خالدة فنادنى بـ «يا بنفسى» ولا تدعنى : «ياحياتى» .

(٢) هى الزلة أو الهفوة .

(٣) صناع أصنام : أى ناحت التماثيل ، لكى أودع فى تماثيل الرخام أمالى وخيالاتى وأفكارى .

(٤) الأوغام : الأدناس .

(٥) النهلة : الشربة .

(٦) الدمية : التمثال .

حـسناء تغـرى الوقـور بالمرح الـ ـجمٌ وترضى فـؤادىَ الدامى[1]
ومن سَمَت نفسُه لغايتهـا الـ ـقـصوى بعـزمٍ ثَبْتٍ وإقدامِ[2]
يُكَرِّم الحبَّ كلَّ تكرمـةٍ ويُعظم الحسنَ أى إعظام
فالحسنُ أنواعه سواسيةٌ حسنُ طباعٍ ، أو حسنُ أجسامِ[3]
أو حسنُ رأىٍ ، أو حسنُ مأثرةٍ ، أو حسن فعلٍ خلا من الذام[4]

شرب الخمر والحبيب

يا ليت أنك تستحم بخمرةٍ مشمولة فى الدنِّ ذات ضياءِ[5]
فتريق فوقَ محاسنٍ لك كأسَها فتزيدها من رقةٍ وصفاءِ
وتعيدها فى دنِّها وتصبها لى شربةً بلباقةٍ وحياءِ
فتلذُّ لى فيها محاسنُ جمة وتبلّ حرَّ لواعجى وظمائى
فلشد ما ظمئت إليك جوانحى ظمأ الجريحِ إلى شراب الماء ![6]

أمل فريضة

هل ينفعنّى ذلك الـ أملُ المخضَّبُ بالدم ؟

---

(١) الدامى : المجروح السائلة دماؤه . (٢) الثبت : الثابت .
(٣) سواسية : أى متساوية فى الفضل . (٤) الذام : هو الذم .
(٥) الدن : وعاء الخمر .
(٦) أى أنه مشتاق إليه مثل اشتياق الجريح إلى الماء ؛ لأن الجراح تسبب ظمأ الجريح .

يدحـــو شـــقـــاءَ الأبريا ءِ وينثنى لم يكلمِ[١]
أمل يرى ظُلم الحـيــا ةِ بوجهها المتجهمِ[٢]
فيعيده طلقاً كوجه الأغيدِ المتبسّمِ[٣]
أملٌ يطلُّ على السنين بحسرةٍ وتندم[٤]
ويرى الحياةَ فريضةً من آجل ومقدم[٥]

صوت الموتى

ألا إن للأمواتِ صوتًا كأنّه خرير المياه الجاريات على الصلد ![٦]
ويحكى خفيفَ الغصن فى لينِ وقعه وطوراً كأصداء الطبولِ على بُعد
ويُعولُ أحيانا كإعوال ثاكلٍ رمتها صروفُ الدهرِ فى الولد الفرد[٧]
يئن أنين الريحِ عند خفوتها ويعوى عواءَ الذئبِ فى المهمه القفرِ[٨]
ويصرخ أحيانا فيحكى صراخُه صراخَ العباب الغمرِ فى لجج البحرِ
يئن أنين الليل إن هدأ الورى وطوراً له صوت كحشرجة الصدرِ[٩]

---

(١) يدحو : أى يبسط . ويكلم : أى يجرح ؛ لأن الكلم هو الجرح . (٢) ظُلم : جمع ظلمة : أى الظلام ، والمتجهم : العابس . (٣) المعنى : ماذا يفيدنى أملى فى صلاح الحياة إذا كنت أرى شقاء الأبرياء فلا أحزن من ذلك ولا يقلل ذلك من أملى ، ثم أرى وجه الحياة مظلماً فأحسبه مضيئاً ؛ فمثل هذا الأمل يعمى صاحبه عن شقاء الناس والشر الذى فى الوجود . (٤) يطل : أى يشرف .

(٥) أى لا يرغب فى الحياة لما يجده فيها من اللذة ، بل لأن الحياة واجب يؤديه .

(٦) الصلد : الصخر الجامد إذا وقف المرء بين القبور وكان له خيال حسب أن للأموات صوتاً يقع على سمعه مثل وقع الخرير أو خفيف الغصن أو أصداء الطبول . (٧) الإعوال : هو العويل والصراخ .

(٨) خفوت الصوت : عدم ظهوره .

(٩) حشرجة الصدر : صوته عند موت الإنسان .

الحجاب

أطلقوا عن عِرسِه حتى يراها ... ويرى أين هواهُ من هواها
واحسبوها لو أردتم سلعةً ... يترجى عرضها قبل شراها ![1]
كيف يهوى غادةً لم يرها ... يافع أبدت له الدنيا صباها ؟[2]
إنَّمَا الأرواح شتى فاسلكوا ... كل روحٍ حيث لا تذوى مناها[3]
رُبَّ حسناء إذا كشَّفْتها ... عن أمورٍ كان ينميها خفاها[4]
لنَبتْ عينُك عمَّا أبصرت ... ودهى نفْسك ما أصمى عماها[5]
رُبَّ ريان الصبا غضٍّ الهوى ... مضمر فى نفسِه ملءَ دهاها[6]
فدعوا الحسناءَ تبدى لكُم ... منه طبعاً غابَ عن عينٍ سواها !

* * *

---

(١) السلعة : الشئ الذى يباع ويشترى . (٢) اليافع : الشاب .
(٣) الأرواح مختلفة الآمال والرغائب ، فضعوا كل نفس حيث تستوفى نصيبها من الحياة وآمالها .
(٤) أى كان خفاء الحجاب يجعلها تنمو . (٥) نبا ينبو : أى لم يقع على ، أو لم يصب .
وأصمى : أى أصاب . وعماها : أى جهلها . (٦) ملء دهاها : أى ملء دهائها شراً .

الموت والتخيّل

أو

أحلام الأحياء بالموت

تسـائلنى عن الموتى ، وإنى ... ربيبُ الموتِ فى هذا الأنامِ ![1]
ولو بطلَ التساؤلُ ما رضينا ... بعيشٍ مثل أحلامِ النيام
وأحوال كآراءِ السكارى ... إذا دبّت بهم خُدع المدام
ولو بطلَ التخيُّلُ ما رضينا ... بما يلقى المغيَّب فى الرجام[2]
خيال يطّبى الأهواءَ منا ... كبرقٍ لاح فى وجه الظلام[3]
وكم فى الشعر من حلمٍ لذيذٍ ... يعين على حياةٍ أو حمام[4]
فزهرُ الروضِ أو زهر النجومِ ... ووجهُ البدر فى سجفِ الغمام[5]
نزين به الممات وقد خلونا ... به فى العيش أيامَ الغرام
وكان العدلُ أن نرضى بموتٍ ... فلا طيفٌ يساعدُ باللمام[6]
أليس الكونُ أكبرَ منك شأناً ... وأولى بالمقادرِ والنظام ؟ !

---

(١) الخطاب موجه إلى الشاعر الفحل الجليل عباس أفندى محمود العقاد ، الذى أرسل إلى صاحب الديوان قصيدة عنوانها : « أحلام الموتى » يقول فيها :

فهل يسرى إلى قبرى خيال ... من الدنيا وأنباء الأنام ؟
ألا ليت النيام هناك تحظى ... بأحلام كأحلام النيام !

(٢) الرجام : أحجار القبر . (٣) يطبى : أى يستميل .

(٤) أى أن الشعر يعين على احتمال الحياة كما يعين على انتظار الموت ، وإنما تأثير الشعر بما يعرضه على المرء من جمال الخيال .

(٥) سجف : أستار . (٦) اللمام : الزيارة ، أى بعد الموت .

خـــذ الموتَ المحلى بالأمـــانى   وبـالأحـــــلام تـطرق فى الظـلامِ
ودع لى مـيـتـةً لا حلم فـيـهـا   فـمـا أخـشى وقـد هدأت عظامى
ولـكـنَّ الـتـــخـــيـلَ مـــاءُ ريٍّ   حــــــلالٌ أن أبـلَّ بـه أوامـى ![1]

شـاعـرٌ فى الغـربـة

كنتُ مـثـل الغـريد جئ به من   روضِـه والزمـانُ غـيـرُ ذمـيمِ
حـيث وجـهُ النهـارِ جـذلان بسّـا   مُ ، ووجـهُ الظلامِ غـيـرُ بهـيـمِ[2]
ودواعٍ إلـى الغـنـاءِ كـِـثـــارٍ   من حـبـيـبٍ ومـوطنٍ وحـمـيـمِ
أنـزلـوه فى منـزلٍ مـــثـل بطن الـ   أرضِ جـهـمِ السـمـاءِ جـهـم الأديمِ[3]
عـاش يبكى أيامـه حيث صفـو الـ   ـعـيشِ سـهل الجنابِ سـهلُ النسـيمِ
فـقـضى عـيـشَـه غـريباً عن الأهـ   ـلِ قليلَ العـزاءِ جمَّ الهـمـوم
إن أكن عـائشًـا فـعـيش عليل الـ   نفسِ يذوى مثـل الرجاءِ العـقـيم[4]
الهـوى والحـيـاة واليـأسُ والحـز   نُ وريبٌ من الزمـانِ خـصـومى

---

(١) الأوام : حرارة وغلة العطش .   (٢) بهيم : أى أسود .

(٣) أى أن هذه البلدة التى نزلها من بلاد الإنجليز كلها دخان ، والأمطار تحجب ضياء الشمس فى سمائها فهى مثل القبر مظلمة .

« قضى الشاعر - صاحب الديوان - ثلاث سنوات بإنجلترا فى بعثة دراسية بجامعة شفيلد ، فيما بين خريف ١٩٠٩ وشتاء ١٩١٢ ، ونظم هناك عدداً من القصائد ، منها هذه القصيدة ، والقصيدة التى بعدها ، كما أوحت إليه بقصيدة « الشتاء فى إنجلترا » المنشورة فى الجزء الثامن » .

(٤) العقيم : الذى لا يجدى نفعًا .

حنين غريب

أبغ في مـصـرَ آمـراً بالتـأسي ... وتمهل وانظر أمـاكنَ أُنسي[(١)]
خـذلتني فـقـمتُ أنشـدُ حظِّي ... في سواها فكانَ موردَ نحسي[(٢)]
أنشـقـوني نسـائمَ النيلِ إني ... لعليلٌ والنيلُ حـاجـةُ نفـسي !
من مـعـيني على خـواطر إمـا ... طرقـتني أغـرت هواي بأمـسي[(٣)]
حيث وجهُ النهارِ يضحك بالبشـ ... ـرِ فـيـروى ظمـاءَ زهرٍ وغـرس
أنا في بلدةٍ يمرُّ بهـا الدهـ ... ـرُ حزيناً لا يستضيءُ بشمس[(٤)]
فـهي مثلُ السجنِ العبوسِ نهاراً ... قـد رمتني فيـها الخطوبُ بيأس !
لبـست فـوقنا السـمـاءُ حـداداً ... فكأنَّ السـمـاءَ قـبـةُ رمس ![(٥)]

كأس خمر

أسـقـنيـهـا فـإنني غـيـرُ صـاحي ... ليس شـأنُ السليمِ كالملتـاح ![(٦)]
ما على من دهاه من حادثِ الدهـ ... ـرِ عظيم إذا انتـشى من جناح[(٧)]

---

(١) التأسي : التسلي . (٢) خذلتني : أي أماكن أنسي .
(٣) أغرت هواي بأمسي : أي بالزمن الذي قضيته في مصر .
(٤) سبب ذلك كثرة دخانها وأمطارها . (٥) حداداً من سواد الدخان والأمطار .
(٦) الملتاح : العليل . (٧) انتشى : سكر . والجناح : اللوم . راش السهم إذا وضع فيه ريشه ليرمى به .

عــذل راشَــه العــذول ســفــاهًا | هل يلوم العليل غيـر الصحـاح ؟
أنا ظمــــآنُ ليس يُعـــوزُنى المـا | ءُ ولكـن رقــيـــقـــة الأقـــداح
فـاسـقـنيـهـا على وجـوه مـلاح | لهف نفسى على الوجوهِ المـلاح !

الزوجة المهجورة تعالج السّحر

هرمَ اليــومُ فــقــومى أشــعلى | فى دجـا الليلِ ضـرامَ السـاحـرِ(١)
قـد نبـشت اليـومَ قـبـراً غـائراً | جـــادنى منه بعظـمٍ ناخــــر(٢)
فـضـعـيـه فى اللظى واسـعى إلى | بيت هامـان بقـول مـا كـر !(٣)
أخـــبــريه أننى هيـــمـــانة | لم يدع لى الحبُّ حـزمَ الصـابر(٤)
وخــذى منه الرقى فى خــفــيـةٍ | خـــفـــيـــة تطفىءُ لحظَ الناظر
وأعـــــينيـــــه بما يطـلبـــــه | وسليـه عن حـبـيـبى الهـاجـر !

* * *

أيُّهـــــا الليلُ أفض من ظلمــــةٍ | تـشـــعل النارَ بجـــفنٍ ســـاهرِ
لا يرى فـــيك رقـــيبٌ أدمــعى | وزفـــيـــرى غـــيـــرُ نجمٍ زاهر
أيُّهـا النجمُ استـمع شكوى التى | علقت وجـــهَ خليعٍ ســـادر(٥)

---

(١) هرم اليوم : أى دنا الليل . الزوجة تأمر فتاة من خوادمها أن تشعل النار للسحر .
(٢) ناخر : بالى .   (٣) هامان : هو الساحر .
(٤) هيمانة : أى ولهانة .   (٥) السادر : المتهتك فى الخلاعة .

بليت منه بوجهٍ عابسٍ ... بعد أن قيدت بجفنٍ ماطر[1]

بليت منه بقلبٍ فاركٍ ... بعد أن قيدت بلحظٍ فاتر[2]

لو يكون الجوُّ نارًا والكرى ... حُرَقًا تلفحُ وجهَ الجائر

أشعلت من شوقهِ ما قد خبا ... وجرت منه بقلبٍ نافر[3]

يا ولاة الشرِّ هبوا هَبَّة ... وأعينوني بحلف ناصر[4]

أنا والسحر وأنتم والأذى ... نبتليه بالمذل الفاقر[5]

أنشبوا فيها نيابًا خضبت ... بدمٍ ينبع منه مائر[6]

فعسى أن ينثني مستشفعًا ... بجوى بادٍ وجسمٍ ضامر[7]

أنا أهواه وأقلاه معًا ... شدّ ما هاج بقلبي الحائر

إنَّما البغضُ أخو الحبِّ إذا ... ظفر الحبُّ بجدِّ عاثر[8]

حسب نفسي منه وصلاً مانحًا ... ظمئي ريًا كريّ الطائر !

الشاعر والزمن الخرب

أرمي بشعري في حلق الزمان ولا ... أبيتُ منه على همّ وبلبال[9]

لا أبتغي الجاه أسعى نحوه ضرعًا ... جزاءَ شعريَ إنّ الجاهَ يسعى لي[10]

---

(١) أي بعد أن كان يبكي من حبها صار يعبس من كرهها . (٢) فارك : أي كاره . ولحظ فاتر : أي نظر المحب إلى حبيبته . (٣) خبا : أي خمد وانطفأ .

(٤) ولاة الشر : أي الشياطين والأبالسة المحالفة .

(٥) الفاقر : الخطب الفادح . (٦) مائر : سائل .

(٧) أي عسى أن يرجع إليّ . (٨) الجد : الحظ .

(٩) أي أرمي بشعري في فم الدهر إن شاء سائغه ، وإن شاء لفظه ولا أبالي .

(١٠) الجاه : الشهرة . والضرع : الذل .

قد ناهضتنى خطوبٌ كلما عصفت　　عفَّت على أملٍ كالمنزلِ الخالى[1]
حتى كأن فؤادى منزلٌ خربٌ　　مهدمٌ بين آثارٍ وأطلال
ماذا أفادت بناتُ الشعر قائلها　　إلاّ عداوة حسادٍ وعُذّال ؟[2]
إنَّ الذكاءَ وإنَّ الشعرَ مهلكة　　فاربأ بنفسك واعقلها بأعمال ![3]
لولا لذاذة قولِ الشعرِ ما خدعت　　خديعة المصحر الظمآنِ بالآل[4]
فارفق بنفسك أن تدعى الأديب وأن　　يجرى بك النحسُ من ذلٍّ وإقلال !
إنَّا لفى زمنٍ عيشُ الأديب به　　عيش الجناةِ سقيم الوجه والحال !!

الحب والحجاب

بينى وبينك ستر لا انكشافَ له　　ككلة السحبِ بين النجمِ والبصرِ[5]
لا فرَّقَ اللهُ قلبين اتصالهما　　مثل اتصال فتاءِ السنِ والوطر[6]
لا فرّق اللهُ جسمين انتعاشهما　　بالحبِّ مثل انتعاشِ الزهر بالمطر
لا فرَّق الله روحين ائتلافهما　　مثل ائتلاف صروفِ الدهرِ والقدر

---

(١) ناهضتنى : أى كافحتنى : وعفت أى هدمت ، وأمل كالمنزل الخالى : أى مهجور .
(٢) بنات الشعر : خيالاته ومعانيه .　(٣) اربأ بنفسك : أى ترفع عنه واعقلها : أى قيدها بالجد والعمل كى يشغلها ذلك عن الشعر والأدب .　(٤) المصحر : الذى نزل الصحراء ، والآل : أى السراب واللذاذة : اللذة .　(٥) كلة : سترة الفتاة .
(٦) الفتاء : الصبا والشباب .

في مقلتيك معاني الخلدِ بادية | فخلدينا بلحظٍ ربة الخُمُرِ[1]
وأيقظينا ففي العادات مُخملة | وكيف يسعد من يحيي على غرر ؟[2]
وهذبينا بلحظٍ كلَّه جذلٌ | واسعدينا بحسنٍ ساطع الغُرَرِ[3]
فالحسنُ أعظمُ من يلحي على دنس | والحبُّ أشرفُ من يلحي على نُكُر
الله يعلمُ أنَّ الحبَّ مكرمةٌ | وإنَّما الوزر غدر غير مغتفر
وسنة الله لا تجري بذي ضررٍ | وحاجب الحبِّ عنا واسع الضرر !

قبلة الزوجة الخائنة

قد قبلتني قبلةً مُرَّةً | كأنها من حمة العقربِ[4]
تحسب أني راتع غافل | ألذ ما تدينه من مأرب
ماءٌ من الحسنِ روينا به | عاد كوعدِ البارقِ الخُلَّب[5]
تنهش جاهاً لم يكن نهزةً | لشاحذ الأنيابِ والمخلب
ولو درت أن على رأسها | سيفاً من الغدرة لم تلعب
لولا وميضُ الرأيِ يقتادني | يعيذني من سفهِ المغضبِ

---

(١) الخمر : جمع خمار وهو ما تضعه المرأة على رأسها ووجهها .
(٢) الغرر : الغفلة .
(٣) نكر : بضمتين المنكر .
(٤) حمة العقرب : سمها .
(٥) البارق الخلب : أي الذي يعقبه مطر .

جللتهـا بالسـيفِ أمـحـو به الـ ـذنبَ بذنب رائعٍ مـعـجب[1]
بِيني فـقـد بانت بما قـد جَنَت غـوادر مـا كنَّ من مطلبى ! [2]

خطأ الحرّ وإصابة العبد

إذا ما أصابَ العبدُ فى بعضِ فعلهِ فـمـا الفـضـل إلاَّ للذى هو آمـره
وإنْ أخطأ الحـرُّ الأبىّ فـإنه لأفضل من عبدٍ تهون مصادره
فلا تحسد العبدان مجداً مؤثلاً بناه لهم ربّ طغـاة أوامـره
وهل يرفع الإنسانَ فضلٌ أصابه إذا كان يزجيه إلى الفضلِ زاجره
فيا رُبَّ مجدٍ فى الإباء مشيدٍ وإن لم تبنْ للصاغرين مآثره ! [3]

الحبُّ والكِبرُ

هى والكبرُ والوقارُ رقيبـا ها تدانى محبـهـا وهى تنأى
نسبٌ باذخٌ ومـجـدٌ قـديمٌ وثـراءٌ جـم وجُـبن وتقـوى
أبعدتها عمن تحبّ فأخفت فى صميم الفؤادِ ما ليس يخفى
فلهـا نظرةٌ من الحبِّ سكرى ولهـا نظرةٌ من الكبرِ سكرى

---

(١) جللتها : أى رفعت عليها السيف .
(٢) بيـنى : أى اذهبى مطلقة .
(٣) الصاغرين : المستذلين .

يا ابنة الفـاخـرين بالجـاهِ والمـا ... لِ وقـبـر فـانٍ ومـجـدٍ تقـضّى
إنَّ مجدى فى الحبِّ والصدقِ لا يفـ ... ـنى ومجدُ النفوسِ بالفخر أحرى
أنت تخـشين أن يقـالَ أَحـبَّـتْ ... غير سامى الأحسابِ منشا ومعزى[1]
هل يفـيـد الإباءُ والشـمم الجمُّ ... نفـوسًـا صرعى من الحبِّ نضـوى
أبعـد الكبـر دانيـات الأمـانى ... لهف نفـسى على أمـانىَّ شـتى
ضـرب الدهرُ بيننا من طبـاع الـ ... ـسوءِ سترًا فنحن بالحبِّ نشقى
بين كـبـر وبين جبن ضـيـاع ... لنفوس بالحبِّ تُمنى فتحيـا[2]

مَـلَـلٌ من الحـيـاة

بينا ألذ نعـيمَ العـيشِ فى دعـةٍ ... رمى بىَ الشكُّ بين السهدِ والمللِ
كـفى بنفـسى داء أننى رجلٌ ... أخشى الحياةَ وأقلى سطوةَ الأجل
أُجَنُّ بالعـيشِ طوراً ثم أبغـضـه ... مـا أضـيعَ المرءَ بين اليـأسِ والأمل
إنِّى ولعتُ بعـيشٍ كله خـدع ... كما برمتُ بعيشٍ غيرِ مقتبل
ما من مجير على هذا الملالِ سوى ... مـوت يبـعِّـد بين النفسِ والعلل
لو كـان لى حيلة أفنى بهـا مللى ... من الحيـاةِ لما قـصَّرت فى الحيل

(١) المنشا : أى المنشأ أى الأصل ، والمعزى : النسب .
(٢) تمنى : أى تصاب .

ذكــــرْ

ذِكْـــر كـــأنفـــاسِ المحبِّ ... إذا تحــــــــرق أو تـلـدد
وكـــأنَّهـــا نـشــرُ النسـيمِ ... إذا تصـــوب أو تصـــعــد
وكـــأنَّهـــا ورقُ الخـــريفِ ... إذا تـنـاثـرَ أو تـبــــــدد
وكـــأنَّهـــا قـبـــرُ الهـــوى ... وخـمـيلةُ الأملِ المجـدد[1]
ولربَّ آمــــال مـــــضـت ... عـاودتـهـا والعـودُ يحـمـد
فكأنني قـبلت مـيـتـاً ... أو نظرتُ إليــه يلحــد
بعض الأمـــانى كـالحـيـاةِ ... إذا انقـضت ليست تجـدد

رثــاء عصفــور

ليت أن الربيعَ إذ متُّ مـــاتـا ... حُلت مـيـتـاً بين الربيعِ وبينى
كنت حليـاً للروضِ والروضُ غضٌّ ... بـالتـــدلى فى أيكه والتــغنى
فــرزئناكَ شــاديًا علم الشــا ... عـر أن يخلب القلوبَ بلحنِ[2]
نغــمــاتٌ مـثلُ الربيعِ حـســانٌ ... وغناءٌ يحـيى الهـوى والتـمنى
كـــفنوه بالغضِّ من ورقِ الور ... دِ ولا تضـرحـوا الضـريح لـدفن[3]
وحـــفـيفُ الغـصـونِ أروعُ ناعٍ ... للذى كـان حليـةً فـوق غـصن[4]

---

(١) الخميلة هى الحديقة .
(٢) اللحن : النغمة .
(٣) ضرح الضريح أى حفر القبر وهيأه .
(٤) الحلية : الزينة .

فـالأزاهيرُ كـالطيـورِ على الغـصـ ـنِ سكوت والطيـر زهـرٌ يغنى

فى دفــة قــديمــة

ملقاة على شاطئ البحر

لقـد جـار الزمـانُ عليك حـتى حكيت عـزيمةَ الرجلِ الضـعـيفِ
تصـرّفك الأكفُّ وكلُّ عـزمٍ يؤثر فـيـه تصـريفُ الصـروف
ولـلأهـواءِ فـى الآراءِ فـعـلٌ كـفـعلٍ فـيك لـليمٍّ المخـوف
ومـا هـجـروك من عـبثٍ ولكـ ـنَّ غـايات الوسـائلِ فى الحتـوف
كـذاك الناسُ مـثلك والليـالى وسـائلُ للقـضـاءِ وللصـروف
كـذاك العـيشُ عـيش الناس طرًّا وسيلتـهم إلى الأملِ الصـدوف(١)

ذكـرى عـلى جفـاء

نسانى طيبُ العيشِ إن كنت أنساكا وما عـشتُ حتى الآن إلا بذكـراكـا
رأيتك مـعبـودَ الجـمـالِ مُنعَّـمـاً فمـا حيلتى إن كـان قلبىَ يهـواكـا
تـدلُّ علينا بـالجـمـالِ وليـتنا ندلُّ بشـوقٍ فى القلوبِ لرؤْيـاكـا
وإنَّا لنستـعدى الـوصـالَ على الجـفا ونخلس حسنَ العيش من حسن مرآكا(٢)
متى يجمعُ النائُ المشتتُ شملنَا فـتلـثـمنى خـدًّا وتُلثـمنى فـاكـا
لعلك يومـاً أن ترى فى وصـالنـا مـآرب تـدنينا إذا التيـه أقـصـاكـا

---

(١) الصدوف : أى المعرض المتجافى .

(٢) نستعدى الوصال على الجفا : أى نستعين به ونطلب منه أن ينصفنا من الجفاء ، ونخلس : أى نسرق .

إلى صديق

إبراهيم قد طالَ اغترابى — فهلا كان عندك بعضُ ما بى ؟
عليلُ النفسِ فى بلدٍ غريبٍ — يؤرقه التذكُّر والتصابى
عهدتكَ مرةً تبغى إخائى — وأنت اليومَ توغلُ فى اجتنابى ! (١)
أراك على اغترابى ذا ابتعادٍ — وكنتَ على اقترابى ذا اقترابِ
فلولا منزلٌ لك فى فؤادى — لأنسانيك هجرك وارتيابى
سلام الله لا أبغى جذابًا — وهل يدنو المنابذ بالجذاب ؟
سلام ليس يغنى عن ودادٍ — ولا يعدى على غدرِ الصحاب
إذا كان الحبيبُ على سلو — فلا يغنى التوددُ بالعتاب !

شكوى شاعر

قد طال نظمىَ للأشعارِ مقتدراً — والقومُ فى غفلة عنّى وعن شانى !
قد أولعوا بكبير السنِّ أو رجلٍ — بنى له الجاهُ ما يغلو به البانى (٢)
ولو سفلت إلى حيث القريض لقًى — بين الأثافى وربع المنزلِ الفانى (٣)

---

(١) أوغل : أى زاد وجد . والخطاب موجه إلى الأديب الأجل : إبراهيم أفندى عبد القادر المازنى .

(٢) يغلو به : أى يغالى به .

(٣) لقًى : بفتحتين أى ملقى ، والأثافى : أحجار النار التى توضع القدر عليها .

ولو سفلتُ فقلتُ الشعرَ فى خبرٍ | من السياسةِ فى زورٍ وبهتانِ
ولو سفلت فقلتُ الشعرَ مبتذلاً | فى وصف مخترعٍ أو ذمِّ أزمان
لقيل : نِعْمَ لعمرى أنت من رجلٍ | جمّ المحاسنِ من صدقٍ وتبيان !
وإنَّما الشعرُ تصويرٌ وتذكرة | ومتعةٌ وخيالٌ غير خوان
وإنَّما الشعرُ مرآة لغانيةٍ | هى الحياةُ فمن سوءٍ وإحسان(١)
وإنَّما الشعر إحساسٌ بما خفقت | له القلوبُ كأقدارٍ وحدثان
قالوا : أتيت بشعرٍ كلّه بدعٌ | فقلت : نِعْمَ لعمرى قولة الشانى !(٢)
من كل معنى يروع الفهمَ طائله | معنى من الجانِ فى لفظٍ من الجان(٣)
من كل معنى كموج اليمِّ مطّرد | جمّ الجلالِ فلولا الله أعيانى
هذى المعانى تناجيهم فما لهم | لا ينصتون بأفهامٍ وأذهان(٤)
متى يتاح لهم شادٍ بما رقصت | له القلوب وتحنان كتحنانى ؟(٥)
هل فى أكابرهم برءٌ لذى أدب | من كفٍّ كلِّ جديبِ الكفِّ منان؟(٦)

عاطفة شوق

أنا فوق الفراش لا أطعم الغمـ | ـضَ وقلبى إليك بالأشواقِ
أشتكى ما جنى الفراقُ ويا ليـ | ـت حنين الغريب برءُ الفراق

---

(١) أى أن الحياة حسناء والشعر مرآتها . (٢) الشانئ : المبغض . (٣) يروع الفهم طائله : أى أن معناه يخيف الذهن والفهم بجلاله . مطرد : أى سائر . (٤) أنصت : أصغى . (٥) شاد : مغنى ، أى متى يجدون شاعراً مثلى . (٦) المنان : الذى يفخر فيؤذى بجوده المكذوب .

يا حليفَ النوى عليك سلامٌ ... وحنينٌ يريق ماءَ المآقى
أين أيامىَ التى حسنت حيـ ... ـنًا وكأس الشقاءِ غير دهاق ؟
لم تكن كلّها نعيماً ولكنْ ... كان ينفى الأسى وجوهُ رفاقى
كنتُ فى مصرَ أندبُ العيشَ والعيـ ... ـشُ وريق الغصونِ حلوُ المذاق
فرمتنى النوى بأوجع ما ير ... مى به واعظ بغيض الخلاق[1]
ونأت بى عن الأنيس صروفٌ ... وكلت بى لواعج المشتاق
لا صديق لدىَّ أشكو إليه ... غير غرٌ بسّام وجه النفاق
عالج الغدرَ والفسولةَ حتى ... أنكرته مكارمُ الأخلاق[2]
فاذكر البائس الغريبَ بخير ... رُبَّ ذكرى تُعيد عهدَ التلاقى
وأعنى بالدمع إنَّ بلاغَ الـ ... ودِّ أنْ لا تضنّ بالإشفاق
وهنيئًا لك الليالى المواضى ... وهنيئاً لك الليالى البواقى
أنت منى بمنزل الحبِّ فى القلـ ... ـب ومجرى الضياءِ فى الأحداق

الحرية

حسبوكِ صافيةَ الجبينِ خريدة ... تسبى القلوبَ بأكحل وسنانِ
بيضاء ناعمة كأنَّ قوامها ... فى لينه غصن من الأغصانِ
هلا رأوكِ وأنت بين معاشرٍ ... وضعوا السيوفَ مواضعَ التيجان
ظمأى إلى الدم قد أبحتِ حرامَه ... كالذئب يعوى باديَ الأسنان

(١) أى وعظتنى النوى بقوارع وجيعة .

(٢) الفسولة : لؤم الخلق .

أو كلما أدمى الذليلَ قيودُه ... زأرت لديك زئيرةُ الأضغانِ(١)

لا يبلغ المقهورُ منك نصيبَه ... حتى يضرّجَ بالنجيع القاني

عجبًا لقاسيةِ الفعالِ حبيبةً ... وقليلة الغفران والنسيانِ

سكرى من الدمِ قد أنام ضميرها ... ومعالج الأضغان كالنشوان

نظرت بعين الصلِّ حين وثوبها ... نظرًا يسمّ مجامعَ الأشجان(٢)

تقسو كما يقسو القضاءُ وإنَّما ... موتُ الذليلِ وعيشُه سيّان

ولربّ جرمٍ محوه بجريمةٍ ... ظلم الظلومِ وقتله جرمان

نبوءة شاعر

لئن خانني الذكرُ الجليلُ وملّني ... مسامعُ قومي أو غلبتُ على أمرى

سيروى عظامى شاعرٌ بدموعه ... وينشر أزهارَ الربيعِ على قبرى

إذا جنني الليل البهيمُ أطاف بى ... خيالاً له يزرى على صفحة البدرِ

يجئ مجيءَ النومِ من حيث لا أرى ... ويسمعنى ما قد قرضت له شعرى

فيا ساكنًا فى الغيب هذى نبوتى ... فذكر بها القوم الألى جهلوا قدرى !

أتيح لهم صادٍ إلى النهلةِ التى ... شربتُ بها ريًّا يبلُّ جوى صدرى(٣)

فساموه أن يسعى على منهجٍ عفا ... قديمًا كما يسعى المقيّد فى الأسر !

---

(١) زئيرة الأضغان : صوتها ، وهنا تشبيه للأضغان بالحيوان المفترس .

(٢) الصل : الحية ، ومجامع الأشجان : أى القلب .   (٣) الصادى : الظمآن .

أنـا والغـيـب

لـيـت لـى نـظـرة إلـى الـزمـن الآ　　تى البعـيدِ الخطا الغـريبِ الحالِ(1)

فـتـريح الفـؤادَ مما يعـانى الـ　　ـطرفُ من لؤمِ هذه الأحـوال(2)

أو تميت النفـوسَ بالنبـأ الأعـ　　ـظم إن الوجـودَ نحسُ المآل(3)

فـهى بشـرى مـحـمـودة أو نعىٌ　　لمسـاعٍ مـآلهـا للفـوات

كـيـف تعنو الأقـدارُ للمـرءِ والمر　　ءُ ستبلى أعمـاله كـالرفـات ؟(4)

ويح شمل الصحابِ لو كان صدق الـ　　ـقـولِ أن لا حيـاةَ بعد الحياة !(5)

أيُّهـا الغـيـبُ كم رمـيـتكَ بالظـ　　ـنِّ فـأبديتَ لى كَـوجه السحـاب

أنـا والغـيـب كـالغـلامِ إذا حـا　　ولَ فـتـحـاً لمغلقِ الأبواب(6)

لـيس يغنـى وجـيـبـه وبكـاه　　لـيس تجـدى ذريعـةُ المرتاب !

---

(١) أى أنى أريد أن أنظر إلى أحوال الدنيا فى الأزمان الآتية لأعرف هل فنى الشر والشقاء الذى بها .

(٢) لأن تلك النظرة تجعل المرء مطمئن البال يتسلى بسعادة الناس الآتية عن الشقاء الموجود الآن .

(٣) أو أن هذه النظرة تدفع الإنسان إلى الانتحار إذا أيقن أن الوجود مآله النحس والشقاء .

(٤) الرفات : عظام المرء النخرة فى قبره .　　(٥) أى أنه صعب أن يفارق الصديق صديقه إذا كان لا يوجد بعد هذه الحياة حياة أخرى يجتمعان فيها .

(٦) أى أحاول معرفة الغيب المجهول ، كما يحاول الغلام فتح الباب المغلق فيبكى ؛ لأنه لا يقدر أن يفتحه ، كما أبكى لأنى لا أفهم سر المجهول !

ثـورة النفـس

وللنفس فى بعضِ الأحـايينِ ثورةٌ | يكاد لهـا جسـمُ الفـتى يتـمـزق
فيا نفسُ كم تبغين ما ليس حادثاً | وحـتَّـام آمـالى لديكِ تحـرق
هيـاج كـمـا هاجت قطاةٌ تعلقت | بأحبولة الصياد إذ ليس مهرب[1]
أما فى سكون الليل يا نفس واعظ | أما فى هدوءِ الروضِ ملهى ومطلب ؟
فـهل تحـسبين نائمـاً كلَّ سـاكنٍ | وهل تحـسبين مـيتـاً كل هاجع
نعم إنَّ للشـلال روعـاً وهيـبـةً | وربَّ جـلالٍ للعـواصف رائع
نعم للرياح الهـوجِ هولٌ وقـوةٌ | وللبحـر أمـواجٌ تهـيج فـتحـرب
أغـرّك من هذه الطبـيـعـةِ أنهـا | تثـورُ فـلا يقـوى عليـهـا المغلب
ومـا أحـسب اليمَّ الخـضمَّ بثـائرٍ | إذا كـان هذا اليمُّ يشـقـى ويألم
وما القلبُ إلاَّ لوعـة تأكل الحشـا | ومـا الجـسم إلا ذلك اللحمُ والدم
نعم أنت فـيمـا تبغـضين مـصيبةٌ | ويا حسن ما تبغين من خيرِ مطلب
ويا حسن ما تملى الخيالات إنها | حُلىٌّ على جيـدٍ من الدهر أجرب
تريدين أن الجـسـمَ يغـدو كـأنما | يضـيءُ به منك الضـيـاءُ المحـجّب
إذاً لأراقـت كلُّ نفسٍ ضـيـاءها | على ظلمةٍ للعيش والعيشُ غيهب
سـأبذل جـهدى فى تعلم رقـصة | لأرقـصـهـا إن الحـوادثَ تطرب !

---

(١) القطا : نوع من الحمام ، والأحبولة : الحبائل التى يصيد بها الصائد الطير . فهياج النفس مثل هياج الطائر القنيص .

فيا نفس قومى فارقصى فى جوانحى   كـمـا رقص المجنونُ يـهـذى ويـلعبُ

فـلا تعـذلونى إنَّ لليـأس رقـصـةً   تعـلمـهـا المحـزونُ من نشـوةِ الأسى

وللنفس آهات من اليـأسِ والجـوى   تحـقـر آهات الأناشـيـدِ والهـوى

فـيـا ليت أنى فى فم البـرقِ كـامنٌ   فـيـودعـه الأشـجـان قلب مـعـذبُ

ويا لـيت أني مـثل زوس مـسـيطرٌ   على الرعد إن أغضب كذا الرعدُ يغضب[1]

ولكننى إمـا صـرخت كـصـارخٍ   غريقٍ له صوتٌ من الماءِ خافتُ[2]

وربَّ بليغٍ راجح الرأىِ والحـجى   ولكنّه بين الحـوادثِ صـامتُ[3]

نعم ، نحن أبناء الزمـانِ وصـرفـه   وحـالاته حـتى يتـاحَ لنا الردى

فـإنْ تكن الحـالات تأتى بتـرحـةٍ   فنحن بنوها للتـجلدِ والأسى[4]

رضـعنا من اليـأس الصـريحِ لبـانَه   وكـان وكنّا فى بطون الحـواملِ[5]

فـمـا آمل فـينا سـوى صنوِ يائسٍ   ومـا يائس فـينا سوى صنو آملِ[6]

وفى اليـأس يأسٌ يـبـعث المرءَ بعثـةً   إلى الغاية القصوى من السعيِ والجد ![7]

فـلا تعـذلونا دهركم غـيـر دهرِنا   فـإنّا علقنا بالبـعـيـدِ من المجـدِ

أفى كل يومٍ يائسٌ بعـد يائس ؟   لقـد جـال ذاك الداءُ كلَّ مـجـالِ

ولـيس المـلام وحــده بدوائـه   فلا تطلبوا فى العذلِ غيرَ محـالِ

---

(١) زوس : هو رئيس الآلهة وإله الرعد فى خرافات الإغريق ؛ يقولون إنه إذا غضب سمعوا صوت الرعد . والمعنى : إنى أتمنى أن أكون مثله إذا غضبت سمع الناس صوت الرعد . (٢) خفوت الصوت : عدم ظهوره . الحجا : العقل . (٤) الترحة : ما يسبب الألم ، والأسى : الحزن ؛ أى نحزن ولكننا على حزننا نتجلد .

(٥) اللبان : اللبن . والحوامل : أى النساء الحوامل . (٦) الصنو : ذو قرابة ونسب .

(٧) من الغريب أن اليأس قد يورث النشاط والعزم والشجاعة فى النفوس العظيمة .

فجـر الشبـاب

إنى لأَذكُــــر أيامـــاً لنا سلفت | كما تذكر صوتَ اللجةِ الصدفُ
فكان للفــجـر قلبٌ خــافقٌ أبدًا | من الحــيـــاة ووجـــهٌ كله لطفُ
والضوءُ يرقص فى الأنهار موقعه | فـقـدُّه مـائسٌ فـيـهـا ومنقـصفُ
وناظر ونجــوم الفـــجـــرِ مـــائلة | نحو الغروبِ كـما يرنو لها الدنف
وكلمـتنى الرياح الهـوجُ فى فـمِـهـا | سرُّ الطبـيـعـةِ مخبـوءٌ ومنكشف !

الإيمـان بالحيــاة

لى فى الحيــاةِ اعـتـقـادٌ لا فناءَ له | الكونُ يعلنُه والفكرُ يوضح لى
وإنّمـــا الكون قلبٌ لا سكونَ له | حـيـاتُه نبـضـاتُ الحادثِ الجللِ
فـالعينُ ظامـئـةٌ ، والنفس ظامـئـةٌ | إلى مـحـاسن من قـولٍ ومن عـمل
لا ترجـمـونا بيـأسٍ فى مـقـالِكُم | فاليأسُ أقبح ما ينعى على الرجل[1]
أعاظمُ الناسِ فى اللأْواءِ كم صبروا | إنَّ العظيم عظيمُ السعى والأملِ[2]

---

(١) ينعى : أي يعاب .   (٢) اللأواء : الخطب العظيم .

مُحبٌّ يرد لحاظه

أرد لحاظى عنك وهى مشوقة ... إليك ولى دون الضلوعِ وجيبُ
ولو كان لى عيشٌ رغيدٌ وحالة ... تعيدُ كساءَ العمرِ وهو قشيبُ
لأقدمت إقدامَ الشجاعِ وكان لى ... إليك طموحٌ طائرٌ وهبوب
ولكن لى حالاً أخافُ صيالها ... عليك إذا صالت وأنت قريب
أحبك حبًّا لا يحبك مثله ... أبٌ لك ، ذو رفقٍ عليك نجيب
فيا بؤس نفسى تضرم الحبّ بالمنى ... وقد علمت مالى لديك نصيب !

العظيم فى قومه

رأيتُ حياةَ الحرِّ فى نفع قومِه ... ولا خيرَ فى كنزٍ إذا كان خافيا
يغالبُ ما يبليه فى جمعِ أمرِهم ... وإن كان فيهم شاحب اللونِ طاويا [1]
وما نصب المصباحُ إلاَّ لضوئه ... وإنْ كان فى أحشائه الدهنُ فانيا
وليس الذى يحيا حياةً ذليلةً ... خليقاً بأن يدعى على العيش باقيا
يفيض بياناً يقطر الحزمَ ماؤه ... فتصغى إليه فى العروق دمائيا
ويبرى سهاماً من مقالٍ قويمة ... مهذبة يرمى بهنَّ المراميا
يهدده الجبارُ بالضيم ضلةً ... وهل يستقاد الحر ما دام آبيا ؟
فلا تحسبنْ إن الرجاءَ مضلةٌ ... وهل خابَ ذو عزمٍ إذا كان راجيا ؟

---

(١) الطاوى : الجائع .

نحــن إخــوه

إنَّمــا نحن إخـوة جــعلتنا　　نزعـاتُ القـلوبِ كـالأضـدادِ

إنَّمــا نحن إخــوة تركــتنا　　وقـمات الأحقـادِ كـالأحقاد

إنَّمــا نحن إخـوة جــعلتنا　　حمة البغضِ طعمةً للأعادى[1]

نتمادى على القطيعةِ والهجـ　　ـرِ فماذا جنى علينا التمادى ؟

قد أقمنا على التخاذلِ دهراً　　فــدهانا بسـيلهِ كلٌّ وادى

وإذا كـانت النفـوسُ لئـامـاً　　فلمـاذا تقر فى الأجسـاد ؟ !

لـذة المحبـوبُ والمحـبُ

أتمنعــون القلبَ من وجــيــبــه　　وتزجـرون الصبَّ عن نحـيـبـه ؟

وتأمــرون الرشـــأَ الأغــيـــدَ أن　　يقـسـو على ولهـان مسـتطيـبـه

وزاجــر الأغــيـدِ عن عــاشــقــه　　كـزاجـر المسـعـود عن نصـيـبـه

ولـذة المحـبــوبِ فى مــحــبِّــه　　ولـذةُ المحبِّ فى مــحــبــوبه

وغـــفلةُ الفـــاتنِ عن لذاته　　تزيد قلبَ الصبِّ من لهـيـبــه

مـا أنصف الأغـيـد من يهـواه إن　　لـم يعطه من حـسـنهِ وطيـبـه

مـــاذا يرجى المرءُ من حــيــاته　　لو منع العـاشقُ من حـبـيـبـه ؟

قـــد خلقَ اللهُ الحـســـانَ سلوةً　　تشـغـل قلبَ المرءِ عن كــروبه !

(١) الحمة : السم .

الشاعر وجمال الحياة

أيُّهذا العذول فى شهواتِ الـ ـعيشِ يدعو إلى حياةٍ عليلَة

نحن كالنحل لا نحب من الزهرِ سوى كلِّ غضةٍ مطلولة[1]

لا تلم شاعرًا رأى العيشَ حلوًا فأتيحت له الحياة جميلة

هو مهما آتاه فيها نعيمٌ لا يرى فى الحياةِ كلَّ فضيلة

فى قبيح اسمه حسَن

إذا وصفوا بالحسنِ مثلك ضلةً فمن ذا يسمى قاتل الوجهِ أخرقا

فما الحسن فى خلقٍ ولا فى خليقة لديك وليس الحسنُ فيك تخلقا

لقد كانت الداياتُ يسخرن حينما وصفن بحسنٍ أظلم الوجه أحمقا ![2]

فكنَّ كمن نادى من الزنجِ أسودا فقال له يا أبيضَ الوجهِ مشرقا

وما صاغك الرحمنُ إلا فكاهةً وماذا عليه أن يشاءَ وتُخلقا !!

الكاذب

لا تلمه فى كذبةٍ بعد أخرى هو أهلٌ لأن يكونَ كذوبا

لو سمعنا له مقالةَ صدقٍ لم يكن صدقُه إلينا حبيبا !

(١) مطلولة : أى نزل عليها الطل وهو القليل من المطر .

(٢) أى لما رأت الداية المولدة قبح وجهك سمتك حسناً سخراً بك !

قم فبين للناس فلسفةَ الكذ ب وناجز عدوه والرقيبا

وأحق اللئامِ بالسخرِ غرٌّ لا يرى حوله بصيرًا لبيبا !

خدعته خوادعٌ تصدق النَّا سَ وقِدْماً كان اللئيمُ مريبا !

كلمة مدح

شيمٌ كأخلاق المسيحِ كريمةٌ ومحاسنٌ لك غيرُ ذات نضوبِ

لطفت كما لطف النسيمُ وأحكمت أسباب ذاك الفضلِ والتهذيبِ

وكأنَّها من رقةٍ وعذوبةٍ جرعات ماءِ المنهلِ المشروب

تجلو عن النفس القطوبِ قطوبها وتزيح يأسَ اليائسِ المكروب(١)

وكأنَّها قِطعُ الرياضِ يعلها مطرٌ رقيقُ السجم غيرُ صبيب(٢)

العهد والخدر

كم تحت مئزر ذات الخدرِ من دنسٍ وفى ابتذالِ ذوات العهرِ من خفرِ !

إنَّ الفضيلةَ لا يودى بها خلق قضى به العيشُ فى حالٍ من الغير

حسب الكريم إذا ما غاب عن دنسٍ أن لا يسبَّ ذوات العهر بالنظر

فقد تخون ذوات البعل آمنها وقد تخون الأُولى ظلوا على حذر

(١) القطوب : العبوس ، وتزيح : أى تزيل . (٢) يعلها : يرويها أو يسقيها ، السجم : الهطل ، والصبيب : المتدفق .

العـــادات

الا إنَّما العاداتُ كالبحرِ ، والفتى　　كراكبِ ذاك البحرِ يخشى زماجره
إذا لم يكن ذا دربةٍ بأمـــوره　　ليوشك أن تطوى عليه زواخره
كذاك ذوو العاداتِ غرٌّ وباحث　　جرئٌ له رأى على الشرِّ ناصره
فمن لم يميز غثَّها من ثمينها　　سعى كرحاءِ الشرِّ دارت دوائره
يعيشُ كما عاش الكثيرُ من الورى　　يجوبُ ظلامَ الجهلِ والجهلُ آسره

أم إسبرطية

قتلت ابنها[1]

فرَّ يبغى من الحمامِ مجيراً　　فأعانَ الردى عليه المجير
بادرته بحتفه[2] أمُّهُ وهـ　　ـو على عارهِ إليها حبيب
ولو أن النذيرَ أوحى إليها　　وهو فى المهدِ أنه سيخور[3]
لرمته بجانب الجبل الشا　　مخ لم تُنْتَزح عليه الغروب[4]

---

(١) لأنه هرب فى الحرب . (٢) حتفه : أجله . (٣) يخور : يضعف ويجبن .
(٤) كان أهل إسبرطة يرمون الأطفال الضعاف على جانب جبل ، ويتركونهم يموتون . والغروب : هى الدموع .

إن إسـبـرطة التى قـمع الطا ... معَ فيها خميسُها المنصور[1]
جـعلت ذلك الفـرارَ حـرامـاً ... والذى يركبُ الحـرامَ مـريبُ
أيُّها الخائن الجبان خشيت الـ ... ـموتَ والموتُ حادثٌ مقدورُ
إن أُمـاً تُعـزَى لهـا قـتلت فى ... قتلك العار لم يصبها معيبُ
شـرفت ثم أجرمت فلك العـا ... ر ولكن لهـا الجوى الزفيـرُ[2]

مناجاة الحبيب

اللّهَ فى نزعـاتِ الوالهِ العـانى ... وفى شـفـيعٍ من العـينين هتـانِ
وفى الوجيب الذى تشقى الضلوعُ به ... وفى الفؤادِ الذى يحنو على الجانى
وفى اللحاظِ التى ناجَت ضميرَك من ... وراءِ مسترسلِ الهدبين وسنانِ
يا نظرةً خلست منى على غـرر ... عزم الحسامِ صقيلاً غير خوَّانِ
لو كنتُ أملكُ أن ترتدَّ خاسئة ... قبل اجتلاء أغنُّ الطرفِ جذلانِ
لما احتسبتُ فؤادى وهو منصدعٌ ... ولا الشباب الذى أذوته أشجانى
كانت شفاءً فعادت ملؤُها شجنٌ ... فكيف أبرئُ أشجانًا بأشجانِ
ورُبَّ ذكرى تهيج الشجوَ عن عرضٍ ... وتترك الدمعَ فى آثارِها قانى[3]

---

(١) قمع : أذل وأخضع . والخميس هو : الجيش .
(٢) لها الجوى والزفير ؛ لأنه على عاره حبيب إليها .
(٣) قانى : أحمر .

إنَّ الجـمـالَ لماءٌ طاب مـورده ... فمـا لحسنك لما طاب أظمـانى ؟
فـمن لذى شجنٍ بالكبرِ يكتمه ... يحنو على ضـاحكِ اللألاءِ ريانِ
صُنْ بالفضيلةِ حسنًا أنت زائنه ... مـا كلّ حسنٍ بعف الذيلِ فتـان
إنْ كان حبُّك أقصى عنك لى أملاً ... رحب المرامى فـإنَّ الذكـرَ أدنانى
أنت النعيمُ وأنت السعدُ منعطفًا ... وظل عيش من الإحسان فينان
وأنت كالدهرِ لا يرثى لذى ضرعٍ ... وأنت كالحظُّ فى منحٍ وحرمان
يا مرخى اللحظِ من دلٌ ومن خَفَرٍ ... مـاذا تركت للحظ الآثمِ الجانى ؟
أسائل النفسَ فى أمرٍ يراد بها ... مـاذا تعالج من شوقى وتحنانى
ينأى ويدنو كما شاءَ الدلالُ له ... لعب النسيمِ بأزهارٍ وأغصان
فيأسر القلبَ فى جدٌ وفى لعبٍ ... ويشعل الوجدَ فى وصلٍ وهجران
أهواه والحبّ يدلى لى بمعذرةٍ ... من حسنه وجفاء الهجرِ يَلحانى
فإنْ تناءى فما فى هجرِه سرفٌ ... وإن تدانى فسمح غير منَّان
يتلو على القلبِ فى دلٌ وفى خفرٍ ... آى الجديدين من حسنٍ وإحسان
فلا يشاركنى فى لوعتى دنفٌ ... ولا يشاركه فى حسنهِ ثانى
جاء الخيالُ مضيئًا فى الدجى مرحًا ... فكيف يصدق ما غالى به مانى[1]
إنَّ الظلامَ على العشّاقِ مؤتمنٌ ... طب بأدواءِ آمـال وأحـزان
أريق فى الدمعِ ما يعيى الفؤاد به ... إنَّ الدموعَ على الأحزان أعوانى
والدمعُ أخون من ترجى معونتَه ... فى أغيد بحياءِ الوجهِ غصان !

---

(١) مانى : هو رجل يزعم أن لليل إلها هو إله الشر .

الـكـبر والمجـد

أهاب بباغى المجدِ كبر مضلل ... وما الكبرُ إلاَّ داءُ من يتوقلُ(١)
وما الكبرُ إلاَّ ثغرة يلج الأذى ... إلى المرءِ منها فهو نصلٌ ومقتلُ
إذا ما رمى الرامى به جنةَ العدا ... تغلغل فى أحشائه منه منصلُ
وما الكبرُ إلاَّ صنوُ كلِّ جريمةٍ ... وداءٌ نبا عنه المداوون معضل
فلما دعاه الكبرُ طاح به الهوى ... إلى حيث هابَ العاقلُ المتأملُ
يرود مراد الغىّ حتى إذا عنَا ... له آخر الأهواءِ جدّد أول
وما والغ هاب الرجالُ نيوبَه ... يعلّ من الأهواءِ دهراً وينهل
بأرغدَ عيشًا من كريمٍ موادع ... له من رجيح الرأىِ درع ومعقل !

إلى صديق(٢)

ليس الذى الهجران من هفواتهِ ... بمعاتبى يومًا على الهجرانِ
ألفيت عتبك يا مراد كأنَّه ... سيفٌ له حدّان مسنونانِ
فإذا ضربت به أصابك نصله ... فمصيبتى كمصيبةِ المطعان
أصرفت عنا أم عرتك ملالة ... أم أسكتتك طوارق الحدثان ؟

(١) التوقل : العلو والارتفاع .

(٢) هو الصديق الجليل محمود مراد « كان أستاذا بالمدرسة الخديوية الثانوية بالقاهرة ، كما كان أديباً فنانا ، ومؤلفا للمسرح ، وتوفى فى الشباب » .

اعــذر أخــاك إذا تقــاربَ خطوه — فى الشـعـر أو أعـيى علىَّ بيـانى
ولأنـت تـعـلـم أننـى ذو منـطـقٍ — يأتى السـميعَ بأحسنِ التـبيـان
بينى وبينك يا مـراد مســافـةٌ — تنسى المـلول أواصـرَ الإخـوان
إنىَّ يذكـرنيك خـفق أضـالعى — إنَّ الفــؤادَ لدائمُ التـحـنان
فـأخوك مثل أبى عـبادة لم يجد — (قلبًا يشايعه على الهجران) !

الزوجــة الغــادرة

« قصــة »

أىُّ شىءٍ يهـفـو بلبِّك عن وصـ — ـلِ الغوانى وعيش أهل الجدودِ ؟
قـائمـاً فى النعـيم مـثل مـقـام — طالب الرى فى جوارِ الغـديرِ ؟(١)
لا تُعـدِ لى ذكـرَ الغـوانى فـإنى — لـم أكن عند ذكـرِها بجليـدِ(٢)
كـلُّ حـسناء فى لحـاظى عظامٌ — عـاريات من البـهـاءِ المنيـرِ
أىُّ شئ أصـمى صـبـاك بسـهمٍ — فـأراك الجـديدَ غـيرَ جـديد ؟
اسـتـبق نهـزةَ المجـدُّ إلى صـفـ — ـو زمـانٍ فـينان رغـد نضـيـر
كل خلوٍ من الخطوبِ مُـبـرَّاً — ليس يدرى مـضـاضـةَ المكدود
عش بخـيـرٍ ولا يضـرك يَأسى — إنَّ يأسى على الحيـاةِ نصـيرى
إنَّ قلبى من ذلك اليـأسِ دامى — ودمـوعى أودى بهـا مـجـهـودى

---

(١) هذا كلام رجل يعاتب صديقه على عبوسه ويأسه : أى أنت قائم فى النعيم ولكن لا تروى ظمأك منه .
(٢) هذا كلام الصديق يرد على من لامه .

أنـت مـنـى بمـنـزلِ الحـبِّ والـو ... دِّ ومـاوى سـرى ونجـوى ضـمـيرى

* * *

كنتُ فى صحة من العيش دهرًا ... أتمنى زيادةَ المستزيد
لا عبَثاً بالنعيم لعبَ نسيمِ الـ ... ـروضِ يشدو فى الروضِ شدوَ الخريرِ
فـألاحت لِىَ الخطوبُ لحينى ... بفتاةٍ كبغيةِ المستجيد(١)
ولجت فى الصميمِ منى ونالت ... ما يشاءُ الهوى بدلٍّ غريرِ
فرأيتُ الحياةَ بغيةَ من يهـ ... ـوى ، وإنَّ الهوى قرينُ الخلودِ
وتمادى بِىَ ا لغرور فيا لهـ ... ـفى على نشوةِ الهوى والغرورِ
عيَّنت موعداً فبتُّ أُناجيـ ... ـه إلى أن دعا نذيرُ الوفودِ
فأزحتُ الرتاجَ أنظر ضيفى ... وسرورى من اللقاءِ سرورى(٢)
فإذا طارقى أخى صنو نفسى ... ونصيرى على المنى وعقيدى
جاءَ يسعى سعىَ اللهيفِ ويهتزُّ ... اهتزازَ المحمومِ والمقرور(٣)
قالَ والدمعُ ملءُ عينيه واللحـ ... ـظُ شريدٌ فى إثر دمعٍ شريد
إنَّ « أسماءَ » لا تحبك فاستقـ ... ـبل بحزم فواقرَ المقدور(٤)
هى روحى التى أعيشُ بها وهـ ... ـى سقائى الذى به زهو عودى
وهى مأواى من مناهضة الدهـ ... ـرِ ومنجاى من رجامِ القبور
قلت والدمعُ كاشفٌ ما أداريه ... وصوتى صوتُ القوى الجليد
ووجيبُ الضلوعِ يدعو إلى الظـ ... ـنِّ بما تحتوى ضلوعُ الصدورِ
يا ابنَ أُمّى ومن أُرَجّى له عيـ ... ـشةَ مستجمع الهوى مجدود

---

(١) ألاح بالشئ : أشار به .
(٢) الرتاج : ما يغلق به الباب .
(٣) المقرور : الذى أصابه البرد .
(٤) الفواقر : المصائب الكاسرة الظهر .

تلك « أسماء » أقبلت تتهادى ... في خمارٍ من حسنها المستنير
إنَّ حـبي لكالرياحِ إذا هـا ... جت زمانـاً فطيشها لركود
فاستبيني « أسماء » رأيًا رجيحًا ... واعـيني أخي بحب طهـور
واعلمي أنني خلصت خلوص الـ ... ـحـرُّ من سر حسنِك المعبود
نافضاً عنيَ الغرورَ كما ينـ ... ـفض ليثٌ عنه هباءَ الضفور
فرمتني بلحظةٍ هي كالسهـ ... ـم إذا ما استوى بقلبِ المصيد
ثم قالت والدَّمعُ يطرده الد ... معُ على خدِّها طرادَ المغير :
تحسبان العروسَ مثل إماء الـ ... ـسوقِ تشرى بصرةٍ من نقود !
أيُّ شيءٍ يجني أخوك إذا ز ... وّج من لا تقريه غير النفور[1] ؟
فدعاني أخي وقال : أقلني ... إنَّ ذنبي ذنبُ اللئيمِ الحسود
أين كانت رجولتي وإبائي ... وامتناعي على بنات الدهور ؟
سفهـا أن أرومَ غيرَ رغيبٍ ... وشجي أن أحبَّ غير ودود[2]
قدك إني راجعت حلمي ونادا ... نيَ عزم طب بداءِ الأمور
ثم أهوى إلى الرتاج فأجرا ... ه قليلًا بهزةِ الإقليد[3]
ومضى يمتطي الطريقَ بعزمٍ ... مستراب الإقدام والتشمير
فبقينا نجري العتابَ ونستد ... فعُ صولاته برأيٍ سديد
وعقدنا عقدَ الزواجِ وثيقًا ... ونعمنا بيومه المشكورِ
ثُمَّ جاءت من بعد ذلك أيا ... مٌ كرامٌ كحلفنا المعقود

---

(١) تقريه : تعطيه وهي من قرى الضيف : أطعمه . (٢) الرغيب : المحب الودود .
(٣) الإقليد : ما يفتح به الباب .

فخلسنا نعيمَها كاغتفال الـ ... ـطفلِ عينَ المولى لقطفِ الزهورِ
بينما نحن فى رواءٍ من العيش ... نغطى بظله الممدود
جاءنا زائراً أخى مستنيرَ الـ ... وجه طلقَ الجمالِ جمٌّ النورِ
ضاحكاً كالصباحِ ممتلئاً بشـ ... ـراً كريم المرأى نضيرَ العود
فلقيناه بالبشاشة ، والتر ... حيبُ فى طيبه كنفحِ العبيرِ
وأفضنا عليه من كرم العيشِ ... نعيمًا ما إن له من مزيد
ورعيناه آمناً مأمونا ... مستفزّ الضحكات جمّ السرور
كنتُ يومًا أرقى من السلم الأعـ ... ـلى بقايا إلى مكانىَ تودى
فإذا خادمٌ صغيرٌ أتى يهـ ... ـتزُّ من خوفه اهتزازَ الوكورِ(١)
ثم قال : استمع حديثىَ وانظر ... سيدى ما ترى بخطبٍ جديد
قد تسمعتُ خلفَ بابٍ من الأبـ ... ـواب يا هول ما جرى فى الخدور !
ربة البيت فى يديها سقاء الـ ... ـسمّ والضيفُ خلفها كالعقيد(٢)
قالت : اهدأ دعنى أدوف له السـ ... ـمَّ وأبغى غفرانَ ربّ غفور(٣)
قد أتانى هواك فى غفلة عنـ ... ـك فلم ينعقد له مجلودى
أنت روحى التى أعيش بها فاسـ ... ـتبق روحى معى و كن لى أميرى !
أىُّ شىء هدَّ الأضالع منى ... ودهانى بهزة الرعديد
كلما رمت أن أقول مقالاً ... ضلَّ فى منطق الغلام الصغير
فولجت الأبوابَ ممتلىءَ السمـ ... ـع طنيناً من رعدةِ المزؤود
نحن حول الخوان ننتظر الطعـ ... ـمة مما قد هيأت فى القدور

(١) أى اهتزاز عش العصفور إذا هزته الرياح .
(٢) العقيد : الحليف .
(٣) أدوف : أمزج .

وهي قد أفرغت لىَ السمَّ في كو بى وقامت تمر غيرَ بعيد
ثم غافلتُها وأفرغتُ كوبى فوق ماءٍ بكوبها منزور[1]
ثم نلنا من الطعامِ بلاغاً وشربنا برءاً من التصريد
ثم جاءَ اليومُ الجديدُ فنامت زوجىَ الرود نومةَ المقبور
فَعلَ السمُّ فعلَه في حشاها ودهاها من الردى بقيود
كلما جننى الظلامُ أتت تطـ ـرقُ في شملةِ الظلامِ سريرى !![2]

كلمات النفس

وطوراً أكونُ كبعض الهبا ءِ لجَّ به العاصفُ الثائرُ
وطوراً أكونُ كذاتِ القلو عِ همَّ بها الهائجُ المائر
وطوراً أكونُ كأرجوحةٍ يرجرجها طفلُها الجامح
وطوراً أكونُ كغصنِ الجنى يميلُ به الثمرُ الصالح
وإنَّ الجسومَ غذاءُ النفو سِ وإنَّ النفوسَ حياةٌ لها
ورُبَّ نفوسٍ تُعَنِّى الجسومَ وربَّ جسومٍ تُعَنَّى بها
وللكونِ روحٌ وهذى النفو سُ أجزاء من بعض أجزائها
يحللها الموتُ تحليله وتحيا النفوسُ بأزيائها

(١) منزور : قليل . (٢) أي كلما جننى الظلام رأيت خيالها آتياً إلى فراشى .

فـيـا عـجـبًا كـيف نرجـو الحياةَ ولا يعـرفُ المرءُ مـعنى الحـيـاةِ
ولـو عـرف المرءُ مـعنى الحـيـاةِ لمـا جـهلَ المرءُ سـرَّ الممـات
ومـا سـاءَه مـثلُ وخـزِ الضـمـيرِ ولا ضـرَّه مـثلُ مـوتِ الضـمـير
وقـد يخـز الشـرُّ روحَ الغـبيُّ كـمـا يخـز الدودُ أهلَ القـبور
وجـهلُ النفـوسِ بكُنه النفـو سِ مـبين لهـا عن وجـودِ الإله
فـهل يعـرف الغـيـبَ حيٌّ سـواه وهل يفـقـه الكونَ حيٌّ سـواه ؟

عتـاب

سهوتم كسهو الموتِ عنًا وفيكم حـبـيبٌ إلينا مـثله ونصـير
أأحـبابنا لم ينقض الدهر مـرتى فـإنّى على ريب الزمـان صـبور[1]
ولـكن آمـالاً إليكم نوازعـا دهتـهـا أمـور منكم وأمـور
هنيـئاً لكم ذاك التقاطع والجفا فكلُّ حـبيب بالجـفـاءِ خـبير
لقد كنت أرجو أن يثوب ضميركم إلينا وكـلّا لا يثـوب ضـمـير

(١) المـرة : الشـدة .

المقاطيع

النفوس الضئيلة

أدور بعـينى لا أرى غـيـر أنفسٍ ضئال المنى والسعى فى ضعةِ القملِ
فهم يمدحون الخيرَ من خوفِ سامعٍ وهم يهجرون الشرَّ خوفًا من العذلِ

مصر مهد العلوم

كنتِ مـهـدَ العلومِ والذهنُ طفلٌ كنتِ أمَّ النعـيمِ وهو وليـدُ
هل يعـودُ الزمـانُ بالعـزِّ والملكِ ومـاضى الحـيـاةِ أنَّى يعـودُ ؟
نحن نرجـو من الحظوظِ مـعـينًا كيف تحنو على الضعيفِ الجدودُ ؟
هل فـعـال تجلو عن الهـممِ العجـ ـزَ ورأى جم السـدادِ حـمـيـدُ
كم يعيدُ النصيحُ نصحًا وما يو دى بضعفٍ فى أنفسٍ ما يعيدُ !

عظم الشر وعظم الوجود

كلُّ مـا فى الوجـودِ مما يريق الـ ـدمعَ أو يستميح شجوَ الرحيمِ
كلُّ غـدر وقـسـوة واحـتـيـالٍ واجـتـرام ولوعـةٍ وهـمـوم
كلّ شـرّ مـهـمـا تعـاظم ، لو قيـ ـسَ بشأن الوجـودِ غـيـر عظيم
عظم للهـمـومِ غطى عليـه عظمٌ للحـيـاةِ غـيـرُ ذميـم

الطبيعة

تعـالوا بنا نعطِ الطبيعةَ حقَّها من البثِّ والإجـلالِ والصلواتِ

فقد زعموا أنَّ الحياةَ رزيئةٌ إذا لم تنل ساعاتها الحسناتِ
وقد حركت تلك العصافيرُ شجونَنا بوقعِ غناءٍ ليِّن النغماتِ

نصير الظالم

غلوا يدَ الجبارِ فى غلوائه فبكم يصولُ إذا أراد ويظلم
إنَّ الذى اتخذ الظلومَ وليه أطغى إذا عدَّ الطغاة وأظلم !

المتعصبون فى الدين

يتهارشون على العقيدةِ ضلّة فعلَ الكلابِ على خبيثِ المطعمِ
إنَّ العقيدةَ فى الضميرِ مكانُها ليست بتحريك اللسانِ ولا الفمِ !

أسف على الأسف

كم قد أسفت على الدنيا وباطلها فما أسفت على شيءٍ سوى الأسف !
وكم سخرت من الأقدار فى صلفٍ فما ندمت على شيءٍ سوى الصلف !

سوار ومعصم

معصمٌ ناعمُ المجسِّ لطيفُ الـ ـصنعِ يحكى لطفَ النسيمِ أصيلا
وكأنَّ السوارَ وُكِّل بالمعـ ـصمِ خوفًا عليه من أن يسيلا !

للكاذب

قد عالجَ الكذْبَ حتى إنه رجلٌ لو عالجَ الصدقَ يرجو قوله خابا !
لو واقع الصدقَ يومًا عده خطأً منه فكان على حاليه كذابا !

ضحكة الفاتن

يشكو إليك القلبُ من لوعةٍ لو ذقتها كنت الغفور الرحيمْ
وكلما افصح عن شجوهِ ضحكت سخراً ودلالاً قديم

يا ضحكة الفاتنِ كوني جوى في الكبد الحرَّى وشجواً أليمْ !

المال والحجى

لعمرك إنَّ المالَ حملٌ على الحجا ولكنه حملُ الظعينِ المزودِ
إذا هو لم يحمله آلمه الطوى وفى حملِهِ جهدُ المجدِّ المسهدِ !

أنين كأنين الريح

رحم اللهُ محبًا والهًا لم يجد عن حبِّكم وجه المآبِ
إنَّ مما نابه من هجركم كأنين الريحِ فى الربعِ الخرابِ
أنا أهواك فهل ترحمنى إنَّما يرحم مذكوُّ التصابى !

الحياء الكاذب

بعضُ الحياءِ هو الرياءُ وربما لبسَ الحياءَ مخادعٌ ومنافقُ
ينأى بمكذوب الحياءِ سفاهةً عما يحث به الحياءُ الصادقُ !

سوء الظن

لا تعد الظن رأيًا صادقاً يفتح الظن مغاليق الحمام
هو كالأخفشِ فى الحافظهِ لا يرى الأشياءَ إلاَّ فى الظلام !

القدرة والرجاء

ومن شقوةِ الإنسانِ أنَّ اقتدارَه ضئيلٌ وما يرجو من العيشِ واسعُ
فلو كان ما يرجوه دون اقتدارِه لهان عليه سؤله والمطامع

هائب الموت

متعلق بالعيشِ يرجو صفوَه كتعلقِ الطفلِ الرضيع بأمهِ
يخشى مجالدةَ الحوادثِ عزمه والخوفُ ينقض عقدةً من عزمهِ !

ربح وخسران

إذا بلغَ المرءُ الغنَى كان خاسراً ... بنَيل الغنى قدر الذى هو كاسبُه
فيربح حالاً لدنة الوجه غضة ... ويخسر شيئًا خافيًا عزَّ حاسبُه !

دافع الشر بالظن

ومتقٍ بالظنونِ الشر يكلؤه ... دهاهُ بالشرِّ ذاك الظن من أمم
ومنزل الظنِ فى صدق وفى كذبٍ ... كمطرح العينِ بين الفجرِ والظلمِ !

السعادة

إنَّ السعادةَ لم تسلس لطالبها ... كربَّةِ الديرِ لا تحنو على رجلِ
كلتاهما عفةُ الأذيالِ طاهرةٌ ... لكنَّ فى المنعِ مزجاة إلى الأمل !

مالك كفاقد

أيا باكيًا يخشى زوالَ محببٍ ... من التلد لا تدنى إليه مسالكهْ
كأنك لا تبكى لخوفِ افتقاده ... ولكنَّما تبكى لأنك مالكه

الإحسان

كم يضئ الإحسانُ فى عالم الشرِّ ... ضياءَ المصباحِ تحت الظلامِ
فيه برءٌ لكل داءٍ ولو كا ... ن عقاماً جمَّ الأذى والعرامِ

الود الصحيح

حببتك حبى للضمير إذا دعا ... فؤادى إلى حبِّ الفضيلةِ والخيرِ
وإنِّى لأرجو فى إخائك لذةً ... كلذة أهل الرأىِ فى حسن الفكر

هائب الحياة

لا يهابُ الحياةَ إلاَّ جبانٌ ... لم تعنه على الحياةِ الجدودُ

إن من لا يخشى الحياةَ خليقٌ أن يردَّ الخطوبَ وهو جليدُ

رغبة فى العيش

ولولا رجائى أن أقولَ مقالةً تعودُ بخيرٍ أو تُعين على شرِّ
لما كان لى فى بسطةِ العمرِ رغبةً ولم أحمد الأيامَ أن زيد فى عمرى

غناء يصم

سمعنا غناءً ما سمعناه رغبةً ولكن لأمرٍ فى الحوادثِ مقدورِ !
تغنيتَ حتى مادت الأرضُ تحتنا كأنَّكَ إسرافيلُ ينفخُ فى الصور !

إراقة العمر

لو كان عمرى كأسَ خمرٍ فى يدى ورنَت إلىَّ بطرفِها الفتّانِ !
لأرقته طرباً ومن لى أن أرى لحظاً يروح بفضلةِ النشوان

اسم ممزق

إذا ذكرَ اسمى حسودٌ لئيم ومزقه بين أسنانه
أبىَ لى احتجازى وكبر حميد هجو امرئٍ عبد أضغانه !

عتاب

ألا بعض هذا الذم إن كنت حازماً فما الذمُّ مما قد كرهت بمانعى
لعلك يومًا أن تثوبَ إلى الرضا فتعلم أنى بالرضا غير قانعِ !

سلوة فى جمال الطبيعة

أليسَ يسليك عمن صدّه ملل هذى الأزاهير أو تلك العصافير ؟
يروح كلُّ جليدٍ فى تجلده وأنت فى كفنِ الأحزانِ مقبور !

* * *

شفة

شفــــــةٌ تحلت باللمى فــتبــيت تحلم بالقبل !
غالى بهــا رغــد النعــيم وفـــوقـــهـــا هبط الأمل !

إلــه الرعــد
فى خرافات الوثنية

رب البوارق تزجيـهـا مـشـفـعـة بالرعدِ يضحك ضحك المرءِ من ألمِ
أنزل على الزرع مــا نرجـوه من ديمٍ واحبس عن الناس ما يخشى من النقمِ
إنّى لمحـــتك والأنــواء داجــيـــةٌ يُضيءُ لى فـيك سرٌّ غـيـر مكتـتم
فأنت كالناس فى حلم وفى غضبٍ وأنت كـالناسِ فى بخلٍ وفى كـرم

لـذة الحـب

حـــرم الناس لـذة الحب جــهـــلا وأقــامــوا العــذال للعــاشــقــينا
جـــهلوا أنه المعين على العــيشِ المزيح الأسى عن الفـــاقـــدينا
مــتـعـة للفـؤاد والجـسم فـيـه مــتـعـةُ العــاشـقين والفـاتنينا

حجـة المستجدى

شقيتم بإقبالِ النعيمِ وشقوتى بإدباره إنّ الشـــــقـــــاءَ فنونُ
شرقتم بصفوِ العيشِ لو قد تبللت لهــاتى به كــان الشـقـاءُ يهــون

عتــاب

نعـمنا بكم حينًا فلمـا صـدفـتم ثكلناكم ثكل الفـتـاةِ رضيـعـهـا
كـمـا أفلتت من قـانص الدرِّ درةٌ وقد أمنت أطمـاعـه أن يضيـعـهـا

الـكسل وصاحبه

يحــجمُ حـتى كـأنّمـا خـشـيت اعـــضـــاؤه أن يموتَ فى غـــدهِ !

فيدرك الشيءَ غيرُ طالبِه ولا ينال المكسوب في يده

وراعه أن ينالَ ما ضمن الـ ـمسعى فيشقى بقول حاسده

يودُّ أن الأقدار تسعده فيغتدى شاكرًا لمسعده

يحسب أنَّ الأقدارَ ما خلقت إلا لتجرى بنسج سؤدده

المجد والفخر

يطلب المجد كي يصح به العيـ ـش وقد يبتغيه للفخر باغي

فإذا ما رآه خلواً من الفخـ ـر طواه عنه القلى والتنائى !

الوسائل والغايات

إنَّ الوسائلَ والغاياتِ ما اشتبهت على امرئٍ فدواعى الطيشِ فى العملِ

فإنّ من جعلَ الغايات واسطةً أو الوسائل غايات من الأملِ :

لم يستقم سعيه من حيث يممه وعاقه جهله عن دقةِ الحيل

العزيمة المضللة

لعزم ذوى العزم المضلل بالغ من الحزمِ ما لا يبلغ المترددُ

ففى العزم إصماءٌ وفى السعى قدوة ولو كان سعيًا شارداً ليس يحمد

فقد يخطئ الإنسان ما هو طالب ويصمى من الأشياءِ ما ليس يقصد

سبر غور الرأى

من شاءَ أن يسبرَ آراءَه فليجعل الفعلَ لباساً لها

فالرأىُ مَيْتٌ والمعانى لقًى إذا المساعى عيف إصدارها

الخرافات

أولع الناسُ بالخرافات حتى أسكنوها العقولَ حصنًا حصينا

كلما قيلَ قد مضت أوشكت فى خيرِ آراءِ خيرهم أن تبينا

الرحمة تهدى إلى صحة الرأى

وما الرحمةُ الغراءُ إلاّ وسيلةٌ بها يستقادُ الرأىُ والرأى ثاقبُ

وما غلظ الأكبادِ إلاّ نقيصةٌ تُضلُّ ذكاءَ المرءِ والحقُّ عازبُ

يرى غررَ الأشياءِ لا يستبينها إذا بان منها جانبٌ غاب جانب

حجة الأشقياء

يا مَنْ يعيب علينا أننا نفرٌ سود الخلائقِ لعَّانون للقدرِ

هلا شربتَ من الكاسِ التى أخذت منا مآخذ من سمع ومن بصر ؟

كأس من البؤس لم ترؤف بشاربها دافت لنا السم فى حالٍ من الغِيَرِ !

عزم فى الشر

وأصدقُ الناسِ عزمًا وهو ذو أملٍ فى الشرِّ يبلغ منه كلَّ ما بعدا

أحقُّ بالمدحِ من مستضعفٍ تعسٍ مقلقل العزمِ لا يصمى الذى قصدا

يرجو الفضيلةَ لكنْ لا يعالجها ويطلبُ الخيرَ لم يمدد له مددا

العقل والخلد

إنَّما العقلُ خالقٌ جعل الخلدَ له فى القضاءِ أمر الحكيم

أبدًا يبرز الذى حاجة النا س إليه من حادثٍ وقديم

وظيفة الإنسان فى الحياة

خلق الإنسانُ كى يمهدَ ما عاقَ عن مسعاه من هذا الوجودِ

فهو حرٌّ ما سعى فى نهجهِ يدرأُ العائق بالفعلِ الحميد

وهو عبدٌ ما ازدهته حالة فنبا عن خطةِ الرأىِ السديد

حياة الإنسان

كأنَّ حياةَ المرءِ حسناءُ أرمل ... إذا قيل ساءت حالُها طاب حالُها
لها شافع يدعو إلى الحزنِ حكمه ... وآخر يخشى أن يزولَ جمالُها !

عدو الفضيلة

إذا أنت لم تُعْطِ الفضيلةَ حقها ... أصابك من رجس الرذيلةِ عائبُ
وما كنتَ إلاَّ قاذف الريحِ بالثرى ... لوته عليه الريح والترب تاربُ
ألم ترَ أنَّ الشرَ مغرى بربه ... يغالبه عن نفسه وهو غالب ؟

الأديب والشقاء

الا إنَّ آلامَ الأديبِ لنفسه ... صقالٌ وإنَّ النارَ صاقلةُ العضبِ
ألم ترَ أن القرطَ ليس بحليةٍ ... على الأذنِ حتى تألم الأذنُ بالثقب ؟

الحسن والغرور

عابوا عليها غرورَها سفهاً ... كلُّ جميل بالعيشِ مغرورُ
الحسنُ فضلٌ ، وكلُّ منفردٍ ... بالفضل جمّ الدلالِ مسرور

حب القدير للعيش

حبَّبَ العيشَ للقدير مساعٍ ... ساميات ومطمحٌ واختبارُ
فلديه الحياةُ نهزةُ نجحٍ ... وابتغاءُ الحمامِ خذلٌ وعارُ
إنَّ حبَّ القديرِ للعيش جودٌ ... واصطبارٌ وهمةٌ واقتدارُ

كاذبان

ونبئت أنى مادح غير مادحى ... رقيبًا على الزلات يوسعنى لوما
لعلَّ كلينا كاذبٌ فى مقاله ... أقرظه ظلمًا ويشتمنى ظلما !

رباعية

من رباعيّات عمر الخيام

الشاعر الفارسى

إرمٌ قـد عَـفَت وصـوَّح قِـدْمـاً ... فـى رباهـا الـربـيـعُ والـزهــرُ
كأسُ جمشيد قد مضت حيث لا حيـ ... ـث لدينا من أمـرها خـبـرُ
لـكـنْ الـكـرمُ لا يـزال جـــوادًا ... بـرحـيـقٍ حـبـابـه دُرَرُ
ولـنـا مـنـزلٌ مـن الروضِ فـيـنـا ... نُ تـروّى أزهـاره الـغُـدُرُ

رباعية أخرى

هاج للقلبِ جدة الحول أشجا ... نًا لديه قـديمةُ العـهـدِ
تأنسُ النفسُ بالتـفـردِ والخلـ ... ـوةِ فى ظلِ حـالـهِ الرغـدِ
حيث تحكى الأزهار راحة موسى ... فـى بـيـاض النـوارِ والوردِ
ولهـا نفـحـةٌ كـأنفـاس عيسى ... باعـثـات للمـيت من لحـدِ

رباعية أخرى

هات لى الكأسَ يا حبيبى دهـاقًا ... لا تطع عـائبًـا كـؤوس العـقـارِ
إنَّ ثوبَ الوقـارِ ثوبُ شـتـاءِ ... ليس يغنى فى الصيفِ ثوبُ الوقارِ
انض عنك الوقـارَ وارمِ به فى ... جـمـراتٍ للقـيظ مـثل النار
إنَّمـا العـيشُ طائرٌ بين غـصـ ... ـنين فـخـذه مـآخـذَ المستطار

شكوى

أمـا ترى البـدرَ يا حـبيـبى ... كـأنَّه فى الهـوى رقـيـبى ؟
والنجمَ حيران مستـفـزًا ... يضارع القلبَ فى الوجيبِ
والسحب ترخى عليه سترًا ... كـأنَّهـا هيـئـة المريب

والليل بالأفقِ مستقراً ... كأنّه عيشةُ الأديبِ
ما أشبَهَ اليأس بالرجاءِ ... لو دام ما كان يا حبيبى
وأشبَهَ السعد بالشقاءِ ... إنْ لم أجد فى الهوى نصيبى
وأشبه الحب بالعداءِ ... إن كنت فى الحب كالرقيب
مصيبةُ العينِ بالبكاءِ ... مصيبة القلب بالوجيب !

الحب والجمال

عندى من الحبِّ يا حبيبى ... قدر الذى فيك من جمالِ
فالقلبُ أسوان فى وجيبِ ... وأنت جذلان فى دلالِ
وربّ ظمآن من لغوبِ ... يغصّ بالبارد الزلال
وربّ ولهان مستثيب ... أصلحه غائضُ النوال !

الأديب المتكلف

يبيت طوالَ الليل يقدح رأيه ... كما قدح المقرورُ صخرَ زنادِ
يعالج فى نسجِ القريضِ قصيدةً ... كأنّ له فيها أشدَّ جلاد
فيأتى بها كالبكر قد طال حبسُها ... تحدث فينا عن ثمود وعاد
يقلب فوق الفرش جنباً كأنما ... يحكّ به فى الفرش شوك قتاد
ويزحر كالحبلى إذا آن وضعها ... ولكنّه زحر بغير ولاد !

الثأر

هل الثأرُ يحيى الميت بعد هلاكه ... أم الثارُ يشفى غلةَ الميتِ فى القبر ؟
ألا إنه يحيى العداءَ ويعمر الـ ... ـقلوبَ بأضغانٍ عقاربها تسرى
فلا تحسبنَّ الذنبَ يمحو اخاً لهُ ... ولا تحسبن الشرَّ يدفعُ بالشر

شكوى الزمان

أعيذكَ من شكوى الزمانِ فإنها ... تمر حياةَ المرءِ وهو طلوبها
فأحسنُ من شكوى الزمانِ احتقارُه ... إذا عدوات الدهرِ غالت خطوبها !

خلوة

يا خلوة لى بالحسناءِ أذكرها ... بالليل ، والليلُ والحسناءُ من أملى
وكلما لمست كفاى راحتها ... وقمت ظمآن أبغى رشفةَ القبل
تقول إيّاك إنَّ البدرَ ثالثنا ... يرنو لنا بلحاظ الشكِ والعذل !

العذر فى الهجر

لم يكن عن زهادةٍ ذلك الهجرُ ... ولكن هى الحوادث تُنسى
تتخطى إلىَّ من حيث لم أذ ... نب فأغدو ما بين طرسى ورمسى !

نظرات مسالك

إذا شئتِ أن أنساكِ مما رميتنى ... به ، كيف أنسى أننى لك عاشق ؟
وما نظرات العين إلا مسالكٌ ... إليك وإن عاقتك عنى العوائق !

كاذب أبداً

لام قومٌ أنى وصفتك بالكذْ ... بِ مراراً ومرةً فيك تكفى
ويك لو أننى وصفتك بالكذ ... ب علي سبحةٍ لقصر وصفى !

الحب والهجر

يا وصولاً فى التدانى ... وملولاً فى التنائى
وحبيباً ليس يجزى ... عن إخاءٍ بإخاء
وحليف النأيِ والغد ... رِ ودلٌ وجفاءِ

ومطولاً للتراضي وعدواً للرجاءِ
لك في القلبِ مكانٌ ليس يطوى من عفاءِ
غير أن الغدرَ داءٌ لا يداوى بدواءِ !

ذم الشتاء

جاء الشتاءُ وجاءَتنا غياهبُه كأنَّها نكدٌ في قلبِ متعوس !
ترى المدينةَ لا يمشي الضياءُ بها كأنَّها قطعة من وجه إبليس !

عتاب

نعمتم بهجرٍ قد شقينا بطولهِ فلا تحسبونا في الودادِ سواءَ
هنيئًا لكم هجرانكم ونزاعنا إليكم وإن كان الملامُ هباءَ

لكل دهر إمام

لكلِ دهرٍ إمامٌ قائمٌ أبدًا يبين للناس معنى الصدقِ والكذبِ
وليس ينسخ ما جاءَ الأخير به معنى تمادى على الأيام والحقب !

صبر في الأمل وصبر في اليأس

طموحٌ ويأسٌ لا يرى المرءُ فيهما سوى الصبرِ خلقًا كابحًا من جموحِهِ
فصبرٌ يُعين المرءَ في حين يأسهِ وصبرٌ يُعين المرءَ عند طموحهِ

إذا أكرمتَ اللئيم أهنتَهُ

إذا أنتَ أكرمتَ اللئيم أهنته بفعل حميدٍ ناقدٍ لفعاله !
يرى الحمدَ عبئًا لا يقومُ بحمله فكيف يردُّ الحمدَ غدرُ نباله ؟

صاحب الغيبة

وأكثرُ الناسِ عَيباً للرجالِ فتى جمّ العيوبِ إذا بَيَّنْتَ باطنَه

يظن أن عيوبَ الناسِ ماحيةٌ محوَ البراءةِ ما قد بات ضامنه !

الوليد

لكأنَّ الوليدَ عريان عند الـ ـوضعِ تخفى الأقدارُ عنه بضيرِ
تاجر عارضت مساعيه ريحٌ ورمته الأمواجُ فوقَ الصخورِ
فهما خاسران قد ربحا العيـ ـشَ بجاهٍ جدبٍ وجدٌ عثور !

الدهر بحر

وإنَّما الدهرُ بحرٌ لا انتهاءَ له والناسُ غرقاه والبؤسى دواهيه
وما أخالُ حياةَ المرءِ فيه سوى سفينةٍ غفلت عنها عواديه
حتى إذا الحدث المقدور ناهضها بارت بوارَ المساعى فى طواميه !

الحسناء ومرآتها

لا تحسبى أنْ قد رأيت الذى فى صفحةِ المرآةِ مطبوع
فالعجبُ قاضٍ والهوى جائرٌ وإنَّ طرفَ العين مخدوع

حلم

رأيتُ كأنَّا وسْط روضٍ وفوقنا سماءُ هجير نال منه لهيبها
خلعنا ثيابًا قد شقينا بلبسها إذا جمرات الصيفِ غالت كروبها
وفى ساعدى راوٍ من الحسن ناعم له حركات آسر لى خَلوبها
أضمُّ إلى نحرى محاسنَ جسمه وفى النفسِ حاجات بعيد قريبها
فنمنا على الأزهار جنباً لجانبٍ وقد غاب عن عين المشوقِ رقيبها

الجنة الخراب

أو

الشام فى عهد الاستبداد

« من الشعر المرسل »

إن الشــآم حــديقــةٌ فــينانةٌ تهــفــو بلبٌ الشــاعــرِ الولهــانِ
وكــأنما نسجَ الإلهُ جنانهــا شــرك النهى وحــبــالة الأهواءِ
من لى بيــومٍ فى جنانكِ صــالح يفــديه عــمــرٌ فى النعيمِ غبينُ
مــدَّ الظلومُ عليكِ فــضلَ عــرامــه والظلمُ مــوتٌ للنفــوس ذليلُ
كــالميتــةِ الحسناءِ أدركــهــا الردى قــبل اســتــلابِ الدهرِ من آياتهــا
فتكاد تحسب فى المماتِ حيــاتها لولا افــتــقــاد تنفسِ الأحــيــاءِ
فــإذا رأيتَ رأيتَ ثَمَّ مــحــاسنًا نسجَ المــاتُ لهــا غطاءَ وقــار !

اللئيم المستنبت

مــهــمــا تطاولَ بالنبــاتِ فــروعُــه فــأصــولُه فى الأرض ذات طرائقِ
وكــذا اللئــيمُ إذا ترافع قــدرُه غــالى برأيٍ فى الفــسولةِ صــادقِ
ولئن أصــيــب العــالمون بجــاهه فــمــصــابه بالجــاه أعظمُ بائقِ !

اليوم وغد

يســوءُك اليــومُ فــتــرجــو غــدًا إنَّ غــدًا ليس بيــومٍ جــديد
فــانظر إلى أمسٍ مــضى واســتــعن منه على اليــومِ برأيٍ ســديد

منظــر

منظرٌ رائعُ البــهــاءِ جليلٌ   يَطَّبِى الناظرين منه بلحنِ
يحمد السمع ما جنته لحاظى   فكأنى رأيت ذاك بأذنى !

كاذب لئيم

حياتُك كلُّها كذبٌ   وعمرُك كلُّه ريبُ
لقد برّزت فى اللؤمِ   إذا ما برز النُّجُبُ
وودُّك ملؤهُ حنق   وجدّك ملؤه لعبُ
وفيك عن العلا جنف   وفيك إلى الأذى طربُ
وفى إدبارِك الأربُ   وفى إقبالِك النوب
وكلُّ رذيلةٍ فلها   إليك من الخنى نسب
وفيك الشرُّ معهود   فلا خير ولا أدب !!

عتاب الملك حجر

لابنه امرىء القيس

« من الشعر المرسل »

تريق دماءَ الخمرِ جبنًا وخسةً   ولو قد أرقت الماءَ كنت ظلوما !
فإنَّ دماءَ الثائرين كثيرةٌ   وهذى السيوف الباترات صوادى
فهل تترك المصقولَ يشكو من الصدى   وتهنأُ بالدنِّ الروىِّ شرابا ؟

وإنَّ كــريمَ الطبعِ مــاضٍ بِظِمْـئِـهِ		ومنجٍ أخـــاه من أوارِ صـــداه
وكم من كريمٍ بات يعوى من الطوى		وفى داره الضـيفُ الذليلُ عـزيز
وما حبّك الغادات إلا نقيصة		أصبت بها جاهى وكان صحيحا
إذا واقع المرء المسود رذيلة		أتاها ولم يشهد بذاك رقيب
فإما أتاها سيد القوم ناله		من اللوم لفاح بكل حرورِ
كَذلك شهب الطيرِ إنْ مسَّ ريشها		مداذٌ رمتها بالسهامِ لحاظ
وإنَّ سوادًا فى المداد مبغَّضًا		لصنو سوادٍ فى الغراب معيب
ألم ترَ أن الليلَ أسترُ للهوى		وليس على وجهِ النهارِ نقابُ ؟
وما يدرك الشنعاءَ عارٌ إذا زنت		كما يدرك الحسناءَ وهى كعاب
وما يحفلُ الرائى إذا غاب كوكبٌ		كما يحفلُ الرائى لفقد هلالِ
وما الناسُ إلا كالملوكِ فلا تعبْ		على القومِ أمرًا أنت فيه ملومُ
أتتركنى بين الملوكِ كأننى		جنيتُ الذى تغدو له وتروح ؟
ومجدُك من مجدى فكيف أذلته		ألست ترانى بالعلاءِ خليقا ؟
وكم والدٍ أهدى إلى الذل وُلْده		وكم ولد أهدى إلى الذلِّ والدا ؟
وقد يحمدُ الإنسانُ عقبى ذنوبهِ		ويشقى بما لم يجنه ويصابُ
أليس قنيص العر يعدى قرينه		ومن يقرب النيران يصلى لهيبها ؟
ومن سكن الوادى شكى من أتيه		ومن يصحبُ الولهانَ يشقى بدائه !

واقعة أبى قير[1]

« من الشعر المرسل »

ملكُ البحارِ أتى يحثُّ سفينَه كالطيرِ تسبحُ فى الفضاءِ الواسعِ
لججٌ على لججٍ يدبر أمرها ثبْت وأجبالٌ على أجبالِ
حتى إذا بلغت أبو قيرَ اعتلى علمٌ على أعوادها خفّاق
وسفائنُ الإفرنس تنكر أمرَها حتى أفاق أميرُها المكدودُ
أنِّى رمى بلحاظه وجدَ العدا كالأسد حول فريسةِ المغوارِ
حيل يدبرها المُغَلِّبُ (نلسن) وكذا العداءُ خديعةٌ ودهاءُ

* * *

ياموقظَ النيرانِ من غفلاتها ومحرِّك الأقدارِ من سكناتها
إنِّى سمعتُك داعيًا فى صولةٍ فأجابت الأحداثُ فى وثباتها
كم من غريقٍ فى المياهِ ضريحه ومقطعِ الأوصالِ والأحشاءِ
قذفت به الأمواجُ من أمعائها قذفَ المريضِ طعامَه المردودا
كم من جريحٍ زاد فى آلامِه ذكرى الزمانِ الناعمِ الفينان
حيث الحياةُ حديقةٌ ، أحداثها نفحاتها ، ورياضها الساعات
فيجود بالنفس العزيزةِ جوده بالأهلِ والآمالِ والأهواءِ
يالهف للرجل المفارقِ أهلَه فى غمرةٍ من دونها الغمرات
ما حلَّ بالأحياءِ بعد مماته قد حلَّ بالمقتولِ قبل مماته

---

(١) « هى الموقعة التى حطم فيها أسطول نلسن مراكب نابليون الراسية فى خليج أبى قير عام ١٧٩٨ » .

وكـذا الحـيـاةُ إذا بلوتَ أمـورَها ... خـدع السـراب الراقصِ الخـدّاعِ
يـارُبَّ عـيشٍ في الممـات منعمٍ ... ولرب مـوتٍ في الحـيـاةِ ذليل !

* * *

مـاذا أعـدّوا للشـقـاءِ وحـزبهِ ... لمـا أعـدوا للعـداءِ عـديدَهم ؟
الفـقـرُ بين ربوعـهـم ذو عـدوةٍ ... والجـهـلُ في أرواحـهـم فـعـال
تبني السـفين بما يزيل خـصاصة ... ويبـيـد فـعلَ الجـهلِ بالأرواح
والمـالُ روح الكونِ حين تصـونه ... إلاَّ عن الوجـهِ السـديدِ الأقـوم
انظر إلى الأسطولِ بعـد بهـائهِ ... قـد صـارَ أشـلاء على أشـلاءِ
قـابيل في أرواحنا مـتنكر ... مـتحكم مـتـأسـد مـتـمـادى
مـاذا دهى الإنسـان حـتى إنه ... يتطلبُ الإصـلاحَ بالإفـسـاد ؟
هل بعـد ذاك على فسـادِ نفوسنا ... نبـغي الدليل لمنكر ومماري ؟
لو يعلم المغـرورُ يومَ فـخـارهِ ... إنَّ الفـخـارَ خـديعـةٌ لإسـار
لطغى وثـارَ ونالَ من قـوادهِ ... نيلَ الحديدِ من الأسيرِ المصفـدِ
ويل القوى من الضعيف إذا طغى ... ويل الضعيف من القوى العادى !
أو لم يخـبّـرك الزمـانُ وصـرفـه ... أنَّ الذليلَ قنيـصـةُ الجـبـار ؟ !

نابليون والسّاحرِ المصرى

« قصـــة »

« من الشعر المرسل »

سـدكت بنابليـون سالبـة الكرى ... والـنـومُ لا يـعـنـو لـكـلٍّ عـظـيـمِ

فى ليلةٍ قلبُ اللئـيم كـقلبِـهـا ... زنجـيـةٍ قـد عُـرِّيَتْ من حليـهـا

فـإذا أراد الطيفُ أن يسـرى بهـا ... منعت مـهـابتُـه الظلامَ من السرى

عبست فخال الأُفق طلعةَ قاتلٍ ... جـــهمِ المحـيــا رائعِ اللحظات

وتنفـست نفس المحبِّ إذا قـضى ... وحـبـيـبـه بحنينِه لم يعلم

هل أطفأتكِ يا كـواكب ريحـهـا ... أم لم تضـئك مـلائك الرحـمن !

خرج العظيمُ يخطُّ فى ترب العرا ... خـطَّ المـدلسِ فـى تـراب الـطـالـعِ

ولو أن وجـــهَ الأرض دهرٌ واسعٌ ... كـــانت خطوطُ حـذائه أحـوالا

يمشى وحـيـداً فى الخلاءِ وحـوله ... جــيشٌ من الآراءِ والعــزمـــات

يرمى بعين النسـرِ أرجـاءَ العـرا ... كـالقـانصِ الرامى بسـهـمٍ صـائبِ

فـرأى على بعض التـلالِ بقـربه ... شبـحاً كـمـا نظر المريضُ الهـالكُ

متـعـمـمـاً بعـمـامـةٍ مـهـدولةٍ ... مــتـلفـعـــاً بعـــبــاءةٍ ســوداءِ

فكأنَّمـا اتخـذ الهـلالَ عـمـامـةً ... ثم ارتدى قطعـــاً من الظلمــــاءِ

تجرى الرياحُ خلال لحيـتـه التى ... صـبـغت بلون غـدائر الشـمطاءِ

وتهـزها حـتى لتلطم وجـهـه ... لطم الرضـيعِ عـوارضَ الآبـاءِ

النارُ من ألحــاظِهِ مــقــدوحــةٌ ... حــتى تكاد تـشبّ فـيــمــا ينظر
فى كـفّـه عـودٌ ضـئـيـلٌ ، صـوته ... شكوى المريضِ إلى الصديقِ العائدِ
يسـتـخـرج الألحـانَ من أضـلاعـه ... والعـــودُ فى تحنانِه يتــألمُ
يبكى فـيــهـتــاج الرياحَ بكاؤُه ... فكأنما ضـــمنت قلوبًا ترحم
لمَّا رأى الجـبـارَ يمشى قـربه ... والليلُ يسجدُ فى غلالةِ راهب :
رفعَ الغناءَ ومــرَّ فى إنشــاده ... مــرَّ النسـيم على الربوعِ الخـاليـة
يا أيُّهـا البطلُ العظيمُ الغـالبُ ... أرح الخطى واسمع نبوءةَ ساحرِ !
درسَ النجـومَ فلم يغادر غامضًا ... حـتى أُتيح له الجليل الغـامض !
وله من الجنِّ الكرامِ معــاشـرٌ ... يأتونه بنفـائسِ الأخـبــار !
كم قد سقيت من الدماءِ طماعة ... لك خيرها وعلى سواك خراجها
فى كل جـرحٍ مِـقْـوَلٍ ذو سطوةٍ ... يدلى عليك بحـجـةٍ بيـضــاء
ولسوفَ تبلغُ بالسيوفِ مبالغًا ... تدعُ الممـالكَ فى يديك بيادقـا
لكنْ سيعقبكَ الزمانُ وصرفهُ ... زمنًا يكونُ به الطليقُ أسـيــرا
فى صخرةٍ صـمــاء فـوق جـزيرةٍ ... فى البحر يضربها العبابُ الأعظمُ
يسعى بكَ الجبار سعىَ موكلٍ ... فـيظلُّ يأكلُ من حياتِك كيدهُ
فاستلَّ نابليونُ سيفًا ماضيًا ... لما رأى العَــوَّادَ ســاءَ مـقـالُه
لكنهُ ضربَ الهواءَ بسـيـفـه ... حيث اختفى المتنبىءُ السحارُ !
فأعاد فى الغمدِ الحسامَ تخوُّفاً ... ومضى إلى أصحابِه يتعجبُ !

« تـم »

الجزء الثالث

أناشيد الصبا

وما الشعرُ إلا القلب هاجَ وجيبُه　　　وما الشعرُ إلا أن يثيرَ مثيرُ
وللريحِ هباتٌ وللنفس مثلُها　　　تغنى رُخاءً فيهما ودَبورُ

(من قصيدة « الشعر والطبيعة » لصاحب الديوان)

عن الطبعة الأولى عام ١٩١٥

إهداء الديوان

صديقى الأعز:

الأستاذ الأديب والشاعر الجليل:

إبراهيم عبد القادر المازنى

أهديك هذا الديوان هدية ود ، أنشدك فيه قولَ أبى تمام :

وقلتُ أخ قالوا أخ من قرابةٍ فقلتُ لهم إن الشكولَ أقاربُ
نسيبىَ فى عزمى ورأيى ومذهبى وإن باعدتنا فى الأصولِ المناسبُ

كلمة لصاحب الديوان

فى :

العاطفة فى الشعر

إن روح الشاعر مثل آلة الغناء ، لابد أن تتهيأ تهيؤا خاصاً لكل نغمة من النغمات فيقصر بعض الأوتار ، ويطال بعضها ، ويشد وتر ، ويرخى آخر ، والشاعر لايمكنه أن يهيئ روحه كذلك متى شاء . بل لابد من أسباب يتوخاها زمناً ، حتى يساعده الطبع فتتهيأ نفسه ، ثم يوقع عليها ما يشاء وجدانه من الألحان . والشاعر الكبير لا يكتفى بإفهام الناس ، بل هو الذى يحاول أن يسكرهم ويجنهم بالرغم منهم . فيخلط شعوره بشعورهم ، وعواطفه بعواطفهم . ولشعر العواطف رنة ونغمة لا تجدها فى غيره من أصناف الشعر . وسيأتى يوم من الأيام يفيق الناس فيه إلى أنه هو الشعر ولا شعر غيره . فالشعر مهما اختلفت أبوابه لابد أن يكون ذا عاطفة . وإنما تختلف العواطف التى يعرضها الشاعر . ولا أعنى بشعر العواطف رصف كلمات ميتة تدل على التوجع أو نرف الدموع . فإن شعر العواطف يحتاج إلى ذهن خصب ، وذكاء ، وخيال واسع ، لدرس العواطف ومعرفة أسرارها وتحليلها ، ودرس اختلافها وتشابهها ، وائتلافها وتناكرها ، وامتزاجها ومظاهرها وأنغامها ، وكل ما توقع عليه أنغام العواطف من أمور الحياة وأعمال الناس . فينبغى للشاعر أن يتعرض لما يهيج فيه العواطف والمعانى الشعرية . وأن يعيش عيشة شعرية موسيقية بقدر استطاعته . وينبغى له أن يعود نفسه على البحث فى كل عاطفة من عواطف قلبه ، وكل دافع من دوافع نفسه . لأن قلب الشاعر مرآة الكون فيه يبصر كل عاطفة جليلة ، شريفة ، فاضلة ، أو قبيحة مرذولة وضيعة .

والحياة فى نظر الشاعر الذى يعيش لفنه الجليل ، قصيدة رائعة تختلف أنغامها باختلاف حالاتها . ففيها نغمة البؤس والشقاء ، وفيها نغمة النعيم والجذل ، وفيها أنغام الحقد واللؤم ، والشر والندم ، واليأس والكره ، والغيرة والحسد ، والمكر والقسوة ؛ وأنغام الرحمة والجود ، والأمل والرضا والحب . فالشاعر الكبير هو الذى يتعرف كيف يقتبس من

هذه الحالات أنغامها ، ويصوغها شعراً . وهو الذى عواطفه مثل عواطف الوجود ؛ مثل الأمواج أو الرياح أو الضياء أو النار أو الكهرباء . وهو الذى يحكى قلبه الأركستر الكثير الآلات ، الكثير الأنغام . أليس الوجود أيضاً أركستر آلاته الناس ، وعواطفهم وأعمالهم ، والرياح والأمواج ، والطيور والحيوانات ؟ كذلك قلب الشاعر أركستر آلاته العواطف . ومن أجل ذلك لا ينظم الشاعر الكبير إلا فى نوبات انفعال عصبى ، فى أثنائها تغلى أساليب الشعر فى ذهنه ، وتتضارب العواطف فى قلبه . ولكن تضارباً لا يزعج نبضه طيور الأنغام الشعرية التى تغرد فى ذهنه . ثم تتدفق الأساليب الشعرية كالسيل ، من غير تعمد منه لبعضها دون بعضها . أما فى غير هذه النوبات ، فالشعر الذى يصنعه يأتى فاتر العاطفة ، قليل الطلاوة والتأثير . وإدمان الاطلاع أساس فى الشعر ؛ لأنه هو الذى يهئ الطبع . أما انتقاء الأساليب عند النظم ، فدليل على أن الشاعر غير مُهيء الطبع ناضبه ؛ ليس فى أعصابه نغمة ، ولا فى قلبه عاطفة .

وإذا نظرت فى الشعر العربى ، وجدت أن شعراء الجاهلية وصدر الإسلام ، كانوا أصدق عاطفة ممن أتى بعدهم . والسبب فى ذلك أن النفوس كانت كبيرة ، والعواطف قوية ، لم يتلفها بعد الترف والضعف ، وغير ذلك من الصفات التى تطرقت إلى الأمة فى عهد الدولة العباسية ، وما بعدها من العصور ، التى أولع فيها الشعراء بالعبث والمغالطة ، والمغالاة الكاذبة ، والتلاعب بالألفاظ ، والخيالات الفاسدة . وشعر الأمة مرآة حياتها . فإذا كانت نفوس أفرادها كبيرة ، كان شعرها شديد التأثير ، صادق العاطفة . وإذا كانت نفوس أفرادها حقيرة ، كان شعرها ألفاظاً مرصوفة ميتة ، ليس فيها عاطفة . والعواطف هى القوة المحركة فى الحياة ، وهى للشعر بمكانة النور والنار .

الحب والموت

حنينى إلى وجهِ الحبيبِ جنونُ ... جنون يهيج القلبَ وهو شجونُ
أحبك لا حبى عليك بسُبَّةٍ ... ولا أنَّ وجدى فى هواك يشينُ
وحسنك يجلو النفسَ من كلِّ ريبةٍ ... ويطهر قلبًا فى هواك طعين
فجد لى بذخرٍ من ودادك خالدٍ ... فكلُّ قليلٍ من هواك ثمين
وإنَّ ظنونى فى الحياة كثيرةٌ ... ولكنَّ ظنى فى هواك يقين
فواحسرتا لا لى إليك وسيلة ... ولا أنَّ قربًا فى الحياةِ يحين
وقربك إشفاقٌ وبرٌّ ورحمةٌ ... على مهجةٍ إن لم تبن ستبين
وكيف أُرجّى منك عطفًا ورحمةً ... ولم يفش سر فى الضلوع كمين
ولم تدر أنى منك ضامرُ لوعة ... ولا أن قلبى فى هواك رهين(١)
عسى مخبرٌ عما أعانيه فى الهوى ... فيؤمل خفض من رضاك ولين(٢)
نهارى حنينٌ واشتياق ولوعةٌ ... وليلى حنين فى الهوى وأنين
وما الدهرُ إلا البحر والموت عاصفٌ ... عليه وأعمار الأنام سفين
فلا تعصفوا بالهجر والبعدِ والقلى ... فما لى على هذا الشقاءِ معين
تبشرنى الآمالُ بالقرب منكمُ ... فياليت آمالَ النفوس يقين
ويا ليت لى نهجًا إليك وحيلةً ... وياليت عطفاً من رضاك يكون
وياليت أنى مُقعد فى دياركم ... مقيم على صرف الزمانِ ركين
وياليتنى شيء إليك محبب ... وأنت به طول الحياة ضنين

---

(١) ضامر أى مضمر . (٢) الخفض : رخاء العيش ضد الشدة .

وياليت أن القربَ ينصف والنوى   فيحمد عز فى هواك وهونُ
وياليت بى نوعًا من النحسِ واحداً   فإن شقائى فى هواك فنونُ
يغير صرف الدهر ما شاء فى الورى   وحبك فى القلب اللجوج مكين
فلا تنخدع بالناس عنى فإنهم   كلاب ترى أن العواءَ يزين
أعزُّ صديق فى الخفاءِ يكيدنى   وأصدقُ صحبى فى الودادِ يمين[١]
وكلُّ فؤادٍ فى المحبة كاذب   ولكن قلبى فى هواك أمين
ومن يصحب الأيامَ من بعد خبرةٍ   يقلّ لديه تافه وثمين
وكيف أضل الحقَّ فى العيشِ طرفةً   ولحظك فيه الحقُّ وهو مبين ؟
غدا يكثر السالون منا ومنكمُ   ويرقا دمعٌ بيننا وشؤون[٢]
ونصبح لا قلب يحن إليكمُ   وتغمض عنكم أعين وجفون
وكم قبلنا خلّى حبيبٌ حبيبَه   وكم من قرينٍ بان عنه قرين
ويفجع ريب الدهرِ بالكف أختها   تبين شمال أو تبين يمين
ونبكى على حسن طوته يد البلى   ومن بُزَّ عنه الحسن فهو غبين[٣]
وما كنتُ أدرى أن حسنك زائل   وأن عزاءً عن هواك يكون
فلا يخدعنك الحسن فالحسنُ طرفةٌ   تمر كحلم العينِ وهو ظنون
غداً يكثر الباكون حولى وحولكم   وما الناسُ إلا هالك وحزين
غداً يستذل الموت منا ومنكم   وكلُّ نفيسٍ فى الممات يهون
فنصبح موتى لا نحسُّ افتقادكم   وأى دفينٍ يستبيه دفين[٤]

---

(١) مان يمين أى كذب يكذب . (٢) الدمع برقا أى يفيض ويجف . والشؤون : مياه الدموع .
(٣) بز عنه أى خلع . (٤) يستبيه أى يسبيه .

ويسعى على قبرى وقبرك بعدنا   من الناسِ خب ما كرٌّ وخؤون
وتمضى الليالى والشهورُ وتنقضى   قرونٌ على أعقابهن قرون
كأن الفتى لم يَحْيَ يومًا لحاجةٍ   إذا ما دهته بالعفاءِ منون !

بين الحياة والموت

وقفتُ على البحر الخضمّ عشيةً   وللريحِ فيه والعبابِ بوادرُ
وقد بسط الليلُ البهيمُ جلالَه   وللسحب نوءٌ هاطل اللجِّ هامرُ
وللرعد ضحكٌ رائعُ الصوتِ هائل   كأنَّ ضجيجَ الرعد بالناسِ ساخر
اقطّع قلبى بالبكاءِ وبالأسى   وحبُّ الردى داءٌ دخيل مخامر
بكيتُ بكاءَ اليأسِ لا يأس مثله   وقلت وبى من سانح الموتِ خاطر :
أجرنىَ من ظلم الحياةِ ولؤمها   فإن شقائى مثلُ لجِّك زاخر
ارى كفنًا من نسجِ موجكَ أبيضا   تمزقه الأرواح وهى ثوائر(١)
وأنت مهاد لين الطىِّ ناعمٌ   ونعشٌ لمن يرجو الردى ومقابر
فاغرقَ ضحك الرعدِ شكواى ساخرًا   وأبتُ بهذا العيش والقلبُ صاغر(٢)
أعالجُ صرف الدهر فى غيرِ مطمعٍ   وأفعل ما تُملى علىَّ المقادر
ولكننى أرجو من الموتِ راحةً   ويفزعنى وقع له وخواطر
وما العيش إلا الذئب تدمى نيوبه   وللعيش نابٌ قاتل وأظافر
ولكنه كالخمر تحلو لشاربٍ   وإن سلبت منه النهى والسرائر
فها أنا بين العيش والموتِ واقف   فهل مخبر يدرى متى أنا سائر ؟

---

(١) الأرواح : هى الرياح .   (٢) صاغر : أى ذليل .

لعل الذى أرجـــو مـن الـدهرِ واقع فـقـد كـان مـا قـد كـنت دهراً أحـاذر
عسى أن يعودَ العيشُ جما جماله ففي الروض فينان وفى الأفق زاهر[1]
ويكشف صرف الدهر عنى غشاوةً من اليأس لا تجدى لديها البصائر
فـلا تـعـذلانى بارك الله فـيكـمـا فإنى بهذا العيش راضٍ وصابر !

حكمة التجارب

انضِ عنك الحذار من حدثِ الدهـ ـرِ فليس الحذارُ يغنى فتيلا[2]
ليس تجـدى تجـاربُ المرءِ لو شـ ـبَّت لها فى الفؤادِ داء دخيلا[3]
فـارق فـوق نـار قلبك مـا اسطعـ ـت عزاء جمًّا وصبراً جميلا
ودع النـاسَ يهـــذرون بما شـــا ءوا فلسنا نخـافُ قـالاً وقيـلا
إنما العيشُ أنْ تكون جريئـاً ليس تُرضى الحياة غمراً ذليلا
وتلين الحـيــاة للثـابت الوا دعِ لا من يخافها أن تهولا
كن كثيرَ العزاء عن كل مـا فـا ت ولو كان فى الحياة جزيلا
خذ بنصحى فقد حييتُ كثيراً ولو أنى لم أمض عمراً طويلا
عشتُ فى كل ساعةٍ أبد الدهـ ـرِ وعالجتُ نضرةً وذبولا
ورمتنى الحياةُ بالحلو والمـ ـرُّ فطوراً رغداً وطوراً وبيلا
ورفعت الستارَ عن خدعة العيـ ـشِ وقهقتُ وانتحبت عويلا
وصحبتُ الحياةَ فى حالتيها وخبرت القنوطَ والتأميلا

(١) فينان : أى كثير الورق والأزهار . (٢) لا يغنى فتيلا : أى ليس له فائدة ، ليس له حتى النفع القليل .
(٣) يجدى : أى ينفع ، والماضى أجدى .

وأعـــاد الأنامُ قــصـــة من مـــا ... ت فكانوا قـــابيلَ أو هـابيـــلا

فـــتـــرى الخلقَ فى المطامع إمّـــا ... قـــاتلاً ظالمًا وإمـــا قـــتـــيـــلا

مـا ترى الناسَ فى الحـياةِ حـيارى ... ضلَّ من كـان عـالمـا أو جـهـولا

لا تُعنّى بـأمـــرها النفس يومـــاً ... فـتـصـيـر الحيـاةُ فيك كـبـولا

ثم لِنْ للزمـانِ مـا اشـتـد واجـعلـ ... ـه إذا لان نجـــعـــة ومـــقـــيـــلا

إن يـكـن يـنفـع البـكـاءُ فـــإنـا ... قـــد بكينا على الحـيـــاة طويلا

ورأينا الحـــيـــاةَ من كـل وجـــهٍ ... وعـشـقـنا كـمـالهَـا المسـتـحـيـلا

ورجـــعنا إلى الحـــقـــائق حـــتى ... لم نعـد نحـسب الخـيـالَ جـمـيلا

مـا لهـذا الليل البـهـيم حـزينٌ ... مطرقٌ يـبـحـث الحـيـــاةَ طويلا

سل عـيـونَ الظلام أنجـمــه الغـ ... ـر أمَـــا آن حـــزنُـه أن يزولا

أحـداداً على الورى يـلبس الحـا ... لك من جنحــه يئل اليـلا ؟(١)

أم لأمـــرٍ مـخـبـأ فى حـشـــاه ... لم يُدانِ البـابنا والعـــقـــولا ؟

أم سـديل يـخـفى المقـادير عنــا ... وستار فـقـد مللنا السـديلا ؟ !(٢)

الدفـين الحى

أخـلاى لا والله مـــا بىَ جـفـــوةٌ ... ولا أنا أخـشى أنهـا سـتكونُ

وأذكــركـم ذكــر النعـيـمِ ومــالـه ... من القـلـب إلا زفـــرةٌ وحنين

ولـكـن همًّـا فى الفـؤاد مـقـــرّه ... وفى الدم والأحـشـاءِ ليس يهـون

(١) أليل الليل : ما يتخيله المرء من الأنين فى سكونه التام . وهذا خلاف صفة الليل بأنه أليل بسكون اللام فلا يلتبس على القارئ .
(٢) السديل : الستار المسدول .

تضيق عليَّ الأرضُ من جنباتها ... كأنى على قيد الحياةِ دفينُ
دفينٌ طواه الأقربون بلحده ... وظنوه ميتاً إنهـا لظنون
رأوا غفوةً منه تغر كأنما ... دهته من الدهرِ الخؤون منون
فدلَّوْهُ فى قبر سحيقٍ وأطبقوا ... عليه رجام القبر وهو ركين(١)
أفاقَ وما يدرى أفى الحلم ما يرى ... وهيهات منه إنه لدفين
فهاج هياج النسرِ فى الأسر طرفُهُ ... وأدركهُ حتى الممات جنون !

الحسن مرآة الطبيعة

قم بنا نعشقُ النجومَ حبيبى ... أوشك الليل جنحه أن يزولا
قم بنا نخلس الزهورَ من الحـ ... ـبُ ونسقى الرحيقَ والسلسبيلا (٢)
وأرى البدرَ فوق وجهك يا بد ... ر نعيماً جمًّا وحسنًا صقيلا
قم بنا نعشق الحياةَ حبيبى ... لا تدعنى متيمًا مخذولا
أنت مرآة ما يجيء به الكو ... نُ من الحسنِ بكرةً وأصيلا
فأرى فى الصباحِ منك ضياءً ... وأرى فى المساءِ منك ذبولا
وأرى فيك للظهيرة حرا ... وفتوراً لذًا وظلاً ظليلا (٣)
وأرى فيك نسمة كليالى الـ ... ـصيفِ حيث النسيمُ يسعى عليلا
وأرى منك فى الخريف شبيهًا ... ثمرًا يانعًا وزهرًا جميلا
كم جميلٍ يزهى بحسن عميمٍ ... حجب الموتُ لحظه أن يصولا

---

(١) رجام القبر : أحجاره . والركين : الثابت .
(٢) خلس : أى سرق .
(٣) لذا : أى لذيذًا .

ذو بهـاءٍ ونضـرةٍ وضـيـاء   منع الموت أمـره أن يطولا
أكلته الديدان ميتًا وقد كا   ن يعافُ العناقَ والتقبيلا
هكذا سنةُ الردى وقـديمًا   أهلك الناس نشأهم والكهولا !

سحر الربيع

أتعـرف أنفـاسَ النسيمِ المعطرِ   وبهـجـةَ أزهار الربيعِ المبكرِ ؟
وهل قـمتَ فى أظلاله بين نسـمةٍ   تفـوح وغـصنٍ ناعم متـأطر[1] ؟
وهل ذقت من غـدرانه الماءَ صافيًا   فذقت به من نشوةٍ كأسَ مسكر ؟
وهل غـرَّد الغـرِّيدُ فى فلق الضحى   ومن تتطاير شجوه الطيرُ يعذر[2]
كـأنك منهـا بين عـودٍ وقـينة   ودفٌ ومـزمـار وصنجٍ ومـزهر
وهل ألقت الأغصانُ أوراقَ زهرِها   عليك سقوط اللؤلؤ المتحـدر ؟
وهل واجهتك الشمسُ من كل وجهةٍ   بضوءٍ كألهوب اللظى المستعر ؟
ونلتَ من الأزهار مـا بين لؤلؤ   ودرٌ وياقـوت يروق وجـوهر ؟
وهل حركت فيك الأزاهير صبوةً   يُشبُّ لظاها بالمنى والتـذكّـر ؟
وظل فـؤادٌ بين جنبيك خـافـقًا   خـفـوقَ الرياحِ بالرداءِ المنشَّـر
وإن يك حـالُ القلبِ عمـا عهدته   فهل دام ذو عـهدٍ فلم يتغير[3] ؟
وهل مدّت الأشجارُ نحوك شرَّعًا   غصون جنى من مثمرٍ أو منور[4] ؟
وهل ذقتَ طعمَ الحبُّ تحت ظلالها   وفـزتَ بيومٍ طيب الذكـرِ أزهـر ؟

---

(١) متأطر : أى متثنى .   (٢) الغريد : الطير المغرد .
(٣) حـال : أى تغير .   (٤) الغصن المنور : أى الذى به نور وهو الزهر الأبيض .

وشاب بياضَ النور للشمس صفرةٌ فظل كليلٍ ساطعِ البدرِ مقمر
هناك يلذّ النفس أن تُحدث المنى وتبصر حلمَ المطلبَ المتوعر[1]
إذا أنتَ لم تدر الربيعَ وسحره ومن يلق مالاقيت يا قلب يُسحر
ولم تعترف بالحبِّ والوجد والصبا ولم تر أثناءَ القضاءِ المقدر
ولم تسرِ ليل الصيفِ فى أخرياته ولم تر صبحًا كالغدير المفجَّر[2]
وإن أنت لم تَهوَ النجوم وومضها ولم تدر منها مَخبراً أىَّ مخبر[3]
ولم تلتمس فى كلٍّ شئٍ جمالَه ولم تهوَ وجهَ الحسن فى كل منظر
فكن حجراً لا حس فيه للامسٍ عديم الحجى ملقى بأكنافِ محجر !

جنة الحب وجحيمه

ما أحسنَ الحبّ يا حبيبى وأحسن الحسن لو يدومْ !
لست أريد الخلودَ داراً إلا إذا كنتَ لى نديمْ
ما أهون البؤس حين تبدو وأهون الوجد والهمومْ
متى أراكم فأى عيشٍ أخشاه أو حادثٍ اليم
ونظرة منك يا حبيبى أشهى من الخلد والنعيم
من جنة الخلد فيك حسن وفيك من زهرها نسيم
فأنت زهرى وأنت خمرى وأنت برقى الذى أشيم
وأنت لى بالنهار شمسٌ وأنت بالليل لى نجوم

(١) أى أن جمال الرياض يبعث على التمنى . (٢) أى انبعاث الضوء فى الصباح مثل انبعاث الماء المتدفق . (٣) مخبراً : أى الشئ المختبر المعهود لكثرة ترديد البصر فيه .

إن غـــبتَ عنى فـــأى نورٍ　　أراه أم مــطــلــب أرومْ ؟
إن غبت عن مسمعى وطرفى　　فالعيش من بعدكم جحيم
وإن تعـد لى يعـد نعـيـمى　　ويـنجلى الشكُّ والغـيـوم
وإن تعـد لى يعـد سرورى　　ويـنقض الحـزن والوجـوم
أحب عــيــشى إذا دنوتم　　والعيش من بعدكم عـقيم
فــلا رجــاء ولا فــعــال　　ولا مــســاعٍ ولا مَــرُوم
والعيشُ من حسنكم صحيحٌ　　وهو إذا غـبـتم سـقـيم
والعـيش من لحظكم مـضئٌ　　وهو إذا غـبـتم بهـيم[1]
أنـــتـم دواءٌ لـــكـــل داءٍ　　فـــأبرئوا قلبى الكليم
فـالقلبُ فى حـبكم كـتوم　　لـكـنَّ دمــــعى به نموم
غـــداً ينال المــات منا　　فـمن دفين ومن رمـيم[2]
فـخـفـفـوا هجركم قليـلاً　　فـالموتُ من خلفنا غـريم[3]
وكلنا بـالحـــيـــاةِ صبٌّ　　لـكننا للردى خـصـوم !

حسرة العيد

أعـيـدٌ وقلبى من رضـاك بعـيـدُ　　فـيا عـجبًـا للدهر كـيف يكـيـدُ ؟
وهل لك فى ذا العيد يا قلب فرحة　　أم العيـدُ نحسٌ ليس فيه سعود ؟
وكـيف يسر العيدُ قلبى ، وودكم　　وإن قـربت منا الديار بعـيـد ؟
وكـيـف أرى للعيد طعمًا ولـذةً　　ودون فـؤادى من هواك وَقـود ؟

---

(١) بهيم : أى مظلم .　(٢) الرميم : الذى صار رمة بالية .　(٣) الغريم : المطالب بالدين .

أرى العيدَ يدني من حبيبٍ حبيبه وقلبى شقى من هواك وحيدُ
يهنئُ بعضُ الناسِ بالعيد بعضهم وتترى وفود بينهم ووفود
وينسون ماضى البؤس أو حاضر الردى وتخفى ترات بينهم وحُقود(١)
وكلُّ امرئٍ فى العيد بالعيدِ ناعمٌ وكلُّ محبٌّ ضاحكٌ وسعيد
ولكنَّ لى فى العيدِ شجواً وحسرةً وإنى لمن يلتذه لحسود
حنانيك يا شبه الربيع ويا أخا الـ ـصباحِ فأيامى لبعدك سود
وما مرَّ بى يومٌ أودُّ ولم أقل الا ليت أيامَ النعيمِ تعود
أظلُّ ولم ينعم بمرآك ناظرى كأنى يتيمٌ فى الديارِ وحيد
فيا ليتنى طفلٌ يعيش بغفلةٍ يلذ صباحَ العمرِ وهو جديد
ويا ربّ طفلٍ فى الشقاءِ معذبٍ أناخَ عليه الهمُّ وهو جدود
فياليتنى صخرٌ على الأرض هادئٌ صبورٌ على مرِّ الزمانِ جليد
أتؤنسُ فى العيدِ الرياضَ وزهرَها وتوحش قلبى وهو منك عميد(٢) ؟
وما القلبُ إلا روضة الوجدِ والهوى يرفُّ بها زهرُ الهوى ويميد
فللحبِّ أزهار ولكنَّ تحتها من الحبِّ حياتٍ هناك تَرُود
فمن غرّه زهرُ الغرامِ وحسنُه أحسَّ دبيبَ السمِّ وهو شديد
إذا كنتُ لا أخشى ملامةَ لائمٍ فكيف أسرُّ الحبَّ وهو جديد ؟
أخافُ عليه ظنةَ الناسِ إنهم كلابٌ إذا كشّفتهم وقرود(٣) !

(١) الترات : الأحقاد التى سببها الاعتداء بالقتل والتى يلزم من أجلها الثأر .
(٢) العميد : السقيم . (٣) كشفتهم بتشديد الشين : بحثت عن أمرهم .

الخـوف والفـزع

حذرت الذى يمنى لى الدهرُ من اذى فيا ويح نفسى من عناءِ التفزعِ[1]
ويا ويح نفـسى كلّمـا لاح بارقٌ تطاير آمـالى ويهـتـاج مطمـعى
ويا ويح نفسى كلّما جاءَ كارثٌ ظللت وقلبى كالبناءِ المضعضعِ[2]
وحتّـامَ هذا الخوف فى كلِّ لحظةٍ يدبُّ إلى قلبى وطرفى ومسمعى ؟
أفى كلِّ يومٍ حـادث يسـتـذلنى وفى كلِّ يومٍ لى طماح مـودعى ؟
وفى كلِّ يومٍ خـيـبةٌ إثر خـيـبةٍ ولوعـةُ قلبٍ ذى كلومٍ مُـفـزعِ ؟
وفى كلِّ يومٍ لى خليلٌ يخـوننى وفى كلِّ يومٍ لى حبيبٌ مُفجعى ؟
وحتّامَ ارجو الموتَ لا أستطيعه وأفـرق منه أن يلمَّ بمضـجـعى ؟
أعالجُ فى الأحشاء يأسًا ومطمعًا فـيـا بؤس أضـدادٍ وبؤس المجـمع
عسى أن يتيحَ اللهُ صبرًا يحوطنى فـتـهـدأ أضـلاعى وترقـأ أدمـعى
وينقـذنى من مـهلك أى مـهلك ويخرجنى من مجـزع أى مـجـزع
أما فى ضياءِ الشمسِ مسلى لبائسٍ أناخ عليه الهمُّ من كلِّ مـوضع ؟
فـمن لى بعـيش لا أبالى صـروفَـه أقول لدهرى : طر بصرفك أو قعِ !
نعـيشُ بغشٌ منك يحلو لغـافلٍ فـأسدل علينا غفلةً ثم فاخدع !

نشـوة الحـب

نجواك فى العيش إسرارى وإعلانى وأنت بثى وتهـيامى وأشـجـانى

---

(١) ما يمنى الدهر : أى ما يصيبك به ويقدره لك .
(٢) الكارث : الحادث المحزن .

بغَّضْتَ لى العيشَ حتى ما أُسر به ... إلا بقـايا رجـاءٍ ليس بالدانى
الموتُ أروحُ لى والقـبـرُ أرفقُ بى ... من عـيـشـةٍ بين تحنانٍ وهـجـران
ونظرة منك أهواها وآملـهـا ... تودى بيأسى ولوعاتى وأحزانى(١)
جَربتُ فيك شجونَ الحبِّ قاطبةً ... وأوجه الحبِّ من قاصٍ ومن دانى
فلم أدعْ شجنًا فى الحبِّ أجهله ... ولا رميت بزقّ منه مـلآن(٢)
من حبِّكم صرت لا ألوى إلى أحدٍ ... حتى كأنى غريبٌ بين أوطانى(٣)
أمشى أحدث نفسى عن محاسنِكم ... حتى يخال حديثى لغو نشوان
نشوان ليس له عقلٌ فيسكته ... الحب خمرى وليس الخمرُ من شانى
واسأل النجمَ عنكم أين موقعكم ... من البلادِ وما للنجم عينان
يمر بى الناسُ لا أدرى مرورهم ... فيستوى فيهم جهلى وعرفانى
أنكرت من حبُّكم ما كنتُ أعرفه ... فطالَ فى الحبِّ إنكارى ونسيانى
كأنما كلُّ مخلوق أمـرُّ به ... يصيح باسمكمُ فى طى آذانى
فأحسب البدرَ صداحًا بذكركم ... والطير من ذكركم والزهر خلانى
والريحُ تشدو بكم والشمسُ تعرفكم ... والوردُ بالحبِّ نادانى وحيانى
أنتم حياتى وأنتم مشتكى حزنى ... وأنتم فى مرائى الحلمِ نُدمانى
يا بؤس للحب ، إن الحب ذو خُدع ... مثل السرابِ تراءى ثم أظمانى
من لى بمن قلبه قلبى فأخبرُه ... سرّى وأودعه شجوى وتحنانى
فما اتخذت خليلاً غير مضطغنٍ ... ولا مررتُ بخلقٍ غير خوان(٤)

---

(١) تودى بيأسى : أى تذهب به وتمحوه .
(٢) الزق : هو الإناء توضع فيه الخمر .
(٣) لا ألوى إلى أحد : أى لا أأنس بأحد .
(٤) مضطغن : أى نو ضغن وحقد .

والناس فى العيش إن كشّفت أمرهمُ ... ألفيتهم بين أضغانٍ وبهتان
إن الحمير – حمير الناس – نهقتها ... أودت برشد رجيح الرأى غضبان !
جهلٌ ولؤْم ، وأحقاد ومفسدةٌ ... والشر يجرع منه كل إنسان !

غاية الحب

أجِلْ فى نجوم الليلِ لحظَك طرفةً ... فإنى إليها فى دجى الليلِ ناظرُ
عسى يلتقى لحظى ولحظك عندها ... فتعرف ما تُطوى عليه النواظرُ
عسى يلتقى روحى وروحُك عندها ... على لحظةٍ إن اللحاظَ بصائر
عسى يشعر الولهانُ بالقرب منكمُ ... ويجرى بكم منه على البعدِ خاطر
يحدثنى عنك الهلال إذا بدا ... وتخبرنى عنك النجوم الزواهر
وإنى أحبُّ البدرَ من أجل حبِّكم ... وتسعدنى حتى أراك الأزاهر
عسى تجمع الأحلامُ بينى وبينكم ... ومن لى بها والطرفُ باكٍ وساهر
وتذكرنى فى الحلمِ ، والحلمُ باطلٌ ... فمالىَ فى غير الكرى منك سامر
وهيهات لا فى يقظة أنت ذاكرى ... وما لى فى حلم الكرى منك ذاكر
وأهتف طولَ الليلِ باسمك جاهداً ... وهاجسُ هذا الذكر داءٌ مخامر
فتبدو لعينى صورةٌ منك غضةٌ ... ألذُّ بها حتى كأنك حاضر
فما لى سوى الأوهامِ منك عُلالة ... وما لى سواه منك عونٌ وناصر
سيبقى لكم فى القلبِ وجد ولوعةٌ ... وذخرُ هيامٍ يومَ تبلى السرائر
ويبدو لكم ما كنتُ أخفيه جاهداً ... وفى البعث يبدو ما تكن الضمائر
فيا كعبة الحسنِ التى أنا عابدٌ ... مناسكُ تهيامى بها والمشاعر

ويا جنةَ الحسن التى أنا آمل | غديرُك ملآن وزهرُك ناضرُ
أما من سبيلٍ لى إليك ومنهج | أم امتنعت منى إليك المصادر ؟
أظل إذا ما لحت لى عن فُجاءَةٍ | فؤادى مخمورٌ ولبى طائر[1]
فليتك تحلو والحوادثُ مُرةٌ | وليتك وافٍ والأنامُ غوادر
إذا كنت لى خدنًا الوذ بحبِّه | فلستُ أبالى ما تُعِد المقادر
وإن نلت منك الودَّ والعطفَ والرضا | فلستُ أبالى أن تدورَ الدوائر
وإن ترض عنى فالحياةُ جميلةٌ | وإن تُبدِ صدًّا فالنهارُ دياجر
وإن حياتى ليلة مدلهمة | فهل تاتينّى عن رضاك البشائر ؟
وإن تبدِ لى عطفًا فما الكونُ باطلٌ | ولا العيشُ خوان ولا الدهرُ جائر
لقد صدقت منى الظواهرُ فى الهوى | إذا كذبت فيما تقول الظواهر
أناجيك بالسحرِ الحلالِ من الهوى | وبالسحرِ من شعرى فهل أنت شاعر ؟
أتذكر ملقى بالحديقةِ طيبًا | فإنى له فى الدهر ما عشتُ ذاكر
أشرت بتسليم ، فسلمت مثله | فرحت وقلبى من جوى الحبِّ حائر
فإن تهجروا فالقلبُ أسوان بائسٌ | وإن تعطفوا فالقلبُ راضٍ وصابر[2]
ورن تبعدوا فالأرضُ جرداءُ جدبةٌ | وإن تقربوا فالدهرُ فينان زاهر[3]
وإن تغربوا فالعيش أسودُ داجنٌ | وإن تشرقوا فالعيش أبلجُ ظاهر
حياتى إذا ما غبْت عنى زواخر | تموج وإظلام الدجى والأعاصر[4]

---

(١) مخمور : أى أصابته نشوة الخمر .
(٢) الأسوان : ذو الأسى أى الحزين .
(٣) فينان : مورق .
(٤) الزواخر : الأمواج العظيمة ، والأعاصر : الرياح الشديدة . أى حياتى مثل عاصفة فى البحر بالليل ، كثيرة الرياح شديدة الأمواج .

فــأى بقــاءٍ بعــدَ بُعــدك نافعٌ وأى رجــاءٍ بعــد بعــدك باهرُ ؟
وإن كنتَ عندى جئت بالعقلِ والحجى وإن لم تجئ فــالقلبُ مـجنونُ ثائر
وإنّ حـيـاتيِ إنْ قـربتَ خـصـيـبـةٌ وإن حــيــاتى إن بعــدت لعــاقــر
وآمنتُ أن الســحــرَ حقٌ فــإنما فـؤادىَ مـسـحورٌ وحسنُك سـاحـر
وآمنتُ أن الحــسـنَ مُلْك ودولةٌ فــقلبى مــأسـور وحـسنُك آسـر
وآمنت أن الحبَّ والوجـدَ مـيـسـرٌ فـقلبى مـقـمورٌ وحـسنُك قـامـر
إذا متُّ فــاذكــرنى وزرنىَ زورةً وهل عــجبٌ فى أن تزار المقــابر ؟
وقِفْ وتأملْ مــا بدا لك طرفــةً ألا كلُّ حىٍّ مـثل مـا سرتُ سـائر
عـسـى دمـعـة حَرَّى علىَّ تريقـهـا وقد يعظ الموتُ الفتى وهو سادر(١)
فـلا تنذعـر فـالموتُ غـادٍ ورائحٌ وكلُّ جـمـيلٍ فـهـو لابد غـابر
سـينفـذ فـيك الموتُ أمـرًا مـقـدرًا وتلقى الذى قد كنتَ قدمًا تحاذر
ويأكلُ منك الدودُ ما شاءَ حقبـة ووجـهك مـقـبـوحٌ وعظمُك ناخـر
وريحك ريح النتْن لا نتن مــثله تُســد إذا مــا شُم منه المناخــر
فـلا تحسبنْ أنى من الموت ضاحكٌ ولا تحسبنْ أنى بحـسنِك سـاخـر !
ولـكن وجــدى منك جنٌ جنونه فـها أنا من حبى لحسنك هاتر !(٢)
أمـا رحـمـة ترجى لديكم لبـائس حـزين عليلٍ ، حـبـه لك طاهر ؟
وفى القــرب لو تدنو دواءٌ لهـمّـه وإنك إمـا غـبـت فـالهمُّ حـاضـر
فيا بؤس نفسى منك يابؤس عيشتى أمـا آن أن تغـشى المنايا البـواكـر ؟
أمـا آن أن ألقى حِـمـامًـا يريحنى فـتـهـدأ أضـلاعى وتهـدا المحاجـر ؟

(١) السادر : المنغمس فى لذات الحياة الخليع بها . (٢) الهاتر : الهاذر الهاذى .

أمـا آن أن ألقى قـضـاءً يميـتـنى | فيرتاح حسادى وتسلو العواذرُ ؟
وينسـانىَ الخلُّ الوفىُّ لميـتـتى | كـأنْ لم نكن والحىُّ للحىِ ذا كـر
وينسـانىَ الوغـدُ اللئيم لميـتـتى | ويرتد عنى نابُه والأظافـر !
أما آن أن أنسى الحيـاةَ ولؤمـهـا | فـلا طمعٌ يردى ولا اليـأس ذاعـر
أمـا آن أن يبكى لى الأهلُ طرفـة | وأُصـبح ممن غـيـبـتْـه المقـابر
وأصـبح لا قلبى يجن بذكـركم | ولا أنا مـهـجـورٌ ولا أنت هاجـر
إذا مـا الردى بالمرءِ حلّ قـضـاؤه | رويدك لا تغنى لديه المغـافـر[1]
وإنى أحس الموتَ يسرى دبيـبـه | بروحىَ حـتى فـيـه منه بوادر
نعـيت لكم نفسى فـلا لومَ بيننا | فـوقع المنايا بيننا مـتـواتر !
فـإمـا غـداً أو بعـد ذاك وإنما | تغـادى المنايا شـملنا وتبـاكـر
سـلامٌ عليكم حيث كنتم فإننا | سـيـهلك منا أولٌ ثم آخـر !

الشعر والطبيعة

إذا غنّت الأطيار فى الأيك صدَّحًا | تغنت لأشـجـان الفـؤادِ طيـورُ
وللريح هبـاتٌ وللنفسِ مـثلهـا | تغنى رُخـاء فـيـهـمـا ودبـور[2]
وما الشعرُ إلا القلب هاج وجيبُه | ومـا الشـعـرُ إلا أن يثيـرَ مـثـيـر
نرى فى سماءِ النفس ما فى سمائنا | ونبـصـر فـيـهـا البـدرَ وهو منيـر
وما النفس إلا كالطبيعة وجهها | رياضٌ وأضـواءٌ بهـا وبحـور

(١) المنافر : جمع مغفر وهو ما يتقى به فى الحرب . (٢) الرخاء : ريح لينة ، والدبور : ريح شديدة .

وَفيها صراخُ اليمِّ إن ماج موجهُ | وفيها خريرٌ خافت وغديرُ[1]
وليلٌ وإصباحٌ لها وكواكب | تسير بآفاق بها وتدور
إذا كنت في روضٍ فقلبيَ طائرٌ | يغنّي عَلى أغصانه ويطير
وإن كنت فوق البحرِ فالقلب موجةٌ | تَسرَّبُ في أمواجه وتسير[2]
وإن كنت فوق الشُّم فالقلبُ نسرُها | وللنسرِ في شمِّ الجبالِ وكور[3]
وَتنثر أغصانُ الخريفِ زهورَها | كما جاد بالشعرِ الجليل شعور
فيا قومُ ما للجهل ملء عيونكم | ألستم ترونَ الدائرات تدور ؟
لبستم على الأيام ثوبَ مذلةٍ | فكيف بنضو الثوبِ وهو نضير ؟
إذا صاح ذاك العَيرُ فيكم صياحه | طربتم وقلتم شاعرٌ وكبير[4]
ويزعجكم أن الطيورَ صوادح | ويطربكم أن الغناءَ نعير
أصاب ذكائي منكم بردُ طبعكم | وأطفأ مني القلبَ وهو قدير
ويصدأ طبعي في خبيثِ هوائكم | وجوكم بالداهيات يمور[5]
فلا تحسبوا أني أقولُ لتسمعوا | ولا أن مثلي بالقنوط جدير[6]
وماذا يفيد الشعرُ والقلب ميتٌ | وهل للنفوس الهامدات نشور ؟
إذا كان يحيي الشعرُ نفسًا مريضةً | فهيهات تحيا النفسُ وهي قبور !

الأزاهير السود[7]

قد جنينا من أزاهير الردى | زهرة اليأس وأزهار الأسى

(١) خافت : أي صوته ضئيل . (٢) تسرب : أي تتسرب . (٣) الشم : أي الجبال الشم وهي المرتفعة .
(٤) العير بفتح العين : أي الحمار . (٥) يمور : يزخر ويموج كالبحر . (٦) القنوط : شدة اليأس .
(٧) المقصود بالأزاهير السود : لذات الحياة التي تعود بالألم ، وتكون عاقبتها الندم واليأس والشقاء .

زهرةٌ سوداءُ لا تَعدلِهُا زهرةٌ حمراءُ من زهر الهوى
كيف نهوى زهرةً ، أوراقها من دموع الصبِّ تندى والدِما ؟
تشعل الوجدَ ولوعات الغليلِ وهي مثل الجرح في صدر القتيلِ
ودماءُ القلبِ تجرى بمسيل دمه رى جذور وأصول
كلما زادَ احمراراً لونها راح جسمي بشحوبٍ ونحول
قد جَنينا من أزاهير الشقاء زهرةً سوداء من زهرِ القضاءْ
تُبدلُ النفسَ سواداً من ضياءْ ليس تنمو في رجاءٍ أو رخاء
تنفح السم أريجاً والبلاءْ وهي تغذى من زفير وبكاء
كم جنينا من أفانين الألم زهرةً سوداء من زهر الندم
لونها المأخوذُ من لونِ الظلم عابسٌ فوق شفاه المبتسم
زهرةٌ سوداءُ من زهر النقم فهي طيف من ممات قد ألم
كم جنينا من أزاهير القدر وأفانين صروف وغير[1]
زهرةٌ سوداء من زهر الضجر وهي من نبت هموم وكدر
فهي بالليل سهادٌ وسهر وهي في الصبحِ الشقاءُ المنتظر
هذه الأزهارُ سودٌ كالقضاءْ في رياضٍ من شقاءٍ وعناء
ليس لى منها مفرٌّ أو نجاء فهي حولي في صباحٍ ومساء
إن هذا العيش داءٌ أى دواء ليس يُمحى بشكاة أو بكاء !

طبع الإنسان

إنما المرءُ خيالٌ زائل سعةُ الآمال فيه كالقِدمْ

---

(١) الغير تقلبات الدهر .

مـــثل قـــدر الخلدِ أطمـــاع لـه وبـه عـــجــزٌ وضـــيق فـى الـهـــمْ
ويـودُّ المرءُ لـو نـال الـســـــــهى وهـو فـــوق الأرضِ لما يحـــتكـم
فـــهـــو مـــثلُ الطفلِ فى آمـــاله يبـــتـغى النجمَ منالاً من أمـم[1]
سـفـهـــاً أنظم فى وصـف الـهـــوى ولـقـــــد انـظر مـــا تاتـى الأمـــم
من ذنوبٍ مـــــا لـهـــــا من رادعٍ تتـــــــرك الـنـاسَ عـلى بـؤس وهـم
غـاب رشـدُ الناسِ عن أنفـسـهـم ضـــاع منهم تحت أشـلاء الرمـم
يُقـــــتلُ المرءُ عـلـى الجـــرم ولا يُســـأل الجـبـارُ عـــمـــا يجـتـرم[2]
أســـعـــد النـاسِ قـــتـــيلٌ هالكٌ ربَّ عـــيشٍ هو شـــرٌ من عـــدم
إن بـالمرءِ جنونًـا جـــــاعــــــلاً نـوبـةً للشـــــر فـــيـــه تحـــتـــدم
لا يـنـــال الـــبُــرْءَ مـــن نوبتـــه أو يـذيـع الـشـــــرَّ منه والألـم[3]
هـل لنـا من كـــوكـبٍ ذى مـــرَّة يصـــدع الأرضَ إذا مـــا يصـطدم[4]
فـــيـــريح الـنـــاسَ من آلامــهـم ويـزيـل الـشـــــرَّ منـا والـنـهـم
حـــدَّث الدهرُ حـــديثـــاً صـــادقـــاً إنمـــا الـنـــاس قـطـيـعٌ مـــن غـنـم
وصـــفـــاتُ الـذئـبِ طبعٌ فـــيـــهـم وصـــفـــاتُ الـقـــردِ والـكـلـب الـنـهم
أيـن فـــخـــرُ الـنـاسِ بالعلم ومـــا يردع الأهواء من خـــيـــرِ الحكـم ؟
يبــــسط العـلمُ عـليـــهـم جلـدةً بضـــةَ المـلـمس تـخـفى من نـقـم[5]
جلـدة الـسـخـل بـهـــا الـذئـبُ ارتـدى فـــإذا مـــا غـــفـل الراعى هجـم

---

(١) أمم : أى قريب . (٢) أى أن الرجل يُقتل إذا قَتل ، وأما الجبابرة من الملوك والحكومات فلا يحاسبون على ذنوبهم . (٣) أى أن الشر نوبة عصبية تاتى للإنسان فلا تزول عنه حتى يفعل الشر . (٤) المرة : الشدة . (٥) بضة : أى ناعمة .

وإذا مــــا اقـــتــــدر المرءُ سطا　　وإذا مـــا ضـعف المـــرءُ حـلـم
لا تُرجى منهمُ مـــرحـــمـــة　　رحمةُ الخب بكى حتى احتكم[1]
لـو يـكون المرءُ فــــينـا آمناً　　سطوات الشـــرّ منا مـــا رحم
نحن نبكى رحـمـةً من خـشـيـةٍ　　أن نعانى الضيمَ من خطبٍ يُلم ![2]

الحب واليأس

حـــجـــبت عـــيناك عنى نورَها　　وابتـسـامـاً فـيـهـمـا كـان يجـول
فـــحـــيـــاتى كظلامٍ حـــالكٍ　　ونجـومى قـد تـقـاضـاها الأفـول
كنت أستـهـدى بمصبـاحِ الهوى　　فى طريق العـيشِ والعـيشُ وعـر
كنت أســتـــهـــدى بنورٍ منكـمُ　　فـحـجـبـتم نـورَ قلبى والبـصـر
صـرت أسـتـهـدى بنارٍ للشـقـاءْ　　فى ظلامِ اليـأسِ تخـبـو وتنيـر
تقـصـر الأشـجـان فـيـهـا وتطول　　كـلمـــا هبَّت بهـــا ريحُ الزفـيـــر
فـهى كـالأشـبـاحِ فى جنحِ الظلام　　راقـــصــــاتٍ بين نـارٍ ورياح[3]
راقـصــات كـشـيــاطين الدجـى　　مُحييات للدجى حتى الصباح[4]
فاهجـرونى إن سـمـعـتم من نصيحٍ　　مـا عليكـم من مـلامٍ فى جـفـاء
إنَّ حـــبّى مـــثـلُ داءٍ قـــاتـل　　فـاسـتـجـيـروا بمفـرٍ أو نجـاء

---

(١) الخب : المخادع .　(٢) أى أننا نرحم التعيس خوفاً من أن يحل بنا ما حل به فالرحمة منشؤها الخوف .　(٣) أى أن أشجان المرء التى تخرج بها من صدره أنفاسه وتظهر فى نار شقائه تحت جنح رأسه مثل خيالات الأشياء الواقعة قرب نار تهب بها الرياح العاصفة فتطول وتقصر فيحسب الرائى أن هذه الخيالات شياطين .　(٤) أحيا الليل أى سهره .

أنتم كـالزهرِ تمحو زهوه ... ريحُ سوءٍ حملت جرثومَ داءْ
إن حبى ريح سوءٍ قتلت ... زهو قلبى من حياةٍ ورجاء[1]
فاحذروه واتقونى جهدكم ... إن فى قربى لكم عدوى الشقاء !

الحبيبان

مناجاة الحبيب الأول

يحكى فؤادى فى هواك الجحيم ... وأنت إبليس لذاك الجحيمْ
بالشرِّ ألحاظك مبثوثة ... وبالرزايا والبلاءِ المقيم
وخدُّك المشبوبُ فى حمرةٍ ... كالجمرِ يذكو للعذابِ الأليم[2]
والريقُ كالمهل شرابُ الردى ... يُظمى ولا يشفى أوام الكليم[3]
وحرَّ أنفاسِكَ فى مرِّها ... يلفح لفحًا مثل لفح السمُوم[4]
ياتائهاً يختال فى مشيه ... كالصلِّ إذ يعوج أو يستقيم[5]
عيناك يغرى لحظها بالبغاءْ ... أحب عشاقك فينا الأثيم[6]
أنت إله الشرِّ فى حسنهِ ... وقبحه ، ويح لحسنٍ ذميم !

مناجاة الحبيب الثانى

يا جنةَ الحبِّ وروضَ النعيم ... لأنتَ برءٌ للأسى والهمومْ

---

(١) كما أن الرياح الحاملة للجراثيم تهب على الأزهار فتمحو نضارتها ، كذلك أخشى أن يصيبكم من حبى ما يمحو جمالكم وسعادتكم من قربى لكم ، لأن قربى لكم يعدى بالشقاء .

(٢) يذكو : أى يشتعل . (٣) المهل : شراب الجحيم . والأوام : العطش . والكليم : المجروح .

(٤) السموم : ريح حارة خانقة قاتلة . (٥) الصل : الثعبان . (٦) البغاء : الفسق والمنكر .

يا جنةً تتــــرك قـلبى لهـــا كــالروضــةِ الغناءِ ذات الكروم[1]
يا جنة مـــا إنْ بهـــا حـيـــةً ينفثُ سُمًّــا فـمـهـا أو سـمـوم
يســـعى إليك الكونُ من بدئه كما سعى نحو الطبيبِ السقيم[2]
فلفظك العــذبُ رحيقُ الهـوى ووجــهُك الزاهر زهر عــمـيـم
تُبـــرئ أنفـــاسك فى مُــرِّها من الجـوى والوجـد مثل النسـيم
وطىّ ألحـــاظك نورُ الهـــدى ودون أضـــلاعك قلبٌ رحـيـم
وأنت كــالدمـيـةِ فى شكلهــا وحسنِها الخـالد خلد النجوم[3]
للخـيـر فى الحسنِ خلودٌ فـلا يصيبه الدهرُ مصاب الجسوم[4]

صداقة الأموات والأحياء

لأى أمـــرٍ خــذلتــمـــونى يــا أهـلَ ودّى وإخــــــوتـى ؟
كــأنكم مــا صـحـبـتـمـونى إلا لنحـــسى وشـــقـــوتى !
أمــــا كـــفى وقع نائبــات يقــرعن عــودى ومـروتى ؟[5]
حـــسبى ســقــامى وطول همى وذلُّ عـــــدمى ولوعــــتى
كلكم كـــاذبٌ حـــقـــود يشـــعلُ يأسى وحــســـرتى
أين الأُولى قــربهم شـــفـــاءٌ يكشف غـــمـى وكـــربتى ؟
مـــرآهم نـشـــوةٌ وسـكـرٌ ونطقـــهم برءُ غلتى[6]

(١) الكروم : أشجار العنب . (٢) أى : أنت مثال الكمال الذى ينشده العالم ويسعى إليه الكون .
(٣) الدمية : التمثال الجميل . (٤) أى : أن الجسم يفنى ولكن الحسن والخير يبقى .
(٥) يكنى بقرع العود والمروة عن وقوع المصائب بالإنسان . (٦) الغلة : الظمأ الشديد .

أواه من وقـــعـــة المنايا	يقـعن فى خـيـرِ نخـبـتى
مـا العـيشُ عـيش إذا تنـاءوا	وصـرت أبكى لوحـشـتى
كـيف أرجى بكم شـفـائى	وأنـتـم أصـل عـلّـتـى ؟
كـأننى بينكم غـريبٌ	أنـدب حظىَ وغـربتى
أنتم سـهـام تهـيض عظمى	وهـم وقـائـى وجُـنتى[1]
لا يـرتجى منكم مـعـينٌ	يـغـنـى إذا النـعـل زلـت[2]
غـداً ينال الحِـمـام منا	بكـل شـمـلٍ مـشـتـت
حـتى كـأن لم نكن نرائى	على دهاءٍ وخـدعـة[3]
نعـيشُ بالغشِ مـا حـيـينا	غش عـدى أو أحـبـة
حـتـى إذا لاحت المنايا	وربّ حى كـمـيـت
طهـرنا الموت من خطايا	بَـيِّـنـة فـى الأسـرة
ننسى عـداء الذين مـاتوا	والحـىُّ يـقـلـى بـزلـة
فنحـسب الميت ذا وفـاءٍ	نبكى عليـه بحـرقـة
ولو يعـود الدفينُ حـيـاً	من بعـد نشـرٍ ورجـعـة
لصـار فى ودّه كـذوبًا	وعـاد يُمنى بظـنـة[4]

(١) الجنة : بضم الجيم ما يجن الإنسان به ، أى ما يلبسه وقاية لنفسه .

(٢) إذا النعل زلت : إذا حل بالإنسان ما يوجب المعاونة وشد الأزر .

(٣) أى نموت وننسى فكأننا لم يخادع بعضنا بعضاً .

(٤) أى إذا مات صديق نسينا هفواته ، أما الحى فإن زلاته حاضرة ، ولذلك نظن الصديق الميت كان خيراً من الصديق الحى ، ولكن لو رجع الميت إلى الحياة لعددناه كذوباً فى وده وصرنا نصيبه بالظنون والتهم .

شاعر يحتضر

أألقى الموتَ لم أنبه بشعرى ... ولم يعلم سوادُ الناس أمرى ؟[1]

وفى نفسى من الأبد اتساقٌ ... تدور الكائنات بها وتجرى

فمن للقلب يطربه بلحنٍ ... يحن إليه من نظمٍ ونثر ؟[2]

ومن للكون يرمقه بفكرٍ ... شبيه الكونِ فى سعةٍ وقدر ؟

ومعنى الخلد يصغر عند نفسى ... يضلّ الخلدَ فى أنحاء فكرى

إذا ظمئ الفؤادُ إلى كمالٍ ... رأى طولَ الخلودِ كقيد شبر

رأيتُ الناسَ مثل البحر لجّا ... وكم فى البحرمن صدفٍ ودر

هى الأقوام كالأمواج تعلو ... كذاك الموج يسفل حين يجرى

صحوتُ من المعيشة بعد سكرٍ ... فيا لهفى على نشوات سكرى

شربت الحلوَ من كاسات دهرى ... كذاك المرّ من كاسات دهرى

وحالات البقاءِ لها خمارٌ ... على طعميه من حلوٍ ومر

فحالاتُ السرورِ لها عقارٌ ... وللأرزاءِ فينا كأس خمر

وكان الجهلُ لى عيداً فولّى ... فيا شوقى إلى جهلات عمرى ![3]

وأَعقبت التساؤلَ والتقصى ... وما فى ذاك من غبنٍ وخسر

فمن لى بالسكينة فى حياةٍ ... أعالجها كأنى رهن أسر ؟

ظمئت إلى الكمالِ فلم أنله ... وذقتُ اليأسَ فى صلةٍ وهجر

---

(١) لم أنبه : أى لم أشتهر . وسواد الناس : جمهورهم .

(٢) أى إذا مت فأى شاعر يطرب القلوب بألحان شعره .

(٣) كان الجهل عيداً لأنى لم أفكر فى الحياة والغرض منها ، وشقاء الناس فيها .

وعــالجتُ العــواطفَ هائجــات هيــاج النارِ من لهبٍ وجــمــر
وجــملتُ الحــيــاةَ بنظم شــعــرٍ شــبــيــه الضــوءِ فى الأفقِ الأغــر
قــصــائد نيــرات خــالدات خلود النجم من شــهـبٍ وزهر

أمــل قــديم

ذكراك كالغيثِ تحيى جدبَ آمالى وتنقل العيشَ من حالٍ إلى حال
من بعدما طُويت نفسى على مضض وراح بى اليأسُ بين الصحب والآل
وطالعتنى خطوبٌ كلما عصفت عـفَّت على أملٍ كالمنزلِ الخالى
حتى كأن فؤادى منزلٌ خربٌ مـهـدَّمٌ بين آثار وأطلال
من بعدما يئست نفسى وما بلغت من الحياةِ لباناتى وآمالى[1]
وظَّنتُ نفسىَ أن أحيا إلى أمدٍ من الحياةِ سقيمَ الوجهِ والحال
حتى رأيتُ بروقاً منك صادقةً تستنزل البرَّ فى دفقٍ وتهطال
فصرت أثنى على عيشى ولذّته وكنتُ أثنى على موتٍ وآجال
متى أرانى ولى من رعيكم سببٌ جمُّ الأمانى رخىُّ العيشِ والبال ؟
أضحى رجائىَ مثل الشمسِ منتشراً يجلو همومىَ فى حلٍّ وترحال
علَّ الزمان يرى ما لستُ أكتمهُ من الرجاءِ فيدنى بعضَ آمالى !

مــرآة الضمـائر

ضمائرُ هذا الخلق مثلُ طباعِه وكم من ضميرٍ لا ينهنه بالزجر[2]
وكم من ضمير فاسدٍ تستشيره فتلقاه عند الخير والشرِ لا يبرى[3]

---

(١) اللبانات : الأوطار . (٢) لا ينهنه بالزجر : أى لا يردع عن الشر .
(٣) لا يبرى : المقصود بها أنه لا يميز الشر من الخير أو لا يفيد . والبرى : هو القطع .

وبعضُ المرائى خادعٌ غيرُ ناصحٍ يواجه وجهاً منك بالحسن والبشر[1]
ولكن منها صادقًا غيرَ كاذبٍ يريكَ الذى قد بتَّ تخفيه فى الصدر
فإن ترَ يومًا مثلَها من وذيلةٍ فليس لها خيرٌ لديك من الكسر[2]
إذا لاحَ يومًا شكلُ وجهِك فوقَها تبيت على ذعرٍ وتصحو على ذعر
ترى فوقها ما بتَّ تخفيه جاهدًا من السوءِ والأحقادِ واللؤمِ والشر
يرى الناس فيها أوجهًا كلها خنا يلوحُ كما تبدو الجماجمُ فى القبر
وفى كلِّ وجهٍ لو فطنت إشارةٌ تدلُّ على ما فى الضميرِ من السر
وفى كل وجهٍ من جنونٍ ومن أذى ملامحُ لا تخفى تناديك بالجهر
وكلُّ ضميرٍ لو فطنت مخادعٌ وكلُّ ضميرٍ لو بدا لك فى خسر
بنى آدمَ لاتذكروا العدلَ ذكرةً فما العدلُ إلا ما ترون من الأمر
إذا ما بدت من مطمح المرءِ حاجةٌ فلا عدلَ يرضاه ولا رحمة تسرى
وكلُّ ضميرٍ بالمعاذير مولعٌ إذا ما أتى ذنباً أحال على العذر
وقد يحسبُ الشر الوجيعَ فضيلةً إذا خال فيه ما يلذ من الخير
وقد يحسبُ الشئَ الحرامَ محللاً إذا ظن فيه ما يصاب من التجر
وقد يحسبُ العدل المبينَ ظلامةً إذا خاف منه ما يعاف من الضرّ
إذا ما بدا لى البشرُ فى وجهِ صاحبى أظلُّ مَرُوعًا خوفَ عاقبةِ البشر
يحييك من ألحاظه بطلاقةٍ ويأكلُ عِرْضًا منك بالنابِ والظُّفر
وكلُّ صديقٍ إن رأى بك حسرةً وكان بخير قال حظُّك فى الصبر

---

(١) المرائى : جمع مرآة ومرأى . (٢) الوذيلة : المرآة .

هو الصبرُ حلوٌ للذى لا يذوقُه فإن ذاقه فالصبرُ شرٌ من المرّ !
ولو كان للآثامِ ريحٌ خبيثةٌ تطيَّب كلُّ الناسِ بالندِ والعطر
ولو كان سوءُ النفسِ داءً بجلدهم لأصبح كلُّ الناسِ يوسم بالعر[1]
فعالهمُ حتى الطلاقةُ متجرٌ وربح فإنَّ البرَّ يبذل للبر
همُ ساوموا الخلاقَ فى كلٍّ فعلةٍ يبيعون خيرًا بالجزاء وبالأجر
هم يحسبون الدينَ رزقًا ومتجراً فيا عجبًا للدين يخلط بالنكر
فعدلهم ظلّم وخيرُهم أذى وودُّهمُ ود ينغص بالغدر
وصدقهمُ كذب وكلُّ فعالهِم رياءٌ كأن الغشَ فى دمهم يجرى !!

عناء الطيف

أرحنى يا طيفَ الحبيبِ بهجرة فإنك تورى حسرتى وتزيدها [2]
ويا طيفَه أنت السرابُ تكيدنى وحوليَ صحراءُ الغرامِ وبيدُها
تروّعنى بالشوق فى كلٍّ طرفةٍ إذا ما انقضت لوعاتُ شوقٍ تعيدها
ويا طيفُ قد قطّعت قلبى صبابةً وعذب عينى دمعُها وسهودها
ويا طيف لا فى يقظةٍ أنت تاركى ولا فى هجود العينِ يحلو هجودها
وتشعل من شوقى الذى أنا مطفئ وتحدث منه لوعة لا أريدها
وتبتعث النفس اللجوج إلى الهوى وقد شقّها أن لا حبيبَ يعودها
كفاها من الوجدِ الأليمِ قديمها فيا بؤسها إن لم يمتها جديدها
حنانيك لا حبى قليلٌ ولا الهوى لذيذٌ ولا الآمال يدنو بعيدها

---

(١) العر : الجرب . (٢) تورى : أى تشعل .

وإن لنفـــسى كل يومٍ شـــقــاوةً حـبيبٌ ينائيـهـا وخبٌ يكيـدها
أمــا آن أن تـلقى مماتاً يـريحـــهـــا فيُصـدع عنهـا كـبلهـا وقـيـودها
حياتى على الهجران شر من الردى فـواحسـرتا أن لا حـمـام يبيـدها !
ويا طيف أنت البوُّ فيك مضاضة وسـخـر وأم البـوِّ أودى وليـدها[١]
أبيتُ طـوال الليلِ أبكى بحـرقـةٍ كـأنىَ ثكلى قـد أصيب وحيـدها
فـيـا ليت أن العـمـرَ أنغـامُ منشـدٍ إذا مـا مـضت لى لـذة أسـتعـيـدها
ولذات نـفـسى فى الحـيـاةِ قليلةٌ فـيا ويحهـا إن لم أجد من يعيـدها
لقد قسمت فى الحبِّ بينى وبينكم جدود الهوى والنفس شتى جدودها[٢]
فإن جـدودَ الحبِّ عندى نحوسـهـا وإن جـدودَ الحبِّ فـيكم سـعـودها
وللريحِ هبــاتٌ ولـلشــوقِ مـثـلُهــا وهبـاتُ شـوقى لا يـصـاب ركـودها
يسومون نفسى الصبرَ والصبرُ قاتلٌ لقـد صـبـرتْ لو أن ذاك يفـيـدها !

سلوان الجنون

عـسى ينعم الولهــانُ منك بنظرةٍ وهل بعدكم فى العيشِ حسن فينظرُ
عسى بالضلوع الخافقاتِ من الجوى تقـرُّ وبالقلبِ الجـريحِ فـيـجـبـر
عـسى تُسـعـد الأقدارُ يومًا بودكم فـيـا طيـبـهـا لو أن قـرباً يقـدر
عـسى أن يعـودَ النومُ عينًا كليلةً فـلا الدمعُ يقـذيهـا ولا النومُ ينفـر
عسى أن يعودَ العيشُ جمًّا ضياؤه وأحـمـد من مرآه مـا كنتُ أبـصـر

---

(١) البو : جلدة ابن البقرة التى تحشى تبناً وتوضع أمام البقرة كى تحن إليها وتدر لبنها .
(٢) الجدود : الحظوظ والأقسام .

عسى هجرة تدعو المحبَّ فيرعوى إلى سلوةٍ تنهى الفؤاد فيزجرُ
فلا تحْزنَنْ إن أدركتنىَ سلوةٌ فأنت الذى علمتنى كيف أصبر
عسى أن تجنَّ النفسُ فيكم جنونها فلا ذكرة تصبى ولا فكر يخطر
فإن جنونَ النفسِ سعدٌ وراحةٌ وإن عناءَ الحبِّ ذاك التذكر
فأنساك حتى لستُ أدرى : أعائش على الأرضِ تسعى أم دفين معُفَّر !
وأنساك حتى لو عرضت مسلمًا لما سرنى منكم سلامٌ ومحضر
وأنساك حتى لا أريد وصالَكم ولا الهجر يُجرى دمعتى حين تهجر
كأنك ما كنتَ الضياءَ لمقلتى ولا مسمعٌ فيكم لذيذ ومنظر
كأنك لم تضحكْ فتضحك عيشتى ولم تكُ غضبانًا فتدجو وتكدر
ولم تك لى الماءَ الزلالَ على الصدى إذا ذاقه الظمآنُ يروى ويسكر(١)
كأنىَ لم أقضِ النهارَ بحسرةٍ ولم أك حتى مطلع الفجرِ أسهر
ولم يجر دمعى حرقةً وصبابة ولم يك قلبى والهاً يتسعر
ولم يك لى فى كلٍّ قولٍ تقوله غناءٌ وألحانٌ تروق وتسحر
كأنىَ لم أعشقك فى كل نبضةٍ لقلبى ولم أعشقك من حيث أشعر
كأنى لم أعشقك فى كلِّ طرفةٍ لعينى ولا فى خطرةٍ حين تخطر
ولم أكُ من خوفى عليكم مروَّعاً أبيت حذار السوءِ أبكى وأذعر
ولم أكُ من شوقى أمرُّ ببيتكم وأنتم نيامٌ ، خائفاً أتستر
فإن يبلغ الحبُّ الجنونَ فلا تلم أما كل مجنونٍ على الهجر يُعذر ؟

(١) الصدى : الظمأ .

ليس لى شغل سواك

ليس لى شــغلٌ ســـواكْ   فـأجِـز عنى جـفـاكْ (١)
شـــقـــيتْ بالناس عينٌ   لا تـرى حـــــتـى تـراكْ
أنت خـيـرُ الناسِ روحـاً   كلُّ مـــخلوقٍ فـــداك
لا يـطيـبُ الـعـــيشُ إلا   بالذى فـــيـــه رضـــاك
أنت لا تعــرف مــا قــد   بتُّ أخـــفـى من هـواك
أنت مــعنى كلِّ حــسنٍ   فـلـه الله اصـطـفـــــاك
أنت مـــعنى وهو لفظٌ   من عـناءٍ قـــــد عـنـاك
يـا نـبىَّ الحـــسنِ إنـى   مـــؤْمن يرجـــو هـداك
إن طــرفـى فـى عـنـاءٍ   لـيت طرفى مـــا رآك
إن قـلـبى فى عـــذابٍ   ليت قلبى قـــد قـلاك
فَـــخَـــرَ الكونُ وأبدى   بهـجـةً حـيث احـتـواك
أظلمَ الـعـيشُ فـجُـدْ لى   بضـــيـــاءٍ من سناك
بســـلامٍ أو كـــلامٍ   أجـــتـنيـــه فى لقــاك
إن نفـــسى لك غـــرسٌ   كـيف لا ترجـو جـداك (٢)
إن نـفــــسى لك أرضٌ   وقـــعت تحت عـــلاك
أنت مـــعنى كلِّ مـــخلو   قٍ فـــلا حىّ ســـواك !
فـتـــعطفْ يا حـــبـيـبى   لا تـخـــيِّب من دعـــاك !

---

(١) أجز عنى : أى أزح عنى .   (٢) الجدى : الكرم والنوال .

وابتسمْ يبتسم الدهـ ـرُ ويدجو من جفاكْ
وقعت نفسى من حـ ـبِّك فى شرِّ الشِّباك
ليس لى فيه معينٌ لا ولا منه فكاك
لمَ لا تدنى محبا كلما حنَّ بكاك ؟
ما درى للعيشِ معنى قلبُه حتى هواك
ما رأى للعيش حسنًا لحظُه حتى رآك
كيف تسلو عن محبّ بك صبّ ما سلاك ؟
لا هناك النومُ يا سا لب نومى لا هناك ![1]
ما هنانى النومُ مذ لا حت لعينىَّ حُلاك[2]
أيُّها القلبُ اسل عنه فهو لا يدرى لظاك
ناعمُ البالِ قريرٌ ليته عانى جواك
أيُّها النشوان من خمـ ـرِ الهوى من ذا سقاك ؟
أيُّها الواله من وجـ ـدِ الهوى ماذا دهاك ؟
ما نهاك الصدُّ والإعـ ـراضُ عمن قد جفاك ؟
ما اظن الحبُّ يحدو بك إلا للهلاك ![3]

حلم بالبعث

رايتُ فى النوم أنى رهنُ مظلمةٍ من المقابر ميتاً حوله رِمُمُ
ناءٍ عن الناسِ لا صوتٌ فيزعجنى ولا طموحٌ ولا حلم ولا كلم

---

(١) لا هناك النوم : دعاء عليه بأن لا يتهنى بالنوم أى لا يجده هنيئاً . (٢) حلاك : أى محاسنك .
(٣) يحدو : أى يسوق . والحداء : هو الغناء للإبل كى تتحمل السير .

مطهـر من عـيـوبِ العـيش قـاطبـة فـلـيـس يـطـرقـنـى هـم ولا ألـم
ولسـت أشـقى لأمـرٍ لسـت أعـرفـهُ ولست أسعى لعـيشٍ شأنه العـدم
فــلا بـكاءٌ ولا ضــحك ولا أملٌ ولا ضـمـيـرٌ ولا يأس ولا ندم
والموتُ أطهـر من خبثِ الحياة وإن راعت مظاهرُه الأحـداث والظلم
مازلتُ فى اللحدِ ميتًا ليس يلحقنى نبحُ العدوّ وبى عن نبحِه صمم
مـرَّت علىَّ قـرونٌ لست أحـفظهـا عـدًّا كـأنْ مـرّ بى الآبادُ والقـدم
حتى بعثت على نفخِ الملائكِ فى أبواقـهـم وتنادت تلكمُ الرمـم
وقـام حـولى من الأمـوات زعنفـةٌ هوجـاءُ كـالسَّيـلِ جمّ لجـه عـرم
فـذاك يبحثُ عن عينٍ له فُـقـدتْ وتلك تعـوزها الأصـداغ واللمم
وذاك يمشى على رجلٍ بلا قـدمٍ وذاك غـضـبـان لا سـاقٌ ولا قـدم
وربَّ غاصبِ رأسٍ ليس صاحبَه وصاحبُ الرأسِ يبكيه ويختصم
ويبـحـثـون عن المـرآةِ تخبـرهم عن قبحِ ما تترك الأجداثُ والعدم
جـاءت مـلائكةٌ باللحم تعرضـه ليلبس اللحم من أضلاعنا الوضم
رقـدتُ مستشعـرًا نومًا لأوهـمهم أنى عن البعثِ بى نومٌ وبى صمم
فـأعجلونى وقـالوا : قم فلا كـسل ينجى من البعث ، إن الله محتكم
قد مُتَّ ما مُت فى خيرٍ وفى دعةٍ وقـد بعـثـتَ فـمـاذا ينفع الندم ؟
أستـغـفـر الله من لغوٍ ومن عبثٍ ومن جنايةِ ما يأتى به الكلم !!

(١) المقصود بهذه القصيدة السخر بالناس ورذائلهم التى لا تكاد تفارقهم حتى عند البعث .

صنم الملاحة

صنمَ الملاحةِ والرشا ... قةِ واللذاذةِ والألمْ !
ناجيتُ قلبَك كي يرقَّ ... فما أحسَّ ولا رحمْ
يقسو فؤادُك يا صنم ... أو ليس من حجرٍ أصم ؟
وخدعتني بغدير حسنك ... كالسرابِ إذا ألم
وتركتني كالمصحر الظمآنِ ... يهلكه السقم
صنمَ الملاحةِ زفرتي ... تحييك من سنة ونوم
وتبثُّ فيك الحبَّ يا ... صنم الملاحةِ يا صنم !
فتحس فيك شجونه ... وتصير من لحم ودم
فدع الجمودَ لأهله ... إنَّ الجمودَ هو العدم
صنم الملاحة إن حسنتك ... مثلُ الحانِ النغم
فإذا لقيتكَ أو سمعتكَ ... أو رأيتكَ في الحلم
تدع الفؤادَ كطائرٍ ... إنْ همَّ بالطيرانِ لم
وتنام ليلك ناعماً ... وأبيت ليلى لم أنم
صنم الملاحة إنني ... وهواك في نحسٍ وهم
بلغ الغرامُ إلى الجنون ... فلا عتاب ولا ندم
وملكتني فظلمتني ... والحسنُ أظلمُ من حكم
وحييت بين الناسِ معروفًا ... بحبِّك متهم
والحبُّ حلوٌ ذائبٌ ... والحبُّ من صابٍ وسم

ومن العـــجـــائبِ أنني ... بسرابِ حسنك معتصم
فكأن حـــسنَك مـــا جنى ... شـــرًا عليَّ ولا اجـــتــرم
يا ليت حـــبَّك يا صنم ... حُـلْـمٌ تجـئ بـه الـظـلـم
فـــأفـــيقُ منه مـــسلّمـــا ... مـــثل الظلام إذا انصـــرم
فكأنَّ حـــسنَك لم يكن ... وكـــأنَّ حُـــبَّك لم يُلم !

بين الحقيقة والخيال

أمـا علمت عـيناك أنى قـتيلهـا ... وكلُّ حـبـيبٍ بالمحبِّ خـبـيـرُ ؟
فليس عيونُ النرجس الغضِّ مثلَها ... ولا القطرُ فـوق الوردِ وهونضـيـرُ
وليس عـيونُ النَّجمِ أبهى إذا بدت ... وللنَّجم لحظٌ فى الظلام منيـــر
لعينيك سحرٌ ليس للسحر فعله ... فليس لهـــا فى الفـاتنات نظيـر
أمـــا علمت عـــيناك أنىَ عـــاشق ... وأنى غـريبٌ فى الحـيـاةِ أسيـر ؟
أمـــا علمت عـــيناك أن لحـاظَهـا ... تثـيـر غـرامًـا واللحـاظُ تثـيـر ؟
إذا مـا كـررتُ اللحظ نحوك طرفةً ... رجـعتُ ولحظى من سناك حسيـر
لقـــد كـــثـرَ الناعـــون للودِّ بيننا ... فـهل يأتيَنّى عن رضـاك بشـيـر ؟
حـبـيـبى دع الدنيـا تجئ بما تشـا ... فكلُّ فـــضـــاءٍ طائر ســـيطيـــر
وجـــدْ لى بذخـــرٍ من ودادك وافـــرٍ ... وكلُّ قليل من رضـــاك كـــثـيـــر
وإن تلق ودًا مـــثل ودى فـــلا تكن ... له عـــائفًـــا ، أمُّ الودادِ نَزور[1]
ولا تحـــسبنَّ الناسَ ناســـاً فـــإنهم ... قرودٌ إذا كـشّـفـتـهم وحـمـيـر !

---

(١) نزور : أى مقلة من النسل .

وأكـثـر ما خالـوه صدقًا وحكمةً ... نعـيقٌ إذا بينتـه ونعـيرُ !
وآذانهم مـثلُ الحـمـيـرِ طويلةٌ ... وذيلهم لا كـالقـرودِ قـصـيـر !
بنى آدم من قـبل آدم قـد مـضت ... عـصـورٌ على أعـقـابهن عـصـور
فـإن يكُ فـيكم فطنةٌ وضـمـائر ... فللقـرد عـقلٌ وافـرٌ وضـمـيـر !
ضـمـائركم لو تعلمـون حـبـائل ... لها من أباطيل النفـاقِ سـيـور
حبيبى لا يحدثْ لك الحسن غرّةً ... فكلُّ حـيـاةٍ لو علمتَ غـرور
أما أنتَ نسلُ القردِ كالناسِ كلهم ... وذلك رأى لو غـضـبـت خطيـر !
مـشـابه لا تخـفى لديك كـثـيـرةٌ ... تحـدثنا أن النظيـرَ نظيـر !
فإن قلتُ أنت البدرُ فالقولُ كاذب ... وإن قلتُ أنت الشمسُ فهو فجور !
ومـا ذاك إلا خـدعـةٌ وتعـللٌ ... وبعض الخداعِ للحـيـاة نصـيـر
وهل يستقيمُ العيشُ إلا بخدعةٍ ... وأىُّ سـرورٍ فى اليـقينِ سـرور ؟
بلى أنت نسل البدرِ والشمس زوّجا ... وأنت جـمـالٌ للحـيـاة منيـر !

الحسود

أخ لى ، وإخـوان الصـفـاءِ قليـل ... خليلٌ وهل فى الحاسدين خليلُ ؟
إذا ما بدت لى خصلةٌ يستجيدها ... طواها عنيف عند ذاك عـجـول
وأدركـه مسُّ الجنونِ وأظلمت ... عليه السـمـاءُ ، والنهـارُ جـمـيل
تنفس أنفـاسـاً سـراعـاً ، وأبرقت ... لـه لحـظـات كـلـهـن غـلـيـل
فـرائصـه مـرجـوفـةٌ ، ودمـوعـه ... تحـيّـر فى آمـاقِـهِ وتجـول
وإن تبدُ مـنى ريبـة قـال باسمًا ... ألا إنهـا طبع لديه دخـيـل

ويشدو بمدحى حاضراً ، ومديحُه إذا غبتُ عنه كالهجاءِ ثقيل
ويبسم للزارى علىَّ كأنَّما يقول له أحسنت حين يقول
ويوهم صحبى أننى ذو عداوةٍ أجولُ بعيبٍ فيهم وأصول
وأنى مغتابٌ وأنى حاسدٌ أعيب عليهم فضلهم وأُذيل
إذا استخبروا عن شيمتى ومحاسنى يجمجم قولاً مشكلاً ويميل
وإن مدحونى جاهدين وأكثروا تململ حقداً والحقودُ عليل
يعين على شتمى وإن هو لم يقل مقالاً وبعضُ الصامتين يقول
ويبغضنى سراً كأنى وترته بفضلى وما تبغى لدىَّ ذحول
ويعتد غنماً أن تنيخَ مصيبةٌ علىَّ وأنى فى الشقاءِ أقيل
كأن جحيماً موقداً فى ضلوعهِ تؤججه ريحٌ عليه تجول
وفيه شياطين من الحقدِ وجهها يروعُ إذا أبصرته ويهول
فلا زال مسموماً من الحقدِ عانيًا ولا زال عنى من هواهِ نكول

بالله ما تفعل لو بلغوك

بالله ما تفعل لو بلغوكْ أنى عرتنى جِنة من هواكْ [1] ؟
أأنتَ باكٍ للمحبٍّ الذى لم يعرف الذلةَ حتى رآك ؟
أم ضاحكٌ لاهٍ به ساخر والسخر أن تضحك ممن بكاك ؟
بكاكَ للصدِّ ولوعاته إذ أظلمت عيشته من جفاك
وكيف لا يُذهب لبى الهوى إذ مضت لى أشهر لا أراك ؟

(1) الجنة بالكسر : الجنون .

أظلُّ كالأعمى إذا غبتمُ فالعينُ لا تبصر حتى تراكْ
يا نور عيني ، غال عيني العمى أغدقْ عليها رحمةً من سناك
والعقلُ لا يعقل إن غبتمُ والنفسُ لا تأملُ إلا رضاك
أبيتُ لا أذكر إلا اسمكم فليس لي في العيشِ شغلٌ سواك
حتى متى لا ودّ لي منكمُ حتى متى لاحظّ لي من لقاك
مرآك مرآك الذي أبتغي طوبى لعبدٍ قاطنٍ في ذراك[1]
بالله ماتفعل لو بلغوك أن الهوى أورد نفسي الهلاك
وأنني قد صرتُ في حفرةٍ قنيصةَ الدودِ ويا بؤس ذاك
والدودُ لا يُفلت منه الرميم والموتُ ما للمرءِ منه فكاك
أأنت تبكي للرميمِ الدفينِ أم ضاحك مما جنته يداك ؟
بالله ما تفعل لو بلغوك أنيَ أسعى عامداً للهلاك !
لما مللتُ العيشَ من بعدكم سقانيَ السمَّ الذي لا سقاك
جرعتُ منه جرعةً كأسها يروي صدى القلب الذي قد هواك[2]
يا عجباً لو كنتَ لي راحمًا أحرقة الرحمةِ تكوي حشاك ؟
اضحك ولا تحزن لما نابني ، الجسمُ والروحُ جميعًا فداك !

الحب والحياة

إني أحبُّك يا صديق والحبُّ أهونه شديدْ
حبًّا يزيد على الملا مِ كأنه الطفل العنيد
إني أحبّك ما حييت فإن قضيت فلا يبيد[3]

---

(١) الذرى : الكنف والجناب . (٢) الصدى : الظمأ . (٣) قضى : أي مات .

وإذا بعـــثت فـــأنت شـــغـــ لى لا الجــزاءُ ولا الوعـــيـدْ
والحبُّ فـيـــه لذى الصـبـا إمـــا الهـــلاك أو الخلود
والحبُّ مـثل الخـمـر تشـ ـربهـا فـيـغـريك المزيد
والحبّ مــثل الحـرب إن شَبَّتْ يشيبُ لهـا الوليـد
لا يـسـلـمـنَّ مـن الـلـوا حظ لا الجـبـان ولا الجليـد
إن السـعـادةَ والشـقـا وةَ والحـمـام لهـا جنود
فـتكاتُ طرفِك كـالمقـا درِ في المصـادر والورود
لحظٌ يطل به الضـيـا ءُ على المبـاسمِ والخـدود
لحظٌ هـو الصـدقُ المبينُ وغـيـرُه الكذبُ الرديد[1]
لحظ بـه سـرُّ الحـيـا ةِ وسـرُّها أبدًا جـديد
لا تخـجلن إذا وصـفـ ـتَ بحسنِ طرف أو بجيد
فـالحـسنُ أعظم مـيـزةٍ والحـسنُ كـالذخـرِ التليد
حـدثتُ نفـسى أن حـ ـبَّك لا الرشيد ولا الحميد
فـإذا عـفـوتَ فـإننى وحـيـاة حـبِّك لا أعـود
لو كان حسنُ العيشِ فى الـ ـصبوات كـالنغمِ السديد
فـإذا انقـضى عـاودته فـأعـيـده للمسـتـجـيـد
لقـضـيتُ منه مـآربى ونعـمـتُ بـالأملِ المديد
ليس السـعـادةُ للمـحـ ـبِّ بل الجميلُ هو السعيد
والحبُّ قـد يجنى على الـ ـمعشوقِ من شرٍ وكيد

(١) الرديد : المردود الذى لا يصدق .

أوَ مـا ترى حـسنَ الطيـو ... رِ يصـاد للريشِ النضـيـد ؟
تجنى المناقبُ والصـفـا ... تُ على الذكيِّ أو البليـد
فـالعـيـرُ ذلله الغـبـا ... وجنى الذكـاءُ على القـرود
تـتـكـسـب الـرزقَ القـلـيـ ... ـلَ لتضحك القومَ الجمود
حـسـبـوا الأديبَ وقـولَه ... كـالقـردِ يضـحك لا يفـيـد
أواه من عنتِ الجـهـو ... لِ ومـا يقـولُ ومـا يكـيـد
لو كـان قلبى كـالرمـا ... د لما ألمت من الخـمـود
ولئن ضـحـكـت فـإنه ... ضـحـك البـوارقِ والرعـود
والحبُّ فـيـه تعلّةٌ ... تلهى الشَّقىَّ عن الجـدود
تـلهى المحبَّ عن الحـيـا ... ةِ أو النحـوسِ أو السـعـود
وتـلـيـح بـالحـلـم اللـذيـ ... ـذِ وتحتـه الأمل الصّدود
فاضرب بسهمك فى الحيا ... ةِ فما البكاءُ على فـقـيد ؟
وانـدس فى و سـط الزحـا ... مِ فما الخمول وما القعود ؟
وارقص على نغم الحـيـا ... ةِ فـمـا لهـا أبدًا مـعـيـد
واضحكْ وكُلْ واعملْ ونَمْ ... واداب على السعى المجيـد
واحـمـل حـيـاتك فى يديـ ... ـك فـإن أصبتَ فمـا تميـد
واسـتـقـبـل الأيامَ فى ... دعـةٍ فـمـن بيضٍ وسـود
فـإذادعـتـك منيـةٌ ... والمرءُ كـالزرعِ الحـصـيـد
فـادلف لهـا دلفَ المجـ ... ـرب لا يخور ولا يحيد !

سـراب الـود

ألوى إلى الناس وجهًا غيرَ منبسطٍ ... واتقيهم بقلبٍ غيرِ مسرورِ
أنّى تلفتُّ لم أبصر سوى رجلٍ ... بادى العداوةِ مخضوبِ الأظافيرِ
هم يحسدونى على عيشى فوا أسفى ... عيشى عليلٌ وصنعى غيرُ مشكور
تكشّف الناسُ عن عادٍ له إحن ... وعن ذليلٍ شديدِ الغلِّ مقهور
للناسِ فى العيشِ من بدوٍ وحاضرةٍ ... طبعُ العقورِ وإما طبع معقور
ما كنتُ أختار هذى الناسَ منزلةً ... لو أننى كنتُ حرًا غير مجبور
الشرُّ والكذبُ والأحقادُ طبعهمُ ... والحقدُ فى الطبع بادٍ غيرُ مستور
أسقى التصافى خليلاً لا يعاشرنى ... إلا على رَنَقٍ منه وتكدير
إذا اتخذتُ خليلاً لى أصادقُه ... دار الزمانُ علينا بالمقادير
فينجلى صرفه عن واترٍ حنقٍ ... وعن مروعٍ كثيرِ الهمِّ موتور
عللت بالودِّ قلبى وهو ذو أملٍ ... لا الود يصفو ولا قلبى بمغرور
فما طلابى سرابًا عزَّ مطلبُه ... وقد ظفرتُ بحظٍّ منه مقمور
أما حبيبٌ رغيبٌ ذو مصادقةٍ ... اقضى به العيش محمود المصادير ؟
إنى لأرحم نفسى أننى أبداً ... بين البغال وأحلام العصافير !
يا ويح نفسى ، أما القى أخا ثقةٍ ... كأنما روحه صيغت من النور ؟

عبث الحيـاة

« أرسل إلى صديقى الشاعر العبقرى الجليل عباس أفندى محمود العقاد هذه الأبيات الآتية وهو مقيم بأسوان » :

« يا جار بحر الروم مالك صامتاً هلّا اقتديت بموجه المتجدد ؟[1]
غضبان من لؤم الحياة وإنها أمةٌ ولكن ما لها من سيد
إما غضبت ففى جوارك خضرم غضبان يقذف باللغام المزبد
إنى ألب بموطن لو أنه قفر لأطربنى صغير الفدفد
تمضى الشهور وفى الجوانح لوعة تمشى على كبدى كحز المبرد
أشكو الزمان إلى القريض وتارة أشكو القريض إلى الزمان المعتدى
فاكتب على هذا الزمان ذنوبه إنا نؤجله الحساب إلى الغد
واضحك فإن قالوا تضاحك قانط فاضرب لهم مثل الغمام المرعد
تالله لو علموا لكان مكاننا فيهم أعز ، وكيف علم المقتدى »

فأجبته بهذه الأبيات الآتية بالعنوان السابق :

ماذا يفيدُ تصوبى وتصعدى فى مسلكٍ للعيشِ غير ممهدِ ؟
كالبحر فى أحواله متغيراً عبثًا يضجّ بموجه المتجددِ
عبثاً تعيثُ الريحُ فى هباتها كالحادثاتِ إذا تروح وتغتدى
عبثًا يسير النجمُ فى أبراجه متنقلاً فى سيره عن موعد
عبثًا تضيء الشمسُ وجهَ مسالكٍ للعيش تزخرُ بالشقاءِ المزبد
لو كان يدرى المرءُ قدر شقائه فى العيشِ ودَّ لو أنه لم يولد
والناسُ غرقى فى الشقاءِ ولؤمه من ناقمٍ يشكو ومن متبلد
ومن البليةِ أننى بشقائهم وشقاوتى أمحو لذيذ تجلدى
إن التبلدَ والبلادةَ والغبا مثلُ الخمورِ لذيذة والمرقد !
ولربَّ صحو للخمار مبغَّضٍ يأتى بهمٍّ للحياة مجدَّد !

(١) كان الشاعر يومذاك مقيماً بالإسكندرية حيث قضى سنوات عدة .

من لى بعــيشٍ لا أحس صــروفَــه كــالماءِ أو كــالنار أو كــالجلمــد !
مــاذا يـفـيــد تضــاحك من قــانط نار الجــحــيـم بقلبــه المتــوقــد ؟
ضــحك يهــدّ القلبَ وقعُ رعــوده ولربَّ ضــحكٍ فى النعـيم مـغـرد !
مـــاذا على الإنســـان لولا نسله إن بـاع دنيــاه بموتٍ ســرمــد !

الحيــاة والفنــون

جــمَّلكِ اللهُ يا حــيــاةُ كــمــا جــمَّل وجــهَ الســمــاءِ بالشُّــهبِ
حــديقـــة للنفــوسِ زاهيـــةٌ ببـــــدائع فى الـفـنـون والأدبِ
تجلو لك العــيش من غـيــاهبــه مستخـلـصًا من شـــوائبِ الريب
تـنــوّر الـنـفــس نَـورهــا أبــدًا فى مشرق من ضيائها الذهبى(١)
والحــسنُ ضــوءُ النفـوسِ يظهــرها غـــــراءَ فى حـلـةٍ من اللـهـب
والحــسنُ ثوبُ النفــوسِ تلبســه والنفسُ تُزهى بثـوبهــا القــشب
وكلُّ فـنٍ إلى الجــــمـــــال له من محكم الصنعِ أقـرب النسب
مـن عـلَّـم المرءَ فى بدايتـــــه صنعَ مـفـيـدِ الآلات والقـضـب ؟
من علّم المرءَ أن يقـــيم على الــ أرض بيـوتًا مـرفـوعـةَ الطُنُب ؟(٢)
مـن عـلـم المرءَ أن ينــال من الــ ـمـزمـــار والصنجِ لذةَ الطرب ؟
يحكى بهــا ضــربه مـغــازلةَ الــ ـعــاشقِ لينًا وســورةَ الغــضـب
واللحنُ خــمــرُ النفــوس تشــربه واللحنُ سكر مـــثل ابنة العنـب

(١) أى : كما أن ضياء الشمس غذاء للأزهار كذلك الفنون غذاء للنفس .
(٢) الطنب بالضم : العمد .

يحكى به موقعَ الحوادث والـ أقدارِ من مغنمٍ ومن سلبِ
يحكى به الجدّ إذ يجد به الـ ـدهرُ وطوراً كرقصةِ اللعب
يحكى به السعدَ والشقاءَ وما نصيب من نعمةٍ ومن كرب
يحكى به خفقةَ الفؤاد على حاليه من راحةٍ ومن تعب
من علّم المرءَ أن يخط على الـ ـقرطاسِ لوناً من أعجب العجب ؟
يحكى به الضوءَ والدياجير والـ أجسام من ناضرٍ ومن شحب
يحكى به الجلدَ فى نعومته وما يليه من الدمِ السرِب[1]
يحكى به أوجهَ الحياةِ وما نراه فى بدئها وفى العقب
كأنما يقبس الضياءَ من الـ ـشمسِ ويأتى بظلمةِ السحب
من علّم المرءَ أن يقدَّ من الـ ـصخرِ دمى فى وضاءةِ الشهب ؟[2]
تلك مثال الكمالِ صوره يظل عريان غير محتجب
أو فى ثيابٍ كأنما يبرز الـ ـريحُ بها الجسمَ ليس فى حجب
تحسبها فى الحياةِ ماثلةً تفكر فيما تريد من أرب[3]
تحسب فيها القلوبَ نابضةً خافقةً بالشعور والنصب
من علّم المرءَ أن يقولَ من الـ ـشعرِ مقالاً كاللحنِ فى الطرب ؟
يعلم الناسَ فى سرورهم حكمةَ هذى الصروف والنوب
وأن هذى الفنون قاطبةً جماعها فى القريضِ والأدب
والفنُّ جمّ والعيشُ آخره دانٍ دلوف بالحادث الأشيب[4]

(١) السرب : السائل المتسرب .
(٢) أى : تماثيل جميلة مثل النجوم .
(٣) أى : تحسب هذه التماثيل ذات حياة تفكر .
(٤) الحادث الأشب أى : الموت .

وفى صـروفِ القـضـاءِ عـرقلةٌ تقـتل روحَ الذكـاءِ بالريب
وتبـعثُ اليـأسَ والملالةَ والـ ـشكَّ وتودى بهـمـةِ الطلب !

مناجاة الأرواح

بحقِّ من خلقَ الأرواحَ ذاكـيـة وأودع الروحَ طولَ العمرِ فى الجسدِ
وخـالق الحبِّ والأرواح تألفـه فـيـمنع المرءَ من صـبرٍ ومن جلدِ
وجـاعل رسـلاً فى القلبِ يرسلها للقلب عن كثبٍ تسعى وعن بعدِ(١)
وباعث مـن ضـمير الصبِّ خاطرةً مثل الفراشةِ حامت حولَ ذى غيد
تلك المناجاة تدنى الروحَ عن شحط وتستـقيـدك فى دلٍّ وفى ميـد
بحق من أنت من آيات صنعـتـه صنعًا يلوح بحسنِ الواحد الصمد
لو شاء بزك ثوب الحسنِ أجمعه فـصـرت عـريان من أثوابه الجدد
ألا بعثتَ خيـالاً منك فى صلةٍ يزورُ بالليل فى نومٍ وفى سـهد ؟
ومـا انتـفـاعى بطيفٍ كله خدعٌ يا ليـتـه كـان ذا روحٍ وذا جسـد !
أو زرتنى زورةً فى الدهر واحـدة تجيء عـفـوًا فلم تخلف ولم تعـد
كم قد دعوتك فى الظلماءِ منفردًا وكم صدحتُ كصدحِ الطائرِ الغرد
أبيتُ سهرانَ مشغوفًا بذكركمُ وليس يدنيك لا شوقى ولا سهدى
هيهات هيهات ما للقلب من رسلٍ إن الدعـاءَ شفيعٌ غيـر ذى سـدد
لو ان للقلبِ مـا خـالوه من رسلٍ لكنت تعرف ما وجدى؟ وما كمدى؟
بل أنت لاهٍ قـريرُ العينِ ذو سنةٍ فى حين وجدى شديدٌ غير متئد !

---

(١) عن كثب أى عن قرب .

أنا مجنون بحبك

أنــا مـجنــونٌ بحـبُــك	فــأزل غُــلةَ صــبكْ
ليــتنى بالـسـحـرِ مـعــرو	فٌ فــأبغى خلس لبك
لـيــتكم كــأس عــقــارٍ	وأنا مــغــرى بشــربك
أيهـــا الظالمُ رفـــقـــاً	ليس قلبى مـــثلَ قلبك
إن يكن فى البـعـدِ مـوتٌ	فــادننى أحىَ بقـــربك
أنت كـــالدهر مـــريبٌ	نجّنى من ســـوءِ ريبك
لـيــتنى طولَ حـيـــاتى	أحــمــد العــيشَ بجنبك
لـيــتنى فى الموتِ طولَ الـ	ـدهرِ مـــدفــونٌ بتــربك
سلمك المأمــول فـــردو	س فـأخــمـد نار حـــربك
ودكم كـالـسـحب وعــد	ووعـــيــد طى ســحــبك
عــتــبكم عــتب الليــالى	لم أجـد عـتـبًا كـعـتـبك
أنـا أهـواك ومـــــالى	منك إلا ســوء غــيــبك
الـهـــدى ضـــوء عــينك	أم لرجمٍ لحظ شُــهْــبك
أنـت بـســتـــانٌ أنيـقٌ	نـضــجـت أثـمـــار رطبك
أتـعـــــدّ الـذنـبَ ذنـبى	ليت لى قلبــاً كــقلبك
ذنـبــىَ الحــبُّ لـديــكـم	ليت ذنبى مــثلُ ذنبك
يا طبــيبَ الحبِّ ليس الـ	ـهـــجــرُ من ناجعِ طبك
إن قـــلـبــى طــولَ دهــرى	ناظرٌ يرنو لصـــوبك[1]

(١) الصوب : الناحية والجهة .

كلُّ خـــيــــرٍ دون شـــرِّك كلُّ صـــدقٍ دون كـــذبك
كلُّ عــــذبٍ دون مـــرِّك كلُّ جـــدٍ دون لعـــبك
كلُّ صـعبٍ دون سـهلك كل فـضلٍ دون عـيبك !

ظـالمى ما أعـدلك

ظالمى مـــا أعـــدلك فــــاقض إنَّ الحـكم لـكْ
لـيت روحـى طرفـــةٌ وجـــــده عـنك مـلك
مـتُّ مـن داءِ الـهـــوى لـــيت حبًا قتـــلك
لا يـغــــــرَّنّـك أن الـــ ـقلبَ عـــبـــدٌ ذلّ لك
كـم جـمــيلٍ مـــا بدا فـــاتناً حـــتى هـلك
أىُّ ذنبٍ جـــئـــتـــه عـــن ودادى نـــقــلـك ؟
أى أمـــــــرٍ طـارقٍ عن دعـــائى شـــغـلك ؟
قـــد بدا لى يا حـــبـيـبى مـــنـك أن لا قـــلـب لـك
إن يـكن فـــيك جـــمـــالٌ إن شــــعـــرى جـــملك
كـل حـــسنٍ شـــمـــتـــه فـــيك روحـى حـــاك لك[1]
لـيت لـى يا قـلـب قـلـبـــاً طــــــائعًا لى بـــدلك
قـــد دعـــا داعـى الهـــوى فـــاتئـــد مـــا أعـــجلك
لتـــمــــوتـنَّ ولا تـبـــ ـــــلـغ مـــنـــه أمـلـك

---

(١) شمته أى رأيته . أى أن خيال الشاعر يكسو حبيبه جمالا ثم يعبد الشاعر هذا الجمال الذى حاكه خياله .

مـــــا أظـن الحـبَّ إلا بـالـغـــاً بي أجـلـك !

ليتنى وليتك

ألا يا ليـتنى نسـمـه ويا ليـــتك لى زهرهْ
فــأهـواك وتهــوانى فــلا عــتب ولا هجــره
وكـنـتُ الـروضَ ممـطـوراً وكنتَ الغـيث لى مطره
ألا يا ليـتنى مــاءٌ ويا ليـتك لى خـمـره
فــأحــويك وتحــوينى ولا وجـــد ولا غـــدره
ألا يا ليـــتنى ليـلٌ وكـنـتَ الـدهـرَ لـى بـدره
ألست الليـل أحـــويك وأنت البــدر لى غــره ؟
ألا يا ليـــتنى طرفٌ وكـنـتَ الـدهـرَ لـى نـظـره
فــألقـــاك وتلقـــانى فــلا بعـــد ولا ذكـــره
ألا ياليـــتنى بحــرٌ ويا ليـــتك لى قـطره
ألا يا ليـــتنى أفقٌ وكنتَ النجـــمـةَ الزهره
ألا يا ليـتنى مــعنى وكنت الدهرَ لى ســرّه
ألا يا ليـتنى مــيت ويا ليـتك لى حـفـره
فــلا شــوق ولا يــاس ولا نـهى ولا زجـــره !

لــولاك

لولاك ما ذقتُ طعمَ العيشِ لولاكا فـالحلوُ والمرُّ مـعـقـودٌ بجـدواكـا
لولاك مـا بتُّ طولَ الليلِ مكتئبًا ولا حننت لبــرقٍ من ثناياكــا

تصيحُ بى الطيرُ إنى عاشقٌ لكمُ ... من علَّم الطيرَ أنَّ القلبَ يهواكا ؟
والزهرُ يعذرنى فيكم ويبسم لى ... هل يعلمُ الزهرُ ما تجنيه عيناكا
يهبُّ شوقى لريحِ الوردِ أنشقه ... كأنما نفحاتُ الوردِ ذكراكا
أهوى النسيمَ الذى من نحو بيتكمُ ... يا طيبه حينَ يأتينا برياكا
أحببتُ من حبِّكم من كان يعرفكم ... كأنما قربه من طيبِ رؤياكا
فإن فى عينه عن حسنكم خبراً ... ونظرة سُرقت من حسنِ مرآكا
حبيبُ يا زهرةَ الدنيا وبهجتها ... هل من ودادٍ فتلقانى وألقاكا ؟
أمشى أحدثُ نفسى عنكمُ أبداً ... لعل قلبىَ يسعى بى لمثواكا
اختارنى الحبُّ دون الناس كلهمُ ... فهبَّ قلبى ولباه ولباكا
كم يخلقُ القلبُ من نجواكُم رسلاً ... هل جاءكم هاتفٌ منه فحياكا ؟
يطيفُ بى هاتف من طيفكم أبداً ... يا ما أميلحه لو كان إياكا !
من حبِّكم صرتُ أبغى عنكُم بدلاً ... أقول ياليت أن القلبَ يقلاكا
أشكو إلى الريحِ ما ألقى بحبكُم ... ياقلبُ صبراً فما تجديك شكواكا (1) ؟ !

الربيع والصبا

يا قلبُ مالك كالشتاءِ وبؤسه ... أيعودُ شجوك فى الربيعِ الآتى ؟
قد كانت الآمال فيك صوادحاً ... تهفو بسمع أحبتى ولداتى (2)
وتليح لى بمطامعٍ مرجوةٍ ... إذ أنت تدعو والحبيبُ يؤاتى
يا قلبُ نابذك الهوى ونبذته ... أفهل نسيتَ محاسنَ اللذات ؟

(1) ما تجديك أى ما تنفعك .

(2) اللدات : القرناء .

ذهب الهـوى بزهورهِ وطيـورهِ أفـلا يصيخُ لدعـوتى وشكـاتى ؟
من لى بأيامٍ لـه محـمـودةٍ ذهبيـةِ الأشـواقِ والصبـواتِ ؟
نسـتـقبلُ الأقدارَ وهى كـوالحٌ فنعيـدها مبيضةَ الصفحات
ذهب الربيع أخو الصبا بذهابه فالطيرُ خرسٌ ميتـةُ النغمات
أين السبيل إلى معاودةِ الصبا ؟ أيعودُ شجوُ القلبِ بعد فوات ؟
والقلبُ مثلُ الزهرِ يحييه الهوى يومـاً ويدركـه الأسى بممات
والمرءُ يحيا بعد فقدِ شجونه ليست حياةً بعدها بحياة
فالصدرُ قبرٌ والشجونُ رفاتُه ذكرى تليحُ بحفرتى ورفاتى !

ليلة القدر

أمـانـاً ليلـة الدهـرِ أمانًا ليلةَ العمـرِ
فقد أبصرتُ من أهوى شبيـهَ الوجه بالبدر
فبتُّ الليلَ سهرانا أنادى الله بالجهر
عسى يدنى مُنى قلب شقى فيك بالهجر
وأستدنيك بالنجوى وأستدنيك بالسحر
فلم أظفر بمأمولٍ وولَّتْ ليلةُ القدر
عناءٌ كلها كانت من الإمساء للفجر

الرحمة

« منقولة عن شكسبير »

وما الرحمةُ الغراءُ بالقهرِ تُجتدى ولا يستقيد القسرُ أفضالَ راحم

تجود كما جادت سماءٌ بغيثها ... فتجدى كما يجدى سخيُّ الغمائم
أليستْ كقطرِ الغيثِ ريًا ونعمة ... تعيد وجوهَ الروضِ غرَّ المباسم ؟
وتبدرُ من قلبِ العظيمِ عظيمةً ... وأعظم نفعًا فى فعالِ الأعاظم ؟
فطوبى لذى هم ينالُ شفاءها ... وطوبى لذى فضلٍ كثيرِ المكارم
تطهرُ قلبَ المرءِ لو يستطيعها ... وتكسرُ من شرٍّ الخطوبِ الهواجم
هو الرفق تاجٌ للملوك يزينهم ... بأحسن من تيجانهم والصوارم(1)
وفى صولجان الملك روعٌ لناظر ... يدل على بطشِ الملوكِ القماقم(2)
ويملأ قلبَ المرءِ خوفاً وهيبةً ... فيفرق من سطوِ الطغاةِ الغواشم
ولكن مُلكَ الرفقِ أعلى مكانةً ... وأعظم من ملك الظُّبى واللهاذم(3)
تبوءٌ فى قلبِ الملوكِ مكانةً ... تبوأهم ملكاً رفيعَ الدعائم
فإنى رأيتُ الرفقَ كالخلد ملكه ... ولكن ملك السيف ليس بدائم
وما نعت الرحمنُ إلا بنعته ... فطوبى لجمٍّ الرفق جَمٍّ المراحم
إذا ما مزجت العدلَ بالرفق جاهداً ... وإنى رأيت الرفقَ خيرَ المطاعم
بلغتَ رضاءَ الله فى خيرِ نعتهِ ... وسرتَ على نهج النفوسِ الكرائم

غروب الشباب

يموتُ شبابُ المرءِ والمرءُ غافلٌ ... ويعقبه بعد الشبابِ مشيب
ويمضى شبابُ العاشقين وما انقضى ... لهم أربٌ من عيشهم ونصيب
شباب أضىء لى العيشَ كالشمس كلما ... حداها إلى باب السماءِ غروب
طلعتَ طلوعَ الشمسِ والعمرُ واضحٌ ... شهىّ ، وأثمار الحياةِ تطيب

---

(1) الصوارم : جمع صارم وهو السيف . (2) القماقم : السادة ذوو البذل والعطاء .
(3) الظبا جمع ظبة ، واللهاذم جمع لهذم : وهى السيوف القواطع .

وتغرب عنا مغربَ الشمسِ رائعًا وأنتَ على ما كان فيك حبيب
تضيء بحارَ العمرِ كالشمسِ حقبة وتطفئك الأحداثُ وهى خطوب
لك الشفق المشبوبُ كالنار كلما تأجج فى صمٍّ الضلوع لهيب[1]
وتندبك الأشجانُ وهى سحائب لها منظرٌ عند الغروبِ مهيب
فقمْ يا مشيبى واملأ العيشَ وحشةً لها من دياجير الظلامِ ضروب[2]
وما الشَّعَرُ المشبوبُ فى الرأس حليةٌ ولكن رمادٌ للحياة يريب[3]
وما الشعَراتُ البيض فيك مضيئةٌ وليس لها فى الزاهرات ضريب[4]

الحب القديم والجديد

ذهب الحبُّ فلا تحزن له ومضى الوصلُ فلا يغنى الندم
كنت تسقينىَ من كأسِ الهوى جرعات هى من خير النعم
فإذا الحبُّ نعيمٌ ينقضى وإذا حُسْنك طيفٌ فى الحلم
لا يحلُّ البغضُ فينا منزلاً حلَّه فينا الغرامُ المنصرم
كلُّ شىءٍ لبلاغ ومدى ومدى الحبِّ ملالٌ وسام
فابتدره وهو فى إبانه واسلُ عنه وهو نضو منثلم
أولُ الحبِّ عبابٌ زاخرٌ وبقاياه كموجٍ منهزم
لا أريدُ الحبَّ إلا رائعاً مالئاً للنفس كالسيل العَرِمِ

(١) المشبوب : المشتعل . (٢) الضروب : النظائر . (٣) المشبوب : المشتعل ، يقصد به الشعر الأبيض كأن بياض المشيب رماد الحياة . (٤) الزاهرات : النجوم ، أى أن شعرات المشيب فى سواد الرأس ليست مثل النجوم المضيئة فى سواد الليل .

ليس للعتبى مجالٌ بيننا | فبنا عن رجعة العتبى صمم
إن نحاولْ رجعَ وصل دارسٍ | لا يعود الذكرُ إلا بالألم
لذة الذكرى إذا ما لم يكن | كلف يجلبُ للقلبِ السقم
لك فى الناس أليف عاشقٌ | ولنا فى الناس عشقٌ مكتتم
قد بلوناك حميداً فى الهوى | وبلوناه حميداً لا يذم
لك من ودى نصيب وافرٌ | حافظٌ عهدَ الزمانِ المنصرم
ليس للحبِّ قيودٌ أو إسارٌ | إنما الودُّ كفيلٌ بالذمم
أنت عندى مثلُ حلمٍ رائقٍ | أو خيالٍ يطرق النومَ ملم
أو كنور البدر فضيًّا له | وترٌ فى القلب فضىُّ النغم[1]
غير أن الشمسَ يورى نورها | فى نواحى القلبِ حبًّا كالضرم
يبعث الرغبةَ فينا حرّها | إنما الرغبةُ نار تضطرم
ولنا فى الناس إلفٌ حسنُه | مثلُ حسن الشمسِ جالٍ للظلم
أنا منه كلَّ يومٍ فى جوى | يستبيح القلبَ من لحمٍ ودم
ومن العشق جنونٌ خابل | يزدرى المرء له وقع التُّهم
ما على العاشقِ من لوعاته | ما يرى فى الحبِّ من عذلٍ وذم
وحبيبٌ باسمٌ مثلُ الضحى | وإذا فاتحته الحبَّ وجم
جاهلٌ بالعيشِ لا يعرف ما | تخبأ الأيامُ من صرفِ القسم
يحسب الحبَّ كَحلْيٍ زائنٍ | لابساً من دره ما ينتظم

(١) ما رأيت ضوء القمر إلا أحسست كأن نواقيس فضية تطن فى أذنى ، وإن ألذ الأنغام رنة الفضة المجوفة .

إنما الحبُّ جنونٌ وجـــوى ورجـــاء واجـــترامٌ وندم
وبه للنفس مَـحْـيـا أو ممات وبـه لـلـقـلـب غـنـمٌ أو نـقـم
يرفع الحبُّ ذليـلاً خـامـلا ويذل الحبُّ شـهـمـاً لـم يضم
كم مـحب هالكٍ من لوعـةٍ وحبيبٍ بات كالصخر الأصم
ولقد يجنى على الحسن الهوى مثلما يجنى على العيش العدم !

مواطن الحب

الحبُّ طلاَّعُ الثنايا له في كل وادٍ جيئةٌ أو ذهوبْ
وفى الجبال الشمّ وكرٌ له كأنه النسرُ إليها يؤوب
وفى الكوخ نزَّال وفى الروضة الـ ـغناءِ نزال بها لا يريب
تراه فى الصحراءِ فى ظعنه وفى القصور البيضِ إلف ربيب
لا فى المكان الجدبِ مستوحشًا وليس يزهوه المكانُ الخصيب
له على الأمواج مسعى وفى الـ ـرياحِ مسعى رائعٌ لا يخيب
فراشه الأرضُ على رحبها وسقفه وجهُ السماءِ الرحيب
بين القبور ضاحكٌ تارة ونائحٌ طوراً وطوراً قطوب
أما ترى العشاقَ فى خلوةٍ وطاؤهم قبر وروضٌ قشيب ؟
فلمْ يبالى الميتُ فى قبره ما دام يخلو بالحبيبِ الحبيب ؟
إن لهم فى عيشهم فسحةً للفكر يحدوه الأسى والمشيب[1]

(١) فسحة من الزمن : أى متسع منه والضمير يعود على العشاق . أى : دعهم فى شبابهم وغرورهم فإن هذا أحسن العيش ، وسيأتيهم المشيب بالحزن والفكر .

فـدعـهم الآن على غِـرَّة … فـإنما الغِـرةُ عـيشٌ خَلوب[1]
يلعبُ بالأرواح هذا الهـوى … كالطفلِ يلهيه الذبابُ الصخوب
ليس فـقـيـرٌ جـاهلاً أمـره … ولا غنى خـاليـاً لا يـريب
كـلاهمـا طبٌ بأمـر الهـوى … فـإنما دارُ الغـرامِ القلوب[2]
فـى كـلِّ أرضٍ مـنـه إثْـر لـه … وكلُّ ريحٍ من شـذاه تطيب
فى كلِّ دارٍ من جـواه مـريض … وكلُّ قلبٍ فـيـه جـرحٌ رغـيب

جنـون الحيـاة

لا تُرعْ فـالدهرُ مـجنون … كلُّ حىٍ فـيـه مـغـبـونُ
جنٌ من حـولٍ ومـقـدرةٍ … وكـذا ذو الحـولِ مـجنون
كلُّ ثبت الجـاشِ فى دعـةٍ … وقليلُ الصـبـرِ مـحـزون
إنما الـدنيـا لـذى خلدٍ … رأيُه بالعـزم مـقـرون
هذه الأقـدار مـحـدقـة … غـرّ منهـا الضـيقُ واللين
نحن فى أقـدامـهـا كـرةٌ … مـا لنا فى العـيشِ تأمين
لا تفكر فى مـصـادرها … كـلُّ هـذا الفـكـرِ مظنـون
لا تفكر فى مـصـائبـهـا … أىُّ مـا أملت مـيـقـون
فـعـلامَ الخـوف من غِـيـرٍ … للعـوادى شـرها الحين
احسُ كـأسَ العيشِ فى دعةٍ … لا يرعْك العـزّ والهـون
كسـرابِ البيـدِ عـيشـتنا … مـا لنا فى الدهرِ تمكين

---

(١) خلب : أى سرق . وعيش خلوب : أى سارق للقلوب مستهو لها . (٢) طب : خبير .

صـورٌ للدهرِ يعـرضـهـا ... ثم تخفى وهو مدجونُ[1]
كم تُرى فى العيش ذا وجلٍ ... أى شئٍ فـيـه مـأمـون
لو يفـيـد الخوفُ صاحبَه ... صحّ أن السـعـدَ مـضـمـون
وتناجى مـا مـضى أبدًا ... أيجـيـب الحىَ مـدفـون ؟
إن أتاكَ الهمُّ مـشـتـمـلاً ... سـيـفـه والسيفُ مـسنون
ورأيت القلبَ منك جـرى ... دمـه والقلبُ مطعـون
دار عـنـه الـنـاسَ كـلُّـهـمُ ... إن بـرُّ الـنـاسِ مـظـنـون
ثـم قَـهـقـه فى وجـوهـم ... وإذا مـا لام مـحـزون
فـتـضـاحك ، ثم قل أبدًا ... إن هـذا الـدهر مـجنون !
دهـرنـا دار المجـانـين ... كل حى فـيـه مـسجون !!

فراشة الحب

شـربت بلحظك كـأسـاً تلذ ... فأسكرتنى يا مليحَ الهشاشِ ![2]
فـأنـت نعـيـمى وأنت شـقـائى ... وأنـت هلاكى وأنت مـعـاشى !
وبعـدُك عنىَ مـوتٌ كـريـهٌ ... وقـربُك بعثٌ يجـد انتـعـاشى
فـحـتّـامَ أدعـوك لا تسـتـجـيب ... وطرفى إلى نور وجـهك عـاشى[3]
أحـوم عليـه وفـيـه الهـلاك ... كـمـا حامَ بالضوءِ طيرُ الفَراشِ
أظـلُ إذا لحـتَ ذا لـوعـة ... كـذى القـرِّ فى هزةٍ وارتعـاشِ
أمـوتُ من الحـبِّ يومـاً فـيـوماً ... وحـبُّك فى القلبِ نامٍ وناشى
وهـيـهـات أسلو وحـسنك رىٌّ ... أيسلو عن الرى سربُ العطاشِ[4]

---

(١) أى معتم كأن به غيوما .
(٢) الهشاش : الخفة والنشاط والمرح .
(٣) العشا : سوء البصر .
(٤) السرب من الحيوانات : الجماعة .

وفى الحسنِ حاجةُ نفسِ الأديب هى الطيرُ وهو لها كعشاشِ[1]
فلا تأخذنَّ بقولِ العدوِ فالكذبُ فى الناس بادٍ وفاشى
فخيرهم فيه طبع الجحاشِ وشرهم فيه طبعُ الخشاش[2] !!

عصفور الجنة

ألا يا طائرِ الفردو سِ قلبى لك بستانُ
ففيه الزهر والماءُ وفيه الغصن فينانُ
فغرِّدْ فيه ما شئتَ فإن الحبَّ مرنان[3]
وفيه منكَ أنغامٌ وفيه منك ألحان
وللأشجان أوتارٌ ونايات وعيدان
ألا يا طائرَ الفردو س إن الشعر وجدان
وفى شدوكَ شعر النفـ ـس لا زورٌ وبهتان
فلا تعتدً بالناسِ فما فى الخلق إنسان
وجدْ لى منك بالشعرِ فإنا فيه إخوان
ألا يا طائرَ الفردو س قلبى منك ولهان
فهل تأنفُ من روضى وما فى الروضِ ثعبان ؟
وهل تفرق من جوِّى وما فى الجو عقبان[4] ؟
وهل تنفر من قلبى كأن القلبَ خوّان ؟

---

(١) أى أن نفس الشاعر تأنس بالجمال كما يأنس الطير بوكره .

(٢) الجحاش : صغار الحمير . والخشاش : بكسر الخاء الحشرات : أى أن خيار الناس مثل الحمير : وشرارهم مثل الحشرات . (٣) مرنان : أى به لين فى صلابة كالأوتار . (٤) تفرق : أى تخاف . والعقبان : طيور كاسرة .

فــمــا لى منكَ إســعــاد ولا لى منك لـقــيــانُ
ألا يـا طـائـرَ الـفــردو س إن الـدهــر ألــوانُ
ولـلأقـــدارِ أحـكـامٌ ولـلمـخلوق إذعــان
أرى الأحــداثَ إســراراً سـتـمـسى وهى إعــلان
ويـهـفـو بكَ ريبُ الدهـ ـرِ إن الـدهـرَ طعّــان
فــلا حــسنٌ ولا شـدوٌ ولا زهـرٌ وأغــصــان
سـيـبـقى لك فى قلبى مــودّاتٌ وتحـنـان
فــإن ملّك أحــبــابٌ وإن عــقّك إخــوان
وإن رابك من عــيــشـ ـك لوعــات وأحــزان
وإن بـاعــدك الحــسن وثوبُ الحـسنِ خلقــان(١)
فــجــرّب عندها قلبى فـقلبى منك مــلآن
إذاً تـعــرف أن الـقلـ ـبَ من حـبِّك نـشـوان
فـعـشش فــيــه فى أمنٍ فـقلبى بك جــذلان
وأسـمـعنى من الشـعـر فــإنا فــيــه خــلان
وهـل تـفــهـمُ مــا أعنى وهـل لـلطيـرِ أذهان ؟ !

إلى الروح التى أهوى

إلــى الـروح الـتـى أهـوى أعــزَّ اللهُ مــأواهـا
حــيــاءٌ صــدهـا عنا وســوءُ الظنِّ أقــصـاهـا

(١) الخلقان : الثياب البالية .

فــهل من عطفــةٍ تُرجى   فـــــإنّا نتــــمناها
وروحى نحــوها تهــفــو   فـلـيـت الحـبُّ أدناهـا
لـعـل المـوتَ يـدنـيـنـا   ويــؤيــنـــا وإيــاهـــا
أجــوبُ العـــالمَ المجـــهـ   ــولَ جــذلانًا بلقــيــاها
إلــى الـروح الــتــى أهـوى   أطابَ اللهُ مــــثــــواها
لقــد أفــســدت العــيشَ   فليت القـلبَ يقـــلاها
ونعـم العــــيش لو تدنو   وبئس العـــــيش لولاها
وكــان العـيشُ مـحـمـودًا   بملـقـــــاها ورؤيـاها
فليت الحبَّ أصـــمــاها   وليت الحبَّ أعـــداها (١)
فـتــدرى لوعــةَ الأشــوا   قِ واليـــأسِ وحـــاشــاها
لـعـلَّ الله يـرعــــــاهـا   فــإن القـلبَ يـهـــواها
فــهل من مــبلغٍ قــولى   إلــى الـروح الـتـى أهـوى ؟

بعد الحسن

عـتـبتُ فلم ينفع لديك عـتـابُ   وقـلتُ ومـــالى فى هـواك جـــوابُ
وكنت أعـد الحـسنَ فـيك فطانةً   وإن جنونى فى هـواك صــــوابُ
سأصبر حتى يتلف الدهرُ حسنَكم   وكـلُّ بـنـاء لـو علـمـتَ خـــراب
وكيف يتيه المرءُ من حسن وجهه   وعـقـبى جـمـال الفـاتـنين ذهاب ؟
سـأصـبـر حـتـى تنقـضى منه دولةٌ   وتـصــــبح تُقلى تـارةً وتعـــاب

---

(١) أصمى السهم الرمية : أصابها .

فجرب ودادى تلقنى لك حافظاً وإنىَ أرضى والأنام غضابُ
تجدنى أخاك الصادق الودّ لم أخن إذا خان من فوتِ الجمال صحاب
وتعلم ما ودّى وما كان حسنُكم وتعرف أى الباقيين سراب
وأبصر فيك الحسن من بعدِ عهده وأى وداد بعد ذاك يصاب
وليست حياةُ المرءِ إلا سحابةً تمر وما غرّ اللبيبَ سحاب
وتبكى على العهد القديمِ الذى مضى وليس لحسنٍ فات عنك إياب
وما ينفع المرءَ الحزينَ بكاؤه إذا صال ظفرٌ للزمان وناب
ستصبح يوماً فى التراب مجندلا بفيك وفى العينين منك تراب
وتمسى رفاتاً فى الترابِ ذليلةً يقئ الفتى من مسٌها ويصاب
فخفف قليلاً من جفائك واتعظ فما ينفع الوجه الأغر شباب
أخىَّ أما من عطفةٍ أستفيدها لديك فإن البعدَ عنك عقاب ؟
ولا تحسبنْ أنى سكتُّ ملالةً فإن سكوتى فى هواك خطاب !

الحب والخلود
أو
وحى الشعر

قد سقانى هواك كأسَ الخلود وحدا بى للعزة القعساءِ
وسما بى فوق السموات حتى صرتُ مثل السماءِ فوق السماءِ
وجرى بى شوطاً بعيداً فخلفـ ـتُ ورائى نوابغَ الشعراء
صرت كالبدر فى السماء منيراً فى دجى من جهالةِ الجهلاء

حـدثتنى عنك النجـومُ حـديثـاً		وحـديثُ النجـومِ ومضُ الضـيـاءِ
أنت وحـيى ومنطقى وخـيـالى		وبيـانى وهمـتى وذكـائى
شـاعـرَ الحسنِ إن حسنَك والخلـ		ـد وشعـرى رىٌّ النفـوس الظمـاء
ظمـأ دائمٌ ورىٌ سـرابٍ		أم زلال ذو نشـوة وصـفـاء ؟
ربَّ شعـرٍ كـالداءِ مرّ وشعـرٍ		صـادق الفـعلِ ناجعٍ كـالدواء
منه مـا يجلب الزمـانةَ والسقـ		ـمَ ومنه مسـتجلبٌ للشـفـاء
إن تكن وحىَ شـاعـرٍ يبلغ الشمـ		ـسَ ويربو على مـدى الجوزاء
أنت كـالشمسِ فى نهارى مضيء		ومنيـرٌ فى الليلةِ القـمـراء
ومـلأتَ الفـؤادَ نـوراً ونـاراً		فـانمحت منه آيةُ الظلمـاء
وجـعلتَ الفـؤاد بحـراً خـضمًّا		وشـعـوراً يجـيش كـالهـيـجـاء
كنتَ لى ناظراً يرى بلحـاظ الـ		ـظنِ مـا لا يلوح للبـصـراء
وجلوت الحـيـاةَ غـرّاء تزهو		فـالاحت بـالحجـةِ البـيـضـاء
وجـعلت الفـؤادَ كـالطيـر يشدو		أو فـصـيح مـجـوّد الغـنـاء
وجـعلت الفـؤادَ زهراً زكـيًّا		وجناناً فـسـيـحـةَ الأرجـاء
أنت أفـهـمـتنى الملالةَ واليـأ		سَ وعلمـتنى صنوف الرجـاء
أنت أنبتَّ لى جناحـاً وأرهفـ		ـت سهـاماً كـثيـرة الإصـمـاء(١)
لك فى النفس منزلٌ ومسـيـرٌ		كـمـسيـر الدمـاءِ فى الأعـضـاء
وخلقت الحـيـاةَ خلقـاً جـديداً		ثـم أبديتَ لى كنوزَ البـقـاءِ
وجـعلت الفـؤاد ينبض نبـضـاً		ذا وئيـد كـالضـربةِ الهـوجـاء(٢)

---

(١) الإصماء : الإصابة .
(٢) الوئيد : الصوت .

آه مـــا أتعس المعـــايش والأ	يام لولا عــواطف الشــعــراء
كــجنون النعــيم والبـؤس فــيـهم	وهي تبـدو لغـيـرهـم كـذُكـاء[1]
كنتَ لي نجـمــة تلوح لهـديي	ورشـادي في العـيـشـة الكدراء
كنتَ نحسي وشقوتي ورخائي	وعــنــائـي ولــذتـي وثــرائـي
كنتُ آتي بالشـعـــر مما أراه	من ضــيـــاءٍ وروضـــة وهـواء
صرتَ لي في اللحاظ ضوءاً وفي السمـ	ـع غـنـاءً يـطـيـــر بـالأهـواء
ونسيـمـاً في الأنف رطبـاً ذكـيـاً	وعُـقــاري ومـوردي وغــذائي
وجـعلتُ الكمـالَ فـيك مـثـالاً	ووصــفـت الكمـالَ للأحـيـاء
وقبست الأشعارَ من حسنك الغـ	ـضّ وحكت القـريضَ للفطناء
فلئن كنتُ قـد أصـبتُ وأبدعـ	ـتُ فـــأنت الخليقُ بالإطراء
ولئن كنتُ قـد عـجـزت وقـصـر	ت فـحكمٌ مـقـدرٌ في القـضـاء
عــبث نـســبــة الغناءِ إلى الرو	ضِ فليس الغرابُ كالورقاء[2] !

الحب والود

ألا إن أشـقى الناس من لا تقـاربه	وإن سعيد الناس من أنت صاحبه !
وكـيـف أرجي للملمات صـاحـبـاً	أفـاتحـه ودي فـيـزورّ جـانبـه ؟
وليس لقلبي جـرأة فـأؤمـــه	وليس لقلبي سلوة فـأجـانبـه

(١) ذكاء بضم الذال الشمس : أي عواطف الشعراء تهدي غيرهم ولكن من أجلها يحس الشعراء جنون اللذة وجنون الألم .
(٢) أي لا يصح نسبة الفضل في شعر الشاعر إلى الجمال الذي يراه ، كما لا يصح نسبة غناء الطائر إلى الروض لأن ليس كل طائر يغني ، وليس كل من يرى الجمال شاعراً .

وأقســـم لو انى عليـــه مملكٌ ... لما كنتُ أفشى ذنبَه أو أعاقبُه
فكيف ومــالى قــدرة فــأقـيــده ... ولا لىَ منه عطفــة فــأعــاتبـه
فيا آفةَ القلب الطموحِ إلى الهوى ... غلبت فرفقاً بالذى أنت غالبه
أتهجر خلاً وافياً أنت همه ... وتترك قلباً والهاً أنت شاعبه ؟
أرانى إذا ما غبت عنى كأننى ... خميص قد استعصت عليه مكاسبه[1]
طرقت بيوتَ الناسِ أبغى مودةً ... وكلُّ خليلٍ ماذق الودٌ كاذبه
فلما بدا لى منكما ما أعزه ... هويتكما والحبُّ شتى معاطبه
وهل عجبٌ أن يعشقَ الفضلَ والحجى ... أديبٌ يرى فى الفضل قرناً يقاربه ؟[2]
وهل من جناح أن أكون أخاكما ... فتزهر من ليل الحياة كواكبه ؟[3]
ومالىَ فى حسن الحسانِ مآربٌ ... إذا أردَت المرءَ اللئيم مآربه
وما الحسنُ إلا زينة الفضلِ والنهى ... وكلُّ لئيمٍ أسود الروحِ شاحبه
ومــا كلُّ حبٌ لاعجٍ بمحــرّمٍ ... ولا كل من يهوى هوى هو شائبه
أما أنتما حبٌ قديمٌ كتمته ... سنين وحُبٌ لا أزال أحاربه
فيا أخوىّ استيقنا وتبصرا ... رويدكما فالدهرُ شتى عجائبه
وإن خليلَ الفضلِ رى ونعمةٌ ... وإن خليلَ السوءِ تسرى عقاربه
فمن لى بمن ألقى إليه سريرتى ... وأفضى إليه بالأسى وأصاحبه ؟
فما أنا ممن يعشق الغيدَ قلبُه ... وتسكب من هجر الحسان سواكبه[4]
ولكنٌ قلبى يعشق الحسنَ والحجى ... إذا اقترنا والخلق شتى مطالبه
منحتكما قلبى فهل ذاك نافعى ؟ ... أيرتجع الموهوب من هو واهبه ؟

---

(١) الخميص : الطاوى الجائع .
(٢) القرن : المشابه .
(٣) الجناح : الإثم .
(٤) السواكب : العيون .

أحبكمـا للحسن والحسنُ باهرٌ　　وأهواكـما للفضلِ شتى غرائبه

وأحسن فضل في الورى فضلُ باسمٍ　　جميل المحيا لا تصاب معايبه

بربكمـا لا تتـركـانى كـغـارقٍ　　يغالب لجَّ اليأسِ واليأسُ غالبه

ولا تتـركـانى فـارغَ العيشِ خائباً　　وكلُّ حزينٍ فـارغ العيش خائبه

ولا تتركانى فى الحياةِ كذى ضنى　　تعـدته عُـوّاد وملّت أقـاربه

ولا تحسبـا أن السكوتَ جلادة　　فما كل صمتٍ يحمدُ العيشَ صاحبه

وإن غبتما فالعيشُ كالليل مظلمٌ　　تعبُّ طواميه وتدجو غياهبه[1]

وإن تهجرانى فالسلامُ عليكما　　سيصدع قلبى منكما ما أغالبه

ولن تجدا وداً كودى فجربا　　هل العيشُ إلا طعمه وتجاربه

خليليَّ إن الدهرَ ما تعلمانه　　وإن مريرَ الموتِ ما الخلق شاربه !

وعظ القدر

على الدهرِ والدنيا ، على العيش والردى　　فرائض لا تبلى ولا تتحولُ

وتهلك هاتيك الشعوبُ وتنطوى　　كما يهلك المرءُ الضعيفُ المقتَّلُ

* * *

فقم واستمع خطوَ الحوادثِ بيننا　　فكلُّ ضعيفٍ عاجزٍ ليس يسمعُ

ترى سيرها سيرَ الجيوشِ مهيبةً　　منظمةَ الأقدامِ تعدو وتسرع

* * *

لعل لها صوتاً ينبه غافلاً　　فينشط مكسالٌ ويفهم أخرقُ

(١) تشبيه غياهب الليل بطوامى البحر : أى أمواجه .

فإن تكن الأقدارُ كالسحبِ إنها يضجُّ ضجيجُ الرعدِ فيها وتبرق

* * *

أما فى رعودِ الحادثات مواعظٌ أما فى بروق للمقادير زاجرُ ؟

نصحتكم لو تسمعون نصيحةً نعم تسمع المرء الضعيف الأوامر

* * *

سلاسلُ للأحداث فيكم قيودها فليس بكم قيدُ الحوادث منبتًّا

وفيكم بقايا للحياةِ قليلة فلا تحسبوا يا قومُ أنكم موتى

* * *

إذا رضيتْ نفسى بحالٍ رغيدةٍ فقد خنتُ آمالى وخنت عقيدتى

وما هذه الحالات إلا كسلّم فلا تقنعوا منها بحال حميدة

* * *

فما أفسدَ الحالات كالدهرمفسدٌ ولا جددً الحالات كالفكرِ مصلحُ

وكلُّ قديمٍ للبلى غير أنه سيعقبه أمرٌ به النفس تفلح

* * *

فقم عاون الأحداثَ فى وصف سيرها والهب بسوط الجدِّ خليلَ المقادرِ

وعش مع هذا الكون كونًا معظماً وكن فى قواه بين ناهٍ وآمرِ

* * *

فإنى رأيتُ النفسَ كالأفق بهوُها تسير بها الآمالُ سيرَ الكواكب

هى النفسُ دنيا لا يقام نظامها إذا اختل فى الآفاق سير الرغائبِ

مشـــترى الأحــلام

يا مشترى الأحلامِ يرغبُ فى الكرى
كيـمـا ينالُ من الكرى ما يطلبُ

عندى من الأحـلام كلُّ بضـاعـةٍ
ومـتــاجـر غـبـانة لا تُكسب

حلمٌ يروع ولا يسـر وغـيـره
حلم يسـر إذا يجئ ويعـجب

حلم يزيل عن الفـقـير خصاصةً
حتى يبيتَ على الدسوت يعصَّب(١)

حلم ترى فيه العزيزَ مرجَّماً
مستجدياً خلفاً يذلّ ويضرب(٢)

خـذ منىَ الآمـالَ حلمـاً رائعـاً
شـرِق النواحى بالضـيـاءِ يذهَّب

صـدَّاع قيد المستحيل سرابهُ
ووميضُه البرقُ الكذوبُ الخلّب

وفـضـائل ممدوحـة ورذائل
مقبـوحـة أحلامـهـا لا تنضب

والنورُ حلمٌ والظلام وكلمـا
يبدو لعينك ظاهراً أو يحجب

إن الحيـاةَ إذا اختـبرت أمورها
وبلوت من لذاتهـا مـا يطرب

حلمٌ على حلمٍ يغـرّ وقـد ترى
حلمـاً على حلم يغـرّ ويعـجب

وأزاهرُ الأحـلام مثل نعيـمـهـا
وشـقـاؤها حلمٌ يروعُ ويرهب

لا تحسب الأعـمـالَ تنفى أنهـا
حلمٌ يجئ به الخيـالُ فـيكذب

فـالمرءُ يطمع فى المنام مطامـعـاً
ويبـيت يعمل جاهداً أو يلعب

يا مشترى الأحلام لا تُزهى بها
فتعود تبكى للصروف وتندب

يا غبنتـا للمـرءِ فى أحلامـه
إن أيقظتـه الحـادثات الغلَّب

لو يستحيل المستحيلُ على الورى
وأنال من أحـلامـه مـا أطلب

---

(١) يعصب : يتوج . والدسوت : كراسى الإمارة . والخصاصة : الفقر .

(٢) يذال : أى يسترخص ويحتقر .

لجننت جنّةَ قادرٍ متحكمٍ   يرضى على هذا الأنام ويغضبُ
وأخذتُ من هذى الحياة لبابَها   وشربتُ من أكوابها ما يشرب
والكونُ فكرُ الله ينظر فى الذى   يرضيه من خلق الوجودِ ويعجب
إن راقه خلق الوجودِ مثاله   كيما يجئ على الكمالِ فيغرب
أو لم يرقه فهو ليس بصانعٍ   دنيا تهون على هواه وتجدب
فالكون لم يخلق ونحن نظنه   خلقاً يجئُ به الزمانُ ويذهب

جنة الحسن

أيا جنةَ العشاقِ هل ليَ وقفة   أرقّه قلبى ساعةً فى ظلالكِ
وأبصر منك الزهرَ والزهرُ باسمٌ   وأسمعُ منك الطيرَ تشدو هنالكِ
واعبد فيك الحسنَ شتى صفاته   وكلُّ جمالٍ خالد فى خلالكِ
ففيك معانى الخلدِ والخلدُ فاتنٌ   هل الخلد إلا حلية من جلالك ؟
أما أنت دنيا الحسن والحسنُ باهرٌ   ومالىَ منها غير مكذوب آلك[1]
ويا جنةَ الفردوسِ ماؤُك خمرةٌ   فهل أنا أسقى جرعة من زلالك ؟
ويا جنة الفردوس هل أنا آثمٌ   فيحرم قلبى حظه من نوالك ؟
ويا فتنةَ العشاقِ هل من وذيلةٍ   فتشقيك فيها فتنةٌ من جمالك ؟[2]
ويا بهجةَ الطاووس حسنُك زائلٌ   رويدك فينا واسالى من مآلك
ويا زينةَ الدنيا التى أنا عاشقٌ   حناناً لعيش من جفائكِ حالك[3]

---

(١) الآل : السراب .
(٢) الوذيلة : المرآة . أى انظرى فى المرآة ، واعشقى جمالك كى تعرفى لوعات الحب .
(٣) الحالك : الأسود .

فهل زورة تشفى الفؤادَ من الجوى		فليس دوائى زورةً من خيالكِ
وإن تبتغى بالدلِّ موتى فابشرى		هنيئًا مريئًا قد ظفرت بذلكِ
فيا ليتنى فكرٌ يكون ببالكِ		وهل نافعى أنى أكونُ ببالكِ ؟

صوت النذير[1]

هذه قصيدة فى وصف أخلاق المصريين ، وإظهار أماكن النقص فيها ، وحضهم على مزاولة الأعمال الاقتصادية النافعة ونشر العلوم . والعلم والمال أصل القوة ، والقوة أساس الحياة .

خلِّ الهوينى فهذا أمرنا جللُ		لا اليأسُ فينا بمحمودٍ ولا الأملُ[2]
ولاح لى بيننا فى عيشنا ظُلَم		فانظر بعينيك أى الأمر مقتبَلُ
بوادر يعرفُ التاريخ فعلتها		تدعو إلى الموت لا شك ولا جدل[3]
كم أمّةٍ هلكت من قبل ما عرفت		أن الهلاك إليها عامد عجلِ
تعلل النفس بالأحلام تنظرها		والهلك حتم ويخفى سيره المهل[4]
تظن أن طريقَ العزِّ مسلكُها		والموتُ من حولها كالنقعِ ينسدل
لا الدهرُ غرّ ولا الأيام ظالمة		وإنما العيش فينا والردى علل
كل له أجلٌ يسعى ليبلغه		وليس يُفلت إمّا جاءه الأجل
لولا التنافس فى الدنيا لما صلحت		ولا الحضارة والأيام والدول[5]

---

(١) أرسل الشاعر هذه الصيحة عام ١٩١٥ فى وقت ساد البلاد الجمود والاحتلال .

(٢) لأن يأسنا ضعف وأملنا طيش أما الأقوياء فإن أملهم قوة ويأسهم قوة .

**(٣) أى أن صفاتنا صفات الأمم البائدة وهى فى دور الفناء .		(٤) لأن هذه الأحلام مخدر يخدر أعصاب الأمم .		(٥) لأن التنافس يدعو إلى إظهار القوى الكامنة فى النفوس ، فيرتقى الوجود بانتصار الأصلح للحياة من الأفراد والأمم .**

واحســرتاه لقــومٍ ليس ينفــعــهــم … نصحُ النصيحِ ولا الوعاظُ والرسلُ !
مستنبتين بأرض العجزِ ليس لهم … عنه ولا عن فناءِ الجــهلِ مــرتحلُ
تــســعى بهــم غــيــرُ الأيامِ واعظةً … والقــومُ صمٌّ كـمـا لا تشتـهى همل
زاوين إلا عن الفـحـشـاء أنفـسـهـم … وفـوقـهـم من بوادى خـزيهم حلل
يا بارك الله مــقــدوراً يعــاجلهـم … فـتطهـر الأرض لا رجـسٌ ولا خطل
بأى حقٍ يعــيـش الغــافلون ولا … نفعٌ يجئ به قــوم إذا غــفلوا ؟
ما باشروا الصدق فى قول ولا عملٍ … فكُذِّب الأصـدقانِ : القول والعمل
إذا أصــيــبــوا بشــرٍ هينٍ خنعــوا … وإن أصــابوا منالاً هيناً جـذلوا (١)
ويغـضـبـون على من رامَ نفـعَـهـمُ … فمـا يشـجـعه فى السعيِ محـتفل
ويحـــسنون إلى من رامَ ضــرهـم … فــمــا يثـبـطه ردعٌ ولا عــذل
فــلا حكيمٌ ولا ندب ولا فطنٌ … ولا عـظـيـم ولا ثـبْـت ولا بـطـل
إذا همــمــتم بأمــرٍ نفـعــه عــمم … ألهـاكم العـجـزُ والزلاتُ والملل (٢)
وإن بُدهـتـم بخـطـبٍ ضـــرّه أمم … ضـاقت لديكم به الغايات والسبُل
وصـاحبُ الجهلِ فـيكم آمن فـرِحٌ … وصـاحبُ العقلِ فيكم حـاذرٌ وجل
إذا نطقــتم بحقٍ فـيكمُ حـصـر … والبطلُ مـبتـدرٌ منكم ومـرتجل (٣)
فــإن رقــدتم فـإن النومَ عـادتكم … وليس تصـحـو لكم روحٌ ولا مـقل
والعجزُ مهلكةٌ والضعفُ مضيعةٌ … ومـا لكم إن غـفـلتم عنهـمـا نُقل
هل خدعة أوهمتمكم أن جمعَكُم … جـمـعٌ كـثـيـرٌ فـخـيـر منكمُ رجل

---

(١) شأن النفوس الحقيرة .

(٢) ومن أجل ذلك أكثر المشاريع الحيوية التى يقومون بها نصيبها الفشل .

(٣) أى يجرءون على الباطل ويجبنون عن الحق .

تهافتون على الأدناس ما نتنت | مثل الذبابِ على الأدناس ينتقلُ
أفهامكم مثلُ أفهام الفراش إذا | حام الفراشُ على المصباحِ يشتعلُ
فإن دعيتم إلى خيرٍ ومكرمةٍ | حكيتم البُهم لا عقلٌ ولا حيل(١)
فما طبيبٌ يداوى داءكم أبداً | إلا الهلاك وهذا ريثُه عجل(٢)
ومن دلائلِ هذا الهلكِ ان لنا | فخراً فنحسب أنَّ الفضلَ متصل
إذا خُشيتم فأنتم معشر جبن | وإن رُجيتم فأنتم معشرٌ خُذُل
كم من نصيحٍ لكم بالرشد ينصحكم | كأنما حظه من نصحه الصحَل(٣)
كلوا وناموا ونالوا حظكم أبداً | من التثاؤبِ لا لومٌ ولا عذل
وعاقروا الخمرَ والأفيون فى دعةٍ | فعيشكم مثل ظل سوف يرتحل
واستخبروا عن هوى اللذات قاطبةً | أمّا عن العزِّ والعليا فلا تسلوا
وملءُ أشداقكم ضحكٌ أأسكركم | من حسن حالكم خمرٌ هى الجذل ؟
أم ضحكةُ الرجلِ المجنونِ من حزَنٍ | لَشدَّ ما نالَ منك البؤسُ يا رجل ؟
أم ضحكةُ الخنثِ الموهون أضحكه | أمرٌ معيب فلا تقوى ولا خجل ؟
أنا النذيرُ إليكم والنصيحُ لكم | وليس يؤثرُ نصحاً عاجزٌ مَذِل(٤)
يمضى الزمانَ فلا عزمٌ فيسعدكم | وليس يزدادُ إلا العجزُ والخبل
وفيكم من صفات السوءِ أخبثُها | حتى لقد صار فيكم يضربُ المثل
أشعلتُم نارَ يأسى وهى خابية | وقد قتلتم ذكائى وهو مشتعل
هيهاتَ هيهاتَ إنى مِقْول أبداً | حلق الزمانِ به فى الناس يرتجل(٥)

(١) البهم : البهائم . (٢) أى أحسن دواء لدائكم الموت والفناء . (٣) الصحل : بحة الحلق .
(٤) عاجز مذل : ضعيف حقير . (٥) المقول على وزن المبرد : اللسان ؛ أى أنا لسان الدهر .

أنتم بفىَّ كطعم المرِّ أمضغُهُ حتى تساوى لدىَّ الصابُ والعسلُ(١)

فإن فهمتم فما لى فيكمُ أربٌ وإن جهلتم فشرُّ العادةِ الجَهلُ

إذا هجوت فما أهجوكُم أبداً إلا ودمع على الخدين ينهملُ

أنتم أحقُّ بتأبينٍ ومرثيةٍ والرزءُ بالحىِّ جرحٌ ليس يندملُ(٢)

أنتم علىَّ وإن طالت مهانتكم أعزُّ ذى قدمٍ يسعى وينتعل

فنحن فى أمرنا طراً سواسيةٌ وإن تفاوتت الأخلاقُ والنحل(٣)

وليس لى فيكمُ حظٌّ ولا أملٌ وليس لى فى الورى من دونكم بدل

إنى رأيتُ حياةَ الناس أولها يدعو لآخرِ ما يأتى ويقتبل(٤)

لقد ورثنا قروناً كلها كمدٌ مورٍ على القلبِ مثل النارِ يشتعل(٥)

فنحصد الشوكَ مما ذرَّ أولُنا إنَّا ورثنا عن الأسلاف ما فعلوا

فمن خمولٍ ومن جهلٍ ومن كسلٍ وأعظم الخطبِ ما يأتى به الكسل

ثقلٌ على النفسِ نمضيه ونصرفه حتى يصحَّ وحتى يصدقَ العمل

ونجتنى العمر غضاً كلُّه ثمرٌ ونشربُ العيش ريّا كله جذل

إن الأمانىَّ دون القلبِ ما برحت فى القلبِ منزلُها مستمراً خضل

نستخبر القوم أنَّى وجهة سلكوا فبلغتهم إلى عليائها القلل(٦)

هم زاولوا الجدَّ قد دانت تجاربُه لهم فعزوا بها والدهرُ مقتبل(٧)

---

(١) أى مرارة مذاقهم جعل كل شئ فى فمى مراً فلا أميز طيب الحياة من بؤسها .

(٢) يندمل : يضمد ويلتئم . (٣) سواسية : أشباه وأمثال . (٤) أى أن حياة الأمم سلسلة أسباب ونتائج متصلة فنجد عوامل ماضية تأثيرها واقع الآن . (٥) مور : أى مشعل والفعل أورى .

(٦) أى ندرس حياة الأوربيين حتى نعرف أسباب عظمتهم ونحتذيهم فيها . .

(٧) أى نشر العلوم العملية هو من أهم أسباب قوتهم .

قوموا اجعلوا السعىَ فى الأطماع رائدكم ... مـا أضـيع المرء لـولا الـسـعـىُ والأملُ

بعضُ العلوم إلى الأعمالِ منتسبٌ ... وأحسن العلم ما يجدى به العمل

هذا السلاحُ الذى يدحو لهم سبلاً ... فى مجدهم لا القنا الخطية الذبُل[1]

يا قـومُ هذا سـبـيلٌ لا خـفـاءَ به ... فـيــه الحـيــاةُ لأقــوامٍ إذا عــقـلوا

إنا بمنزلةِ الفـصل يتـبـعـهـا ... إمـا الحـيـاةُ وإمـا الموتُ والأجل[2]

حتَّامَ ننكر حـقـاً غيـر مـشـتـبهٍ ... لا يـكـره الحـقَّ إلا مـن بـه دخـل

لا يصلح العلمُ مـضنونـاً به أبدًا ... فـأين شـؤبوبه لا ينفع البلل

هذا الذى يدع الأقـوامَ قـادرةً ... فكلُّ فـردٍ كـعـضـوٍ مـا به شلل[3]

أذلك المـال مـضـنون بـه أبدًا ... إن العـزيز لدى الأوطان مـبـتـذل

والعلمُ مثل عصا السحّار يبسطها ... فيـصبح المالُ قد ضاقت به السبل

والعلمُ والمـال مـقـرونان فى قـرَنٍ ... لا نجتنى المالَ حتى يصدق العمل

وإنما لغـةُ الأقـوام مـيـزتهـم ... فإن تولت فـمجـدُ القوم مرتحل[4]

قـد أصبح العلمُ والآداب ضائعةً ... وأصـبحَ الـشـعـرُ فـوضى كلُّه زلل

يرقى الوجـودُ بـعـيش الصـالحين له ... من ليس يدركـهـم عـجـزٌ ولا كلل

وما الحياةُ بمستشفى لمن سدكت ... به الزمـانـاتُ والأمـراضُ والعـلل[5]

---

(١) أى أن جميع مظاهر قوتهم مهما اختلفت سببها العلوم العملية .

(٢) إما الحياة إذا أخذنا بأسباب الحياة والتقدم ، وإما الفناء والانعدام فى العناصر الأخرى إذا بقينا على تكاسلنا وغفلتنا عما يفيدنا .

(٣) إذا نظرت إلى جسم الحضارة الأوربية تجد أن العلمى هو دمها وأعصابها .

(٤) إذا ضاعت لغة عنصر انعدم فى العناصر الأخرى فيضيع مجده وشخصيته .

(٥) سدكت به : أى لزمته ، والزمانة : مرض .

بل الحـيـاةُ جـهـادٌ لا خـفـاءَ بـه   فليس يُفلح إلا الأغلبُ البطلُ[1]
إن الحـيـاةَ كـتنور ومـعـركـة   يصلى الشجاعُ ويصلى العاجزُ الوكل[2]
وكلكلُ الدهرِ لا يُبقى على ضرعٍ   وليس يخدعه جودٌ ولا بخَل[3]
نلهو عن العيشِ ، والأقدارُ نافذةٌ   كـأنهن مطايا تحـتنا ذُلل
إن المقـاديرَ أجنادٌ مـجندةٌ   تصـولُ بالحقِّ لا ظلمٌ ولا خطل
لا رحـمـة عندها ترجى ولا مـقـة   ولا الشفاعة تقصيها ولا الخَوَل[4]
كم أعـصـر قـبلَنا بادت وكم دولٍ   حتى كأنْ لم يكن عصـرٌ ولا دول
كم معشرٍ مثلكم ليموا فما انتفعوا   وأُشعروا النقص فيهم ثم ما حفلوا
فـبادرتهم يدُ الأقدارِ حـاصدةً   فما وقى جمعَهم سهلٌ ولا جبل
إذا ابتلى اللهُ قـومـاً بالهـلاك فـلا   سمع لديهم ولا عزم ولا حيل !
ليس التـوكُّلُ فى نومٍ وفى كسلٍ   فهو المعينُ لمن يسعى ويحتتل ![5]

بين الحب والبغض

رمى اللهُ فى عينيكَ بالسهدِ والعمى   ولقَّاك من دنياك صاباً وعلقما !
وعلمكَ السهدَ الطويلَ على الأسى   إذا حلَّ هم فى الفؤادِ وخيما !
وعلمكَ الأحـزانَ والبثَّ والجـوى   وما نُكب المغرورُ إلا ليعلما !
وأودعك الليلُ البهيمُ همومَه   وأصبحت حرَّانَ الفؤادِ متيما

---

(١) الحياة جهاد لأنها تنافس شديد فى كل مظاهر الحياة والقوة .
(٢) التنور : الفرن ، والوكل : المتواكل المتخاذل .
(٣) ضرع بكسر الراء : أى ذليل .   (٤) الخول : الأعوان والأتباع .   (٥) أن يتحيل للحياة .

وأتلفَ طول الهمِّ عينيك بالبكا	إذا ما مضى دمعٌ بكيت له دما
وخلّف فيك اليأسُ كالسمِّ فى الحشا	تعالج داءً من جواه مكتَّما
أأنسى بكائى والعيونُ هواجعٌ	أراقب ليلاً غائرَ النجمِ مظلما ؟
أأنسى انفرادى والتياحى ولوعةً	كأن لها بين الأضالعِ أرقما ؟
أأنسى عذابَ القلبِ هاجَ وجيبُهُ	كأنَّ جحيماً دونه وجهنما ؟
لقد كنتَ فى عينى ألذَّ من الكرى	وأطيبَ من طيبِ الحياة وأكرما
وجوَّدتُ فيك الشعرَ والشعرُ ساحرٌ	وهل تسحر الأشعارُ غرًا وأعجما ؟
فما ازددتَ إلا قسوةً وتباعداً	وما ازددت إلا غلظةً وتجهما
فعلَّمتَ قلبى كيف يقسو وإنه	ليحزن أن تلقى هوانًا وتألما
جنيتُ على نفسى فليس بنافعى	إذا صالَ خطبٌ أن تصابَ وأندما
ولو كان فى نفسى وقاءٌ يصونكم	لأُنزلتَ من نفسى المكانَ المكرَّما
وخطّت عليك النفسُ خوفًا من الردى	فكانت مجناً صادقَ الصنعِ محكما
وليت لسانى سُلَّ منى ولم أقل	رمى الله فى عينيك بالسهد والعمى !
سلمتَ ، وما حيٌّ على الدهرِ سالماً	وعشت سعيداً بالحياة منعما !
لقد سمتُ نفسى عنك صبراً وسلوةً	وجشَّمتُ قلبى صبره فتجشما
ووالله مالى عنك صبرٌ أطيقُهُ	فقد ودع الصبر القديم وسلما
وإنى لتعرونى إذا لحت هزةٌ	كما ارتعش المصروع حيناً وجمجما
وإن بقلبى من جفائك جنةً	فإن رامَ يوماً قتلكم ما تأثما !
فاسقى جنونى من دمائك جرعةً	وهيهات يجدى القتلُ قلباً مكلما !
وأنقعُ منها غلّتى وصبابتى	لعمرك إن الجرم لا ينقع الظما !

أأنت زهاك الحسن والحسنُ فتنةٌ لصاحبِهِ حتى يرى الظلمَ مغنما
فأصبحتَ مغروراً تتيه وتنثنى رويدك هل تبغى إلى الشمس سُلَّما ! ؟
كأنى بصرفِ الدهرِ حلَّ وعيدُه فلم يُبقِ لى فى حسنكم متوسَّما
ولم يُبق إلا منظراً لك شائنًا ووجهاً صفيقاً فى الترابِ مهدَّما
وهل تترك الأقدار يوماً إذا سطت على حسنٍ إلا رفاتاً وأعظما ؟ !

« تمَّ »

الجزء الرابع

زهر الربيع

إنما الشعرُ نغمةٌ كحنينِ المزامرِ
يرفع النفسَ سحرُهُ عن وهادِ الحقائرِ
يُبلغ النفس أفقها كجناحٍ لطائرِ
يفتح النفسَ ضوءُه مثل ضوءِ التباشرِ
مثلما يفتحُ الصبا حُ زهىً الأزاهرِ

(من قصيدة « أغاريد شاعر » لصاحب الديوان)

عن الطبعة الأولى

عام ١٩١٦

مقدمة

في الشعر

لصاحب الديوان

إن وظيفة الشعر فى الإبانة عن الصلات التى تربط أعضاء الوجود ومظاهره . والشعر يرجع إلى طبيعة التأليف بين الحقائق . ومن أجل ذلك ينبغى أن يكون الشاعر بعيد النظرة، غير آخذ رواء المظاهر ، مأخذه نور الحق . فيميز بين معانى الحياة التى تعرفها العامة وأهل الغفلة ، وبين معانى الحياة التى يوحى إليه بها الأبد . وكل شاعر عبقرى ، خليق بأن يدعى متنبئاً . أليس هو الذى يرمى مجاهل الأبد بعين الصقر ، فيكشف عنها غطاء الظلام ، ويرينا من الأسرار الجليلة ما يهابها الناس ، فتغرى به أهل القسوة والجهل ؟

كل شىء فى الوجود قصيدة من قصائد الله . والشاعر أبلغ قصائده .

الشاعر هو الذى لا يعيش مثل أكثر الناس ، مقبوراً فى الأحوال التى تحوطه . هو الذى إذا عاش ، كان له من شاعريته وقاء من عداء قتلى المظاهر . فإذا مات كانت الشهرة زهرة على قبره . فإذا لم تسعده الشهرة ، هبطت روح الطبيعة على قبره ، تظلله بجناحها ، وتفرخ فوقه أبناءها الشعراء . تلك الأرواح التى تستمد الوحى من عظامه ، وتسقيه من دموع الرحمة والحب والحنان .

وليس الشاعر الكبير من يعنى بصغيرات الأمور . ولكنه الذى يحلق ، فوق ذلك اليوم الذى يعيش فيه ، ثم ينظر فى أعماق الزمن آخذاً بأطراف ما مضى وما يستقبل . فيجئ شعره أبدياً مثل نظرته . وهو الذى يلج إلى صميم النفس فينزع عنها غطاءها . وهو الذى إذا قذف بأشعاره فى حلق الأبد ساغها . فعيب شعرائنا جهلهم جلالة وظيفة الشاعر . لقد كان بالأمس نديم الملوك ، وحلية فى بيوت الأمراء . ولكنه اليوم رسول الطبيعة ترسله مزوداً بالنغمات العذاب ، كى يصقل بها النفوس ويحركها ، ويزيدها نوراً وناراً . فعظم الشاعر فى عظم إحساسه بالحياة ، وفى صدق السريرة الذى هو سبب إحساسه

بالحياة . وإذا رأيت شاعراً يأخذ الحقير مأخذ الجليل من الأمور ، ويحسب الحوادث الصغيرة من الحوادث الكبيرة ، فاعلم أنه ضئيل الشعر . فإن ضئيل الشعر يغتر بضجة الحوادث ، ولا يعلم أن حوادث النفس على صمتها أجل الحوادث .

سُئل وردزورث الشاعر الإنكليزى عن شعر شاعر ، فقال : إنه ليس من الحتم فى شىء . فكأنه يقول : إن أجل الشعر ما يخاله المرء قطعة من القضاء ، لابد من حدوثها . فإذا أردت أن تميز بين جلالة الشعر وحقارته ، فخذ ديواناً واقرأه . فإذا رأيت أن شعره جزء من الطبيعة ، مثل النجم أو السماء أو البحر ، فاعلم أنه خير الشعر . وأما إذا رأيته وأكثره صنعة كاذبة . فاعلم أنه شر الشعر ، فالشعر هو ما اتفق على نسجه الخيال والفكر إيضاحاً لكلمات النفس وتفسيراً لها .

فالشعر هو كلمات العواطف والخيال والذوق السليم . فأصوله ثلاثة متزاوجة فمن كان ضئيل الخيال ، أتى شعره ضئيل الشأن . ومن كان ضعيف العواطف ، أتى شعره ميتاً لا حياة له . فإن حياة الشعر فى الإبانة عن حركات تلك العواطف . وقوته مستخرجة من قوتها ، وجلاله من جلالها . ومن كان سقيم الذوق ، أتى شعره كالجنين ناقص الخلقة . غير أن بعض الناس يحسب أن سلامة الذوق فى رصف الكلمات كأنما الشعر عنده جلبة وقعقعة بلا طائل معنى . أو كأنما هو طنين الذباب . ولايكون الشعر سائراً إلا إذا كان عند الشاعر مقدرة على التأليف بين اللفظ والمعنى . ولست أعجب من أحد ، عجبى من الأدباء الذين ينظمون الشعر فى مواضيع تطلب منهم الكتابة فيها . فينظمون من أجل إرضاء من سألهم ذلك . كأنما الشاعر آلة وزن . ولكن الشاعر هو الذى لا ينظم حتى تنوبه تلك النوبة التى تدفعه إلى قول الشعر ، بالرغم منه ، فى الأمر الذى تتهيأ له نفسه .

قد أصبح الشعر عندنا كلمات ميتة ، ليس تحتها طائل معنى . يحسب الناس أنه إذا أخذ من النحو والصرف والعروض كفاية ، وأصاب من طرف الشعر غاية ؛ فقد أجاده . وإنما الشعر كلمات تخرج من النفس بيضاء مشبوبة . وكما أن العاطفة تنطق الشاعر ، كذلك قد تخرسه شدتها . ومن أجل ذلك كانت ذكرى العاطفة والتفكير فيها ، شعرًا . وإنما

نعني الذكرى التي تعيد العاطفة ، والتفكير الذي يحييها . وليس شعر العاطفة باباً جديداً من أبواب الشعر ، كما ظن بعض الناس ، فإنه يشمل كل أبواب الشعر . وبعض الناس يقسم الشعر إلى أبواب منفردة . فيقول : باب الحكم ، وباب الغزل ، وباب الوصف ، الخ . ولكن النفس إذا فاضت بالشعر ، أخرجت ما تكنه من الصفات والعواطف المختلفة في القصيدة الواحدة . فإن منزلة أقسام الشعر في النفس كمنزلة المعاني من العقل . فليس لكل معنى منها حجرة من العقل منفردة ، بل تتزاوج وتتوالد فيه . فلا رأى لمن يريد أن يجعل كل عاطفة من عواطف النفس في قفص وحدها .

ومن القراء فئة كأنها تريد أن تشم من شعر الشاعر رائحة الدسم . وأن يملأ شعره بطون أفرادها لا عقولهم . كأن النفوس تقاس بالدرهم والدينار . وكأن الشعر لا يوزن إلا بالرطل والأقة ! وبعض القراء يهذى بذكر الشعر الاجتماعي ، ويعني شعر الحوادث اليومية ، مثل افتتاح خزان ، أو بناء مدرسة ، أو حملة جراد ، أو حريق ، أو زيارة ملك ، أو حفلة في نادي الألعاب ، أو مجئ طيار ؛ فإذا ترفع الشاعر عن هذه الحوادث اليومية ، قالوا : ما له ؟ هل نضب ذهنه ، أم خبت عاطفته ، أم دجا خياله ؟ ويجعلون منزلة الشاعر على قدر عدد قصائده في تلك الحوادث ! فإذا نظم أحدهم قصيدتين في الجراد ، كان عندهم أعلى منزلة ممن نظم قصيدة واحدة ، وليس أدل على فوضى الأدب وفساد ذوق الجمهور من هذا الهراء . كأنما الشعر جريدة منظومة ، أو كأنما الشاعر مصنع لصنع الأوزان . وإنما الشاعر هو الذي يحاول أن يبلغ إلى أعماق النفس ، وأن يضرب على كل وتر من أوتارها ، والذي تسمو معه النفس عن تلك الحوادث إلى سماء الشعر فينشقها نسيمه وينعشها بنفحاته ، ويسمعها من ألحانه ، ويريق عليها من ضيائه ما يرفعها عن منزلة البهم إلى منزلة الآلهة .

وهناك فئة تريد من الشاعر أن يكون أكثر شعره تكلفاً للحكمة . فيأتي بأمثال من بطون الكتب ، وأفواه العامة ، نصفها حق ونصفها باطل . ثم يصوغها شعراً من غير أن

يكون قد أحس لذعها فى ذهنه ، ولا شعر بقيمتها . وشر الحكمة التى يتكلفها الوزانون . وإنما حكمة الشاعر تبدو فى كل قسم من أقسام شعره سواء الغزل والوصف والرثاء ... إلخ فإن شعر الشاعر مهما اختلفت أبوابه ينبئ عن نصيبه من التفكير . وحكمة الشاعر تجاربه وخواطره فى الحياة . تلك الخواطر التى ينضجها الشعور والتفكير . والشاعر لا يسير على رأى واحد لايتعداه . فإن المذاهب الفلسفية أزياء تأتى وتروح مثل أزياء باريس . والنفس أعظم من أزيائها . ولكل حالة زى والشاعر لايعبر عن عاطفة واحدة ، أو نفس واحدة بل يعبر عن عواطف متغايرة ، ونفوس متباينة . فلا رأى لمن يريد أن يقيده بمذهب من مذاهب الفلاسفة يذود عنه ويتعصب له . فإن الشاعر يرى جانب الصواب من كل مذهب ، ويعبر عن كل نفس .

ولقد رأيت بعض القراء لا يفهم منزلة الغزل فى الشعر . إن مزية الغزل ، سببها أن حب الجمال حب الحياة . وكلما كان نصيب المرء من حب الجمال أوفر ، كان نصيبه من حب الحياة أعظم . وحب الحياة والجمال من العوامل الاجتماعية القوية التى تزجى الأمم إلى التفوق والاستعلاء . ولا أعنى بالغزل غزل الشهوان ، بل الغزل الروحانى الذى ترفع عن أوصاف الجسم . إلا ما بدا للروح أثر فيه . والحب أعلق العواطف بالنفس . ومنه تنشأ عواطف كثيرة ، مثل البغض أو الود أو الرجاء أو اليأس ، أو الحسد أو الندم ، أو الشجاعة أو حب العلاء ، أو الجود أو البخل . ومن أجل ذلك كان للغزل منزلة كبيرة فى الشعر ، من حيث هو جماع العواطف ، ومظهر دروسها . فالغزل يعبر عن جميع العواطف النفسية . ومن حيث إن حب الجمال حب للحياة ، ترى فيه آراء الشاعر ، وكل ما يعتوره فى الحياة من الخواطر ، ويصيبه من التجارب . وكل ما يسمو إليه فكره أو يحن إليه قلبه ، وكل ما يعالجه من أساليب الحياة ، وهذا الغزل الذى هو واسطة القلادة ، وسلك العقد ، وروح الشعر ، ليس من شروطه تعليق العاطفة بفرد من أفراد الناس ، وقصرها عليه . وإن كان ذلك أدعى إلى ظهورها . فإن الغزل الذى نعنيه سببه العاطفة التى تجعل المرء يحس الجمال إحساساً شديداً فى جميع مظاهره ، سواء جمال الوجوه والأجسام ، أو جمال

الأزهار والأنهار ، أو جمال البرق في السحاب ، أو جمال الليل ونجومه ، أو الصباح ونسيمه ، أو جمال النفوس والأخلاق ، أو جمال الصفات ، أو الحوادث والوقائع ، أو جمال الخيالات التي يخلقها الذهن . وليست محبة الفرد للفرد إلا مظهراً من مظاهر هذه العاطفة الواسعة التي تحنو على كل جمال يستجلي في الحياة . وهذه العاطفة الشعرية تفيض ضياءها على كل شيء ، حتى على جوانب الحياة المظلمة الكريهة . فتحبوها جمالا فنياً ؛ مثل جمال الصورة البديعة التي يعجب المرء جمالها الفني ، حتى ولو كانت صورة مذبحة ، أو جمال الأنغام الحزينة التي تذيب القلب . والشاعر الناسب مثل المصور . إنما يستملي من صور الملاحة التي في ذهنه ، ولقد سئل جيدو ريني المصور الإيطالي : من أين لك هذه الخلق المليحة التي تودعها صورك ؟ فقال لسائله : انظر ! ثم أتى بشيخ قبيح وأجلسه أمامه نموذجاً ، ورسم صورة فتاة مليحة ، كأنما قد جمعت بين جمال الملائكة وجمال الحور . ثم قال : «أترى في هذا الشيخ الدميم مثل هذا الجمال ؟ نحن أصحاب الفنون نحمل في نفوسنا دنيا أجمل من هذه الدنيا» . وما يدرينا لعل قيساً بن الملوح كان يشبب بليلى التي في الدنيا التي في نفسه ، لا بليلى العامرية .

كان جيتي الشاعر يقدر الأشياء والناس ، بقدر ما يستفيد من رؤيتهم ولقائهم من صفات الشعر ومواضيعه ، وعواطفه وقصصه وبواعثه . فإذا رأى عجوزاً تسعى ، أو شيخاً هرما أو فتاة أو طفلا أو فقيراً أو غنياً الخ . عدهم كلهم بواعث من بواعث الشعر ، مهما اختلفت صفاتهم . وكان يخزن من رؤيتهم ما اكتسبه لساعة الشعر والإلهام . فإن رؤيتهم تبعث على التفكير وتوقظ الملكة الفنية ؛ أو كأنما رؤيتهم ريح تهيج أمواج نفس الشاعر فيعلوها درها وأصدافها ، وكذلك يهيج الشاعر إلى الشعر لذاته وآلامه . فيصوغ الشعر من لذاته وآلامه وآماله ، كما يصوغه من لذات الناس وآلامهم وآمالهم .

الباحث الأزلـــى [1]

مقدمة : قد صور كثير من المفكرين والشعراء حياة الإنسان عصراً بعد عصر ، كأنها حياة إنسان واحد ، أو كأنها بحث متصل دهراً بعد دهر . وهذا البحث هو ما يزكون به حياة الإنسان ، وما يعذرون به شقاءها وآلامها ، ويأملون آمالاً كباراً من وراء تقلب الإنسانية فى بحث الحياة . ومن هذه الآمال رجاؤهم أن يعم الشعور بوحدة الإنسانية على اختلاف الأجناس والشعوب ، والمطامع والضرورات والمطالب والنزعات النفسية ، ويأملون إذا عم هذا الشعور بوحدة الإنسانية أن يقلل الإحساس العام بوحدتها ، من البغضاء والشرور والحروب ، والآلام والجشع ، وأن يؤدى إلى التعاون على الحياة ، بدل التقاتل عليها . وهذا البحث الإنسانى المستفيض دهراً بعد دهر للحياة ، وما يدعو إليه من الإحساس بكل شعور وكل حالة من الحالات ، كى يعم مبدأ وحدة الإنسانية ، هو الذى دعا إلى تخيل إنسان يعيش دهرا بعد دهر فى كل حال وفى كل مكان ، حتى يملأ العطف قلبه ويرى أن نشدان الحق غاية الحياة . وعلى فرض أن هذا الأمل الكبير فى أن يعم ، فإن بقاءه كمثل أعلى مما يخالط مرارة الحياة بحلاوة منه .

وعلى فرض أن المثل الأعلى لا يكون فى تحقيق وحدة الإنسانية ، ففى القصيدة مثل آخر وهو أن نشدان الحق هو الشعلة المقدسة التى ينبغى أن يرعاها الفرد ، وأن ترعاها الإنسانية عامة .

* * *

---

(١) «أعاد الشاعر نشر هذه القصيدة بمجلة الرسالة فى ١٨ أبريل ١٩٣٨ بعنوان (الباحث) . وأضاف إليها المقدمة – انظر (ملاحظات) فى آخر الديوان» .

بينمـا كنتُ سائراً لاح شيخٌ ذو سكونٍ ونظرةٍ هوجاءِ [(١)]
ويكاد الضياءُ ينفذ منْهُ فهو بين الأنام صِنوُ الهواء [(٢)]
باحثٌ فى السماء يطلب شيئاً غاب عن عين غيره فى السماء
وهو فينا جزء من الزمن الأو ل ذكرى لسالف الآباء
وجهه رائعٌ كوجه أبى الهو ل رأى ما مضى على الغبراء
قلتُ : يا شيخ ما دهاك وما شأ نُك بين الأموات والأحياء ؟
قال : مَنْ يدرس الحياةَ طويلاً لخليقٌ بضحْكة الجهلاء
كنت والكونُ فى الطفولة أغدو وشَبابُ الأيامِ فى الغُلواء
وصرعتُ المنونَ حتى لأنسا نِيَ طول الحياة حُكم الفناء
دُوَلٌ قد أتتْ وأخرى تقَضّتْ وبقائى بين الأنام بقائى
وشهدتُ الصروفَ مِن قبل عادٍ والمنايا تَجرُّ ذيل العَفَاء
أنْشُدُ الحقَّ لست ألْوِى إلى البا طل فالحق يُطَّبى بالرجاء [(٣)]
عشتُ دهرى بالبحث والأمل الحُـ ـلْو ولولاه لم أفز بالنجاء
من سهامِ المنون إن سهام الـ ـموت فينا كثيرة الإصماء[(٤)]
همْتُ يومًا من قريتى أنشد الـ ـحَقَّ لعلى أراه فى الدهماء
عِفْتُ بيتى وبلدتى وهجرت الـ أهل أبغى رىَّ النفوس الظماءِ
ظمأُ النفس مثلُه ظمأ الجسـ ـم وداءُ النفوس كالأدواء

---

(١) هوجاء : لأنها لاتستقر لتطلعه إلى ما ينشده من الحق فى كل ناحية . (٢) صنو : قريب .
(٣) يطبى : يستمال . (٤) الإصماء : إصابة المقتل ضد الأشواء .

زعمَ الناس بى الجنونَ وخالوا طالبَ الحق أخرقَ الأحياء

كلما لاح شامخ قلت إن الـ ـحقَّ يغدو مِنْ خَلْفِه بإزائى

وَرَعَيْت الظلماء عَلىّ أراه خارجاً من سرائر الظلماء[1]

وجزعتُ الصحراءَ أرجو لقاءً منه يُرجى فى وحدة الصحراء[2]

ولكم غُصْتُ فى العُبَابِ عليه إنما الدّر منه فى الأحشاء

وَأثرتُ الأصداء أبغى جوابا لسؤالى فى منطق الأصداء

وسألتُ الرياح فصُمَّت عن دعائى فلا تُجيبُ دعائى

وسألتُ السماء تبرز وجهًا منه يَبْهَى فى الأفق جَمَّ الضياء[3]

وأعارتْنىَ الطيورُ جناحاً ارتجى منه لُقيةً فى الفضاء

طالما خاب ناشد الحق لكـ ـنّ رجائى كما عهدتُ رجائى

قد يجئُ الصباح منه بوجه طالما كان مُضْمراً فى الخفاء

أو تُبينُ الأحلام منه ضياءً فى سماءِ الأحلام مثل ذُكاء[4]

قد صحبت الأنام طرًّا كأنّى بينهم فى تلوُّن الحرباء

كان لى نوح فى السفينة خِدْناً فنجونا من مُهلِكِ الأنْواء

وحبانى اشورُ فى نَيْنَوى العُظْمَى بِسَيْبٍ من جوده وثناء[5]

ورآنى فرعون أُقدم فى الجيش مُشيحاً ورافعاً للواء[6]

---

(١) على : أى لعلى . (٢) جزعت : قطعت . (٣) يبهى : يحسن .

(٤) ذكاء : هى الشمس . (٥) نينوى : مقر ملك الأشوريين ، والسيب : العطاء .

(٦) مشيحاً : المشيح : المانع لما وراءه من إقدامه وإقباله .

وتجلّى آمون فى معبد الأقصر يقضى فى شعبه بالقضاء

ولكم جُلْتُ فى أثينا وأفلا   طون يتلو فصاحةَ الحكماء

ورأيتُ الرومان فى رومة العُظْمَى عظام الأعمالِ والأهواء

وصحبتُ المسيح فى القُدْس دهراً   وحبانى من روُحه بالصفاء

وعبدت النيران قِدْماً ولكن   قد سما بى الإيمان للسمحاء[1]

وَحمدت النعيم والترف الوا   فر قدماً فى صحبة الخلفاء

وَحسوتُ النعيم والبؤس حتى   لم أدَعْ كأسَ لذةٍ أو شقاء

وصحبتُ العبيد فى ظُلُمات الـ   ـعيش حتى جُننْتُ بالضَّرَّاء

والِمْتُ الآلام طراً وَلُقِّيـ   ـتُ عذاباً أُتيح للتعساء

وصحبتُ الوحوشَ فى البيدِ حتى   أنِسَتْ بى الوحوش فى البيداء

وأرقت الدماء فى الحرب حتى   جُنَّ قلبى من نشوة الهيجاء

لم أدع خطرةً أتيحتْ ولا   معنى ولا فكرة من الآراء

أو شعوراً أو هاجساً أو طموحا   لا ولا مشهداً تركت لرائى

أنشد الحق بالتقلّب فى العيش وأبغى سريرة الأشياء

أنت أيضا شهدت هذا جميعا   غير أن لا تعدّ فى الفطناء

قال ما قال ثم غاب عن العين   كما يخفت الصدى فى الهواء !

---

(١) يراد بالسمحاء : الديانة الإسلامية .

سمو النفس

أهبتُ بحزمي فلم تسمعي ... وعفتُ الطماحَ فلم تردعي[1]
فيا نفس حتّامَ هذا الطموح ... وخيرُ المكاسب أن تقنعي
فإن عزاءً يريح النفو ... سَ خيرٌ من الأملِ المطمع
يعفُّ الأبىُّ وليست تعفّ ... ذواتُ المخالبِ والأربع
ولو قد زهدت طلاب الحطام ... لأشقاك حبُّ العلا الأرفع[2]
هممتِ بكسبٍ فلم تبلغى ... ورمتِ الكمالَ فلم ينفع[3]
وخفتِ المقادير فى ظلمها ... وأشقاكِ يا نفسُ أن تخضعى
وأشقاك أن قيودَ المقا ... بح غُلت عليك فلم تُصدع[4]
فأصبحتِ فيها كطير الحبا ... ئل رمت الخلاصَ فلم تُرفعى
وحرّ أوام لورد الفضا ... ئلِ باقٍ على الدهرِ لم ينقع
ردى العيشَ يا نفسُ لا تأنفى ... وجوبى المقاديرَ لا تخشعى
فكلُّ حياةٍ إلى منتهى ... وكلُّ شقاءٍ إلى منزع

حديقة الصيف

هى برءٌ من العشَى ... وشفاء من الكبرْ[6]

---

(١) أهبت بحزمى : أى ناديته . وعفت : كرهت .   (٢) الحطام : التافه الفانى .

(٣) لم ينفع ؛ لأن النفس لاتبلغه .

(٤) أى تريدين أن تكونى مطهرة من العيوب فلا يستقيم ذلك ولا يتفق فتحزنين .

(٥) الأوام : العطش ، وحره : شدته . والورد : مكان الماء الذى يرده المستقى .

(٦) العشى : مرض فى العين ، أى أن الرياض تجلو البصر وترجع الشيخ شاباً .

وهى للشيخ مبعثٌ		للأمانىّ والذكرْ
وهى للطفل ملعبٌ		فيه ملهى على غَرَر[1]
وهى للبائس الحزيـ		ـن ملاذٌ من الفكر
وهى للعاشقين ظـ		ـلٌ ظليلٌ ومُستتر
فى رياضٍ من المنى		وأمانٍ من الزَهر[2]
حيثُ تلهو العيونُ فى		نزهة النفس والبصر
قم بنا ننشر الزهو		ر على صفحة الغُدُر
هذه الغيد فى الغديـ		ـر جلت صفحة القمر
غرَّد الطيرُ قائلاً :		فازَ بالحسنِ من نظر
وثمارٌ قطوفُها		تتدلى من الشجر
والغوانى حديقةٌ		ملؤُها الزهر والثمر
وهجيرٌ كأنه		لهبُ النارِ يستعر
يدعُ المرءَ ناعساً		فاترَ النطق والنظر
يدعُ المرءَ ناعماً		نائم الهمِّ والفكر
إنما الصيف زينةٌ		غضّةُ الحسنِ والأثر
تلبس الأرض حسنها		بعد ما غاب واستتر
وتراءى لعاشقٍ		عبد الحسن ما ظهر
ينتشى المرءُ كلما		نال من نشرها العطر[3]

(١) أى على غفلة .	(٢) أى رياض فى الحسن كالأمانى ، وأمانى فى الحسن كالرياض .

(٣) ينتشى : أى يسكر .

مصارع النجباء

لو كنتَ ذا روح عظيمٍ همُّهُ　　لعذرتني في لوعتي وبكائي[1]
تغدو وهمك في الحياة حطامها　　إن النفوسَ قرارةُ الأدواءِ[2]
ليس السعادةُ كنزَ كل فضيلة　　فاذهب لشأنك لا يصبك شقائي
للمالِ والجاه العريضِ عصابةٌ　　وعصابة لمصارع النجباءِ
ففتى وحيد لا أنيس لنفسه　　فرد من الخلصان والقرناءِ
وفتى له عيشُ الغريبِ وحاله　　وأخو الذكاءِ يعدُّ في الغرباء
وفتى يجود بماله وبنفسه　　وفتى تذوب حشاه في الظلماء[3]
شوقًا إلى المجد العزيز منالُه　　مجد النفوسِ أحق بالبرحاء[4]
يقضي الغبي حياته في غفلةٍ　　عن نفسه ويعدّ في الأحياء
إن الحياةَ جمالُها وبهاؤها　　هبةٌ من النجباء والشهداء
لولا طماحُ الحالمين وهمهم　　بقي الورى كالتربةِ الغبراء[5]
الحالمون بكل مجد خالدٍ　　سامي المنالِ كمنزل الجوزاء
الغاضبون الناقمون على الورى　　هبُّوا هبوبَ الصَرصر الهوجاء[6]
الشائدون الهادمون ذوو النُّهى　　والعقلُ أعظمُ هادم بنّاء
الخالقون المهلكون الشارعو　　ن المرسلون بآية غراء

---

(١) همه : أي ما يعنيه ويهم به .

(٢) الأدواء : الأمراض .

(٣) أي ساهراً في تدبير ما يحاول من العظيمات .

(٤) أي مجد النفوس أخلق بأن يعشق .

(٥) الحالمون : المفكرون الذين يحلمون بتحقيق الآراء السامية .

(٦) الصرصر : الريح الشديدة ، والهوجاء : المجنونة .

آى الجلالةِ والذكاءِ جميعها ... فيهم على السرّاء والضراءِ
فلئن أصابهم الزمان بمهلكٍ ... قبل ابتناء منازل العلياء
فحياتهم وفعالهم ودماؤهم ... مثل الهدى وكواكب الإسراء(١)

المجاهد الجريح

هو العيش حربٌ والحياةُ جهاد ... وإنَّ حياةَ العالمين سهادُ
ولا أشتكى أنّى جرعتُ مريرها ... فيا ليتَ عُمراً فى الحياة يعادُ
فأجرع منه الحلو والمرَّ إنما ... مشارب من يهوى الحياة بِراد(٢)
وليست نفوسُ الناسِ إلا أسنّة ... لها كل يومٍ مطعن وجلاد
وليست نفوسُ الناسِ إلا سيوفهم ... سيوف ولكن ما لهن غماد(٣)
ويصدأ وجهُ السيفِ والسيفُ قاطع ... إذا كان سيفاً ليس فيه مذاد(٤)
وليست حياةُ المرءِ إلا كشعلةٍ ... وآخر ذيالك الضرام رماد
وفى العيشِ مسعى للبيب ومطلبٌ ... هل العيشُ إلا مطمح ومراد
وهب أن ما يأتى الفتى غير مقنعٍ ... أليست لذاذات الطرادِ تراد ؟(٥)
ويحصدُ سعى المرءِ ما شاء عزمه ... وللمرءِ يومٌ ليس فيه حَصَادُ
ومــا ينفع المرءُ الحزين بكاؤه ... إذا ظلَّ ورد المرءِ وهو ثماد(٦)

(١) أى أن سيرهم قدوة لمن بعدهم .
(٢) براد بكسر الباء : عذبه .
(٣) الغماد والإغماد بمعنى واحد .
(٤) أى لا يستخدم فى ذود المكروه .
(٥) أى أن الحياة مثل القنص الذى ليست لذته فيما يصطاده المرء بل فى تتبع القنيص ومطاردته .
(٦) الثماد : الماء القليل .

ولولا خضوعُ النفسِ للجسم ما بكى جـــريحٌ ولـم يعـــزز عليـــه تـلاد
فـــلا تعـــذلونى إن ألمت فـــإننى جريحٌ من الأحداث وهى صعاد[1]
ولا تعـــذلونى إن حـــزنت فطالما أُصـــبْتُ ولى بين الكمـــاةِ فـؤاد
ويا طالما خضتُ الخطوبَ وصهوتى رجـــاء ألا إن الرجـــاءَ جـــواد
فإن متُّ فاسعوا فوق قبرى وباشروا جـــلادَ كم إن الحـــيـــاةَ جـــلاد
ولا تحـسبـوا أنى جبنت لميتتى ولى عـزمـات كلهن صِـلاد[2]
وقلتُ لنفـــسى إنما الموتُ سنةٌ هـم النـاس ركـبٌ والمطـامع زاد
وقدماً مضت تلك العصور وأهلُها وبـادت بـلادٌ بعـــدهـا وبـلاد
جهلنا فما ندرى على العيشِ ما الذى يراد بعـيشٍ نحن فـيـه نقـاد
سوى أنَّ عيش المرءِ بالشك فاسدٌ وأنَّ يقـيـنًا فى الحـيـاة رشـاد
يقـينًا بأن العـيش نشـوة صـائل له عـزمـات فى الحياةِ حِداد![3]

عبث الشكوى

يا صاحبَ العقل يقضى العيشَ فى حزَن يشقى بك الناس أم تشقى من الناس؟[4]
وتحسب الناسَ بُهْماً لا عقولَ لها وأنت فيـهم كـمصبـاحٍ ونبـراس
وأنت فى الناس قطر ضـاع قـاطره فى لُجّـةِ اليمِّ لا راوٍ ولا حـاسى

---

(١) الصعاد : الرماح . (٢) صلاد : شديدة .

(٣) أى نحن لا نعلم لأى أمر خلقنا وإلى أين نذهب ، وكل ما نعرفه أن الشك فى فروض الحياة يؤدى إلى اليأس والفشل والندم ، والحداد : الحادة .

(٤) أى هل الناس تشقى بما يحاوله صاحب العقل أم هو يشقى بجمود الناس ؟

وما أحَسُّوا بهم من حاجةٍ لهمُ إليك ، كلا ، ولا جاءوا بمقياسِ

ملائكُ اللهِ إن أرضوك بينهم وإن غضبت فهم من نسل نسناسِ!

للنفس أفقٌ مضئٌ نورُه عَمَمٌ وأرضها النتن من رجسٍ وأدناس

وراعك اليأسُ حتى خلت من جزعٍ أنَّ الفضائلَ من أحلام وسواس

وكدت تنسى حياةً أنت صاحبها بين الأنام فأنت الذاكر الناسى

حتى إذا بلغت شكواك غايتها علمت كيف تداوى اليأسَ باليأس

وما ضرارك نفساً بعد ما علمت أن الرخاءَ قنوعُ الطاعمِ الكاسى

وكم تريد حياةً كلها جذلٌ غيرَ الحياة وناساً غير ذا الناس

الناسُ والبُهْم تدرى أن ذا عنتٍ يُعَطِّل العيشَ من بشرٍ وإيناس!

الطائر الحبيس

« وهى قصة جرت للشاعر ، وهو غلام صغير ، مع عصفور فى قفص اتخذه لعبة له »

أذكر فيما مضى من العمُرِ وكنتُ ألهو فى غفلةِ الصغرِ

وكنتُ ألهو بطائرٍ غَرِدِ مرتجل للغناءِ مبتدر

فى حيثُ لا روضة له أُنُف والشدوُ شعرٌ لعاشق الزهر(١)

بل كان يشدو الحبيسُ فى قفصٍ شدوَ حزينِ الفؤادِ منفطر

وكنت غفلان عن لواعجه وكيف يرثى الجذلانُ للكدر؟

قد كنت كالطائر الطليق فلا شجو يروع الفؤادَ بالفكر

(١) الروضة الأنف : الرائقة الجميلة

قَـدْ كـانَ قلبى لقلبـه حـجـراً وكـيف يجـدى الغناءُ للحـجـرِ؟

قَـدْ كـانَ لى لعـبـة أعـابثـهـا مـا كـان سـرُّ الغناءِ من وطرى

قَـدْ قـمتُ ألهـو بجـانـب القـفصِ فى صـخبٍ رائع بلا حـذر(1)

واقـرع الأرض صـارخـاً جـذلا وضجـة الصوتِ شيـمةُ الصغر

والطيـرُ من رعب قلبـه حَـذِرِ يهـتـز مـثل المقـرورِ من خـصـر(2)

حـتى إذا مـا سكت من كللٍ قـعـدت ألهـو عنه على غـرر(3)

إذا به صـادحـاً ينوح من الـ ـرعبِ بلحنٍ يقـد فى المرر(4)

قـد جـمعَ اللحنَ من لواعـجـه لم يُبق من نغـمـةٍ ولم يذر

لا مـا لشـدو من بعـده أثر فى القلب بـاقٍ كـذلك الأثر

ناح على نفسـه ومـا فـقـدت بـين ثمـارِ الرياضِ من وطر

لـم أك أدرى مـا هاجَ لوعـتَـه والقلبُ من شـدوه على كـدر

حـتى رأيتُ العـصـفورَ منجـدلاً قـد مـات من لوعـةٍ ومن حـذر

نسـيتـه والسنونُ مُنسـيـة وكـل مـا فـات مـيتُ الخـبـر

حـتى عرتنى الخطوبُ فى عـمـرى وروَّعـتنى الحـيـاةُ بـالغـيـر(5)

ذكـرتـه والخطوبُ مـذكـرةٌ وصـاحبُ الهمِّ حـاضـرُ الذكَـر

نفـسىَ كـالطائر الحـبـيسِ فـلا مـفـر من جـور سطوةِ القـدر

قـد شقَّ صـدرى نابُ الحيـاة فـأمـ ـسيتُ بقلب خـفَّـاق منذعـر(6)

---

(1) أى بضجة أخافت الطائر . (2) المقرور : من أصابه البرد ، والخصر : البرد .

(3) الكلل : التعب ، وعلى غرر : أى على غفلة .

(4) المرر : جمع مرة وهى الشدة ، ويقد : يقطع أى يستنفد الجلد . (5) الغير : الصروف .

(6) ناب الحياة : شبه الحياة بوحش مفترس له ناب .

يا طيرُ لو كنتَ حاضرى ألفت ... نفسك نفسى من رحمة الخور[1]
وأى خَلقٍ يلام فى خورٍ ... والمرءُ فينا فريسةُ الخطر
لا يعرفُ الحزنَ غيرُ ذائقه ... فليس حزنُ العيان كالخبر
اقتصَّ منى لك الزمانُ وقد ... أصبحت منى فى السمع والبصر !

الإنسان والكون

سلامٌ على عهد الشبابِ سلامُ ... سلامٌ وهل يدنى البعيدَ سلامُ؟
تعاودنى ذكرى الربيعِ الذى مضى ... كأنّ حبيباً قد طواه حمام
وأحسبُ أنَّ الزهر يزهو لكى أرى ... محاسنَ منه فى الرياضِ تُرام
وأحسبُ أنَّ الماءَ كالخمر سلسلاً ... لأجرعَ منه والنمير جِمام[2]
وأحسبُ أنَّ الشمسَ ترنو بلحظها ... إلىَّ وأنَّ الليل منه خيام
وأحسبُ أنَّ النجمَ حلىٌّ لناظرى ... وبرق الغوادى للضياءِ يشام[3]
وأحسبُ أنَّ الكونَ بيتى وأننى ... أميرٌ على عليائه وإمام
وأعلم أنى هالك غير خالدٍ ... وأنى رفاتٌ للثرى وعظام
وأنىَ لا طيرٌ ينوح لميتتى ... ولا الزهر شجواً إن هلكت يسام
ولا النور يدجو لا ولا الماء غائض ... وليس على وجه الهلالِ سقام[4]
كذلك لا يبكى على الحبِّ طائرٌ ... وليس على نقض العهودِ يلام

---

(١) أى أن الاشتراك فى الضعف يعلم التفاهم والتعاطف .

(٢) الجمام بكسر الجيم : الترفيه والإراحة .

(٣) أى أن الإنسان فى شبابه يحسب أن الكون خلق لأجله .

(٤) أى أن المرء إذا مات كان كأن لم يكن ، فلا يحزن عليه الكون ، كما يزعم الشعراء فى المراثى .

ولا الزهرُ يأسى للفؤاد وشَجْوِهِ وليس بكاء ما يريق غمام[1]

لقد جفَّ قلبى والزهور نضيرةٌ وقد شاب قلبى والزمانُ غلام!

وعظ الموت

تذكر شجيٌّ القلب أنّا جميعنا نؤول إلى ورد الردى ونصيرُ

هل العيشُ إلا ساعة ثم تنقضى هل الدهرُ إلا أشهر وعصور ؟

نرى حولنا الهلاَّك فى كل منزلٍ كأنَّ بيوتَ العالمين قبور[2]

ونعلمُ علماً ليس بالظنِّ أننا سنمضى على آثارهم فنحور[3]

وهوَّن عندى الموتُ ما الدهرُ صانعٌ فلست من الخطب العظيمِ أخور[4]

وليست مساعى المرءِ إلا جنازةٌ تخبّ به نحو الردى وتسير

وما عرف الأيامَ إلا مجربٌ لبيبٌ بأحداث الزمانِ خبير

ونبكى لموتانا لأن حياتهم منافع تغنى فى الخطوبِ وخير[5]

يخلفنا الأحباب كالدوح هزه شتاءٌ يعرّى غصنه ودبور[6]

أنشقى بفقدِ الميتِ والميتُ ناعمٌ سعيدٌ بما جرّ الحمام قرير؟

وما الموتُ إلا الأمنُ والخلدُ صنوهُ ألا إن فقدانَ الحياة حبور[7]

خليقٌ بنا أن نغبطَ الميتَ حاله فإن حياة العالمين غرور

---

(١) يأسى : يحزن . (٢) الهلاك : الهالكون . (٣) نحور : نتحول ونتغير .

(٤) أى علمى أن الموت آت يهون مصائب الحياة .

(٥) أى أننا إذا بكينا الميت لم نبكه لأن موته مصيبة حلت به بل مصيبة حلت بالأحياء ، لأن حياته كانت نفعاً لهم .

(٦) الدوح : الشجر ، والدبور : ريح شديدة . أى يتناثر عنا الأحباب ، كما يسلب الشتاء والرياح أوراق الشجر .

(٧) الحبور : السعادة .

أبنــاء الشــمال

(الآريون)

إنَّ أبنـاءَ الشـمـال عـمّروا الأرض وصـالوا
ورثوا الملكَ جميعاً كلُّ من يسعى ينالُ
إنَّ للملك اعتزازاً ليس يدنيه اتكالُ
فلهم فيه فلاحٌ ولهم فيه مجالُ
عـمّروا الأرضَ ونمنا داؤنا الداءُ العضال
ولهم فى الكونِ عرش قيمةُ العرشِ الرجال
كلُّ شئٍ لهمُ فى الـ عيشِ مبذولٌ حلال
حرّم الأمرُ على العا جزِ لا يخدعْك آل(١)
إنما القدرة إيما نٌ وآمال ومال
إن أبناءَ الشمال عمّروا الأرض وصالوا
ورثوا العزمَ جميعاً ما عرا القوم ملال
هم لداعى السعى والآ مال عمالٌ عجال
تعرفُ البيداءُ مسعا هم وتنبيك الجبال
وببطن الأرض مسعى ولدى الجو منال
سل أقاصى الأرض تخبر عظمت تلك الفعال
هى تنبى عن جلال الـ نفسِ للنفسِ جلال

---

(١) الآل : السراب ؛ أى أن القوى لا يتقيد بالقيود التى يتقيد بها العاجز .

بيــــــــديهم لــجُـمُ الأقــ ـــدارِ يُجْـريهـا بهـا الصيــالُ

يــركــضُ الــدهــرُ لــديــهــم مـــثلمـــا شـــاءَ الرجـــالُ

من ثـمـــار القـــدرةِ العلم وفى العـــجـــزِ الضـــلال[1]

عـيـشـهـم كـالنهـرِ يجـرى فـــهـــو حـــالٌ ثم حـــال[2]

كـلُّ يـومٍ فـى جــــــديـدٍ كـــشــفت عنه الفــعـــال

وجـــــديـدُ المرءِ يُـبـليـ ـــه ويـفـنيـــــه ابتــــذال

ويـكـادُ الغـــيـبُ يبــدو لـــهـــمُ مـــنـــه المـــآل

عـــرفـــوا العـــيشَ فـــفـــازوا إنمـا العـــيـشُ قـــتـــال

إنمـا العـــيشُ طمـــوحٌ واعـــتــزام واحـــتـيـــال

بين عـــجـــزٍ واقـــتـــدارٍ ضـــاقَ بالعـــجـــزِ المجـــال

إنمـا العـــجـــزُ هو الـذ لُّ إذا اشـــتـــد النضـــال

قـــيـمـــة المرءِ مـــســـاعـــيـ ــــه إذا عـــــزّ المـنـال

إنّ أبنـاءَ الـشـــمــــال عـــمّـــروا الأرض وصـــالوا

لـم يـرعـــهـم فـــشـلٌ إن ثـبـط الـغـــــمـــرَ المطـال

بـذلـوا الـنفـسَ لـيـــحـظـوا إنمـا البــــــذلُ نـوال

قـــد بـروا أهـل الجـــمـــودِ مـــثلمـــا تُـبـرى النعـــالُ

ويــل أبـنـــاء الجـنــوب اعـــ ــتــز بالملكِ الـشـــمـــال

---

(١) إذا راجعت التاريخ وجدت أن العناصر تصول صولتها وتظهر قدرتها ، فينشأ من ذلك الحضارات المختلفة مثل حضارة الفرس والإغريق والرومان والعرب والتيوتون .

(٢) أى عيشهم متجدد دائما وهذا سر نجاحهم فى الحياة .

تـوام النفـس

« الفكرة الأساسية التي بنيت عليها هذه القصيدة ، هي أنك قد ترى أحد الناس أول رؤية ، فيخيل لك كأنك رأيته وصحبته في حياة قبل هذه الحياة . فتكاد تصدق قول من يقول : إن الروح لا تخلق منفردة ولكن يخلق معها توأم لها ! »

أُخيَّ وكلُّ الناسِ صحبٌ وإخوة ... وكل امرئ تلقاه فهو قريبُ
أتذكرني بل لا أخالك ذاكراً ... أيُذكرُ مجهولٌ لديك غريبُ؟
جلستُ على قربٍ ولم يك بيننا ... إخاء ولا عهدٌ إليه نؤوب
تحدثني نفسي بأنك خدنها ... وللنفس من ودّ النفوس نصيب[1]
وأحسبُ أني قد صحبتك حقبةً ... من الدهر ذكراها لدى تطيب
حياةٌ لنا قبلَ الحياةِ رغيدة ... إذ العيشُ صفوٌ والزمان أريب
فنفسُ الفتى في مسلك العيشِ توأم ... لها في الأداني توأم وحبيب
وكل امرئ في العيش يبغي قرينَه ... وكلُّ ضريبٍ ينتحيه ضريب[2]
فويحٌ لنفس لم تجد من يحبُّها ... وللقلبِ لم تعطف عليه قلوب
جلسنا ومنا مرسلٌ لحظَ عينه ... وآخر محمود اللحاظِ هيوب
نظرتُ وكم من نظرةٍ لك سرُّها ... جليٌّ وفي لحظِ العيون خطيب
جلوتَ ليَ النفسَ التي أنت ربها ... فإني بأسرار اللحاظِ لبيب
ولحظُ الفتى من نفسه وخصاله ... إذا طاب نفساً فاللحاظ تطيب

(١) الخدن : الإلف والصديق . (٢) ضريب : الشبيه والند .

وفى لحظِ أهلِ اللؤم لؤمٌ وقســوةٌ وفى لحظ أهلِ المكرمـات طبـيب
وفى لحظ أهلِ الودِّ أنسٌ ورقـــةٌ وعطفٌ وفى لحظ العـدوِّ قطوب(١)
فـقلتُ لعلّ القـربَ يُدنى نفـوسنا وكـلُّ جليـس للـجليس طـروب
ومــا هى إلا لفــتــةٌ وبشــاشــةٌ تـروح رســـــولاً بيـننا وتـؤوب
فـــينشـأ عطفٌ بيننا وتعــارف ويورق غـــــصنٌ للوداد رطـيب
وكـلُّ وداد لـو فطـنـت تجـــاربٌ فـمنهـا مضـئٌ مـغـدق وخلوب(٢)
ومــا هـى إلا لُقْــيــةٌ بعــد لقــيـةٍ يـظل لـهـــا القـلبُ الطروبُ يـذوب
فنحـــيــا ودوح الودِّ ســـامٍ وظلُّه ظليل وروضُ المكرمات قـشـيب(٣)
يقرُّ بعينى أن أرى الضـوءَ والدجى إذا نـظرت عـــينى وأنـت قـــريـب
وهيـهات حـالت دون ذلك وحشةٌ فــقـمنا وكل عن أخـيــه غـريب
فـوا حسـرتا من نُهْـزة ما انتـهـزتهـا ورحتُ وعيـشى من هواك جـديب(٤)
أسـائلُ عنك الدهرَ فى كـل ذكـرةٍ يكادُ لـهـا عـهـدُ اللقـاء يثـوب(٥)
أعـلل نـفـــسـى أنَّ قلبَك ذاكـــرى فـــيكـذب ظنـى والرجــاءُ كــذوب
وأنـت بعـيـدٌ لسـت تعـرف ذُكـرتى ولا أن قـلـبى مـن نـواك كـــئـــيـب
وأعــجـب من هـذا اللقـــاءِ وأمــره وكلُّ لقــاءٍ فى الحـيــاةِ عــجـيب
فـيـا ويحَ هذا الخلق من كل وحشةٍ ومن فـرصـات فى الحـيـاة تخـيب
يعيشون كالأشباح فى العيشِ حقبةً لـهـم كـلّ يـوم إحـنـةٌ وحـــــروب(٦)

---

(١) القطوب : العبوس .

(٢) تشبيه تجارب الوداد بالسحب إما نافعة شافية ، وإما برقها خلوب خادع .

(٣) الدوح : الشجر . (٤) النهزة : الفرصة . (٥) يثوب : يرجع .

(٦) إحنة : حقد ، والحقبة : المدة من الزمن .

وكلٌّ لكلٍّ لو يفيقون جُنة ... وكلٌّ لكلٍّ منهلٌ وقليب[1]
فيا توأمَ النفس الذى أنا ناشد ... دعوتُ فهل من سامعٍ فيجيب؟
يقنتُ خلودَ النفسِ من بعد ميتةٍ ... لعل لقاءً يا حبيب يؤوب
فيرجى لنا فى عيشة بعد هذه ... من الحبِّ والودِّ المكينِ نصيب !

حلم النفس

ألا يا طللَ القلبِ ... وقبرَ الودِّ والحبِّ
لججتُ بحب خوان ... وفى الوافين من يصبى
ذكىِّ الحسنِ فتَّانٌ ... فتون الوجهِ واللُّب
هو الحلمُ الذى تبغى ... فما بالعيشِ من عتب
فدع حلماً مضى أبداً ... أيُروى القلبُ بالكذب؟
سرابٌ كان فانقشعت ... خلابة نبته الجدب[2]
فهذا الطير صداحٌ ... شدا فى الغُصُنِ الرطب
ألا يا طائراً يهوى ... نضير الروض والعشب :
لقلبى فيك تحنان ... يُنير القلبَ أو يُخبى
فجدد دارسَ العهدِ ... وجُدْ لى منكَ بالقرب
وأطربنى بألحانٍ ... كفَيض الطاهر العذب
وداوِ غُلَّةَ النفسِ ... بما فى الحُسن من طب

(١) قليب : بئر . (٢) حينما يزول السراب تختفى الأشجار الخادعة التى جلاها للنظر .

لكى يصبحُ قلبى منـ ـك روضَ الودّ والحبٌ
فما بالقلب من كلمٍ ولا فى القلبِ من ندب[1]
واغدو بك جذلاناً خصيبَ الروض والترب
وانسى حُلم الجدب بما فى حلم الخصبِ
فإن الحب احلام وخيرُ الحلم ما يُصبى
وبعضُ الحلم جلاَّبٌ مريرُ الهمٌ والكرب
الا يا حلُم النفسِ أتروى غلةَ الصبٌ؟
فما فى الحبٌ من عيبٍ ولا بالقلب من ريب
الا يا طائرَ الحسن اليفَ الروض والعشب
فؤادى لك فردوس فطرْ فى جوهِ الرطب
وصنْ لى حسنك الباهـ ـر من شين ومن عيب
وكن لى خير مصحوبٍ أكن من خيرة الصحب !

زهر الهوى ونبت الفيافى

بين زهر الهوى ونبتِ الفيافى وزهور من النجوم روانى[2]
جاء نجوى بمن أعز وأهوى ملكٌ من ملائك الرحمن
واقفًا بين من أحب وبينى بيدينا يداه معقودتان
بين زهر الهوى ونبت الفيافى
ثم خلى بينى وبين حبيبى فاقتربنا اقتراب غير مريب

(١) الكلم والندب : الجرح . (٢) روانى أى ناظرة من رنا يرنو : نظر .

وعـــقـــدنا من العناق نطاقـــاً ... مـــا دُهينا باللومِ والتـــثـــريـب
وروينـــا بـــالـــدمـع غُـــلَّـــةَ نـــفـسٍ ... كيف يُروى الجوى بدمعٍ صبيب

بين زهـر الهـوى ونبـت الفيافـى

قـــال لى الناصحُ الكريمُ مـــقـــالاً ... فى خـــفـــوت ورقـــةٍ وسكون(1)
كـن أمـــينـاً عَلى الفـــؤاد الأمين ... إنما الحـــسنُ نهـــزةٌ للخـــئـــون
هل جـــزاءُ الحـــبـــيـب إلا وفـــاءٌ ... خـــالص من شـــوائب أو ظنون

بين زهـر الهـوى ونبـت الفيافـى

ثم ألقى إلى الحـــبـــيـب مـــقـــالاً ... إن خـــيـــر المقـــال نصحُ القلوبِ
كن رؤوفـــاً ووافـــيـــاً ومنيـــلاً ... وطـروبـاً إلـى المحـب الـطـروب
إنما المرءُ ســـاعـــة ثم يمضى ... فـاجـعلَنْهـا فى خلوةٍ بحبـيب!

بين زهـر الهـوى ونبـت الفيافـى

جنـون الأمانـى

أيا روضـةَ الريحـانِ من لى بنفـحـةٍ ... تخفف من همّى وتشفى فؤاديا ؟
ويا نفـحـةَ الريحـان هبى مع الصبـا ... فـإن بقلبى لوعـةً هى مـا هيـا
وإن بقلبى لوعـةً أنت هجـتـهـا ... فقد كنت دائى فى الهوى ودوائيا
ومـا ظمـئى للمـاءِ والقـيظ لافحٌ ... بأوجع من شـوقى وحـرِّ غـرامـيـا
فـيـا ظَمـأ القلب الجـريحِ وريه ... أمـا جـرعة تطفى لهـيبَ أوامـيـا
ويا منهلَ الحـسن الذى أنا حـائمٌ ... علـيـه ولم أرو الغليل الذى بيـا

(1) صوت خافت : غير مجهور به .

وياواحةَ العيش الجديبِ أحبّه
على جدبه لو أن فيك مقاميا

لقد جبتُ هذا العيشَ والعيشُ بلقعٌ
وأُبتُ وما أعقبتُ إلا كلاليا

وأبصرتُ فيك الماءَ كالخمرِ سلسَلاً
وأبصرتُ فيك الغصنَ فينان زاهيا

وأبصرتُ أثماراً هناك ومورداً
لذيذاً فلم أملك عليه طماحيا

فقلتُ لقلبى : إنما العيشُ فى الهوى
ولا عيشَ إلاَّ أن تنالَ الأمانيا

وقلتُ لقلبى : إنما العيشُ خلسةٌ
من الموت لا تبلغْه يا قلبُ صاديا

لئن خاننى العيشُ الذى كنتُ أرتجى
فيا بؤس آمالى وطول بلائيا

وما أحسبُ النفسَ اللجوجَ شفاؤها
من العيش ما يدنو وإن كان شافيا

فمن لى بماءِ الخلدِ أروى به الصدى
فما الخلدُ إلا نجعتى وشفائيا

وما العيشُ إلا مطلبٌ بعد مطلبٍ
فكيف أُرى فى العيش جذلانَ راضيا

وما العيشُ إلا عزةٌ واستطالة
ترى الموتَ أن تحيا ذليلاً مداجيا

ولو كنتُ ربًّا نافذَ الأمرِ قادراً
لأعطيتُ نفسى سُؤْلَها وعِباديا

وأفسحتُ فى الآبادِ للنفس منزلاً
وأثملت بالآلاءِ منها الأمانيا

فمن لى بها أمنية ما أجلّها
تجئُ بأحلامى وترضى خياليا !

حبيبىَ ، لا والله ما الكفر شائقى
ولكنَّ قولَ النفسِ يا ليت ذا ليا

ولو أننى ربٌّ لما نالك الردى
ولا قلتُ يوماً أين منى جماليا

جمالُك مكلوءٌ بعين رعايتى
فلست عليه الدهرَ والموتَ خاشيا

أزيدكَ من زهرِ الصبا وثمارهِ
فتزهى بحسنٍ فيك كالخلد ناميا

جنون الأمانى فيك أحلى من الحِجى
ألذُ الأمانى ما يجن فؤاديا !

هذا الحبيب

هذا الحبيبُ الذى قد لمتنى فيه ... يردد اللحظَ بين الدلِّ والتيه
فانظر محاسنَه واحذر لواحظَه ... واحبس فؤادَك لا تجرى أمانيه
وارفق بلبِّك لا تودى اللحاظُ به ... واستبق دمعَك لا تهمى هواميه
هذا الذى يدرك الأعمى محاسنَه ... ويلمس الهالك المودى فيحييه
هذا الذى إن رآه الشيخُ عاوده ... شرخُ الشبابِ الذى قد راق ماضيه
هذا الذى ضحكات فى مباسمِه ... أحلا لدى القلبِ من دهرى وما فيهِ
تكاد طلعتُه من نورِ بهجتِه ... إذا رآها مشوقُ الطرفِ تُعشيه
ونعمةُ الحسنِ تهفو فى معاطفه ... وقسوةُ الحسنِ تبدو فى مآقيه
وطلعةُ الحسن فيها قسوةٌ جللٌ ... تلوح للعاشق العانى فترديه
هذا الذى جمَّل اللهُ الحياةَ به ... وعلَّم الروحَ ما تحوى مراقيه
هذا الذى نبضاتُ القلب تتبعه ... ومهجةُ المرءِ تسعى فى مساعيه
هذا الذى خطرات القلبِ صادحة ... مثل الطيور إذا غنَّت تناجيه
فانظرْ لعلّك أن تحظى بنظرته ... فربما نظرةٌ للمرءِ تشفيه
وربما نظرة للمرءِ تسعدهُ ... وربما نظرة للمرءِ تشقيه
هل الحياةُ سوى مسعى تعانيه ... ومطمحُ النفسِ تبغيه وتدنيه

أحلام الصيف

إذا ما دعتنى النفسُ يوماً لريبةٍ ... تراودنى حتى تلجَّ وتستشرى

ذكرتُك كيما تحدث النفس عفَّةً
فذكرُك يثنى النفسَ منى عن الشرّ

وذكــــرك يثنى ناظرىً عن الخنا
ويسعد نفسى بالفضيلة والطهرِ

فأنت سميرى فى صحابى وخلوتى
وأنت هدى نفسى على السرّ والجهرِ

فلا تبتعد عنى فبعدك فتنةٌ
وقربك قربٌ للمكارم والخير

فأنت جميلٌ كالنهار وضاءةً
وأنت جميلٌ كالكواكب والبدر

وأنت جميل كالزهور نضارةً
وفيك جمالُ الأفقِ فى وضح الفجر

فيا أيةَ الكونِ الذى أنت عطرهُ
كذاك جمالُ الروضِ يحمد فى العطر

أظن نجومَ الليل تزهو لكى ترى
محاسنَ من مرآك فى الأنجم الزهر

وعذبتَ قلبى فى يديك ضلالةً
كما يلعبُ الطفلُ المدلَّل بالطير

فجدْ لى بيومٍ من لقائك صالح
فقد ضاعَ عمرى فى القطيعةِ والهجر

تعال أعلمك الهوى ما فعاله
لكيما ترى السرَّ الجليلَ من الأمر

ولكننى أخشى عليك من الهوى
إذا ما ثوى بين الجوانح كالجمر

فإن الهوى مثلُ المدامة مُسْكرٌ
وإن الهوى كأسٌ أمرُّ من الصبر

وأخشى عليك العيشَ فالعيشُ فتنةٌ
وأخشى عليك الشرَّ يطرق بالضرِ

فما أنت معصوماً من الشرِّ والأذى
ولا أنت معصوماً من السوءِ والمكر

وكل امرىءٍ فى العيش لابد فاعلٌ
من الشرّ أمراً كان منه على قدر

لقد خلتُ أنَّ الحبَّ طيرٌ مغرِّدٌ
فإنى سمعتُ الحبَّ يخفق فى صدرى

إذا زال عنك الحسنُ والحسنُ دولةٌ
تزول ويبقى منه حسنُك فى شِعرى

ندمت على الهجران فى غيرِ علةٍ
وما كنت تبديه من الصدِّ والغدر

وهيهات أن تسرى لحاظك بالهوى
إذا صرتَ منسياً كأمسك فى العمر

كـأنّ على الآفـاق بـعـدك وحـشـةً أراها على وجه الخليـقةِ كـالسـتـرِ
أبيتُ أنادى الجنَّ فى مـسـتـقـرها لتـجـمـعَ مـا بينى وبينك فـى السـرِّ
دعـاءُ الفـتـى سـحـرٌ وأبلغُ دعـوةٍ دعـاءُ لهـيـفٍ ذى لواعج مـضـطر
دعـاءُ الذى مـا من نزوع لقلبـه فـينسـاك إلا أن يغـيّب فى القـبـر
فـلا تنسَ ذكـرى مثلمـا أنا ذاكـر عسى تلتقى روحي وروحك بالذكر
أحبُّ من الأشياءِ مـا كـان مشبهاً لوجـهـك إن الزهـرَ يعـرف بـالزهر
فـأرسل إليَّ الزهرَ منك عـلامـةً فوجهك مثلُ الزهرِ يضحك من بشر
ولا تفـخـرنْ إنّى جننت مـحـبـةً فكل ضئـيل النفس يفـخـر بالشـر
ودعنى أُمنِّ النفسَ عطفًا ورحـمـةً وأُخْفِ جنونى فيك بالصبر والكبر
فليـتك حلم الصيف يحلو لحالم ولكنمـا الذكـرى أمرّ من الصبـر
أعلِّلُ نفـسـى أن شـوقىَ نافـعى لديك فإنَّ الشوقَ ضربٌ من السحر
وهيـهـات لاتجدى لديك شـفـاعـة فـإنك مـقـدود الفـؤادِ من الصـخـر
حسـوتُ كُؤوسَ الحبِّ طراً وإننى أرقت كؤوسَ العمر من طرب السكر
فـلا تعـذلا قلبى لإسـراف نشـوة سـواسيـة مـا يأكل الدود فى القبـر
سيـذكـر هـذا الدهر أمرى وأمـركم فقد خطَّ شِعرى فى الصميم من الدهر
لقـد كـان قـبلى عـاطلاً فـحـبـوته عـقـود مـعـانٍ لا تُطوَّقُ بـالنثـر
وقـد كـان قـبلى أخرس الفم أبكـمـا فـاصـبح يشـدو بـالجليل من الشِعر
فـمـن لى بـاسـمـاع تعى مـا يقـوله فـحـولى أناس كـالجمـاد من الوقر !
ألا إن هـذا الدهرَ أوتـارُ شـاعـرٍ وشـعـرىَ أحلى للنفوس من الخـمـر
ألا إن قلبى روضة الشعـر والهـوى ومنك نسيم الحبِّ يعبث فى صدرى
يحـرّك أغـصـان الخـمـيلة مَـرّةً فيوقظ أنغـامى ويحمل من نشرى !

فتنة الطهر

يا غلةَ القلب المشوق الصادى كم ذا البعاد فقد أطلت بعادى [1]
سل عنىَ الليل البهيمَ وطوله وسل الوسادَ فما قربت وسادى
أتخال أنك قد كشفتَ سرائرى وتظن أنك قد سبرتَ فؤادى
أو ما علمت بأن طهرك باعثٌ شوقى ومورٍ من هواك زنادى [2]
يومٌ يخال الظنُ فيك نقيصةً يوم يجىء براحتى ورقادى
لا بل يجىءُ بحسرةٍ وندامةٍ ويزيد من غصص الزمانِ العادى
لستَ الخليق بأن تنال محبتى إن لم تنل من عفةٍ ورشاد
النفس أعظم أن تحبّ ذوى الخنا أو أن تجلّ مظنة لفساد
إنى أريدك كعبةً لا حانةً إن الدنايا جمَّةُ الورّاد
طهرُ الحبيبِ يزيلُ همَّ محبِّه فكأنه القمر المنير الهادى
السعد أطهر أن ينال بخسةٍ شوهاء رهن حوائج الأجساد
خيرُ الهوى حبُّ الفضائل والنهى ومودة الأمثالِ والأنداد
ظنُّ الفتى كفعالِه ومقاله وخصاله من مضمر أو بادى
لا ترمينّى بالدنيّة باطلاً فتكون أنت مظنةَ الحسّاد
حبُّ النقيصة إثرةٌ مذمومةٌ يغدو لها الخلانُ كالأضداد
وهوى المحاسن ألفةٌ ومودةٌ وتناصرٌ كتناصر الأجناد

---

(١) الغلة : العطش (٢) أورى أشعل .

انظر لنفسى فى خصالك صادقاً		فإذا وجدت مغامزاً لأعادى :
فاذهب كما ذهب الوباءُ مُبغّضاً		نكب الأنامَ وفتٌ فى الأعضاد
وإذا وجدت محامداً ومحاسناً		خلصت من الأدناس والأحقاد
أقبل كإقبال الربيعِ محبباً		تثنى عليه ألسنُ الحصّاد
الطيرُ تشدو فى الرياض محبةً		تدعوك بالتغريدِ والإنشاد
والغصنُ كالنشوان من ولهٍ بكم		هزَّ الزهورَ بقدِّه الميّاد
والريحُ تبكى شجوها بأنينها		حتى الرياح عليك من حسادى
والنجمُ يومض عاشقاً لجمالكم		نظر المحبّ إلى الحبيب البادى
وكواكبُ الفلك المدار رواقصٌ		طرباً فحبّك زادُها والحادى
والشمسُ صفراءُ الجبين مريضة		والبدر شيب بياضه بسواد
أنت الذى فتن الوجودَ جماله		يا غلَة القلب المشوق الصادى!

فى الفردوس

شريد اللبِّ هامى الدمع عانى		نبت عيناه عن زهرِ الجنانِ
ترتل حوله الأملاك آيًا		وطيرُ الأيك تصدح بالأغانى
ونورُ الخلدِ وضّاءٌ عليه		ينير الزهر من حدق الحسان
تظلُّ النفسُ منه فى ربيعٍ		مذاع العطر محمود الزمان
تظلّ النفسُ تمرحُ فى رباه		وتبصرُ حولها حلمَ الأمانى
تجلله ثمارٌ فى غصونٍ		قطوف بين قاصيه ودانى
بأية شقوةٍ قد رعت حتى		فؤادك ليس ينعمُ بالأمان

يظلّ الناسُ حولك فى نعيمٍ وقلبُك كالكليمِ من الطعان[1]
نفوسُ الناس فى دعةٍ وأمنٍ ونفسُك بين حلقك واللسان
فيا بؤساً ويا تعساً لصبٍّ شقىّ فى الفرادس والجِنان[2]
دماؤك فى العروق لها لهيبٌ كأنّ دماك ريقة أفعوان !
وأنفاسٌ تصعدها طوال ووجهُك شاحبٌ والدمع قانى[3]
تمدُّ إلى وجوه القومِ لحظاً وتنشد صنوَ نفسك والجَنان[4]
وليس الحبُّ إلا حب صبٍّ يحنّ على القطيعةِ والليان[5]
وليس الخلدُ إلا قرب خلٍّ جميل النفسِ محمود العيان
ستبصر منه فى الفردوس وجهاً عميماً حسنه جمّ المعانى
يسلّ الضغن لا واشٍ فيخشى ولا صبّ يروّع بالشنان[6]
فطرفٌ منك معقود بلحظٍ وطرف منه معهود البيان
يدٌ بيدٍ وقلبٌ قرب قلبٍ وسرُّ النفس ما توحى اليدان
تحييك الملائكُ بابتسام وتطربك المثالث والمثانى
فقلْ للطير تصدح فى رباها فطيبُ اللحن فى طيب الزمان !

حلم الفردوس

أيحرم حتى نظرتى وسلامى وحتى حنينى نحوكم وهيامى !
أقيموا كما شئتم على الصدِّ والجفا فإنكمُ لا تصرفون غرامى

---

(١) الكليم : الجريح (٢) الجنان : جمع جنة الفردوس (٣) قانى : أحمر (٤) الصنو : الند والمثيل والأخ . والجنان : الفؤاد (٥) الليان : الملاينة والمحاسنة (٦) الشنان : والشنآن البغض .

أعللّ نفسي باقتراب ولُقية ... وليس اقترابى منكمو بحرامِ
فإن طرقتك الريحُ يوماً بأنّة ... فقد سار فى ذاك النسيم سلامى
ولو أننى فى القبر ميتٌ وزرتنى ... لحيَّتك من تحت الرجامِ عظامى[1]
وإنى إذا ما اعتادنى الهمُّ والأسى ... وأبغضتُ فى هذى الحياةِ مقامى
وأشعرت ذلُّ العيشِ حتى قليته ... وقد بان حتى راحتى ومنامى
وأصبحتُ أرجو الموت من سورة الأسى ... ولم تُشف من داءِ الهمومِ مدامى
أبين لنفسى صورةً منك غضةً ... فأنقع من ذاك الخيال أوامى
ويفرحُ قلبى بعد يأسٍ وحسرة ... فقربُك فيه راحتى وجمامى[2]
وفى ذكركم روح الحياةِ وطيبها ... ومرآك فيه نهلتى وطعامى[3]
قنعت بذكراكم وبالطيف منكم ... إذا جاد طيفٌ منكم بلمام[4]
لقد كنتُ أشكو الحبَّ حى رأيتُه ... دواءَ همومى كلّها وسقامى
فيا حُلُمَ الفردوس حبّك ذكرة ... لأيام عيشٍ فى الجنان وسام[5]
ورثنا ولوعاً بالنعيم وطيبه ... وعيش قديم قد مضى بسلام
ورثنا بنى حواء شوقاً وحسرة ... فأنفسنا مما تروم دوامى[6]
وكلُّ مرامٍ نرتجيه تذكرٌ ... لعهد جنانٍ قد مضى ومرام[7]
أكاد أرى الفردوسَ خضراً غصونه ... فليت مقاماً فى الجنان مقامى
وأبصر فيه الضوءَ لا ضوء مثله ... له بهجةٌ فى زهرها المتسامى

---

(١) الرجام : أحجار القبور (٢) الجمام : الترفيه والإراحة (٣) النهلة : الشراب (٤) اللمام والإلمام : الزيارة (٥) وسام : أى جميلة (٦) دوامى : أى دامية (٧) أى أن كل ما تحلم به فى الحياة من الفضل والكمال والأطماع ، تقرب وتذكر لعيشة الفردوس .

وأسمع فيها الطيرَ تشدو فأنثنى ... وقلبىَ من ذكرى الفرادس دامى
فآوى إلى عهدٍ مضى ثم أنثنى ... إلى مقبلٍ من دهرنا المترامى
وكلُّ جمالٍ يسحر القلبَ طيبُه ... فيا ليت أوراق النعيم خيامى
سراب طماح المرء فى غير كنهه ... وما هو إلا مثل حلم نيامِ
فيا ليتنى فى الريف لا شىء شاغلى ... من العيش إلا غلتى وسوامى
ولو أننى فى الريف ما فاتنى الأسى ... ولا برئت نفسى وطاب منامى
حبيبىَ إن خُبرتَ أنى بحسرة ... وأنىَ فى أيدى الخطوبِ زمامى
فأرسلْ خيالاً منك يأسو لواعجى ... كما لاح صبحٌ من وراءِ ظلام[1]
معينى على الأحزان لامسّك الأسى ... ولا نالك الدهرُ الخئون بذام[2]
أريد على الأيام عوناً من الهوى ... فأى مرامٍ يا حبيب مرامى
أجلُّ مرامٍ فى هواك أرومهُ ... وأعظمُ سكر العاشقين هيامى
وإنَّ هيامَ المرءِ فضل وفطنةٌ ... إذا كانت الأخلاقُ غيرَ لئام
فيا حُلُم الأحلام هل لك عطفة ... فتروى لحاظ من جفاك ظوامى ؟[3]
وأحيا حياةً من هواك سعيدةً ... وأقضى وهل حبٌّ يردّ حمامى؟[4]
ولو ردّ هذا الموت شىء لرده ... تصرمُ عامٍ فى هواك وعام[5]
فحسبّك حلمٌ بالخلودِ لعاشقٍ ... فلولا الردى بشّرته بدوام

(١) يأسو : يصلح ويطب (٢) الذام : العيب الذى يذم المرء من أجله (٣) حلم الأحلام : أى خلاصة ما تحلم به النفس وأجل أحلامها (٤) قضى يقضى : مات (٥) تصرم : مضى وذهب .

الجمال المنشود

رأيتُ فى الحلم وجهاً منك أعبدهُ ... وفوقه من نجوم الليلِ تيجانُ
توجت نفسك بالأفلاك مكرمةً ... كما يتوّج بالأزهار جذلانُ
فإن وجهك بدرٌ يستضاء به ... إذا بدوت ووجه الأفق غيمان
فقمت أملأ عينى من محاسنكم ... وأنهل القلب منكم وهو صديان
إن راقب الناس فى الأفلاك طالعهم ... فإن عينيك لى سحرٌ وتبيان
وإن طرفك نجم الحظ أرقبه ... سعدٌ ونحس وإحسانٌ وحرمان
وقمتُ فى الحلم أسعى نحو حالية ... من الخمائل فيها الغصنُ فينان(1)
لنور وجهك فيها بهجة أبداً ... فالنجمُ من حسنكم والزهرُ يزدان
يا جنةَ الحلم كم لى فيك من أربٍ ... يا طيبه لو دنا والدهرُ نيسان
أصفيت قلبى فلا والله ما سكنَت ... بين الأضالع أحقادٌ وأضغان
ويا هلالاً أرى فى النفسِ طلعتَه ... أضِيءْ حياتى فوجه العيش طخيان(2)
وكيف يقبح عيشٌ أنت بهجتُه ... وكيف يدجو ولم يدركك نقصان
يا بدر إنَّ أخاك البدر يؤنسنى ... فالصبُّ والبدر والظلماء خلان
البدرُ فى أفقه أدنى لناظره ... منكم فما لكُمُ عطف ولُقْيان(3)
يُلقى إلىَّ بنور من أشعته ... حتى أبيت وضوء البدر ندمان
وأنت فى العيش حلمٌ لست أدركه ... لم يدننى منه تطلاب ونشدان

---

(1) الخمائل : الحدائق . والحالية : لابسة الحلى . والقصد هنا حلى الأزهار . والفينان : المورق .

(2) طخيان : مظلم (3) الندمان : النديم .

وأنتَ للحسن جنّيٌّ فَتِهْ مرحاً ... ما نال شأوك لا إنس ولا جانُ
يا غايةَ العيشِ والآمالِ قاطبةً ... ومطلباً ليس لى من بعده شأنُ
ما كنتُ أحسبُ حسناً أنت لابسه ... يناله بين هذا الخلقِ إنسانُ
فذاك حسنٌ عزيزٌ معجز أبداً ... صنع المخيلة لا يحويه جثمان(1)
هل أنت طيفُ خيالٍ زار فى سِنةٍ ... فإنما المرءُ فى دنياه وسنان(2) ؟
أم كنت من جنة الفردوس فى وطنٍ ... لك الملائك إخوانٌ وخلصان ؟
أى الكواكب قِدْماً كنت ساكنه ... قد نابه منك هجران وفقدان ؟
أم كنت فى الأفق نجماً لاأفول له ... إن السماءَ لزهر النجم بستان ؟
وكيف أجحد هذا الكون خالقه ... وفيك لله آياتٌ وبرهان ؟
اذكر حبيبىَ أن الموتَ غايتُنا ... وآفةُ الحسن أكفانٌ وديدان
لا لقية بعده تُرجى ولا صلةٌ ... ولا دلال ولا لطفٌ وتحنان
ألم يعلمك وقعُ الخطبِ مرحمة ... أم كلُّ عيشك أزهارٌ وأغصان؟
هيهات لا يرحم المسكينَ ذو ترف ... منعم البالِ لا يؤذيه حِدْثان
يا ناعمَ البالِ مالى راحة أبداً ... وفارغ القلب قلبى منك ملآن
وراقد الليلِ ليلى لست أرقده ... فالقلبُ من حبكم والطرفُ سهران
استجدِ لى رحمةً وانظر إلىَّ بها ... أليس فى الناس حسّان وحنّان؟
لا تحسبن قلوبَ الناس قاطبةً ... أشباهَ قلبك أحجارٌ وصوان !
لا عيبَ فى الطير لم يأنس بعاشقه ... وأنت كالطير جذلان وغفلان

---

(1) المخيلة بفتح الميم وكسر الخاء : الخيال والوهم ، من خال أى توهم ، وتأتى أيضاً بمعنى الكبر من الاختيال والتكبر (2) سنة بكسر السين : النوم .

لا عيبَ فى الزهر إن أردى بنكهته | وأنت زهرٌ وبعض الحبِّ ذيفانُ
لا عيب فى الماءِ لم يبلغه طالبه | فأنت رىٌّ وقد أخطاك ظمآنُ
لا عيب فى الضوءِ أعمى مقلة نظرت | فأنت نورٌ وطرفى منك عشوان
لا عيب فى النار أنّ النارَ محرقةٌ | الحسن نارٌ وقلبى منه حرّان
إنى أعلّمك الأعذار من سفه | يا بؤس نفسىَ إن أقصاك هجران
بالله لا تتخذ حُبِّيك معذرةً | فى الهجر مالى على الهجران أعوان
النار ليس لها قلبٌ فنعذلها | لكنْ نصيبك وجدان وأشجان
لو تشعر النارُ لم تعنف بلامسها | أو تألم النارُ لم تحرقك نيران
لولا المصائب والآلام قاطبة | ما كان فى الناس إشفاق وإحسان
وليس نظمىَ للأشعار من عبث | فإن شعرىَ قلبٌ منك ولهان
وإن شعرىَ نفسٌ فيك هالكة | وإن شعرىَ أشواقٌ وتحنان
فارحم شجونَ فؤادٍ طالما صدحت | فالقلبُ طيرٌ له فى الحسن أوكان(١)
يا نائى الروحِ روحى منك دانيةٌ | وصاحىَ القلب قلبى منك نشوان

ارسل حضرة الاستاذ الجليل حسن افندى فهمى المحامى (٢)

هذه الابيات الرائقة إلى صاحب الديوان :

أتظلم أيامى ووجهك شمسها | وتجدب آمالى وأنت تليها ؟
هجرت فقلبى قلب ثكلى حزينة | أصاب الردى يوماً جميع بنيها
وأظمأت زهراً للمودة ناضراً | سأروى بدمعى زهرها وأقيها

---

(١) الأوكان : الأوكار والعشاش .

(٢) « كان من أصدقاءالشاعر ، وكان أديباً شاعراً » .

وحـــدثنى عنك الفـــؤاد بسلوة فأضحى فؤادى للفؤاد كـريهـا [1]
فـمـا سـمـعت أذنى لشكرى بسابق ولا أبصـرت عـينـاى قط شـبـيـهـا
إذا قـال شــعــراً خلتــه قــال آية هى السـحـر فى ألباب مسـتـمعيـهـا
إذا أنزل الأشـعـار فالدهر سـاجـد لمنزلـهــا جــاث لمتــبــعــيــهــا
لـيـاليك أشـهى للنفـوس من المنى ألذ الليـالـى مــا رأيتك فـيـهـا

فبعثت صاحب الديوان إلى عمل هذه القصيدة

منى النفس

مُنى النفس أن تحـيـا وأنت هواها فـــإنّ جنـونى فى هـواك هـداها
وإنّ مماتى فى هـواكَ حـيـــاتـهـــا وإنّ سـلـوّى عـن هـواك رداهـا
فـيـا مطمحَ القلبِ المطلوب مـودة سـلاهـا فلمـا أنْ رآك بغـاهـا
كـأنى إذا مـا غـبـتَ أضللتُ هـاديا رشـيـداً وعـينى مـا يزول عـمـاهـا
فـأطلبُ نهج الرشدِ فى كل وجهةٍ وأنـكـت فـى أرض العـراءِ ثراهـا [2]
وإن لحتَ لاح الرشـدُ حتى كـأننى بصـيـرٌ درى الأشـيـاء حين رآهـا
لقد علّقت نفسى بكم قبل قربكم فـإنك من قـبـل اللقـاءِ مناهـا
فكنـتُ كـراءٍ فى الكرى زهرجنةٍ فلمـا تمشى فى الصـبـاح أتاهـا
فكان على وعـدٍ من الحلم مـا أتى فيا حلم نفسى هل تزيل صداها ؟
ويا جنة الأحـلامِ طالت فـروعـهـا حـبـيـب لقلبى مـاؤهـا وشـذاهـا
فـأنت حـبـيـبى مـا حـييت وإنما مُنى كل نفسٍ حيث كـان هـواهـا

---

(١) كريها : أى مكروها عند نفسه (٢) أى أضرب فى التراب بعصا متهديا .

فواهًا على العهدِ القديم الذى مضى ... وواهاً على عـهـد الأحـبـةِ واها
وخـيـرُ ليـالىً التى أنت حلمـهـا ... ومـا زان طيف من لدُنْكَ كـراها
وخـيـرُ ليـالىً التى أنا ذاكـر ... وشـر الليـالى مـا أبيت أراها
وخـيـر ليـالىً التى أنت بدرها ... وقـد شُق عن وجـه السمـاءِ دجاها
وخـيـر ليـالىً القـصـار بقـربكم ... أرى بدأها يهـدى الىَّ ضـحـاها
فـيـا بدر انّ الليلَ بعـدك مظلمٌ ... فـهل ليلة لى من سناك حُـلاها
فـربّ ليـالٍ هن ذات قـرابة ... لقلـب شـجىّ إن عـدته بكاها
بكاها فلمـا لم يرَ الدمع نافـعـاً ... تأسى وفى النفس اللجوج شجاها(١)
أريد من الأيام مـا لسـت مـدركـاً ... هـوى كل نفسٍ أن تنال مـداها
فقل لطموح النفس حتّام نحسها ... كـفـاها من العيش القليلُ كـفـاها
أحبّك يا دنيـا على البعـد مثلما ... أحبَّ هلوكـاً قـاربت فـقـلاها(٢)
ألا فـاسـقـنى الأيام إن كـؤوسَـهـا ... تقـرّب من نفس التـعـيسِ رداها
لعمرك ان العقلَ يُفضى إلى الأسى ... فـمن لى بنفس مـا يبين حـجـاها ؟
وكيف ترجّى العدلَ فى قول حالمٍ ... تطلب دنيـا حلمـه فـشـكاها ؟
عسى أن يصيبَ النفسَ صبرٌ يحوطها ... وتهـدأ من نحس الحيـاة عـسـاها
أالخـشى طروقَ الحادثات ولبثـهـا ... كـأن الليـالى لا تدور رحـاها ؟
شـقـيتُ بنفسى شقوةً لا أطيقـهـا ... فـمن لى بنفس فى الحيـاة سواها ؟
سلاها علام الخوف من كل حادثٍ ... وحـتّـام يضنيـهـا الرجـاءُ سـلاها

* * *

(١) تأسى : تعزى   (٢) الهلوك : البغى .

ولولا نميرٌ من ودادك طاهرٌ مزجت بنفسي ماءه فشفاها
لمتُّ ولم أظفر بخلٍّ مصادقٍ يعلل نفساً قد أطيل صداها
أبا الفهم ان السحرَ ما أنت قائلٌ فهيّئ لنفسي من لدنك رقاها
إذا قيلت النكباءُ كنتَ جلاءها وان قيلت الجلّى فأنت فتاها[1]
فيا مِدرها لا مِدره اليوم مثله أتحتَ لقلبي نهلةً فحساها[2]
خصيميَ دهر ليس يرضى خصيمه وكم حادثات لا تسوغ قضاها
ولي عند هذا الدهر حق أضاعه وكم من ديونٍ لي عليه لواها
وكم موقفٍ تفرى به كل بُطلة كأنَّ خميساً من لدنك غزاها[3]
فقم هاتِ لي حقي من الدهر انما حقوقي أمانيٌّ لديه حماها
فإنك يوم الحشر لو قمت دافعاً جنايةَ جانٍ مايخال جناها
فإن بياناً منك يقصي جهنما عن المرءِ حتى ما يخاف لظاها
تقارضنا الدنيا حياة بشقوةٍ وأفحش ما تقلي النفوس رباها
أدنْ هذه الدنيا بما أنت ربه فأنت خليق أن تزيح خناها
أما انها لو أُلحقت بمسامع لادركها مما تقول هداها !

قريب بعيد

لقد عاود الطيرُ المغردُ روضَه فهل هو مخضرّ النباتِ قشيبُ؟
وهل عاده زهوُ الحياة وطيبها وكلُّ حياةٍ بالحبيب تطيب ؟
اذا الطير لم يأنس ولم يبدِ عطفةً فما بين أغصان الرياضِ رطيب

---

(١) الجلى : الأمر العظيم (٢) المدره : الخطيب (٣) الخميس : الجيش .

ولا خيرَ في نيل الوداد بشافعٍ ... إذا أنت لم يطرب إليك حبيبُ
لقد كنتُ أبغي منك أنسًا وألفةً ... وكل أديبٍ للأديب طروب
وجئتَ فلم تظهر إخاءً وعطفةً ... فإن بشاشات الوجوه تصوب
ولحظُ العيون الفاتنات بشاشةٌ ... ولحظ العيونِ العاشقات نسيب
وزرتَ فلم تأنس كأنك لم تزر ... وربٌ بعيد وهو منك قريب
ولم أرَ في عينيك إغراءَ عاطفٍ ... ويا ربّ لحظٍ للمحبّ طبيب
لقد كان في عينيك شكٌ ووحشة ... ألا إنَّ ألحاظ العيونِ خطيب
ولم تتبسط بالمزاح تودداً ... وما كل مزحٍ في الوداد يريب
فكلُّ مزاحٍ منك أنس أحبّه ... وماءٌ طهور لا يعاف شروب[1]
فلا أنت مشتاقٌ ولا أنا شائق ... وكيف يشوق القلب وهو كئيب
فأين ابتسام كنت أهوى وميضه ... وأين ضياء في اللحاظ خلوب[2]
تحدثني عيناك أنك مبغضي ... فكلُّ ودادٍ بعد ذاك كذوب
أحبّك حباً لست أهلاً لمثله ... وما كلّ حبٍ للجمال يطيب
فإنك لا برٌّ لديك لآملٍ ... رضاك ولا وداً لديك أصيب
فنفسُك مثلُ القبر قبحٌ وظلمة ... وحسنُك غصنٌ في القبور جديب
فلا تتركنّي بين يأس ومطمعٍ ... إذا لم يكن لي من هواك نصيب
ودعني أمت أو أحي دهراً كميتٍ ... تعدته عُوّاد وملّ طبيب
وإني خليق أن أبوءَ بسلوةٍ ... إذا أنا لم يعطف عليَّ ضريب[3]

* * *

(١) شروب : صالح للشرب (٢) خلوب : أي خالس للقلب والبصر (٣) أبوء : أرجع . والضريب : الند والمقصود الصاحب .

وأهوى رفيقاً ذاكى الروحِ والنهى ... وما لى سواكم فى الحياةِ طليب
فيا خالقَ الألحانِ جدْ لى بمنطقٍ ... وجدْ لى بلحنٍ من لدنك يذيبُ
لأطرب قلباً لا يلين لمطربٍ ... الا كل شادٍ للجماد يخيب
أظلّ اذا ما غبت عنى كأننى ... يتيمٌ غريب فى الحياة سليب
شفيعى إليكم فى المحبة أننا ... كلانا يتيمٌ فى الحياة غريب
ولو كنت تدرى كنهَ حسنك كله ، ... عذرت ولم يعنف عليك رقيب
وعربدت من سكر الجمالِ وإنه ... لسكر إذا فكرت فيه يطيب
ولو جُنّ إنسانٌ من الحسن كنته ... فأنت فريدٌ فى الجمال عجيب
ولو كنت تدرى سرَّ حبىَ كلَّه ... لما خلت أنى فى هواك مريب
وما فى الورى مثلى عليمٌ بحسنكم ... فإنى باسرار الجمالِ لبيب
أبيتُ أناجيكم على بعد داركم ... وأدعو خيالاً منكمُ فيجيب
وأطعمه زادى وأسقيه خمرتى ... وأبغيه فى الظلماءِ وهو قريب
وأجلسه جنباً لجنبى وإننى ... إليه وإن طال البعادُ أؤوب
وأسأله عن حالهِ كيف حاله ... ولى منه إلفٌ شائقٌ وجنيب
نظمتُ معانى الحبِّ فيكم جميعها ... فلم يبقَ منها شاردٌ وغريب
ولم يبق الا أن أُجنَّ بحبكم ... وتُهلك قلبى زفرةٌ ونحيب
كأنكمُ طيفٌ لطيفٍ يزورنى ... فيا طيفَ طيفٍ هل أراك تؤوب ؟!

عشيق القمر

وهى انشودة من اناشيد الصيف والليل والقمر

نشـــرالبـــدرُ على داركــمـــو   خلعـــاً والدارُ تزهو بالضـــيـــاء
فى ليالى الصيفِ حيث القلب من   شـــجـــوه بين التـــمنى والرجـــاء
ان بيـــتًـــا أنتمُ سكـانـه   لخليق ببـــهـــاءٍ وسناء
لخليق أن يبـــيت البـــدر فـــيـــه   ســـاطعـــاً بين عـــراص وفناء
أحـــســن الضـــوء على داركمُ   مـــا ديار الحى عندى بســـواء
يخـــشع الطاووس من حـــسنكمُ   ويبـــيت البـــدر مـــسلوب العـــزاء
فكـأنَّ البـــدرَ مـن حـــبكم   حـــائرٌ يقطع أرجـــاءَ الســمـــاء
فـــهـــو مـــثلى هالكٌ من حـــبِّكم   وهو مـــثلى بين يأسٍ ورجـــاء
ويطلُّ البـــدرُ من طاقـــاتكم   ويحـــيـــيـــكم بألحـــاظ بطاء
بسط البـــدرُ على فـــرشكم   حُلَّةً فـــضـــيـــةً شـــتى الرُّواء
وعـــلا وجـــهكم منه ضـــيـــاءٌ   كـضيـاءِ الطهر محـمـود الوضاء
وهو فى أحـــلامكم آفـــاقـــه   وجـهـه فى حلمكم جمّ السناء(١)
وهو فى أحـــضـــانكم ذو سِنةٍ   ليس يشـقى فـيكُم بالرقـبـاء(٢)

---

(١) يتخيل الشاعر غرفة بها سرير قرب نافذتها يسطع عليه ضوء القمر ، وكأنه يرى شخصاً جميلاً نائماً ، وعلى وجهه ضياء القمر. ويتخيل كأن ذلك النائم يحلم بليلة قمراء.

(٢) السنة : النوم .

ليتني يا بدر ضوءٌ ساطعٌ منك فى دارٍ ضنين باللقاء
فأراه وهو عنّى غافلٌ ليس يلقانى بعذلٍ أو عداء
أأقضّى العمرَ فى هجركمُ خائباً بين صباحٍ ومساء ؟
يا دواء القلبِ من أسقامه كيف ترمى القلبَ بالدّاءِ العياء !
يا ليالى الصيفِ عودى بالهوى كم عدتنا عنك أيام الشتاء
ياليالى السعدِ عودى بالمنى قد تمادى حكم أيام الشقاء !

الحب والرحمة

لما رأيتم حياتى فى اقترابكمُ وأن بعدكمو والموت سيان :
بنتم فلا رحمة فيكم أؤمّلها ولا تحسّون ما بثى وتحنانى
فادعُوا لىَ الله أن أنساكمُ أبداً وأن أبيتَ على صبرٍ وسلوان!
حسبى الذى قد عنانى من جفائكمُ وقسوة كَمنتْ فى صخر صوان
والله لو متُّ من شوقٍ ومن كمدٍ لما بللتم بماءِ الدمعِ أكفانى
ولا عناكم مماتى فى محبتكم بل كان حظى من سخرٍ ونسيان
ولو جننتُ لما اهتاجت لواعجكم ورُحتم بين مزهو وجذلان
أبعد ما قد بدا لى من عداوتكم تبدون للناس من صحبى وإخوانى ؟
ياطارقَ الموتِ فيك الأمن أنشدُهُ فأنت أرحمُ من صحبى وخلانى !

أملح الناس

ألا يــا أمــلــحَ الــنــاسِ وطــاق الــوردِ والآسِ
لـقــد حللت إيحــاشى وقـــد حــرمت إيناسى
ألا يــا أمــلــحَ الــنــاسِ أمــا لى فـيك من آسى ؟
وهل تزهد فى حــبِّى ومــا بالحبِّ من باس !
أمــا يقــدر أن يرحـ ـمَ قلبى قلبُك القــاسى
أبيتُ الليلَ سهــرانــاً على همٍّ ووســواس
وأقضى اليــوم فى همٍّ أريق الهمَّ فى الكــاس
وقــد حــبَّبْتَ لى الموتَ فــهل يهنيكمُ ياسى
سينعــانى لك الموتُ وأحســوه مع الحــاسى
فهل يهنيكم مـوتى وأن تركــد أنفــاسى ؟
وأن أدرج فى قــبــرى قــتيل الحب واليــاس ؟
فمن يصــدح بالشــعــر ومن يســخــر بالناس ؟
ولو أنى دعــوت البــد رَجــهــراً غــيــر إبلاس
لحــيَّــانى ولبَّــانى على العــيــنين والراس !
وأدعــوك فــلا تدنو وأنت الغــافل الناسى
ألا يــا أمــلــح الــنــاسِ وطــاق الــورد والآس
لقـــد خلفنى الحبُّ صــمــوتاً بين جــلاسى
وقــد مــزقنى الحبُّ بأنيــابٍ وأضــراس !

ذكرى الحبيب الأول

ذكـــرى الحـــبـــيـبِ الأولِ — أم لحـن شــــــدو الـبـلـبـلِ ؟
أورى هـيـــــامـك يـافـــؤا — دُ وكـنـت عـنـه بمعـــــزل[1]
فـــدع الـشـــجـــونَ لأهلهـــا — لـيـس الـزمـــــانُ بمقـــبـل
أصـــبـــحـت ربعـــاً دارســـاً — بين الـصـــبـــا والشـــمـــأل
ولقـــــد عـــــهــــدتـك آهـلاً — بـالحـبِّ غـــيـــرَ مُـــعـــذَّل
وعـــهـــدتُ فـــيـك الحـب بـيـ — ـن مُـــنــــوّر ومـــكـــلـــل[2]
يـا قـلـبُ هـل مـن مـــــرجـعٍ — ذاك الـزمـــــــان المـنـجـلـى
هـيـــهــــات لـيـس بـعـــائـدٍ — عـــهـــد الـهـــوى المتـــحـــمـل[3]
أصـــبـــحـت كـــالـقـــبـــر الـذلـيـ — ـلِ وكـــــالظـلام الألـيـل
من بـعـــد مـــا قـــد كـــان حـ — ـبك كـــالرحـــيـقِ الـسـلـسـل
فـــشـــمـلـت من شـــجـــوٍ ومن — يـعـــشـق كـعـــشـــقـك يـشـــمـل
وتـــقـــــــــول إن أمـل بـــدا — يـا لـيـت ذلـك كـــــان لـى
قـــد كـــان يـعـــجـــبـك الـدلا — ل وعـــــزة المتـــــــدلـل
أصـــبـــحـــتَ لا أمـــلاً تـرا — ه ولا رضـــا المتـــجـــمـل[4]
كـــأسُ الحـــيـــاةِ تمجّـــهـــا — كـــالـشـــهــد شِـيـب بـحـنـظـل
فـى كـل يـومٍ لـوعـــــــــةٌ — بين الـضـلـوع كـــمـِـــرجـل[5]

(١) أورى : أشعل . (٢) الشجر المنور : ذو النور وهو زهر أبيض . (٣) المتحمل : الذاهب .

(٤) أى ليست عندك نشوة الأمل وفرحه ، ولا قناعة المتجمل بالرضا والقناعة .

(٥) المرجل بكسر الميم : القِدْر .

حــتَّــام أنتَ مــعــذَّبٌ ... تـرضـى بعـيـش مـذلـلِ
ولقـد ظمـئتَ إلى السـرا ... بِ فـعش كـقـفـرٍ ممحلِ[1]
هـذا جـزاءُ مـعـانـدٍ ... يـرضـى بـحـبٍّ مـضـلـل
ويـذوب إثْـر الـغـادريـ ... ـن بلـهـفـة المتـعـجل
ويـحبُّ سـحـارَ اللـوا ... حظ قلبـه كـالجندل[2]
فـاكـتم حنينَك يافـؤا ... د فـمـا السـرابُ بمنهل
ودع النسـيبَ فـسـحـره ... أعـيـاك من مـتـغـزل
إن الذى أحـبـبـتَـه ... ينـاى بقـلـب مـعـضـل
يا قلبُ مـالك خـافـقـاً ... أشـجـاك شـدوُ البلبل ؟

« أرسل الأستاذ الجليل عبد الحميد العبادى هذه الأبيات البديعة إلى صاحب الديوان» (٣)

ياشـاعـر القلب رفـقًـا إننـى وصب ... دامى الفؤاد أحانٍ أنت أم جان(٤) ؟
رفقًـا فلى مهجة إن لـم تكن فنيت ... فقـد غـدت أشبـه الأشـياءِ بـالفانى
قـرأتُ شـعـرك كى آسـو به حـزنى ... والشعر خير دواءِ المدنف العانى(٥)
فهـاج شعرك مـا بى اليوم من كبـد ... مـصـدوعـة وفـؤاد جـدٍّ حـران
لله أنت أقـوالٍ بـالـسـنـنـا ... تبدى خـفـى مشـوق القلب ولهان
إلاّ تكن عـارفـاً نجـوى ضـمـائرنا ... فـمـا لنا قـد حننا كل تحنان! (٦)

---

(١) ممحل : مجدب . (٢) الجندل : الصخر . (٣) هو الأستاذ المؤرخ عبد الحميد العبادى ، عميد كلية الآداب بجامعة الاسكندرية منذ عام ١٩٤٢ وتوفى سنة ١٩٥٥ (٤) أى إثارتك النفس بالشعر حنو عليها أم جناية لما يؤلمها من اهتياج عواطفها عند قراءته (٥) أسو: أى أداوى .

(٦) أى قدرة الشاعر على إثارة عواطف القراء ، دليل على عرفانه نجوى الضمائر وأسرارها .

كم ذا أريد لأنساه فيخذلني ... هوى دخيل وقلب غير معوانِ
سأقرأ الشعر يا « شكريّ » تبعثه ... وإن أثار عليَّ الشعر أشجاني
قد يعشق المرءُ ما يبلى حشاشته ... كأنما موتها محيا لها ثان !

فبعثت صاحب الديوان إلى عمل هذه القصيدة :

الشعر

طرب الفؤادُ فهاتها ... فالخمر فى أبياتها !
« عبد الحميد » جلوتها ... كالكأسِ فى لمعاتها
إن النفوسَ صحائفٌ ، ... الشعرُ من آياتها
والنفسُ طيرٌ صادحٌ ... والسحرُ فى نغماتها
لو راعَ كرَّ الدهر شيء ... ريع من نبراتها[(١)]
فترى الحياةَ قنيصة ... فى الشعر من عقداتها
والعيشُ نهزةُ شاعرٍ ... يقتصٌ من فلتاتها
والشعرُ تاريخُ النفو ... س ومعقلٌ لحياتها
والشعرُ كأسٌ للنفو ... س حذار من نشواتها
والشعرُ ورد يانعٌ ... غرسته فى جناتها
والنفسُ ريحٌ قد هفت ... بالشعرِ من نفحاتها

(١) ذلك لأن الشعر يذهب عن كر الدهر ، ويعيد الحياة الماضية وحوادث النفس التى تقضت ، وهو للنفس بمنزلة الربيع للسنة ، والشباب للعمر .

والنفسُ طوراً كالسمو ... م تروع فى لفحاتها
والنفس بحرٌ زاخرٌ ... والشعرُ من موجاتها
والنفس طيرٌ فى الحيا ... ة يطير فى روضاتها
فى أرضها وسمائها ... غرد وفى جنباتها
إن القلوبَ خوافقٌ ... والشعرُ من نبضاتها
فترى الحياةَ جميعَها ... منشورةً بصفاتها
والشعرُ مرآة الحيا ... ة تطل فى مرآتها
تجلو أساليبَ الحيا ... ة تلوح فى صفحاتها
فتراه فى آلامها ... وتراه فى لذاتها
والشعرُ فى عبراتها ... والشعرُ فى ضحكاتها
وهو المعينُ على الحيا ... ة يغضُّ من نكباتها
والشعرُ نورٌ ساطعٌ ... عادٍ على ظلماتها
ويصيغُ من ألم النفو ... سِ اللحن فى أناتها
ويضىء كلُّ جريمةٍ ... فيبين عن غاياتها (١)
فهو الخبيرُ بما يحد ... ثُ النفسَ فى فعلاتها
للنفسِ نشوةُ راقصٍ ... والشعرُ من رقصاتها
للنفس همةُ ساحرٍ ... والشعرُ من نفثاتها

---

(١) ذلك لأنه يشرح الانفعالات النفسية التى دعت إلى إتيان تلك الجرائم ، ويفيض عليها نور الصياغة الفنية .

فـى كُـل نـفـسٍ مـنـزلٌ ... للشـعـرِ من حـركـاتـهـا[1]
فـى الطفل والرجل الكبـيـ ... ـرِ يجـول فـى حـالاتـهـا
وتراه فـى فـتـيـانـهـا ... وتراه فـى فـتـيـاتـهـا
فـى حـزنـهـا وسـرورها ... وطمـوحـهـا وشكاتـهـا
والشـعـرُ نغـمـةُ صـادح ... والنـفسُ من آلاتـهـا
أشـجـانُهـا أوتارُها ... والشـعـرُ من رناتـهـا
ولـكـلِّ شـىءٍ مـبـعـثٌ ... للنفس من رقـداتـهـا
والشـعـرُ كـالإلـهـام يأ ... تـى النـفس فـى يـقـظـاتـهـا
والكون آيـةُ شـاعـرٍ ... يـأتـى بمـبـتـكـراتـهـا !

بين العذر واللوم

ألا عـلـلونـى بـالظـنونِ الكـواذبِ ... ولا تتـركـوا قلبى لنـهب النواهبِ
ولا تسـألونى كـيف أنت فـإننى ... أرى الموتَ فى هجر الحبيبِ المجانبِ
بخلتُ به بخلَ الشـحـيحِ بماله ... وكـان جـواداً بى على كـل عـاتـبِ
فـلا تحـسـبوا حـبى غـروراً وزهوةً ... كـأنى خليقٌ باقتـراب الحبـائب[2]
وإنـى لأدرى أننى لسـتُ للهـوى ... وأنىَ مـشنوءٌ كـثـيـرُ المعـايب[3]
لذاك أذود القلبَ عنكم فـيـنثـنى ... إليكم فقلبى عندكم غيـر آيب[4]
فـلا تعجبـوا أنى لججت بحبـكم ... فـإن عـزاء النفسِ شـرُّ العـجـائب

(١) إن كل إنسان موضوع من مواضيع الشعر وكل إنسان شاعر صغير .

(٢) أى لا تحسبوا أن سبب حبى اغترارى بنفسى ، وزعمى أنى أهل للحب .

(٣) مشنوء : مكروه (٤) أذود : أبعد وأطرد . والآيب : الراجع .

وكنتُ أظنُّ الحبَّ أمنًا ولذةً ... فجار عليَّ الحبُّ بين النوائبِ
وكنتُ أظن الحبَّ في العيشِ بلسمًا ... فكان كريشٍ في سهام المصائبِ[1]
ومن لي بنزع السهمِ والسهمُ قاتلٌ ... إذا ولغت أطرافه كالمخالبِ[2]
أأحبابنا رفقاً بقلبٍ موله ... كثير الجوى عفُّ الهوى والرغائب
جعلتُ لكم عذراً على الصدِّ واسعًا ... فإن فؤادى عاذرٌ غيرُ عائب
وما كان لي في حبِّكم وجهُ حيلةٍ ... وكيف وقد سُدَّت وجوهُ المذاهب
وخلّفتموني أحسدُ الناسَ حبَّهم ... وأوحشتموني من حبيبٍ وصاحب
وخلفتموني إن مررتُ برفقةٍ ... بكيتُ على فقد اللدات الأصاحب[3]
وما ليَ حق عندكم فألومكم ... على الهجر إن أدلى محب بواجب[4]
قبلتم غرامي رحمةً وتطولاً ... فإن ارتضاءَ الحبِّ جهدُ المناقب
وحسبيَ في حُبّيكمو أن علمتمُ ... بأنكمُ في النفس خير الحبائب
فيا نشوة الحبِّ الذي أنا شاربٌ ... هوالحبُّ مثلُ الخمر مرُّ العواقب
ومن لو رآني هالكًا من صبابةٍ ... لخال فؤادي نهزةً للّواعب
أَضيءْ لي وجوهَ العيش منك بعطفةٍ ... فقد ضلَّ قلبي في سواد الغياهب
وأنت جميلٌ كالحياةِ محببٌ ... وإن كنتَ مثلَ العيش مرَّ التجاربِ
أبيت وطرفي بالنجوم مقيدٌ ... أردد لحظي في عيونِ الكواكب
فيا نجميَ النحس الذي أنا ناشد ... أراك ضئيلاً آفلاً غيرَ ثاقب

---

(١) البلسم : الدواء يستطب به . (٢) ولغ الكلب في الإناء إذا أدخل فيه لسانه . وهنا تشبيه السهم وتلوثه بالدماء بلسان الوحش أو مخالبه . (٣) اللدات : القرناء . (٤) أدلى به : متّ وشفع .

فليت حياتى غالها الموتُ غولْةً ... وأصبحت فى قبرٍ ذليل الترائبِ
أُدَلّىً بمهواة سحيق قرارها ... ويُحْثى علىَّ الترب من كل جانبِ(١)
فإن متُّ لا تبكوا علىَّ بلهفةٍ ... ولا تُسمعوا روحى نواح النوادب
فإن نفاقاً ما يكون بكاؤكم ... وخشيةَ لومٍ ما نواح الأقارب
ويا قلبُ كم تبغى مصادقا ... وتبصر فى الأحلام صفوَ المشارب
فتغفى قليلاً بين وافٍ وصادقٍ ... وتصحو طويلاً بين خبٌّ وكاذب
وإن غروراً بغية قد بغيتها ... فلا تأس إن أمسيت فى عيش خائب(٢)
أما أنت مثل الناس خباً وكاذباً ... صميم الخنى جمّ الأذى والمثالب(٣)
وكلُّ امرئٍ فى العيش للعيش خادمٌ ... يقادُ الفتى فيالعيش قودَ الجنائب

نجوى

أسارقه الألحاظَ والناسُ بيننا ... فترجعنى عنه العيونُ النواظر
وينفر من قلبى وقلبىَ روضه ... ويزهد فى حبّى وحبىَ طاهرُ
وهل أنت إلا كعبةٌ أنا عابد ... وهل أنت إلا منسك ومشاعر ا
وإن كنتَ فى الصحراء فهى خميلةٌ ... وإن كنت بين الزهر فالروض باكر
وكيف يكون الروضُ بعدك ناضراً ... إذا لم يكن فى أيكه منك طائر !
ألا إنَّ روضِى صوّحت شجراته ... فلا النبتُ مخضرٌ ولا الزهرُ زاهر

(١) بمهواة : أى حفرة عميقة . ويحثى: أى يهال . (٢) لاتأس : أى لا تحزن .
(٣) المثالب : المعايب التى يذم لها المرء .

وغاضت عيونُ الماء فيه وأدرجت	عليه أكاثيبَ الترابِ الأعاصرُ[1]
وأصبحَ مهجوراً خرابا ترودُه	وحوشُ الفيافى والطيورُ الكواسرُ
وقد كان كالفردوسِ حسناً وبهجةً	فأهلكه صرفٌ من الدهر غادرُ
وأهلكه أن لا حبيبَ يزوره	فلا الطير تهواه ولا الغيث ماطر
وكيف يعيشُ النبتُ والغيثُ باخلٌ	وكيف يسرّ القلب والحسنُ هاجر ؟
ومالحسنُ إلا روضة النفس ، والهوى	علالة نحس الجدّ ، والجدُّ عاثر
وما الحسنُ إلا حاجة النفس إن أُصب	فلست أبالى الدهرَ ، والدهرُ غادر
وحسبىَ فضلٌ للذى أنا عاشق	وما كلُّ حبٌّ فخر من هو فاخر
وأحببتُ من قد كان مثلك بهجة	فشطّت به عنى المنايا البواكر
يذكّرنيه كلُّ قولٍ تقوله	وهيهات لا تجدى الحزينَ الخواطرُ
وكنتُ وإياه كعينٍ وأختها	وكنّا كسرٌ غيبته الضمائر
وكنا نجوب الليلَ ،والليلُ فاتنٌ	وكنا نؤم الفجرَ ، والفجرُ حاسر[2]
وكان على رغم الحسودِ ودادنا	هياماً وتحناناً تجن السرائر
سلامٌ على البدر الذى غيّب الردى	وليس على البدرِ الذى هو هاجر
فيا بدر إنّ العيشَ بعدك مظلمٌ	ويا بدر إن الطرفَ بعدك ساهر
ويا بدر طهِّر بؤسَ عيشي ونحسَه	بضوئك إن الضوءَ كالماءِ مائر[3]
ففيك معاني الحسنِ والشعرِ والهوى	وأنت كما تهوى النهى والبصائر
فيا بؤس للحيِّ الذى ليس فاتئًا	ينوح على من غيبته المقابر ![4]

(١) أكاثيب : أكوام . والأعاصر : العواصف .	(٢) حاسر : سافر .
(٣) مائر : نافذ وشفاف وجار .	(٤) فاتيء: باق ودائم .

عقوق الغدر

محضتُك النصحَ فى سرِّى وإعلانى ... كـأنما النصحُ من دينى وإيمانى !
قد كان لى حلمٌ فى الناس أنشده ... يجلو همومى ويأسو كُلمَ أحزانى
حلم من الصدق والإخلاص تنسجه ... أواصرُ الشعرِ من سحرٍ وتبيانِ
وشمتُ فيك خصال النفس زاهيةً ... والنفس تُجلى بأوصافٍ وعنوان
حسبت نفسك نوراً ما به ظلم ... فما اعتذارى إذا ما طاش حسبانى ؟
قوارص عنك تأتينى وأكتمها ... بأى وجهك بين الناسِ تلقانى؟
تذيع أن ودادى فىَّ منقصةٌ ... حسيبك الله من عادٍ ومن جانى
حسيبك الله ليس السوءُ من شيمى ... ولا الخيانة والإسفاف من شانى
فى أى شرع يجوز الغدرُ عندكمُ ... حتى تقابل تحناناً بعدوان ؟
تقول بالظن قولاً لست صادقه ... يا بعد ما بين ذى صدقٍ وظنان
أحسنتُ ظنى وحسنُ الظن تجهله ... فسوءُ ظنِّك فيه شك حيران
أستودع الله ما قد خلته زمناً ... فيكم وأبرأ من ودٍّ وتحنان
ما أنت أول من خانت أواصره ... وراح ينقض بين الناس بنيانى
أعيا على الناس أمرُ الناسِ كلهم ... فالخلقُ للخلق شيطانٌ لشيطان
ليت الزمان عدانى عن لقائكمُ ... كى لا أُلام على سخرٍ وأحزان
لولا خيانتكم ما خلتُ من شجنٍ ... إن الفضائل من أحلامِ غفلان
تغتابنى ، ثم تلقانى وتضحك لى ؛ ... والقلب ملآن من سوءٍ وأضغان
كم ضاحكٍ هو مثلُ الزهرِ مبسمه ... وفيه حتفك من سمٍّ وذيفان

يا رُبَّ شاكٍ شكاه الناسُ قاطبة فراحَ يقدح فى صحبٍ وخلانِ
بينا أُنوّهُ فى أمن بذكركم إذ أنت تنقص من قدرى ومن شانى
هذا جزاءُ امرئٍ بالناس منخدعٍ فالغافل الغرُّ فينا فرصةُ الجانى
أقول علَّ الذى بُلغته كذبٌ هيهات ما هو من إفكٍ وبهْتان
فقد أتى بدليل لست تدفعه وهل يكذّب من يسعى ببرهان؟
يا ربّ لا يُرتجى فى الأرض ذو ثقةٍ عفّ اللسان على صحبٍ وخلصان
لأى أمرٍ يعيش الغادرون بها أما تضيق على خبٍّ وخوان
من صح نفسًا فلا يزرى به صغر إن الكبيرَ كبيرُ النفسِ والشان
بعضُ القلوب قلوبٌ قال بارئها كونى عن الصدقِ والإخلاص فى شان
بعضُ النفوس نفوسٌ كلها جيفٌ فاربأ بنفسك عن نتنٍ وديدان
وكن كما خلت فيك الفضل أجمعه وحسب نفسك من لبٍّ وأذهان
اعتدت من أهل دهرى كلَّ منقصةٍ فلا ألومك فى مكرٍ وعدوان
وما عتابيك فى طبع بليت به الطبع أغلبُ من نصحٍ وعرفان !

بعد الود

سلامٌ عليكم يا أخلاى أنتمُ لقد طالَ هجرٌ منكم فنسيتمُ
فأصبحتمُ فى العين كالناس كلهم وقد كان قِدْماً مطمح العين فيكمُ
وقد كنت قدماً أبصر الزهر منكمُ وأسمع شدوَ الطيرِ إما نطقتمُ
فخلتم ودادى خلةَ العبد ضلةً فراح بنا عنكم عزاء ورحتمُ
فما كان من فضلٍ لديكم وددتكم ولم تر نفسى الودَّ براً لديكمُ

خلعت عليكم نورَ حبى وخلتكم	كـمـا يخلع القلبُ المحبُّ عليكمُ
فكنتم لدى نفسى كما النفسُ تشتهى	يلوحُ لعينى مطمحُ النفس منكمُ
فأصبحتمُ ذكرى كأمس الذى مضى	وغُضّت لحاظُ العينِ والقلبُ عنكمُ
فكونوا كما شئتم جفاةً فإننى	عرفتُ عزاءَ الصبرِ حين غدرتم
وهونتُ من وجدى وكفكفتُ عبرتى	ونامَ على السلوان طرفى ونمتم
فإن غبتمُ ما حنَّ قلبى لذكركم	ولا أنتمُ منا ولا نحن منكم
لقد هنتمُ إذ هان حبى لديكمُ	ولو صنتمُ ودى لكنا وكنتم
وكنتم مكان النجمِ عندىَ عزةً	فأطغاكم ذاك المكانُ فهنتم
دعوتكمُ للودِّ حين وددتكم	فكان بكم وقر إذا ما دُعيتم
ورتلتُ آيات الإخاء عليكم	فهل كان ذنبى أنكم ما فهمتم
وأنتم وجدتم قسوةَ الغدرِ لذةً	فلما بلونا راحةَ الصبر لمتمُ
قسوتم علينا إذ حننا إليكم	فلما أردنا هجركم ما رحمتم
نزعنا نزوع اليأسِ عنكم فلمتمُ	فإن شئتمُ عدنا إليكم وعدتمُ

الحب والطبيعة

رحمَ اللهُ محبّاً والهاً	لم يجد من حبكم وجه المآب
أنَّ مما نابه من هجرِكم	كأنين الريحِ فى الربع الخرابِ
وهو كالعصفورِ غريداً على	غصنه والغصنُ يزهو كالشباب
وترى العاشقَ فى لوعاته	أبداً بين سكونٍ واصطخابِ
وهو كالبحرِ وللحب جلالٌ	كجلال البحرِ مخشيّ العباب

وقطوبٌ كـــقطوب الليلِ إن		أقبلَ الليلُ كإقبال السحابِ
وله بشر كبشر الفجر إن		سرّه وعدُ حبيبٍ باقترابِ
وهجير كهجير القيظِ إذ		غلواء الصيف ريعان التصابى
وهو آناً عزةٌ مثل السهى		وهو آنا ذلةٌ مثل التراب
وهو مثلُ النارِ من أشجانه		أبداً بين اضطرامٍ والتهاب
يحسب الكونَ إطارًا دونه		رسم من يهوى مضيئاً كالشهاب
أو كتاباً فُصّلت آياته		وحبيب النفس معنى للكتاب
الهوى والمال والجاه سواء		نشوة العيش وغايات الطلاب
فهى تلهى المرءَ فى دنياه عن		عبثٍ للعيش خدّاع السراب
لا تَرُح بالصحو من كاساتها		فترى العيشَ بألحاظ غضاب
اسقنى خمرَ المساعى والهوى		فجمالُ العيشِ فى ذاك الشراب

نرجس

نرجس أنتِ الحسن يا نرجسُ		تشتاقكِ الأبصارُ والأنفسُ
ترضعك الشمسُ بأضوائها		واليوم صحو أفقه مشمس
تحنو على الغدران مستأنساً		يا زهرة فى روضها تغرس
تبصر وجهَ الحسن فى مائها		بحسنه كلُّ امرئٍ يأنس
حتى إذا البدر بدا ضوءُه		يزينه فى ثوبه الحندس
أفقت فى جسم كجسم الدمى		يُلتذ منه الشم والملمس
كالدرُ من أصدافه خارجاً		والدرّ فى أصدافه يُحرس .

عند غـــديرٍ شَـــبِم مـــاؤه   خلعت من ثوبك مـــا يلبس[1]
لكى ترى حـــسنَك فى مـــائه   تخلس منه العينُ مـــا تخلس
تدلّ بالحـــــسن على بدره   والبـــدرُ دانٍ فـــوقـــه يلمس
فـــأنت والبـــدر على مـــائه   بدران قـــد حـــفّـهـمـــا الحندس
وتســتـــحـــمـــان على مـــائه   وأنت من بدريكمـــا الأنـفس
تقـــوم قـــرب البـــدر فى مـــائه   لكى ترى أيكمـــا الأملس
تعـــوم كـــالنشـــوان من حـــسنه   تُسكر من خـــمـــرته الأكـــؤس
نرجس أنت الحـــسن يا نرجس   يقـــبس منك الطرفُ مـــا يقـــبس
أشـــهى من الروضـــة إذ تنثنى   قـــدك من أغـــصـــانهـــا أميس
وطرفـــك الأدعـــج يـا نـرجـس   يشـــوق فـيـــه الحسن إذ ينعس !

الحطاب والحشرة

أو

دين الكون

خـــرجت من حـــجـــرات الـ   أرض والـــعـــينُ تـــراهـــا
ذات ذل وخـــــشـــــوع   تحـــسب الخـــيـــر نماها[2]
داســـهـــا العـــابرُ قـــدمـــاً   فـــهـى لا يُخـــشى أذاها
فـــرآهـا حـــاطـبٌ يســـ   ـعى لحـــاجٍ قـــد بغـــاها
قـــال بالظن وقـــدمـــاً   كـــان مـــا ظن ســـفـــاها

(١) الشبم : البارد . (٢) أى تحسب أنها تنسب إلى الخير .

قـــال لا يســـعى إلى الشـ ـرُّ ضـــعـــيف قـــد تناهى(١)

بلغ الإشـــفـــاق منه مـــبلغـــاً حـــتى حـــمـــاها

قـــالت الحـــيـــة قـــولاً حـــجـــة فـــيـــمـــا عـــراها

إنما الحـــمـــدُ قـــيـــودُ الـ ـسُّبلِه مـــفـكوك عـــراها

بُنيَ الكـون على الخـــد عـــةِ لا دين ســـواها

كـــل نـــفـــس ذات مـــكـــرٍ حين تســـتـــدنى مُناها

كم مُـــداجٍ وجـــد الشـ ـرُّ مطايا فـــامـــتطاها

بلغ القـــصـــدَ ولما يعـــبـــد التـــقـــوى إلهـــا

بـــلـــغ الـــنـــجـــح ولما يبلغ الحـــسنى رضـــاهـا

لذعـــتـــه لذعـــة الخـ ـبِّ فـــأخـطـاه أذاهـا (٢)

فـــرمـــاها تحت رجليـ ـه هـواناً وقـــلاهـا

ليت وطأ مـــا عـــداها ليت طرفـــاً مـــا رآها

ربّ خـــبٌّ دفـــنـــوه تحت أرض قـــد حـــشـــاها (٣)

لا تُصب بالخـــيـــر نفـــسـاً ليس للخـــيـــر هـواها

قـــد يُضل الســـوء حـــتى تبلغ النفسُ عـــمـــاها

فـــتـــرجّى كل خـــيـــر فى الذى فـــيـــه رداها

إنما الرحـــمـــة ضـــعفٌ إن تُـصـــب مـــن لا يـــراهـا !

---

(١) أى بلغ الغاية فى الضعف . (٢) الخب : الماكر المخادع . (٣) حشاها : هالها .

الوتر المفقود

أحسست أن نفسي ... من شجوها كعودِ
أوتارها مليةٌ ... بالنغم السديدِ
تخلق من ألحانها ... روحاً لذى الجمود
ألحانها معانٍ ... من محكمِ القصيد
لكل معنى وترٌ ... فى عودها المشدود
فللشقاءِ وترٌ ... ووتر المسعود
ووتر يشدو لها ... بالمطلبِ البعيد
كأن ريحاً إن شدت ... تطلق من ركود
ووترُ الحزينِ ... ووترُ السعيد
ووترٌ مقتبسٌ ... من جنة الخلود
قد وقعت عليه الـ ... ألحانُ بالترديد
كأنها من لحنه ... فى فرحٍ وعيد
تسمع فى ألحانه ... بلابل التغريد
يا نفس ما دهاكِ ... من شقوة الجدود ؟
فوقعى عليه ... وغردى وعودى
واحسى الغناءَ وانتشى ... من طربِ النشيد
هيهات أين منى ... ذو الوتر المنشود
قد كان فى فؤادى ... كجنةِ الخلود

لشد ما أعانى   للوتر المفقود !

أغاريد شاعر

نغماتُ البلابلِ   أم أغاريد شاعرِ
لعبت بالسرائر   واستبدت بخاطرى
نقعت غلةَ الفؤا   دِ بريٍّ الهوامرِ
وغيوث مواطر   من غيوث البصائر
أخصب القلب بعدها   من صنوف الأزاهر
بعد ما كان مجدباً   من قشيبٍ وناضر
إنما الشعرُ نغمةٌ   كحنين المِزامر
أو رعود الرواعد   أو أنين الأعاصر
ومعانٍ خوالد   كالنجوم الزواهر
إنما المرءُ ذرةٌ   فى رياحِ المقادر
إنما العيشُ نغمةٌ   فى زفير الزوافر
نغمةُ الخفضِ والنعيـ   ـم ونحس مخامر
إنما العيش قصة   أو أحاديثُ سامر
فأجز عنىَ الهمو   مَ بألحان شاعر
نغماتٌ شجيةٌ   هى خمرُ المشاعر
كل أمرٍ نحسه   فرصات لشاعر
إنما الشعر فى الحيا   ةِ كمنظارِ ناظر.

يصف الناسَ كلهم … من تقىً وفاجرِ

يُشعر المرءَ حالهم … من صروفِ المقادر

يرفع النفسَ سحره … عن وهادِ الحقائر

لسماءِ العظائم … عن حضيض الصغائر

فهو دينٌ لطامح … من مصيبٍ وعاثر

يصف العيشَ فى الكما … لِ عديم المحاذر

فيحنّ الورى إليـ … ـه حنينَ المسافر

فيه إغراءُ وارد … وبه حثّ صادر

يجعل اليأس والطمو … حَ دواء المغامر

يدفع النفس بالخيا … لِ لورد المآثر

يُبلغ النفس أفقها … كجناحٍ لطائر

لاتقاس النفوس بالـ … ـمالِ فى ذخر ذاخر

وهو دينُ الضمائر … لا مقال المنابر

يفتح النفسَ ضوؤه … مثل ضوءِ التباشر(١)

مثلما يفتح الصبا … حُ زهىَّ الأزاهر

يلقح النفس وقعه … ربَّ نفس كعاقر

---

(١) التباشر : أول الفجر ، قال الشريف الرضىّ :

وربَّ سنا أرقت له … يخادعنى تباشره

صوت الله

نجوى المؤمن

أنصت ففى الإنصات نجوى النفوس فـــإن صـــوتَ الله دانٍ كليمْ
وكلنا مـــوسى لدى ربّه وكل روحٍ حين يصفو عظيمْ
وإنما نفسُ الفتى معبدٌ يضُيئها الله بنورٍ عميم
والنفس بيتُ الله إن طهرت والنفس إن لم تصف مثل الجحيم

* * *

أنصت أما تسمع ذاك الدعاء صداه فى الأنفس صوت الضمير ؟
من ذا الذى أودع فيك الرجاء ومطلبَ الخير وكره الشرورْ ؟
يا هاتفًا فى جنح ليلٍ بهيم لبيك فالقلبُ كعبدٍ أسير
أنت رجاءُ النفس فى أسرها تضيءُ فى العيش ظلامَ الأمور
وأنت صحو الروح فى بحثها من نشوة الفكر وسكر الغرور

* * *

إن كثر الخطب وعمَّ البلاء فقربه للنفس قرب الرجاءْ
ففى الأسى يبدو ضياءُ المنى وفى الأسى نبصرُ منه الضياءْ
والوقر عن نجواه وهن النفوس والوهن فى الأنفس داءٌ عياء
نجواك نجواك دواء الأنام من عنت العيشِ ووقع الشقاء

* * *

تسكب منك الضوء فى الأنفس فيرفلُ العيشُ ببردٍ قشيبْ

يعـبـدك الناسُ بأعـمـالهم ... ومـا يعـانون لوقعِ الخطوبْ
وبالأسى فى عـيـشـهـم والندم ... عـبـادة الندب الجليـد المصـيب
طوبى لمن روَّض من نفـسـه ... فـإن صـوتَ اللهِ منه قـريـب

وارحمة للناس

تعلمنى الأقـدارُ أن أرحمَ الورى ... فـقلبى لكل العـالمين رحـيمُ
وأنظر فى نفسى وأعرف عذرَهم ... على شـرِّهم داءُ النفـوس قـديمُ
وإن جـمـيعَ الناسِ أهلى وإخـوتى ... وإن كـان فـيـهم جـارمٌ وذمـيم[1]
فيـا ويح هذا الخلق مما يصـيبـهم ... مـقـادير يتلوها أذى وهمـوم
وليس خصيمى من يريد شقاوتى ... فـإنّا جـمـيعـاً للقـضـاءِ خـصـوم
أليس أسير الشرِّ أولى برحـمـةٍ ... وأى امـرىءٍ مما يُذم سـليـم
أليس أسير السوءِ يغدو معـذبًا ... به من حـزازات النفـوسِ كلوم[2]
وأحسنُ ما فات امرأً حسن نفسه ... وإن خـفـيت عـمن يودُّ وصـوم[3]
وليس شـقـاءُ المرءِ رهنًا بشـره ... وليس على قـدرِ العـقـولِ نعـيم
فـوارحـمـة للمـرءِ حتى حـيـاته ... تناهـب قـوتٍ إنه للـئـيـم
وإن أشـدَّ اللؤم لؤمُ ابن طعـمـة ... يبـيع بهـا من نفـسـه ويسـوم
وليس يبالى الناسُ هلك نفوسهم ... إذا سلمت طول الحـيـاة جـسـوم
فنونٌ وآداب وفـقـةٌ وصنعـةٌ ... وفـضـلٌ وجـاه واسعٌ وعلوم

(١) الجارم : المجرم . (٢) الكلوم : الجروح . (٣) الوصوم :جمع وصم والمقصود آثار عيوب النفس .

وسـائلُ يسـتـدنى بهـا رزقَ يومـه	يريم به فى عـيـشـه ويقـيـمُ[1]
فـوارحـمـة للمـرءِ من سـقـمٍ نـفسـه	وكل الذى يبـغي الشـرورَ سـقـيم
ووارحـمـة للمرءِ من عـجز نفسـه	هو العزم إن حال القضاءُ عقيم[2]
ووارحـمـة للمـرءِ إن بات عـانيـا	يـحنُّ إلـى ورد المنـى ويحـوم
ووارحـمة للناس من سخرِ عيشهم	وسـيّـان فـيـهم واجـدٌ وعـديم[3]
حياةٌ كـمسـتشفى السـقام أليمة	فـيسـقم فـيـهـا أشـيب وفطيم
خـليـق بنـا أن يـرحـمَ المرءُ صنـوَه	فكـلٌّ لكـلٍّ عـاذرٌ ورحـيم

جهاد المصلحين

أسـائلُ عن هذا الورى ومـآله	فـيخـرس داعٍ بيننا ومـجـيبُ
أفى كـلِّ يومٍ مـعـرك بعـد مـعـركٍ	حـروب على آثارهن حـروب
ولو كـان يجـدى أن تطيحَ ضحـية	فـإن شـقـاءَ العـاملين حـبـيب[4]
خـليليَّ هـذا الكـون من أوليـاته	أأصلحـه فى العـاملين طبـيب؟
وكم من نفـوسٍ سـاميـات أذلهـا	فـعـادت بأدناسِ الحـيـاة تطيب
ترى دنسَ الأشـيـاءِ رؤيـةَ آلـف	يرى أن أحـلامَ النفـوس لغـوب[5]
يظن جـهـاد المرءِ فى العـيش ضلة	وأن مـسـاعى المصلحين تخـيب
يرى أن خـيـرَ الكونِ ما هو كـائنٌ	ووحى النفـوس السـامياتِ مـريب
ويحـسـب أن الشـرَّ ضـربةُ لازب	وأن أسـاليب الحـيـاةِ ضـروب

(١) يريم : يمكث . (٢) عقيم :عديم النتيجة . (٣) لواجد : تعنى الغنى . والعديم : المعدم الفقير .
(٤) تطيح : أى تهلك . (٥) اللغوب : أشد التعب .

ويصبح فى مجرى الحوادثِ ريشةً تجـوب به الأيام حـيـث تجـوبُ
ويطفئ نور النفس حـتى كـأنما دواعى النفـوس الساميات عيوبُ
ويحسب نشدانَ الكمالِ حماقةً وأن دعـــاءَ المصلحين ذنوب
لئن فشلت للعاملين أولى النهى مـســاعٍ وذلت أنفسٌ وقلوب
فإن شـرورَ العـالمين كـثيـرةٌ وإن الخطوبَ العـائقـات تنوب
وهمة باغى الخيرِ كالدهر صبرها وقلبُ الذى يبغى الكمالَ رحيب
وإن أمـانىَّ النفـوسِ كـثيـرةٌ تريك ضيـاءَ النجحِ وهو قـريب
وكيف يرى سارى الحياة سبيلَه إذا حـان من نجم الرجـاءِ غـروب
ولولا ضـحـايا العـاملين لأرهقت شـرور على إثر الشـرورِ تصيب
فلا تعجبنْ أن الشـرورَ كـثيـرةٌ ولكنَّ بأسَ العـاملين عـجـيب!

الروح السوداء

يا سـوأة مـا مـثلهـا سـوأة مـا بك من حـقـدٍ وأوغـامِ
يا سـوأة كـالدهر فى وسـعـه تنمـو بمرِّ العـامِ والعـامِ
تنقص من خـيـرٍ ومن عـفَّـةٍ وعـيـبك المستنبت النامى
لو أطلقت روحك وسط الضحى لألبـسـتـه ثوب إظلام
كـأنما ينسـابُ منهـا الدجى يزخـرُ فى ديجـوره الطامى
مـا خلقَ الرحـمنُ من خـصلةٍ يطيـر فـيـهـا لوم لوَّام
إلا على وجـهك مكتـوبة كـأنهـا من خطِّ أقـلام
خـاتم إبليس على جلده بيّنةٌ فـيـه لأفـهـام

روحُك كانت قبل فى ناهقٍ ... ريض بأسراجٍ وإلجامِ[1]
فلسفة لا شك فى صدقها ... فلم تكن أضغاث أحلامِ !
فى كلِّ فضلٍ قادح واقع ... تنهشه فى نابك الدامى
وذاك برهانٌ على صدقها ... والصدقُ ذو وقعٍ وإحكامِ !

سنة العيش

التنافس ام التعاون

إنى لأفكر ، والأيام موعظة ، ... فى السابقين وفى التالين من أممِ
من عهدِ آدم من أنفسٍ شقيت ... وكم عيونٍ بكت من شجوها بدم
فى النور قومٌ ، ضياءُ العيش خمرتهم ... وكم أناسٍ شقوا بالعيشِ فى الظلم
ظنّ السعيد شقاء النحس متهماً ... مرأى الشقاءِ لدى المحدود كالتهم
فإنما طعمة المسعودِ يمزجها ... عيش المناكيدِ بالأسقامِ والألم
ما نالَ طعمة قوت ساغها سغب ... إلا كأن مُزجت فى صنعها بدم[2]
لا تسمعنّ مقالاً قال قائله ... وما أصاب صواب الرأى فى الكلم :
اضحك ولذَّ فإن العيشَ منتهبٌ ... وأضيعُ الأمرِ عيشٌ حيط بالعدم
فذلك القول حربٌ للنهى أبداً ... قد صيَّر الناسَ للذاتِ كالخدم
ظنوا الحياةَ محالاً أمرها أبداً ... إلا على الحقد والبغضاءِ والنقم
وإنما ملجأ النفسِ التى كرهت ... عزو الأمور إلى الأقدار والقِسم

(١) أسرج : وضع السرج . وألجم : وضع اللجام . وفى البيت إشارة إلى الاعتقاد بتناسخ الأرواح .
(٢) السغب الجوع .

إنَّ المحالَ لديها كل ما كرهت ... ليس المحالُ محالَ السعى والهمم
هذى المقابح طراً فى تنافسهم ... إنَّ التنافسَ داءُ الجائع النهم
طبع قديمٌ سينضو المرء خلعته ... مثل الأديم نضته صِمة الصمم[1]
لابد من فشلٍ من بعده فشل ... حتى يفيقَ سوادُ الناسِ من صَمم[2]
انظر إلى الناس ما فى عيشهم أربٌ ... داء الخماص وداء الهمِّ والتخم[3]
ظنوا التقاتلَ فيه سنة أبداً ، ... فعل الوحوش على الأدناس والرمم
انظر إلى الناسِ هل يبدى تنافسُهم ... غيرَ التباغضِ والأوجالِ والسأم
وكلما قام فيهم ناصحٌ وَجِلٌ ... قالوا هو الغرّ يرعى روضةَ الحلم[4]
العيشٌ حربٌ ولكن فى عدوهم ... حرب الطبيعة حرب الخير والحكم
حربُ الطبيعة حربٌ لا انتهاء لها ... حسب العقولِ وحسب العزمِ والهمم
إن كان يُخشى على الأرزاق أن كثروا ... فأحسن الداءِ داء العقم فى الرحم !
أتحمل الزوجُ كى يفنى الألى حملت ... بين المصانعِ والأسيافِ والسقم ![5]
لا يسعد الناس سن الحرص سنتهم ... حتى يُطهر داءُ الحرصِ بالندم !

الكونـــان

قلب اليائس :

ضـــاق قـلبى بما يجـ ... ـنّ ونفـسى بما تـشـا
فـهى كـالبيتِ مـغلقٌ ... نـازح الأهل قـد خـوى

(١) الصمة : الحية (٢) الصمم بالفتح : ذهاب السمع . (٣) الخماص : الجياع .
(٤) أى كلما ظهر مرشد قالوا إنه يريد تحقيق الخيالات والأوهام . (٥) الزوج : كلمة تقال للمرأة والرجل ، أى الفرد المزاوج .

راكدُ الجوِّ قاتمٌ ... فاسدُ الماءِ والهوا
يُفزع المرء من صدا ... ه إذا ردَّد الصدى
يحسب الجنَّ قد ثوى ... جمعها فيه ما ثوى
أغبرُ اللون عابسٌ ... مظلم الأرض والسما
ضاق صدرى بما يجـ ... ـنّ ونفسى بما تشا
فهى كالبيت مفزعٌ ... يُفزع الطرف بالدما
أهلك النفسَ جارمٌ ... فاتكُ النفسِ ما ارعوى
أصبحَ البيتُ خالياً ... مسكن البوم والدجى
يُسمع العابر المجـ ... ـدّ صراخاً إذا دنا
أسكت القلب وقعه ... روع الأمن والكرى
ضاق صدرى بما يجـ ... ـنّ وروحى بما يشا
فهو قبرٌ لعالمٍ ... قبل ذا الكون قد مضى
كلُّ روحٍ وذيلةٌ ... تهب العينَ ما يُرى(١)
فترى العينَ مايجىء ... ويبدو الذى انقضى
كان كالكون واسعاً ... لا يُرى بعده مدى
قُضى الأمرُ فانقضى ... بقى السعىُ والمنى
ضاق قلبى بما يجـ ... ـنّ ونفسى بما تشا

قلب الأمل:

فمتى يصبحُ الخرا ... بُ جناناً كما مضى ؟

---

(١) الوذيلة : المرأة .

ومـــتى تبلغ النفـو ... س مـداها من الحجى ؟
ومـــتى ينزعُ الورى ... قسوةَ السوءِ والخنى ؟
ومـــتى ينجلى الظلا ... مُ عن الفجرِ والضحى ؟
ومـتى تطهر النفو ... سُ من الشرِّ والأذى ؟
ضـاق صـدرى بما يجـ ... ـنّ ونفسى بما تشـا
تبـتغى عـالماً جديـ ... ـداً من الكون قد نشـا
خـارجـاً منه مثلما ... تُخرج الليلةُ الضحى
حـدث الناس أنه ... حُلمُ النفسِ فى الكرى
قبر ذا الكون مهد كو ... ن جنين ما إنْ بدا[1]
حـدث الناس أنه ... قول غرٌّ قد انتشى
ضـاق صـدرى بما يجـ ... ـنّ ونفسى بما تشـا
أيظل الورى كـذا ... بئسَ ما يفعل الورى !
عـبـثـاً يحلم الورى ... حلمَ الخيرِ والنهى
أم لأمرٍ مقدرٍ ... فهو للكونِ كالحدا[2]
حلمُ الخيرِ مُبلغ الـ ... ـكونِ ما ينقع الظمـا
فلئن كان خدعةً ... عـبـثـاً ننقل الخطى
ضـاق صـدرى بما يجـ ... ـنّ ونفسى بما تشـا !!

---

(١) أى أن كل كون بمكانة البذرة يخرج منها كون آخر أرقى منه .

(٢) أى أن الأنبياء والشعراء والمصلحين يسمعون ألحان الخير والنهى والكمال ؛ فكأن تلك الألحان حداء بهم إلى منازل . والحداء للناقة الغناء لها كى تتجشم السير .

نظرتان فى النفس

إذا جعل الإنسانُ نصبَ لحاظه مآثمه هانت عليه مكارمُه
فييأس حتى يحسبَ الخيرَ خدعةً وينحل عنه صبرُه وعزائمه
ويصبح لا يرجو صلاحاً لنفسه كأن سرابَ الخيرِ ما هو شائمه
ويحسب كلَّ الناسِ خبأً وماكراً يداريه عن آثامِه ويكاتمه
ويحسب أن الخيرَ والشر كذبة وأنَّ خيالَ الحقِّ ما هو حالمه
فيلتذ ما قد كان بالأمسِ كارها فتعدو عواديه وتسرى أراقمه
وإن جعل الإنسانُ نصبَ لحاظه مكارمه هانت عليه مآثمه
فيصبح مغرورا يتيه بخيره يرى أنَّ كلَّ الخيرِ ما هو عالمه
وإن صفات السوءِ ما ليس ربها وإن فتكت أسيافه ولهاذمه
كأنَّ محالاً أن يجيءَ بريبة وإن لامه فى الخلق من هو لائمه
وإنَّ هوان الفضلِ ينأى بلبِّه عن الفضل حتى يغرم الفضل غارمه
وإنَّ هوانَ الإثم يسعى بعزمه إلى الإثم حتى يأتىَ الجرمَ جارمه
وكم مغرمٍ للمرءِ فى بعض غنمه وكم مغنمٍ تزجى إليه مغارمه

تم

---

(١) لهاذم : سيوف قاطعة . (٢) أى بعض ما يصيب الإنسان ويعده غنماً يعود عليه بالخسر ، وبعض ما يعده غرماً يعود عليه بالكسب والفائدة .

الجزء الخامس

الخطرات

إن القلوبَ خوافقٌ — والشعر من نبضاتها
والشعرُ مرآة الحيا — ة تطلُّ في مرآتها
فتراه في آلامها — وتراه في لذاتها
والشعرُ في عبراتها — والشعرُ في ضحكاتها
والشعر كالإلهام يأ — تي النفس في يقظاتها
والكون آيةُ شاعرٍ — يأتي بمبتكراتها

« من قصيدة (الشعر) في الجزء الرابع لصاحب الديوان »

عن الطبعة الأولى للجزء الخامس

عام ١٩١٦

مقدمة

لصاحب الديوان

(فى الشعر ومذاهبه)

يقولون إن الشعر ليس من لوازم الحياة . ولو جاز لنا أن نعد الإحساس غير لازم للنفس ، أو التفكير غير لازم للعقل ، لجاز لنا أن نعد الشعر غير لازم للحياة . أليس مجال الشعر الإحساس بخوالج النفس وشرح ما يعتورها ؟ ويقولون إن الشاعر ينبغى أن لايجعل الشعر مالئاً لحياته . كأن الشعر ليس ضرورة الشاعر ودينه . فإن الشاعر الصميم يرى أن الشعر أجل عمل يعمله فى حياته ، وأنه خلق للشعر ، فليس الشعر متمما لحياته بل هو أساسها . هل العطر كمالي متمم للزهر ، أم العذوبة كمالية للماء ؟! كلا . فإن الزهر يراد لعطره ، والماء لعذوبته ، والنحل لشهده ، والشاعر لشعره .

ولو جئت بنفس ليست من النفوس المنغومة الموسيقية ، وأردت أن توقع عليها ألحان الشعر ، ما أفلحت . ولكن الشاعر إذا لم يتعهد بالتهذيب ، بقى كالحديقة التي طغى عليها كلؤها ومات زهرها . وينبغى للشاعر أن يتذكر كي يجيء شعره عظيما ، أنه لا يكتب للعامة ، ولا لقرية ، ولا لأمة ، وإنما يكتب للعقل البشرى ، ونفس الإنسان ، أين كان. وهو لا يكتب لليوم الذى يعيش فيه ، وإنما يكتب لكل يوم وكل دهر . وهذا ليس معناه أنه لا يكتب أولا لأمته ، المتأثر بحالتها ، والمتهيء ببيئتها . ولا نقول إن كل شاعر قادر على أن يرقى إلى هذه المنزلة ، ولكنه باعث من البواعث التى تجعل شعره أشبه بالمحيط - إن لم يكن محيطاً - منه بالبركة العطنة فى المستنقع الوبيء .

ويمتاز الشاعر العبقرى بذلك الشره العقلي الذى يجعله راغباً فى أن يفكر كل فكر ، وأن يحس كل إحساس . وهذا هو الدافع الذى يدفعه ، بالرغم منه ، إلى أداء ما قد خلق له من التعبير عن حقائق هيأته لها الطبيعة. فهو يقدر أن يتحمل جهل الناس ، لأن الشاعر الكبير يخلق الجيل الذى يفهمه ويهيئه لفهم شعره . ويعين الشاعر العبقرى فى أداء فرضته عليه الطبيعة ثقته من شعره بالرغم من كثرة إساءة ظنه به . فإن إساءة ظنه بشعره ، إنما سببها رغبته فى الكمال . وهى سائقة به إلى منازله . والشاعر العبقرى يعلم أن حياة

الشاعر حرب أدبية ينجلي بعدها النقع ، فيعرف الظافر والمنهزم .

ولقد فسد ذوق المتأخرين فى الحكم على الشعر . حتى صار الشعر كله عبثاً لا طائل تحته . فإذا تغزلوا جعلوا حبيبهم مصنوعاً من قمر ، وغصن ، وتل ، وعين من عيون البقر ، ولؤلؤ ، وبرد ، وعنب ، ونرجس ، إلخ .. ومثل ذلك قول الوأواء الدمشقى ، وهو البيت الذى ينسب ظلماً إلى يزيد بن معاوية :

فأمطرت لؤلؤا من نرجس وسقت   ورداً وعضت على العناب بالبرد

وذوق الأمويين برىء من أمثال هذا القول . ولا أريد أن أجمع على يزيد جرمين : قتل الحسين ، وقول هذا الشعر الذى لا بأس به ، إذا أريد للفكاهة والعبث ، لا للغزل الذى يشرح عواطف النفس ويشعرك إياها . وإذا أراد المتأخرون وصف الحب ، أكثروا من ذكر الدموع ، وقالوا إن دموعهم تغنى عن المطر ، وإن البحر قطرة إذا قيس بها ، وإنهم سلخوا عاماً لم يذوقوا فيه النوم ، وإن جسمهم صار أقل من القليل ، حتى إنهم يخشون أن يطيروا مع الهواء لنحولهم . وإنهم لايريدون أن يروا حبيبهم بالليل ؛ لأن طلعته تجعل الليل نهاراً فيفتضحون ولكنهم يريدون أن يروه نهاراً ؛ لأن طلعته من نورها تجعل ضوء النهار ظلاماً ، فيخفون عن العذال . إلى آخر ماذكروا من هرائهم . وإذا رثوا قالوا إن السماء كادت أن تسقط لموت المرثى . وإن الليالى لابسة حداداً عليه . وإنه قد شاعت تعازى الشهب باللمح بينها حزنا على النير الهاوى إلى الفلوات . وإن القمر به كلف حزناً عليه . وإن الرياح تنوح أسفاً على موته . وإن الملائكة لبست السواد حداداً عليه . وإن القبر لايسعه لأنه بحر . وإذا صلب أحد الأمراء ، قالوا إن قاتليه أجلوه فلم يرضوا له القبر . وينشدون أبيات الأنبارى التى يقول فيها :

ولما ضاق بطن الأرض عن أن   يضم علاك من بعد الممات

أصاروا الجو قبرك .. إلخ ..

ويقولون : انظر إلى مهارة الشاعر فى قلب الحقائق ، وإظهار الذميم مظهر الحسن . وإذا مدحوا قالوا لممدوحهم إن وجهك قمر ، ولحيتك ذهب يطرز هذا القمر . وأنت بحر ، وأسد ، وغمام ، وإن الدنيا لو دخلت فى صدرك لوسعها لأنه رحيب ، وأنشدوه قول المتنبى :

وقلبك فى الدنيا ولو دخلت بنا   وبالجن فيه ما درت كيف ترجع

وقالوا له : إنك لوغضبت على النجوم ، لانطفأت من غضبك . وإنك لولا انقطاع الوحى لنزلت فيك الآيات والسور . وإذا مات للممدوح قريب ، لم يكن في بيته حينما أدركته المنية ، قالوا إن المنية لم تجرؤ عليه إلا لأنه كان غائباً عنك .

وقد فسد ذوق القراء حتى إنهم إذا رأوا خيالا يفسر حقيقة ، لم تتملكهم هزة الطرب التى تنوبهم عند قراءة الخيال الفاسد ، إنما يعجبهم من الخيال استحالته وبعده عن المألوف عقلا . وإذا وضحت لهم فساده قالوا : إذاً كل خيال فاسد . وزعموا أن حلاوة الشعر فى قلب الحقائق ! وإخراجنا من هذا العالم إلى عالم ليس للعقل فيه سبيل . عالم يرخص المرء لعقله أن يتنزه فيه أينما شاء من غير خشية رقيب . كما يفعل الموظف كل سنة حين يترك فروض الحياة . ومن أجل ذلك شاع عندهم أن الشعر نوع من الكذب ، وليس أدل على جهلهم وظيفة الشعر من قرنهم الشعر إلى الكذب . فليس الشعر كذباً ، بل هو منظار الحقائق المقلوبة ، ووضع كل واحدة منها فى مكانها ، ولئن كان بعض الشعر نزهة ، فإن بعض النزهة فرض . ولئن كان بعض الشعر رحلة ، فهى رحلة إلى عالم أجمل وأكمل وأصدق من هذا العالم . رحلة إلى عالم يحس المرء فيه لذات التفكير ، أكثر مما يحسها فى هذا العالم الأرضى .

وإذا تدبرت ما ذكرته ، عرفت فساد ذوق الجمهور فى حكمه على الشعر . وكيف أنه يقبل على الشعر المرذول ويعده جيداً . ويعاف الشعر الجليل ، الصادق الخيال ، الكثير الحقائق . وبعض القراء يرى أن الشعر مقصور على التشبيه ، مهما كان الشبه الذى فيه متوهماً . ومثل الشاعر الذى يرمى بالتشبيهات على صحيفته من غير حساب مثل الرسام الذى تغره مظاهر الألوان ، فيملأ بها رسمه من غير حساب . وليس الخيال مقصوراً على التشبيه ، فإنه يشمل روح القصيدة وموضوعها وخواطرها ، وقد تكون القصيدة ملأى بالتشبيهات ، وهى بالرغم من ذلك تدل على ضآلة خيال الشاعر . وقد تكون خالية من التشبيهات ، وهى تدل على عظم خياله . وقيمة التشبيهات فى إثارة الذكرى أو الأمل ، أو عاطفة أخرى من عواطف النفس ، أو إظهار حقيقة . ولا يراد التشبيه لنفسه ، كما أن الوصف الذى استخدم التشبيه من أجله لايطلب لذاته ، وإنما يطلب لعلاقة الشىء الموصوف بالنفس البشرية وعقل الإنسان . وكلما كان الشىء الموصوف ألصق بالنفس ، .

وأقرب إلى العقل ، كان حقيقاً بالوصف . وهذا يوضح فساد مذهب من يريد وصف الأشياء المادية لأنها مما يرى ، لا لسبب آخر . وهذا الوصف خليق بأن يسمى الوصف الميكانيكي . فوصف الأشياء ليس بشعر إذا لم يكن مقروناً بعواطف الإنسان وخواطره ، وذكره وأمانيه وصلات نفسه .

فالخيال ليس مقصوراً على التشبيهات . والشاعر الكبير ، ليس هو ذا التشبيهات الكثيرة ، الذى يكثر من مثل وكأن . ولو كان ليس بعدها إلا المعنى المتضائل ، والصورة المضطربة ، غير المتجانسة الأجزاء . فإن الخيال هو كل ما يتخيله الشاعر من وصف جوانب الحياة . وشرح عواطف النفس وحالاتها ، والفكر وتقلباته ، والموضوعات الشعرية وتباينها ، والبواعث الشعرية . وهذا يحتاج فيه إلى خيال واسع . والتشبيه لا يراد لذاته كما يفعل الشاعر الصغير . وإنما يراد لشرح عاطفة أو توضيح حالة ، أو بيان حقيقة . وإن أجلّ الشعر هو ماخلا من التشبيهات البعيدة والمغالطات المنطقية . انظر مثلا إلى قول مويلك يرثى امرأته وقد خلفت له بنتاً صغيرة ، فقال يصف حالها بعد موت أمها :

فلقد تركت صغيرة مرحومة   لم تدر ما جزع عليك فتجزع

فقدت شمائل من لزامك حلوة   فتبيت تسهر أهلها وتفجع

وإذا سمعتُ أنينها فى ليلها   طفقت عليك شئون عينى تدمع

فهو لم يعلمك شيئاً جديداً لم تكن تعرفه . ولم يبهر خيالك بالتشبيهات الفاسدة ، والمغالطات المعنوية . ولكنه ذكر حقيقة . ومهارته فى تخيل هذه الحالة ووصفها بدقة . وهذا أجلّ التخيل . وأجل المعانى الشعرية ما قيل فى تحليل عواطف النفس ، ووصف حركاتها كما يشرح الطبيب الجسم . ومن أمثال هذا الغزل قول ابن الدمينة فى وصف حياء الحبيب :

بنفسى وأهلى من إذا عرضوا له   ببعض الأذى لم يدر كيف يجيب

ولم يعتذر عذر البرىء ولم تزل   به سكتة حتى يقال مريب

مثل هذا الشعر يصل إلى أعماق النفس ويهزها هزًا . والشعر ما أشعرك وجعلك

تحس عواطف النفس إحساساً شديداً ، لا ما كان لغزاً منطقياً ، أو خيالاً من خيالات معاقرى الحشيش . فالمعانى الشعرية هى خواطر المرء وآراؤه ، وتجاربه وأحوال نفسه ، وعبارات عواطفه . وليست المعانى الشعرية - كما يتوهم بعض الناس - التشبيهات والخيالات الفاسدة والمغالطات السقيمة ، مما يتطلبه أصحاب الذوق القبيح . فإذا لم يجد هؤلاء فى الشعر مغالاة سخيفة ، أو مغالطة معنوية ، أو ألعوبة منطقية ، أو تشبيهًا بينه وبين الخيال مثل ما بين لعب الأطفال بالألوان . وبين رسم تسشيانو ومهارته فى استخدام الألوان . أقول : إذا لم يجدوا ذلك فى الشعر قالوا إنه ليس فيه معنى ، فإذا سمعت هؤلاء يصفون قصيدة بأنها ملأى ، حسبت أن قائلها ذو ذهن خصب ، وعقل راجح كبير ، ونفس عظيمة . وأنه جعلها ذخيرة الحقائق ، والآراء السامية الشريفة . ولكن الأمر ليس كذلك ، إذ إنهم يعنون أنها مملوءة بالخيالات والمغالطات المضطربة ، وأن خيال صاحبها بهلوان شعرى ، أو مشعوذ يغرك بحركاته . فينبغى أن نميز ، فى معانى الشعر وصوره ، بين نوعين : نسمى أحدهما التخيل والآخر التوهم . فالتخيل هو أن يظهر الشاعر الصلات التى بين الأشياء والحقائق . ويشترط فى هذا النوع أن يعبر عن حق . والتوهم أن يتوهم الشاعر بين شيئين صلة ليس لها وجود ، وهذا النوع الثانى يغرى به الشعراء الصغار ، ولم يسلم منه الشعراء الكبار ، ومثله قول أبى العلاء المعرى :

واهجم على جنح الدجى ولو انه   أسد يصول من الهلال بمخلب

فالصلة ، التى بين المشبه والمشبه به ، صلة توهم ، ليس لها وجود . وكذلك قول أبى العلاء فى سهيل النجوم :

ضرجته دمًا سيوف الأعادى   فبكت رحمة له الشعريان

أىّ أعادٍ ، وأىُّ سيوف ؟ فى مثل هذا البيت ترى الفرق واضحاً بين التخيل والتوهم . أما أمثلة الخيال الصحيح فهو أن يقول قائل إن ضياء الأمل يظهر فى ظلمة الشقاء ، كما يقول البحترى :

كالكوكب الدرى أخلص ضوءه   حلك الدجى حتى تألق وانجلى

فهذا تفسير لحقيقة وإيضاح لها . وكذلك قول الشريف :

ما للزمان رمى قومى فزعزعهم تطاير القعب لما صكه الحجر(١)

فهو يشبه تفرق قومه بتطاير أجزاء الإناء المكسور . وهذا أيضاً توضيح لصورة حقيقة من الحقائق ، وهى تفرق قومه .

فتكلف الخيال أن تجيء به كأنه السراب الخادع ، فهو صادق إذا نظرت إليه من بعيد ، وهو كاذب إذا نظرت إليه من قريب . وبينه وبين الخيال الصحيح ، مثل ما بين الماس الصناعى وماس كمبرلى . وقد يكون سبب هذا الخيال الكاذب ، التأليف بين شيئين لايصح التأليف بينهما . ثم إن بعد وجه التأليف وخفاء الصلة ليس بمعيب إذا كان وجه الشبه بين الشيئين صحيحاً صادقاً ، وكانت الصلة التى بينهما متينة . فليس ظهور الصلة لكل قارىء دليلا على متانتها . فقد تكون ظاهرة ضعيفة ، وقد تكون خفية سليمة صادقة . فليس كل ما يخطر على أذهان العامة من الخيالات صادقاً صحيحاً . وهذا سبب من أسباب اشتباه العظيم من الشعراء بالضئيل . وعجز الناس عن التمييز بينهما . فإن العبقرى قد يغرى باستخراج الصلات المتينة الصادقة بين الأشياء ، فتقصر أذهان العامة عن إدراكها . وهذا ليس مذهب الناظم الوزان الذى يولع بأن يوجد صلات سقيمة بين حقائق ليس بينهما صلة . ولكن الشاعر الضئيل يشبه الشاعر الكبير من حيث إن الشاعر الضئيل يعرف أنه ضئيل بحسناته ، كما يعرف أنه ضئيل بسيئاته . وكذلك الشاعر العبقرى يعرف أنه عبقرى بحسناته ، كما يعرف أنه عبقرى بسيئاته ؛ لأن سيئاته سببها أنه واسع النفس ، حر الذهن ، غير مقيد بقيود المحاكاة فى فن الشعر .

إن القراء من الجمهور إذا قرأوا قصيدة جعلوا يلتقطون منها ما يناسب أذواقهم ، ثم ينبذون ما بقى من غير أن يبحثوا عن السبب الذى جعل الشاعر ينظم فى قصيدته هذه المعانى ، فهم كالمريض الذى فقد شهوة الطعام ، يأخذه متكرها . فهم لايغتفرون للشاعر أن يكون أوسع منهم روحاً ، وأسلم ذوقاً ، وأكبر عقلا . ويريدون منه أن ينزل إلى مستوى عقولهم ونفوسهم وأذواقهم . ويحكمون على قصيدته بأبيات منها تستهوى أنفسهم إما بحق

---

(١) القعب : القدح والإناء .

وإما بباطل ، لأنهم يعدون كل بيت وحدة تامة . وهذا خطأ ؛ فإن قيمة البيت فى الصلة التى بين معناه وبين موضوع القصيدة ؛ لأن البيت جزء مكمل ، ولايصح أن يكون البيت شاذاً خارجاً عن مكانه من القصيدة ، بعيداً عن موضوعها . وقد يكون الإحساس بطلاوة البيت وحسن معناه رهيناً بتفهم الصلة التى بينه وبين موضوع القصيدة . ومن أجل ذلك لا يصح أن تحكم على البيت بالنظرة الأولى العجلى الطائشة ، بل بالنظرة المتأملة الفنية . فينبغى أن ننظر إلى القصيدة من حيث هى شىء فرد كامل ، لا من حيث هى أبيات مستقلة ؛ فإننا إذا فعلنا ذلك وجدنا أن البيت قد لا يكون مما يستفز القارىء لغرابته ، وهو بالرغم من ذلك جليل لازم لتمام معنى القصيدة . ومثل الشاعر الذى لا يعنى بإعطاء وحدة القصيدة حقها ، مثل النقاش الذى يجعل نصيب كل أجزاء الصورة التى ينقشها من الضوء نصيباً واحداً .

وكما أنه ينبغى للنقاش أن يميز بين مقادير امتزاج النور والظلام فى نقشه ، كذلك ينبغى للشاعر أن يميز بين جوانب موضوع القصيدة ، وما يستلزمه كل جانب من الخيال والتفكير . وكذلك ينبغى أن يميز بين ما يتطلبه كل موضوع . فإن بعض القراء يقسم الشعر إلى شعر عاطفة وشعر عقل . وهى مغالطة غريبة ؛ إذ أن كل موضوع من موضوعات الشعر يستلزم نوعاً ومقداراً خاصاً من العاطفة والتفكير . فبعض شعر الشاعر تكون العاطفة فيه أوضح وألزم ؛ وفى بعضه تكون أقل وضوحاً . ولاريب فى ذلك ؛ إذ أن الغزل مثلا يستلزم نوعاً خاصاً من العاطفة غير العاطفة التى تبعث على خواطر الحكم والوعظ .

والأدباء فى مصر يخلطون فى الكلام عن الأساليب خلطاً كثيراً ؛ فهم يتناسون أن أجلَّ الشعر العربى وأفخمه ، وأجزله وأسيره ، وأكثره نفعاً وتوكيداً لبقاء اللغة ، هو الشعر الذى لم تتكلف فيه الغرابة . فإن المعلقات أسلس وأجزل شعر الجاهليين (ماعدا الغزل) وأقله غرابة وتعقيداً . وشعر الشريف أجله وأفخمه مالم يتكلف فيه الغرابة . إن فى شعر الشريف صفتين : حسن الديباجة والفخامة والسلامة فى أكثر شعره ، وتكلف الغريب فى بعضه . فصار الأدباء يخلطون بين الصفتين ، ويزعمون أن الغريب من لوازم حسن الديباجة ، ولوقرأت شعر الشريف لعلمت كذب ذلك .

وإذا نظرت فى شعر الحريرى ، وجدت أنه مترع بالغريب ، ولكنه بالرغم من ذلك ، ليس من حسن الشعر . وهذه قصيدة ابن زريق ، ليس فيها شىء من الغريب ، ولكنها من أجل الشعر وأفخمه . وإذا شئت فقل وأضخمه ؛ لأن الضخامة صفة فى الأسلوب الملتهب الذى يشبه الصخور الذائبة ، التى تسيل من فم البركان . ذلك الأسلوب الذى تؤججه العواطف القوية . وهذا الأبيوردى مغرى بالأساليب الغريبة ، ولكن شعره ليس عليه طلاوة ، وليس فيه مجتنى . فللشاعر أن يستخدم كل أسلوب صحيح سواء كان غريباً أو معهوداً أليفاً . وليس له أن يتكلف بعض الأساليب . ولا أنكر أن الشعر من قواميس اللغة ، ولكن له وظيفة كبيرة غير وظيفة القواميس . وعاطفة الغريب ، الذائعة بين فئة خاصة منا ، هى رد فعل سببه ولوع شعراء القرنين الماضيين بالركيك من العبارات والأساليب . وقد وجدت بعض الأدباء يقسم الكلمات إلى شريفة ووضيعة . ويحسب أن كل كلمة كثر استعمالها صارت وضيعة . وكل كلمة قل استعمالها صارت شريفة ! وهذا يؤدى إلى ضيق الذوق ، وفوضى الآراء فى الأدب . قرأ أحد الأدباء قول الشريف :

إن غدا مجدوعة أشرافه ‏ ‏ ‏ فالبنى وافية والمجد عالى

فقال : المجد عالى ، عبارة وضيعة من عبارات الفقهاء كثير استعمالها . ولو أردنا أن نحذف من شعر الشاعر ، سواء كان الشريف الرضى أو امرأ القيس ، العبارات الكثيرة الاستعمال ، لحذفنا أكثر شعره !

إذاً فامتهان الكلمة أو العبارة لكثرة استعمالها رأى غير رجيح . فإنا نجد أجل الشعر كانت عباراته كثيراً استعمالها. أفتريد أن نحذف ونمتهن كل ما كان من نوع قول المتنبى :

ما كل ما يتمنى المرء يدركه ‏ ‏ ‏ تأتى الرياح بما لا تشتهى السفن

أو قول أبى نواس :

إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت ‏ ‏ ‏ له عن عدو فى ثياب صديق

أو قول أبى العلاء :

خفف الوطأ ما أظن أديم الـ أرض إلا من هذه الأجساد

أو قول ابن زريق :

لا تعذليه فإن العذل يولعه .. إلى آخر القصيدة .

أو غزل جميل ، وكُثير ، وابن الدمينة ، وغيرهم ..

هل يرى القارىء فى أسلوب ما ذكرنا شيئاً غريباً ؟ كلا ، ولكنه بالرغم من ذلك أجل وأفخم وأروع الأساليب . فإذاً قولهم الروعة فى الغريب هراء المتكلفين الوزانين ، الذين يسرقون معانيهم . وجعلهم حسن الديباجة فى الغريب مغالطة تكذبها كل دواوين أشعار العرب . فإن الشاعر الكبير يأتى بالأسلوب رائعاً جليلاً من غير تكلف للغريب . أما المبتدىء فهو الذى يتكلف الغريب ، كى يخفى به ركاكة عبارته . وكذلك الوزان يتكلف الغريب ، كى يخفى به جمود طبعة وقلة معانيه . وقد سمع أحد الأدباء قول مصطفى المنفلوطى فى وصف العامل : «كأنه الآلة فى المعمل» : وهذا وصف بديع لبؤس الصانع . فقال : الآلة من الكلمات الوضيعة ؛ لأنها تبعث الذكر الوضيعة ! ولو أخذنا برأى أمثال هذا لقضينا العمر فى مجادلات لفظية ليس تحتها طائل ، فإن الغرابة لا تستعصى على أحد . وإنما الصعوبة فى الجمع بين المتانة والسهولة . وليس لشاعر بد من استعمال الكلمات المستعملة ؛ إذ أن ثلاثة أرباع اللغة من هذا القبيل .

وقد تكون العبارة الملأى بالكلمات الغريبة أخس أسلوباً وديباجة ، وأقل متانة من العبارة السهلة ، التى ليس بها غير المألوف من الكلمات . فينبغى للشاعر المبتدىء أن يتطلب المتانة ، وأن لايخلط بينها وبين الغرابة ؛ كى لاتضله الغرابة عن المتانة فيقنع بها . انظر مثلا إلى قول المتنبى :

عرفت الليالى قبل ما صنعت بنا فلما دهتنى لم تزدنى بها علما

هذا أسلوب فخم جزل ، رائع متين . ولكن ليس به غريب . ومن عجيب أدبائنا أن بعضهم إذا قرأت شعره لا تجد فيه شيئا غريباً ، ولكنه يأتى أحيانا فى بعض شعره بكلمات قليلة غريبة بعض الغرابة كى تجيز له ادعاء الغرابة . كأن الغرابة تستعصى على أقل الناس ذهناً واطلاعاً ! فإن الجزالة والمتانة تتطلب من الاطلاع أكثر مما يتطلبه

استعمال الغريب ؛ لأن المتانة تستلزم درس آداب كل العصور التى مرت على اللغة العربية حتى يكون ذوق الشاعر واسعاً صحيحاً . ولو فرضنا أن فى الكلمات ، الوضيعة والشريفة ، لكان للكلمة الوضيعة منزلتها من الشعر مثل الكلمة الشريفة . وإنما العيب فى استعمال الكلمات فى غير مواضعها . فينبغي للشاعر أن يتعرف أية كلماته تعبر عن المعنى أو العاطفة التى يريد وصفها أتم تعبير . فالكلمة قد تكون شريفة أو وضيعة حسب الاستعمال . فشرف الكلمة فى دلالتها على المعنى ، وفي وقوعها موقعها الخاص بها من الشعر ، لا فى غرابتها . فلو كانت الكلمات وضيعة تلوكها الألسن فيزرى بها ذلك ، لأزرى باللغة العربية أن لاكتها الألسن هذه العصور الطويلة . فضعة الكلمة إذا هى غطت على المعنى والعاطفة وزادتهما غموضاً ، وأفسدت نغمة الشعر وروحه وخفة طبعه ، وموهت غثاثة المعنى والعاطفة ، وأخفت ضعف الشاعر وعجزه .

والذى يجنى على بعض شعرائنا تعصبهم لشاعر دون شاعر أو لعصر دون عصر . فى حين ينبغى تطلب صحة الذوق التى أساسها سعة الاطلاع . فإن الشاعر ينبغى أن يتمزز الأساليب كما يتمزز الخمر المعتقة ، ويترشفها كما يترشف الكؤوس ، ولكنه يلتذ منها جمالها لا غربتها . فإن الأساليب الصحيحة مهما تبينت فى غرابتها وسهولتها ، من قماش واحد وذات لون واحد ، هذه حقيقة يعرفها الطبع ، وإن كان ينكرها التصنع .

والاطلاع شراب روح الشاعر . وفيه ما يوقظ ملكاته ويحركها ، ويلقح ذهنه . ونفس الشاعر ينبوع ، والاطلاع هو الآلة التى يرفع بها ماء ذلك الينبوع إلى الأماكن العالية . والشاعر فى حاجة إلى محركات وبواعث . والاطلاع فيه كثير من هذه المحركات والبواعث . والأديب الذى لايغرم بالاطلاع كالماء الأجن العطن ، الذى لا يحركه محرك . وإنما عمل الشاعر فيما يطلع به عمل النحل فى قول أبى العلاء المعرى:

والنحل يجنى المر من نَوْر الربى فيصير شهداً فى طريق رضابه

فالعالم الماهر يخرج من الجيد جديداً ، ولكن العبقرى يخرج أيضاً من الردىء جيداً . ولكن بعض القراء يقىء على صحيفته ما قد قرأه بدل أن يخرج من أزهار ما قرأ شهداً . وهذا هو الفرق بين العبقرى وغيره من الناس . نعم إن المطلع بآداب لغة من اللغات ، لابد

أن يجتني بعض ما يقرأ من المعاني والخيالات من غير أن يشعر . وإنك إذا أدمنت قراءة المتنبي مثلا علقت بذهنك بعض معانيه . وأما المعيب فهو أن يأخذ الشاعر المعنى عمداً . أما إثبات العمد فليس من الصعوبة بمكان ؛ فمن مظاهر تعمد السرقة دقة النقل والأخذ لا المشابهة والتوليد . فإن المشابهة والتوليد لاتعد سرقة . ومنها تسلسل المعاني كما في الأصل . وكثرة المتشابه وعجز الشاعر عن الابتداع والتوليد .

وشعراء العرب لم يكونوا جهالا بآداب غيرهم وعلومهم وحضارتهم . فليس كل التربية مدرسية . انظر إلى زهير بن أبي سلمى وحكمه ، وانظر إلى امرىء القيس وعلاقته بالحضارة البيزنطية ، وعدى بن زيد وتفكيره وعلاقته بالحضارة الفارسية . وانظر إلى رواج العلوم في أيام الدولة العباسية ، وتأثُّر أبي العتاهية وابن الرومي والمتنبي والشريف الرضي وأبي العلاء المعري بهذه العلوم . فإن هذا التأثُّر واضح في أشعارهم كل الوضوح ، وإنما فسدت آداب العربية حين ساد الجهل في الممالك العربية في العصور الأخيرة . فإن سنة التقدم تقتضي الاطلاع بما يستحدث في الآداب والعلوم . وكلما كان الشاعر أبعد مرمى وأسمى روحاً ، كان أغزر اطلاعاً ؛ فلايقصر همته على درس شيء قليل من شعر أمة من الأمم . فإن الشاعر يحاول أن يعبر عن العقل البشرى والنفس البشرية ، وأن يكون خلاصة زمنه . وأن يكون شعره تاريخاً للنفوس ، ومظهر ما بلغته النفوس في عصره . وما عجبت من شيء عجبى من القوم الذين يريدون أن يجعلوا حداً فاصلا بين آداب الغرب وآداب العرب ؛ زاعمين أن هناك خيالا غربيًا وخيالا عربياً .

نعم ، إن كل لغة لها خصائص وذوق . ولكن بالرغم من ذلك نجد الخيال الجليل والمعنى الرائع المصيب محموداً حيث كان . إذ أنه ليس رهناً بخصائص اللغات ؛ وإنما مرجعه العقل البشرى والنفس الإنسانية . إنما المغالطات المنطقية والتشبيهات المتوهمة رهينة بخصائص اللغات . وتختلف في كلٍّ حسب ذوق الجماهير فيها . وإذا قرأ الشاعر العربى آداب الأمم الأخرى أكسبته قراءتها جدة في معانيه ، وفتحت له أبواب التوليد . فإن الشاعر الكبير ، كي يعبر عما في نفسه من العبقرية تمام التعبير حتى لايبقى بعضها مكتوماً مجهولا ، لابد أن يجدد ذهنه دائماً بالاطلاع . وأن يحرك به نفسه ، وأن ينوع من ذلك الاطلاع . فإن شره الإحساس والتفكير هو ميزة العبقرى . فإن مذاهب القول التى

تستلزمها حياتنا تقتضي درس آداب العناصر الأخرى التى عمرت العالم ، وأنشأت لها حضارة وعلوماً وفنوناً . فإن درسها يوسع عقولنا ، ويجدد آمالنا وقوانا ، ويهيىء وحى ذكائنا ويعلى خيالنا ، ولكن ينبغى أن لا نكون ناقلين ، بل ينبغى أن نكون مفكرين باحثين فيها . ومن دلائل هلاك الأمم نظرها دائما إلى حياة أجدادها واحتذاؤهم فيها احتذاء روح لا قوة فيه ، ولا ذكاء ولافطنة . ولقد بدأ الناس يتهمون ذوى الاطلاع بالنقل والأخذ والسرقة . وهذا الاتهام شيء لاغرابة فيه ؛ فإن دخول الآراء الجديدة والمذاهب والأغراض والمسالك الشعرية الحديثة ، واتخاذ الآداب شكلا غير شكلها المعهود ، يدعو إلى الظنة والاتهام .

ولكن مما زاد الطين بلة ، أن بعض الأدباء لا يرعى حرمة ، ولا يردعه ضميره عن السرقة الفظيعة . وأمثال هذه الأفعال قد بثت فى أذهان كثير من القراء أن كل شيء جليل معناه ، غريب موضوعه ، مسروق لا محالة . وروج هذا الرأى طلاب فوضى الآداب الذين يمرحون فى ظلامها مرح الخفافيش فى الظلام . وهؤلاء هم الغلمان المغرورون والجهلاء ، وأهل الحسد والحقد والكذب ، ومغلقو الأذهان ، ممن يكره كل جديد ، ويتهمه ، وشعراء المسلك القديم الذين ظهر عجزهم ونقص تعليمهم ، وفسدت معانيهم ، وجهال القراء الذين يزعمون أنهم من الخاصة . ولكنى أعتقدأن الشاعر العبقرى الكبير يخرس هؤلاء حتى ولو بعد موته ، بكثرة مايجيد ، ويزيحهم من طريقه كما يزيح الخنفساء بنعله عن قارعة الطريق وهو يعلم أن عداءهم له سنة طبيعية لا مناص منها ، كانت لها مظاهر فى كل عصر من عصور الآداب فى الأمم كلها . ولكن ، بالرغم من ذلك ، ينبغى للقراء أن يميزوا ما يقال . فإنه ليس السبيل لمعرفة السارق أن يتهم كل المطلعين من غير حق . فإن هذه الزحمة فرصة السارق . فيزاول مهنته فى خفاء وأمان . فالاتهام الذى أساسه سوء الظن والجهل والحسد والسفالة وقلة التبصر والكسل ، والذى ينأى بالمتهم عن البحث والتدقيق ، يؤدى إلى الفوضى التى هى فرصة ينتهزها اللص . ولو فرضنا أن أحد المتهمين (بالكسر) نظم قصيدة بديعة فاتُّهم أنه سارقها ، بأى شيء كان يحارب المتهم ؟ أبادعاء الجهل وقلة الاطلاع ؟ إنه قد يكون جاهلا ، ولكن الجهل لا يمنع من السرقة ، كما أن الاطلاع لا يمنع من الأمانة .

وقد لفتنى أديب إلى قصيدة المازنى التى عنوانها «الشاعر المحتضر» اليائية التى نشرت فى عكاظ ، واتضح لنا أنها مأخوذة من قصيدة أدونى للشاعر شلى الإنكليزى . كما لفتنى أديب آخر إلى قصيدة المازنى التى عنوانها «قبر الشعر» ، وهى منقولة عن هينى الشاعر الألمانى . ولفتنى آخر إلى قصيدة المازنى «فتى فى سياق الموت» ، وهى للشاعر هود الإنكليزى . ولفتنى أيضاً أديب إلى قصيدة المازنى التى عنوانها «الراعى المعبود» ، وهى منقولة عن الشاعر لويل الأمريكى . وقصيدة المازنى التى عنوانها «الوردة الرسول» ، وهى للشاعر ولر الإنكليزى ، وأشياء أخرى ليس هذا مكان إظهارها . وقرأت له فى مجلة البيان مقالة «تناسخ الأرواح» وهى من أولها إلى آخرها من مجلة السبكتاتور لأدسون الكاتب الإنكليزى . ومن مقالاته فى ابن الرومى التى نشرت فى البيان ، قطع طويلة عن العظماء ، وهى مأخوذة من كتاب شكسبير والعظماء تأليف فكتور هيجو . ومن مقالات كارليل الأدبية ، وقد ذاعت هذه الأشياء . ولو كنت أعرف أن المازنى تعمد أخذها ، لقلت إنه خان أصحابه بهذه الأعمال ، ولكنى لا أصدق تعمد أخذها . ولو أنى رأيت عفريتًا لما عرانى من الحيرة والدهشة قدر ما عرانى لرؤية هذه الأشياء ! ولا أظن أنى أبرأ من دهشتى طول عمرى . وفى أقل من ذلك مبرر لمروجى الإشاعات والتهم . ولا أظن أن أحداً يجهل مدحى المازنى ، وإيثارى إياه ، وإهدائى الجزء الثانى من ديوانى إليه ، وصداقتى له . ولكن كل هذا لايمنع من إظهار ما أظهرت ، ومعاتبته فى عمله ؛ لأن الشاعر مأخوذ إلى الأبد بكل ما صنع فى ماضيه . حتى يداوى ما فعل ويرد كل شىء إلى أصله وليس الاطلاع قاصراً على رجل دون رجل حتى يأمل المرء ظهور هذه الأشياء . ولسنا فى قرية من قرى النمل حتى تخفى !

الصنع والكسب

قد حدثوا عن صانعٍ حاذق قد فاق كلُّ الناس في صنعه
يرى من الحسنِ الذي لا يرى سواه مما جلّ من بدعِه
كأنما ينظر في عالمٍ يحسر طرف الناسِ عن علمه
والحسنُ في الصنعة طيرٌ بدا إن يرمه عن عزمه يُصمه[1]
يا راقيَ الصنع إلى منزلٍ يرتدُّ لحظ الناسِ عن سمته
يحارُ لبُّ المرءِ في أمرهِ ويعجز الناعتُ عن نعته
الناسُ في السهل يرون الذرى كما يرون الأفقَ في بعده
ويحمدون العقلَ في جزرهِ ويكرهون العقلَ في مدِّه
كلُّ امرئٍ يبغي هوى نفسه وإن أصابَ القبحَ من نفسه
فاصنع له إن شئتَ ما يبتغي تستهو لبَّ المرءِ في حسه
إن كان هذا الصُنع قد صغته كيما تنالَ الخيرَ من بيعه :
فالصنع وادٍ أنت آجرته للناسِ ما يخرجُ من ريعه
ولا تشكُّ الدهر في فعلهِ قد حارَ كلُّ الناسِ في فعله
ما حيرةُ المرءِ دليلاً على فسادِ هذا الكونِ في عقله
يا شاكياً من قومه جهلهم اعذر سوادَ الناسِ في جهله[2]
واستنزل الأرزاقَ من افقها كالغيث يحيي الأرضَ من وبله
فقد يحبُّ الصنعَ من حسنه وقد يحبُّ الصنعَ من كسبه

---

(١) أصمى السهم : أصاب الرمي (٢) سواد الناس : جمهورهم .

وقــد يُرادُ الحقّ من نفـــعـــه وقـــد يُرادُ الحقّ من حـــبـــه[1]
قـــد عنّفـتــه نفـسُــه مــرةً لما رأى الفـــقـــرَ علـى بابه
وعـنكبـــوت من خـــمـــول به قـــد تعـبت فى نسج جلبـــابه
فـــمـــوّه الصنعَ وجـــارى الورى وراحَ يبــغى الصـيتَ فى فنه[2]
فـــــازدحـم النـاسُ عـلى بابه وقـــيل هذا الصنع فى حـــسنه
باللوِّ والليتِ رمـــوا صنعـــه قـــدمـــاً فلجُّـوا الآن فى مـدحـه
لـكـنه بـاتَ عـلى لـوعـــــة يعـــافُ ذاك المدح من قـدحـه[3]
أثرى فلم ينفــــعـــه إثراؤه وأُخلف المأمـــول من عـــمـــره
وعـــادَ يبكى صنعَـــه خـــائبـــاً يبكى على مـــا فـــاتَ من سـرّه
وكـــــان ذاك الصـنـع ربّـا لـه هواه دين كـــهـــوى عـــرسـه
فنال مـــا قـــد نالَ من رزقِـــه وباع مـــا قـــد باعَ من نفـــســه
وصـار عـبد الوفـرِ فى خـفـضـه وكان عبد الصنعِ فى سحـره[4]
وخـــفَـضت من قـدرِه نفـسُـه ورفّع الجـــهـــال من قـــدره !

نجي النجوم

رأيتُ عـــقـــوداً أم رأيتُ الدراريا أم الزهر منشـوراً على الأفق زاهيـا
كـأنّىَ فى بحـرٍ من اللّيلِ غـارقٌ طفَت فـوقـه زُهرُ النجـومِ لآليـا

---

(١) بعض المفكرين لا يريد منك أن تثبت أن الحق حق حتى تثبت أولا أنه نافع .
(٢) التموية : إظهار الشيء مطلياً بطلاء غير حقيقة . (٣) لأن مدح الجاهل ذم للممدوح .
(٤) الوفر : الإثراء . والخفض : النعيم والترف .

وإنى إذا مـاطار بالنَّفسِ طيـرُها وحلّق فى أفقِ السـمـاء خـيـاليـا
أبيتُ فـــلا أدرى أتلـك أزاهر مـفـتّـحـة أم قـد رأيتُ الدراريا
ويبـعـثن نحـوى باللحـاظ كـأنما يردن ليـعـرفن الذى فى فـؤاديا
فـغـضى عيون اللَّيل لحظاً بعثـتـه فـإنَّ بريقَ اللحظِ أصـمى جنانيـا
أذاك بريقُ اللحظِ لحظ رأى الأذى وعوّد حتى صارَ كالصّخرِ قاسيا
ولا عـجب أن صـار لحظُك قـاسيًـا فقدمًا رأيت الشرٌ فى الناس فاشيا
أم اقـتـدحت فيك الحوادثُ رحـمةً فـعـاطى حنانًا قـد أصبت حنانيـا
وقد كنتِ ندمـان الحزين وراحـة الـ وحيـد فسلّى خائب القلب عـانيا
وكم كنتِ هـديًا للرجـاء وللمـنى إذا صـار عيشُ المرءِ كالليلِ داجيـا
وكم عشقت نفسى النجومَ لأنهـا إذا أبصـرتهـا العين تحيى الأمـانيـا
وكم كنت نجوى عـاشقٍ وسـمـيـره إذا غـابَ صب عن حـبيب ليـاليـا
وكم لحت لى والدمع فى العين حـائرٌ أُودّعُ آمـــالى وأندبُ حـــاليـــا
وقبّـةُ رمسٍ فى السّمـاءِ نجومـهـا نثرن على قبرى الزهور الزواهيا(١)
أزاهر آمـالٍ مـضت لا يعـيـدها بكائى وهل يُغنى لديهـا بكائيـا
فـيـا من لميت بالحـيـاةِ مـعـذّبٍ ومن لى بميت طامع فى حيـاتيـا
ويا تاج ملك الليلِ تهنيك نعـمـة وإن كان قلبى عاطل العرش خاليا(٢)
كـأنك فـردوس تقـضى نعـيـمـه وخلّف أطلالاً لديك بواليـــا(٣)
تضىءُ همومًا فى الضلوع مقيمةً حنانكِ خل الهمّ أسود خـافيـا

---

(١) الرمس : القبر ؛ أى خيل له أن السماء رمس والنجوم حليتها من الأزهار .
(٢) تشبيه النجوم بتاج الليل .   (٣) أى كأن النجوم أطلال فردوس .

فـإنى أدارى النفسَ عـمــا تكنّه وأخــشى بريقًــا يتـرك الـهمُّ باديا
أبيتُ كــأنَّ النفسَ ليلٌ وظلمــةٌ وضوؤك يفشى سرَّها فى الدجى ليا
أفـيك أناس للشـقــاءِ حـيــاتـهم فإن شقاءَ العيش أصمى حياتيا(١)
لعلَّ حزينًا فـيك يرثى لشـقـوتى وليس شقاءُ النّحسِ للنحس شافيا
أبيتُ فــلا أدرى لعــيــشىَ علّةً فـيـا بؤسَ أيامى وطول مـلاليـا(٢)
أُسـائلُ هذا النجمَ والنجمُ لا يعى وماذا يقول النّجمُ لو كان واعيا ؟
فـيــا عين مــا لحظ النجــومِ بنافعٍ فـيا ربّ ذكرى هنَّ قد هجنها ليا
ومــا فى مــريرِ الذكــرِ أنسٌ ولذةٌ إذا كــان مَن أهواه أصـبحَ نـائيــا
أتـلك نجــوم كن أبصــرنه مـعى وأبصرن مغبوطاً من العيش حاليا
أم استحدثت بعدى السماءُ دراريًا ســوى أنجمٍ زنَّ السنين الخــواليــا
أم العينُ غــيــر العينِ أم أنا حــالمٌ وهيهاتَ ليس النحسُ حلمًا بدا ليا
فما لحظها مثل اللحاظِ التى مضت إذ القلـبُ لا يلقى على الحبِّ عـاديا
وتلحظنى لحظَ الغـريبِ جليـسـه كـأنّىَ مـا كنت السـمـيـرَ المدانيـا
كـــأنّى لـم أرعَ الـنجـــومَ بمقـلـةٍ بها كنت أرعى الحسنَ فينان زاهيا
وقـد كان يصـبـينى الهلالُ إذا بدا ويرتـاحُ قلبى أنْ ســهــيل رنا لـيــا
وكم لىَ من نجـوى لديهــا أسـرُّها وأنّات قلـبٍ تتــرك الليلَ شــاديا
ولـم أعرفِ الأحبابَ حتى فقدتهم وأصبحتُ منبوذًا عن الناسِ ساليا
ومـا كنتُ أدرى الحبَّ حتى بدت له لـيـــالٍ وأيامٌ تـخـــال لـيـــاليـــا

---

(١) التساؤل عما إذا كان فى النجوم سكان أشقياء تعساء كما فى الأرض .
(٢) علة : أى سبب .

وودَّعت آمـالي وودَّعت عـزمـتي ... ولذَّات عيشي والحبيبَ المصافيا
فهل تنضر الأفلاكُ كالزَّهرِ حقبة ... وتذبلُ حتى يصبحَ الكونُ ذاويا ؟
وهيهات ! إنَّ القلبَ أصبح ذاوياً ... وأصبحَ نورُ الحسنِ في العينِ داجيا

سحر اللحاظ

أسـرْتنا منك بسـحـرٍ حـلال ... أم ذاك لحظ نافـذ كـالنبـال ؟
أم تلك خمـرٌ من عـصير النُّهى ... أم ذلك النجمُ البعيد المنال[1] ؟
يا هل لطرفي منك من نظرةٍ ... فـربَّ لحظٍ فيه رجعُ السؤال
يقولُ قلبٌ قد رماه الهوى ... ياعينُ مـا أقـتل هذا النضـال
ياعينَ رفـقًـا بفـؤادٍ عليل ... تكسَّرت فيه صدور النصـال
قـد عشق الحسنَ فلم يُجْدِه ... غيرُ علالات حكاها الخيال[2]
قـد لجَّ هذا القلب في خفقه ... ياليته يجهل سحرَ الجمـال
فالحسنُ في العينِ طريرٌ غرير ... والحبُّ في الأحشاء داءٌ عضـال
آه على خيبةِ قلبٍ طروب ... شقاؤه في الحبِّ حال فحال
أتعبتني يا قلب ، يا طائراً ... يحسب أن الحسنَ ماءٌ زلال[3]
يا طائراً بين ضلوعي ثوى ... يحلم بالغصن وبردِ الظلال
هذا جناحٌ منك أدميته ... على ضلوعٍ نصبت كالحجال[4]

---

(١) النهى : أى العقول . أى هل الذى يسحر في اللحاظ ويسكر منها أنها مظهر من مظاهر العقل .
(٢) أجدى أى نفع
(٣) تشبيه القلب بطائر يحاول أن يفلت من قفصه .
(٤) الحجال : الحجب .

هيهات أن تُفلتَ من أسرها | يا قلبُ كم تبغى سرابَ المحال
وأنتِ ياعينُ عداك الكرى | شوقًا إلى طلعة ذاك الجمال[1]
يا حسرةً ما مثلها حسرة | نهوى عيونًا لحظها كالنِّصال
ياعين من أهوى رعاك الكرى | فليلتى منك ليالٍ طوال
يا نجمة الآمال قد أشرقت | أبصرها فى الحلمِ مثل الذُّبال
عودى بلحظٍ صادق ضوؤه | يجلو دجى العيش وليل الخبَال
يا طاقة أُبصرُ منها النعيم | فى جنّةِ الخلدِ وريفَ الظلال[2]
كأنَّها بابُ إلى جنّةٍ | ليس بها من شقوةٍ أو ملال
عودى بلحظٍ أحتسى خمرَه | فالكوثرُ العذبُ شهىُّ المنال
ولا يكن برقُك لى خلبًّا | أهكذا حظِّىَ آل فآل ![3]
مهما تناءَت بك عنّا الديار | وطال من ذاكَ العشيرِ احتمال[4]
فأنتِ أدنى من نجىِّ الرجاء | وأنتِ أحلى من كئوس الشّمال
فإنَّ فى ذكراك برءُ العليل | وربَّ ذكرى مثل شوكِ السلال
فى لحظِ عينيك عقالُ الهوى | نفوسنا فى أسر ذاك العقال
تطلّ فى العين معانى النفوسْ | والنفسُ أسمى ما يحبُّ الرجال

قوة الفكر

أسرى من العقل إلى القلوبِ | أكاد أن أُعرفَ فى الوجيب[5]

---

(١) عداك أى جازك وتعداك .
(٢) تشبيه العين الجميلة بطاقة أو باب نبصر منه حسن النفوس الذى يشبه بالجنة .
(٣) البرق الخلب : الكاذب الذى لا يعقبه غيث . (٤) احتمال : أى ارتحال .
(٥) الفكر يحس به المرء إحساساً شديداً فيصير عملا .

أبتّ فيها الهممَ الصليبة   وأنزع العزيمة المغلوبةْ
كالكهرباءِ فعلها يبين   يخبر أين سرها المصون
لكنّها عن العيونِ خافيةْ   ساكنة طوراً وطوراً عادية
ألوى برب الفكر عن ذويه   وأذهل العازم عن أخيه(١)
طوراً وطوراً راحة وسلما   أجبر عظمًا وأهيض عظما
وأرخص العزيزَ والكبيرا   حتى يصير هينًا حقيرا
أليحُ بالمطامعِ البعيدهْ   وأُهلكُ الجحافل العديده(٢)
وربَّ غرٍّ كان عبدَ عمره   زوّدته من خيرهِ وشره
كان صغيراً فغدا عظيما   كان يرى عيشَ النهى أليما
رفعته عن لذةٍ وألم   فصار ناراً أضرمت فى علم(٣)
مشهّراً بين الأنامِ معلمًا   مبغّضًا طوراً وطوراً مكرما
حملته مؤونة العظائمْ   حتى استبان صابر ونادم(٤)
الكونُ بردى والزمانُ دارى   أكتب فيها سِيرَ الدرارى
والكونُ كالنّشوانِ من كئوسى   ألا ترى تطرُّبَ النفوسِ ؟
آمالها من طربِ الخمار   فلذةُ الحياة من عقارى
كم حقبةٍ قد اختمرت فيها   وكان كاسى قبلها كريها
أقوى على الأيامِ والدّهور   كما صفت عتيقة الخمور

(١) نعم فكم فرقت المذاهب والآراء بين الأقارب
(٢) ألاح بالشيء : أظهره ، ولاح الشيء : ظهر .
(٣) العلم أى الجبل ، أى صار يهتدى به
(٤) استبان الشيء : ظهر ووضح ، واستبان أيضاً بمعنى عرف .

والناسُ قد غرَّهم خمودي ... وهم على غِرتهم وَقودي
نبهتهم للحادث العظيم ... كما تشبُّ النارُ في الهشيم
فأُشعل النيرانَ واللهيبا ... وأُشغلُ الأحمقَ واللبيبا
طويتُ جيلاً ونشرتُ جيلا ... وكم بعثت فيهمُ رسولا
وكم رماني الجورُ في الأخدودِ ... وقيدوني فوهت قيودي(١)
واستبشروا بمقتلي وهُلْكي ... وبينهم لو يفطنون مُلكي
وأوسعوا من نالني عذاباً ... وقطعوا من لحمه عقابا
فصار لي في قتله انتشار ... يقام لي من قبرِه منار
وصار لي من دَمه مداد ... يخط في الدهر به السداد
الفكرُ عَدوى ما لها من راقي ... وليس منها حافظٌ وواقي
يذر ذرَّ البذرِ في الرياح ... فيسعد النفسَ باللقاح
ساغمرُ الأنامَ من مياهي ... فلا ترع أن صلت بالدواهي
إن الخطوبَ سُنَّةُ التجدد ... فلا ترع من سهمها المسدد
وأولُ الفكر الكبيرِ خطب ... ثم يظلُّ خيره يرب
وهو كطفلٍ قد بدا ضعيفًا ... ثم اغتدى مجالداً عنيفًا
يوسعُ من جالده عناداً ... مضرِماً من عزمِه جهادا
يا برما بالفكر يبغي خنقَه ... أأنت تدري سره وخلقه؟(٢)
الفكرُ نورُ اللّهِ في الوجود ... فعمرهُ كخلده المديد
يلبسُ برداً ثم ينضو بردا ... إن لكل زيٍّ منه حدا

(١) الأخدود : الحفرة (٢) البرم : المتأفف من الشيء الضجر منه .

فـهـو كـثـيـرُ اللونِ كـالحـرباءِ وهو كـثـيـرُ اللونِ كـالضـيـاء
إن حـقـقـوا بالفـعلِ منه جـانبًـا أجـدٌ من أعـمـاقـه مطالبـا
فكن كـسـيفٍ في يديه مـاضٍ فـهـو علينا حـاكمٌ وقـاضٍ !

الذكر

قـد يفـعلُ الذكـرُ بالنفـوس مـا تفـعل الخـمـرُ بالرؤوس
يعـيـد لي الذكـرُ مـا تقـضَّى من الهـوى مُـتـرَع الكئـوس
فـيـقـدح الشـوقَ فى فـؤادى كـالنَّار فى عـودِها اليـبـيس
فـإنَّ ذكـراك فى فـؤادى كـالنَّار فى مـعـبـدِ المجـوس
راحـةُ عـيـشى ونومُ عـينى خُـصـًّـا لقـربانهـا النفـيس(١)
والحـسنُ كـالنَّار فى ضـيـاء والحبُّ من جـمـره القـبـيس(٢)
فـالذكـرُ رمـزٌ إلى حـبـيب والنـارُ رمـزٌ إلى الشـمـوس
أصـغى إلى الذكـر فى فـؤادى وأحـسبُ الذكـرَ كـالهـسيس(٣)
كـأنما شـدوه خـريـر أو نعـمـة المطرب الأنـيس
كـأنما شـدوه أتِـيّ قـد غـمـر اليـاسَ بالطمـوس(٤)
كـأنه الريـحُ حين هـبَّت بالروضـة الغـضـةِ الميُـوس
والذكـرُ كـالريح فى شـذاها وعـطرُه نـشـوةُ النـفـوس
كـم قـرَّب الصبَّ من حـبـيب حـتى يُرى دانىَ الحـسـيس

---

(١) القربان : ما يتقرب به إلى المعبود فى المعبد من الهدايا . (٢) القبيس : المقتبس .
(٣) الهسيس : من الأصوات الخافتة . (٤) الأتى : السيل الشديد .

فـيـنشق العطرَ من حـبـيـب ... يـكاد يـنقـاد للـمـوس
حـتى كـانْ لم يكن بعـيـداً ... ولم يكن طعـمـةَ الرمـوس
كـانه ســاحـرٌ قـديـر ... يدوف من نعـمـة وبوس
يُلـيحُ لـلعين مــا تـقـضّى ... كـانه خُطٌ فـى الطـروس(١)
يمزِّق الســتـرَ عن خـفـيٍّ ... ويصـدعُ القـيـدَ عن حـبـيـس
ويُـرجـعُ الـدهـرَ عـن فـريـس ... والـنـاسُ لـلـدهـر كـالفـريـس !

المجرم

يرى الناسُ أنَّ النومَ أمٌّ رحـيـمـةٌ ... ولكـنَّ نومَ الجـارمين عـقـابُ(٢)
يسلُّ عليَّ الحُلم أسياف نقمة ... فأحلامُ نومى كالجحيم عذابُ
وكم هدَّ من عزمٍ صليبٍ عذابها ... وشيَّب ورَّاد الذنوب فشابوا(٣)
فيا بلسمَ الأحزانِ أصبحت عونها ... عليَّ فَبُطلٌ ما وعدت كذابُ
أما يهربُ المسكينُ فيك من الأذى ... فـيـسكره مما تدوف شـراب
شـرابٌ من النسـيـان يحلو لذائق ... له من وميض النيِّرات حباب(٤)
يبيتُ فلا وقع الصروف بكارثٍ ... ولا تزدهيه عـزمـةٌ وطلاب
ومـا العـيشُ إلا نومـة راع حُلمـهـا ... ووقع سـؤالٍ مـا عليه جواب
وغـيَّـرنى عـمـا عـهـدت جـرائرى ... فليس إلى الحـالِ القـديم إياب

---

(١) ألاح الشيء : جعله لائحًا واضحا . (٢) الجارمون : أى المجرمون .
(٣) أى أن النوم دواء الأحزان ، ولكنه يعينها بأحلامه على المجرم .
(٤) أى ينسيه كل شيء إلا النجوم التى يراها عند نومه ويقظته .

فلا تحسبن الشرَّ يُمحى بتوبةٍ وإن غفرَ الجرم العظيم متابُ
كذلك فعلُ الطبِّ يشفي دواؤه فيحمد من مراى السقامِ ذهابُ
ولكنَّ بعضَ الضعف فى المرءِ كامنٌ وإن حسنت حالٌ وراقَ إهاب[1]
وروّع عنى الوزرُ كل محبَّبٍ فقد بان أحبابٌ وفاتَ شبابُ
وقد غاب بشرُ الناس عنى وأنسهم كأنّى على ضوءِ النهارِ سحاب
ألوح فيبدو الخوفُ فى وجه مبصرى كأنّى سيفٌ والرقابُ قراب
أو أن دماءَ الهالكين جعلتها على راحتى مما سفكتُ خضاب
ويسكت عنى الناسُ سكتةَ مبغض فما لى لديهم إن دعوتُ جواب
ولا أنس إلا أن يكونَ مخافةً على أنهم مما يخافُ غضاب
فبينى وبين الخوفِ ودٌّ وألفة وبينى وبين العالمين حجاب
ويلحظنى المغرورُ لحظةَ جاهل يُسرُّ بما أُرمَى به وأُعاب
رجوتُ من الإجرام نفعًا وإنما هواه من الفعل الحميدِ ثواب
ولو لم يجد فى الخيرِ نفعًا لعافه وأصبحَ يُخشى شره ويُهاب
وإنَّ رواءَ الطُّهرِ حيلةُ ماكرٍ يُصيب بها من عيشه ويُثاب
وإن يلق ما لاقيتُ أصبَح خيرُهُ ضئيلاً وقال القائلون وعابوا
يُواقع كلُّ الناسِ بالفكر شرهم وقد عابنى أنى جرؤت وهابوا
وكم حدَّثت بالشرِّ ذا الخير نفسه وذاك حديثٌ ما عليه عقاب
ولكنّه فى النفس إثر يشوبها وكلُّ ضميرٍ بالمعيب يشاب
ظمئنا فخلنا الشرَّ فى العيش منهلاً ولكنَّ وردَ الجارمين سراب !

---

(١) الإهاب : الأديم .

ليلة الحسن(١)

أحيـا اللواعجَ مـاضٍ من أمـانينا فـعاود القلب عهـداً كـان مدفونا
وكان عهدُ الهوى يا حُسن يُضحكنا فصار عهدُ الهوى يا حُسن يُبكينا
ما لى وللحُسنِ لا أمرى بمقتَبَلٍ ولستُ بالعيشِ واللّذات مفتونا
ما العيشُ إلا ليالٍ فى الهوى سلفت واها لهـا حسنات لا تؤاتينا
فى ذكرها نفحاتُ الحبِّ عاطرة تهفو علينا فتصبينا وتحيينا
إن تنس لا أنس ليلات لنا سلفت إذ أنت حُلمٌ لذيذ فى ليـالينا
يا مَن رأى حلمًا بالحسن مرتدياً نسعى إليه ويسعى فى مساعينا
يرنو إلينا فـلا وهمٌ ولا خُدَع وإن يمسّ فـلا تخطيـه أيدينا
حسن تأنق فيـه خالقٌ لَبق راضَ الفنونَ فلبّتـه أفانينا
كـأنه صاغكم كيمـا يحبكمُ يافتنةَ الحسنِ قد جار الهوى فينا
كـأنه صاغكم من عسجدٍ بهج ومرمرٍ ناصعٍ باللّون يسبينا
فجاء حسنُك رىَ النفسِ ماظمئت فـالعيشُ يظمئنا والحسنُ يروينا
هل صاغَ من ورق الأزهار حسنكمُ فكنتَ فى جنةٍ ورداً ونسرينا
أم من قطوف جنى الفردوس صاغكمُ إن القطوف إلى الفردوس تشهينا
نرى الثمارَ كأنّ الشهدَ فى فمنا وانّ رؤيتَكم كـالشّهدِ تشفينا
وفيك فاكهةُ الأبصارِ يانعةٌ يكاد يأكلها لحظُ المحبينا
هل أنتَ من فلتات الخلق معجزةٌ تعيى ذوى الفنِ خير الحسنِ يعيينا

(١) يتخيل الشاعر فى هذه القصيدة أن صفة الحسن مجسمة كالأفراد .

يا صورة صاغها ذو الصنع متئداً ... ودمية بثَّ فيها الحسنَ واللينا
وبثَّ فيها معانى الخلدِ أجمعها ... فصار حسنُك بالأرواح مقرونا
تسمو إليك نفوس الناسِ كلهمُ ... حتى يبيت تقىُّ النفسِ مفتونا
ففيك من كلِّ نفسٍ خيرُ ماضمنت ... أنت الحبيبُ إلى كلِّ المحبينا
تدعو النفوسَ فتأتى غيرَ كارهةٍ ... فأنت كعبةُ أرواحِ الملبينا
يا حُسنُ كيف سرت بى نشوةٌ لعبت ... بالقلب منى قد داويتها حينا
فى بعض سكرِ الهوى عن بعضِه عوضٌ ... كالخمرِ تصرعنا حيناً وتحيينا
يا حُسنُ من لى بسحر مثلِ سحركُم ... سحر العيونِ الذى قد باتَ يبلينا
يا حُسن من لى بسحر أتقيك به ... فالحسنُ يسحرنا والسحرُ يرقينا
يا حسن هل أنت ناسٍ ليلةً سلفت ... طافَ الغرامُ بها يا حسن يسقينا
خمرُ الغرامِ وخمرُ الحسنِ تُسكرنا ... وخمرةُ الكرمِ ترويناوتصبينا
كأننا نغمةٌ فى الليلِ سارية ... تهفو ولليل أذنٌ فيه تبغينا
كأننا نغمةٌ بالنفس آخذة ... فإنما الحبُّ ضربٌ من تغنينا
ورقَّ فيه أديمُ البدرِ مؤتلقاً ... حتى كأنَّ سناهُ من تصافينا
قد باتَ يلحظنا ريباً ونلحظه ... حتى كأنَّ ضياءَ البدرِ واشينا
وبتُّ ألحظكم طوراً وألحظه ... وفوق وجهك ضوءُ الحسنِ يشجينا
أبديت أحسن منه صفحةً وسنا ... فغارَ حتى لكاد البدرُ يأتينا
وصار يصقلُ وجهًا منه ذا كلفٍ ... وفتَّر اللحظ ، لحظ الحسن يسبينا
وصار يغمرنا باللحظ فى مَهلٍ ... فعل الحسان بسهم الحظِّ تصمينا[1]

(١) أى أن البدر غار منك فصار يتحبب إلينا كى يشغلنا عنك . وأصمى : أصاب المقتل .

هيهات يا بدرُ إنَّ الحسنَ أجمعه ... يسعى لدينا فنبغيه ويبغينا
يا حُسنُ لا تحسبنَّ البدرَ يشغلنا ... يا حُسن لولاكَ ما ابيضَّت ليالينا
لم أنس قولى له يوماً أمازحُهُ ... كيما أضاحك ثغراً منه يلهينا
مذ ألف جيلٍ مضت قد كنت أعرفكم ... ولم أدن غيرَ حبِّى حُسنكم دينا
لا تُخفِ عنَّا الذى ندرى فإنَّ لكم ... سيما تعزّ وأوصافاً أفانينا
فأنت أنت إلهُ الحسن كم سجدتْ ... لك النفوسُ ولبَّاك المحبونا
جاذبتُه كفَّه كى لا يفارقنى ... فمنهلُ العيشِ حلوٌ فى تدانينا
وقوله لىَ فى دلّ ومعتبة ... أظمأتنا من قريضٍ منك يروينا
فصف لنا ليلَنا شعراً تقل عجبًا ... فإنما الشعرُ إلهامٌ يناجينا
هذا قليلُ مقالٍ أنتَ باعثه ... إن شئت زدتك منه لو تؤاتينا !

البطل المنتظر

عليمٌ بأسرارِ القلوبِ خبيرُ ... تناجيه منَّا أنفسٌ وضميرُ
فيحكمها حكم المطرّب عوده ... أمينٌ على وحى النفوسِ أميرُ
وقد كان سراً فى الطبيعة كامنًا ... فقد حانَ من ذاك الكمينِ ظهورُ
وهل مخبر عن نابغٍ كيف خلقه ... فذلك سرٌّ فى الوجود ستير
تمر دهورٌ والحياةُ كآجن ... أمرٌ وقدماً كان وهو طَهور
إلى أن يحلَّ الغيث حبوة مائه ... فيترع منه جدولٌ وغدير(١)

(١) حبوة : أى عطاء من حبا يحبو أى أعطى . ويترع : يملأ .

كـذلك حـالُ الناسِ فـالناسُ آجنٌ مـــريرٌ ، ومـــاءُ النابغين نميـــر
وبـارقـــة تجلو الظلامَ وصـــاعق يشبُّ لهـيـبًـا ، والأنام قـــشـور
فيضطرمُ القلبُ الذى كان خامداً ويصـبحُ روضُ النفسِ وهو نضيـر
لذاك يُرجَّى بينهم كلَّ حـقـبـةٍ بشـيـرٌ لمن يبـغى العُلى ونـذير(١)
ليـصـبح عـزمُ الناسِ وهناً بعـزمـه فـيحـمـد منهم آسـرٌ وأسيـر(٢)
وقد كان مزجُ النفسِ بالنفس باعثًا يجـدُّ بـهـا نحـو العُلى ويسيـر
كـأنَّ نفـوسَ النـاس طيـرٌ تشـردت وللطيـرِ من نفس العظيمِ وكـور
فيا ساكناً فى الغيب هل أنت مسعد أما آن من خلف الغيوبِ سفور ؟
فإن نفوسَ الناس قد مات جدّها وليس لهـــا إلا لديكَ نشـــور !
وصارت حيـاةُ القومِ مزحـةَ عابثٍ وقــولك طبٌّ للنفــوسِ قــدير !

خميلة الحب

تمهل رعـــاكَ اللّهُ أقض لبـــانتى وأتلُ على تلك الرياض تحـيـتى
فـإنى تعلمتُ الهوى فى ظلالهـا وفـيـهـا رأيتُ الحسنَ أول رؤيةِ
تمهل خليلى فى رباها فـعندها نظرتُ فلم أملك على الحبِّ نظرتى
نظرتُ إلى زهرين ، زهرِ نبـاتهـا وزهرةِ حـــسنٍ ناضـــرٍ أىّ زهرة
هنا قد عرفتُ العيشَ جمًّا ضياؤه وقـد كان قـدماً فى سوادِ الدجنة
هنا نالنى سحرُ الهوى فى نسيمها هناك كان بدءُ الحبِّ قدمًا ونشوتى

---

(١) الناس عندما يشعرون بحاجة إلى مصلح كانوا من قديم الزمان ينتظرون ظهور نبى أو مهـدى أو شاعر أو حكيم .
(٢) الذى عزمه غالب يكون بمنزله الأسر ... إلخ .

هنا مهدُ آمالى ، هنا حُلم يقظتى ، … هنا سكرت نفسى غراماً وجنتِ
هنا قد جرعت الحبَّ حتى كأننى … جرعتُ به من خمرةٍ أىَّ خمرةِ
هنا زادَ هذا القلبُ خفقاً كأنه … جناحُ قطاةٍ فى الضلوع أجنتِ
وكم لىَ فيها من أمانٍ لذيذة … وكم لىَ فيها من لقاءٍ ونظرةِ
وناجيتُ فيها كلَّ غصنٍ لعله … رأى خطرة من شبهة أىَّ خطرةِ
وساءلتُ فيها الطيرَ هل مرَّ صنوه … فغنَّى مغنى الطير فى كلِّ أيكةِ
وناجيتُ فيها كلَّ شادٍ وأعجمٍ … وأنت بعيدٌ لستَ تحنو للقيتى
وهل تنفعُ النَّجوى وقلبُك صخرةٌ … الا خابت النَّجوى لدى كلِّ صخرة
نعم يسمع النجوى الذى طاب روحُه … فتُعدى على بعدٍ بروع وغيبة
وتدنى أليفاً من أليفٍ موافقٍ … كأنْ لم يرعْ قلبيهما شحطُ غربة
فيا دعوةً بالروضِ لم تلق سامعًا … ويادعوة بالليل ، يا طول دعوتى!
إلامَ يُحبُّ القلبُ من لايحببه … وحتى متى يحنو على غير منصت ؟
لعلك يومًا بعد شحطٍ من الصبا … وبعد مضىٍّ من جمالٍ ونضرة
ترى فى قريضى ما مضى من نضارةٍ … لوجهك إنَّ الحسنَ يجلى بذكرة
فإنَّ قريضى جنةُ الخلدِ حسنه … وحسنُك فيه خالدٌ غير مفلت
فلا تنسَ حبِّى عندها ولواعجى … وهل نافعى حبى هناك ولوعتى؟
أيرضيك شعرى فيك أنَّك وحيه … وأنَّك سحرى يا حبيبُ ورقيتى ؟
فَمُرنىَ أن أهواك أزدد محبة … وإن كنتُ قد أحببتُ كلَّ محبة
فإن نعيماً أنْ أبثَّك لوعتى … فتضحك جذلانًا ببثِّى وعبرتى
وإن نعيماً أن ترانىَ باكياً … فتمسح أجفانى وتوقف دمعتى

فيا ليت شعرى هل يروقك أننى … أحبُّك أم تقرى الهوى كلّ بغضة
فإنْ تكن الأخرى فإنى مُهلك … من اجلكَ حبّى يا حبيبُ ومهجتى
فإنَّ هلاكَ الحبِّ حبٌّ لكاره … فإن تمقت النفس المشوقة أمقت
فيا ليت لى من صخرِ قلبك آلةً … فأتلو عليها نغمةً أىَ نغمة
يئنُّ أنينَ العودِ من شجو ضاربٍ … فيسعد قلبى فى حنينٍ وأنّة
فياصبوة القلب العفيفِ وهمه … أعيذك من صدٍّ يروع وجفوة
بك العيشُ حلوٌ والحياةُ شهيةٌ … فأقطفُ من أثمار عيش جنية
وأنهلُ فيه من رحيقٍ وسلسل … وأبصر فيه جنةً أىَ جنة
وأنت جنانٌ أنبتَ الحسنُ زهرَها … وأنهلها من كوثرٍ فتروّت
وأنت ربيعٌ ليس يخشى انقضاؤه … فأين ربيعُ القلبِ ، ياطول حسرتى ؟!

علالة العيش

أيا طالباً من عيشه ما يودّه … أحقٌّ وملك يُبتغى ويُرامُ
سفاه سؤال المرءِ لو قدِّرت له … خطوب فما يجدى لديه ملامُ
ولو شاءَت الأقدارُ لَم يَشكُ خطبها … ولكنَّ أطماع النفوسِ قوامُ
وهل يحمد الأقدار من كلِّ عيشه … أمانىُّ تدعو للكمالِ عظام ؟
فلا تحزننْ من ضجةِ العيش ، إنها … سيخرسها مما يُتاحُ حِمام
لعلّك بعد الموت تبغى ضجيجَها … وهيهاتَ لا يصبى الرميمَ مرام
ستسكن بعد الموتِ حتى تملّه … وليس بمن تطوى المنونُ سآم
وإنَّ ضياءَ العيشِ يزهو رواؤه … لأنْ حاطَه بين الأنام ظلام

ظلامٌ من الأحداث والخطب والردى ... يبيت ضياءُ العيش فيه يشامُ[1]
وما العيشُ إلا خمرة أنا شاربٌ ... فهل رائعى أن الخطوبَ أمامُ
وهل يفرق النشوانُ من صرف دهره ... ويشقيه من وقعِ الخطوبِ لمامُ[2]
ومالىَ لا أرضى وفى الخوفِ لذةٌ ... وليس لأدواءِ الكُلومِ دوامُ
مغالبةُ الأخطار سكرٌ ولذةٌ ... وإن شُبَّ منها فى الضلوعِ ضرام
وقد لا يزيل الهمَّ إلا تعتب ... فلاتنكِ من ذاقوا الصروف فلاموا
وإن صروفَ الدهرِ تأسو جراحَها ... وتُظمى فيروى بالأوام أوام[3]
ومن رحمة الأقدارِ كرُّ خطوبها ... ومن عادة ضيمٌ فليس يضام[4]
فسر فى غمار العيشِ تعتد خطوبَه ... ويسهلْ بميدان الحياة مقام
ولا تحسبنَّ الحزنَ تبقى قروحه ... فليسَ لحزنٍ ما بقيت دوام
كأنَّ وجيعَ الحزنِ حلم إذا مضى ... وذكرى دموعِ البائسين غمام
وإنْ شقيتْ بالعيش نفسٌ كليلةٌ ... فللرُّمد من لون المنون جمام[5]
ولولا الأذى ماذقتَ فى العيش لذةً ... فكلُّ نقيضٍ بالنقيضِ يُشام
ولا شرَّ إلا فيه للخيرِ مألفٌ ... كما تألف الماءَ الطهورَ مدام
لقد وسعتنا الحادثات إراحة ... لأنْ قادنا مما تريد زمام
فمن ضلَّ فى خرقٍ من العيشِ لبَّه ... هداه زمامٌ جاذبٌ وخطام[6]

---

(١) يشام أى يرى . (٢) يفرق : يخاف . أى أن السكران لايخاف ما يقع حوله . وكذلك من سكر من خمر الحياة لا يخشى مصائبها . (٣) يروى بالأوام أوام أى أن طول الصبر على الظمأ يعلم الإنسان تحمله حتى كأن قد زال. (٤) أى أن الإحساس بالقيم هو الضيم . وذلك الإحساس يزيله ترادف ضيم الحوادث . (٥) جمام : راحة . (٦) الخرق : المهمه والقفر . أى أن فى انتفاء التخيير راحة ..

وهـوّن وقـعَ الخـطـبِ أنّـا ذرائـع الـ ... ـقـضـاءِ فـلا صـون لـديه يرام

لص أم أديب

أتسرقُ من شعرى وتقدحُ فى شعرى ... كذاك لصوص الشّعر فى مسلكٍ وعرٍ ؟
كمن يسرق الدهماءَ من تحت راكبٍ ... وراكبُها من خفة اللصّ لايدرى(١)
وإنَّك كـالمزمـارِ أخـرس أبكـم ... إذا لـم تهـيئـه النوافخُ للزمـر
وإنَّك كـالمزمـار مـا لك منطقٌ ... إذا لم تهـيئك الأصابع بالنقـر
فـلا تحسبنَّ الصبـرَ فىَّ استكانة ... فـربٌ وعيـدٍ فى التـواضع والصبرِ
خلقتك من لا شيء لو شئتُ لم تكن ... ولو شئتُ لم تُحمد على السِّر والجهر
ورمتَ غـروراً كنتُ فـيك نفـثته ... فـمن منصفى ياقـوم من ورمٍ غـرٍّ؟
وهل يُصلح الإنسـانَ لومٌ يصيبه ... إذا كـان مطبوعًا على اللؤم والغدرِ
يظن غـبىٌّ جـهله فىَّ سُـبَّـة ... إذا ما غبـاءٌ فيهِ قصَّر عن شعرى!

تزاوج النفوس

إن النفـوسَ لأسـرارٌ مـخـبَّـاةٌ ... فكلُّ روحٍ عن الأدنين مسـتـتـرُ
وكلُّ روحٍ على الأيام منفـرد ... إنَّ النفـوسَ لدى أسـرارها جُـزُرُ
إن كـان روحك لغزاً أنت باحثه ... فكيف تعرف نفسًا دأبها الحذرُ(٢)
مجاهلَ النفسِ هل من كاشف فَطِنٍ ... لقد بعدتِ فلا ركب ولاسفر(٣)

(١) سرقة الفرس من تحت راكبه من غير شعوره : يراد به أن مهارة اللص الموصوف معجزة .
(٢) أى إذا كنت لا تعرف نفسك فكيف تعرف نفوس الناس ودأبهم الحذر منك وإخفاء صفاتهم عنك .
(٣) المجاهل : الأراضي المجهولة .

مجاهلَ النفسِ هل من باحثٍ يَقِظٍ ... طال التساؤل لا راوٍ ولا خبرُ
والحبُّ تكشفُ بعضَ النفسِ هبته ... وأكثر النفسِ كنزٌ صانه المدرُ
كأنما النفسُ تبدو خلفَ كلته ... سحابةُ الصيف فيها البدرُ يستتر[1]
للنفس بالنفس تلقيح يطيبها ... كما يلقِّحُ في بستانه الشجر
وفي النفوسِ دروعٌ للنفوس فلا ... ترقى إلى كيدها الأقدارُ والغِيَر
أهوت إلى النفس نفسٌ تبتغي سكنًا ... حتى تطايرَ من حُبَّيهما الشرر[2]
يولِّد الحبُّ نفسًا غير ماضمنا ... فالوامقون بما قد عالجوا كثروا
وكلُّ قلبٍ يعيش الدهر منفرداً ... كالبيدِ والبيدُ لا ماءٌ ولاشجر
والحبُّ كالنَّارِ زانَ النفسَ صيقله ... والحبُّ كالنَّارِ لا يُبقى ولا يذر[3]
كم خائفٍ جاءه من حيث يدفعه ... خوفًا وكم حاذرٍ لم يجده الحذر
الخلد في وحشة كالموت نجنبه ... فكلُّ روحٍ إلى الأرواح مفتقر
لا يُبتغى الخلد إلا والهوى سكنٌ ... فالخلدُ لولا الهوى الزقُّوم والصَّبر
ويبتغى المرءُ وردًا فى الهوى أبدًا ... وقلبه جاهلٌ لم يدر ما الصَدَر
والنفسُ للنفسِ زوجٌ طاب عرسهما ... ومهرُها الحب لايغلو لها المهر
من لى بنفسٍ أرى نفسى بها مزجت ... كما تمازج في ودیانها الغُدُر
والنفسُ فى عيشها شتَّى منافذها ... منها القلوبُ ومنها السمعُ والبصر
والحبُّ فى الناس ذنبٌ لا اغتفار له ... لكنه في صميمِ النفسِ مغتفر
يثير في النفسِ ما قد كان ذا سِنَة ... تبدو اللآلى ويبدو ماؤها العكرُ[4]

---

(١) الكلة : ستار خفيف تحمل فيه النساء . (٢) السكن : الأليف الذى تسكن النفس إليه أى ترتاح.
(٣) الصيقل : الذى يصقل الشيء . (٤) السِّنَة : النوم الخفيف .

والحبُّ كالنهرِ يغرى الروحَ رونقُه روح المحبُّ به عــريان منحــســرُ

والنفسُ كالركبِ فى الصحراءِ سيرتها تمضى الشجونُ ويبقى بعدَها الأثرُ

هذى العظامُ على الصحراءِ قد نخرت والحبُّ آثاره الآمـــالُ والذِكَــر

ورُبَّ نفــسين مــثل اللُّجَّــتين إذا تهــاوتا نحــو شطِّ اليمِّ يُبــتــدر

أو مثل قطر الحيا قد ضمَّ شملَهما ودٌ كــمــا ضمَّ قَطْرَ المزنةِ الزهر(١)

تسرَّبت أنفسٌ فى أنفسٍ فمضت آمــالهــا أمل أوطارها وطر(٢)

ورب نفسين حال الدهر بينهما كما يدين لصدع اللُّجة الحجر

كصخرةٍ هدَّ منها اليمُّ فانشطرت شطرين والنفسُ دون النفس تنشطر

وإنَّ أوجعَ مــا تمنى النفــوسُ به صدعُ الزمانِ وسوءُ الظن والضجر

وللنفوسِ مطافٌ بالنفوسِ كما تدورُ حــول النُّجــوم الأنجُم الزهُرُ

والدَّهرُ للنفسِ بحــرٌ زاخــرٌ أبداً بحرُ النفوسِ ومنها العُشب والدّرر

فــمــا تآلف منها فــهــو منتظمٌ ومــا تناكــر منهــا فــهــو منتــشــر

عيش الأدباء

أخــشى عليك مــصــارعَ الأدباءِ فــالنحسُ رهنُ مــعــيــشــةِ الأدباءِ

لا بل وقيتَ من الصروفِ وغدرها ونعــمــتَ فى حــرزٍ من الأرزاءِ

فالشعرُ ينفثُ فى ذويه سمومَه ويســعِّــر النِّيــرانَ فى الأحــشــاءِ

لاتنحتنَّ من الفــؤادِ قــصــيــده فــالشــعــرُ يأكلُ جــدةَ الأحــيــاءِ

واجعل لنفسك ساعةً من لهوه وارفق بنفــســك إنَّه كــالــداءِ

(١) الحيا : المطر . (٢) التاء فى مضت تعود على النفوس لا على الآمال .

والصيتُ وهمٌ في الحياة مخادعٌ ... مثل التماع الآلِ في الصَّحراءِ[1]
هيهاتَ ما هجرَ القريضَ مطاوعًا ... إلا امروٌ ما كان في الشعراءِ
يتهافتون على المحاسن كلِّها ... والنَّحلُ لصُّ الروضة الغنّاءِ
ذهبَ الخيالُ بحزمهم وحلومِهم ... فحلومُهم رهنٌ لدى العلياءِ[2]
يستخلص الألمُ الوجيعُ نضارهم ... كالنَّارِ تذكي العودَ بالإصلاءِ
فإذا خبرتهم وجدتَ لديهم ... شِيمَ الملوكِ وحالة الفقراءِ
لفتت دراريُّ النجومِ عيونَهم ... فتعثروا بمعاولِ الغبراءِ
فُتنوا بلذات الحياةِ فعيشهم ... مهدُ الردى وقرارةُ الأدواءِ
ياويحَ من حسب الحياةَ ذخيرةً ... تنمو على الإسرافِ والإمضاءِ
فمخيِّب محت العقارُ ذكاءَه ... من ذا يعين ذكاءه بذكاءِ
وأخو هوى فتك الغرامُ بلبِّه ... ورماهُ حيثُ تنازعُ الأهواءِ
لا عزمَ يهدى في المسالك خطوه ... كالذرِّ دان لعصفة الهوجاءِ[3]
متواضعون فإن ألمَّ ذلّةٍ ... ألفيتَهُم في منزلِ الجوزاءِ
ويرونَ وحيَ الشِّعرِ فرضًا واجبًا ... فرض يؤود وليّه بأداءِ[4]
وكان فيه غذاءَهم وشرابَهم ... ياليتَهم لم يخلقوا لغذاءِ
بل ليت في نشق الهواءِ غذاءهم ... وشرابهم من خمرةِ الأضواءِ
إنَّ الذى حلَّى الحياةَ بشعره ... أحرى بحلى محاسنِ النَّعماءِ
عرفوا الحياةَ نعيمَها وشقاءها ... فمضوا بكلٍّ لذاذةٍ وشقاءِ

(١) الآل : السراب .
(٢) الحلوم : العقول .
(٣) الريح الهوجاء : المجنونة .
(٤) يؤود : يثقل .

جرعوا الحياةَ وليس يسأر جارع		منهم فإن ماتوا فموتُ ظماءِ[1]
كم ماتَ منهم خاملٌ ذو شقوة		عيش الأديب وموتُه كالداء
فاحذر مصارعهم ولا يكُ عيشهم		عدوى تجيء بشقوةٍ وعناء
وإذا استطعتَ فداوِ نفسَك وانتبذ		خلق الأديب وخلّة الأُدباء

(١) يسأر : يبقى : والسؤر : بقية الشراب في الكأس .

إلى المجهول[1]

مقدمة:

الولوع بالمجهول من أمور الحياة والطبيعة والنفس والكون . والشغف باستطلاعه وكشفه ، هو الذى أخرج الإنسان من المعيشة فى الكهوف ، ومن حضارة العصر الحجرى من عصور الحضارة ، وأزال عنه خوفه من مظاهر الطبيعة ؛ فأخذ يبحث تلك المظاهر .. وهو الذى أدى إلى كشف القارات والبحار ، وزاد علمه بالسماء ، وعلّمه ركوب الهواء فى الطائرات ، حتى طمع فى الوصول إلى الأفلاك . وذلك الولوع بالمجهول هو الذى جعله يخترع مخترعات الحضارة التى زادت حياته بهاء ومتعة وراحة ولذة ، وجعله يجد لذة حتى فى ركوب الأخطار من أجل كشف مغاليق الكون والحياة والطبيعة ، ويستشعر اللذة حتى فيما قد يصيبه من الألم أو الهلاك ، فى أثناء بحثه المجهول من أمور الحياة والكون . والولوع بالمجهول هو الذى أدى إلى سيطرة الأمم القوية التى تمكنت من كشف المخترعات التى زادتها قوة واستعلاء . وإذا بحثت عما يميز أبناء الدول القوية التى تمتعت بالثروة والسطوة والعلم والحضارة ، عن أبناء الأمم المتأخرة التى لا تزال تعيش فى الكهوف أو الغابات ، أو فى المدن ، أو الأحياء المتهدمة القديمة الفقيرة ، المربوءة بالأسقام والأقذار ، المغلوبة على أمرها ، لرأيت أن صفة النفس التى ميزت أبناء الشعوب القوية السعيدة المسيطرة على الحياة والناس ، هى الصفة التى تجعلهم يجدون لذتهم فى كشف مغاليق المجهول من أمور الحياة . والأمة التى تريد أن تعلو وأن تأخذ مكانتها تحت الشمس ، ينبغى أن تهيىء لأبنائها نوعاً

(١) أعاد الشاعر نشر هذه القصيدة بمجلة «الرسالة» فى عدد ٢ مايو سنة ١٩٣٨ وأضاف إليها المقدمة .

من التربية والتعليم يبث فى نفوسهم حب استطلاع المجهول وكشف مغاليقه . أما التعليم الذى لايبث هذه الصفة فى النفوس ، فهو تعليم لا يليق إلا بالذين يجدون لذتهم فى حياة الخمول من المألوف الذى أصبح كالمخدرات . وكلما كان فقدان صفة حب استطلاع المجهول من النفوس أوضح وأظهر من أجل المؤثرات التاريخية المذلة المؤخرة ، كان ذلك أدعى إلى إصلاح نظم التعليم ، وإلى اتخاذ التربية التى تزيل هذه المؤثرات . والمراد بهذه القصيدة الدعوة إلى بث صفة حب استطلاع المجهول فى نفوس النشء ؛ لأن نفوس النشء تحب الاستطلاع الغريب والمجهول بطبيعتها . وترى لذتها فى ذلك قبل أن تعلمها التقاليد والأوضاع الخمول والقنوع بالمألوف . ومن الخطأ أن يظن أحد أن عاطفة الشغف بالمجهول لا تنمى بالتربية ، وأنها قوة طبيعية فى الأمم القوية فحسب .. لا .. بل إن أسلوب التربية والتعليم قد يقوى هذه العاطفة التى هى أساس الرقى العلمى والاجتماعى الصحيح ، وهذا الأسلوب من التربية ألزم فى الأمم الضعيفة لشدة احتياجها إليه .

(الخطاب موجه إلى المجهول)

يحوطنى منكَ بحرٌ لستُ أعرفه   وَمَهْمَهٌ لست أدرى ما أقاصيه[١]

(١) المهمه : القفر .

أقضى حياتى بنفسٍ لستُ أعرفها | وحَوْلِىَ الكون لم تُدْرِكْ مجاليه[1]
يا ليتَ لى نظرةً فى الغيب تسعدنى | لعلَّ فيه ضياءَ الحقِّ يبُديه
أخالُ أنِّى غريبٌ وهو لى وطن | خابَ الغريبُ الذى يرجو مُقَاصيه[2]
أوليتَ لى خطوة تدحو مجاهله | وتكشفُ السِّترَ عن خافى مساعيه[3]
كأنَّ رُوحىَ عُودٌ أنتَ تحكمُهُ | فابسطْ يديكَ وأطلقْ من أغانيه[4]
والروحُ كَالكونِ لاتبدو أسافله | عند اللَّبيبِ ولا تبدو أعاليه[5]
وأكبرُ الظَّن أنِّى هالكٌ أبداً | شوقاً إليك وقلبى فيه ما فيه[6]
من حسرةٍ وإباءٍ لستُ أملكه | يأبى لِىَ العيش لم تُدْرَك معانيه
وأنت فى الكون من قاصٍ ومقترب | قد استوى فيك قاصيه ودانيه[7]
كأنَّنى منك فى ناب لمفْتَرس | المرءُ يسعى ولغزُ العيش يُدْمِيه[8]
كم تجعل العقل طفلاً حار حائرهُ | وربَّ مُطَّلَبٍ قد خاب باغيه
لو النَّبالُ نبالُ القوسِ مُضْمِيَةٌ | كنتُ ادَّرَيْتُ بسهمِ القوسِ أرميه
أو كان للسحر سهمٌ نافذٌ أبداً | لكانَ لى منه سهمٌ صالَ راميه
يا مُصْلتَ السَّيفِ قد فُلَّتْ مضاربه | ورامِى السَّهمِ قد خابتْ مراميه

---

(١) المجالى : مباديه . (٢) قاصاه : باعده ، والمراد بالغيب هنا المجهول لا غير .
(٣) تدحو : تبسط .
(٤) يخيل للمفكر أحيانا أن خواطر النفس وأفكارها ريح تهب عليها ، أو يد تحركها كما تحرك يد الموسيقى أوتار عوده . (٥) لأن اللبيب أدرى من غيره بعظم الروح .
(٦) أى شوقا إلى ما يجهله العقل وتتوق النفس إلى معرفته .
(٧) أنت : الخطاب كله موجه إلى المجهول .
(٨) ذلك لأن جهل الإنسان أسرار الحياة وعجزه عن حل مسائلها قد يوقعه فى الهلاك .

قلبي يحــــدثني أن لا يليق به ... رضًا بجهل ذليل اللُّبَّ يُرضيه
قد ثارَ ثائرُ نفسٍ عزَّ مَطْلَبُها ... وطار طائرُ لُبٍّ في مراقيه
كالنَّسر لا حاجبٌ للشمسِ يحرقه ... ولا الصواعق والأرواح تَثْنيه(١)
وأنتَ كالليلِ والأفهام حائرة ... مثل العيون علاها منك داجيه
ليل مهيب كليلِ البحرِ حندسه ... تكاد تسمع منه صوتَ طاميه(٢)
فليتَ لي فكرة كالكونِ واسعة ... أدحو بها الكون تبدو لي خوافيه
ليس الطموحُ إلى المجهولِ من سفهٍ ... ولا السموّ إلى حقّ بمكروه
إن لم أنلْ منه ما أروى الغليل به ... قد يحمد المرء ماءً ليس يرويه
والقانعون بما قد دان عيشُهُمُ ... موت فإنَّ خضوعَ اللُّبِّ يُرْديه(٣)
يا قلبُ يهنيك نبضٌ كلُّه حُرَق ... إلى الغرائب ممّا عزّ ساميه
فالعيش حب لما استعصت مسالكه ... تجارب المرء تُدْميه وتُعْليه
كم ليلة بتُّها ولهان ذا أملٍ ... لم يُسلِ قلبيَ أن غابت أمانيه
لعلّ خاطر فكر طارقي عرضًا ... يدنو بما أنا طول العمر أبغيه
يوضح الغامض المستور عن فِطَنٍ ... وافهم العيشَ تستهوي بواديه

---

(١) الأرواح : الرياح .
(٢) أشد ما يكون الليل روعة الليل في وحشة البحر ، ولذلك يشبه به المجهول .
(٣) دان : خضع وذل .

إلى ماضٍ من العمر

شكا قلبي إلى يومـ ـيَ ما ألقاه من دهري
وقال : لقد تركت هوا يَ في ماضٍ من العمرِ
فدعني أقتفيه عسى أُقاد إليه بالإثْرِ
وإنَّ سبيلَ ما يمضي سبيلُ المسلكِ الوعرِ
فراحَ القلبُ ولهانًا وظلَّ بخفقه يجري

إلى ماضٍ من العمر !

فقال اليوم يا قلبُ على مَ تروغ من أسرى ؟
وما لك غير ساعتك التي تلقاك في الدّهرِ
لأمسك قلبك الماضي وما للأمس من كرٍّ
لقد جشَّمتَ نفسكَ ما عييت به من الضرِّ (١)
غدوت تقاد بالذِكر وفي التذكارِ ما يغري

بما قد فات من عمر !

فيا ماضيَّ دع قلبي فما لي عنه من صبرِ
وإنَّك قبرُ آمالي فهل لي فيك من قبر ؟
فآهٍ لو يجول المرءُ فيما شاءَ من دهر
لطار القلبُ كالعصفورِ عافَ تريُّث السَّير

---

(١) جشمت : حملت .

وحنٍّ لروضه النضرِ	وما آواه من وكرِ

لدى ماضٍ من العمر !

إلى الريح

يا ريحُ هيَّجتِ قلبًا شجوه وارى	كما تهيجين عودَ الغابِ بالنارِ[1]
يا ريحُ رفقًا بقلبٍ هجت لوعته	يا ريح أفشيت أشجانى وأسرارى
كم قد نسيت شجونًا نارها خمدت	فهجت قلبى بإغراءٍ وإذكارِ
يا ريح أى زئيرٍ فيك يفزعنى	كما يروع زئيرُ الفاتكِ الضارى
يا ريح أى أنين حنٍّ سامعه	فهل بليت بفقد الصحبِ والجارِ ؟
يا ريح ما لك بين الخلقِ موحشة	مثل الغريب غريب الأهل والدار !
أم أنت ثكلى أصاب الموتُ واحدها	تظلّ تبغى يدَ الأقدار بالثار ؟
يا ريح ما لك من إلفٍ فُجعت به	مثلى ولا لك آمالى وأوطارى
يا ريح كم لك من نفع يجىءُ به	حدو السحاب بصوبٍ منه مدرار
وهبة منك تحيى النفس من عُرُضٍ	بنفحةٍ من شذى الأزهارِ معطار
يا ريح فيك جنونُ النفسِ يفزعنى	إذا سطوت بعصف منك إعصار
يا ليت نفسىَ ريحٌ لفح لافحها	يطهّر الكونَ من شرٍّ وأشرار
وتنشر الخيرَ نشرَ البذر يحمله	نسمُ الرياحِ على زهرٍ وأثمار
أو ليت لى فيك نفسًا حرة أبداً	الكونُ بيتى وما أهفو به دارى
هيهات ما لك فيما شئت مُنطلَق	تجرى الرياحُ بأحكامٍ ومقدار
أو ليت أنَّ جناحًا منكِ يسعدنى	كيما أطير إلى أفنان أشجار[2]

(١) الوارى : المشتعل .	(٢) الأفنان : الأغصان .

فأنشد الشّعر كالغرّيد في فننٍ ... وتحملين أغاريدي وأشعاري
ياريحُ هل أنتِ طيرٌ طائرٌ أبداً ... أما تقرين في روض وأوكار ؟
يا ريحُ يا صنو نفسٍ طالما شقيت ... قد خان نفسيَ أحبابي وأنصاري
فليتها مَلِكٌ في الجوّ دولتُه ... في جحفلٍ من جنود الريح جرّار
أشكو إليك همومَ العيش قاطبة ... شكوى الضعيف لبادي البطش مغوار
يا ريح ما لك من عطفٍ ولا مقةٍ ... فما حنوّى لقاسي القلب جبار
لا تسألين عن الحادي وحكمته ... ولا تنوحين من صولات أقدار(١)
وليس يعنيك لا سُؤلٌ ولا سببٌ ... فليتَ مثلكِ إيرادي وإصداري(٢)

طيف الجنون

أُقلّبُ طرفي في وجوهٍ كثيرة ... وأُكثر من تلحاظِها وأطيلُ
وأبغي بديلاً من هواكِ يتاح لي ... وهيهاتَ مالي من هواكِ بديلُ
وكيف وعندي من خيالك حارسٌ ... تجسَّم حتى ما يكادُ يزولُ
فيهمسُ في أذني ويسري بخاطري ... ويسمعُ ما أشدو بهِ ويقول
ويشغلني عمَّا سواه فإن أُرد ... سلواً تصدَّى دونه فيحول
كأنّي أسيرٌ وهو في السجن حارس ... فمالي إلى وجه الخلاصِ سبيل
وأفزعُ حتى تشعرَ النفسُ جِنَّة ... وأرجو مُجيراً في الممات يغول
وأعجبُ من أمري وكيفَ عشقتكم ... وقد كنتُ لا يقوى عليَّ غليل

---

(١) الحادي : السائق الذي يحدو الإبل ؛ والمراد هنا االله سبحانه وتعالى ؛ لأن الريح تنساق بأمره .
(٢) أي : ليتني أورد وأصدر أمور الحياة من غير تشك للأقدار ، والسؤال عن حكمة الله في خلقه . .

وأرخصني حبيك من طول هجرةٍ فــإنَّ عــزيزَ العــاشــقين ذليلُ
فـأبكي على نـفسي وليس بنافعي إذا تلفت نفــسي لديك عــويلُ
وأبكي على العـزمِ الذي أنا ناشـدٌ فـعـزمي شـريد في هواك ضـئيل
أناديه هـل من سلوةٍ فـتــريحني وقـد صُمَّ عـزم من هـواك قـتـيل ؟
فـيـا جَنَّةَ العُـشـاقِ ظلّك وارفٌ وإنّي في حَــرِّ الغــرام أقــيل
لئن لـم يرُحني الطيفُ منه بهـجـرة جننتُ فـهل يبـكي عليَّ خليل ؟
فإنَّ اقـترابَ الطيـفِ سخرٌ وشـقـوة وخــبل أليمٌ في الفــؤادِ دخـيل
تملّك أرضي رحـبــهـا وفـضـاءها وأصـبحَ في أفق السَّـمـاءِ يجـول
ويســخـر بي طوراً وطوراً يهـشُّ لي فــأنت قَطوع والخــيــالُ وَصُــول
وأحـسب شـيطانًا من الجنِّ آثمـاً يُليح بحــسنٍ منكمُ ويصــول
وكـيف يفـرُّ المرءُ من ظلِّ جـسـمـه فطيــفُك لي ظلٌّ لـدىَّ ظليل
وأستعطفُ النِّسيانَ في الحبِّ إنّه طبــيـبٌ وقـلبي من هواكِ عليل
فمن لي بكأسٍ منه تمحو لواعجي فــحــبّك داءٌ للضلوع أكــول ؟

المموه

شــهــادة للكريم يبــغـضــه الـ وغــدُ صـيــال اللئــام بالتُّــهمِ
ولستُ أخــشى زورَ المقـالِ إذا أودت بما يخلقــونه شــيــمي
يحــزنني المرءُ ذو الفطانة والـ ـلب بنفسٍ شنعــاء كــالظلم
قد تسفلُ النفسُ والحجى صعـد في راجح العـقلِ سـاقط الهـمم
وانــت لا فــطــنــة ولا أدب يـكبح شين الخـصـالِ باللُّجُم

إن أخـــا اللؤمِ ينتـــشى بأذى الـ — شــتـم ويبـــغى الخليلَ بالألـم[1]
يغــالط الناسَ عن مــقـــابحـــه — وهو كناب مـــخـــضّب بدمٍ
يحـسبُ خـفـضى لشأنه عظَمـاً — هيـهـات مـا كـان ذاك من عِظَمِ
لستُ مـلومـــاً إذا علوتُ وأخـ — ـطاك عــلاء فـالذنبُ للقِسم
يحـسبُ قــدرى رهناً بسـبـتـه — هيـهـات ليس الحضيضُ كالعلم
هيـهـات مـا سبـة الحقـيرِ أذى — كلّ امـرىءٍ قـادرٌ على التـهـم
وليس قـولُ السبـابِ مـعـجـزةً — حتى تباهى بالهُجْر فى الكَلِم[2]
وغـادرٌ قـد غـفـرتُ زلتـه — فـمـا رعى لى فـضـيلةَ الكرم
وعـاد يبـغى بشـتـمـه ألمى — يا خبُّ، مـاذا تلذُّ فى ألمى ؟
ويـوهـم النـاسَ أنـه مَـلَـكٌ — وأننـى لسـت راعـىَ الـذمم
يحـسبُ رأىَ الأنام نهـبـة خـ — ـدّاع وأنَّ الصـوابَ كـالحُلُم
يزعمُ مـا سطّر الورى كـذباً — والفضل والنقص ليس فى الشيم
بل فى ادعـاءِ اللبيـبِ إن خـدع الـ — ـناسَ جـمـيـعًـا بباطلِ الكَلِم
يحـوكُ من نسجٍ كـذبه كـفناً — للنفس ، والنفسُ منه كـالرمم
أو عنكبـوت ذمـيـمـة سكنت — بيتًا من الكذب حيكَ فى الظُّلَم
الكذب أحبـولةٌ يصـاد بهـا الـ — ـقانص فيـهـا عـدلٌ من النقم[3]
لتـقـضـمنَّ البنانَ من ندمٍ — لو كنت تدرى فـضـيلةَ الندم
والشـرّ قـد تجـتـويه من ندم — يدعو نفوسًا لأحسن الشّيم[4]

(١) ينتشى : يسكر .
(٢) الهجر بضم الهاء وسكون الجيم : السب فى الكلام .
(٣) الأحبولة : حبائل الصياد .
(٤) تجتويه : تكرهه .

لا يندم المرءُ نفسه خبثت فأنكرت خُبْثَها من السّقمِ
تحمل الناس وزرَها أبداً وذاك يغرى بزلة القدم(١)

شقوة العيش

حياتى ! أما للنحس حدٌّ ولا مدى فإنى كرهت العيشَ فى أول الصبا!
حياتىَ ! إن الجسم يبلى ودونه فؤادٌ شجىٌّ ليس يدركه البلى
إلى مَ حياتى أذرف الدمعَ حسرةً ولا ينفع المحزون أنْ ردَّد البكا
وبين ضلوعى للتصبرِ لوعةٌ تحملنى ما لا أطيق من الأسى
وحتى متى أبلو نفوساً ضئيلةً أبين لها ودّى فتبدى لىَ القلى ؟
وحتى متى يُبغون ضرّى وشقوتى ومالى لوُ خيّرت فى الناسِ من عدَى ؟
يهيجون أقذارَ النفوسِ بشرُّهم فما يقنعون الدهرَ منىَ بالصفا
فيكدرُ ماءُ العيشِ والعيشُ منهلٌ إذا ماطفا من كدرةِ الشرِّ ما طفا
وليس لهم نفعٌ يرجّون نيلهَ إذا ما كوى قلبى من الهمِّ ما كوى
كأنَّ عذابَ المرءِ للمرءِ ضحكةٌ فقد أُغرم الإنسان بالشرِّ والأذى
ينالون من قلبى بنابٍ ومخلب وماراعهم أن خضّبوا القلبَ بالدما
كأنى ربيبُ النحسِ ليس يجوزنى فياشرّ ما راعٍ يجور إذا رعَى(٢)
إذا كان فى نحسِ الفتى شرفٌ له فمالىَ لم أشبع من المجد والعلا؟
يقولون بؤس العيشِ نبل لصابرٍ فلا مجد إلا فى ذوى النحس والشقا

(١) أى ذاك يغرى بالآثام .
(٢) يجوزنى أى يتعدانى .

فإن كان فى هذا العذاب مهذّبٌ فاغدق على راجيه يا عيشُ مارجا(١)
حياتى ! أعفواً جئتِ أم عمد عامد قضى من صروفِ الدهر فى الخلقِ ما قضى
ولو أننى كالناس لؤماً وغلظةً جريتُ على شرع الزمانِ كما جرى
فيا موتُ أقبلْ لا كإقبال رائع مرير كطعم العيش يؤلم من حسا(٢)
ولكن كترنيقِ النُّعاس بمقلةٍ طواها الكرى أو مثلما تفعل الطلا(٣)
وكن لى على الأحزان عوناً ورحمةً فما نافعى فى العيش لومٌ ولا رضا
وما طلبى للموت تطلاب كاذب رأى الموتَ ينحوه فأبكاه ما رأى(٤)
فإنَّ حياتى غلةٌ ريها الردى وخيرُ شراب المرءِ ما نقع الظَّما
فتخمد نارٌ كان جمًّا ضرامها إذا ما خبا من لوعةِ العيشِ ما خبا(٥)
فيا قلبُ كن فى الصدر كالميت واسترح كفى من مرير العيشِ يا قلبُ مامضى
لعلك إن نهنهت يا قلب رغبةً وعفتَ طماحَ العيشِ يدركك الردى(٦)
فيا ليت أن المرءَ إمَّا دعا الردى أتاه فلا نحسٌ يروع ولا أسى
أما يصطفينى الدهرُ إلا لحسرةٍ فهلا اصطفى لى عيشةً غير ما اصطفى
ويشعل فى قلبى جحيماً ، وناسه شياطين ، فيه تضرم الهمّ والجوى
أداريهمُ جهدى وما ذاك نافعى وأمنح منهم مُدعى الفهم ما ادّعى
فاصبحت أخشى الناس فى كل خطرةٍ وأفرق من داعى للمودة إن دعا
ومن شقوة الإنسان أن حار لبه وأصبح خفاق الأضالع والحشى

(١) على راجيه أى على راجى هذا التهذيب الذى فى المصائب . (٢) حسا يحسو : شرب .
(٣) الطلا مقصور الطلاء الخمر . أى أحب الموت الذى يحس به المرء كما يحس بلذة النعاس وراحته أو لذة الخمر ونشوتها . (٤) ينحو : يقصد . (٥) خبا : خمد . (٦) نهنه : زجر .

كـأنىَ بين الناسِ من أهل عـالمٍ جـديدٍ غـريب أخطأ الأهل والحـمى
فما لىَ من عطفٍ لديهم ورحمة ولا لىَ فـيـهـم من إخـاءٍ ولاهوى
يعـيبـون نفسى ضلّةً وجهالة ويرمـونـنى بالسـوءِ والمكرِ والخنى
إذا ما أراد المرءُ إخفـاءَ عـيبـه رمى غيره بالعيب لم يعْدُ من رمى [1]
ومـا قـومىَ القـوم الذين أراهمُ ألا إن قومى فى البعيد من الدنى [2]
كـأنَّ حـياةَ الناسِ ضـجـةُ أخـرق وعيشىَ فيهم نغمة البؤس والأسى
وأوجع ما لاقيت جاه مصدق كـأن ثيـابَ الجاه خيطت من الحجى
يخـال ذووها فى كـمـالٍ وعـفـةٍ وتحت ثيـابِ الجاه ما شئت من خنى
يصدق رأى الجمعِ والجمعُ ظالم ويحـتـقـر رأى الفـرد ريان من نهى
بذا قضت الأخلاق ما بين أهلها وما تنفع الشكوى ألا خاب من شكا !
وكم من جموعٍ ليس تعدل واحداً فإن ظلام الجهلِ فى الناس كالعمى [3]
فيا شقوة الأيام هل منك مهربٌ فاعدو وهل ينجو من النحس من عدا ؟
كـأنَّ همـومَ المرءِ ذنبٌ مـراوغ فيـابؤس مقتولٍ ويابؤس من نجا [4]
وبعض دواعى العقل حربٌ لبعضها فلا يعرف الإنسان فى العيش من دعا
أليس الحجى والحقُ لغزاً ومجهلاً فهل سعد الإنسان بالعقل واهتدى؟ [5]

أمل ميت

لحبّك من عمرى أخيرٌ وأول وإنك فى قلبى حبيب مبجّلُ

---

(١) لم يعد : لم يتعد (٢) الدنى : جمع دنيا (٣) أى لا توازى واحداً
(٤) لأنه لا ينجو إلا مقروحاً ممزقاً (٥) المجهل : الأرض المجهولة .

قصرت عليك الأنفسين محبة ... فحظّك من حبّى فؤاد ومِقْوَلُ[1]
وإن كنتُ قد قطعتُ قلبى صبابةً ... وعرضت نفسى للذى ليس يجملُ
وذكرتنى العهد القديمَ الذى مضى ... وشوقنى الودّ الأغرّ المحجل
فحتّى مَ أرجو منك ما ليس واقعًا ... وحتّى م أذوى فى ثراك وأذبل ؟
سفاهةُ أحلامٍ تغرّ وتنثنى ... وتترك قلبى والهاً يتململ
وبشرتُ نفسى منك بالسعد والمُنى ... فأصبحتُ أبكى إن ذكرت وأعول
خذ اليأسَ منى مدحةً لك إنه ... جزاؤك عندى نعم ما أتبدل
لفظتُ الأمانى كالبُصاق ولم أكن ... لأغترّ بالآمال لولا التعلل
هو الرغبُ مثلُ الريق إن ساءَ طعمه ... فإخراجه بالمرء أحرى وأمثل
ولكن يأسَ الحبِّ حبٌّ وذكرةٌ ... وفى اليأسِ ما يلقى الفتى حيثُ يأمل
وهل أنت إلا كالأنام وحالهم ... لهم عزمةٌ فى كل يوم تقلقل
يريدون أمراً طرفةً ثم غيره ... فلا العهدُ محفوظاً ولا القولُ يفعل

التفاهم فى الحب

إن خبَّروك بسلوةٍ كذباً ... فأخو الملامِ كثيرةٌ تُهمه
ولقد رأوك على جفائك تحـ ... ـنو نحو قلبٍ هانَ فيك دمهْ
فتحدثوا أنى استعضت هوى ... وهواكَ دون القلبِ مضطرمه
ساموكَ نسيانًا لذى سقمٍ ... لا عيشه تدرى ولا عَدَمه
إن كنتَ أنتَ وأنتَ ذو فطنٍ ... ضاعت لديكَ من الهوى ذممه

(١) المقول على وزن مبرد بكسر الميم : اللسان .

أفـمنصـفى من ليس يفـهمُ مـا … اعنى ولا مــحــمـودةٌ كَلِمُــه
أفـمنصـفى من ليس مـثلك فى … لبٌ ولا حَـسُنت بكم شـيـمُـه
أقـسـمتُ بالأشـواقِ نحـوكُم … وجـوى المحبِّ مـشـفَّعٌ قَسَـمُـه
فـانظرْ إلى روحى وروحكـمُ … تبـدُ لديكَ من الهـوى حكَمُـه
فلقـد خُلقـتم كى يحـبكمُ … قلبى فـتـخـصب قلبكم ديمُه
والحبُّ يخـصبُ قلبَ صاحـبِـه … حـتَّى يفـيضَ على الورى كـرمُـه
قلبى على الهُـجـرانِ ذو أملٍ … إنَّ الرجـاءَ مـحـبَّبٌ حُلمـه
بينى وبينك حـاجبٌ فـمـتى … تنجـابُ عنا فى الهـوى ظُلَمُـه
ومـتى أحـقّق فـيكمُ حلمى … ويطيبُ من شـجنِ الهـوى نَغَـمُـه
ولقـد عـشقتُ فما عشقتُ سدًى … إنَّ الغـرامَ كـثـيـرةٌ نِعَـمُـه

ملك القلوب

حجبوكَ عن طرفى وأنتِ سميرُهُ … ونَفَـوك عن قلبى وأنت أمـيـرُه
فـوحقِّ حسنك وهو خيـر أليَّةٍ … الحسنُ فـيك غـريبـه وغـريرُه[1]
ووحقِّ حسنِك ما انتفعت بعيشةٍ … لم يأنَ فـيـهـا من سناك سـفـورُه[2]
كالليلِ، والبحر الخضمِّ، وصرصر ، … تغـدو عليـه تميـره وتثـيـره[3]
ظُلـمٌ علـى لجـجٍ تجـىءُ وتنـثنـى … حـتى يروع من العُـبـاب زئيـره
يأيُّهـا المَلك البـعـيـد بودِّه … لكَ من هواى جليُّـه وسـتـيـره

---

(١) ألية بتشديد الياء : أى قسم . (٢) أنى يانى : أى حان وآن .
(٣) هذه العيشة مثل اجتماع الليل والبحر والعاصفة .

القلبُ فوضى وهو مُلكٌ واسعٌ | وُكِلتْ إليك شئونُه وأمورُه
فارفقْ بملكك فى فؤادى واحتكم ، | فالملكُ ملكُك تاجُه وسريره
والحبُّ خرقٌ والوفاءُ سرابه | هيهات ما نفعَ المحبَّ غديرُه[1]
والحبُّ كأسٌ قد شربتُ عقارَه | لم يُغْنِ فيك صغيرُهُ وكبيرُه
أوَ ما أوَيت لعاشقٍ مُتَعبدٍ | لجليل حسنك دينه وضميره
إن كنت أنت مع الزمان عدوَّه | من ذا على جورِ الزمانِ يجيره ؟
والشعرُ مثلُ الروضِ باكره الحيا | يُجنْى لذى الحسن الطريرِ نضيره
وبعثتُ قلبى قاطفاً من روضه | والقلبُ يسعى فى هواك أسيره
فجنيتُ من ثمر القريض أطايبًا | يُجْنَى لغيرك يا حبيب مريره
هذى قصائدىَ التى يُزهى بها | وخيالُ شعرٍ للجلال خطيره[2]
ذهبَ الوفاءُ فلا حبيبٌ صفوه | يرجى ولا أملٌ تدرُّ دروره[3]

الحق المكتوم

الحقُ حملٌ يؤود النفسَ محمله | إذا مضيت بشلوٍ منه مقبور[4]
إذا كتمت ، فداءٌ لا دواءَ له | بل طبه حين يبدو غير مستورِ
كأنَّما النفسُ منه اليمُّ مصطخبًا | يظلُّ يضربه وقعُ الأعاصير
والفكرُ كالنارِ فى الأحشاء كامنة | حتى يذاع فيبدو ساطعَ النور
لا تكتم النفسُ حقاً أبصرت أبداً | فللأجنة حد فى المقادير[5]

---

(١) الخرق : المهمه والقفر (٢) أى تستدعى العجب والزهو (٣) الدرور : الكثيرة اللبن
(٤) الشلو جمعه أشلاء : وهى أعضاء الجسم بعد التفرق والبلى
(٥) الأجنة جمع جنين : أى أن الحق المكتوم مثل الجنين ، وكما أن الجنين إذا نما لابد أن يخرج كى لا يقضى على الحامل ، كذلك النفس لابد أن تخرج ما تحمل من الحق .

هو الوليدُ وليدُ النفسِ تحمله كأنه الطفلُ يُغذَى في المقاصيرِ

إن كتَّمته على رغمٍ لذلتها عاشت بحال بغيضِ العيشِ مصدورِ

والحرُّ إن لم يُطق إرسال فكرته راع الأنام بدامي الصدرِ منحورِ

قد حدثت نفسه عيسى بقلتها وكاد أحمد يقضي غير مذكور(١)

أشقاهما من لجاجِ الحقِ شدَّتهُ والحقُّ في الناسِ خافٍ غيرُ مشهور

والحقُّ يقتل نفسَ الحر إن كتمت نداءَه خوف إقدامٍ وتشمير

والحقُّ تذعر نفسَ الحرِّ روعته وغافلُ القلبِ ميتٌ غير مذعور

والحقُّ إن لم يُجَب كالوحش مفترسًا كأنما وقعُه وقعُ الأظافير

ويوسعُ النفس لسعًا حين تكتمه كأنما لسعُه لسعُ الزنابير

والحقُّ منكتماً كبل وجامعة غُلَّت على خاشع الآمال مأسور(٢)

وليس ينفيه نكران ولا فَرَق وليس مندفعاً بالزورِ والجور

بلاغ الحب

أيا نفس من نفسي إليه مشوقة ومن هو في نفسي أميرٌ وحاكمُ

أحبك حبًا ليس يدركه قلَى قلى الحب ما أدت إليه المآثمُ

إلى مَ تحول الحجْب بيني وبينكم كأنك أحلامٌ وإنيَ نائم

ولو كنت تدري قدرَ حبيَ كله لأبديت لي النفس التي أنت كاتم

---

(١) إشارة إلى حادثتين في حياة محمد وعيسى عليهما السلام : إذ اشتد بهما لجاج الحق فكاد يدفعهما إلى الموت .

(٢) الجامعة : قيد يجمع أعضاء المرء بعضها إلى بعض .

فلا تُخْفِ عني يا حبيب سريرةً | فلستُ بشارٍ للنفوسِ يساومُ(١)
وكن ليَ مثل الماءِ يبدى ضميرَه | ولاتكُ مثلَ الليلِ ، والليلُ قاتم
بذاك يصحُ الحبُّ بينى وبينكم | وتثبتُ منه فى الخطوبِ الدعائم
فلو كنتَ بين الناس ربًّا معزَّزاً | ونادوك أنى فاتكُ النفسِ جارم :
لألفيتُ غفرانًا لديك ورحمةً | فما يغفر الزلأت إلا الأعاظم
وإنك لو أصبحت فيهم مرجّما | فإن فؤادى ناصرٌلك راحم
ستعلم يوماً أننى لك عاذرٌ | وإن كان بين الناس عادٍ ولائم
فإنى قتلتُ العيش علمًا وخبرةً | فما راعنى فى الناس خِبٌّ مسالم
ولستُ كمن يرجو على الحبِّ رشوةً | وينفثُ فيها ما تكيد الأراقم
بسطتُ لكم عرضى مجَنًّا يقيكمُ | وأنف الذى يسعى لكيدك راغم(٢)
نظرتُ إلى الأعمال كيف ابتعاثها | فما راعنى إلا النفوسُ الرواغم
وماقسموا الأفعال قسمةَ عادل | وهل حاكمٌ بين السرائر حاكم
فللمرءِ فينا خادمٌ من ضميره | وما لسواه منه عونٌ وخادم
يرى أنه فى فعله غير آثمٍ | وأن سواه فاتك النفس آثم
وما العيشُ إلا خدعة بعد خدعة | وما الناسُ إلا مستغيثٌ وظالم
وما دَنَس أن تمنح الحبَّ ما كراً | إذا أنت غرتك الثنايا البواسم
يعيبك أنْ محَّضته الحبَّ جاهداً | أينقم أنْ محّضته الحبَّ ناقم
وما خيرُ حبٍ أحكم الكيدُ أمره | سيدهمه صرفٌ من الدهرِ هادم

---

(١) شرى : تستعمل فى الأضداد ، يقال شرى بمعنى اشترى ، وشرى بمعنى باع .

(٢) المجن : الترس .

وكلُّ لئيمٍ يجعل الحبَّ سُبّةً ... فتعدو عواديه وتسرى المظالم
وهل سُبّةٌ فى الزّهر أن فاحَ نشرُه ... وأن هدلتْ فى وكرهنَّ الحمائم
وألْوَمُ من عاداك من هو حقبةً ... شريكُك فى أفعاله ومقاسم
فلا تأسَ أنَّ الناسَ خبٌّ وكائدٌ ... نصيبُك من قلبى مجيرٌ وعاصم(١)
وإنّك لا تجديك خشيةُ كائدٍ ... وإنك لا يُجديك أنك نادم(٢)
فياليت لى عزم القضاءِ وحوله ... فتُحمد بين الناس منك العزائم
أعلمك الأمرَ الذى أنا عالم ... وأمنحك العزمَ الذى أنا عازم
فإن أنت لم يُكسبك حبىَ رفعةً ... ولم تروِ نفسى من هواك المكارم
ولم أخلُ من شكٍّ تعالج مثله ... ولم يُزج نفساً نحو نفس تَفَاهم
ولم تمتزجْ نفسى بنفسٍ أحبها ... كما يمزج الصهباءَ بالماءِ ناعم(٣)
ولم يبتعثْ حبى للبّك فطنة ... ولم تطّبينى من هواك العظائم(٤)
فوا أسفاً لا حبَّ يجدى لديكمُ ... عُلا الحبَّ ماتبغى النفوسُ الكرائم

الآمال الذاوية

أيا فتنةَ الأحلام قد لاحَ كذبُها ... محال علينا أن نلذَّ بك النوما
لقد كنت فى عيشى مصابيح حلية ... فقد صارت الأيامُ أغربةً سُحما(٥)
فيا حسن مرأى العيش لو عاد حلمُه ... وإنَّ ألذَّ العيش ما خلته حلما
عزيزٌ علينا أن نقولَ بكذبه ... وأن لا يكون الحسنُ إلا كذا وهما

---

(١) لا تأسَ : أى لا تحزن (٢) لاتجديك : لا تنفعك (٣) ناعم : أى مترف متنعم .
(٤) اطبى : استمال (٥) سحما : أى سودا .

لقد كنت زادى فى الحياةِ ونهلتى ... فلما استبان الحقُّ زودتنى الهمّا
أأرثيك أم أقلاك لو ينفع القلى ... كلا ذين فى قلبى يجدد لى كَلْما[1]
كأنى غريقُ اليمِّ قد لاحَ حينه ... ألوذُ بزهرٍ منك أعلو به اليمّا
فيا لائذاً بالزهر خابَ تشبث ... بوهن فما وهن لدى مهلك عصما
يرجى غريقُ اليمِّ حتى عدوه ... ويحسبُ زهراً طافياً أجبلاً شمّا
فيا حسنَ أحلامٍ تقضّت لذيذة ... ويا طيبها خدناً ويا طيبها خلما[2]
وكانت حبيبًا مات أنكرت هلكه ... أقلبه طوراً وأوسعه لثما
عسى أن تعودَ الروحُ جسماً أحبه ... فأكلأ من وقعِ البلى ذلك الجسما
وهيهات يُعفى النتن جسماً نحبه ... فكم ذلَّ جسمٌ لم ينل قبله وصما
كذا أنت آمالى التى غالها الردى ... وكم غالَ آمالاً يلاذ بها قدما
على مَ تُرى الأقدار ما لا نناله ... وترجى نفوسًا كى تتوق وكى تظما
إذا لم يكن فى منهل العيشِ طبها ... فيا ربَّ أطماعٍ تدوف لها السما[3]
أعيرى جناحًا كى أنالَ به المنى ... ونبلاً لكى أرمى به مثلما أُرمى
فإنَّ سنا الآمالِ أعشىَ لواحظى ... فيا طيبها رؤيا تهيج بىَ السقما
وما فتنةُ الآمال إلا كغادةٍ ... تلين لنا كذباً وتوسعنا صرما[4]
وقد تسعدُ الآمالُ بعدَ فسادها ... كذاك ثمارُ السوءِ أخبثها طعما
ولو كان قلبُ المرءِ بالعقل حكمه ... لما زوَّد الأقدار مدحا ولا ذما !

---

(١) الكلم : الجرح
(٢) الخلم : الخليلة .
(٣) تدوف السم : أى تمزجه
(٤) الصرم : الهجر .

شكوى

حـياةٌ كـدمعِ العين أمّا مـذاقـهـا ... فـمـرٌّ ، وأمّـا وقـعُـهـا فـوجـيـع

وإنّ الأمـــانـيَّ الـتـى أنـا نـاشـــد ... فـقـاقـيـع ، طرفى نحـوهـن نَزُوعُ

تقـدمنى فى النـاسِ من لـم يجـارنى ... وأخّـــرنـى أنّ الذكـــاءَ يـروع(١)

وأخـرنـى أنَّ اللبـيـبَ مـحـسّـدٌ ... على فطنةٍ يعـصى بهـا ويطيع(٢)

كـأنّى بجارى النهر صخرٌ تجوزه الـ ... ـمـيـاه ومـا للجـاريات رجـوع

يمرُّ لداتـى واحـــداً بعـــد واحـــدٍ ... أمامى ، وعيشى فى الهوان يضيع(٣)

وأوجع ذلّ النفسِ طاعـــة سـائـدٍ ... تعلّى ، وقـدمًـا كـان وهو مطيع

أيخــشـون منّى خلةً عـبـقـريةً ... فـيـغلو مقالٌ أو يسوءُ صنيع؟(٤)

ويبغون أن لا يجتلى البرق فى الدُّجى ... بعينٍ ولا طيـب النسـيـمِ يضـوع؟

فـيـا نفس صبـراً إنما العـيشُ لوعـةٌ ... ومـا للذى يشـقى القـضـاءُ شـفـيع

وإنَّ حـيـاةَ الطامـحين عـواصف الـ ... ـشـتـاءِ وعـيـشَ القـانعين ربيع !

العلم وعزة النفس

رأيـت بيـــوتاً كـــالوجـــارِ ذليلةً ... ألا إنَّ عـــيشَ الجــاهلين عليلُ(٥)

رضـاءٌ بعـيش البـهم والخـصبُ وافرٌ ... ومـــركـب من يبـــغى العـــلاءَ ذلولُ

---

(١) أى أن الناس تسيء الظن بالذكى وتحار فيه وتخشاه ، فلا تسعى فى تقديمه ونفعه إلا إذا كان عنده من الدهاء ما يمكنه من مداجاتهم وخداعهم .

(٢) إذ إنهم يريدون المرء للطاعة فقط لا للفطنة مهما جشمته الطاعة من الضعة والنذالة

(٣) لداتى : قرنائى

(٤) الخلة : الخصلة والصفة

(٥) الوجار : بيت الكلب .

يعيشون كالأنعام فى نفعِ ربها — ولكنَّ مرعى الجاهلين وبيلُ[1]
ويعلو الفتى بالعلمِ عن كلّ ذلّةٍ — وكلٌّ جهولٍ لو فطنت ذليلُ
وفى الجهل أسرٌ للنفوس ورهبةٌ — هو الجهل داءٌ للنفوس قتولُ
ويرضى جهولٌ بالقليل مهابةً — ولا يطّبى المرءَ العليمَ قليلُ
وتعظم نفس المرءِ حتى كأنها — عوالمُ فيها الكائناتُ تجول
على قدر علم المرءِ عزةُ نفسه — فأهل النهى فى الصاغرين قليل
وأكثر ذلّ العاقلين خديعة — وأكثر ذل الجاهلين خمول
وما العلمُ إلا قوة واستطالة — يحكمه أهلُ النهى فيصول
فلا تحسبن الحربَ سهماً ومغفراً — فإن سلاحَ الصائلين عقول[2]
وكم بلغت شأوَ العلا فى منيةٍ — نفوسٌ على حدٍّ السيوفِ تسيل
وكم أخطأ العلياءَ غرٌّ ونالها — سريعٌ إلى داعى المنون عجول
وفى ملك أهل الجهل جبن وذلةٌ — تراه إذا ما لم يزل سيزول
وفى العلم حسنٌ للنفوس وبهجةٌ — وعيشٌ نبيل لو فطنت جميل
ويفزع أهلُ الجهل من كل حادثٍ — كما خاف طفلٌ فى الظلام يجول
وكم خفض الأقوام أن زال علمهم — فأصبحَ صرحُ العلمِ وهو طلول[3]
وكم ترفٍ للعلم والعزّ قاتل — يزل حَميّات النهى فتزول
فلا علم إلا عابث كلُّ ذهنُه — ألا إنَّ ذهنَ المترفين كليل
كذلك حالُ الغابرين فلا ترى — علاءً مضى إلا عليه دليل
فإن صروفَ الدهرِ فى وثباتها — سيولٌ على آثارهنَّ سيول

(١) الأنعام : البهائم الراعية . (٢) المغفر : زرد للرأس . (٣) الصرح : القصر المتين.

فيا مَنْ لغرقى أثقل الجهلُ ظهرَهم ... وللْجهلِ حملٌ فى الحياةِ ثقيلُ[1]
كأنَّ ظلامَ الجهلِ بين عيونهم ... ستارٌ على ما يكرهون سديلُ
لقد أرمدت شمسُ العلاء عيونَهم ... فطرفهمُ دون العلاءِ كليل
همُ يحسبون المجدَ نهبةَ باخلٍ ... يقتّر فى مسعاته ويكيل
وما علموا أنَّ النفوسَ وسائلٌ ... يجودُ بها باغى العلا ويصول
وما غبن الأقدار باغى طليبة ... ضنين بما يدنى الطليب بخيل[2]
على قدر ما يُعطِى الفتى هو آخذٌ ... فمجدُ الذى يُعطى الجزيلَ جزيل
ويبذل من أعمالهِ وحياتهِ ... عظيم بنيلِ السَّاميات كفيل
وقد يضجرُ اليقظان من سقم عيشهِ ... وليس بجمعِ الجاهلين ملول
فصبرُ الجهولِ الفدم نومةُ راقدٍ ... ولكنَّ صبرَ العاقلين مقيل[3]

نجم الحياة

أنتم رجاءُ حياتى ... يا طيبه من رجاء
وأنتمُ نجمُ سعدٍ ... يضيء وجه سمائى
لولاه كانت حياتى ... كالليلة الليلاءِ
مالى لديك شفيع ... إليك غير وفائى
لا تتركنْ حياتى ... فريسةً للشقاءِ
فإن نبهت ذكاءً ... فأنت واقى ذكائى

---

(١) الجهلاء لايحسون ثقل الجهل ، ولكنهم يحسون سقم العيش وسوء الحال الذى سببه الجهل .
(٢) *الطليب : المطلوب .* (٣) *الفدم : الغبى .*

وإن بـلـغـت عـــــــلاءً ... فـــانت أصلُ عـــلائى
وأنـــتُـــمُ نجـمُ حـــظـــيَ ... من شـــقـــوةٍ ورخـــاءِ
إن شـئـت وقُـيت عـيـشى ... مـــصـــارع الأدبـاء
فـــلا تـكـلـنى لـقـــومٍ ... لا يـســمــعـون دعـائى !

ذل المشيب

تمـر بىَ الأيـامُ حـــتّى تـروعـنى ... لذلِ مـشـيـبى لا لوقعِ شَعُوب(١)
وأخشى مزيدَ العمرِ يسلب جِدتى ... فـأشـقى بوهنى واتصال عـيـوبى
ولم أُلْفِ خلاً فى الشباب مصادقاً ... فكيف أرجّى فى المشيبِ حبيبى ؟
فـيـا خـيـبـة للمـرءِ قـاربه الردى ... يقـول لأيام الـشـبـيـبـة : أوبى
يجوبُ فيافى الشيبِ والموتُ راصدٌ ... كـمـا يرصـد الغربان هُلك غـريب
يرى فيه أشباحَ السّنينَ التي مضت ... كـمـا روّع الـسـفـاحَ روحُ سليب
وكم نهزةٍ فى العيشِ يبكى ضياعها ... ولم يرو من جـمـاتهـا بذَنُوب(٢)
تُجِـدُّ له ياليت شـجـواً وحـسـرةً ... وهل قوله : ياليت ، غير لغوب؟(٣)
ولـم أحـمـد الأيام أيام شِـرَّتـى ... أأحسب سؤرَ العيشِ غير مريب ؟ (٤)
أظلُّ غـريبـاً بين أهلى ومـعـشـرى ... وكم أشـيـب فى قـومـه كـغـريب
وأصـبـح كلاًّ فى العشيرةِ مقعداً ... يقـــتّـــر رزقى أو يملُّ قـــريبى

---

(١) شعوب : أى الموت . (٢) الذنوب : النصيب وأيضاً الدلو الملأى ماء ، والجمات : المقادير الكبيرة من الماء (٣) اللغوب : التعب والإعياء (٤) السؤر : ما يترك فى الإناء من فضلة الماء ، وشرة الشباب : نشاطه .

ويهـزأ بى الأهلون من بعـد هيـبـة ... وأخـشى وقـدماً كنتُ غيـرَ هيوبِ
وأصـبح منسيـاً وإن كنتُ شـاهداً ... كـأنى خـفىُّ الجـسم غـيـرُ قـريبِ
وكم قـائلٍ مـا باله طالَ عـمـرُهُ ... سـهـا الموت أم ما عمره لشَعُوب
ويخطىء سـعى الرزق أيام مِـرَّتى ... فكيف إذا أصبحت غير كسوب؟[1]
فـزرنىَ فى ليلِ الشـبـاب كـسـارقٍ ... ولا تـنتظرْ يامـوتُ ذلَّ مـشـيـبى !

خطوة عن عالم الحسن

خطوة لا خطوتـهـا أبدَ العـمـ ... ـرِ خطت بى فى عـالم الأرواحِ
أخـرجـتنى من عـالم الحسّ حـتى ... خلت أنى أقضى بحَينْى المتاح[2]
غـاب عنى الوجـودُ واسـتـشعـر الحـ ... ـسُّ اغترابًا عن صرفِ دهرى الوقاح[3]
خلت أنى فى النوم أبصـرُ حلمـاً ... كيف أُغْفِى والقلبُ يقظان صاحى
رحتُ أسعى كـمـصحـرٍ بان عنه الـ ... ـصـحب فـردًا ذا وحـشـةٍ واطّراح
أو كـذى الجُرم حين طال به السَجْـ ... ـنُ يضلُّ الطريقَ عند السـراح
عــالَم غـيـر عـالم الحسّ أبغى ... فيـهِ عوناً على الصروفِ الشحـاح
حيث تبـدو النفوسُ فـيـه جـهـاراً ... عـاريات من جـسـمـهـا والوشـاح
فنفـوس ملسـاءُ كـالغـادةِ الرو ... دِ وأخـرى قـد أدميَت من جـراح
وأرى فـيــه كلُّ أمــرٍ تقـضّى ... من سـرورٍ وخـيـبـةٍ ونجـاح
وأرى مـا دفنت من خطرات ... وأرى فـيـه مـا مـضى من طمـاح
وتكاد الأشـبـاحُ يلمـسـهـا المر ... ءُ لهـا جَـرْس فـرحـة أو نواح[4]

(١) المرة : الشدة والقوة . (٢) الحين : الأجل . (٣) الوقاح : الشديد . (٤) الجرس : الصوت .

وأرى أوجــــهَ الدُّهور التى فـــا   تت بسلم من أمــرها وكــفــاحِ
وأرى أوجــــهَ اللّيـــالى التى مـ   ـرَّت ســراعــاً بنا كــمــرِّ الرياحِ
وأرى عـيشىَ الذى قـد تقـضَّى   فى صــلاحٍ أو غــيــةٍ وجــمــاح
وأرى وجــه من عــرفت ومن مــا   تــوا ووارهــمُ أديم الــبــطــاح
فـعــرانى القنوطُ من صـولةِ المو   ت ومــا لاحَ فى رُباه الفــسَــاح
وابتــغــيت الطريقَ أرجع للحـ   ـس فـاشـفى به أوار التيـاحى(١)
غـيـر أنِّى أضللتـه ومـضى بى الـ   خطو حـتى انكرتُ وجـهَ رواحى
خطوةٌ إثْر خطوةٍ فــيــه حــتى   قـد هدانى خطوى لنهجِ النجـاح
خــذْ بقـــولى ولا تضلَّ عن الحـ   ـس فـيـا ربَّ نعمـةٍ فى انتصـاح
إنمـا الـفـكـرُ خـطـوةٌ تـنـقـلُ المـر   ءَ فــحــاذرْ إضـــلالَ وجـهِ المراح

الحسن الكاذب

وددتكمُ جـهـدى فـمـا نَفَعَ الودُّ   ولم يُدننى منكم وفـاءٌ ولا عـهـدُ
فـلا ترحـمـوا قلبـاً يحنّ إليكمُ   فـإنّ فـؤاداً ليس يهـجـركم وغـدُ
لئن لم أبت خلواً من الشجو والجوى   أقرُّ وألهـو ليس يكرثنى البعـد(٢)
فــإنّى خليقٌ بالتنقص والجـفـا   وإنى خليقٌ أن يتـيــه بك الصـدُّ

★★★

وعنَّفتُ قلبى أنْ عـتـبتُ عليكُم   فـبعضُ عتـابِ المرءِ يبعثـه الحبُّ
أتعذلُ من أبدى لك الغدرَ والقلى   وأنـتَ ملومٌ فى حنينكَ يا قلبُ

---

(١) الأوار : حرارة العطش .   (٢) يكرثنى : أي يحزننى .

وقـــد عـــابنى أنى حننتُ إليكـمُ لديكمْ صـدقتمْ أنَّ حُبّيكمُ عيبُ
ولو ودَّ قلبى غــيــركم لعــذرتمُ ولكنَّ حبًّا ليس يعدوكم ذنبُ

★★★

وقـد خلت أنّ العـقلَ عندك وافـرٌ لقـد كـان ذاكَ الظنّ من سفـه الحبّ
فـلا تحسبنْ أنى عنيـتكَ بالهـوى فقـد كان خُلق غير خُلقك فى قلبى
وقد كنتُ أهوى فيك ما قد ظننته وقد كنت أهوى ما خلقت من اللبِّ
فمـا أنا إن جـافيتَ بالواله الجوِى ولا أنا إن باعدت بالهالك الصبِّ(١)

تمثال سوء

يا خِبّ مـا لحظاتُ البغضِ قـاتلةٌ فارجع بلحظكَ مقهوراً ومخذولا(٢)
وقطِّع اللحظ دونى لا ترى رجـلاً تحنى له الرأى تعظيمًا وتبجيلا
لقد نقمتُ عليه الفضل أجمعه فصارَ بغضك تضليلاً وتغفيلا
سلاحُك الجهل لاتهنأ بمضربه وسيفُك الحمقُ لا تتركه مسلولا
وفى غبـائك لو تدريه معذرةٌ عذرُ البهائم محقوراً ومرذولا
لو ضمَّ شملَ لئامِ الناسِ ملكهمُ أعطيت فى ملكهم تاجاً وإكليلا
فـأنت تمثالُ سوءٍ صاغه لَبِق يمثّل الشرَّ والأحقاد تمثيلا!(٣)

★★★

(١) الجوِى : العاشق . (٢) الخب : الخداع . (٣) اللبق : الماهر .

يقظة فى الفجر

قم فــإنَّ الدّهرَ غــفــلانُ وقــضـــاءُ النَّحسِ وسنانُ
رقَّ لـيـلٌ أنـت راقــــده فـكـأنَّ الـلـيـلَ ولـهـــانُ
إن جُـــرْمـــاً أن تـنـامَ بـه مــا لهــذا الجُـرم غــفــرانُ
إنَّ حــسـنَ اللَّيل مكرمـــةٌ بـغـــضُـــهـــا لله نـكـران
قــد أراقَ البــدرُ بـهـجـتَـه وجـحـودُ الحسنِ كـفـران
خـذ نـصـيـبـاً من أشـعّـتـه إنَّ روحـى مـنـه مـــــلآن
وهـمـــــومى منه فـى سنةٍ وفـــــؤادى مـنـه يـقـظـان
وهو للأشـــجـــان أنغـــامُ وأنـاشـــيـــــد وتحنان
قم فـــإنَّ البـــدرَ زائرُنا إنَّ عـــمـــرَ المرءِ عـــجـــلان
ربّ حـــسـنٍ كنت أنشـدُه فى ضـــيـــاءِ البـدرِ عـــريان
اســقنى من ضـوئه جُـرعًــا أنـا مـنـه الـدهـرَ نـشــــوان
لىَ منه خـــمـــرةٌ لطفـت وعـــــــلالاتٌ وسلـوان
قد نـسيتُ العيش أجـمـعه إنَّ طِيب العـيـشِ نـسـيـان
باعَ أهلُ الحُـسنِ حـسنَهمُ مـــا لحــسنِ الليلِ أثمـــان
لُـذْبمـا يـعـطـيـك من مُـلَحٍ كـلُّ مــا يعطيك مـجـان
كم رأى من قـــبلنا أُممًا وكـــأنَّ القـــومَ مـــا كـــانوا
فـــتـــمـــتع إنَّهـــا فـــرصٌ وطبـــاعُ الدَّهر حـــرمـــان
قُمْ فـإنَّ النفسَ يؤنسـهـا من نجـومِ الأفقِ جــيــران

ونجومُ الأفقِ تنظمها فوق رأس الليلِ تيجانُ
وهي جناتٌ لذي أملٍ وهي للأرواحِ أوطانُ
وهي للمفلوكِ عقيان وهي للمهجورِ سلوان[1]
وكأنَّ النفسَ طائرةٌ فلها في النجم بستان
إن حسنَ الليلِ آيته في ضمير الكونِ وجدان
وقصيدُ الكونِ يطربنا منه أشعارٌ وألحان
قم فإنَّ الفجرَ طارقنا إن وجهَ الأفق عريان
في احمرار الخدِّ رونقه فكأنَّ الأفقَ خجلان
ونسيمُ الفجرِ يلثمكم ففؤادي منه غيران !

قبر في القلب

وجعلت أبحث في الفؤاد كأنني في الأرض أنكُتُ جاهداً لا أفْتُرُ[2]
حتى رأيتُ هناك قبراً غائراً للحبِّ قدماً كان غدرك يحفر
وعليه مكتوبٌ بحرفٍ من دمٍ الحسنُ خداعٌ يغرُّ ويغدر
قبرٌ دفنت به الصبابةَ والمنَى ولذيذُ عيشي في جوارك يزهر
وجزعتُ حتى قيل ليس بصابر وصبرتُ حتى قيل لا يتذكَّر
وخَبَرْتُ حالات التسلي والهوى فرأيتُ خيرَ الحسنِ ما لا يُخْبَرُ[3]

(١) المفلوك : الفقير المعدم ، والعقيان : قطع الذهب الصغيرة . (٢) نكت الأرض : نثر ترابها .
(٣) أي خير الحسن ما لا يجرب ويختبر .

فـــالحـــــسنُ ثوبٌ باللجينِ مطرَّزٌ　　والقـبحُ فى ثوبِ المحاسنِ يُستـر(١)
يا قـبرُ هـذا الشّعـرُ فـوقك حليـةُ　　والزهرُ فى قـبـرِ الأحـبـةِ يُنْثـر
يا قــبــرُ أنت قــرارةٌ أرمى بهـا　　ما لا أطيق من الهـمـومِ فتُغـمر
والقلبُ مـثلُ البـحرِ يفـزع قـاعه　　أهنا قلوبِ الخلقِ مـا لا يُسْبَـر(٢)
كم فـيـهِ من أثر العواصفِ راسبٌ　　أبداً بـه لا يُســتطـاع فـيُنْظر
فـاطوِ الفـؤادَ على الهـمـومِ كـأنها　　رمٌ عـلـى رممٍ بـه لا تُنْشَــر
لو كُشّفتْ سِيَرُ النفوس لراعـهـا　　منهـا عـلامـات تسـوء وتَذْعُـر !

صرصور الشعر

يا أيهـا الشـانىء المغرور يشتـمنى　　ارافق بنفسكَ ليس الشتمُ يؤذينى !
لذْ بالجبالِ وضعها فوق فضلىَ واشـ　　ـتمنى كما شئتَ شتمُ الوغدِ يعلينى
واجهد علىَّ إذا ما شمت محمدةً　　منّى فكلُّ خـفـاءٍ ليس يخفـينى
واذم مــقـــالىَ وازعـم أننى رجلٌ　　مغرى بكل ضئيل الرأىِ مأفون(٣)
وانسب إلىَّ عيوباً لست محصيَهَا　　وصِلْ بكلِّ رهيف الحـدِّ مـسنون
فإن فضلىَ مثلُ الشمسِ مشتهراً　　يبين نقـــصك من نتنٍ ومن دون
أبعـد شـدوىَ بالآيات يا عـجـبًا　　وبعـد مـسعـاى فى الغرِّ الميامين :
يتـاح لى منك صـرصـورٌ يناوئنى　　بالرجس والنتنِ يا صرصور ترمينى ؟
لو شئت صبَّت عليك النعل مسكتة　　صـوتًا يغـرِّد فى بيت المســاكين

---

(١) اللجين : الفضة .　(٢) أى أسعد الناس من لا يسبر قلبه ، والسبر : معرفة الغور ، أى من لا يعرف كل ما فى أعماق قلبه .　(٣) المأفون : المكذوب الباطل .

بيتٌ من النظم لا شعرٌ فتحكمه ... ولا نثير متينٌ غير موزون !

لكنَّ نعليَ يا صرصور طاهرة ... عن لمس كل قبيح الشكل ملعون !

لوازم الحب

عبثاً أحاول قرب روحكم ... سفه بقلبي ظلّ يوهمه

أفمنصفي في الحبِّ من زمني ... من ليس يفهمني وأفهمه ؟

لا السنُّ دانيةٌ ولا فطن ... وتشابه في الحب يحكمه

وتغاير في السنِّ ينقضه ... وتفاوتٌ في العقل يهدمه

فاظفر بظئرٍ درُّها عمم ... إن الصغير ذكاؤه فمه[1] !

النقد القذر

نقدُك هذا وَضَرُ الزيتِ ... لوّثْ به ما شئتَ من بيت[2]

يغسله الدهرُ بأمواجه ... إذ أنت فيه طعمة الموت

شعريَ مثلُ الدهرِ في صوته ... وأنت غرٌّ خافتُ الصوت

إن تعب الناقد في نقده ... بادره باللوِّ والليت !

إيكاروس

العبد الروماني

(حادثة في حياة الرومان)

مضى العبدُ إيكاروس في بيت سيدٍ ... يرى الظلمَ حقًّا ليس فيه ملامُ

فيا شقوة العبد الذليل ونحسه ... وفي الظلم لذات الظَّلُوم ترامُ

(١) الظئر : المرضع ، والدر : اللبن ، والعمم : الكثير التام . (٢) وضر الزيت : قذارته .

فلمّا طغى بالعبدِ نحسٌ وشقوةٌ وما كلُّ نفسٍ فى الحضيضِ تقام
تأبطَ سيفاً مرهفاً وسعى به إلى حيث مُولاه الظّلوم ينامُ
فأورده من سيفه موردَ الردى وذلك فى حكم الأنام جُسَامُ(١)
وأشعلَ ناراً ليس تخبو ضرامُها فأصبحَ ذاك القصر وهو ضرام
وجندله بالسيف أنصار ربّه فقال وقد أهوى إليه حِمَام :

★★★

قول العبد :

حلالٌ أباحوا وِرده وحرام وليسَ على العبد الذليلِ حرامُ
قيودٌ بها يشقى الضعيفُ ذليلة لها فى أنوف الخانعين خطام(٢)
وكمْ خدرت نفسٌ بخشخاش مَيْنهم فصالوا وجاروا والنفوسُ نيام
أخالوا حلالاً أن أذلوا بحَولْهم نفوساً ولا مثل المذلّة ذام
فإن قدَّروا جوراً فقد قُدّر الإبا وذلك فى حكمِ القضاءِ نظام
وإن جميعَ الناس فى الضعف إخوةٌ إذا لم يخف مرعى الحرام سوام(٣)
ألا إنَّ دفعَ الشرِّ بالشر سنةٌ ومن جُنَّ من جورٍ فليس يُلام
هوَ العبدُ عبد النفسِ من عاش راضيًا ولا يُخضع القلبَ الأبىَّ زمام
وما ظَلمَ المظلوم إلا رضاؤه وفى كل ظلمٍ للنفوس مدام
وبعضُ التُّقى والحزمِ جبنٌ وذلةٌ وفى الشرِّ نبلٌ والحياةُ عرام(٤)
وما الناسُ إلا مالكاً غير عادلٍ وآخر يرضى بالأذى ويُضام

---

(١) الجسام : العظيم الجسيم .
(٢) الخانعون : الخاضعون .
(٣) السوام : التى ترعى .
(٤) العرام : الشدة والقوة .

وما كلُّ ذى ذلٍّ على الشرِّ قادراً وهل كلُّ مَنْ سِيمَ الهوان سنام ؟
ولو خوفُ الإنسان من شرِّ عَيْره لما قادَ ذاك العَير منهُ لجام[1]
رضينا « بنيرون » فكُنَّا بناره جديرين إنَّ الأتقياءَ حطام[2]
وهل نافعى لو عاش فى الناسِ ناعمًا وعشتُ وحظى فى الحياةِ أوام؟[3]

★★★

قول الواعظ :

قضى اللهُ أنَّ الجرمَ للجرم باعثٌ وربٌّ بريقٍ شُبَّ منهُ ضرامُ
فلا تحسبنَّ الشرَّ فرداً فإنه تُؤام إذا جدَّ الردى وتؤام
وللشرِّ عدوى كالوباء وعدوة هو الشرُّ فى هذى النفوس سقام
فلا تقصدنْ بالشَّر نفسًا بريئةً فقد ينتحيكَ الشر وهو سهام
وإنّك لا تدرى بما الشر واقعٌ وفى أى دارٍ للمصابِ مقام
فأنتَ قسيمى فى اتّقاء مصابه وإنّا لأكفاء عليه كرام
ألا إنَّ درأ الشرِّ عنك رهينةٌ بدرئك عمَّن كانَ منك يضام
فلا تَغْدُ مظلوماً ولا تَغْدُ ظالمًا فكلُّ عرامٍ يقتفيهِ عرام

دعابة

(أى مواقع التقبيل أحسنها؟)

رأى دلّها أن لا تضنُّ بقبلةٍ لأنزل لثمى فى أعزِّ مكان !
أُقبِّل منها الحسنَ فى خير موقعٍ برغم حسودٍ راحَ بالشنآن !

---

(١) العير : الحمار ، أى لو خاف الحمّار من حماره لما أذله (٢) نيرون : الإمبراطور الرومانى المشهور ، وينسب إليه حرق روما . (٣) الأوام : العطش .

فيا ليتَ أنَّ الناسَ تُغفي عيونُهم فالثمها في خفيةٍ وأمان !
فوالله ما أدرى أخدّك أحسن أم العين أم ما تحجب الشفتان ؟
أم الشفةُ الحمراءُ أطيبَ موقعٍ به الشمُّ والتقبيل يستبقان ؟
أم العُنقُ المعقودُ بالنَّحرِ أطيبُ أم الصدرُ حلّى وجهه جبلان ؟
أألثمها في الخدِّ والفم طيبٌ ولى في لذيذات النُّحورِ أماني !!
لقد حِرتُ حتّى ما أرى لىَ حيلة وليس لمثلى بالسلوٌ يدان !
دعيني اقبّل كل ما لاح حسنه فكلُّ مكان فيكِ خيرُ مكان !
خليلىٌّ في التقبيل أطيب متعةٍ ولستُ أرى في الحبِّ ما تريان !

العيش والرجاء

لو أدرك الإنسانُ آماله وصابه منها كقطرِ المطر[1]
ولم يعد يعرف ما يبتغى ولم يجد في العيشِ ما ينتظر
لكانَ أشقى الناسِ في عيشهِ حتّى تقولَ النفسُ أينَ المفرّ
لا عيش إلا بطلاب المنى لولا المُنى في عيشهِ لانتحر!

بعد زينة

ابتعد عمّن أحبك لا تُرح بالقرب صبّك
أنت في البعد جميلٌ لستُ أبغى منك قربك
قد حمدنا منك بعدا إذ حمدنا منك غيبك
للفقاقيع بهاءٌ قد حكّت في الحسن قلبك !

(١) صابه المطر : أنزل عليه صوبه .

فاعتصم بالصمتِ كى لا — يعرف العاشق لبّكْ
وإذا لحتَ قريباً — ما بعثتُ اللّحظ صوبك[1]
خشيةً أن يأخذَ اللّحـ — ـظ إذا ما لحتَ عيبك !

الروضة المنتهبة

غرستُ روضًا زاهياً زهره — وحطته من خشية بالبِنا
فجاءَه الغلمانُ فى طيشهم — والطيشُ ضربٌ من غرور الصبا
وهدَّموا الأسوارَ من قفزهم — وانتهبوا الزهرَ وطيبَ الجنى
كأنما نيلُ العلا لعبةٌ — ما لهمُ لو عقلوا والعلا !
أكثر من طيشهمُ جهلهم — يُعدون من عاشرهم بالغبا
حتى يرى فى عقله ظلمةً — يضلُّ فيها الرأى إمَّا سرى
إن يسألوا عمَّا بأيديهمُ — قالوا اشتريناه كما يُشترى
أو يُسألوا عن روضتى جمجموا — أن ليس فى أغصانها مجتنى
ولوثوا الزهرَ بأيديهمُ — فهانَ حتى صارَ لا يُجتدى[2]
ثم ادعوا كى يعذروا نهبهم — أنىَ لم أغرس بها ما زها
فكلّهم يسرقُ من روضتى — وكلّهم ينكرُ ما قد جنى
من يرجِ الشُّكرَ لدى أحمقٍ — يُبدله عدوانًا بما قد رجا !

---

(١) الصوب هنا الناحية .
(٢) يجتدى . ينفع ، يعطى .

حلم وردة

وردة في الشتاء تحلم بالصيف

وردةٌ فی غـصنهـا طال كـراها　　عـبِق في نومِـهـا طيبُ شـذاها
مـثلُ أنفـاسِ حـبـيبٍ راقـدٍ　　نشـرت نفس مـحبّ فی سـراها
مـــا لهـــا وسنانة ذابلة　　هل ترى فی النومِ أحـلامَ هواها !
حلمت بالصـيف فی ريعـانه　　وبضـوءِ البـدرِ يسـقـيـهـا طِلاها
وحـبـيب من هواها صـادح　　بأغـانٍ ينتـشى من قـد حـسـاها
لا أرى البلبلَ جـسـمـاً طائراً　　هو نفس تشـتكى مـا قـد عناها
لـو بدا للنفـسِ صـوتٌ وفـمٌ　　كـانَ شدوُ الطيرِ معنى فی لغاها[1]
باتَ يشكوها بشـعـرٍ سـاحـرٍ　　شـجو نفسٍ قـد نأت عنهـا مناها
يا عـروسَ الروضِ رفـقًـا بمحبٍّ　　نفـسـه في شـدوه فـاض جـواها
وهیَ من أشـجـانهِ حـائرة　　خـجـلاً تحـمـرُّ منه وجنتـاهـا
تحـملُ الأنفـاسَ عنهـا نشـرهـا　　كُلّما غنى لهـا فی الشـدو آها[2]
أیُّ شیءٍ قـد نفی عنهـا كـراهـا　　أترى البلبلَ قـد قـبَّل فـاهـا ؟
فـرأت أن شـتـاءً لم يزل　　حـولهـا يا ويحَ مـا منّى كـراهـا
حُلُم مـا فـيـه من شين سـوى　　أنه غـادرها حـيـث بداها

---

(١) جمع لغة .　　(٢) أی إذا تأوه من حبه تأوهت رحمة له فينشر تأوهها نشرها .

الهوى حلم العمى

كان عهدى بالأمانى فى الشباب　　كـالغـوانى راقـصـات من هيـام
صار عهدى بالأمانى كالسحابِ　　فى دجى العـيشِ ظلامٌ فى ظلام
كنتُ أرجو العيشَ حلو الثمراتِ　　صرت أخشى إن دعـا داعى الأمل
كنت أقلى الموتَ مـرّ الجرعـات　　فـحـلا لى بعـدكم مـرّ الأجل
إنَّ عـيـشى بعـدكم مـثل الظلامِ　　أنتمُ كنتمْ ضـيـاء البـصـر
احملى يا ريح عن قلبى سلامى　　وارجـعى عنهم بطيب الخـبـر
عـاد فـجـر الحبُّ ليـلاً داجـيـاً　　إن أضـواءَ الهـوى حُلْم العَـمِي(١)
بعـد مـا كنتُ زمـاناً راضـيـاً　　أرتجى من حـبكم مـا أرتجى

تم

---

(١) أي يحلم المرء بالحب كما يحلم الأعمى بالضوء .

الجزء السادس

ديوان

الأفنان

عن الطبعة الأولى للديوان السادس

عام ١٩١٨

فصل فى أن الشعراء كماليون

مقدمة لصاحب الديوان

يحكى أن دوناتلى الإيطالى صنع دمية فأجاد صنعها ؛ فلما رآها أستاذه قال له مازحا : ما ينقصها غير أمر واحد . ثم كتمه عنه حتى مرض دوناتلى من الأسف عليه ، والفكر فيه ، وحتى أشرف على الهلاك . فدعا أستاذه وقال له : قد رأيت ما بى من الداء ، وأنى هامة اليوم أو غد . فأخبرنى أى نقص رأيت فى دميتى ؟ قال : ما ينقصها غير الكلام ! فقام المريض محموماً حتى أطل على دميته وقال : تكلمى ، تكلمى ، فما ينقصك غير الكلام . ثم وقع ميتا !

وكل ذى فن فى فنه مثل دوناتلى فى طموحه إلى مرتبة الكمال . وإنما يجيد حسب فضل الملكة المهذبة التى يسترشدها من نفسه ، لا لأنه يقصد إلى ما أولع به الناس ، مما يستفز إعجابهم ؛ فإن إعجاب الناس - وإن كان حبيباً - يتطلب بإرضاء ملكته المهذبة لا بإرضائهم ، ويأمل أن يقنعهم ما أقنعه من نفسه . وهذا سبيل أثره فيهم الذى يأمله فى حياته أو بعد موته . وسواء أأكبر الناس شعره أم أصغروه ، فإنه يعيش بحسرة على ما يعجز عنه ، ويلهفة على ما لم يقل ، وإن جل ما يقول .

ومن هنا ولج التحاسد إلى أفئدة الشعراء ؛ فإن الشاعر يعالج حسرة على كل فوز لم يفزه ، وطائر أمل لم يقنصه . فإن نفس الشاعر طماحة أبدا . وخليق بمن يعرف أن فوق كل إجادة إجادة أن لا يدع للحسد سبيلاً إلى قلبه ، وأن يعد كل قصيدة جليلة فوزاً يزهى به عالم الحسن على عالم القبح ، ونصراً أصابته الحياة على الموت ، غير مفرق بين قائل وقائل فى الإعجاب الذى لا يتقاضاه الشاعر ، بل يتقاضاه شعره .

ألا وإن أجل شعر شكسبير هو ما كان يحلم به شكسبير ، ويود لو قيده بقيود الكلام ، وليس أجل شعره ما يعجب به الناس ويعجب منه ، فإن كل حسن فى الفنون عنوان لحسن ، وكل فوز وعد بفوز . فإن الشاعر ليرى فى نفسه القصائد التي يحلم بها كما يرى العاقر أبناءه الذين لم يلدهم . أو كما كان ميشيل أنجلو يرى الدمى التى لم ينحتها كأنها محبوسة في الصخر الأصم الذى لم يلمسه بعد . وقد ورد عن كثير من كبار ذوى الفنون ما يثبت هذا الظمأ الذى هو خير لشعر الشاعر شر لنفسه .

ولو كانت الحياة شجرة لكان الجمال زهرها والشعر طائرها . ولولا الشعر افتقد جمال الحياة ، وكل حي شاعر بمقدار ما يحس الجمال فى الأشياء والأخلاق والأعمال التى ينشدها . والعالم عالمان : عالم الجمال وعالم القبح ، وكل منهما ممتزج بأخيه ، منعدم فيه . والشاعر رسول الجمال يسعى فى تحقيق عالمه . وإنما الخير ضرب من الجمال ، والشر ضرب من القبح . والشاعر يعرف أن الشر محتوم ولكنه يعرف أن من الحتم أيضا الطموح إلى ما وراء الشر المحتوم من الخير المحتوم . ومن أجل ذلك كان كل شاعر كمالياً سواء أعرف أم لم يعرف . وهو إذا نبذ عقيدة اقتران الجمال والخير ، إنما ينبذها شوقاً إليها ، كما يهجر المحب عشيقته من هجرها إياه ، وإنما الحياة أو الحق كالميزان ، لا يعتدل أعلاه إلا إذا استوى جانباه . ومن أجل ذلك صار الشاعر يعدل بطموحه وخياله وجمال شعره جانب الذين لا يعرفون فروض الشعر ومنزلته من الحياة ، كما يعدل كل نقيض نقيضه ، وهذا أساس الحياة . ألا ترى كيف عدل عيسى ، عليه السلام ، روح الأثرة فى دولة الرومان ؟ وكيف أن رفض شوبنهور للحياة يعدل تقديس نيتشه إياها ، وتقديس كل ما تغرى به ؟ ومنزلة السعادة في الحياة كمنزلة الشعر من النثر . والذين يسعون في نصرة الخير واستخلاص السعادة التى فيما دون المحال ، يأخذون نثر الحوادث فيجعلونه أوزانا وأنغاما .

ومن أجل ذلك يتغنى الشاعر بالبطولة ورجالها الذين يشايعونه فى مداواة قبح الحياة ولو لم يكن من المكافحة كى يستخلص من الحياة جمالها إلا التغنى بما يلهى المكافحين ، ويليح لهم بمثال الجمال المنشود أو تحذيرهم باليأس والسخر إذا استناموا إلى الأمل ، أو اتخذوا منه مرقداً لكفى .

ولا ريب أن شعر الشاعر ابن طبعه ومزاجه ، وأن الشعر ضروب متغايرة . وذلك لا ينفى ما ذكرنا . هذا شكسبير ما ترك جانباً من جوانب النفس وهو من رحب النفس بحيث يسع الجرم والمجرم ، ولكنك لا تجد فيه تزييناً للباطل إلا على لسان أهله وصفًا لهم . كما أنك لا تجد فيه وعظ من لايرى إلا جانبه من الحق . وإنما نريد بذكر ما ذكرنا ، أن الرغبة فى الشعر من أجل أنه شعر ، لا من أجل مقصد خلقى حق إذا عنى الراغب أن الشاعر ينبغى أن لا يتجاوز أصول فنه التى يهيىء بها لذات الفنون ، كى يبلغ من النفس مبلغه من التأثير فيها بتلك اللذات . وأما إذا قيل : إن الشعر لهو ساعة ؛ فهذا قول من اللغو !

الحياة والحق

هات اسقنى الذِّكَرَ الخوالدَ هات ، إنَّ النفوسَ كثيرة اللفتاتِ
ياساقيَ الذكرى ، كئوسك أضرمت من ذا الرحيق النار فى لهواتى
أصحوت من خمرِ الحياةِ وإنما طيبُ الحياةِ يصاب فى الغفلاتِ
والعقل أليقُ بالفتى من غفلةٍ للسعد تحكى غفوةَ النشوات
لولا فروضُ العيشِ لم أعبأ له جيشاً من الآراءِ والعزمات
وتكاثرُ الحاجاتِ ينبىء أنما خلقُ النفوسِ لأعظم الغايات
وهى المنى صوت ، صداه صرخةٌ لليأسِ ، ثم الموت كالسكتات
واليأسُ ينبىء أن فوقَ جهودنا خيرَ المنال وأعظمَ الرغبات
لولاه لاستوت المطالبُ كلُّها حيثُ الحضيضُ ووهدةُ الوهدات
إنَّ الفضيلةَ والرذيلة لذةٌ خيرُ الجنى يجنى لخيرِ جناةِ
لا تسعد المجدود منك برحمةٍ ، أهلُ الجحيمِ أحقُّ بالرحمات !
وهى التجاربُ للعقول صياقل صفحاتها للغيبِ كالمرآةِ
إنَّ التجاربَ كالأزاهرِ جمّةٌ أو ما اغتفرت الشوكَ للزهرات ؟
يا قلبُ لا يغنيك ذعرك للأسى فالخوفُ أول مهبطِ المهواةِ
والموت ظلُّ الله ابشرْ إن دنا فى ظلّه أمنٌ من الحسرات
ثبتَ الزمانُ ونحن نعدو عمرنا ونخال أنَّ الدهرَ ذو نقلات
كالراكب العجلان ينظر حوله فيرى الشخوصَ سريعة العدوات[1]
والعيشُ كالحرباءِ يخدع لونه والحِسُّ بعضُ حبائلِ الخدعات[2]

---

(١) العدو : الجرى . (٢) الحرباء : دويبة تتلون ألوانا مختلفة .

فـالمرءُ يسـرى وهو قـيـدُ مكانه
سكـن الوجـود لشـدة الحـركـات
والحقُّ مـثلُ الشَّـمـسِ يهلك آلَه
والشَّـمسُ أمُّ الخـيـرِ والآفـات
أم الهـدى لـكنَّ بعضَ ضـيـائها
رفـع الـسـراب وغـرَّ فى الـفلوات
والحقُّ مثلُ الشَّمسِ يجعل ضوءه
بعض النفـوسِ قـرارةَ الحـشـرات
والمرءُ فى دنيـاه خـابطُ حِنْدِسٍ
آراؤه ضـربٌ من الخطوات(١)
كم حكمـةٍ فـيـها الدواءُ لعـاقلٍ
لو يـدرك المعلول عـزم أسـاة
والعـزمُ شىءٌ لا يباع فـيـشـترى
من للشـقىِّ ببـائعِ العـزمـات
والموت بحـرٌ والنفـوسُ لآلىءٌ
والعـيشُ فـوق الموتِ كـالموجـات
لسنـا نصيبُ الحقَّ فيمـا نبتغى
لكـنْ كظلِّ الحقِّ فى الصـفـحـات
نبـغى من الدنيـا نظام محـدَّد
فى رحـبـهـا برءٌ من الغـايات
فنظامهـا ألف النقـيض نقـيضه
ونقـائضُ الأيامِ كـالأخـوات
والعـيشُ غـيمٌ والعـقـولُ جلاؤه
كالشمسِ تنقش جانبَ المُزْنات(٢)
نظرُ الأنام إلى الحقائق فى الدنى
كـتطلع الحـمـقـاء فى المرآةِ
كالطفلِ ينظر فى الأضاةِ فينثنى
متسـائلاً عن روضـةٍ وأضـاة
والـفـكـرُ دائرةٌ يظـل يـدورها
فى دهره متـقـارب الدورات
فـلكـلِّ دهرٍ دورةٌ مـعـلومـةٌ
ومطالبٌ موصـوفـةُ المسـعـاة
والفـكرُ يعظـم وهو فى دوراته
كـالماءِ حـول مـواقـعِ الحصـبـات
والحقُّ فى الأضـداد يلفى سـره
ولقـلَّمـا نـدريه بين عـداة
كـالمرءِ ينكر فى الوجوه غريبها
ويحنُّ نحـو أحـبـةٍ ولِدَات
والحقُّ مـختلفُ المقـاطعِ والنُّهى
متـباينُ الأسبـابِ واللهجات

---

(١) الحندس : الليل الشديد الظلمة .

(٢) المزنة : القطعة من السحاب .

والعيشُ مثلُ الشمس يعمى ضوؤه | عن أنجمٍ تزدانُ بالظُّلماتِ
ولعل فى ظلم الحمامِ زواهراً | تجلو الظنونَ وتكشف الغمّات
احزن ولذّ وقلْ لكلٍّ مقدَّرٍ | يامرحباً بالحزنِ والفرحات!
وخذ الأنامَ على عوائد كيدهِ | واغنم صفاءَ العيشِ فى الفلتات!

أبو الهول (١)

أنختَ فوق الدهرِ بالكلْكلِ | وكنتَ مثلَ الواعظ المرسلِ
عند فلاة قلّ قطّانُها | هل باختيارٍ كنت فى معزلِ ؟
مضى الألى شادوك فى مجدهم | كأنه منك لدى موئلِ
فهل مللت العيْشَ من بعدهم | كأنما جُلّلتَ بالمُثقلِ(٢)
ثقل من الدهر تحمّلته | لو حلّ بالأطواد لم تحملِ(٣)
فهل يَدرّ العيشُ من بعدهم | أم ما ضروعُ الدّهرِ بالحفَّل؟ (٤)
وأنت مثل الخان فى لُبْثه | ونحن مثلُ الراكبِ المعُجَلِ(٥)
غداً ترى عيناك من بعدنا | غير حلول الحيِّ والمنزل

---

(١) أعيد نشر هذه القصيدة بمجلة الرسالة عدد ١٥٩ فى ٢٠ يوليه ١٩٣٦ ، مع تبديل ضئيل فى بعض الألفاظ المشار إليها فى هذا الهامش .

(٢) جلله وتجلله : علاه . والمثقل : أثقال الدهر .

(٣) الأطواد : الجبال .

(٤) الضروع : الثدى . والمراد بدر الدهر (بفتح الدال) خيره ؛ أى هل سيعود لمصر خيرها ومجدها الماضى ؟

(٥) الخان : المراد به المنزل أو الفندق .

كم أمّـــةٍ من بعـــدها أمّـــةٌ	قـــد رحلت عنك ولم ترحلِ
فــأنت ســفــرُ الدّهرِ خطّت به	يـــداه آىَ المحـــكـــمِ المـــنـــزل
فـــــاتـلُ لنـا من آيـهِ آيـةً	لعلّنا نجتنبُ مـــا يبـــتلى (١)
كم وعظَ الدّهرُ فلم نـزدجـــرْ	وكم سـمــا الناسُ ولم نعـتل (٢)
قـيـدنا العـجـزُ ونرجـو عُـلاً	يسـمـو الذى فى الطيـر لم يكبل
نعـاف مـسـتطرف مـا يُرتجى	كـأننا فى العـيشِ لم نُجـبـل
فـيـا مـثـالَ الدهرِ يا رمـزه	كم صنمٍ فى القلبِ لم يبطل (٣)
كـأنَّ روحَ الدهرِ فى جـسـمـه	إن تـره من نحـــــوه تمـثـل
تحـسـبُـه من هيـبـةٍ عـاقـلاً	من حـسب المرهوب لم يعـقل (٤)
كـــأنما فى طى ألحـــاظه	ذكـرى لعـــهـدِ الزمنِ الأول
كـأنه فى صـمـتـه حـارس	يحـرسُ بابَ القــدر المقْـفل
يا عـجبًا أبصـرتَ مـا قـدْ مضى	ونظـرات منك لم تقـتـل (٥)
أبصـــرتَ أكلَ الدهرِ أبنـاءه	ألـم تُـرعْ مـن ذلك المـأكـل ؟

(١) أى أعطنا مما رأيت من تجارب الدهر كى نتجنب الزلل .

(٢) فى الطبعة الأولى - فلم نرعو ... ولم ننبل .

(٣) فى البيت إشارة إلى قول المعرى :

والقلب من أهوائه عابد   ما يعبد الكافر من يده

أى وثنه وصنمه . فعبادة الأوثان إذن لا تزال قائمة فى القلوب .

(٤) الخوف من إنسان يجعل الخائف يكبر عقله .

(٥) لم تقتل من هول ما شاهدت عينه .

بينكما نجوى على صمته ... وصمتة في فيك كالمقول[1]
عشّش فيك الحادث المجتوى ... وكنت عرش الرمية الضئيل[2]
مرت بك الأيامُ مخشيّة ... كأنّها مرّتْ على هيكلِ[3]
فابعثْ لنا من عزمها عدّة ... فلو سألت الدهرَ لم يبخل
ولو نهيتَ الدهرَ لم يعتد ... ولو زَجرتَ الدهرَ لم يُقبلِ
والدهر كم تسحرُ أحداثه ... لبّ غضيض اللبِّ والمفصلِ
أىّ حكيم قد رأى ما رأتْ ... عيناك في الدهر ولم يذهل ؟
يا ناظراً ينظرُ هذا الورى ... نظرة طرف الناظر المعضل
انظر إلى الأقدار في غيبها ... واذكرْ مآلَ العيشِ في المقبل
أغابرُ الأيام في صرفها ... كمضمرٍ في الغيبِ مستقبل
أمالكٌ عُوجل عن ملكه ... كذى علاء بَعدُ لم ينزل
والناس حَلْىُ القاهر المعتلى ... يالم نار الحاذق الصيقل[4]
يصوغهم كل غلوبٍ على ... سنّةِ مُلك الرمحِ والمنصل
كم عبرة للناس أبصرتها ... وعبْرة للهاطل المسبل
فهل دموعُ النحسِ تحيى الورى ... مثل عقيب المطر المرسل ؟
أراك لا ترثى لما نابهم ... يا ليتنى مثلك لم أحفل !

---

(١) المقول : القوال ؛ اللسان .

(٢) هذا البيت لم يطبع في القصيدة المنشورة بمجلة الرسالة .

(٣) أى تمر بك خاشعة ولو أنها مخشية من الناس .

(٤) في الطبعة الأولى - القاهر المجتوى .

ومقلة تُخبر ألحاظها ... أنّ عيون الدهرِ لم تُسمل (١)

والدهرُ وهو الساهر المعتدى ... يُغضى وعينٌ لك لم تغفل

وربّ لحظٍ منك قد رِشتَهُ ... في قلبِ هذا الدهرِ كالموغل (٢)

فابحثْ خباياهُ وأحناءه ... واكشف لنا عنْ ذلك الغيطل (٣)

كأنَّ روحَ الدهرِ تبغى به ... وَكْناً لها أُحْكِمَ كالمعقل (٤)

تحسبُه لو جئته ناشداً ... معنى حياة الناس لم يجهل

يا من سؤال العيش في صمته ... اسأل ومن لم يدره فاقتلِ (٥)

كم امتطى الأيام تجرى به ... كأنّه والخلد في منزل

كم عبّ لجَّ الدهرِ ثم انثنى ... إلا بقايا الماءِ في الجندل (٦)

كأنّه منتظر موعداً ... حُيِّنَ كيْ ينطق بالمِقْوَلِ (٧)

لو فاه يوماً ذاكراً سرَّه ... لم يعجب الرائى ولم يَعْجَل

أو أنه المسحورُ في صمته ... قد كان يمشي مشيةَ المشبل (٨)

فخاف صرف الدهر من فتكه ... وعلمه بالحادث المقبل

فذاده بالسحر عن نطقه ... حتى تناسى عيشه المنجلى

---

(١) تسمل : تفقأ . (٢) راش السهم : هيأه – أى كأن ألحاظك سهام تتغلغل في قلب الدهر .

(٣) الغيطل هنا كالغيطول : الظلمة المتراكمة . (٤) الوكن : الوكر .

(٥) في البيت إشارة إلى أسطورة قديمة تقول : إن أبا الهول كان إذا مر به إنسان سأله في معضلات الحياة ، فإذا لم يجب قتله . (٦) الجندل : الصخر ، أى كأن الدهر بحر ، وأبا الهول الصخر على شاطئه يصد أمواجه . (٧) أى كأن سكوته سكوت المتأهب للقول في حينه .

(٨) الشبل : أبو الأشبال ، أى كأن أبا الهول كان حيا يسعى كالأسد أبى الأشبال ، فسحره الدهره خوفا منه .

هرم خوفو [1]

يامــــوجــــةً للدهر لم تهـــزم تـعلو عُـلوَّ الجـــــبل الأعـظم
ومـــا رأينا قـــبلهـــا مـــوجـــةً تعلو فـــلا تحـــدر للمـــحطم
مـــا الناسُ والآثارُ من بعـــدهم إلا كـــمـــوجٍ إنْ عـــلا يُهـــزم
مـــوج لبـــحـــرٍ مـــا له ســاحل غـــيـــر الردى في لحـــده المظلم
كم عـنـد شـط الموتِ شِلْو رَدى يقــذفــه الدهرُ إلى ضـيــغم [2]
هل أنت شِلوٌ لزمـــانٍ قـــضى ، رفـــــــاتـه الآثارُ لـم تُـردم
لم يبق من عمران من قد مضوا إلا بقـــــايا الجلد والأعـظم
كـــأنما يُدخـــرُ من مـــجـــدهم مــا يدخـــرُ النملُ من المطعم
كـــيف نرجّى الدهر ذا عــفـــةٍ إن ذاقَ طعمَ اللحم لم يقـــرم [3]
لا يــســمع الدهر ســوى منصت بـالـروح إن يُـصـغ لـه يـبـكـم
همـــهـــمـــةٌ يطلقــهــا عـــارمٌ إن يمضغ المودى به يبـــغـم [4]
هل خـــاف هـذا الدهر صـــرف الردى فـشــادَ صـرحــاً منك لم يثلم ؟
لا يجـــرؤ الموتُ على بيـــتـــه في هرمٍ كـــالجـــبلِ الأدهـم [5]

(١) أعاد الشاعر نشرها بمجلة الرسالة - عدد ١٥٧ في ٦ يولية ١٩٣٦

(٢) الشلو والجمع أشلاء : العضو من أعضاء اللحم ؛ وما أكل منه شيء وبقيت منه بقية والضيغم : الأسد .

(٣) قرم الحيوان إذا ضراه طعم اللحم . وفي هذا البيت وما بعده تشبيه للدهر بحيوان .

(٤) العارم : الشرس ، ويبغم : لم يفصح .

(٥) في الأصل : لا يدخل الموت ... والأدهم : الأسود .

أم شـادك العـقل لكيـمـا يرى | من فـوقك الأقـدار لم تهـجمِ ؟
بعـيـدةٌ لم تبـدُ أشـخـاصـهـا | تهـفـو لنا في يومـهـا الأيوَمِ(١)
كيْ يؤذن الناسَ بإقـبـالهـا | من قـبل أن تُفْـجـأ بالمقـدم
إن أرْزَم الرعـدُ على شـاهقٍ | فـفـوقك الأيامُ كـالمرزم(٢)
أو كـلـلـتْ هامـتَـه ديمةٌ | وطفـاءُ مثل المِجْسـدِ المسَـهَّمِ(٣)
فـوقك أرواح عُـصـور خلت | كـديمةٍ سـوداء لم تحـسـم
هدت يدُ الدهرِ مـشـيـد البنا | وهـو إذا أمّك كـالأجـذم
كم أنزلَ الدهرُ شـآبيـبَـه | على جـبينٍ منك لم يهـرم
كـالمزْنِ فـوق الزهرِ يحـيـا به | زهرُ الربى من غيـثـه المرهم(٤)
كـأنما الأيام ظئـر به | تغـذوه منهـا بسليلِ الدم(٥)
كـأنما ينمـو على مـرّها | فـيـرتدى تاجـاً من الأنجم
قـد شـمخَ التـرب به عـزةً | كـشـامخٍ بالأنف لم يخطم(٦)
أم قلّصت وجـه الثـرى كـبـرة | فـأنت من تجـعـيـدها الأقـدم
أم كـفـنيقٍ مـا لـه راكـب | يمنع ظهـر المكرم المقـرم(٧)

---

(١) الأيوم : الشديد .

٢) أرزم الرعد : اشتد صوته . والمرزم : ما يرزم ويشد به كالحبل .

(٣) ديمة : مطر يدوم في سكون . وطفاء : أى مسترضية الجوانب لكثرة مائها . والمجسد : القميص . والمسهم : الهزيل المغير اللون .   (٤) المزن : المطر أو السحابة .

(٥) ظئر : مرضع   (٦) يخطم : يقاد من خطمه أى أنفه كالبعير ، يقع على أنفه .

(٧) الفنيق : الفحل المكرم لا يؤذى ولا يركب . والمقرم : ما لم يمسه حبل ، والفحل إذا ترك عن الركوب والعمل .

أم ثدى مـــصـــر إنهـــا ناهد ... عـــشـيـــقـــة للقـــدر الأزلـم[١]
أم انت ناب الأرض ذا شـــحـــذةٍ ... خُلّف في شــدق فـمِ الأهتم ؟[٢]
أخـــرج صـــخـــر الأرض طيـــاته ... حـــتى بدت كـــالهـــرم المفـــعم
أم كـــيف شـــادَ القـــومُ أحـجـــارَه ... حـــتى بدت في عِظَمِ المَخْـرمِ ؟[٣]
كـــأنما روحٌ زمـــانٍ مـــضـى ... مـعـشش فـوقك كـالقـشْـعم[٤]
يا مـــعـبـداً يُعـبـدُ فـيـه الحـجى ... إلى الحـجى في صنعـه ينتـمى
أجل مـــا تعـــبـــد فـــيــــه النُّهى ... سليلهـــا في صُنعـــه المحكم
قـــد حـــملتك الأرضُ في بطنهـــا ... كـــأنهـــا المقـــلات لم تعـــقم[٥]
تمخـــــــضت عـــن عَـلَـم أروع ... مُـــفـــذّة في الحـــمل لم تُتْـئِم[٦]
ثم تردّى بـعـلهــــا بعــــــده ... كـــيف نرجّى النسـل من أيّم[٧]
يا علمَ الدنيـــا الذي قـــد غـــدا ... عـــجـــيـــبـــة الغـــائر والمتـــهم
علت بك الأرض كـــمن قـــد عـــلا ... براســـه الكبـــر فلْم يهـــضم
رفـــعـــت رأســـاً منك مَـــا طَالَهُ ... رأس البناءِ الشـــامخ الأقـــوم

---

(١) الأزلم : المقطوع طرف الأذن .

(٢) الأهتم : من تكسرت أسنانه .

(٣) المخرم : منقطع أنف الجبل

(٤) القشعم من النسور والرجال : المسن ، أوالضخم .

(٥) المقلات : المقلة من النسل . قال الشاعر : (وأم الصقر مقلات نزور) .

(٦) المفذة : التي تأتي بالفذ الوحيد في النسل . والمتئمة : التي تأتي بالتوأم .

(٧) الأيم : التي مات بعلها .

كـــأنما كلّ البنا سُــجَّـــد من هيـــبـــةِ للملك الأعظمِ
يا ملكاً مـــا انحلّ سلطانه قـــد هدم الماضى ولم يُهـــدم
كم دولةٍ قـــد ضـــاع سلطانُها ودولـةُ الأهـرام لـم تـهـــرم
كم شابكت كـفّاك أيدى الردى ثـم انـثـنى عـنك ولـم تُكـلم
يا غِـيـــرَ الأيام فى كــرِّها من أبيضٍ نامنٌ أو أســـحم[1]
تباعدى إن شئتِ أو فاهجمى على شـبـيـه البطل المُعْلَم[2]
هيـهـات لم يبـدُ له مـقـتـل قد أخطأ الرامى فأشوى الرمِي[3]
كم خالَ فـيك الناسُ سراً طَوا هُ الدهرُ لم يُكشف ولم يُعلم
خلوا الألى شادوك قد أودعوا فـيك رمــوز المطلب الأكــرمِ
مـــا أودعـــوا إلا كنوزاً غـــدت نهـبـــة كفُ الصـــائل المجـــرمِ
وكلُّ مـــا لـم يبـــدُ كنه له يُخـــال كنزَ الحقِّ والمغْنمِ
والمرءُ يبـــغى الحقَّ فى خـــدره وَلـــوْ بـــدا فـــى أعـــين الأنجـــم
ورِمَّـــةٌ خـــبـــاها كـــاهنٌ لفـــاتك الآراء والمخـــذم[4]
رِمَّـــةُ ربّ رائع عــــزمُـــهُ قد أخرجتْ من بَعدُ للمرجم[5]
جـــلالُ روحٍ منه ذى همَّـــةِ مُـــجـسَّم فى صنعـــه المحكم
لا تحـــسبن الناسَ لم يُجـــدهم غـــيـــر منالِ البُـــرْد والمطعم[6]

(١) أسحم : أسود . (٢) فى الطبعة الأولى – تلبثى إن شئت .....

(٣) أشوى الرامى إذا أصاب الشوى ولم يصم أى لم يصب المقتل .

(٤) الرمة : العظام البالية . والمخزم : القاطع من السيوف . وأيضا المقر بالذل .

(٥) المرجم : المتكلم بالظن (٦) البرد : الثوب .

فـالنّفسُ تبـغى أن يـرى كنهـهـا … مـجـسّـمـاً فى صُنعـهـا الأعظم
لـم يُصلح الـناسَ لذى أمـــرهـم … غـيـرُ شـفـيع السّـيْف والـدرهـم
أظلمــهـم مَنْ سـاغ طعم الأذى … لـيـس الـذى يـظـلـم بـالأظـلـم
كلُّ ضــعــيفٍ خــيــره علّةٌ … من ذا الذى صَحّ فلم يعـرم ؟[١]

الليــــل

يـاجــوهراً نفـــسى له صــورةٌ … لأنـتَ عـنـدى بالمكان المصـــونْ
كـالنَّجم فى البـحـرِ يرى نـفَـسـه … فى كـوكـب الأفقِ القـصىّ الشطون[٢]
قمْ حـدّث الليلَ حـديثَ الكرى … فطيـره قـد عـشـشت فى الجـفـونْ
كـــأنه المرآة مـــصـــقـــولة … تصقله الأحـلامُ صـقلَ القيـون[٣]
الـكـونُ وكــــرٌ والـدجـى واقـع … كـالطير تؤوى فرخهـا فى الوكـون[٤]
يصــيـخ قلبى تحت أسـتـــاره … كـالطفلِ يصغى لدعـاءِ القرين[٥]
كـــأنما أحــسـبُ أســتـــارَه … مــسـدولة فـوق الـيـقـين المبين
أكـــاد أن أســمعَ فى جنحِــه … وجـيـبَ قلبٍ منه جمٍّ الـشـجـون
وناطق بـالـصـــمت كـــانت له … هـذى الـدرارىُّ مكان الـعـيـــون
أحـــســبـــه قـــد شـــاب مما رأى … فـالشـهـبُ فـيـه شـعـرات السنين
كـــلا هـو الخـــالد فى مـلكـه … مـتـوجـاً بالـنجمِ فـوقَ الجـبين

---

(١) فى الطبعة الأولى - كل سقيم .. ويعرم : يشتد ويفسد .

(٢) الخطاب موجه إلى رفيق - الشطون - البعيد .

(٣) القين : الحدّاد والجمع قيون . (٤) الوكن : عش الطائر ، والجمع : وكون

(٥) القرين : العشير والمصاحب .

تكاد تبدو النفسُ فى جُنحِه	كالوضع يبدى من خفىٍّ الجنينْ
تشدو لك النفسُ بأنغامِه	كالريح تشدو فى حفيفِ الغصونْ
فى فحمة الليل وقودُ النهى	وفى دُجى الليلِ ضياءُ الحزين
كأننى فى جُنحه مفرداً	سحابة الحزن بقلبِ الركين
كأن روحَ الموتِ فى جنحه	تخطرُ فى أثناءِ هذا السكون
الصمتُ سجنٌ والدُّجى حارس	والصوتُ مأسور عليل الأنين
أو كوليدٍ كَلٌّ من ضحكه	تحصنه أمٌّ رؤوم حضون
أو هو صبٌّ عاشقٌ للدُّجى	تناجيا باللَّحظِ بين الجفون
كأنما هذا الدجى معبد	وفى خشوع الحىِّ صمتُ اليقين
أو كضريح النورِ يخفى به	قد خُطَّ فيه للنهار الدفين
هل ذهلة الأصواتِ أن قد رأت	ما أودع الليل غلاة الظنون ؟
تلفَّت الريح به خيفة	هل عادها من ذعرها كالجنون ؟
كأنه ظلٌّ ظليلٌ بدا	لدوحة الفردوسِ ذات الغصون
أما ترى أثمارها فى الدجى	نجماً تناءى مثل ذخرِ الضنين ؟
أم هو ظلُّ الموتِ إما دنا	سغبان يسعى لاقتضاء الديون؟(١)
أم هامة اليوم الذى قد مضى	يهيج من روعِ الجبان الظنين؟(٢)
فالكونُ منه خاشعٌ حائر	مات به الصوتُ ومات السكون
وخلَّفا روحيهما فى الدُّجى	كما يروع الحيَّ روحُ الدفين
قلبى عودٌ خافق قلبه	أوتاره تنبض نبضَ الوتين(٣)

---

(١) سغبان : جائع .	(٢) الهامة : روح الميت القتيل : والظنين : المتهم .

(٣) الوتين : عرق فى القلب يجرى منه الدم إلى العروق كلها .

تهـفـو بيَ الذُّكـرةُ في جنحـه كـأنهـا هامـةُ مـاضي السنين
أو دمـيـةٌ ينحـتـهـا ناحتٌ يحكي بها من أمس هلكَى الشجون
أو كـهـدايا هالكٍ غـابرٍ تطيـر عنهـا خطراتُ المنون
الليلُ مـثلُ الماءِ في ركـدةٍ والصبحُ يبـدو مثل ماءٍ معين

سؤر العيش

يمر بي زمني كـالصِلِّ منفلتـاً من بعد ما كان كالأطيار وثَّابا(١)
أمسي كنهيٍ أرى في قاعـه دُرراً تذكي اللواعجَ أن قد غاب ما غابا(٢)
حتى لقد صار لي عُشّاً ألوذ به والقلبُ إن ذيدَ عن أوكـاره آبا
كم طارت النفسُ في رَأْدِ الصبا مرحاً كالطير يبغي بنهيِ الشمسِ تشرابا(٣)
مثل الندى وجناح الضوء يحفزه يسمو بخاراً فإنْ حطَّ الدجى آبا
قد تهبطُ النفسُ مثل الطيرِ عاجلها نسرُ الظلام فكان النسرُ غلاَّبا
أحارس كان هذا الموت من قدم أغفى فأفلت صِلُّ العيش وانسابا
وكان حيةَ حواء التي خدعت بلذة العـيشِ أوابا ولعـابا
ولذةُ العيش أثمارٌ مـهـدلة تبقى رماداً إذا ذيقت وتَوْرابا(٤)
إن الصبا معبدٌ للعيش نعبده على مضاضته بوركتَ محرابا
ظلُّ الجنانِ رفلنا في غضـارتهـا حتى تقلّص ظلُّ الخلدِ وانجابا
والموتُ كالأسد العدّاء تلقمه لذائذُ العيشِ تخشى منه أنيابا
لا بل هو الظئرُ والأرواح في يده كالطفل في المهدِ لا تألوه إطرابا(٥)

---

(١) الصل : الحية (٢) نهي على وزن فعل : غدير . اللاعج : الهوى المحرق

(٣) الرأد : الضحى . (٤) التوراب : هو التراب . (٥) الظئر : عاطفة المرأة على ولد غيرها ، أو المرضعة له

والعيشُ كالنردِ ترمي غير محتكم … فيطلع العيشُ حرماناً وإنهابا
أدلى لىَ الدهرُ خيطاً من حبائله … فعدتُ ما عاد هياباً ووثابا
كالحوت أفلتَ مكلوم اللهاة فإن … أدليت خيطكَ ألفى فيه آرابا(١)
كم عشيَ القلبُ في ضوءِ الصبا فمضى … كخابط الليلِ أعمى بات جوّابا
والظلُّ والشمس لا يبغى افتراقهما … فما ابتغاؤك عيشاً لم يذق صابا(٢)
فاجعل همومَك بيتاً غالَ قاطنه … عادى الوباء فلا تطرق له بابا
كزائف الذخرِ قلب ليس ينفق في … سوق الحياةِ وإن أثرى وإن طابا
وما انتفاعي بخيرٍ كلّه فشلٌ … ياسى الصفيّ ويمضى الخبّ خلابا
والمرءُ يغفل عن أمرِ الحياة وما … جبناً يطامن بل حزماً وإصحابا
ضمائرُ الناسِ كالرعديدِ يزعجها … صوتُ السكونِ فتبغى فيه صخابا
يندسُّ في غمرات العيشِ جارمهم … وقد يبيت لوحى النفسِ هيابا
كذلك المرءُ يخشى أن يرى أبدا … مفكراً خاب تسآلا وتطلابا
قارضٌ مُضيفك من بشرٍ ومن كرمٍ … إنَّ الزمان إذا ريّبتَه رابا
والسخرُ مرآة إبليس التى نصبت … إنْ تبُصرَ الحقَّ فيها عاد كذابا

ذكرى أمس

مدّت لك الذكرى وجيع القيود … مخبوءة في خدعات الجدودْ
كأنها ذو إحنة ماكر … يهدى صِلالاً تحت زهرٍ نضيدْ(٣)
وقبر أمس شاحبٌ ماثل … كذى حياة راكع بالوصيد(٤)
والذكرُ دوحٌ فوقه باسق … أفنانه مثمرة بالوعود

---

(١) مكلوم اللهاة : أى جريح الحلق . وآراب : حاجات . (٢) صابا : مرا.

(٣) الإحنة : الحقد . والصلال : الحيات (٤) الوصيد : فناء الدار أو عتبتها .

والـذكـــــــرُ صِـلٌّ لاذع نـابـه — يـاليـتــه يخلـع رثَّ الـعـهـــودْ
كــالحــيــة الـرقطاءِ تـنضــو ردا — ءَ الأمس كي تكسى الرداءَ الجديدْ
والذكـرُ كـالجـرذان فى خـفـيـة — ينـخــر من قلـب الأبىِّ الجليــد
مطيــةُ الذكــرِ على نهــجــهــا — معكوسةُ المسعى لخلفٍ تحيد
كـــأنما إذ عـــفـت باب الردى — تبغى خـلاصـاً من سبيلِ الوليد
كى تتــخطى أزلاً مــاضــيــا — تـرجـع مـنه عـن طـريـق الخـلـود
كم تبـتـغى أمـسك إن سـاءك الـ — يوم وأمس مـعـجـز من بعـيـد
يا مـخـرج الملحــود من قــبـرهِ — لـم يبق منه غــيــرُ عظمٍ ودود
أمس الذى فــات عـلى قــربـه — كـالأبد الآبد قـاصٍ بعـيــد
وإن يـســؤك اليــوم ترجُ غــدا — إن غــداً ليس بيــومٍ جــديـد
فـانظر إلى أمس مضى واسـتـعن — منه على اليــوم برأىٍ ســديـد
الشــيـخُ يبــغى ضلّة أمـسَــهُ — وفى غـدِ اليـافعِ حلمٌ سـعـيـد

نعسة الطرف

عــيناك عــيناك منبت الذكَـــرِ — كــالزهرِ فى قــاعٍ رائق الغُـدُرِ
فنعــســـــة الطرفِ أنه أبدا — كــذاهل قــد أصــاخ للفكرِ(١)
بالله مـــا تـذكـــر الـعـــيـــون أألـ — ـحاظ مشوق بالصبـر مستترِ ؟
أم تذكـر العـهـدَ حـيث لا عـذلٌ — يلوى بصـادٍ عن مـورد خـصـر ؟
أم طرفك الناعس النؤوم يرى — مـــامنٌ من فـــتنةٍ ومن سكـر ؟
لواعج العــاشــقين ذخـــرك والـ — ـذكـرى وعـاءٌ لخير مدَّكـر(٢)

(١) أصاخ : استمع .   (٢) اللاعج : الهوى المحرق .

تنظر فى أنفسٍ وفى مُـــــهج   فـــعل غنّى يرنو إلى الذُخـــرِ
أم رحــمــة غـضـت اللواحظ مـ   ـمـا يشـتكى العاشـقـون بالنظرِ
أم لوعـــة رنقت لحـــاظك إذ   عـشـقت عـشـقاً لحسنك العطرِ
أم غـــضّــة فى لـواحظ حـلم   بعـالم الحـسن طيب الخـبـر!
بعـــالم أنت من بشـــائره   بشـــرى طيـور الربيع بالزهر
يخفى اقتدارَ العيونِ إن نعست   كـصـولةٍ فى الخـفـاءِ للقـدر
كم صائلٍ سيـفـه تشـفـعـه   وصـائل بالحـيـاءِ والخـفـر
قـد تقـصفُ الريحُ كلّ عـاتيـة   وتعـجـز الريحُ عن أذى الخـور(١)
عـــينك من لمحــةِ الزواهر أم   مقبوسة الضوءِ من سنا القمر ؟
أم من غـدير الحـيـاةِ حفّ به   من هدب عـينيك باسقُ الشـجر!
كم جاءك العاشقون من نذُر الـ   ـحبٍّ بخـيـر الزهورِ والثـمـر
فكيف تُرعى لحبّ محـتـضـر   ينبت من قـبـره على مَـدَر ؟
ولست أرضى لمثل وجـهك قلـ   ـبـاً بين جنبيَّ غـائضَ العُـذَر(٢)
نفـسىَ بحـرٌ ظللت أسـبـرُه   كـمـا يغوص الغـواصُ للـدرر
والذكرُ كالبحرِ كم رمَى جيفاً   تبـدو كغرقى السنين من عمرى
فـانعمْ فـإنَّ الحـيـاةَ دانيـة   قطوفـهـا ، وامـضـهـا على غـرَر !

قبس الحسن

شـعـرى بحـرٌ وأنت سـاحلُه   قـد صـدَّه عنك قلبُك الحـجـرُ

---

(١) الخور : الضعف والجبن .   (٢) جمع عذرة ، وهى أول الشىء وبكرته .

يـاليـت أن الخلـودَ لـى قـــبـس من حـــسنك الغضّ ناله الـشـررُ
كـيـمـا أنيـر الحـيـاةَ قـاطبـةً أوضـاحـهـا من جـداك والغُـرَرُ
كـالبـدرِ يكسـو الأشـيـاءَ حلّتـه وَشى من السحـرِ حاكه القمر(١)
فـــاكـسُ بـأنـوارك الـورى أبـدا كـى لا يبين الشـقـاءُ والعـسُـر
ياشـمسَ حـسن حـيـاتنا ثـمـر ينضجُ فى ضوءِ حـسنك الثمر
ويـخـصب القـلبُ إن رآك كـأ نَّ الحـسنَ إمـا جـلوته مطر
أشـعلْ بألحـاظك الحـيـاة فـإ نَّ الصـخـرَ إمـا رمـقـتـه درر
يـاعـار حـسن جلوتَ غـرّته إن لـم يـرق فى قـريضىَ الأثر
وأنضبُ الناسِ فطنة وحـجى تنبع فـيـه من حـسنك الغـدُرُ
عطّرت برد الحـيـاةِ قـاطبـةً فـكلُّ شىءٍ بلـسـتـه زَهـر
أنت أعـرتَ الحـسـانَ روقـتـهـا كـأنهـا منـك أنجـم زُهـر
والحـسنُ روحُ الحـيـاةِ يسـتـره للقـبح سـتـر كـالقـشـر ينـدثر
أو مـثـل لمع البـريقِ آونـة لـنـاظـر ، والظـلامُ مـعـتـكر
يا بـارق الحـسن فى الحـيـاة أمـا تبـصـرُ من شـاقَ قلبَـه النظر؟
ود شـحـيح رأى جـمـالك لو تصـاغ منه الحلىُّ والبِـدر!(٢)

درع الحياة

البـس على الســمع درْعـا والبـس عـلـى الـعـين دِرْعـا
فـالـنـاسُ شـاكٍ وعـادٍ يبـغـون فى الـدرع صـدعـا(٣)

(١) وشى الثوب : زانه بالألوان ونقشه .

(٢) جمع بدرة ، وهى مقدار من النقود . (٣) شاك : أى حامل السلاح مستعد للقتال .

والمرءُ جـــــدٌ شـــــقيٌ إن ضـــاقَ بـاللـؤم ذَرْعـــا
واقـــهـــر فـلست بـناجٍ إن رمـتَ بـالـلـين طـوعـــا
تـقلّـى مـن الـصـــحـب مما نـرضـى مـن الـنفس خـــدعـــا
إنْ نـعـــمـــة بـك حلّت ســاءَت لـدى الإلف وقــعـــا
حـــتـى كـــأن لـهـــا فـى حـــشــاه نـهـــشــاً وقطعـــا
تـكـاد تـخـطـم أنـفـــا منـه وتـثـــقـب ســمـــعـــا
فـلـيس يـبـــرأ صـــدرا إلا إذا شـــامَ نـفـــعـــا
تـخـــــال فـى الـعـين منـه أفـــعـى وفـى الـثـــغـــر أفـــعـى
يـرومُ خـــفـــضَـك كـيـمـــا يـنـالَ بـالخــــفـضِ رفـــعـــا
ولـــيـــس يــرحـــم إلا مـن هـابَ لـلـشـــرِّ وقـــعـــا
أو مـن يـســـرّ بـأن قـــد عـــداه مـــــا بـتّ تـرعـى
فـــإن رجـــوتَ رحـــيـــمـــا فـى الخَطب الفـيـتَ قَـذعـــا(١)
عـــدّوا الشـــقـــاءَ اجـتـــرامـــا والخـــفـض فـضـــلاً وصنعـــا(٢)
فـــالبسْ عـلـى الصـــدر درعـــا والـبـسْ عـلـى الـقـلـبِ درعـــا

طائر السعادة

لعـمـرك مـا اللّذات إلا حـمـائم تـنوحُ عـلى أفـنـانهـا وتـطيـرُ
نشـدتك يـاطيـر اللذاذةِ والهـوى أمـا لك فـى هـذى الحـيـاة وكـورُ؟
وإن الذى يـرجـو السـعـادةَ واثب عـلى ظلّه لـو أنَّ ذاك يجـيـر

---

(١) القـــذع : نو الفـــحش والشـــتم

(٢) الخـــفض : النعـــيم والرخـــاء .

وبعض مساعى المرءِ حمى وخيبة الـ … ـمطامع برء للحجى ونشورُ
ومن لم يجدْ فى نفسه ذخرَ عيشه … فليس له بين الأنامِ نصيرُ
وهل يستقيم السعدُ للمرءِ فى الدنى … ومطلبُه بين الضلوع سعيرُ
وليس شقاءُ المرءِ فيما يصيبه … ولكنّه طبع له وضميرُ
هو العيش كالحسناءِ تبغض محجماً … جباناً ، ويحظى بالوصال جسور
ومهما يتح فى العيش فالخوفُ خادمٌ … وكلُّ جرىءٍ فى الحياةِ أميرُ
ومن صان عن رقِّ المطالب عنقه … رأى أن خطبَ الدهرِ ليس يضيرُ
قلى العيش حبَّ العيش قد شطَّ رغده … كما يبغض المهجور وهو أسير
كمن يبغض الحسناءَ يقلّى دلالها … وفى الصدر منه لوعةٌ وزفيرُ
إذا أخطأ المرءُ السعادَة خالها … سراباً يغرّ العينَ منه غدير
وليس عجيباً أن يرى العيشَ مجهلاً … فإن الحجى طرف لديه ضرير
وما السعدُ إلا حكمة وتجاوزٌ … وإنك ربٌّ فى الأنام غفور
تكيد بصفو الصفحِ من يبتغى القذى … لوردك ، إن الشائبين كثير(١)
ومن لم يجدْ فى عيشه فرض آمل … رأى أن سعداً فى الحياة عسير
ومن ضمَّ قلباً أخطأ السعدَ ، خاله … يتاح له بعد الممات حبور
أمانىَّ خلف الموت ظل حياته … يقيل بها والحادثات هجير
بدا لىَ أن لا سعد إلا تصبر … تقرُّ به فى النائباتِ صدور
وعزمٌ ، وإيمان ، وطبعٌ ، وحكمة ، … ورأىٌ بآلاءِ الحياةِ خبير
وإنَّ أجلَّ الخلق ما هو مقبل … تُهيّئهُ بعد الدهورِ دهور
وإن الأذى سبرُ القلوبِ ، وصيرف الـ … ـنفوسِ ، وقين للعقول ، وظير(٢)

---

(١) القذى : القذر

(٢) القين : الصقل . والظئر : المرضع .

وراجي حياةٍ ليس للشرِّ بينها مَشارِ تنال النفسَ منه حَرور
كمن يرتجي أسبابَ أمرٍ يعافه وذاك مُحالٌ في الدُّنى وغرور
وليس أعزَّ الرغبِ سعداً فإنه يضنُّ بعيشٍ ليس فيه سرور
ولو أن خلداً كان أمراً مقدرا أهاب الفتى بالموت وهو قرير(١)

لا مرحباً بالأقدار

ألا ليت للأقدارِ قلباً وفطنةً أيرحمنا من لا يساء ويجذلُ ؟
وهل نافعي ذمُّ القضاءِ وجورُه كما ينقم الظلمَ الأسيرُ المكبّلُ ؟
وهلْ يملك المظلومُ إلا شكاته وإن كان حمل الحتمِ بالصبر يجمل؟
ولو كان هذا الحتمُ قرناً قتلته فإمرته حملٌ على النفس يثقل
ولو كان سعداً خلت أنّي ملكتُه ولكنه نوءٌ من الشرِّ مسبل
إذا فر نحو الدار طِرفٌ لراكبٍ توهمه طوعاً إلى الدار يرقل(٢)
ولو أن صبراً كان روّع بالذى بليت به ما كان للصبرِ موئل
ولو أن خطباً نابه بعض شرّه لأصبح لا يصمي ولا يتغلغل
فمن لي بنفسٍ في الشقاءِ نعيمهُا كأنيَ في نار الشقاءِ سمندل!(٣)

مرحباً بالأقدار

إن الذى بثَّ فيَّ الخوفَ علّمني حملَ الهمومِ فكلُّ الأمر أقسامُ
إن كان بي جزعٌ فالصبرُ غايتهُ أو كان بي سَقَمٌ فالعيشُ أسقامَ

---

(١) أهاب به دعاه .

(٢) الطرف : الفرس

(٣) السمندل : دابة يقال إنها لا تحترق في النار .

وإن دمعى حتمٌ لست أدفعه	إذا ابتلانى إثخانٌ وإيلامُ
فإن تربت فعيشُ المرءِ متربةٌ	وإن غرمت فبعضُ الغرمِ إنعامُ
وإن مدحت فأمر كان عن قدرٍ	يجرى القضاءُ فيسرى اللومُ والذام(١)
يا مرحباً بالذى يأتى القضاءُ به	حظّ المحكم ترحيبٌ وإعظام
حزمُ المزورِ إذا ما زاره ملكٌ	أن لا يلوح به حقدٌ وأوغام(٢)
أدرْ علىّ كؤوسَ العيشِ قاطبةً	سعدٌ ونحسٌ وإهوان وإكرام
إن كان عيشٌ فإن العيشَ محتملٌ	أو كان موتٌ فما لى عنه إحجام
الظمْءُ والجوعُ ، والأسقام قاطبةً	والذلُّ ، والفقر ، تقديرٌ وإرغام
وإن لجأت إلى موتٍ ألوذُ به	فالموتُ عن قدرٍ والعيشُ أعوام
فإن فررت فمن حتمٍ إلى قدرٍ	قد استوى فيه إحجام وإقدام
والجسمُ فى العيش لايعيا بمؤلمه	وإن أتيح له نوحٌ وإرزام(٣)
هذى مرارةُ كأسٍ لذّ شاربها	خمارها فهو عبّاس وبسّام
والنفسُ كالخيل والأقدار رائضها	فالبؤس ركضٌ ورغدُ العيش إجمام(٤)
مادمت تعدو من الأقدار عدوك من	ضارى الفواتك فالأقدار آلام !

خلود التجارب

وكم ساعةٍ كالخلد فزتَ بخيرها	هو الروح حرٌّ لا يذلُّ لتحكيم
بلغت بها أقصى مُنى النفس كلّها	كأنَّ قضاءَ الدهرِ ليس بمحتومِ
نفوسٌ تودُّ العيشَ نهزة لاعب	فتحسب أنَّ العيشَ أضغاثُ محموم

(١) الذام : الأمر المعيب .	(٢) الوغم : الحقد الثابت فى الصدر ، والجمع أوغام .
(٣) إرزام : اشتداد الصوت .	(٤) أجم الفرس : ترك يمرح ويستريح .

ترجّى سنيٌّ العمر كالنحل ضمّنا لعيشٍ كأرْى النحل ليس بموهوم
ترجّى خلوداً والخلودُ عناؤها وأى بقاءٍ خالد غير مسؤوم
وما الخلد إلا ساعة تقنع الحجى وتُسعد نفساً لا تدين لتهويم
وقالوا بأن العيش فرضٌ مبغض وذلك حرصٌ منهمُ غير مكتوم
وعذرٌ على حبِّ الحياة ولهفة وأى امرىء فى العيش ليس بمكلوم
يعيش شقّى الناسِ من خيرِ عيشه وإن كان يسعى فى الورى جدّ مهموم
يظل فتى فى نفسه ذخر ذاخر وإن كان محروماً كأنْ غير محروم
فما العيش إلا حكمةٌ وتهادنٌ فيخلط مجهولاً لديه بمعلوم
ويخلط حلواً فى الحياة بحنظل ويأخذ من عيشٍ حميدٍ ومذموم
وقد صحّ أنَّ الجدَّ يلهى عن الأسى وإن كان جدّا لا يجىء بمغنوم
وكم نُهزة بالحسّ لم أحسُ خمرها حسوت بنفس تستقاد بتكريم
هو الروح مثل الحسِّ فى كلِّ لذةٍ وليس نعيم نال روحٌ بمحلوم
وطالعتُ فى سِفر الحياة كأننى ظفرتُ بسفرٍفى التجارب مرقوم(١)
فما نفع هاتيك التجارب هديها وليس أخو التجريب فينا بمعصوم
ولكنّها لذات نفس تمرّست بوقعِ مرجّى أو مواقع منقوم(٢)
فمنها مصيفٌ للنفوس ومربع ومنها كعام المحل ليس بمرهوم(٣)

---

(١) مرقوم : مكتوب . (٢) الواقع : المكان المرتفع من الجبل ، والسحاب المطمع ، والمنقوم : المكروه . (٣) المحل : الجدب . والمرهوم : المطير .

المثل الأعلى

يزعم الزاعمون أن أخس الـ ... خلق في النفس لازب لن يزولا
كيف لا يخلد الخسيس من النفـ ... ـس إذا ما اعتقدت أن لن يحولا
مرحبا بالمحال فك عن النفـ ... ـس من العجز والقنوع كبولا
يشرق المرء بالزلال فهل كا ... ن زلال من أجله مرذولا
إنما التذت الحياة لأنْ كا ... ن ستير من أمرها مجهولا
كل معنى عرفته كان مملو ... لا ومعنى جهلته مأمولا
إني ولعتُ ببروقة الأحلامِ ... أألام في طربي وفي استغرامي ؟
دنيا يشطّ بها المنامُ إذا نأى ... صدُّ الحبيبِ يشطُّ بعد لمامِ
ومن استنام إلى الحقائق لم يجد ... عزماً سوى نابٍ لديه كهامِ
عجباً نعافُ الخيرَ وهو محبّب ... حتى كان الخيرَ في الإحجامِ
جهل الورى فمضى الورى في الشرإ ... نَّ الخيرَ كلَّ الخيرِ في الأحلام !
مافي الوجود حقيقةٌ غير النهَى ... فاطمح بنفسك للذرى والهام
أتنال أوهامَ الحقائق قانعاً ... وتعاف خيرَ حقائق الأوهام ؟
والعيشُ إن لم تبغه لعظيمة ... فالعيش حلم طوارق الأعوام
لفررت عن دار المذلة والأذى ... لو فرَّ بعضُ الناسِ في الأحلام
وبدا له بين الحقيقة والكرى ... بابٌ لِولاّجِ العوالمِ سامي
فيفرُّ منه إلى الفضائل والنهى ... وينال ما يغلو على المستام
إن خلت أن الذام ضربةُ لازب ... في النفس كيف تعاف ضرَّ الذام ؟
والنفس إما شئتَ كانت عالما ... يسع الدُنى في طوله المترامي

فكأنما جـزعَ الزمـانَ جناحُـهـا فــرأته من خلفٍ له وأمـام[1]
وكـأنما حـد الفضـاءِ يحـدها يا طيـبـه من منزل ومـقـام !
فإذا سكنتَ إلى مجالى عيشها ذلَّلْتـهـا بخـزامـةٍ وزمـام
ورأيتَ عـالَمـها الوسيعَ كعـالم للنمل يصغـر عن مـدى الإعظام
لو كنتَ تعرف قـدر مقبل علمها أو جـهلها لكشفـت كل قتام[2]
وعـرفت مـا العـرفـان لا يلوى به أقـصـرْ فليس مـرامُـه بمرام
والمرءُ يضمـر للبـعـيـد مـهـابة فـإذا دنا ألفـاه حظّ طغـام
ويرى المحـبّب بين ذين يرومـه بالنصـر آونـةً وبالإكـرام
ولربّ نفسٍ كـالخـشـاشِ مطارها زحف الصِـلالِ تدب فى الآجـام
أنى يكون مـعـبّـد لحـيـاته بين الأباة الصيـد والأعـلام[3]
ولربّ مـصـفـودٍ بلذة عـيـشـه كالنحل يصفد فى الجنى بحمام[4]
ومن النفـوس ذوات أجنحـةٍ ترى كـالطيـر نـاهضـة على الآطام[5]
ولـذاذة الآثـام فـى نـدم علـيـهـا قـد أتيح لجـدّة الآثام
إنّ السكـينةَ قـد يملُّ نزيلهـا حـتى يلذ العـيشَ فى الآلام
بئست حياة قد رضيت براكد من أمـرها وقنعت بالإجـمـام[6]
فالنفس للمثل الأجلّ طموحها كـالنجم يهـدى من وراء ظلام
طوراً كـمـا رقص السـرابُ وتارةً يشـفـى به من غلّةٍ وأُوَام[7]
كـالبدرِ فى ليلِ العـواصفِ ساطع فى أفق مـخـشى الزمـاجـر طامى

---

(١) جزع المسافة : قطعها (٢) القتام : الغبار والسواد (٣) المعبد : المذلل

(٤) المصفود : المقيد (٥) الآطام : الحصون (٦) الإجمام : الإراحة (٧) الأوام : العطش .

يبـغى به الملاّحُ هَدْىَ سـفـينه في زاخـــر باللجِّ كـــالآكـــامِ
كم صان من جأشِ الحزين وكشَّفت لحــاته من سُــدفــة الإظلامِ
من ذاد عنه النفس يخشى هلكها كمعالج للظمءِ خوف جمام[1]
صنو الذى لم ترضــه لحــاته من يبتغى في النجم فضل ضرام
لولا وقوع شعاعه في نهجها ضلّت عليه طليقة الأيام
والمرءُ إن نبـذَ الكمــال وهديه شقَّ العصــا وأحلَّ كلَّ حــرام
ورأى الأنامَ فـريسـةً مـذخـورة لموفقٍ في شــرّه عــــزام
ولقد يعود قذى يصيب به العمى فـينال من عــزمٍ ومن إقــدام
كـالنار يهلك حـرّها وضـياؤها يعشى وفيها من هدى وقوام
يحكى أضاميم السَقَام ولوعه فكأنه سـقمٌ من الأسـقـام
ولطالما خـاض الفـتى من أجله كـيـمـا يكون زواخـر الآثام
أقسى الأنام من استبد به الحجى فـسـهـا عن العبـرات والآلام !

الفصول (٢)

طيـرى أمَــانىَّ النفـوس وغـرّدى فلقد دعاك الروض خير دعائه[3]
هذى عيون للطبيعة قد رنت في الزهر من أكمامه وخبائه
بسط الربيع على الحيـاة رِدَاءَه ياليتـهـا أبداً تُرَى بردائه
بل ليتـه بُرْدٌ نخيطُ على هوى هذى النفـوس لكى تُرى بروائه

---

(١) الجمام : مقادير المياه أى خوف الغرق ينبى أن ينقع غلة

(٢) أعيد نشرها بمجلة الرسالة عدد ٢٤٩ في ١١ أبريل ١٩٣٨ بعنوان « الفصول » : وكانت في الأصل بعنوان « الصيف » .

(٣) في الأصل - دعاك الصيف

والشيء لولا أن يَرُوعَ بفقده ... ما شاق عند قدومه بلقائه

* * *

لا كالشتاء تزايلت أوراقه ... كتزايل المهجور عن قرنائه
تتناثر الأزهار عن أفنانه ... كتناثر اللّذات من أهوائه
وتخال إذْ دَلَفَ الشتاء كأنما ... ساق السّنا بِدبُوره ورُخائه
هَربُ الضياءِ من السحاب وريحه ... هَرَب الكعَاب من الهوى وقضائه(١)
فرّ الخريف من الشتاء وخلفه ... عادٍ يريد لحاقه بجرائه
مثل المريض يفرّ من عادى الردى ... هيهات ذا ، والدّهرُ من أعدائه
راع الشتاءُ بقُرّه فكأنما ... أنفاس ثغر الموت قُرّ هوائه
والريح مثل فم الشتاءِ وصوتها ... شكوى العجوز يخاف من أبنائه
نقمَ العقوقُ فقام يشكو أمره ... للناس ينشد آسياً لبكائه
والأرضُ تنظر في فروج أديمها ... نظر الفقير إلى ثقوب ردائه
من بعد ما نفدت نفائس كنزه ... سَرَفاً وشحّ العيش بعد سخائه
وكأنما دجَنُ الشتاء مقطّباً ... ذكرى العجوز لزهوه وفتائه
وكأنما دوح الخمائل في الدجى ... نشوى شياطين انتشت بسقائه
شربت من الإظلام حتى أكشبتْ ... تبغي النهوض كمكْتئبٍ من دائه
في كل غضٍ في الظلام نواظر ... كنواظر للغيب خلف كِفَائه(٢)
وكأنما دوحُ الظلامِ ثواكل ... لبست حدادَ الثكل فعل نسائه
تحنو عليك غصونُها فكأنما ... تبغي سرار السمعِ من إصغائه
والدوحُ يهفو كالمؤرّق في الكرى ... يلوى على الأفنان فضل كسائه

---

(١) في الأصل : هرب الضياء من الرياح إذا سطت .

(٢) الكفاء هنا : الغطاء .

تتـــــــردّدُ الأرواح فـى أفنـانـه كـتنفّس الرعـديد فى لأوائه(١)

وكـأن فى إطراقـهــا وسكونـهــا فـكرُ المصــــيخ لروحـــه ونـدائه

ياليت بعض العـمـر تُقطَعُ بيـدهُ وَثبـاً ويُمْـهِل فى سنىٍّ رخـائـه

كـالسِّفْـر تقـرأ بعـضـه مُـتـريِّثـاً جـذلاً وتطوى بعـضــه لهـرائه

أوليت حادى الأرض يعكس سيرها عن بعض دورتهـا بوقع حــدائه

أوْليت هذا الدهر عـقـربُ سـاعـة يَلْوِى به عن نحـسـه وشـقـائه

آمـال أمس كـزهرة قـد صَـوّحَتْ عـود الربيع مـجـدّد لرجـائه

يانفس لا تأسىْ لعـمـر قـد مـضى بربيـعـه زمن أتى بشـتـائه

تَتَشـوّفين إلى قـديم عـهـوده نَظَرَ الغـريق إلى السُّهَى وسـمـائه

بُشــراكِ خلف الموت لو تردينه نبت الربيع يروق فى غلوائه(٢)

كـالطير بعد الصيف تترك عشـها نحـــو الجنوب ترود أرض ثوائه

* * *

عطف النسيم على الأزاهر هامساً أنَّ الربيعَ ســعى إلى ندمـــائه

إنّ الربيع أخـا الصـبـيـحـة مـقـبلٌ إقـبـال وجــه الحبٌ فى لألائه

كـالطئـر بَشّـرت النؤوم بأن بدا فـجـرٌ لعـيـدٍ كـان قـيـدَ رجـائه

والقلب مثل الطير فى وضح الضُّحَى يتلو على الإصـبـاح آى غنائه

وكـأنما أمّ الخـلائق دوْحــةٌ من قـبل آدم فـهى من قـربائه

تشـدو كَشـدْو الأمّ ناح وليـدها تحنو عليــه لصــونه ووقـائه

والريح طيــرٌ شـاد فى أفنانهـا وكـراً كـأن الزهر من أبنائه

---

(١) اللأواء : الشدة . وفى الأصل : .. فى أفنانها (٢) فى الأصل - أرض الربيع ..

وكـأنَّ أجنحـة الملائك نسـمـهـا نَسَمٌ يطبُ برفـقـه وصـفـائه
وكانَّ ينبوع الحياة غديرها خُلْدُ الصّبـا فى جـرعـة من مـائه
والقـلبُ مـثل النهـر باشَـرَ مـاءَهُ جسم الحبيب تراه فى سَوْدائه(١)
أَهْوَاك ياروح الربيع فـهـيِّـئى جـسـماً كـجسم الغيـد فى لألائه
ثم ارقصى بين الخمائل فى الضُّحى رقص المدلّ بحـسـنه وبهـائه
فلعلَّ فى قـبـلات ثغـرك بـرء مـا أعـيـا الأنام بحكمـه وقـضـائه
أرد الخلود بقـبلة وبضـمـة تروى ظمـاءَ الخلد من لميـائه(٢)
والزهر يبعث بالطيور إلى الضحى تُفْضى إلى الآفاق من أنبائه
الأرض أمٌّ لـلخـلائق كـلـهـم والشـمس بَعْلٌ شاقـهـا بفَتَـائه(٣)
فالناسُ والأطيارُ فى وَضَح الضحى والزهر فى الأكـمـام من أبنائه
النـارُ والأمـواهُ من آبائنا والنـار والأمـواه من آبـائـه
يهنيك يادوح الخـمـيلة بعـده نـسـيـان نيـسـان وطيب هوائه
تنسى الربيع كـأنه زفّـه نغـم البـلابل فى مـثـيـر حُـدائه
لا تمنع المشـتـاةُ عَـوْدَ زهوره وأريج نـسـمـتـه وحَلْى كَـسائه
يا ليت طيب العـمـر يُنسى وردُهُ فـأبيتُ مـثـلـك لا أحَنُّ لمائه
لكـنَّ طيب العـمـر ليس بعـائد لأخي صَدىً يُظْميه صَوْب بُكائه
وترى كـحـالات النفـوس تغـيّراً فى روضـه وسـمـائه ونهـائه(٤)
فـكأنما للكـون روح خُلْقُـه يبـدو لنا فى غـيْـمـه وضـيـائه
تتـغـيـر الأشـيـاءُ فـوق وجـوهه لتـغـيـر الأشجـان فى حَـوْبَائه(٥)
من لى بأجنحـةِ الزمانِ أهيضـها كـى لا يطيـر بصـفـوه ورخـائه

(١) سوداء : قلب (٢) لمياء : شفة (٣) فتاء : سخاء وفتوة

(٤) النهاء جمع نهي : الغدير . (٥) الحوباء : النفس .

أَوْليتـه الغَـرِد الحـبيسُ أُقيـمُـه ... كـيـمـا أُراح لشـدوه وغنائه
كي يذكـر العـهـد الأنيق وأوجـهـاً ... كـانت تـطلُّ على وذيلةِ مـائه(١)
خلع الجـمـالُ قناعَـه وسـعى إلى ... عـشّاقـه وعـفـاته وظـمـائه(٢)
والمرءُ لولا صَـيْـفـه وربيـعـه ... مـاذاق حُلْمَ السّعـد فى لأوائه(٣)
والروضُ بـابٌ للجنـان وثغـرة ... منهـا ترى الفـردوس خلف فنائه
وكـأنما صـبغ الأزاهرَ صـابغٌ ... فـتكـاد تأخـذ منه إثرَ طلائه
والضـوءُ غُـدرانٌ ترقـرق تبْـرُها ... وأراق منهـا الأفق فـضل إنائه
واللونُ شِـعْـرٌ للطبيـعـة وقـعُـهُ ... فى العَيْن وقعُ اللحن فى سودائه
شـهـدَ الشـتـاءُ بأن أفق سـمـائه ... أدنى إلينا من قـصىٍّ فـضائه
والنفسُ تعظم فى الربيعِ كـأنهـا ... فى زهره ونسـيـمـه وصـفـائه
والضـوءُ خـمـرٌ للنفـوسِ ونشـوةٌ ... ودم الحـيـاة يشـام فى أثنائه
والأرضُ كالحسناء قُدَّ قميصُها ... فبدت محاسنُ جسمها ووَضائه
فكأنما رفع الربيعُ حجـابَهـا ... فانجاب ستر الحسنِ عن حسنائه
والضّـوءُ كـالحـسناء بُزَّ رداؤها ... فأمـاطَ عنهـا العُرْىُ سـتـر غطائه
والقلبُ مـثل الطير هيض جناحُه ... فـى نَـزْوِه وحـنـيـنـه وغـنـائـه
والطيـرُ أفـواه الرياض فـشـدوها ... أبداً يزجّى الدّهرَ وقْعُ حـدائه
وكـأنما نغمُ الحـفـيـفِ هواتف ... فى القـلب دَوّت منه فى أنحـائه
والضـوءٌ من خَلَلِ الغصـون كـأنه ... طيـرُ الفـراشِ نراه من شـجْـرائه
وكـأنه والقلب يذكـو شجـوه ... شـرر الغـرام يطيـر من حَـوْبائه
نثرتْ ذكـاءُ على البسيطة عسْجداً ... فـاذخـر ليـوم الدَجْن كنز ثرائه(٤)
ولكل شىء منطقٌ يشـدو بـه ... والنفسُ تعـرف كنه سـحـر غنائه

(١) وذيلة : مرآة (٢) عفاته : طلاب فضله (٣) لأواء : شدة (٤) الدجن : الغيم المظلم .

تتلو عليك الطيرُ طيبَ ثماره وأريجَ روضته ورقة مائه
والحسنُ ظلٌّ للسعادة في الورى إنَّ السعادة لا تُرى بفنائه
ظلُّ الجنان على البسيطة واقعٌ فاستقبل اللّذات من آلائه
يُنسى الحياة وبؤسها وشقاءها حتى يخال الحُلم أصل شقائه
فكأنه كون حلمت بحسنه حتى نقلت إلى ذرَى خضرائه
هذى الطيور صوامت كنواطق ذخر النسيم نشيدها لهوائه

* * *

وكأنما زهر الخميلة إن بدا حُلُمُ الهوى في طيبه ووضائه(١)
والطيرُ أرواحُ الزهورِ وصَيْفُها عهد الشباب يروق فى لألائه
ضحك الزمان فذاع من ضحكاته صيف يعيد الحبَّ فى غلوائه
والقيظ يزفر بالهجير كأنما يتنفس الولهان من بُرَحَائه
فكأنما مرحُ الحياة وحسنُها لهب ترقرق فى خفيٍّ دمائه
وكأنما نغمُ الطيورِ أريجُها يُسقاه زهر الروضِ فى أنْدائه
فيحيله نشراً يَضُوعُ ورونقا يشتار منه النحل أرْىَ عطائه
ودّت ذوات الحسن أنَّ حُليَّها كحُليِّه ورداءها كردائه
مرح الكعاب الرُّودِ فى خطراتها كالنهر يرقصُ فى ترقرق مائه(٢)
والريح تعبث بالغصون كأنها طفلٌ يعيث على رؤوس إمائه(٣)
وترى جذورَ الدَّوح مثل أصابع بسط الشحيح يصون كنز ثرائه
وكأنما نغمُ البلابل مَطْرَةٌ فوق اللُّجين شجا مُرِنٌ إنائه
تندى على القلب الجديب فينثني روْضاً يرفّ بزهره وأضائه

---

(١) الأصل : فى طيبه وسنائه (٢) فى الأصل : عدواتها (٣) فى الأصل : على شعور

والزهرُ في وَضَحِ الصبيحة قد صحا ... صحوَ المفيق من الكرى وقضائه
وجلت ذكاءُ ندى الزهور كأنها ... أمُّ الوليدِ تزيل فضل بكائه
حتي إذا اشتدَّ الهجير حسبته ... نشوان أثمله اللظى بسقائه
وإذا الأصيل علا السماءَ حسبته ... ذا لوعة حانت نوى قربائه
وحمَى على قُبَلِ الظلامِ ثغوره ... كمعشّقٍ متستّرٍ بردائه
وتراه يرنو للنجوم كأنها ... حُلُمٌ يُطِلُّ عليه في حَوْبائه(١)
كالطفلِ يُبْصِرُ في الوذيلة وجهه ... فيخال ذاك الوجه من قرنائه
تحكى النجوم الزُّهْرُ في دوْراتها ... رَقصَ المدلّ بعيشه وروائه
والنجم من خَلَلِ الغصون كأنه ... ثمرٌ تَدَلَّى من عليّ سمائه
درس السماء صفاءها وضياءها ... حتى جرى بعروقه ودمائه
والحي يحيا كالذى هو ناظر ... كالأُفْقِ يُرْسَمُ في متون نِهائه(٢)
والزهرُ يحلم بالفرادس طرفه ... حلم الغريب بأهله وفنائه
حَسِبَ الطيور تحاملت عن قلبه ... وبدت تبوح بشجوه ورجائه
والقلب مرآة الزمان فصيفُه ... في صيفه وشتاؤُه كشتائه
والكونُ مرآةُ الفؤادِ فقبحُه ... وجمالُه في نحسه ورخائه
والضوء مثل دم الربيعِ فلا تَعفْ ... جُرَعًا تنيلُ الخلْد من ضَذائه
هذى الطيور لسانه وغناؤها ... مستأنف من شدوه وغنائه
والزهر في حرّ الهواجر نائم ... سحرته باللحظات عين ذُكائه(٣)
والأرض تحلم بالجِنَان فصيفها ... حُلُمٌ يزيح القلب من ضرّائه
بسطَ الجمالُ على الفضاءِ جناحَه ... فالصيف من لألائه ورُوائه
فكأنه مَلَكٌ يُحلّقُ فوقها ... فتصيب من آلائه وعطائه

(١) الحوباء : النفس (٢) النهاء على وزن فعال : الغدران (٣) ذكاء : هى الشمس .

يا ليت أنَّ المرءَ في أرجائها — متفرِّقٌ في أرضه وسمائه[1]
حتى يصيرَ من الجمال بمنزل — في مائه ونسيمه وضيائه
وتظل تسمو النفسُ في آفاقه — كالطيرِ حلّق في أديمِ فضائه

خواطر الأرق

ياليلُ أين أليفُ الهمِّ والذكرِ — مسهَّد القلبِ عون لي على السهرِ ؟
وصاحب الهمِّ يبغي صنوه أبدا — كساهرِ الليلِ يقضي الليلَ بالسمرِ
فقل لأحلامك اللاتي نراح لها — قَوْلي لمن هو روح الضوءِ والبصرِ
خاض الزمانُ مياهَ الحبِّ فاعتكرت — كخائض النهر أبدى كدرة العكر
مراسم لك دون القلب يدرسها — كالريّح تمحو ظلالَ الزهر في النهَر[2]
وعنكبوت من النسيان ناسجة — خيطاً على القلب يخفي أنفَسَ الذخر
جلت عن القلب ذكرى منك طارقة — كمن يزيح القذى عن شرعة الغدر
فابعث بذكراك في قلبٍ نبت به — كالجذر مستوثقاً في منبت الشجر
فإنّ زهرة حسنٍ أنت لابسها — تسقى دمى مثل ريِّ الماءِ للزهر
والذكرُ كالطرف إما نابه أرق — ياعازبَ النومِ أسدل حاجب الذكَر !
خواطر كطيورِ الروضِ سانحة — تستدرج القلبَ أخذ الطير بالنظر
إن غرَّبت فإلى ذكراك عائدة — عَود الطيور إلى الأوكار في الشجرِ
قد قُلت للحبِّ لا تعتب على سكني — لنبوةٍ منه في أيامك الأُخَر
كم لي وكم لك من يوم لنا بَهجٍ — بطلعةٍ منه تحكي طلعةَ القمر

---

(١) في الطبعة الأولى : في أرجائه متزايل في أرضه (٢) يدرسها : أي يمحوها .

إن يقس قلبك فالأقدار قاسية وأسعد الناس من يأتم بالقدرِ
أو يجف قلبك فالأثمار يانعة ودون ذلك يُبْسٌ من نوى الثمرِ
أو كان قولك مرُّ الطعم لاعجبا فإن ثغرك كأس العابس الأشِر(١)
فارجم بقلبك قلباً أنت مالكه فإن قلبَك مثلُ الماس فى الحجر
ولست أول من أصمى فلا حرج للناس رجم كرجم القرد بالمدر(٢)
لم يترك الناسُ من قلبى له رمقاً حتى اقول تحرجْ من دمٍ هدرِ
يرمونني بقلوبٍ فى مودتهم اقسى من الصخر فعل الراجم المكر
كأنها بعض أحجار الجحيم رَمت بها شياطينُ تبدى صورةَ البشر
والحبُّ كالبحر لا يخشى به غرقا من غاص فيه على الأصداف والدرر
وخالطٌ فى الهوى لم يدر لذَّته كخالط الكأس أخطا لذة السُّكْر !

غل السرائر

لقد عابنى للناسِ انْ عفتُ لؤمَهم ومن لم يسغه فهو أجنب بائنُ(٣)
وإنَّ رضاءَ النفسِ ما ينبغى لها وليس رضاءُ النفس ما هو كائنُ
فيا عائباً نفسى بقولة كاذب وما عاب نفساً جائر القول مائن(٤)
أتبصق فى المحراب وهو مطهر وتحسب ان البصقَ لله شائن ؟
يقولون : رزق المرءِ مفتاح قلبه ألا إنه قفلٌ على القلبِ صائن
فدع عنك هذا الناس إن كنتَ فاعلا يكاد المبادى والصديق المداهن
أقولك للأنعام عزى يعزها وإن قلت لليث اصطبر هو ساكن!
وكيف يطيبُ العيشُ للمرءِ وحده ومن حوله فى الناس باكٍ وحائن(٥)

---

(١) أشر : بطر (٢) المدر : الطين (٣) بائن : فاسد

(٤) مائن : كاذب (٥) حائن : مصاب : محروم

يضير شقاءُ الخلقِ من حيث لا يُرى كما تطرق العدوى وإن قيل آمن

يقارب في بغضى عدوّ عدوه كما اقتربت في الصدر منه الضغائنُ

ولُخَّتْ صدور العجم تضمر بغضتى فقد شاكلتها في الأنام القرائنُ(١)

ومن نغص الحساد نعمى يسيغها رأى أن لحظَ الشمسِ في الأفقِ عائن(٢)

سخائم لا يدرى سوى الموت سلها إذا بشمت منها النفوس البوائن(٣)

لئن بلغ الإنسان أفق وهاده تعجب من غلٍّ طوته البواطن

وقد يعجب الإنسانُ من غلّ غيره وقد عمرت في الصدر منه المواطن

وكل امرىء فينا حسودٌ محسَّد ولكنْ على قدر النفوسِ التباين

لئن كان في نفسى عدوٌّ أخافهُ فلا غرْوَ إنَّ الناسَ عادٍ ولاعن

حياتى حياةٌ إن يلح لىَ حسنُها يهشّ لها من سادرِ الموتِ ماجن

تضىء شموس المجد آثار من مضوا أتدفأ منها في الضريح الدفائن ؟

آلة الضمير

ألا من لدهر وأيامه وخبّ يكيد بإيهامه

يودّ عشير الورى صنوه لكيما يسرّ بإيلامه

وليس الضميرُ لخير سواه ولكنْ ليحظى بأحكامه

ليمنع إتيانه مأثما يرى مهلكاً دون إنعامه

فإن لم يجد فيه هلكا يعاف تناءَى الضمير بآلامه

فلا تبتغ النصف من خيِّر يرى الطهر في روث آثامه(٤)

---

(١) لخَّ : التفت مضايقه ، اختلط عقله (٢) عائن: محتبس (٣) السخائم : الضغائن بشمت : أتخمت . البوائن : المتباغضة . (٤) النصف : العدل .

هل التـبـر يحـمـر من سـفـكه دمـــاء تصـيح بإجـرامــه ؟
ومـــا النـاسُ إلا أخـــو خـجلةٍ بـرئ شــــقيٌّ بـأحـــلامـــه
وذو لوثـةٍ مـــالـه من حـــيــاءٍ يخـــفّض من حقٍّ إكـــرامـــه
فـداو الحـيــاءَ ببـعض الشـرور لتـــــفلت من ظنٍّ لـوّامـــه !
ومـــا كلُّ باغٍ لخـــيــر الشـــرو رِ ينقع من غلٍّ تهـــيـــامـــه
بقــدر تُقــاكَ يضـيــرك شــرٌّ كَ ضـيــرَ النقـيض بإلمامــه[1]
وبعضُ الضـمـــائرِ داءٌ عـيــاء يذلُّ البــرئ بأسـقـــامـــه
وآخـرُ كـالسيفِ حرب الخطوبِ ونور المـغـــذُّ بإلهـــامـــه[2]
ومن لذة العـيشِ جـهلُ المغـامـ ـر لؤم الضـمـــيـــر وأوهامـــه
وذلك من خـيــر هذى النفــو س ، والشـــرّ يثنى بإبرامـــه

دعوة المصلح

ألا يـا صــيــحـــة أطلـ ـقـهــا المحـتـثّ فى الوادى
لـئــن كـنـت طـواك الـدهــ ـر فـيــنا طىّ أبْـراد[3]
أمـــا يزجى خـفــاء البـذ ر زهـر الـفـن البـــادى ؟
ســقــاك الســامعُ الواعى بـصــوبِ الرائحِ الغـــادى
وغــنّــى هـاتـفُ الـنـفـسِ بغــصنٍ منك مـيّـــاد[4]
فـــفـى الـنفـسِ بلاغٌ مـنـ ـك مـخـبـوءٌ لميـعـــاد
وفى النفـس اقـتـــدارٌ مـنـ ـك مـثل الضَـيغم العـادى[5]

(١) ضاره ضيراً : أضر به (٢) المغذ :المسرع فى سعيه (٣) البرد : ثوب مخطط ، والجمع أبراد . (٤) المياد : المتمايل (٥) الضيغم : الأسد ، والعادى : العدو .

غـداً ينفـجـر الصـخـرُ | برىّ الهـالك الصـادى(١)
وصـمتٌ منك قـد يحـدو | بـإبـراق وإرعـاد
وإنَّ الـدهـر بـانـيـك | بـأطنـاب وأعـمـاد(٢)
وخـصّت لك فى الغـيب | مـقـادير بمرصـاد
وكم من دعـوةٍ قـامت | مـقـام المـاءِ والـزاد
وكم من خـافت الأصـوا | تِ ذى وعـد وإيعـاد
سـيـسـعى لك أفـواج | بـإتـهـام وإنجـاد
ويهـفـو منك فى الأقـوا | م مـن غـىٍّ وإرشـاد
ويحـكي صـادر عنك | إذا مـرٌّ بـورّاد
وكم من مـختـفٍ ينخـ | ـر فى صـرحٍ وأطـواد
ألا يا صـيحـة خـيلت | أضلَّ طريقـهـا الحـادى
وظلّت وهى كـامنة | كـمـونَ الصلِّ فى النادى
كـمـا تختـمر الخـمـ | ـرُ فى الدَنِّ لميـعـاد(٣)

الشهرة بعد الموت

مـا أحسن الصيت لو أن الفتى | يزاد عـمر الصيتِ فى عـمرِه !
أمـا ولا نفـع يرجّى بـه | واغَـبْنةَ الميت فى ذكـره
يهـدم من لذات أيامـه | كيمـا يُشادُ الذكر فى قبره!
ومـا رأينا بائعـاً من غـدٍ | بما مـضى بالذكـر من دهره
بشـهـرة من أزلٍ غـابرٍ | ليـومـه المُعْنِق فى فـرّه(٤)

---

(١) صدى : عطش عطشاً شديدا فهو صاد (٢) أطناب : حبال تشد بها سرادق البيت ، عروق الشجر
(٣) الدن : الوعاء . (٤) المعنق : المسرع .

سيّان صيت قد مضى عهده / والمقبل المرجو من أمره
والذكر ظلٌّ لحياةٍ مضت / يخفيه جرمُ الدهرِ في مرّه
ورب ظلٍ خلف ساع سعى / والظلُّ كالمُعنق في إثره
صيت يعيد الذهنَ كالمنتضى / والسيف راق العين من شَهْره(١)
والنفسُ تبغي الخلدَ في وهمِها / والوهمُ مثل الحقّ في خدره
فالبُطل في إيمانها نافع / إن لم يربها الوهمُ في غدره
تحتال بالأهرام طوراً وبالـ / ـقرطاس يحوى اللبَّ في سِفْره(٢)
سفائن لابد من هلكها / إذا استفاض الدهرُ في بحرِه

دلال الربيع

أنت روحُ الربيع حين تلالا / يا ربيعاً زاد الربيع جمالا
غير أن الربيعَ وهو عزيزٌ / ليس يسلى عن الحياة رجالا
إنْ أتى كان قُرّةً ووصالا / أو مضى كان ذكرةً ومقالا(٣)
أيها المعرض المدلّ بطرف / وبثغر يحكى لنا الجريالا
زد مطالاً فلست أبكى وصالا / تهْ دلالاً فلست أخشى دلالا
أنا كالليل يفزع الغرّ منه / ويزيد الحكيم فيه جلالا
ويرى الرأى في الدُجنة ما لا / تبصر العينُ حكمةً ومقالا(٤)
هو نعم الطبيب إن كرث الخطـ / ـبُ وأنحى على اليتيم وطالا
وابتدار الربيع عانقه كا / نون أرعى من أن يطيل زيالا(٥)
وسريع كرّ الزمانِ فإن فا / ت شتاء حدا الربيع زوالا

---

(١) انتضى السيف : استله من غمده ؛ وشهر السيف : سله فرفعه .

(٢) السفر : الكتاب الكبير (٣) قرة العين : ما تسكن إليه وتسر .

(٤) الدجنة : الظلمة (٥) زايله : فارقه .

وطلوعُ الربيعِ وهو قرين ... لشتاءٍ أرجى وأجدى نوالا
ضمّ قلبى من الحوادث ذخرا ... تارةً مطرة وطوراً هلالا[1]
ياشبيهَ الربيع إنَّك حال ... وفؤادى قد شامَ حالاً وحالا
وفؤادى كالكون لا بل هو الكو ... نُ حوى منك نضرةً وجمالا
فابتعد إن قدرت هل يجد البـ ... ـدر عن البحر والسماءِ مجالا
واثتنى فى الشتاءِ أرتجع الصيـ ... ـفَ إذا شئت قيظه والظلالا
بزفيرٍ يحيى الغصونَ ويلقى ... فى رواءِ الزهور سحراً حلالا
فيفرّ الشتاء فى غابر الدهـ ... ـر ارتياعاً وحيرةً وضلالا
غير أنى أقلى من الصيف إن جا ... ءَ وقد آذن الربيعُ ارتحالا[2]
يا ربيعاً مضى وخلّف فى القلـ ... ـبِ غراماً كالصيف أوفى وغالى

ربيع القلوب

ربيعَ القلوبِ وعهدَ الزهور ... مطارك مثل مطار الطيور
تضمّ لنا الإلف بين الوكور ... معللنا بالرجاءِ القصير
وخادعنا عن صروف الدهور ... وخير الخمار خمار السرور
وخيرُ زمانٍ زمان الزهور ... وعهد الهوى ونجىّ الصدور
ويارب عهدٍ كوجه البشير ... كثير الأمانىّ جمّ الحبور
وهلى يصقلُ العيش غَير الغرور ... وهل يشبه الزهر غير الثغور؟
تمرُّ علينا بلفح الحَرُور ... وطيبِ الزهور ونفح العبير[3]
وتخلف ذكرى كشدوِ الخرير ... ربيع القلوب وعهد الزهور

---

(١) المطرة : الدفعة من المطر ، والهلال : أو ل المطر وقليله (٢) قلا : أبغض

(٣) الحرور : الريح الحارة .

فقم واستمعْ نصحَ هذى الطيور ... تقول اغتنم صفوَ عيشٍ نضير

ولا تغبنن في الشباب القصير ... فعهدُ الشبابِ كعهد الزهور

فيا قمراً فى ليالى الحبور ... طلعت علينا طلوعَ البدور

لتغرب فى ظلمات القبور ... تمتع بضوئك قبل المسير

فمكثُك فينا كمكث الزهور ... وملكك فى ضوءِ هذا السفور

وعادى الردى يده فى النحور ... وفى كل جيدٍ ممرّ الجرير(١)

وكم ثمر عَطن فى الثغور ... ويعبث بالزهر عصفَ الدَبور(٢)

ولا يندمُ المرءُ قبل القتير ... وقبل انجلاء غشاء الأمور(٣)

فإنّ الشبابَ كثيرُ الغرور ... وفعل الرجاء كفعلِ الخمور

وهل ينفعُ المرءَ وعظُ النذير ... إذا فات عهدُ الشبابِ النضير؟

حقيقة أم وهم

إن يكن ريع من خرائب نفسٍ ... فى ضلوعٍ من الحوادث درسِ

فبما قد أفاض من وَضَح الحسـ ... ـن عليها كالبدر فوق الرَمْسِ(٤)

أو أكن قد بكيت للنأى فالأر ... ض تريق الندى لنأى الشمسِ(٥)

ولو أنَّ الأيامَ تدرك وداً ... لبكى لى من حرقة النأى أمسى

أنت نفسى وليس من حقٍّ نفسى ... أن يقولَ العذولُ أبغضت نفسى

أشقاء فى الحب قد صارَ سعدا ... أم هو السعدُ حائلٌ للنحس

فكأنى أحببتُ منك خيالاً ... خلت إياك غير جسمٍ وجَرْسِ(٦)

---

(١) الممر : المحكم الفتل ، والجرير : الحبل (٢) الدبور : الموت (٣) القتير : الشيب .

(٤) الرمس : القبر والتراب (٥) النأى : البعد (٦) الجرس : الصوت .

وكــانى لم أُلفِ بعــد لقــاءً أتقـرى اليـقين منك بلمسِ
فلعلّى إذا لمســـتُك لم أُلـ ـفك فينا إلا مجاجة شمسِ
إن تكنْ قد نفيت عنى آمـا لى وجـرعـتنى مـرارةَ يأسى
فـالأسى لا كـانت إلفٌ ودود أنت خلّفـتـه فـأكـثـر أنسى
فـهو عندى وديعـةٌ فـاطّرحـها فى ضلوعٍ على الصبابة حبس
لو عـدانى نحس شقيت به منـ ـك لما خفّ من أسـاى ونحسى
وشقىٌّ الهوى ليشقى ولو أخـ ـطأ منه صُبابة المتحسى(١)
إنما السعدُ والشقاءُ من النفـ ـسِ فمالى أنحى على غير نفسى
سننٌ سنّها القضاءُ فقد أصـ ـبح حربى من كنت أعتدُّ تُرْسى(٢)

عالم الحسن

ذرانى أُبيحُ الحسنَ قودَ عنانى فـهذى عيـونٌ للمنون ترانى
وأكبر ما أقلى من الموت أننى إذا متُّ لم أبصر وجوه حسان !
فـفى كلِّ معنى فتنةٌ ولذاذة وفى كل وجهٍ للجمالِ معانى
فمن لى بخلد أبصرُ الغيدَ كلها سواء أقاصٍ فى الدنى وأدانى
وأبصر حسناً أطفأ القبرُ نورَه وأبصر ما لم يبصر الملَوان(٣)
وترنو عيونٌ سوف يملك سحرها عنان قلوبٍ نحـوهن روانى
وتبدو وجوه فى الغيوب مهودها وأسمع ما لم تسمع الأذنان
كأنى بتربى يعرف الغيد إن سعت عليه فتدوى الأرضُ بالخفقان
فيا عاشقيها إنَّ فى القبرِ عاشقاً وأى قلوبٍ فى التراب حوانى

---

(١) الصبابة : بقية السائل فى الإناء ، والمتحسى : الشارب

(٢) الترس : صفحة من الفولاذ تحمل للوقاية . (٣) الملوان : الليل والنهار .

وقلبيَ عــودٌ أحكم الحــسنُ لحنَه فحسب الهوى من نغمةٍ ومثانى
تقـــاطر مـــاء فى المناقع من علٍ تقـاطر حــسن الكون دون جنانى
أحسّ إذا مـا أبصـر الطرف حـسنه كــأن بســـمـــعى أنّة لحنانى
كـأن وجـوهَ الكونِ نغـمـةُ منشـدٍ يرتّل آمــالى بغــيـــر لســـانِ
فيـا مَنْ ضيـاء الشمس بين عـروقه دمـــاء تضىء الوجـــهَ بالجـــريانِ
ويامَنْ رحيق الخلدِ من خمـر ثغره يداوى به من غـــائل الحـــدثان
فلو نالَ منه خـائف الموتِ جـرعـةً إذاً لأصـــابَ الخلدَ كلُّ جـــبـــان
جمعت صفات الحسنِ والخلد كلّها فلم يبق منها فى الحسان معانى!
سواء حسان بعد لم يبـد حسنها وأخرى حداها الموت بالوخدان[(١)]
فـمـا عـشقَ العـشّاقُ من عـهـدِ آدم سوى لمعـات منك غـيـر دوانى !
رمـيـت جـمـيـلاً والولـيـد بفـتـنةٍ وها إنَّ سهـمـاً من هواك رمـانى[(٢)]
دعـانى دعـاءُ العـيشِ والموتِ دونه فلبّـيتُ فيك الشـوق حين دعـانى
دعـانى دعـاءُ الليلِ رقَّ نسـيـمُـه وربَّ صـمـــوتٍ ناطق ببـــيـــان
دعانى دعـاء البحـر يشجـو خريرُه ويحكى عـبـابَ الدهرِ بالنهـضـان
دعـانى دعاءُ الذكـر والذكرُ هاتف ويـاربَّ ذكـــر هـاتـف بأمـــانى[(٣)]
دعـانى دعاءُ العـود فى البـحـر ليلةً رعى البـحـر فـيـهـا بدرها ورعـانى
دعـانى دعـاءُ الزهر والطيرُ روحـهـا تشـــوق فــؤادَ الصبٌ للطيـــران
دعـانى دعـاءُ الفجـرِ والفـجـرُ شائقٌ كـأنَّ انفـجـارَ الفـجـر خلق كـيـان

---

(١) الوخدان : الإسراع بالجرى

(٢) جميل بن معمر العذرى ، والوليد هو البحترى ، وكلاهما حلو الغزل (٣) تخفيف الأمانى .

فلا تدعوَنْ قلبي إلى الحبِّ دعوةً لكيما تثيب الحبَّ بالشنآن[1]
دعوتك بالحسنِ الذى أنت ربُّه لكى لا تخال القلب نهزة جانى
ولا تنقمن أنى نقمت خديعة من الناسِ غالت مهجتى وجنانى
ولا يكُ فوضى قلبك الغضّ أنّه فؤاد على رعْيِ الأمانة حانى
فإن كان لى فى بعض خلقى ومنطقى شفيع إلى لقياك ليس بوانى
فحسبك فاصدع حاجب الود بيننا بإمرة معبودِ الجمالِ مدانى
وإلا فنا كرنى على الحبّ يسترح فؤادٌ حبيسٌ فى حبالك عانى
سواك يهزّ القلبَ كالطئرِ طفلها وأنت تجنّ القلبَ بالخفقان

اختفاء الحق

لو عددنا متاجرَ الـ ـحقٍّ ألفيت مفلسا
تاجر الحقّ بالمعا نى فقد نال واكتسى
كان يشرى نسيئة فرأى التَّجْرَ أبخسا
فاختفى خشيةَ القضا ء فهل ناله الأسى ؟
كتم العيش منزل الـ ـحقِّ إذ كان أخرسا
هو طبٌّ بأمره فحماه ليُبْلسا[2]
علّموه خط ابن مقـ ـلة إن كان ألبسا
وسلوه يخطّ فى الـ ـطرس أسرارَه عسى
أو فصبوا له الشرا بَ ليفشى إذا احتسى

---

(١) الشنآن : البغض (٢) أبلس : تحير ويئس .

لمت قـــومى لجـــعلهم
صــفـقــة البطل منفــســا

ذلـــك الحـــقّ بــيــنــكــم
بعـد مـا كـان أشــوســا[1]

صـــاح فى القـــوم قـــائل :
إنه عـــاش مُـــفْلســـا

وهو إن عـــاش مـــفلســـا
كـــان بُطْلاً مـــقـــدّســـا !

زورة الملائكة

مـــرحـــبـــاً بالملأ الأعلى الذى
شـــــرفت دارىَ منـه والـفـنـاء

حُلمـــاً فى النوم أم حـــقـــاً أرى
يا ولاةَ الحقِّ يا أهلَ الســمــاء

يــا ولاةَ الحـقِّ يــا أهـلَ الـنُـهَـى
تبعثون البرءَ فى جرح القضاء[2]

أسـعـدونى أقـتـبس من نوركم
بُلْغَـــة النفس وريّا للظمـــاء

ملكُ الفـــضل حَـــيىٌّ لحظه
وعـمـيمُ الفـضل قـرنٌ للحـيـاء

ملك الطهـر صـبـيحٌ وجـهـه
إنّ وجـهَ الطهـر معـبـودُ الرواء[3]

ملك الحق اخـتـفى فى نوره
مـاأضلّ الطرف فى ذاك الضـيـاء

مـــلـــك الـــرفـــق دواء لحـظـه
إنَّ بعضَ اللحظِ يشـفى كـالدواء

ملك الجــود ضـحـوك بشـره
مثل ضحك التِبر فى وجه الشقاء

ملك العـــفـــو رجـــيح رأيه
إنما النقـمـة ضـربٌ من غـبـاء

يرحم الجـــانى عليــه كـــذبا
ويرى الأفـعـال فى غـيـب القـضـاء

طهـرت نفـسى فى أضـوائكم
مـثلمـا تطهـر أجـسـامٌ بماء

وشـمـمـت الخلدَ من أنفـاسكم
نفس يشـفى من الداءِ العـيـاء

أسـمـعـونى منطقـا أحـيـا به
يطرب النفسَ بألحـان العـلاء

---

(١) الأشوس : القوى (٢) النهى : العقل .

(٣) الرواء : ماء الوجه ، وحسن المنظر.

منطقاً كاللحن حلوٌ رجعه لو وعته الريحُ فى سمع الهواء
زورة فَكَّت أخيذاً عانيا بحبال اليأسِ مصفود الرجاء
وأرى فى النفسِ رسماً منهمُ مثل رسمِ النجمِ فى مَتن النُهاء[1]
وعبيراً كشذا الأزهار إن خلفت فى الأنف ذكرى كالذماء[2]
خلفونى وادعاً من بعدهم أحمد العيشَ وأستقصى البقاء

الأم المسكينة

أمُّنا الأرض كالعجوز التى تشـ ـقى وتسعى لرزق نسلٍ كثير
فإذا ما غَدَت تدلل طفلاً ضجّ طفلٌ من خلفها بالنعير
كلُّنا ودَّ لو تمدّ له الأر ضُ فراشاً من النعيمِ الوثير
وتغنِّى له بما يطرد الهـ ـمَّ كهزِّ الرؤوم مهد الصغير
وهى عمياءُ لا ملام عليها لا يصيب الصوابَ غير البصير
لا ترى أدمعَ الشقىِّ ولا تبـ ـصر وجهَ المحزونِ والمصدور
وهى صمّاء ماوعت صرخات الـ ـنحسِ فى الخلق من شقاءِ الأمور
فهى أولى برحمةٍ وبإشفا قٍ عليها من مشفقٍ وعذير

جد أم لعب

يبكى بريءُ الورى لمذنبه فقلْ لراجى القضاء ريع به
ذا صولجان القضاءِ منفلت أما ترى الليل ظلّ مضربه

(١) النهاء : الارتفاع فى النهار أو الماء (٢) النماء : بقية الروح .

هذى كـرات الدنى تدار بـه ... لعبـة من جـدّ فى تطربه
فلا تقل حقّه وحكمته ... أتبتغى الحقَّ بين ملعبه ؟
يا حيّةَ الخلدِ كم لبست وكم ... نضوت جلداً يشقى الأنام به[1]
كأنّ هذى الحياة غانيةٌ ... تعافُ بُرداً من بعد مطلبه[2]
كأنما الناس بُردها أبدا ... تعافُ ملبوسه لمعجبه
ثوباً فثوبا تظلّ تخلعه ... إذا خصىٌّ الحمامِ آب به[3]
كأنَّ مرآتها الكمال فما ... ترضى بما لم يرق بمُذْهَبه
يا ضيعةَ الخلدِ لهو غانيةٍ ... يقضى به الخلد فى تسرّبه
وهكذا المرءُ عيشُه طلبٌ ... حتى ليؤذى بنيلِ ماربه
هل لنفوسِ الورى الظماء وهل ... للعيش من ناقعٍ يبل به ؟
أم ظِمْؤها قاطعٌ بأن لها ... خير منالٍ تظمى لمشربه
أم ظمؤها غلّةُ الجريحِ أخى الـ ... ـداء هلاك لابرء منه به

اصبر

اصبر لعلّ النحسَ فى لونه ... إذا دجا ظلٌّ لجِرمِ النعيم
لعل دمعاً منك لم تحتسب ... ينبت زهراً فى اليبابِ العقيم
لعل دمعَ النحسِ درٌّ له ... يسلك فى عِقد الرخاءِ النظيم
والصبرُ طِرفٌ مجهد أعرج ... لكنّه يبلغ شأو الظليم

---

(١) أى كأن الحياة ثعبان والأحياء جلده الذى يغيره (٢) البرد : الثوب .

(٣) أى كأن الحياة فتاة من أهل الثراء تتعشق ثوباً ثم تعافه وتلقيه إلى خادمها الموت .

ومبتغٍ محو الأسى بالأسى | كمبتغٍ بالزفر طرد الغيوم
أو مبتغٍ إطفاء شمس الضحى | بنفخةٍ يرسلها فى النسيم
أو ناصب للريح أشراكه | يرجع عنها وهو عين الكظيم
وهل زفير الحزنِ هادٍ لفلـ | ـك الرُعب فى بحر الأسى والغموم
أطماعنا كالجنِّ إن رامها الـ | أهوجُ تدمى قلبَه بالكُلُوم(١)
كالكلبِ يدمى قلبَ كلاً به | آنًا ويعنو للبيبِ الحليم
إذا هدى الناسَ ضياءُ الرجا | ءِ اهتاجت الأطماع نار الهموم
كم خيبة تعقد عزم الفتى | للنهر لولا الصخر خطو السقيم(٢)

صلع الدهر

من شعر السخر

ناصِ صروف الدهر مستقبلاً | قَذَاله لو جُزَّهُ أصلع !(٣)
فجزّ من لمّته خصلةً | لعلّها من خلفه ترقع!
فالدهرُ إن أقبلت ذو لمةٍ | لكنّه من خلفها أقرع !
مطلعُه مثلُ طلوع المُنى | وحسرة ما خلّف المطلع !
ولا ترم بالذمّ صفعاً له | فإنما يصلع إذ يصفع !
قراعُه مثلُ قراعِ الظُبى | وإنما يَقرِع إذ يُقرع !
فاطل قفاه بمدادٍ لعـ | ـلّ اللونَ من روقته يخدع !

(١) الكلوم : الجروح (٢) لولا اعتراض الصخر فى النهر كان النهر بطيئا ، ولولا اعتراض العوائق كان سعى النفوس بطيئا (٣) القذال : ما بين الأذنين من مؤخر الرأس جز الشعر : قطعه .

وغضَّ عنه نظراً واعـــيـــا فـــإنما يعـــديك مـــا يطبع !
وإن جـــرى فى الـدمٍ كـــره له فخير ما يجدى لك المِبضَع ![1]
حِـجـامـةٌ لا شك فى نـفـعـهـا وقـد يضـيـر المرء مـا ينفع ![2]
ولا تعف صــحــبــتَــه ، إنه بالرغم من صلعـــتـــه أروع !
واحـن لـه الـرأسَ لـكـى لا تـرى فـــإنهـــا من خلفـــه تلمع !

قرد النهى

او الفلسفة الحديثة

لئن كـان خلقُ القـرد والناس واحـدا وصدق ما خالوه من ذلك القـول :
فـسـائل بهـذا الدهر إن جـدَّ جـدُّه أيا دهر ما للقردِ ويبكَ والعقل ![3]
مـقـيمٌ على الـدقـعـاء يـسـمـو برأيه إلى خير ما جاءت به حكمة الرسل[4]
وقل لبـغـيضٍ يحـسـبُ الحقَّ جرعـةً مقالَ رشيـد القولِ والخلق والفعل[5]
جـهـلتُ ، ولكنى بـجـهلىَ عـالم ، وإنك لا تـدرى بما فـيـك من جـهـل
ودعـهـم ولج بالرأى فى كل مـغـلق فـإنك يا قـرد النهى مـعـوز المثل
ولو كـان ذاك العـقل نقـلاً حـمـدته ليـهـنك يا قـرد النهى مطعم النقل
ولـكـنه كـــالآلِ يظـمـى غـــديره وإن نلت من جدواه نيلاً على نيل[6]

قبلة الوداع

قـــبلةٌ ثـم فـــرقـــة وتـنـائى أيعـيـد الزمـان عـهـد اللقـاء ؟
وعـناقٌ كــمـلتـــقى اللـجٍّ فى اليـ ـمّ وضـم الغـــريق وجـــه الماء

(١) المبضع : المشرط لشق الجلد (٢) الحجامة : المعالجة بالمشرط .
(٣) وبيك : كلمة تعجب كويلك (٤) الدقعاء : الأرض (٥) إشارة إلى سقراط
(٦) الآل : السراب .

وانثناء عن العناق كـمـا ينـ ـهـارُ عن بعضه مشيدُ البناءِ
قُبَلٌ كالطيور تصدح بالحـ ـبِّ فتصغى قلوبُنا للغناءِ
عابقات كأنَّها الزهَرُ الغـ ـضُّ تذيعُ العبيرَ في الأرجاء
خالدات كأنها النجم في الأفـ ـق تزين النفوسَ بالـلألاء
وهي في ظلمةِ الحياة نجومٌ هن هَدْيُ الهوى وهدى الرجاء
قُبلٌ صوتها ككلحبةِ النيـ ـرانِ في يابس الغضا والإضاء(١)
فهي روحُ العهدِ القديمِ وهل تؤ تى نفوسٌ من ميتة وعفاء ؟
يسمع العابرُ المجدُّ صداها فوق هذا الثرى وتحت السماءِ
فيخال الهواء قبل إلفا لفَّه من نسيمه في رداء
وحماه عن العيون فما يخـ ـطرُ إلا في طيٍّ هذا الهواء
كذب الظنّ إنها ذكر الما ضى ونفس كثيرة الأصداء(٢)

تبر النفوس

لو أن لي حكمةً مثل التمائم أو رُقًى سعدت بها لو ينفع الراقي(٣)
فعل الفتى هو شطرٌ من تفكّرِه أجلّ شطريه من أفكاره الباقي
داوِ النفوسَ بلذات الجسوم ودا وِ الجسمَ بالنفسِ فعل الحافظ الواقي
نار الأسى شعلةٌ تهدى النفوسَ كما يهدى المغلِّس من لمحٍ وإبراقِ(٤)
والبغض في زهرات الحب ريقته كالصِلِّ يجمع من سمٍّ وترياقِ

(١) الكلحبة : صوت النار المشتعلة في الحطب (٢) أي كأن للهواء نفسا تتذكر القبل التي أطلقها العشاق فيها فيسمع العابر صدى ذكراها فيحسب أن الهواء قبل حبيباً له .

(٣) الراقي : من يصنع الرقي والتمائم في فنون السحر (٤) المغلس : السائر في الغلس ، ظلمة آخر الليل ....

أنت النعيمُ وروحى فى جحيم هوى
ترى الفـــرادسَ من دمعٍ وآمـــاقِ

شوق إليكم يحيل النفسَ مثلكم
شكلاً بشكلٍ واخلاقاً بأخلاق

فاطرد مثال كمال فى الضمير ، له
لمع الســـرابِ لعين الركبِ والناق

بطلعةٍ منك مثل الشمس رافعة
ذاك المثـــال على لألاءِ رقـــراق

يطلُّ فى النفس مزهوًّا بصـــورته
كمنْ يطلُّ على الأحياء من طاق

الضـــوءُ تبـــرٌ ولكنْ مـــا له لمع
على خَصاصة إقتار وإملاق(١)

والتبر ضوءٌ يطيع اللمس رائقه
يذلُّ بالحـــرص من هامٍ وأعناق

فأنت تبرٌ وضوءُ الحسنِ وهجتُه
وأنت شمسٌ تعلت بعد إشراق

فلا تكن لك روحٌ فى وضاءته
مثل الدميم بقصر جدّ برّاق

الزهرُ زهرٌ وإن لم يلق ناشـــقـــه
وعاطلُ الحسن كالحالى بعشّاق

لئن مضى الزمنُ الماضى بروقته
عدلاً تقضى باحزان وأعلاق(٢)

وخلّف الذكرَ روحاً منه شائقةً
كالبدرِ يهتك من إظلام آفاق !

ليت شعرى

الا ليت شعرى فتنة من جمالكا
ويا ليت شعرى خطرة من دلالكا

ويا ليته من سحر لحظك نشوة
أداوى بها قلباً بحبِّك هالكا

ويا ليته عطفٌ كعطفك نافعٌ
ويا ليته مستأنف من وصالكا

دع اللحظَ يسقِ القلبَ منك ، ولا تَخَفْ
على منهل الألحاظِ رشف نِهَالكا(٣)

أتنقص من رشف العيونِ كأنما
تبقّى مثالا ناحلاً من خيالكا ؟

---

(١) أى كما انقضت نفائسه كذلك انقضت أحزانه (٢) الخصاصة : القليل الباقى . والإقتار : الضيق . والإملاق : الفقر (٣) المنهل : موضع الشرب . والنهال جمع ناهل : الشارب والعطشان .

وقد تصقل الوجه الصبيحَ لواحظٌ تبثُّ الهوى بثَّ الهوى من صقالكا

وما لضياءِ الحسن ظلٌّ على الثرى ولكنها روحى تُرى فى ظلالكا

إذا اسطعت فاجحدْ ما عشقناه نتخذْ على الحسن عوناً ناصراً من مقالكا

إذا كان ربُّ الحسن بالحسن كافراً فذلك سهمٌ قاتل من نبالكا

تبالَهَ بالنكران كيما يغرّنا دلالك ياويح الهوى من دلالكا !

أتنكر أنَّ الحبَّ أنت سننته وأوردتنا وِرد الهوى فى عقالكا ؟

جمالك ولاَّجٌ إلى القلب بالغٌ سريرة قلب برؤه فى جمالكا

فلا تجعل النكران كَلْما ولوعةً فحسبى كلومٌ جمَّةٌ فى نزالكا

ولا تجعلنىَّ خاطر السوءِ فى الورَى تضنّ عليه أنْ يُلَم ببالكا

ولا تتركنْ قلبى كأطلالِ معبد يُرى الناظرَ العجلان عقبى زيالكا(١)

وإن خلتَ بى الكفران فاسأل محاسنا لديك أقلبى مفلت من حبالكا ؟

جمالك أشراك القضاء فما لنا فكاكٌ فقد أحمى علينا المسالكا(٢)

أأنت والربيع

« أغنية »

أمــا كــفى الربيع يهيج إذ يضوع ؟(٣)

وقلبىَ الصديع فى نشره يذيع

أأنت والربيع ؟

جلاكَ لى السطوع يا قمراً يروع

من حسنه شفيع جدّ بىَ الولوع

أأنت والربيع ؟

---

(١) زيال : فراق وبعاد (٢) أحمى عليه المكان أو الطريق بالهمز : منعه عنه .

(٣) يضوع : تنتشر رائحته .

روح لـــــه سَـــــنــــيــــع   مــنــك لــه طــلــوع[1]
اليـــــأسُ والطمـــــوع   والحــبُّ والـــربــيـــع

أما كفى الربيع ؟

وعـــيـــشُنا شـــروع   يا لهف من يضـــيـــع
أطيـــــاره وقـــــوع   زيالهـــا ســـريـــع

أأنت والربيع ؟

ها شـــملنا جـــمـــيع   وعـــيـــشنا وديع
ومـــا لـه رجـــوع   وأنـــت لـــى قـــطـــوع

أأنت والربيع ؟

تعـــيـــا به الضلوع   من شـــجـــوٍ مـــا يذيع
قلبى لـه ســـمـــيع   إذا دعـــــا يطـــيع

أأنت والربيع ؟

نـافـــســك الـربـيـع   من غـــيـــرةٍ يضـــوع
فَـــغَـــرْ وصلْ تُليع   حـــســناً له يضـــيع

أأنت والربيع ؟

حلم بالأرواح الطليقة

تعـــوم فـــوق النور   كـــالغـــيـــد فى الغـدير
مـــرسلة الشـــعـــور   كـــفـــاتنات الحـــور
فى فلك مـــســحـــور   تمرح كـــالطـــيـــور

(١) سنع : حسن وطال فهو سنيع .

علـى ذُرَى الأثـيـــــــــــــر والخلـد كـــــــالوكــــــــور
وكـلّـة الخـــــــــــــــدور ترقـص مـــــــثـل النـور
فـى روضــــه النضـــيـــر ومـــــــائه الـطـهــــــور
كـــرقـــصـــة البـــدور في صـــفــحـــة الغـديـر
تـنـفـح بـالـعـــبـــيــر كـنـفـــحـــة الـزهـور
صـــافـــيـة الضــمـــيـر كـلـمـــعـــة البـلّـور
مــــــثـل نـدى الـزهـور فى عـــيــشـهـا المنيـر
لـم تَـعْـنَ بـالأمـــــــور وطـارق المـقــــــــــدور
وصــــــــولـة الـدهـور كـــصـــولـة النســـور
لـم تـدْر فـى الحـــــبـــور مـــا عـــيـشـــة المأســور

فى نطفة الفجور !

الوحـــدة

عـذيرىَ من باغٍ أغـذَّ وأوضـعـا وأسـمـعَ بالقـولِ المضيض وأوقـعـا
ومـاسـرَّنى أنْ نـلـتُ منه بـسـبـةٍ إذا صـار بين الناس شِلواً مبـضـعـا
لسـهـلـت لى غـدرَ الحـيـاة بغـدرة وهونّـت عندى الحـادثَ المتـوقـعـا
وعلمتنى الصبرَ الجميلَ على الأسى بصبرى على مـاقد أمضّ وأوجـعـا
وقـد صـرتُ لا القـاك إلاّ بـراحـةٍ وقـد كنت لا القـاك إلا مـروّعـا
وكم نعمة للناس فى جنب غدرهم ويا ربَّ شـرٍ عـادَ بالخـيـر ممرعـا
سـاهـجـر هذا الخلق لا هجرَ عـائد ولكنَّ يـأسًـا حين لم يبق مطمـعـا

وإني رأيتُ العقل كالضوءِ حليةً لروض فإنْ يسطع على القبر روعا
وإن كنت بين الناس ظل مفرقا فإن عفت هذا الخلق كان مجمعا
وما جامعات الضوء إلا كوحدةٍ تجمّع من ضوءِ النُّهَى ما تذعذعا[1]
فيشعل نيران الذكاء اقترانه وقد كان بين الناس نهباً مضيّعا
وكنتُ إذا ما خلتُ فيك مودةً أُحبُّك حتى أحسب الحبَّ مصرعا
وحتى تصيرَ الأذنُ عيناً بصيرة وحتى تصيرَ العينُ للقلب مسمعا
فكنت كمن يرمي إلى الطفل درةً ويأمل منه أن يشاق ويهرعا !

من الحي إلى الميت

من لحيٍّ بميْت يترجى عنده الحق ابلجا لا يفوت
خبريني نفائس اللحدِ هل قـ ـبة تلك السماءِ والتابوت :[2]
توأمان استسر في الجدث الدو د وفوق الأجداث حيٌّ يموت[3]
خبريني نفائس اللحد أم كـ ـلّ رميمٍ في لحده صمّيت
هل لحيّ من ميتٍ هاتف يو ضح أمر الحياة وهو مقيت[4]
هل عدته الحياة أم ليس يدرى تلك حُلم وما لحلمٍ ثبوت ؟
ربّ ميتٍ يسائل الحيّ عنها وهو في اللحدِ حائر مكبوت
خبريني عن الحجى أين يمضى أين تمضى عرامة وقنوت ؟[5]
أين يمضى الذكاءُ والأملُ الحلـ ـوُ وأين المعشوقُ والمنعوت ؟

---

(١) تذعذع : تبدد. (٢) يعني تابوت النعش. (٣) الجدث : القبر.
(٤) مقيت : مقتدر. (٥) عرامة : اشتداد ومرح. قنوت : طاعة وخشوع.

أين نارُ الحيـاةِ كـالنّارِ فى رهـ ... طِ مجوسٍ ما خيف فيها الخبوت(1) ؟
أين ذكرى فى النفس تمضى وتَثنى ... ربَّ عهدٍ يمضى وذكرى تفوت ؟
أمحـاها الحِمـامُ كـالريحِ تمحـو ... نؤى دار والشمل شملٌ شتيت ؟
أم وعـاها الحِمـام كـالدرُّ فى الظلـ ... ـمة يرنو لضوئه السبروت ؟(2)
أم تُرى هذه المشـاعـر أوهـا ... م فلسنا نحيـا ولسنا تموت ؟
ليس إلاّ كـمـا يقـولُ ركينٌ ... لا يفيت الصواب منه مفيت (3)
فـوقنا الأنُجم الصـوامتُ لا تد ... رى وتحت الرجـامِ صمٌ سكوت(4)

سجن الفضيلة

إنَّ الفـضـيلةَ مـاسـةٌ ... صنْهـا عن الرائى الحسـود
صـونَ الشـحـيح لِفلسـه ... حـذر المداهن والحـقـود
صـونَ الجـبـان لنفـسـه ... حـذر البـوارق والرعـود
صـون المشـمّـر مـالـه ... حـذر المؤمـر والجنـود
صـون الشـفـيق فـتـاته ... حـذر الوعـيـد أو الوعـود
واجـعـل لهـا بين الضلو ... عِ خـبـيـئـةَ الذخـر التليـد
فـضـيـاؤُها كـالحقِّ أفـ ... ـتنُ وهـوفى ظلـم الجحـود
وصـفـاؤُها كـالخمـر تصـ ... ـقلُ فـى الدنـانِ علـى الخلـود
إن الفـضـيلةَ زهـرةٌ ... تذوى بانفـاس الحسـود

---

(1) خبتت النار مثل خبت ، قال المعرى :

وفارس قد شبت لنا النار وادعت * لنيرانها أن لا يحبن خبوتها (2) السبروت : المحتاج ، والجمع سباريت

(3) إشارة إلى جبتى الشاعر (4) الرجام : القبور .

ونسيمُها كالعطر فاحـ ـذر أن يذيعَ فلا يعود !

بيت اليأس

بنيتُ بيتَ الحياةِ أبغى فى ظلّه مسكنًا فسيحا
جرَى غرابُ القضاءِ نحوى ولم يكن طائراً سنيحا[١]
فأُرعشت كفٌّ من بناه فلم يكن أسُّه صحيحا
يغبقنى طارقُ الرزايا من بعد ما علّنى صَبوحا[٢]
اعتادنى الهمُّ غيرَ غِبٍّ فلم يمت قلبىَ القريحا
كشارب السمِّ كى يصادى من علِّه سمّه صريحا
يا بيت سوءٍ على ذُراه ذو نعبةٍ هم كى يصيحا
يادهرُ لِمْ لمْ تبح جنانى إلى سبيل النُّهى جنوحا ؟
خصصتنا بالنُّهَى فهلاً جعلتها عزمةً نصوحا ؟[٣]
أودعت فى الناسِ كلَّ طبع يعنو له عيشهم ربيحا
من يشترى نُهْيةً بطبعٍ يمضى إلى نفعه نجيحا
أَلحْتَ لى بالسراب حتى عشقتُ ضوءاً له لَموحا
كمن بنى بالتراب بيتا فانهار حتى غدا ضريحا
كذاك صَرحُ الحياةِ أمسى رسم فلاة بها طريحا
ودكَّ بيتَ الحياة فوقى وقمتُ من تحته جريحا!

---

(١) السنيح الذى يأتى من جانب اليمين . (٢) يغبق : يسقى بالعشى ، والصبوح : ما يشرب صباحًا
(٣) النهى جمع نهية : العقل .

لغز الحياة

الشكُّ أول منزل العرفان ... إنَّ اليقينَ هو المكانُ الثاني
مدٌّ وجزرٌ في النفوسِ كأنما ... يتنازعان سريرةَ الوجدان
والعقلُ فوقَ الخلدِ مدَّ جناحَه ... كالطيرِ هابطة على الأوكان
والعقلُ ريحٌ صرصر تهفو به ... والدهرُ بحرٌ فائض الأزمان
تبدو إذا ماهاجَ من أعماقه ... قنص الردى وجواهر الدُّهْقان(1)
والشكُّ مشعالُ الحكيمِ وربما ... أضحى حريقاً للجهول الواني(2)
كونٌ ترقرق في منادحِ رحبِه ... سرٌّ جرَى كالماءِ في الأغصان(3)
سرُّ الحياة لحسِّها ولعقلها ... يحكي دماءَ القلب في الأبدان
روحُ الحياة كذى البراثن رابض ... دامي المخالب شاحذ الأسنان
يلقى على الأحياءِ قولة سائل ... يا هول عيش فريسة الحَدَثان
إنَّ الحياة لغادةٌ معشوقة ... تصبو إلى المتماجن الفتَّان
وتصدُّ عن متسائلٍ متشوِّف ... للحقِّ ينشده بكل مكان
يا عاشقَ الحسناءِ كيف أغرتها ... أو كنت تبغيها بقلب ثاني
روح الحياة على العقول مؤمر ... يعتزُّ بالأضغان والأشجان
مثل الوصيِّ على الوليد إذا نشا ... يلوى عليه جوامع السجان
كي يستبدَ بماله وعقاره ... ويليح زخرف خدعة المنَّان
ثار الحبيسُ على الوصيِّ وظلمه ... فرماه بالعصيان والنكران
ورأى به لَممًا وليس كما رأى ... لو كان يغني العقل بالعصيان(4)

---

(1) الدهقان : رئيس الإقليم (2) الواني : الضعيف .

(3) المنادح : الأراضي الواسعة . (4) اللمم : طرف من الجنون .

مـاذا أرجّى فى العـقـول وصـوبهـا — رشح الطبـــاع وغلة الظمـــآن ؟
ولربَّ غـــرٍّ بالغ بـطـبـــاعـــه — مـــا ليس يبلغـــه ذوو الأذهان

خواطر فى الحياة

ارسلت إلى الاستاذ الاديب الشيخ محمود محمود(1)

انت على خلّتـيك مـحـمــودُ — فـعـدْ بيُـمنِ الحـيـاة مـحـمــودُ
وإنما الـعـــــيشُ هـكـذا نُـقَـل — والدهر خـــرق سنيُّـــه القــــود
وخـيـــرُ مـــايطـلب الرخـاء به الـ — صـبـر ، ومن قـد عـداه مكدود
والدهرُمـثل الشـحـيـح فى عـدةٍ — أصــــدق آلائه المواعـــيـــد(2)
كلُّ رجـــاءٍ نرمى الطلـيب به — فـهـو قنا فى الضلوع مـقـصـود(3)
وربَّ رامٍ أصـــاب مـــهـــجَـتـــه — ســـهمُ رجـــاء إليـــه مـــردود
والسخطُ غربال جاهد قـصـد الـ — ـســيل كـــأنَّ الآتـيَّ مــســـدود
آمـــــالنا هـامــــةٌ نراع بـهـــا — للسـعـدِ وهو الطليب ملحـود(4)
وحـيـــرة النفس كـــالظلام وقـــد — يهـدى ويقلى الضـيـاءَ مـزؤود(5)
والرغب عـجب النفـوس تخدعـهـا — مــرآتهـــا والطـمــاح مـعـبــود
وقـد تزين الحـسـناءَ دمـعـتـهـا — والنفسُ تجـدى سنيـهـا السـود
كم عـدة فى الحـيـــاةِ خـائنة — كـمـا يخون الخـمـيس رعـديد(6)
كـخـازن الحبَّ للمـشـيب ومـا — يعطف من أجل ذخـره جـيــد
يبـــخـــر فى خـيـبـــة لنا أمل — بحـــر الندى والظمىّ مـجـهــود

---

(1) كان أستاذا بالمدارس الثانوية وزميلا وصديقا الشاعر (2) آلاء : نعم
(3) قنا : رمح . (4) الهامة : روح الميت . قال الشاعر : « أضربك حتى تقول الهامة اسقونى » .
(5) الزؤد : الفزع . (6) الخميس : الجيش . رعديد : جبان .

مـــا لىَ أهدى إليك من حكم ياليـتـهـا الدرّ وهو منضود
أحبوك من حكمة القريض كما يهدى لروض الربيع أملود[١]
وأنت أحجى بأن تزفّ لنا الـ ـحكمة فيها اليقين مشهود
وخير ما يبعث الفتى طُرف من عقله والمزيدُ تأويد[٢]

الشجرة والغراب

رأيتُ الحوادثَ فى وكرها ونبتَ المقادرِ فى برّها
كأنّ غراباً على فرعها يحطّ فيأكل من خيرها
إذا ذدته آب يهوى بها على دوحها وعلى نهرها
فقلت له : أبق من خيرها تذوّق إذا جعت من شرّها
وإلا فأرسل عليها الطيورَ أبابيل تقضى على أمرها[٣]
وهل أزجر الطَّير عن دوحة تذوقت ما مرّ من تمرها
فقال : أتأكل من حلوها وتترك للدهر من مرّها ؟
إذا أنت ما ذقتَ من ضرّها أتعرف ما الخير من شرّها ؟
خذ الحلوَ والمرَّ من رطبها أقاسمك السوءَ من ضرّها
ومن صبر النفس فى ضيقها رأى الرغبَ أوجع من صبرها
وفى الصبر صبرٌ يريك الدنى كأنك رفّعت عن أمرها
تظلّ مطلاً على دهرها كأنك أعفيت من مرّها
يريك مساوئَ خود الحياة كأنك ما بتّ فى خدرها

(١) أملود : لين . (٢) تئويد : ميل واعوجاج . (٣) الأبابيل : الفرق .

كــأنك مــا التــحت من ثغــرها ونـافــــستَ رهطَـك فـى برِّهـا

كــأنك مــا كنتَ من ناســهــا ولا كـنتَ تـســــعى إلى نـكرها

ولا بتَّ يومك فى درعـــهـــا ولا تُقْتَ دهرًا إلى ســــرِّها(١)

يا شاعر الكون

تحية إلى صديقنا العقاد لظهور ديوانه الثانى

ياشــاعــرَ الكونِ أطلق من ســرائره نورَ الحياة فشعرٌ منك يذكيه(٢)

لك الخليــــقــةُ والأيام مــاثلة فــمــا نأت بمقــالٍ أنت باغـيـه

كــأنهــا لك بسـتــانٌ وفــاكـهــة تجنى وخيـر الجنى ما أنت جانيه

الفـضلُ أغلب من غـرٌ يصـاقبـه والعقلُ أعدى على غمرٍ يدانيه(٣)

فلم يضـرك جـوار من أخى جـهل الفكر عـدوى وجار المرءِ يعـديه

قد يُنكر الفضلَ بين الناس صاحبُه ويمدح الفـضلَ بين الناس باغـيـه

كم أكبر الناس امرأ أنت تصغره وغــاب عنهم جـلالٌ أنت تدريه

إن يعظموك فبالنفس التى صغرت أو ينظروا فــبطرفٍ أنت ثانيــه

كالمرءِ وهو قـعيـد رهن عرصـته يخـال خيـرَ مكانٍ بيـتـه فـيـه

لو أنصف الأرض قال الأرض واسعة والكون أكـبـر من زعم أناجـيـه

يا ناطقـاً يذر الألبـابَ صـامـتـة كـأنما فـاه ذاك الخلد من فـيـه

تذكى الذكـاءَ بسـحرٍ أنت نافثه حـتى لشـدة مـا تذكـيـه تفنيه

تقـصـيـا لمعـانٍ لا انتـهـاء لهـا يفنى الذكـاءُ ولا تفنى مـعـانيـه

حـــتى يظلّ ولا ذهن يـراك بـه لولا بريقُ خـيـالٍ أنت مـوريه(٤)

---

(١) تقت : اشــتــقت . (٢) يذكى : يوقــد . (٣) يصــاقب: يقــارب . (٤) يورى : يضــرم .

كمن يرى الشيءَ لا ينحو سواه فيخـ ـفى عنه حتى كانْ قد زال باديه
إطارُ شعرك خلدٌ أنت زائنه كواحة الخرْق زين فى صحاريه
أصورة الكونِ أم ذا الكون صورته كالآل يحكى ضياءً أنت مبديه
أو كالغديرِ يرى فى الماءِ مرتسماً رسم الدراريٌ يحكيها وتحكيه

كعبة النفس

أيا كعبةَ الآمالِ ذات المحارمِ مكانك من قلبى كمحرابِ صائمِ
فلا تأخذونى بالرجاء فإنما رجائىَ إيمان النفوسِ الحوائمِ
وهل تسجد الأرواحُ إلاّ لذى النُّهى وتعبد إلاّ ساميات العظائمِ
وأكرم سؤل النفسِ ما كان وقعه على الفضل من أهل النهى والمكارمِ
ولولا احتذاء الفضلِ فى الشعر ما غدت صروحُ المعالى باديات المعالم
ومن كان ذا روحٍ برىء من الأذى كروحك لم يعرف وجوهَ المظالم
ولم يدر ما يلتذه الناسُ من أذى ولو كان ناراً فى لهاة الحلاقم(١)
يرى المرءُ أن النفسَ خيلٌ لراكضٍ وإن كان محذورَ الردى فى الشكائم(٢)
أظل رقيب السوءِ حتى يمسنى وأجعل أنفى نهبة للخواطم(٣)
وأى امرئ فى العيش يحمد خلقه إذا لم يعوَّذ من حقود الرجائم
فكم راجمٍ بالغيب نفسًا بريئةً وربَّ مقال مثل لذع الأراقم(٤)
وهل يعدل الإنسان فى بعض فعله إذا كان فيه مدرج للنمائم ؟
وما النفسُ إلا تربة ليس ريّها من العيش إلا بالنفوس السواجم(٥)

---

(١) الحلقوم : الحلق (٢) الشكائم : الطباع . (٣) خطام :ما يوضع فى أنف البعير ليقاد به
(٤) الأراقم : الحيات . (٥) السواجم : الباكية .

الصنم المكسور

عـــابدٌ يبكى على صنمِـــه ... عـاف وردَ العيشِ من سقمِه
عـــابد من حسنه صنمـــاً ... خـــالَ كلَّ الفضلِ فى صنمِه
حطمتـــه قـــولة فـــهوى ... ك٥٣٨٥٣٨يم الجصُّ منهشمه
كنتَ لى حُلمـــاً الوذ به ... خـــابَ من يبكى على حُلمه
إن رضيتُ العيشَ بعد كمُ ... فـــحيـــاةُ المرءِ فى ألمه
أو بكى شعرى فلا عجبٌ ... بعضُ شعرِ المرءِ من لَمَمِه[1]
كنتم للعين باصـــرها ... وجلاءُ العيشِ من ظُلَمِه
كم لأهل الفكر من ذِمَمٍ ... كيف لم تُبقوا على ذممه
كـــان قلبى معبداً لكمُ ... ويح قلب ريع فى صنمه !

غلة النفس

رأيت محمّقًا يجرى ... يحاذى الماءَ فى النهرِ
يكلّمـــه ويسأله ... ويحســـبُ أنه يدرى !
يقول له : أعن سببٍ ... ومن أرب إلى أرَبِ[2]
ويحسب فى الخرير له ... لسان الناطق اللُجب
تريد النفسُ رؤيتها ... مخارجها، وغايتها
سؤالٌ ليس يسأله ... مبيع النفس نشوتها

---

(١) اللمم : الخَبَل . (٢) الأرب : الغاية .

رأيت محمّقًا يفدُ وراء الريح تطّردُ
وزَمرُ الريح يطربه يحدثه فلا يجدُ
كذاك المرءُ فى الزمن يداوى غلّة الفطنِ
ولكن ليس ينفعه شرابُ الآل فى الدمنِ
وما من غلّةٍ عرضت بغير دوائها خلقتْ
فأين الرىّ تطلبه نفوسٌ طالما ظمئتْ
أجِزْ للعيش معركه لعلَّ الكونَ يدركهُ
ضميرٌ ما استبان له يروّضه ويملكهُ
ولولا ظلمةُ الحَيْنِ وجبن المرءِ للبينِ
لبغضت الحياة له وخصّ الموت بالزينِ !

الجزء السابع

ديوان

أزهار الخريف

عن الطبعة الأولى للجزء السـابع

عام ١٩١٩

الإهداء

أهدى هذا الديوان إلى إخوانى القليلين فى أنحاء القطر المصرى ، الذين أيدونى بثقتهم ورسائلهم ، وأعانونى بها فى الحياة على بعد الشقة ، ومن غير سابق لقاء ، وبالرغم من عداوة السفهاء ، وسباب الأخساء ، الذين يقول فيهم المتنبى :

وانَهَ المشـــيـــر عليك فىَّ بِضَلَّةٍ   فـــالحـــرُّ ممتـــحنٌ بـاولاد الزنـى !

والذين يقول فيهم أيضاً :

أتـنـكر مـــوتهم وأنا ســـهـــيل   طـلـعـت بمـوت أولاد الـزنـاء ؟

مقدمة

لقد ذكرنا في مقدمة الديوان الرابع أن الشاعر لا يهمه الناس إلاّ لأنُّهم باعث من بواعث الشعر ، ولم أعنِ بذلك – كما زعم بعضهم – أن القصيدة الواحدة يبعث إليها إنسان خاص ، يكون موضوعاً لها ويستثير في الشاعر جميع الخواطر التي دفعت إليها . فإن الشاعر ليس بالراسم . ولو كان راسماً لاستفاد أيضاً من أفراد كثيرين في عمل رسم فني خيالي كبير .

ولقد رأى القارئ في بعض هذه الدواوين قصائد في شرح أخلاق السوء كالحسد أو البغض ، فحسب بعض الناس أنه المعنيّ بها . ولعمري لو كان غير ذكي لقلت إنه يريد أن يشرف بهذا الادعاء ؛ ولكنه أجلُّ من هذه المرتبة . فلم يبق إلا أن يكون ذلك منه وسيلة لإظهار كيده وشافعاً له ، وكما أني لا أعني أحداً بقصائد الهجاء، كذلك لا أعني أحداً بقصائد النسيب . ولا أنكر أن الأفراد من الناس هم الذين يستثيرون خواطر الشعر ، ولكن هذا القول لا يستدعي أن تكون كل قصيدة في فرد معين . نعم ، الأمر يستدعي ذلك عند المداحين والهجائين ومن جرى مجراهم ، ممن لم يضع لنفسه سنناً عامة في فنه ، يجري في نهجها . أما القول في أفراد ، فهذا أول مذهب وأول عصر من مذاهب الشعر وعصوره . وأما المذهب الحديث فهو أن تكون الطبيعة البشرية ماثلةً أمام الشاعر ، يأخذ منها لقصيدته ما يقتضيه الفن . ومثل ذلك أن قصيدة « صرصور الشعر » في الجزء الخامس بعث إلى كتابتها صرصور من صراصير الحقيقة لا صراصير الخيال ولا صراصير البشر . وقصيدة « سم الخسة » مأخوذة من مسودات كنت قد ألفتها في كتاب اسمه « مجالي الأخلاق » ، لم ينشر ؛ وكثيراً من قصائد الغزل في هذا

الديوان خواطر كانت تخطر لى فأقيدها فى رسائل سميتها : « رسائل الحب » لم تنشر . ولذلك أرى من العبث والجهل بفروض الشعر ، قول قائل إنى أعنى أحداً بما أقول فى أى باب من أبواب الشعر .

ولى كلمة أريد ذكرها في العقيدة ، ومن يذيع بين الناس أنى على غير هدى ! وأكثر أمثال هذا إما من الجهلاء الأغبياء وإما أهل الحقد والحسد . فليس التساؤل والامتعاض من مظاهر الشر ، قلة في الإيمان . بل إن ذلك غاية الإيمان . وإن الذى يتهرب من الله إلى نفسه ، وينكر آياته فى الوجود ، يجد الله فى نفسه فى خير نزعاتها . وإن فى الله حاجة من حوائج النفس البشرية ، وكلما خفيت عنا أدلة وجود الله لعظم الشر والإثم ، كان ذلك الخفاء أدعى إلى تطلبه ونشدانه والإيمان به على الوجه الصحيح .

فالإيمان بالله والخير ضرورة وحاجة ، لعظم الشر والشقاء . إذ أن الزيغ وقلة الإيمان لا تعين على الشر والشقاء . بل تزيد الحياة اختلالا ؛ كما ذكرت فى قصيدة : « صوت الله أو نجوى المؤمن » فى الديوان الرابع . وقد أساء بعض الناس فهم قصيدة « ليتنى كنت إلهاً » في الديوان الثانى ، ولا أعرف كيف فات من صفت نفسه من سوء النية من القراء، أن نسبتى سوء الفعل إلى ذلك المتطلب مرتبة إله ، خرافة من خرافات الوثنيين ، والذى يريد أن يصلح نظام الحياة والكون ، هى غاية الإيمان لبيان أن المرء ينتقد ويتسخط الشر والإثم ، حتى إذا حكم أتى الشر الذى نقمه . ولو أنى جعلت أفعاله فى القصيدة حميدة ، لكان ذلك اعترافاً منى بأنه مصيب فى نقده وأنه رشيد عادل !

هذه قصيدة « الملك الثائر » لقد حاول غبيٌّ أن يقرأها مرة ، فقرأ منها أبياتاً ، ورأى عصيان الملك ، فأخذ منه الغضب كل مأخذ ، ولم يتم قراءة القصيدة ، فلما قرأت له ما لاقاه الملك الثائر من العقاب لعصيانه ، انشرح صدره وقال : « إنَّه جدير بهذا العقاب » !

وهذه الحادثة تشرح السبب في سوء الفهم الذي يعتور بعض الناس في قراءة القصائد التي تشرح أمثال هذه الخواطر والعواطف النفسية التي لها علاقة بالحياة والخلق . فإنه لا يحاول تفهم مغزى القصيدة الذي لا يستخلص من أبيات مفردة من القصيدة ، بل يستخلصه بأن يفهم وحدة القصيدة الفنية وما تقضيه المقابلة الفنية من اختلاف جوانب الرأي فيها واختلاف حالات النفس التي ضمنتها القصيدة .

آية الحسن

يا قلبُ قصرك لا تولَع بإنسانِ لقد كلفتَ بساجى الطرفِ وسنانِ
قد صار لى ألف عينٍ بعد رؤيتكم من بعد ما كان لى كالناسِ عينانِ
مذ صار حسنُك فى الإمكان منشأة فكلُّ معجز أمر رهن إمكانِ
ومعجز الحسن فى خلق خصصت به كمعجز الحبِّ فى شعرى وتحنانى
وصار لى ألف قلب أرتجيك بها ياليتنى زدت فى روحٍ وأشجانِ
كى لا يضيع جمالٌ منكَ أبصرُهُ ورقةُ اللفظِ فى سحرٍ وتبيان
بل ليتنى الكون طراً ليس يبصرُكم سواى فى الخلق من وحشٍ وإنسان
هل نافعى أننى فى الحبِّ منفرد فليس فى الخلقِ تحنانٌ كتحنانى
بل ذاك ضائرُ قلبٍ لست راحمه وكيف يرحمُ نضواً قلبُ غفلان
ماكان مثلك فى الأكوان منشأة إلا بخبرة أزمانٍ وأزمان
استخلصتك دهارير كما خلص الـ ـعطرُ الزكىُّ فيا عطراً لأكوان(١)
مجاهلُ الزمن الماضى وحاضرُه لصنع حسنك فى بدْع وإتقان
فجئت آيته الكبرى التى خشعت لها القلوب ولم تدحض بكفران
ليت الكواكبَ تعنو لى فأنظمها لآلئا لك تحكى عقد أشجانى
إخالها ما بدت إلا لتبصرها مرآة حسنِك لا يمنى بنكران
والطيرُ ما نطقت إلا لحسنكمُ فأنت للكون طرًا خيرُ عنوان
يا سالبَ الكونِ أشهى ما يراد له ماذا تركتَ لأحقابٍ وأزمان

---

(١) الدهارير : أول الدهر فى الزمان الماضى .

عميتُ عن كلِّ حُسنٍ غير حسنكمُ … كأنني غير صاحى الطرف يقظانِ

أعشيت طرفى بشمسٍ منك طالعة … من بعد ما كان عيشى رهنَ إدجانِ(١)

لا أكثرنَّ من الألحاظ أرسلها … إن البلاءَ لطرفِ العاشق الرانى(٢)

وهل أخافُ وقد سقَّى الفؤادَ هوى … العيشَ والموتَ فى صرفٍ وحدثان ؟

أو القضاءَ وما يخشى الورى أبداً … من قسمة الدهرِ فى ربحٍ وخسران

كلا لعمرك إنَّ الحبَّ يرفعنى … عن الحياة وعن عيشٍ لها فانى

إنّى أهابك من حسنٍ تجور به … حتى لأقلاك فى أثناء أحيان

ماذا يضيرك من حبُّ تزان به ؟ … فالحبُّ للحسن نشرٌ حول أفنان

هبه المقادر من يأبى المقادرَ لا … يرى الحياةَ بعين الناعم الهانى

فاضحكْ فضحكك أنغامٌ مرتلة … أوتارها قلب صبّ منك ولهان

لم يبق فى الكون من شدوٍ نسرُّ به … إلا جمعت بحسنٍ منك مرنان(٣)

فى كل نظرة عين ذكرةٌ لكمُ … وكل نبضة قلبٍ جدّ حرّان

حبيك لا شكَّ يعروه ولا جدل … كأنما هو من أرباب أديانِ

فى منزل الله مكلوءٌ بهيبته … سرُّ الإله وسرُّ الحبِّ سيّان

ولن يضيعَ رجاءٌ فى الحياة إذا … ما ظلَّ حبى مكلوءاً بإيمانى

أخلفت وعدَ لحاظٍ انت مرسلُها … تقول لى اعشق فإنّى جد فتان

لا تنكرنَّ مقالَ اللحظِ من خجلٍ … كم حجة لك فى تبيان وسنان

الحبُّ أقوى من الأغلال تُحكمها … عاد الحياة لقلب العاشق العانى

قد بعتُ راحة أيامى وصحتها … بنظرة بدّلت سرّى وإعلانى

احمل جناية حسن لست خالقه … كما تحمَّل مقدورا له الجانى

---

(١)إدجان : ظلام . (٢) رنا : أدام النظر . (٣) مرنان : كثير الرنين .

ولا يكفُّـر عن لحظٍ تصـول به   إلا ترفق عطف منك يرعـاني
لو فـرَّق الدهرُ حبّى فى مـجاهله   لعـاد منه بمثل الخلدِ مـلآن
ولو خبرت بحبى العيش أجمعه   إذاً لباءَ بسـرّ منه ضحيـان
ما مسَّ حُبّيك أمرأ خسَّ معدنه   إلا أضاءَ كماسٍ عند دهقان(١)
ما أضال العيش لولا ما يتاح بكم   من الهوى وطماح ليس بالوانى(٢)
خير لنفسك إن لم تدرِ ما ضمنت   من فتنة الخلقِ فى حسن وإحسان
إذاً لافرطتَ من سكرٍ ومن خبل   ورحتَ تنعم فى ظلمٍ وعدوان
وكيف ترحمنى إن لم تجد أرباً   فى أن تكونَ حبيبًا جدّ فتّان ؟
ياهل ترانى إذا ما جاء يسعدنى   طيفٌ لحسنك ألقاه ويلقانى
حتى ليوشك أن تكسى مراسمه   جسمًا فيامن رأى طيفاً بجثمان
أكاد أنشق أنفاسًا يردّدها   وأحتسى منه من كاسات ندمان
ياليت أنى أناجيه ويسمعنى   على النوى ورجاءٍ ليس بالدانى
حولى خيالات حسن أنت صورتها   طوبى فإنك جيرانى وأقرانى
لا بل شقائىَ أوهام أغرُّ بها   مثل السراب إذا أودى بظمآن
انسى فناءَ جمالٍ أنت لابسه   حتى كأنْ لم يكن حالٌ له ثانى
يروع حسنُك فى حبٍّ أعالجه   كروعة الحسن فى نيران بركان
لو قسَّم الدهرُ بين الناس قاطبة   لذائذاً لىَ فى قرب ولقيان
وفرحة لىَ إما لحتَ عن عرض   تجلو همومى وتأسو كلم أحزانى
غاض الشقاءُ وغاض النحس أجمعه   وعطّل الدهرُ من منع وحرمان
لو صوّر الخلدَ كانت منك صورته   شكلاً بشكلٍ وعنوانًا كعنوان

---

(١) الدهقان : رئيس الأقليم .   (٢) الوانى : الضعيف .

قــد قلت للحبُ في قلبٍ أضـرَّ به
برح الهـوى وطلاب المعـوز الـدانى

لئـن أضـــاعك وسنانٌ بغـــرته
كم فى الزواخـر من درٍّ ومـرجـان

لم يحلَ بالغيـد فى بادى ترائبـها
ولـم يحـــدٌ بميـــزانٍ وأثمـــان

وأنت فى لجـةٍ للقـلب منغــمـر
مــا أملك الرائح الغـادى بنشـدان

مــا انت أول حبٌ عـــزَّ مطلبـــه
ولا بأول قـلبٍ غـــيــر جـــذلان

فـأين أخبـأ طرفى عن محـاسنكم
وأين أخـبـأ قلبـاً جـدّ ظمـآن ؟

وإنَّما الحبُّ كـــالمقـــدارِ مـــدخله
رغـم الأواخىُ من عـــزمٍ وإيقـــان

لو كانت البيدُ تنجي منك ما رضيت
نفـسى قـيـودك فى أهلى وأوطانى

بل ليت أنّى حُلمٌ فى الكرى بهجٌ
يـاتى إليك بـأزهارٍ وريحـــــان

أقـــول للناصح المغـرَى بتـعـزية
انظر أفى الكون ما يُغرى بسلوان ؟

والكونُ كـالميت لا مـاءٌ ولا شـجـر
ولا جــمـــالٌ تراءى حـــولَ أفنان

إن لـم يبـلَّ ظمىُ الحبُ غلَّتـــه
ولا تصـافى بصـفـو الحبُ روحـان

ولا أتيح لقلبٍ قلبُ ذى مـقــةٍ
ولا تـدانى بـنجـــوى الحـبُ صنوان

كـأنما الكون لـم يخلق لـه سـبب
أو أنه حُلم بـادى الهـمٍّ أسـوان !

فـاهبط مع اليـأس فى قلبى فـإنَّ له
فى القلبِ منزلَ صدقٍ غير بهتان

ومـا ألمت ليـأسٍ مـثلمـا حـزنت
نفـسى على أملٍ كـالآل حليـان

استنفد الكذب آيات الكمال فما
أرضـى لحـبىَ منهــا أى تبـيـــان

فليت لى لغـةً مـا شـابا كـذب
ترضى الملائكَ لم تخلق لإنسـان

ومـا لحـبىَ فى الأكـوان من مـثل
ولا رمـــوزٍ ولا شــبـــهٍ ولا دانى

فكيف يشـفع لى لفظٌ يغــرّ به
مِن الخليقـةِ شيطان بشيطان ؟

ولستُ أحـاكِ إن لـم تُلفَ ذا عـوزٍ   إن الودادَ لقلـب الناقص الفـــانى
كأنَّ حسنَك من إبداع ما ضمنت   منك الخوالجُ من صدقٍ وإحسانِ
يا من به قـد نسيتُ الشرَّ أجمعه   لا يجـتلى الحسن والأرزاء فى آنِ
مـا خلتُ أنَّ مكاناً ضمَّ حسنكمُ   يحـوى من الشرِّ ما يودى بشهلان
دنيـاك دنيـا رخاءٍ لاشـقـاء بهـا   كـأنما الشـرُّ لم ينزل بإنســـان
أبعـد مـعـرفـتى الأيام يا عـجـبـا   وأوجه الدهر من طلقٍ وطخيان :(١)
أبغى الحيـاة وأبغى منكمُ مـقـةً   إنَّ الحيـاة حيـاة الناعم الهـانى!
نزلتَ يا قلب عن غالى نفائسها   لما عـرفتَ الليـالى أىَّ عـرفـان
حتى فرحتُ بصبرٍ منك عن خُدَعٍ   من الحيـاةِ وعن إلفٍ وخلصـان
وقلت لى الآن لا شجوٌ ولا جزعٌ   على الحيـاة ولا إعيـاءُ وجـدان
فعـدتَ لا صبـر تبديه ولا جلداً   حـتى كـأنك لم تسكن لسُلوان
يا دوحـةَ الحبِّ لا شمس ولا مطر   من اللقـاء ولا وافٍ ولاحـانى(٢)
فكيف أينعتِ فى قلبٍ أضـرَّ به   جدبُ الزمانِ وإلف غير معوان ؟
أتى الربيعُ فهبْ لى منك مكرمةً   يومـاً نقـضّيـه بين السـرو والبـان
ونسمع الطيرَ تبدى سرَّ أنفسنا   حيث الهوى ورواء الزهر سيّان
ذخـــر لمقـــبل أيامى إذا بردت   نارُ الحيـاةِ ونارُ الحبِّ فى آن
لا تنس حبّى إذا ما الموتُ عاجلنى   لعلَّ ذكـرك دون القـبـرِ سلوانى

---

(١) طخيان : مظلم .

(٢) الوافى من الوفاء . والحانى : المتعطف .

وسائل الليلَ عن روحي فإنَّ لها		في الليل خطرةَ حيّ الهمُّ أسوان[1]
لا بل دع الذكرَ لي إني به قَمِن		وانعم بحسنك في غدرٍ ونسيان[2]
ولا تُعنّي بذكرى منك خاطرةً		حسبي حبوري بقلبٍ منك جذلان
عذّب فؤاديَ بالآلام قاطبةً		الحبُّ ذخر مني يشرى بأثمان
وارحمْ أواقسُ ولاتحرجك معتبةٌ		ماذا تضيرك آلامي وأشجاني ؟
وليس في الحبِّ خسران ولا فشل		وإن منيتَ ببعدٍ أو بهجران
ألم أعشْ غير عيش الناس قاطبة		وأقطع الدهرَ في فرحات نشوان ؟

الشلال[3]

فلعلَّ الحياة كالماء تجري		بين هذا الثرى وبين السماء

(من القصيدة)

يا أخا الصَّمت في الجلالة والروّ		ع وصنو النكباءِ والهوجاءِ[4]
إنَّ في القلب لوعةً ما تقضّى		أنت حاكيتَ همَّتي ورجائي
احسبُ الخلد مثل مائك ينها		رُ ونفسي في مائه كالهباءِ
أنت فجَّرت في ضلوعَي ينبو		عاً من الشجو مُسرعاً في دمائي
ليت أنَّ الحياة مثلك تعدو		لا تراخي مثل الجياد البِطاءِ

---

(١) أسوان : حزين		(٢) قمن : خليق وجدير .

(٣) أعيد نشرها بمجلة « الرسالة » – عدد ١٦٣ – في ١٧ أغسطس ١٩٣٦ .

(٤) أي أن صوت الشلال في روعته كالصمت التام في روعته ، فإن لكل منهما روعه ، وهو شبيه بالرياح الأعاصير في صوته .

إن للعــيش كــدرةٌ تذرُ النفـ ـس ركــوداً كــآسنٍ في نِهــاءِ[1]

فـــأعنّى على الأواسن من نفـ ـسى بفَـيضٍ ينهـارُ مـثل البناءِ

يا ابنَ مـاء السمـاءِ هل تذكـر الرعـ ـدَ تحـاكى إرزامـه في الغناء؟[2]

وهل البــرق لا يزال خــفـيًّــا في ثنايا صـدرٍ كـصدر الغـمـاء

أنت ريح الأمــواه أم أنت روح الـ ـمـاءِ يمضى في مـائه كـالهـواء؟

قد هددتَ الصخور تنشد خِصباً أم لذخرٍ تبغيه في الدّقعاء[3]

إنما أنـت ناقمٌ ينصف السُّــهـ ـلَ بفـضل الشـواهق الشّـمـاء[4]

تجـعل السـهلَ والحـزونَ سـواءً ليس نجـــد ووهدة بســـواء[5]

مَـرِحٌ أنت أم كـمـا يُسـرع الفـا رسُ في نجـدةٍ إلى الهــيـجــاء

لك بالشُّم مــولدٌ وعلى صـــد رِ أبيك المحــيط وقعُ الفناء[6]

غـيــر أنَّ الميلاد في قـمم الشُّـ ـم جِـمــامٌ لهــاطلِ الأنواءِ

فلعلّ الحــيــاةَ كــالماءِ تجـرى بين هذا الثـرى وبين السـمــاء

لكَ في النفس نشوةٌ مثلمـا استشـ ـرف راءٍ من شـاهقـات العـلاءِ[7]

ويفـيض النفـوسَ مـرأى جـلال لك حـتى تطيـر كــالأنداء[8]

---

(١) النهاء : الغدران . وأسن الماء : أجن وتغير . (٢) الشلال ابن ماء السماء : أي المطر . وإرزام الرعد : صوته . (٣) الدقعاء : الأرض . (٤) فضل الشواهق : أي فضلات الجبال من صخور وغيرها . (٥) الحزون : الأراضي غير المستوية . والنجد : الأرض المرتفعة . (وفي الأصل تجعل الوعر) . (٦) المحيط أبو النهر لأن النهر من سحاب. والسحاب من المحيط .

(٧) استشرف : أطل من مكان عال، والمرء يشعر بذهول أو دوار وروعة وخوف إذا أطل من مكان عال كما يشعر وهو يرى تدفق الماء من علٍ في الشلال .

(٨) مناظر الجلال الهائلة تتضاءل أمامها النفس حتى كأنما تنعدم ، أو كما يتبخر الندى .

فكأنى فى مائك الغمر أمضى وكـأنى فى كل دانٍ ونائى
أنت أيقظتنى وقد كنت وَسنا ن فخلتُ الأكوان طرًّا ردائى[1]
هاتفٌ فى خرير مائك قد أذ كرنى عزمتى وماضى مضائى
أنت أصفى من الوداد وأنقى من حبور النعيم والسَّراءِ
أنت أرجوحة لنفسى وصوت منك كالظئر هاتف بالغناء[2]
أنت مثل الشباب عزماً وبطشًا ووَضاءُ أحبب به من وضاء
لك وقع الأقدار حتى لقد خِلـ ـتُك رمْزاً رُمِزْتَه للقضاء
أنت كالدهرِ تأخذ التّرب والعسجد حتى تعيده بالحباء[3]
لم تَهَبْ كرَّة الدهور ولم تجـ ـزع لذكر الشقاءِ والأرزاء
ياسليلَ السماء حدّثْ طويلا بحْديث العُلى وصدق السناء
تبعث الصخر من صخورك يزهو فوق صدر العشيقة الحسناء[4]
سوف تغدو كالشيخ فى أخريات الـ ـنَّهر تسعى بهمةٍ شمطاء
فاغتبط بالمضاءِ وامرح طويلا كل شيءٍ لطيَّةٍ وفناء[5]

(١) الإنسان فى غفلة من الأثرة والأنانية فتوقظه مناظر الروعة والجلال من غفلة أنانيته ، إذ يتضاءل أمام تلك المناظر فيحس وحدة الوجود .

(٢) كأنما حركة الماء فى الشلال تهز النفس كما يهتز الطفل فى الأرجوحة . وصوت الشلال يجلب للنفس راحة كراحة الطفل فى غناء المرضع (فى الأصل وشدو منك كالظئر هاتف بالدعاء) .

(٣) الحباء : العطية .

(٤) إشارة إلى بطءالنهر عند المصب (فى الأصل - فوق نحر العشيقة) .

(٥) المضاء : المراد به نفوذ العزيمة وقوتها . لطية : لغاية يستقر عندها .

يا وضيء البسمات

يا وضيءَ البسمات ... وحييٌّ الوجناتِ
ليت لي منك ائتلافاً ... كائتلاف النغماتِ
أنت في الدهر ابتسام ... كابتسام الزهراتِ
كل حسن أمل فيـ ... ـك وبشرى للعفاة[1]
فإذا الشمس تعلّت ... قلتُ حبّي سيؤاتي
صفْ لنا حسنَ الفراد يـ ... ـس بحسن القسمات
عذروا صدّك من سـ ... ـموك بدراً في السَّمات
أنت عنوانٌ لما أنـ ... ـشده في الخطوات
كلُّ كونٍ كان أو لم ... يك من ماضٍ وآتي
فيك لي منه أمانـ ... ـيُّ النفوس الساميات
أنتشي منك بلفظٍ ... مثل طيبِ النفحات
هو موصولٌ بقلبي ... في وجيب الخفقات
خلتُ أنْ قد كنت أحبب ... تك من قبل الحياة
هات لي خلداً على خلـ ... ـد لأرضى صبواتي
إنّما الخلد كقيد ... للأماني الرائعات
أنت كالضوءِ وهل يرّ ... ضي الأكفُّ الناشدات؟
إن تخل دمعي نجوماً ... في ليالي الجفوات :
فاسرِ في ضوءِ نجومي ... واتئني في الفلتات

(١) العفاة : جمع العافي ، كل طالب فضل .

أو تَـخـلْ دمـــــــعـىَ دراً		فــــادخــــر من عـــبـــراتى
أوجــــيـب الـقـلـب مــــا قُــ		ــدّر لى فى النبـــضـــات
لـســــوى عـــــدّ الرزايا		والهـــمــــوم الطارقـــات
ســـألـوا : فى أى حـــالٍ		هو أحلى فى الصـــفـــات ؟
قـلـتُ: أحـلى مـــــا تـراه		فىَ حــــديـث اللـحظات
فـــإذا أرخى لحــــاظاً		كــــان أحلى فى السُـــبـــات
وهـو أحـلى مـنـه إن فـــا		هَ وأحـلى فى الصـــمـــات
وهـو أحـلى مــــا تـراه		عــــاطـيـــاً بالـلـفـــتـــات
وإذا صـــــدَّ فـــمـــا أحـ		ــلاه جـــهـــم الـنـظـرات
فـــإذا لان فـــمــــا أحـ		ــلاه طلق الـلـمـــحـــات
كـلُّ حـــالٍ منه أشـــهى		حـــالة فى الحـــسنات
إنّ حــــــبـىّ درةٌ تجـــ		ــلو دياجى الجَـــفَـــوات[1]
إن حـــبـىّ مـــثـل حـبُّ الله		غـــفــــراناً لـعــــاتى[2]
كـــيف تـلـحـــانى على حـ		ــب بِـه تـبـلـو أنَـاتـى؟[3]
إنمـا الحـبّ ضــــيـــــاء		من صـبـيح الصـفـحـــات
تـبـــعـث الحـبُّ إلـيـنـا		كـــابتـــعـــاث اللحظات
يـعـــذر الحـــسن وإن قـ		ـّطب نضـــوَ اللهـــفـــات
راحــــمـــاً يقـــســـو اتقـــاءً		لـهـناةِ الرحـــــمـــات
إن يـكـنْ حــــبـىَ خـلـداً		أعـطـنـى خـلـدَ المــمـــات
وأرحــنــى مــن خـلــود الـــ		ــشـــجـــو مـــوفـــور الأذاة !

(١) الجفوة : الغلظ فى المعاشرة (٢) العاتى : المستكبر : المتجاوز الحد .

(٣) لحا : لام وعاب . والأناة : الحلم والصبر.

إنما الخلد تجاءُ الـ ـنفس من وخزِ الشكاة
لا تُرد لى سلوةً تشـ ـعل نارَ الحرقات
إنما السلوان هاما ت الشجون الهالكات[1]
آه لو يرشقُ قلباً لك سهمُ اللحظات
لحظات لك تمضى بالسهامِ المصميات[2]
آه لو تألم أخذ الـ ـدهر من زاهى الشيات[3]
وترى حسنك نهباً للخطوب المقبلات
وترى آثارَ أقداً مِ الصروف الدالفات[4]
وترى الأرضَ كأنّا فى العصور الخاليات
وترى الأرض كأنّا فى العصور القادمات
لا ترى للحسن إلا الـ ـحبّ فرض الفرصات
فتؤاتينى بعطف منك يجلو حسراتى
لا يرى القسوة دينا غير قنٍّ الغفلات[5]
والذى يبصرُ كرَّ الـ ـدهرِ جمّ العدوات :
لخليق أن رآه باختلاج الرحمات
ولئن خاتَلَنا العيـ ـشُ بآل الطيبات[6]
ولئن خاتلنا الحـ ـبٌ بغضٍ القسمات
فلعلَّ الموتَ مكذو بٌ كتلك الخدعات
ولعلّ الحبَّ يُجْزَى صالحاً بعد الحياة !

(١) الهامة هنا : روح القتيل ؛ أى أن السلوان على ذكره روح الحب القتيل .

(٢) المصميات : السريعات الصائبات (٣) الشيات : الألوان .

(٤) دلف : مشى وتقدم (٥) القن : العبد . (٦) خاتل : خدع .

وسائل الحب

إنَّ الذين وددتهم وورضيتهم ... نالوا رضاك بآية لك تذخرُ
نالوا رضاك بمنحة أم خدعة ... أم بالرُّقَى ترقى النفوسَ وتسحرُ(١)
أتقربوا بالبغض إنَّ محبة ... أقصتَ فؤاداً وافياً لا يغدرُ
مرْنى لأفعلَ ما تشاء فإنَّما ... لك من هوى نفسى المكان الأكبر
إنّ شئت أنْ أردَ السماءَ وردتُها ... ليلاً ليقنص دبّها والأنسر
أو شئت أنْ أهذى بكلٍّ فكاهةٍ ... كالآل لا حقّ يصوب ويغمر
لقرأتُ واستظهرتُ كلَّ فكاهةً ... وذكرت من عبث النُهى مايذكر
وسمعتُ ما أعيا السميع سماعه ... من صامتٍ ، ورأيتُ ما لا يبصر
أو شئتَ مدحى للئام مدحتُهم ... وحسبتُ أنَّ الفضلَ غرٌّ يزمر
أو شئتَ أنْ أردَ الرياءَ فإننى ... لكما تشاء إلى رضاك مسيَّر
أو شئتَ أنْ أهوى الكلابَ عشقتها ... ولقلتُ كلب ترتضيه غضنفر!(٢)
هيهات لو أنَّ المحالَ فعلته ... لوددتَ ما بعد المحال وتعذَر
فعلان يربح واحد ولربما ... يمضى أخوه على السواء فيخسر
ذاك القضاء فإنْ أصيب بجنةٍ ... كم ماقَ سلطانٌ وجنّ مؤمّر(٣)
والعطفُ مقمورٌ بغير كفايةٍ ... ونبالة ، والحبُّ ذاك الميْسر!(٤)

---

(١) الرقى : جمع رقية (٢) الغضفر : الأسد (٣) ماق : حمق . (٣) الميسر : القمار

حجة النائى

إيه ياقلبُ هل أمنتَ من النا | س حبيباً يُرعَى وحباً جديدا
قلْ لمنْ قد هويته اىّ حاليـ | ـك يعيد المشوقَ نضواً عميدا
ولو أنَّ الحياةَ خلدٌ مديد | لأسغنا فى ا لحب نأياً مديدا
غير أنَّ الحياةَ كالحلم تمضى | إنما العمر طائرٌ لن يعودا
أنت لو كنت فى الشغاف من القلـ | ـب رجونا من اقترابٍ مزيدا
رحمة بى بعدتَ أم لحياءٍ | خفت لى فى الجمال منك وعيدا
ياشفيقاً علىَّ بالبُعد كم إشـ | ـفاق ناءٍ قد جرَّ خطباً شديدا
أم لإغراءِ ظامىء رعت بالنأ | ى وخلفتَ بعدك التصريدا(١)
خطوات النفوس فيك عباديد | فسيّان دانياً وبعيدا(٢)
ولأنت الحياة فى القرب تظمى | وظماءُ المودى أحرُّ وقودا
إن تكنْ مشفقاً فلا تبد طرفاً | منك يسجو لحظاً وثغراً برودا
وابتغد إنْ لقيتنى ، إنَّ مرًا | منك يوحى فى القلب نبضاً وئيدا
أو تكنْ مغرياً بنأيك فارحم | ليت لى فى هواك قلباً جليداً
ليت قلبى تحنو عليه ضلوعٌ | منك حتى تخشى عليه الزنودا(٣)
خلتَ ناراً أججتها زينة فيـ | ـه كضوءِ المصباحِ حَلياً وعيدا
ياشبيهَ الثمارِ والزهرِ والفَجْـ | ـر تملَّ العيش الرخىَّ الرغيدا
إنَّ مَنْ جمَّل الحياةَ محيًّا | هُ خليق بأنْ يكون سعيدا

---

(١) االتصريد : العطش (٢) عباديد : أى شتى متفرقة (٣) الزنود : تأجج النار .

أنت أشـــهى من الخلود وهل تلـ ـفى لنفس فـوق الخلود مـزيدا ؟
فادٌ كرِ في الرخاءِ نضواً طليحا بات يدنيك ذكـرة وســهـودا
إنّ يمت تبكه اللواعج والهـ ـمّ فقد كان للشقاءِ عقيدا
وسل الليلَ والكواكب هل كـا ن دعائى إلاّ القريب البعيدا ؟

فطنة الحسن

يا ذكيَّ الفـؤادِ هذا فـؤادى انتجع فيه من هوى مكتومِ
وأشدُّ الهوى هوى كتم الصد ر فأضحى كالمرجلِ المختومِ
ماترى فرحتى إذا ما تراءى منك طرف يوحى لقلبى الكليم
ما ترى الدمعَ حائراً فى جفونى حيرتى فى سوادِ حظىّ البهيم
ما ترى لحظةً يرق لها الصخـ ـرُ كسهمٍ براه وقعُ الهموم
لحظاتٌ فى إثرها لحظاتٌ هائماتٌ يحكين لحظ السقيم
خان عهدى الخلانُ حتى لقد أصـ ـبحتُ لا أرتجى إخاءَ كريم
كم رجوتُ الإخاءَ دهراً وكم أحـ ـببتُ، آهٍ لقلبىَ المكلوم
فإذا الحبُّ والإخاءُ سواء خدعات يقتلن لبَّ الحكيم
ومن العدلِ أنْ يحب صبيح حسنه كى يكون جدّ رحيم
ولو أنّ القلوبَ تالمُ للأحـ ـياءِ طراً من أجنب وحميم(١)
لرأين الحياةَ جنات عدن رافلاتٍ فى نضرةٍ ونعيم
يا ذكىُّ الفؤاد لبُّك طبٌّ بسوى لوعتى وحبى القديم
فلعلّى أبهمت منه كلغزا الـ ـعيشِ واستعجمتْ حصاةُ الفهيم

---

(١) أى لسعيهم فى إصلاح ما فسد من أمورها ولمساعدة بعضهم بعضاً .

أم شـــقـــائى لـذاذةٌ لك فـــانعم ببكائى ولوعـــــتى يا ظلومى
وسل الشــعـــر والأصـــالة عن صـ ـب مـصـيـخٍ لحـسنك المنغـومِ
مَتٌ من شـعـــره إليك بأسـبـــا ب ومن قـلبــــه بدامى الكلومِ
لك لحظٌ يأســـو ويكْلَمُ يا لهـ ـفى لآس يزيد سـقم السـقـيم !
كم طوى الدهرُ من غـــرامٍ ومن حـسن ومن مــغـــرم وحِبٌ نديم
ومن الخطب أن يزولَ جـــمـــالٌ كــــــان ريا وغـلـةً لـلحـلوم
مـا عـذابى بخـالد فـيك حـتى أشــتكى منه قــاتلى وغـريمى
فلئن مـتُّ كـــان منك فكاكى من حـــيــاة كـــحـــرقـــة المظلوم
نعـمـةٌ موتِىَ الذى ليس يؤسـيك ومـا أنت كـالحـمـام حـمـيـمى
ولئن عــشـتُ فـــالحـيـــاةُ هـمـــوم لسـتُ فـيـهـا بزائدٍ من هـمـومى
مـا شـقـائى بخـالدٍ ياحـبـيـبى لا ولا حُـسن وجـهك الموسـوم
ولئن غض من جـــمـــالك دهرٌ لم يـبخ حـــرّ غـلةِ المحـــروم
يا ذكى الفـؤادِ تفـديك نفـسى من طروق الردَى ووقع الغـمـوم !

الأماني والذكر

الذكـرُ يشـجـوه والآمـال تـخـدعـه قلب تلوّى إلى مغناك أخدعه؟[1]
يسـائل الذكـر عن عـهـدٍ لناخـضل لعلّ مـقـبـل هذا الدهر يرجـعـه
فـقـــال ســـائل به الآمـــال إنّ لهـــا فى مقبل العيش حكماً لست أدفعه

---

(١) الأخدع عرق فى الرقبة . وفى البيت تشبيه حنين القلب بتلفت الإنسان إلى دار حبيبه .

ومـا انتـفـاعـى بآمـالى التى حـرمت ... على فـؤادىَ إذ لا عطف ينفـعـه
جـعـلتُ بعـدك آمـالى مـحـرمـةً ... إنّى لأبغض ورداً لست تُنبـعـه
نأيتَ من بعـد عـهـدٍ جفَّ يانعُـهُ ... كالعود فى الصمت لاشدوٌ فنسمعه
غـيـر ادكـار ترانيم إذا تُليَت ... من ذكر عطفك اعشى الطرف مدمعه
والحسن شدوٌ لمن أصغت جوانحه ... له صـدى تتـهـاوى منه أضلعـه
قد أصبح الذكرُ قبر الحبٌ وانتثرت ... عليـه منّى المُنَى كـالزهر تمرعـه
وعـزةُ الغـابرِ المذكـور مـؤذنة ... بذلّة الحـالِ إذ لا ريٌّ ينقـعـه
فـهل تغضّن وجهُ المرءِ مبتـسمـاً ... كى يجد الدمع مجرى منه يتبعه
فـيـا سمـائىَ إنْ غـامت فـإن لهـا ... فى نهـر عـيشىَ غـيم انت تطبعـه
قد نـمَّق القلبُ حسناً انت طلعته ... اغـرتَ حتى بصدٌ منك تصدعـه
القلب مـرآةُ مـا ابديت من مُلَحٍ ... فاصقله بالقرب علّ القلب يبدعه
تذوى الزهورُ فـلا عـهـد يعود بهـا ... لكنٌ للوصل روحـاً منه يرجـعـه
أصبحتَ فى البعد مثل الروح محتجباً ... وأمـره الأمـر مـغـداه ومـرجـعـه
أو كـالقـضـاء إذا مـا صـالَ صـائلهُ ... فى خـفـيـةٍ ونفـوسُ الخلق مـرتعـه
والحبُّ كـالموت يأتى فى فـجـاءته ... من غـيـر إذنٍ ولا سـاعٍ يشـفّـعـه
إنى أحبّك حُبًّا لست افـهـمـه ... أيُفـهم الكون منشـاه ومنزعـه
يا راصـدَ النجمِ مـزهواً بخـبـرته ... ارصـدْ هلالا بـافق السـعـد مطلعه
وارصـدْ لحاظاً لمن أهواه مـاضـيـةً ... بقـسـمـة السـعـد تعطيه وتمنعه
الحبُّ روحٌ من الفـردوس هبّتـه ... ليوقظ النفَس شـدو لا يـوقّـعـه
والحبّ كـالخلدِ لا يلقـاه ذو عـدمٍ ... إلا فـواقـاً لعـيش حـان مـصـرعـه

خـمـرُ الخلود فنادمنى على مـهَلٍ سيحبس الدّنُّ عنا من يشعشعه

لو قسّمت فرحتى إمّا أراك على هذا الأنام لغاض النحسُ أجمعه

فـمـا حنين هزار للربيع بأو فى من حنين فؤاد أنت مربعه

وأنت شمسى وقطرى والنسيم معاً بل الحياة وما أبغى وأُمنعه!

الحب والشفاعة

لما رفعتك عن ذا الخلق قاطبة كأنما أنت لم تخلق من البشرِ :

نأيت عنى كما ينأى المؤمر إذ يبغي المهابةَ فى ستر وفى صغَر

أخفتَ فى القرب ما يردى بتكرمةٍ تنفى العيان وليس الخُبر كالخَبرِ

لو كنتَ إبليس لم تَعْد الكمال ولم نسمعْ بذمّك فى الأمثال والسورِ

إنْ أستغثْ بخصال الحمدِ أعوزنى منك الوفاءُ وفاءٌ غير مقتسر

لعلَّ بعض خصال السوءِ يسعدنى بشافعٍ غير مردود ومنزجر

بما بخلقك من عيبٍ ومنقصةٍ من كل مكتتم منه ومشتهر

وما يعيش به الأحياءُ قاطبة من النفاق ومن كذبٍ ومن نكر

أدعوك دعوة ذى خُبْر وذى مقةٍ ما إنْ رأى لك ذنباً غير مغتفر

فإن غضبت فلا عتبٌ ولا عذَل أدعوك بالفضلِ والإحسان والغُرر

لا بالحميدِ ولا المرذول أنشدكم فهل شفيعىَ خلق الغادر المكر

أم هل شفيعىَ أن أسلوك منصرفاً عن حرقةِ الحبِّ كى تقفو على أثرى

إن كان ذاك فما قلبى بمناطر إلى اللقاء ولا روحى بمدكر

فاغضب لحسنك وارم القلبَ عن كَثَبٍ واقرب وأشعل فواداً غير منصهر

فـمـا يزينك قلبٌ غـيـر مـدّكـر من العـبـادِ وخـدٌّ غـيـر منعـفـرِ
فاحلف بحسنك أنْ تدنو لترجعنى إلى اللواعجِ والأسـقـام والذكـرِ
ولا تقل رحـمـة تنأى فلى كـبـد لم تخش منك صيال اللفظ والبصر
أغـر الجمـالَ بنا كـيـمـا نكفّر عن وزر الجحودِ جحودِ الحسنِ والغرر
فإن فشلتَ فبئست تلك منقصة تنفى الجمال وبئس العجز فى الغُرَرَ
وإنْ ظفـرتَ فـقـد دانيتَ منعطفاً فـاثأر لحسنك واعـرفْ لذةَ الظفر !
لا تحسب الحبَّ أعمى ضلَّ رائده الحبُّ أبصر بالأخـلاقِ والسّيـرا!

نجوى المحتجب

حجبوكَ من حذرٍ عليك صيانة يا ليتهم فى مهجتى حجبوكا
ولئن حجبت ففى الرحيقِ مشابه فى الدنِّ أو مـا يحتـويه فـوكـا
أو فى اللآلىء وهى أنفس مـا يرى عيفت لها الأصداف واختصوكا
لولا ظنون السوءِ وهى كثيرة يغـرى بهـا من خـشـيـةٍ أهلوكـا
لحججتُ معتمراً ببيتك طائفاً أبغى إليك من الطواف سلوكـا
ياويح أهل الدار لو علموا الذى تحوى إذا سجدت لديك ذووكا
هم يحسبونك واحداً فى أمةٍ ولأنت دنيا الحسن لو عرفوكا
لو يعلمون مخاوفى ومحاذرى حرسوك فى عينىَّ إذ حرسوكا
ولقد وقفت على ديارك بعدما هَجَعَ الخليقةُ سوقة وملوكـا
نجوى وثقت بدينها وبربّها ربّ المحاسن خاب من يدعوكا
إذا أمَّ قلبى شطر قلبك حاسباً نجوى المحبةِ منهجاً مسلوكا

كيما تجيء على الوفاق وما نأى ... ناء إذا سلك الدعاءُ سلوكا
يا قلبُ مالك لا تبوء بسلوةٍ ... علَّ الحبيبَ بهجره يبلوكا
يا ساحراً خابت وسائلُ سحرِه ... أو ما عرفت على اليقين شكوكا
لا تبلغ النجوى أغضّ مرفَّها ... غفلان يجهل دمعك المسفوكا
ياليت أن الوحيَ كنت ملكته ... حتى تناجي غافلاً يجفوكا
إني اتهمتُ محبتي لما نأت ... بك عنِّي النجوى فلا تدعوكا
يا مَن به افتتن القضاءُ كأنما ... صرف القضاء بحسنه يرشوكا
ويلي من الآمال فيك فإنها ... زفتّ إليَّ حديثها المأفوكا
يا أين منك وداداة للقلب لا ... تألوه مصطفياً ولا يألوكا

الحب والحذر

كيف لا أغرى بك الحذرا ... إنْ تكن تغرى بيَ الحذرا
تبتُ من ودٍ ومن مقةٍ ... فأقل من تاب واعتذرا
صرت أخشى منك طارقةً ... مشمتاً بي كل من أمرا
رُبّ مأمون بغرّته ... حيّر الألباب إذ غدرا
كم وسعت النفس معرفة ... أتقصى الفعل والسِّيرا
فأتت ما لست أعرفه ... وكأني لم أصبْ خبرا
ما عجيب أنْ صبرت فكم ... جازع من كارثٍ صبرا
إن قلباً لم يَدِن بهوى ... قط شرٌّمن جوٍ خسرا
إنَّ مخدوعاً على ثقة ... زين خبٌ لم يثق حذرا

إن من صــــحت طويّتـــــه ‏ لم يكتّم حـــبّـــه ذعـــرا[١]
عـــجب أن لستَ تأمنني ‏ قـد أمنتَ البـدوَ والحـضـرا
آمنـاً مـن لـيس يـأمـنـه ‏ سـابرٌ يدري الذي سـبـرا[٢]
أنت ممن عــاشَ في كلم الـ ‏ ـناس يقـفـو فـيـهـمُ أثرا
إنَّ حبَّ السـوءِ مكتـتـمـا ‏ بزَّ حبَّ الطهـر مـشـتـهـرا
خلت أنّ الناسَ لو كـشـروا ‏ شـاحـذين النابَ والظُّفُـرا
كنتَ لي خـدنـاً ألـوذ به ‏ تـدَّري الآلام والـكـدرا[٣]
حببوا لي العيشَ إذ قـذعـوا ‏ كي أنال الفضلَ مـقـتـسـرا[٤]
كنت أرثي حـسـنَ رأيك لو ‏ لم أعـالج قـبلك الغـيـرا
كم صـديقٍ بتُّ أكلؤه ‏ من عـدى أغـرى بيَ الحـجـرا
أول الرامين مـعـتـذراً ‏ من صـفـاءٍ كـان لي ذخـراً
لم ألمْ خُلقـاً نابت به ‏ بل ألومُ الدهـر والقـدرا
قـد أمنتُ الدهرَ أرقـبُـه ‏ فـدجـا بالسـوءِ واعـتكرا
وأمنتُ الصـيتَ أنشـده ‏ فـشـآني الغـرّ وابتـدرا[٥]
خلتـه شـهـداً لمقـتطف ‏ فسقاني الصاب والصـبـرا[٦]
وأمنتُ الحقّ أعـبـده ‏ فـحـمـاني الورد والصـدَرا
ثـم ألقـاني إلى نفـرٍ ‏ يعـبـدون الكذبَ والنُّكُرا
فـامضِ مـثل الدهر لا وطرا ‏ مـالـيءٌ قلبي ولا خـطرا
وامضِ مـثل الصـيت إن به ‏ في الورى عن هامنا قـصـرا

---

(١) الطوية السريرة وزناً ومعنى (٢) سابر : مجرب ومختبر (٣) الخدن : الصاحب

(٤) قذع : أفحش في القول (٥) شآني : عابثني (٦) الصاب والصبر : المر .

وامضِ مـــثل الحقّ لاشَـــجَناً   بـعـــــده ألـفـى ولا ذُعـــــرا
وامض مـــثل العــــيش إن لنا   بـعـــــده فـى راحـــــةٍ وطـرا

موارد الحب

يا رائدَ القلبِ يحدو بى إلى حسنٍ   انزل بقلبى فى خصب من الدمَنِ(١)
الأرضُ تهـــدى باعـــلام وأوديةٍ   والأفقُ يـبـعثُ بالأضـواءِ للسُـفُنِ
وفى الـسـمـاءِ رياحٌ جـدّ مـعـملة   تحدو الطيورَ إلى الأوكار فى الفَنَنِ(٢)
فـمـا الضـلال بحـسن لا دليـل به   إلاّ مـــصـــارع قـــوم لسْنَ بالسَنَن
لا بـالحنين ولا بـالصـــدق أدركـــه   وكـيف أدرك آلاّ غـيـر ذى مِنَنِ(٣)
وانت كـالحقُ مـخـبـوءٌ ومطَّلبٌ   والحـقُّ ذو صـلـفٍ يـجـتن بـالجـنن
ولاموتُ يظمى إلى حسن وإن صبرت   عن شرعة الحق نفس الهالك الضمِنِ(٤)
لئن نأيتَ كناى الشمسِ عن دنفٍ   يـرنـو إلـيـك رنـو المـرءِ لـلـوطـن
لم يخرس الطيرَ أنّ الـشـمس نائيةٌ   إذا بـدا الـصـــبحُ تـتـلو آية اللـسـن
لاتحسب الحسنَ مثل الشمسِ يسعدنا   فى البعد بالضوءِ إذ يؤذى على قرن(٥)
فـالحسـنُ يحرق فى هجرٍ وفى بُعُدٍ   ويبهج القلبَ فى قربٍ من السكن
ياليت للشـعـر آلامـاً فـتـبـصـرها   كـيـمـا ترقّ لما يـحـكـيـه من حَـزنى
أو ليت لى مـسلكاً كـالفكر أسلكه   يخفى عن الناس فى حلّ وفى ظَعن(٦)
أو لـيـت أنـى قـــضـــاء لا مـــردّ لـه   آتـى إلـيك بـنـعـــمـــاءٍ من الزمـن
أو ليت أنى شجون منك قد نزلت   فى صدرك الغض قلبا ضاق عن شَجَنى
ومـا صـبـرت على صدّ قـسـوت به   كـلا لعـمـرك إن اليـأسَ صـبـرنى

---

(١) الدمن : الموضع القريب من الدار .   (٢) الفنن : الغصن . ومعملة : عاملة .
(٣) المنن : العطاء والنعم   (٤) الضمن : ذو مرضٍ يلازمه ويشتد عليه
(٥) قرن : اتصال   (٦) الظعن : الرحيل .

إنْ عذَّبَ السهدُ عيناً غير مغفية | إفكٌ مقاليَ إنَّ الطيفَ يؤنسنى
يا باخلاً بلقاء ليس يحربه | ما كنت أحسبُ أنَّ الحبَّ يبعدنى(١)
ما كنتُ أشقى بآمالٍ أعالجها | لو أننى عاكف أحنو على وثنِ
وإن نأيتَ فقد أرخيتَ لى طِوَلا | لكنَّ قلبىَ مشدودٌ على الرسن(٢)
لو كنتُ أسطيع سلواناً عذرتكم | وكيف أسلو وأنت الروح فى البدن ؟
وكيف تمنعنى وجهاً تلوح به | للناس طراً بلا مَنٍّ ولا ثمن ؟
أنت المقادير كالعشواءِ خابطة | بالسعد والنحس من نعمى ومن محنِ
فأنت توحشنى من غير ما سبب | وأنت تؤنسهم بالمنظر الحسن
نام الخليون ممن قد رأوك وما | نامَ الشجىّ وقد باعدت ياسكنى !

الصبر والجزع

يا لابساً حللَ الربيع مخايلاً | فى خلعة الفردوس من لألائه
من لى بصبر عنك ليس بكائنٍ | صبراً يداوي القلبَ من بُرَحائه(٣)
صبر القتيل عن الحياة وطيبها | وعن اقتسار الثأر من أعدائه
من لى بصبر الدهر من أزل الدُنى | صبراً على المقدور من عدوائه !
من لى بصبر الغصن أجج عوده | صبر النجوم على السُرَى وعنائه !(٤)
صبرَ النيامِ عن الضياءِ وحسنه | وعن الرجاء ونجحه ورخائه
صبر السماءِ عن الطيور تصوبت | صبر العيون عن الغماءِ ومائه(٥)
أوّاه أعوزنى اصطبارٌ لاتنى | تفنيه نار الحسن فى إعيائه
مثل الذبالة نورها بفنائها | قمنٌ وصبر المرء عقب شقائه

---

(١) حربه : سلبه ماله وتركه بلا شيء (٢) الرسن : حبل الدابة (٣) البرحاء : الشدة والأذى .
(٤) السرى : السير ليلا (٥) الغماء : الغمام .

ولئن أصابك فى حياتك مثلما ... فزع الجريح إلى نقيع سقائه
لرثيتَ للصديان من حُرق الجوى ... ورحمتَ هيماناً لفرط بكائه
إنى لبعدك كاليتيم تباعدت ... أنصاره فبكى على آبائه
ولكم جزعت لجفوةٍ لك أفرطت ... جَزَعَ الجبان يفرّ من هيجائه
لعرفتَ ما جزعى لو أنك خابر ... جزع المريض من الرَدَى وقضائه
جزع الثكالى غالَ أوحدها الرَدَى ... فوددن طعن الموتِ فى أحشائه
جزع لباغى العدل روَّع جاشه ... طاغٍ يخال العدلَ من إجرائه
لا بل جزعت وليس يعرف جازع ... جزعى لبعد شبيهه وعنائه
غلاّن فى جيدى لحبّك واحدٌ ... ولصولةِ المقدرور فى غلوائه
إنْ غبتَ عنى ظلْتُ ناشد حاجة ... مجهولةٍ لم يدرِ وجه دعائه
متلفتاً حولى كأنى مُشعرٌ ... روحاً يُحَسُّ وإنْ نأىَ بخفائه
وأرى الفضاءَ بلحظة هوجاء لا ... تبغيه بل تبغى ضمير هوائه
فكأنما أبغى عوالمَ خلفه ... سترت بغيب غطائه وكفائه
لحظات عين لا تراك كطائش ... من نبل أخرقَ حادَ فى إجرائه
إنْ لاحَ إنسان حسبتك طالعاً ... أو لم تكنْه فأنت من قربائه
حتى أحبّ الخلقَ إنك منهم ... وأقيل جرم الدهر فى عدوائه
فإذا استبان علمت أنى مبصر ... من لا أسرُّ بوده ولقائه
إنِ غبتَ عنى خلتُ أن عوالماً ... خسفت خسوفَ البدر فى ليلائه
كالسيف إن صدئً الغرار وطالما ... راق العيونَ بطبعه ورُوائه
وأكاد أهتف فى الندىً بذكركم ... قهراً أذلّ لأمره وقضائه

لولا مـغـالبـة اللسـان وصـونه ... بانَ اختـبـالُ اللبِّ من بُرحـائه (١)
وأودُّ لــو تــدنــو إلــيَّ بـزلـةٍ ... أهلاً بجـرمٍ نلتـقى بعـدائه!
بل ليت لى منك ائتلافٌ مسعدٌ ... إلف القـصـيـد لعـوده وغنائه
إلف الأزاهر والمياهِ تصـافـيـا ... وجرى الربيع عليـهـمـا بجلائه
فلطرفـةٌ تمضى ولست بشـاهـدٍ ... خلدُ الجحـيم بنحسـه وشقـائه

زورة المباعد

يازائرى أعبـقتَ منك محـاسناً ... كـالزهرِ يتـرك نفـحـةَ المرتادِ
أخـصـبت تربة أنفسٍ ظمـآنةٍ ... شـامت سناك فكان خيـرَ عـهادِ
وأفضتَ شؤبوب المحاسن والنهى ... طيبـاً على المهجات والأكـبـاد
يازورة كـالعـيـد إلا أنهـا ... جَلّتْ عن الفـرحـات والأعـيـاد
ياليت أنَّ الدهرَ أوقف سيـرَه ... حـتى تحين قـيـامـةٌ وتنادى
لهفى عليك أعائد بك ما مضى ... أم كلُّ عـهـدٍ فات غيـرُ معـاد
عجباً أما صابَت لحاظُك مهجتى ... صـوباً يبل به أوام الصـادى(٢)
كـتقاطر الرحمات عقب سوابق ... من نقـمـةٍ والحـادث المرعـاد
طرفٌ تألق منك حـتى خلتـه ... قَـبَس المجـوسِ يُضىء للعـبّـاد
لوددت أن أرعـاه رعـيـةَ عـابدٍ ... يبـغى الخلودَ له على الآبـاد
ياليت أنَّ النفسَ دُرَّةُ غـائصٍ ... أهديك من نفسى أعـزّ عـتـاد
النفسُ مرآة فـقـارب وجـهـهـا ... يخلص ضميـر النفس من أضداد
كـوذيلتين تحـاذتاً وتصـافـتـا ... ما إن ترى غيـر الشكول بوادى(٣)

---

(١) برحاء : شدة (٢) الصادى : العطشان (٣) الوذيلة : المرآة .

أترى ظلالَ الموتِ تسحب ذيلها ... وتظلّ رهن قطيعةٍ وبعادِ ؟
سأسوم قلبى عنك سلوةَ صابرٍ ... القلبُ أحجى منك بالإسعاد
قد يلهم القلب الشجى عزاءه ... هجر أطلت لسلوةٍ ورشاد
هّا رحمت القلب رحمةَ مبصر ... لمّا نأيتَ بريّه والزاد
أم لست تعرف أن حسنَك مهلكٌ ... بزُّ المهالك فى رَدًى وعوادى ؟
أم أنت متّهم هواى فلم تخف ... منه علىّ لواعجى وصفادى ؟
وحسبتَ أنى عابث بدعابةٍ ... فلهوتَ بالتقريب والإبعاد
اجحد حياتك ما استطعت جحودها ... فلئن قدرت فلوعتى ووداى
لو كنت شاهد عبرتى وصبابتى ... لمّا برمت بصدك المتمادى
وصدعت أبواب السماءِ بدعوةٍ ... كادت تهدّ شواهقَ الأطوادِ
لعلمت أنك بالسلوّ وبالقلَى ... أحجى ولكن لا يطيع فؤادى
لو قلت أنت قتلتنى لضحكت إذ ... كاراً وإن أهلكت بالإبعادِ
ولربّ باغٍ سعد خلٌّ هالك ... منه بخلق غير ما إسعاد
فاعط الصبا فرضَ المراحِ ولاتصلْ ... حذراً علىّ من الشقاءِ العادى
واهَناً باترابٍ حنوت عليهم ... وتركتنى خلواً من الأوداد
فغصونهم كغصونك الفيحاء مو ... رقة وغصنى عاد شوك قتاد
لو كنت لم أبلُ الحياة وصرفها ... لقصدتهم بالغلّ والأحقاد
أما وقبرى بالوصيدِ موطأ ... الفى لديه راحتى ووسادى
سفهٌ بمثلى أن يلومَ على الجفا ... إلف الهوى بقوامه المنآد
لو كنت تجهل ما أعانى من جوى ... إن غبتَ عنى آخذاً بفؤادى .

لرجوت منك مودةً لم ألقها ... وصبرت للبلوى كصبرِ إباد[1]
لكنْ علمت فلم تعد لى حيلةٌ ... لولا سراب رجائى الميّادِ
أدنوتَ كى تنأى ولِنتَ مخادعاً ... لأسام خفضاً بعد عزّ قيادى
رحماك ياغضَّ المحاسنِ لم تكن ... عندى بأهل خديعةٍ وعناد
ماذا اجترمتُ فكدتنى بخديعة ... تبغى عذابَ فؤادىَ المنقاد
إنْ المروءةَ والشهامةَ غير ما ... يأتى المصادق من أذى الأوداد[2]
قد كنتُ أحسبُ كلَّ حسن فطنة ... تودى بقسوة وحشة الأضداد
فمنيتُ منك بغير ما أمّلته ... أسفاً لقلبٍ منك غير جَوَاد
يا ليت أنك صخرة مهجورة ... ليست تغرّ بفطنةٍ وفؤاد
أدعوك بالآلام وهى مضيفة ... مما خبرتَ لفرقةِ الأنداد
أدعوك بالعبرات إنْ رقرقتها ... من مقلةٍ حرَّى بغير رقاد
وبكل ما عانيتَ من حُرَق الجوى ... وبروعة الأحلامِ والتسهاد
أدعوك بالزفرات إنْ صعّدتها ... من غدر أحبابٍ وغلٌ أعادى
وبوقعِ خفقةِ قلبك القاسى إذا ... حذر الردَى ومراكب الأعواد
وبما ألمتَ من الشقاوة والأذى ... والخوف يقدح فى الحشا بزناد
وبما يتاح من المهود إلى الردَى ... من لوعةِ الإصدارِ والإيراد
أدعوك كى تدرى حنين جوانحى ... بحنين قلبٍ منك غير جماد
وبكلٌ ماعالجتَ من صرف النوى ... والمرءُ رهنُ روائحٍ وغوادى
كيما ترقّ للوعتى ولواعجى ... وتزيل دولة صدٌك المتمادى
يا قلبُ بعض الحبٌ ليس بفطنةٍ ... فاجنب هواك لفطنةٍ وسداد

(١) إباد : قوى ثابت أو الجبل (٢) أوداد : محبين .

لو أن شجوَ القلب يبعث مثله | فى صنوه لبلغت كلٌّ مراد
أيقنت أنك مولعٌ بمباعد | هانت عليه حرارة الأكباد
فاقرن يقينك بالعزاءِ ولا تقفْ | بالشكِّ موقفَ حيرةٍ وتمادى
وارجع إلى يأسٍ سكنت لجنحه | زمناً ، فكان أبرَّ بالأنداد !

ياضوء [1]

تضىء ما يستر الظلامُ من الـ | ـقُبْح وتكسوه حُلَّة البِدَر [2]
وأُمّك النارُ وهى صائلةٌ | للخير والشرِّ صولةَ الغيَرِ [3]
كسوتَ وجهى وخاطرى حُللاً | وكنت للعين علّة النظر
لولاك لم يرحم الذى حمد الـ | ـحسن أخاه ذا الآفة الكدرِ [4]
تلوح للهالك السقيم فيعـ | ـتدّك خير اللذّات والذُّخُر [5]
تلوح للجارم الحبيس كما | يلوح ماضى النعيم فى الصور [6]
تغذوه أمٌّ فى عينها أبداً | سحرُ حنانٍ يضىء فى البصر [7]
وهو وليد قد أولعت يدهُ | يخطفة الضوءِ حلية الحجر
وكلُّنا ذلك الوليد إذا | لاح سراب الرجاءِ والوطر!

---

(١) أعيد نشرها بمجلة « الرسالة » عدد ١٦٥ فى ٣١ أغسطس ١٩٣٦ بعنوان – « ياضوء » وكانت فى الديوان بعنوان « الضوء » . وحذف منها بعض أبيات أعيدت هنا كما كانت فى الأصل .

(٢) البدر : جمع بدرة مقادير من النقود (٣) غير الدهر : صروفه (٤) ذا الآفة : أى الكفيف . (٥) لأن الهالك يعد الضوء رمزاً للحياة التى سيفارقها .

(٦) يرى الحبيس الضوء فى سجنه فيذكره بعهد وهو طليق برىء .

(٧) المجرم الحبيس يتذكر ضوء سحر الحنان فى نظر أمه وهو طفل طاهر .

وأنت في المعبد المَشِيد كضو ... ءِ اللهِ في صالحٍ من الخبر(١)

أو مثل ضوءِ الضمير محتبسٌ ... في النفس أو كالصفاءِ في السيرِ

تبعدك الطيرُ في الصباح بما ... تتلوه من آيةٍ ومن سور

تهبط فوق الغدير في مرحٍ ... مثل هبوط الطيور في الشجر

أم أنت روح الحبور قد برزتْ ... تنير وجهَ الحياة في خَفَر

كأنَّ في الأرض قلبَ والهةٍ ... تسبى عشيقاً بحلة الزهر

سنابلُ النبتِ ، أنت صغت لها ... من عَسجدٍ ، حلّةً من الحَبَر(٢)

ترقصُ رقصَ الحسناءِ إنَّ لها ... رقصاً كرقص الضياء في النّهر

ياعَلماً للحياة ينشره الـ ... ـكون فيقصى القلوب عن خور(٣)

وربّ فجر بشقْتَه بهج ... كفجر حُبّ في القلب منفجر

أو مثل فجر الآمال إنَّ لها ... فجراً وليلاً يضاءبالذّكر

فطرّز السحب مثلما حسُن الـ ... ـنحسُ بضوء الرجاءِ في الكَدَر

كأنما أنت سلّم لعلا ... ءِ النفسِ تَسْمُو لآية العُمُرُ

أو أنت حُسن الجنان نبصره ... منبعثاً خارجاً من الثُغر(٤)

تُرمد طرفَ الحزين ، إن أخاك ... الليل برٌّ بالخاطر الكدر(٥)

تُليح بالسعد والمُنَى أبدا ... لذى طموح بالترب منعفر(٦)

وأنت كاليمِّ، دُرهُ الفلَكُ الـ ... ـدوّارُ أو فاقع من الزهر(٧)

---

(١) سطوع الضوء في معابد الصلاة له جلال وأثر في النفس .

(٢) الحبر : الوشي والزينة (٣) الخور : الضعف والجبن . الأصل - فيقصى الكمى (٤) جمع ثغره : أى فتحة . (٥) في الأصل : طرف اليتيم (٦) في الأصل : تليح بالحب ... لذى هموم .

(٧) يغمر الضوء الفلك والأزهار فكأنه بحر وكأنهما دره .

ويا بشـــيـــراً بما نخـــال من الـ　　آلاءِ في مــقـبـل من الغـيَــرِ[1]
حكيت ذخـرَ الآمـالِ تبـعـثـهـا　　للوهم يزهو كـالتّبْـر في الذخـرِ
تـخـــال من رقّـــة المراسم مــعـ　　ـنى لا يراه البـصـيـر بالبـصـر[2]
أشهىً ضياءٍ يكسو الحبيب خمًا　　رًا نعم ذاك الكسـاء في الخُـمُـر[3]
تستـبق الطيـر في أشعّـتك الـ　　ـغرّاء فعل الحسـان في الغُـدر[4]
وضاءةُ الماسِ منك قـد قـبـسـت　　وأنت في الروض خـمــرة الزهر
والضـوء في المنزل الخراب كـقلـ　　ـب الندب يشقى بالجسم في الكبر[5]
خـواطر الخــيــر كــالملائك أو　　كـالضـوءِ يزهو في قـمـة الشجـر
كلُّ جليلٍ مــشـبّــه بك في الـ　　ـمدحِ ، وليس التّراب كـالدرر[6]
فـالحقُّ والحـسـن والمطامع أشـ　　ـبـاهـك في قــول ناعت الغُــرر
أضيء إن اسطعت ما يخال من الـ　　ـغـيـوب والطارقـات والقـدر[7]
كـم ذا رأيـت الأنـامَ فـي عـنـت الـ　　ـعيش نشاوى من غير ما سُكُر
فلم تُقطّب على الشـقــاء ولم　　تبـد كـوجـه لليل مـعـتكر
كـالشيخ شـام الخطوب قـاطبـةً　　يذخـر غـفـرًا لزلّة البـشـر[8]
خـبّــر ومـا ينفع الورى أبداً　　طلاب ذاك الطليب في الخـبـر
أثغـرة ذا الحـمـام نبـصـر منـ　　ـها الضوءَ ، أم حـفرة من الحفر ؟

---

(١) استقبال الضوء كاستقبال البشرى من بهجة وجذل . (٢) أى من لطافته يخيل للرائى أن أثره فى النفس لافى العين . (٣) الخمر : بضمتين جمع خمار (٤) الغدر : جمع غدير .
(٥) النّدْب : المرجو فى الأمور لنشاطه . (٦) كل جليل مشبه بالضوء فيقال نور الحق ونور الحسن ونور الأمل ونور الطهر الخ .. (٧) اسطعت : أى استطعت والخطاب للضوء . (٨) كما أن الشيخ قد يغريه علمه بالحياة أن يغتفر للناس أخطاءهم فلا يعبس ، كذلك أنت لا تعبس بالرغم من عنت الحياة وشقائها .

الصديق المنشود

إليك يا من قضيت العمر أنشده ... في الناسِ ، لو أن فيهم من يصافيني

همو مثالُ سرابٍ لاح عن عرضٍ ... وأنت أنت سرابُ الحسنِ تظمينى

وأى شيءٍ إذا جدّ الطلاب به ... لم أُلفِ آلاً من الأهواءِ يرديني[1]

أو كالأجاج إذا أظمى بجرعته ... وطالما خلت كاساً منه ترويني[2]

يأسي من الخَلق يحدو بي إلي أملٍ ... في ذي جفاءٍ إذا دانيت يقصيني

عرفت أني لن أهنا بلقيته ... فلم أصب برء أحلام تناجيني

يا بؤسَ نفسيَ لا صبرٌ ولا صلةٌ ... ولا عزاءٌ يؤاسيني ويأسوني

يا لائمي أنني لم أُلف ذا مقةٍ ... افضي إليه بأمر منه يشجوني

احمد زمانك في جدٍ حَبَاك به ... لقد حباني بجدٍ منه مدجون

ما إن أبيت حباءَ الدهر لو صدقت ... آلاؤه ، وحباني بالميامينِ

يا مغرياً لي بخلقٍ لا أشاكله ... أبغيك في كل نابي الطبعِ مأفونِ

وكيف أنقم إفكاً منهم ، ولكم ... كذبتني بحديثٍ منك يغريني ؟

أقول علَّ بعيداً لست أعرفُهُ ... يوماً يجيءُ بخلق لا ينافيني

لم يغنِ قلبي فيكم ما يعالجه ... هل تعلمون بديلاً منه يغنيني ؟

لو كان للعيشِ عَودٌ كان لي أملٌ ... في أن أصيبك في عيشٍ يصافيني

لكنّه مرّة في الدهر واحدة ... ثم العفاء على آمالِ محزون !

---

(١) الآل : السراب .

(٢) الأجاج : المالح الطعم .

الملك الثائر (١)

مقدمة :

هذه الأقصوصة تحتوى نزعتين : النزعة الأولى سخط النفس من شرور الحياة وآلامها ، والنزعة الثانية تهوين أمرها على النفس ؛ لأن رفض الألم رفض للسعادة ؛ إذ الإحساس الذى يحس السعادة لا بد أن يحس الألم . ورفض الشر فى الحياة رفض للخير ؛ إذ الخير فى محاربة الشر ؛ ولأن الرحمة نفسها التى تدعو إلى هذا السخط ما كانت تكون لولا الشر . والقصة هى قصة مَلَك عصى ربه وهبط إلى الأرض ، كى يدعو الناس إلى محو الشر فآنوه وألحقوا به كل شر ؛ وخسر رضوان الله كما خسر رحمة الناس وعدلهم ومحبتهم . والمراد العظة وتحبيب الحياة والثقة بالله .

* * *

نُبِّئتُ أن ملاكا ثار من حزنٍ ... يسائل اللهَ فى خلق الرزيئاتِ

(قول الملك الثائر يناجى الله):

تكلمَ الشر فابعث منك هاتفة ... من الجوامع تُرضى فى المناجاة(٢)

الأرض منبره وهو الخطيب بها ... يدعو النفوس إلى هُوج المطيَّاتِ(٣)

فارحم مسامع لم تسمع نجيَّكَ أو ... نفسًا لضوئك ترنو فى الخصاصات(٤)

وارحم عيونًا إلى مرآك ظامئة ... آبت من النحس فى شكٍّ كليلات(٥)

---

(١) أعيد نشرها بمجلة « الرسالة » عدد ٦٨٠ فى ١٥ يوليه ١٩٤٦ وأضيفت إليها المقدمة والهوامش .

(٢) تكلم الشر : أى أنه أغرى الناس بمغرياته وجوامع الكلم التى تجمع منه الحكمة الفاصلة المقنعة .

(٣) منبره : أى منبر الشر فيرجو الملك من الله أن يبطل حجة الشر الخطيب بكلمة منه تجمع الحكمة . الهوج : جمع أهوج ، أى أن الشر يحمل النفس على الحمق والجنون .

(٤) نجيك أى نجواك والخطاب لله عز وجل ، والخصاصات : الثقوب ، أى أن النفس تتطلع إلى ضوء الله من ثقوب باطل الدنيا الذى يحجب ضوءه .

(٥) آبت : أى عادت ورجعت ، وكليلات : أى متعبة .

إذاً أعـرْها لحـاظًا منك صـادقـة | تدحو لها العيش محمود الصحيفات
وابعث لنا حكمة مما خُصصْت به | فحكمـة لك تُطفى حـرَّ غـلاَّت
ندرى الوجودَ كما تدرى الوجود بها | ونرتضـيـه بأرواحٍ أبيَّـات
فما الخلود ولا الفردوس مِن أرَبى | ولا كمالٌ لمعصوم السجيات[(١)]
حتى أرى الناس لا دمع ولا حزَنٌ | ولا شقاءٌ بإجرام وغمَّات
سأبلغ الأرض آسَى مثلما حزنوا | وأُبرىء الناس من جرح البليات[(٢)]
إن الجهاد على النقص الذى طبعوا | عليه أفضل من عصم السجيات
فالسيف أفضل مشهوراً وإن صدئت | بالصون ما درنت منه بإصْلات[(٣)]

(صوت من السماء) :

اهبط إلى الناس واندبهم إلى خلق | كما تشاءُ على تقوى وإخبات[(٤)]
وارغب بهم عن شرورٍ أنت ناقمها | وداوِ ما اسطعت كلْمَ المصمئلات[(٥)]
أوردهُمُ الخُلُقَ الأعلى لعل لهم | إلى الدنيات طبعًا غير منصات[(٦)]
فإن فشلت فلا غَروٌ فإن لنا | فى الخلق حكمة مخبوء العلامات

(مسعى الملك الثائر واضطهاد الناس إياه وفشله) :

سعى إلى الناس ساع نحو خيرهمُ | يدرُّ للخير أرواحًا بكيِّات[(٧)]

---

(١) أى أن الثائر يأبى كل هذا الخير ، والنعيم ما دام الشر والشقاء في الحياة .

(٢) آسى : أى أحزن من الأسى .

(٣) أصلت السيف : جرده من غمده وصدىء الحديد : علاه الوسخ والصدأ ، ودرن : أصابه الدرن أو الوسخ ، والتاء فى صدئت إشارة إلى صفحة السيف . والمعنى : هو أن محاربة النفس للشر مع ما طبعت عليه من النقص أفضل كما أن السيف المستعمل أفضل من السيف الذى لا فضل فيه وإن أصابه الدرن من الاستعمال . (٤) أخبت إلى الله : خشع له .

(٥) الكلم : الجرح . والمصمئلات : المصائب والكوارث ، واسطعت أى استطعت .

(٦) أوردهم : أى اجعله موردا لهم ، ومنصات إلى الشىء : أى منقاد إليه .

(٧) الناقة البكي : القليلة اللبن ، ويدر : يستنزل الدر أى اللبن ، والمراد خير النفس .

فـيـا لسـعـدهم لو أنّهم جَنَبـوا ما يجنب السعدَ من حرص المباراة[١]
عـزيز عـاداتهم للشـرٌ رائدهم كم قدسوا العادَ تقديس الديانات[٢]
تبغي المُحالَ فتبغي الخير أجمعه هيهات لو عـزّيت نفس بهيهات
كشّفتَ عيب نفوس أنت ناصحها فاحمل عن الخلق آلام الشقاوات[٣]
ثارت به الناس كالأغوال يقدمهم إليـه كل عـريق في الجهـالات
وحمّلوا خُلقَه من سوء خلقهم وكم رمـوه بادناس الرمـايات
ومزّقوه باظفار كما خُضبتْ فواتك الوحش من دامي الفريسات
وعلّقوهُ على جـزْعٍ وقيلَ له : اصعد كما رمت في مرقى المسجيات[٤]
ما راعه أن رأى الأشرار ترجمه وإن توجّع من وقع النكايات
حتى إذا ما رأى الأبرار تظلمه غـرارةً وانصياعًا للسّعايات
بكى لبغض ذوى خير وما منيت نفس بأوجع منه في العـداوات
من كل لحظ بضوء الخير مُنبعثٍ يدجو عليه بتقطيب السخيمات[٥]
تلك النفوس التي عاف السماء لها وثار يُغضب جبار السماوات[٦]
يُكفّـرُ الناس بالآلام قاطبـة عن الخطايا وعن شر الدّنيّات
وعن رضـاء بعيش جلُّه نقمٌ وعن ولوع بنعـمـاء ولذات[٧]

(١) أى إن جشع التنافس فى الدنيا مما تطلب به السعادة ولكنه كثيراً ما يؤدى إلى ضياعها .

(٢) تقديس العادات ليس مقصوراً على العادات الفاضلة ، والعاد العادات .

(٣) هذا البيت تفسير لسخط الناس على ناصحهم وطالب الخير والسعادة لهم لأنه بنصحه يظهر عيوب نفوسهم ، واحمل عنهم : أى بدلا منهم .

(٤) صلبوه ، وقولهم اصعد كما رمت من قبيل السخر . (٥) السخائم والسخيمات : الأحقاد .

(٦) عاف السماء لها : أى من أجلها ومن أجل تعاستها .

(٧) جله : أكثره .

هم يعذرون بمدح الخير شرَّهمُ ... تكفير من لم يُطق هجر الخطيئات[1]
لسان بَرٍّ بثلب الشر منطلق ... مثل الأفاعى وما قلب بعزْهاة[2]
ما أنكر الناس شراً غير ضائرهم ... أينكرون شهيات الغريزات ؟

(صوت من الجحيم : إبليس يتكلم) :

ناداه فى النار إبليس فقال له : ... هوِّن عليك ولا تُولع بإعنات
قد شاء ربك إن الشرَّ عدته ... فى صيغة الخير فى قَدْرٍ وميقات[3]
أنا الشقىُّ بما لم أجنه أبداً ... من خلق نفسى ومن آثام زلاتى

(قول الثائر الساخط) :

فقال ذو شقوةٍ بالجزع منتصب ... يكلمُ الله فى نجوى السريرات
أنزلْ علىَّ شقاء الخلقِ قاطبة ... وطهر الناس من ضَير الجريرات
إن يظلمونى فمن بالشر يجبلهم ... أو يصلبونى فمن بارى الجنايات؟[4]
هل يَعذرُ الشرَّ أنَّ الخير غايته ... أم هل تهوِّن آثامٌ بغايات ؟

(مصير الثائر) :

فخُلِّفتْ روحه كالطير سابحة ... فى الجو تنشد مخضرَّ النباتات
طارت إلى الملأ الأعلى فما لقيت ... لها قراراً ولم تظفر بمهْواة

---

(١) من أسباب شدة ولوع الناس بمدح الخير ميلهم إلى التكفير بمدح الخير عن شر أعمالهم ، وهذا لا ينفى أن تكون هناك أسباب فاضلة لمدحهم الخير .

(٢) عزهاة : أى زاهد ولها معان أخرى ، والثلب : الذم والانتقاص .

(٣) فى الطبعة الأولى : فى صنعه الخير .

(٤) فى الأصل : فمن جانى الجنايات .

لا فى الجحيم ولا الفردوس مسكنها ... حيرى المسالك من فقد القرارات[1]
ترى الملائك حول العرش آسية ... تاسى الملائك من إثم وزلات

(صوت من السماء) :

يا ناقم الشر هلا كنت مُضْطلعًا ... بالجزع والصلب قبل الكارث الآتى
عصيت ربك فى كبر وفى جهَل ... لما بَرِمْت بإيلام الملمات[2]
الخلْق للخلق ربح لو فطنت له ... كمغنم الحيِّ من أسلاب أموات
والشر والخير لا يُرْجى افتراقهما ... فارفض إذا اسطعت نعمائى ولذاتى
حتى العقول وحتى الفضل أجمعه ... والذة النفس فى بذل المروءات[3]
ومُرتضى الخير لو يسعى إلى دنس ... لَبَاءَ منه بإخلاف العلالات
ومرتضى الزهد مسعود بعفته ... ولذة المنع إنماء الخيالات
برحمة قد نماها الشر تنقمه ... ورحمة المرء من وخز المصيبات[4]
إن كان سخطك خيراً فى مراحمه ... أجزت خلْقى بأرواح رحيمات[5]
فالشر للخير مردود وإن أَسيت ... منه النفوس بأنَّاتٍ وآهات
وباحث سِرَّ عيش غير مُدركه ... كالطفل ينشد أفلاك السماوات

---

(١) فى الأصل : ولا الفردوس موطنها .

(٢) برم بالشيء : ضجر وسئم .

(٣) ذلك لأن نمو العقل البشرى كان بسبب مكافحته المصائب والآلام والشرور ، فالذى يريد حياة لا شر فيها يريد إنسانا لا عقل له وكذلك الفضائل إنما نمت لأنها هى محاربة الشرور .

(٤) الرحمة تنتمى إلى الشر أى لو كانت الحياة لا شر فيها لما عرفت النفس الإنسانية الرحمة .

(٥) فى الأصل : أجزت شرى .

الموت

أيا معبداً قربانا فيه عيشنا نضحى به لذاتنا والأمانيا
ويا منصفَ المظلومِ من كل ظالمٍ ويا مهربَ الملهوف يخشى الأعاديا
ويا مبرئاً كلم الحياة بطبّه جلالك أن قد راق ما كنت شافيا
ويا سترُ لم يصدعك همٌّ ولوعة ويا حصن عطلت الدروع الأواقيا
فيا موت يا أمّا أطالت تصامماً أمالك قلب يرأم الولد حانيا ؟
ألا أرضعينى منك يا أمّ درة لأذكر ما قد كنت فى العيش ناسيا
فياموت أقبل باسط الوجه طلقه فإن حميم الصحب ما كنت لا قيا
تقارب من أمسى لطيفك قاليا وتبعد من يرجوك فى النحس راضيا
أتجمع بين الصحبِ أم أنت فرقة تقول لها الآباد أن لا تلاقيا ؟
وكلٌّ لهيفٍ يبتغى فيك نجوة وكل لديغٍ يبتغى منك راقيا
فما التاح من ألفى من الموتِ موردا ولا اعتل من لاقى من الموت شافيا
أتسمع صوتَ الرعدِ كى أستعيره لأوقظ طرْفاً منك وسنان ساجيا(١)
أحبّك حبَّ الصبِّ وجه عشيقه لينقع ثغرا منك صديان ظاميا
وكم طربت أذنى للحن أجدته أعد منك لحنًا يترك السمعَ واعيا
وأنت شبيهُ الله فى خيرِ نعته فإنك رحمن وإن كنتَ قاسيا
لأعززت من قد كان فى الناس صاغرا وأرخصت من قد كان فى العيش عاتيا
وليس يعزّ المرء مثل افتقاده وإن كان معشوقًا لدى النفس غاليا

---

(١) الوسنان : الناعس . والساجى : الساكن اللين .

جـوارُك مـأمـونٌ وملكك رحـمـة لمن كـان قد أعـيـا الطبيب المداويا
لخلفت قلبَ الخوف يخشى حِمامه فجارك لا يخشى من الخوف ساريا
وأين دمـوعُ النحسِ من عـهـد آدم محاها من الأحيان ما كان ماحيا[(١)]
وكم حـرس الموت الودائع بعـدما أحالت صروفُ العيشِ إلفاً معاديا
إذا لم يكن للميت شجوٌ وحسرة ولم يك للفـقـد الذى ناب واعـيـا
فـأين وعـيـد منك يامـوت نتـقى ونزوى إذا مـا لحت منه النواصيا ؟
وللخـفـض أيامٌ وللنحس مـثلهـا ودهرك مـثل الخلد أروع نـامـيـا[(٢)]
توالت فصولُ الحولِ عن قدر موعد فـهل منذر ينبى عن الموت آتيـا ؟
وليـسـت حـيـاةُ المرءِ إلا كنفـحـة سل الموت عنها والسنين السوافيا[(٣)]
وما بى خوف الموت بل حرّ حسرة لفـقـد حـيـاة فيـه لم أدر مـا هيـا
رزقنا فلم لا يرزق الدود بعـدنا أليست فضول العيش خلقاً دواليا ؟[(٤)]
نسرّ على قبر العصورِ التى خَلت كما يضحك المجنونُ أخطأ الملاهيا
هو الحيُّ عبد الموت يسعى لطعمه فيـغـذى دمـاه والمنى والمساعـيـا
ومـا العـيـش إلا طائراً فى دُجُنَّة توهـمـه برقًـا على الأفق نائيـا[(٥)]
كـفى شرفًا بالموت أن كـان عـائش يصولُ لنيل الرزقِ باللؤم شاكيا[(٦)]
حـمدنا مهودَ النوم أن شابه الرَّدَى وإن لم يرع بالحلم من كان كاريا[(٧)]

---

(١) الأحيـان : جمع حين بالفتح وهو الموت . (٢) الخفض : النعيم (٣) أسفت الريح التراب : بددته فهى سواف (٤) أى مرة لهذا ومرة لذاك .

(٥) الليلة الدجنة : المظلمة . (٦) شاكيا : للسلاح والعدة لابسها.

(٧) كاريا : نائما .

فكيف نعافُ النومَ لا نوم مثله ؟ سل القبرَ عنه والعظامَ البواليا
وما العيشُ إلاَّ عادة غال قَيدها وأى امرىءٍ يلفى لدى العاد عاصيا ؟
ولو فهم الحىُّ الحمامَ وطهره لما أوْجَرَ الحقدُ الكمينُ الأعاديا (١)
غداً يستوى الجانى ومن ذاق شره كأنْ لم يكونا مستكينا وجانيا
حبتك صروفُ الدهرِ بالحسن والهوى سِل الموت أن يحبوك ما كان حابيا (٢)
ألم ترَ أنَّ المرءَ فى عظم سعده كما فى أساه ، يرتجى منه آتيا ؟
سواحر لذاتٍ يرى العيش بعدها خلاءً ، فيرجو لو رأى الموتَ باديا
يخاف عليها من عقيبٍ يمرّها فيكره من سوءِ العقيب اللياليا (٣)
كما ائتلف الإلفان فى صفو طرفةٍ يخالان أن لم يُبق فى العيش باقيا
فودًا لو ان الموتَ نسمةُ عاطر تطيرُ بروحٍ منهما كان هافيا (٤)
وهل يعدل الأحياء خير الأولى مضوا تنادوا لحينٍ واستجابوا المناديا ؟
فأهون بهذا العيش قد جاز داره ذوو اللب شتى يدلفون تواليا
سل الملكَ الجبارَ ينقع غلّه من الموت لو ألفى على الموت عاديا
وما العيش إلا ميتة بعد ميتة وما الخير واللذات إلا عواريا
وما العيش إلا الظئر تؤذى وليدها إذا لم يكن فى النحس جذلان لاهيا
فأهون بأحلام الحياة وطيبها فإن عناءً سؤر كأس رجائيا (٥)
فياليتنى كالزهرِ صيفٌ حياته فأفنى ولم يعنف علىَّ شتائيا

---

(١) أوجره : جعله فى فيه . (٢) حباه : منحه . (٣) العقيب : العاقبة ويمرها : يجعلها مرة
(٤) هفا : خف وطار . (٥) السؤر : ما يبقى فى الإناء من الشراب .

على العيش واللذات منى تحيةٌ | وألفٌ على موتٍ يريح جَنَانيا[1]
أرى ظلمةً فى العيش أخشى غيوبَها | وربَّ وليدٍ خافَ ما كان خافيا
أنخشى ظلامَ الموتِ والعيش مثله ؟ | إذا ضاءَ سرُّ العيشِ فاعدده داجيا[2]
وما يضحك المسرور إلاّ لخوفه | وكم ضحكة فى ثغر من كان خاشيا
تقطع أوتار المودّات والهوى | تقطعَ خيط العودِ أشجى الأواليا
أيعجب ذاك الميت من حزن والهٍ | أم الميت لم يسمع من الناس داعيا
تدرّع بالصمت الذى ليس مثله | مقال ، أليس اللبُّ للصمت واعيا ؟
وصمت على الأموات يدنى كأنما | يسقّى الندى زهراً على الترب ناديا
سواءٌ مقال الإلف أو جَرْس سبةٍ | فقد أمنوا منه الأذَى والمخازيا
فمَنْ مبلغ الأموات عنى تحيةً | سلامٌ عليهم ، بل علىَّ سلاميا !
فما أعوزتهم رحمةٌ فى قبورهم | كما أعوزتنى رحمة فى حياتيا
لعادوا وفى الأرواح منهم بقية | وفى الماءِ مورداً وفى الزهر زاهيا[3]
وقد أصبحوا رزقَ الحياةِ وطعمها | أيدعى قوام الحىّ ميْتاً وفانيا ؟
سواءٌ لديهم صبحُنا ومساؤنا | وسيّان ما يسْمى الأذى والأمانيا
وسيَّان لمحُ الطرف مرًّا وحقبة | ويبطى لنا النحس السنين البواقيا
خليلىَّ خطًّا لى من الأرض حفرةً | أريح بها قلبًا عن الناس ساليا
ولا تسمعانى الطير تشدو بنغمةٍ | فآسى على العيش الذى كنتُ قاليا[4]
ولا تمهدا للغيد فوقىَ موطئاً | فأحنو لحسنٍ لم أزل منه صاديا ![5]

---

(١) الجنان : القلب . (٢) داج : مظلم . (٣) الأرواح : أى الرياح .
(٤) أسى : حزن . قلا : أبغض . (٥) صدى : عطش .

عزائىَ أنَّ الزهرَ تسقيه حفرتى
دمى ويروح الحسن بالزهر حاليا

حبيبى ، أرحْ منك الجنان فإننى
تبدّلت منك الموت حبًّا مؤاخيا

وهيهات لا يسلو عن العيش جارعٌ
من العيش حتى يصبح العيشُ ماضيا

وحتى يموت الحبُّ والذُّكر والمُنى
وتتلو نواعى الشائقات المناعيا

وحتى يموتَ الموتُ لولاه ما بكى
حريصٌ على دنياه يخشى المرازيا

فياليت أنَّ العيشَ يخلف ميتة
دراكًا كما يطوى النهارالليـاليا

ذعر المحب

تعزَّل قلبى كلَّ شجوٍ وفرحةٍ
فقرٌ كما قرَّت رفاتُ المقابرِ

وما كنتُ أدرى أنَّ للحبّ عودةً
إلى القلب حتى خِفتُ صرف المقادرِ

أخاف عليك الضرَّ حتى كأننى
أخاف على قلبى وسمعى وناظرى

كتمتُ الهوى فى القلب حتى أذاعه
وجيبٌ وإشفاق لأنباءِ ذاعرِ

فـ احسرتا مالى وللحبّ بعدما
وَهَى منه قلبى بين جانٍ ونافرٍ !

[illegible]ت فى رغدِ السلامة لم يخف
عليك شفيقٌ من صروف الدوائر

ولم [illegible]درِ ما ذعر المحب ولم أبت
أباعد عن قلبى مخوف الخواطر

ويسعدنى من شدّة النحس أنها
نذيرٌ بإقبال الحِمام المغامر

أعالج آلامَ الدهور التى خَلَت
كأنى مناكيد الدهور الغوابر(١)

فليتك تدرى مالقيتُ ولو دَرَى
جَنانُك ما القاه ماكنتَ هاجرى

وياعجبًا لو كنت تجهل أننى
لأجلك أقضى الليل رطب المحاجر(٢)

---

(١) نكد : أى عسر شؤم والجمع مناكيد .   (٢) أى دامع العين .

ويا عـجـبـاً لو كنت تجـهل أنني أبيتُ وقلبي في مـخـالب كـاسـرِ

أما خبّرت عـيناي عـينيك أنني احبك حبَّ النحسِ خصب المصادرِ

فـقـد خـبـرت عـيناك عـيني إنما تراءت لتـشـفي عـاشـقاً جـد عـاثر

شـهـيـديَ ليلٌ سـامـرتني نجـومُـهُ كم التـحت من بَرْح الـهـيـامِ المخامـر

وكم بتُّ أبكي أسـال الله راحـةً من الموت لو ألفي لدى الموت ناصري

أبنْ ليَ ألفـاظاً من النار علّهـا تـؤديك مـا يلقـاه قلبي وناظري

وكلُّ بيـانٍ عـاجـزُ اللفظِ كـاذب فليـتك تُلقي خـاطراً طيّ خـاطري

وليـتك روحٌ طيّ روحي خـابرٌ وليـتك ربٌّ عـالمٌ بالسـرائر

وما إن كـتـمت الحبَّ إلاّ مـخـافة لفـقـدك من مـسـعـاة لاحٍ وغـادر

فـيـا ويح قلبي لا صـديقٌ مـصـادق ولا حبَ إلا عـادَ عـون المقـادر

أمن أَرَبٍ احـيـا لآسي كـأنني غـذاءٌ لأفـواه الشـجـونِ الجـوائر

فيا نائياً اغدق على القلب رحمةً بعـينين نجلاوين من صنع سـاحـر

وعطفُك عندي نهـزةٌ ليس بعـدها إلى أبد الآباد إسـعـاد خـاسـر

فـيـا دهر كـفـّر عن همومي كلّها بمرأى حنان الحسنِ من طرف هاجري

أليس قليـلاً نهـزة لو ينالهـا أخو الموت من خلدِ اللهى والذخائر

فـيـا لبـلائي لاعـزاء اصـيـبـه عن الحب والخِلِّ الحـبـيب المؤازر

وإن كنت أدري أن عيشيَ خدعةٌ وحُلم تقـضّى أو أكـاذيب سـامـر

أرى الزهرَ غـضّاً يانعـاً طلّه الندى مليّـا بـأن يشـجـو ظمـاءَ النواظر

فـاحـسـبـه دمـعـاً لذكـرى غـرامنا وأنفـاس أيام اللـقـاءِ الغـوابر

أتذكر وعداً باللقاءِ بذلته | بمجتمع الأطيارِ بين الأزاهرِ
وليلاً طرقناه سميريْن في الدُّجى | كما جال سرُّ الوحى بين السرائر
طرقتكَ ياليلَ اللقاءِ فرقتنى | بلذات حبٍّ كالنجوم الزواهر
فهل من معيد لى لقاءً مضى لنا | وعهداً تقضى بين إلفٍ وناصر؟
ولا تتركنّى ذاكراً عهد ما مضى | كعادٍ يرجىّ الذخرَ بين المقابر

طيرة الفرخ

جناحُك واهنٌ فإلى م تبغى | بذاك الوهن مطّلب النسورِ
أقم فى وكر غصنك مستريحاً | من الأحداث والقدر المغيرِ
الا طرْ حيث شئت فغير بدع | إذا غالتك عاديةُ الصقورِ
لطيرة من يؤم الشمس أجدى | على الزّلات والجدّ العثور
لقدُ جعل الطموحُ لكلٍّ ندب | كما جعل القوادمُ للطيور
وقد يبكى الجبانُ على جرىءٍ | كما يبكى الجزوعُ على الصبور
أرى الآلام محملها خفيف | على الضعفاءِ والبطلِ القدير
أنفرق من ديونٍ هنّ حتم | على النَفْساءِ والطفل الصغير[1]
ووقعُ النحس فى الأجسام وخز | كوخز اللذّ من وقع السرور
فسلْ قلبَ الشهيد عن البلايا | يخبّرك الشهيدُ عن الحبور
وما من مهجةٍ هانت وذلّت | بغير مخافة الألم الذعور

(١) النفساء : المرأة إذا ولدت .

حب العزوف [1]

ليس الوجودُ وأنت بعضُ كيانه — أسراً لقلبِ العاشق الغطريفِ [2]
والندبُ يحمل بين جنبيه الدنى — روع الغريب وراحة المألوف
إنّ الذى درس الزمانَ وفعله — لأجل من حَدَث الزمان الموفى
ويشيم أسرارَ الحياة بحكمةٍ — تعدى على المجهول والمعروف
هب حسنك الأقدار تطرق بالأسى — ما إن يعاب أخو الأسى بصروف
أو ما نما الأمر الصغير فأصبحت — تتلى قروف قراعه بقروف [3]
هبه الخطوب حقيرها وجليلها — عبث صيال جمالك الموصوف
عبثٌ ومن عبث مقالى إنه — عبث ملامة ذى قَلًى وصُدُوف [4]
عَبث عداء الحاسدين ومثله — نعتى لخلة جارمٍ وعَزوف
عَبثٌ نعيمى والشقاء ولوعةٌ — تفضى إلىَّ بعلّةٍ وحتوف
عَبثٌ جمالك فى الصدود وفى الرضى — عبثٌ هيام فؤادى المقروف [5]
أو بعد ذا حال أخاف صيالها — ولقد برمتُ برائقٍ ومخوف
لن تعرفَ الغيدَ الحسان إذا قضت — أنَّ الهيامَ أشده لعفيف
ومن العجائب أن جهلت وطالما — ذخر العزوف هيامه لحصيف
كم مدَّعٍ خَبَلاً لتحسب أنه — خبلُ الهوى واعجُ الملهوف
يلقاك بالدمع الغزيز ولم يكن — دمعى بخدعة ماذق مطروف [6]

---

(١) العزوف : الذى لا يكاد يثبت على مودة خليل — ٢) الغطريف : السخى
(٣) القروف : الجروح — (٤) القلى : البغض . والصدوف : الانصراف عن الشيء .
(٥) المقروف : المجروح . — (٦) ٥٧٤٥٧٤ ماذق : غير المخلص فى الود .

إنى أجلّك عن سوافحِ عبرةٍ عبثت لمغرور الحصاة سخيف [1]
يخشى على الباكين وقع جماله فيبيت نهزة خادعٍ ومروف [2]
ولأنت أعظم فى الفؤاد محلةً من أن تغرّ بمدمعٍ مرصوف
يارُبَّ مضطغن يحبك إنَّ لى شوقاً إليك ألحَّ غير طفيف
الآن لما خِلتُ صفوك بالغى يسعي إليك بمدمع المشغوف
كيما أبيت علي جفائك حيث لا يخشى الحسودُ على الصفاءِ وقوفى
كيما يقال حبوتَه بمودةٍ وتركتنى للعذلِ والتعنيف
أسفاً له لم يلق حيلةَ سابق بالجد يسبقني بغير طريف
حتّام ابلو كلَّ يومٍ خلَّةً للناس تغرى عنهمُ بوجيف
أو كلما قلت الحضيض بلغته من ذى النفوس عدوته لألوف
حسبى اغترارك بالمناقب ملهما صبراً فتثلج حرقةَ الملهوف

العدل والكسب

إذ كان رزق المرءِ كيداً يكيده فأى يقينٍ فى النفوسِ الكواذبِ ؟
فما ينتحى حيّ سوى نفع نفسه وإن خاضَ منه فى خبيثِ المكاسب
يذود قلوب الناس عن كل سابقٍ كما ذيد طيرٌ فى الرياض بحاصب
أبيتُ على الأسقام نضواً محسَّداً وأحسبُ أنىّ ناعمٌ بالمآرب
وهل ذاق لؤم الناسِ إلا أخو ضنى تكنَّفه الأعداءُ من كل جانب ؟

---

(١) الحصاة : الرأى والعقل . (٢) المؤوف : الفاسد .

اناسيهم أحقادهم غير جاهل وأسالهم من صفوهم غير عاتب
وما الناس إلا ظاهراً غير باطن حماة الأفاعى فى جلود الأرانب
يخالون خيرَ الناس من رام نفعهم وإن كان ذا نقص خسيس المعائب
وإنّ أخسّ الناس من عاف شرّهم وإن كان ذا فضلٍ نبيل المواهب
تجارب قد زهدننى فى إخائهم وروّعن لبىّ بالأمور العجائب
وخلفنى فى العيش لا عيش رائقى وإن قيل إنّ الحزم حمد التجارب
فطوبى لمظلومٍ رأى العدلَ معوزا قضى أن فوق العدلِ صبر المحارب
هل العدلُ إلا خوف سرّ تعافه حذار العوادى من مهيب العواقب ؟

سفر اللؤم

حاولت منى بغضة لما نظرتَ إلىّ شزرا
إن الحياة أعم شـ ـراً من لحاظ منك تترى
فكأنها باب الجحيـ ـم تبين منه ما استسرا
الناسُ سفرى كيف أقـ ـلى نعمته لؤماً وشرّا
تُبدى وتنكر بغضةً ولشد ما أنكرت نكرا
لو باخ حرّ البغض لا نـ ـطفأت حياةٌ منك حرّى
فكأنما نارُ الحيا ةِ تشبّ من غلٍ وتورى
فلئن بلغت به الحضيـ ـضَ فميزة لك ما استقرا
فافخرْ بأنك الأم الـ ـثقلين حسبك ذاك فخرا!
فضلٌ خصصت به وكـ ـلُ خصيصةٍ عتد ذخراً

نـفْـسٌ بـقـيء المـرءُ إن جُليت فـضعْ للنفس سـتـرا
فـكـأنمـا زخـرفـت إذ ألبـسـت نفسَك منه قـبـرا
بيـرُ العـقـارب والأسـا ود بئـسـت الأرواح بئـرا
والمرءُ يغـفـر للمظلو م إذا تبـغّى منه خـيـرا
فـلـئـن أهـان خـليـلَـه لم يُلف للمظلوم غُـفـرا
إكـرامُـهُ المظلوم إقـ رار بجـرمٍ منـه أسـرى
جـرمٌ يحـاول سـتـرَه جـعل الشكاة لديه عـذرا!

ويل للشجى من الخلى

هل للجـوَى وقعٌ بقلبك رائق ترضـاه لى بعـادكَ المملولِ ؟
أم كنت معـروفاً بإكى فى الورَى فوضعت صدقى موضعَ التضليلِ !
أم أنت تكذب فى الحديث وفى الهوى إمّـا شكوت لواعجـاً لخليل ؟
فحسبت أن الخلقَ مثلك خادعٌ يحكي الهوي ببيانه المبذول (١)
خلتَ الأنين ترنّمـاً ، ولواعجى إفك القريضِ ، ومشتكًى لحمول (٢)
أنى اتهمت فصاحة كذبتها من ذا يعير فهاهة المفضول ؟ (٣)
فلـ لّ نى بعض الفهاهة شافعاً يأتى إليك بحجـةٍ ودليل
ياليت أنَّ الشعر ليس يجيده غـيرُ الشقىٍّ بلوعة المتبول (٤)
كـذّب ولوعى بالفضائلِ والنُهى وبكل أمـرٍ فى الحيـاة جليل
وارتبْ بصدقى فى المقالِ ولاتدعْ للشكِّ مسرَى فى شكاة غليل (٥)

---

(١) المبذول : المبتذل الركيك (٢) الحمول : الصبور الحليم (٣) الفهاهة : العى
(٤) المتبول : من تبله الحب فأسقمه (٥) الغليل : حرارة الحب أو الحزن .

أشقى الأنام من استريب بصدقه		في نحسه من مشتكي وعويلِ
أفئن رأيت على الطريق مبضعاً		ترجو له لو راح غير قتيلٍ
ولئن رأيتَ أخا السقامِ رحمته		وودتَ لو يلقاك غير عليل
أو ناحت الثكلى رثيت لرزئها		تبغي فداءَ وحيدها ببديل
وإذا اشتكى العافي الضريك بررته		وكشفت ضرّ المجتدى المخذول (١)
وتودّ لو تنفي الأذى عن أنفسٍ		راحت بجدّ في الحياة ذليلِ
رحماتُ نفسك قد وسعن منادحا		للكون غير فؤاديَ المعلولِ
ولأنت أبصر بالفؤاد ودائه		وألطُّ منك بثاكلٍ وقتيل (٢)
أفكلُّ حيّ منك أقربُ شقة		وأحقُّ بالرحماتِ والتأميل :
من عاشقٍ قد خبَّرتك لحاظُه		ما لم تخبرّ قبل عينُ خليل
فاقرن لحاظَ العاشقيك بلحظتي		واظفر لها من لحظهم بمثيل
هيهات فات الناظرين لواعجي		ومضوا بسؤر صَبَابتي وغليلي
الحبّ كونٌ لم تسعه برحمةٍ		ياويح حبّ ظلّ غير قليل
لو كان أمراً هيناً لوسعته		ورحمت قلباً منه غيرَ عليل
قد كنت أبغي منك سمعاً واعياً		فظللتُ بين اليأس والتأميل
وبعثت شعري موقظاً لك من كرًى		عن لوعتي ولواعجي وغليلي
تالله لستَ بمسعدٍ لي في الهوى		ولئن دعوتُ ببوقِ إسرافيل
لم يبقَ إلاّ أنْ أُنيم خواطري		كالطفل راحَ بحسرةٍ وعويل
تشدو له الظئرُ الرؤوم فينثني		طلقَ المحيّا ، قانعاً بقليل

(١) الضريك : الأحمق .

(٢) ألط : أي لصق ، أي أنك ألصق بالفؤاد منك بثاكل أو قتيل لا تعرفه .

لهفى لو أن القلبَ مثلُ وليدها — نسىَ الأسى وأصاخ للتعليل
لا يخدعنّك انْ بدوت تجلدى — ما ذاك إلا حيرتى وذهولى
ولكم ذخرتُ للقية لك ، قولةً ، — فإذا بدوتَ نسيتُ كلَّ دليل
وأودُّ لو أدعوك إمّا لحت لى — فأرد عنك بحيرةِ المخبول
لهفاً لصادٍ خيل غير محوّم — ولمقبلٍ قد خيل جدّ ملول
وبوده لو كنت أنت جليسه — فى ليلةٍ وصبيحة ومقيل (١)
ظفر الخلىُّ بُنهْزةٍ ما نالها — أحجى رعاة الحسنِ بالتنويل (٢)
إن الخلىَّ هو الجرىء على المنى — حيث الشجىّ لخيبة المخذول
حُرمَ الشجىُّ تصافيا وتدانيا — ومضى الخلىُّ بغاية التأميل
والصبُّ مسبوب ببادى حبِّه — حيث الخلىّ لعزة التبجيل
ولعلَّ مسعوداً أحقُّ بخيبةٍ — من عاشقٍ عفّ الغرام نبيل
جور القضاءِ وهل يجيرك غافلٌ — عن جوره بفطانةٍ وكفيل ؟

صحو ولا صحو

لقد أصبحت لا عتبا — ولا عذراً فيبتدرُ
وقدماً كنتُ إن أذنبـ — ـتَ مما جئتَ أعتذرُ
لأقرب منك بالغفرا — ن ، ذنبُ الحُسْنِ مغتفر
وفى الأعتاب لى وِردٌ — وكيف وهمّيَ الصّدَرُ
ففى الأعتاب لى عود — وذاك الصابُ والصبر (٣)

---

(١) المقيل : منتصف النهار

(٢) النهزة : الفرصة (٣) الصاب والصبر : المر .

وحـــــســــبى منك أنَّ الحـ ـب مــخـــذولٌ ومــعـــتكرُ
رعى الله البــــعــــاد لو ا نَّ صــبــراً عنك يقــتــصــرُ
أأحـــمـــده وهذا العـــيـ ـش قـــربٌ منك والـذكــر
وأخــــشى أن يكون المو تُ فـيـه ، منك لى خـبـر
فـمــا فى العيش لى منجى ومـــا فى الموت لى وَزَر [1]
وكـيف أصـيب لى منجى وأنت النفسُ والقـــدر ؟
نوازع نفـــــسىَ اللاتى تؤوب بهـــا لك الفكر
أغــرَّك مـقــول المتـبــو ل : أنت الشمسُ والقـمـرُ
إذا مـــا لجَّ بى وَلَـهٌ فــتـرب بقـيعــة دررُ [2]
ومـــا نفسٌ بأفطن من وليـد شـاقـه المدرَ [3]
الا غـــفــراً بنفــسىَ لا يماز الشهـد والصبـر [4]
فليس الذنبُ ذنبى بل هى الأرزاءُ والغــيَـــر
فكنْ فى ذروة الأكــوا ن حظٌ بمهجتى قصر
وكنْ حيث الحضيض فليـ س قولى ساقه الصعر [5]
ومـا أدرى سوى أن لسـ ت مَنْ قد كنتُ أنتظر
حـبـيبٌ وامقٌ جـاءت به الآمـالُ والذكـر [6]
بفـتْك غيــر من أبغى وأنت السمعُ والبصر
ولو أنى حسبـتكمُ جـلاكم حلمىَ العطر
رضيتُ شقاءَ نفسى إذ يهُون العيشُ والقدر
شـقـائى أننى أهوى حـبيباً غيره الوطر

---

(١) الوزر: الملجأ . (٢) البقيعة : قطعة الأرض . (٣) المدر: الطين . (٤) يماز : يفرق والصبر : المر . (٥) الصعر : الميل أو الكبر . (٦) الوامق : العاشق .

أتحسبنى أغار إذا | أتتك بآية غررُ ؟
وكيف أغار من فضلٍ | لغيرى شَامَه النظرُ ؟
أذلك سوءُ رأيك فى | ىَّ أم واشٍ فينزجر ؟
وهل ألفيتنى غرّا | بما أحسنت أفتخر ؟
جفاءُ الحسنِ منجبر | أسوءُ الرأيِ ينجبر ؟[1]
بودى أن تشيم الفضـ | ـلَ أجمعه فتبتدر[2]
بودّى أن تشيم النقـ | ـص َ لا يخفى له أثر
لكيما تعرف الواشين | ما أبدوا وما ستروا
وأقبحُ ما يرى حسن | برأى الخبٍّ يأتمرُ
فهل عّوذتَ حسنَك بالـ | ـخداع كلّه عَررَ[3]
لتدرأ حاسداً لكما | ل حسنِك لحظه شرر
وكلا إنه الخور | فأين الحزم والحذر ؟

العظيم

لمعاتُ رأيك مقلةُ العرفان | فاحكم كحكمِ الحقِّ فى البرهان
لو كنتَ قد أعطيتَ فى الدهر المُنى | أو كان ما قد شئت للحدَثان
لتعطلت سبلُ الشرور وبرّدت | وقدت قلبٍ للضريك العانى[4]
ومسحتَ بالرحمات آماقَ الورى | حتى تعودَ قريرةَ الأجفان[5]

(١) جبر الشيء : أصلحه (٢) تشيم : تظن أو تقدر . (٣) العرر : العيب أو الشر .
(٤) الضريك : الفقير (٥) الآماق : العيون .

من غـير أن يوبى الحياة ركـودها ... لفناءِ مـا دفـعـت من الحـدثان[1]
نزعـاتُ نفـسك رحـمـةٌ مـرجـوةٌ ... رحـمـات مـقـتـدر الأناة مـعـان
وجـلائلٌ تذر الحـيـاةَ كـأنـهـا ... خلدٌ يعـبّ بزاخـرِ الأزمـان
وعلوت عن حسدِ الحسود وربما ... حسدَ الحسودُ الشمسَ فى الأعنان[1]
هيـهـات مـا أسـر الحسود تكرم ... إنَّ التكرمَ وقـدُ غلٍّ الشـانى
وفضـائل ليست لغـيـر مجـرب ... إنَّ التجـاربَ حجـةُ الرجحـان
وأجلُّ خـيـرِ النفسِ بعـد بلائهـا ... فالعيشُ حربُ فضيلةِ الغفلان
وترى الفـرائضَ كالحقوقِ حبيبة ... أو كـالديون رهينةَ الإيمان
دَينُ الحـيـاةِ وربّ فـرض غـالق ... إلا لديك بمطلةِ الليـان[3]
وعـزائـمٌ تمضى الحـيـاة غلبَّـةً ... وخـواطرٌ كـمـلائكِ الرحـمن

الشمطاء الفتية [4]

قد بلوتِ الصروفَ فى حالتيّها ... ورمـتك السـراء والضـراءُ
ورأيتِ الأطماع كالطير صرعى ... ثم عـاد الرجـاءُ وهو غـشـاءُ
واحتسيتِ الحياة فيضاً وسؤرا ... فـإذا الذكـر والرجـاء سـواءُ
وإذا المقبل المرجَّى كـمـا فـا ... ت به الدهرُ والحثيث ضـراء[5]
وشـهـدتِ الأنامِ سلمـا وحـربًا ... فـإذا السلم والحـروب عناء

---

(١) أى تمحو الشر من غير أن يكون ذلك سبباً فى محو الخير وركود الحياة ، لانتفاء الفضائل التى فى محاربة الشر . (٢) أعنان السماء : نواحيها .

(٣) اللبان : الخلف (٤) يرثى الشاعر لوطنه فى عهود الاحتلال والجمود ، وقبل ثورتها وتحررها ، ويهيب بها إلى الانتفاض واليقظة (نشرت قبيل عام ١٩١٩) .

(٥) الضراء : المشى فى خفاء فهو من أجل ذلك بطىء . والحثيث : المشى السريع .

وإذا العـيشُ والسنونُ جـهـادٌ ليس يدرى أسبـابَه الأحـيـاء
إيه يا مصرُ ما تقضى جمال ترتضـيـه الآمـالُ والأهواء
الليالى التى عهدتِ حسان والسماءُ التى عهدت سماء
وذُكـاءُ التى أطلّت على مجـ ـدك دهراً على القصور سناء
وجرى النيلُ فى أديمك قدما يتـهـادى كـأنّه الحسناء
فانشرى أهلك الذين تقضوا إنَّ عيشَ الباقين منهم فناء
فكأنَّ الأطماعَ والسعى فيهم عبثٌ غيرُ نافعٍ وعناء !
سحرتك الأيامُ يا مصر أم نو مك قد طار عنه الرجاء !
الغليلُ الذى عهدتِ مقيمٌ فى نفوسٍ كما عهدت تشاءُ
أبغضينى أو أحسنى ، أنتِ أمٌّ برّها لو تعق ولداً قضاءُ
لك منى الغديرُ فى نومةٍ ، من بعد جهدٍ قضى عليه العفاءُ
نصبٌ خالدٌ وأعظم منه اعتقاد تزيده الأرزاءُ
ورجاءٌ هو العبادة ، وإلا يـ ـمانُ درعٌ يرتد عنه الفناءُ
أبغضينى إذا هززت مناماً عطرّته الأحلامُ وهى رُخاءُ
مثلما يبغض النئوم المسجى موقظاً إذ يُماط عنه الرداءُ
مللٌ قد عراكِ من عنتِ العيـ ـشِ ، بلاءٌ أن الطماحَ بلاءُ
قد كرهت الرجاءَ والذكر طراً إن بالذكر تارقُ الشمطاءُ

قد سمعت الذى نقول قديما ... وتقضى الدعاء أين الدعاءُ ؟
دعوة بعد دعوةٍ من صروف الـ ... ـدهرِ لبيتها وعادَ النداء
إنْ يكنْ باء بالزمانة من أهـ ... ـلِك رهط كأنهم أشلاء
أو عناكيب عيشها ورداها ... يتقاضاهما بليلٍ قضاء
أبغضينى فليس ذاك ببدع ... آه لو جرَّ نفعك الشهداء!
غرّك المرجفون ميناً وحقداً ... وحمانى عن قلبك الجهلاء
لم أقصّر فى دعوةٍ غير أنىّ ... خَذلَتنى مسامعٌ صماء !
ليس إلا الأحقاد يبعثها العجـ ... ـزُ وغلٌ يعدو به السفهاء

بعد عشرة أعوام

إلى حبيب غاض جماله

يا أليفَ الصبا عليك سلامٌ ... أين تلك اللوعات والآلامُ ؟
أين وردُ الخدودِ كالجمر يذكى ... حرقلت يشقى بها المستهام ؟
أين قدٌّ ينقد من دونه القلـ ... ـبُ ويطغى عليه منه الهيام ؟
وثنايا مفلجات عذاب ... هن رىٌّ للمستقى وسلام
أين مدُّ الشفاه من عَبَث الد ... لٍّ وثغرٌ يبلّ منه الأوام ؟
واختيالُ الطاووسِ يافتنةَ الطا ... ووس يورى الهواء منك ابتسام
أين غمزُ اللحاظِ والكف واللفـ ... ـظ ، وأين العهود أين الذمام ؟

أين ذاك الضـــحك المرنُّ الذى حـ ـرّك قلبى كــــأنّه الأنغـــــامُ ؟
أين ســحـرُ الحـديث واللحظ والد لّ ، وســحـــرٌ تحـوكــه الأوهام ؟
نشرت عنك كـالثـمـار وقـد هـ ـزتك ريح والغـصن منك القــوام
أين خـصرٌ يهـتز كـالغـصن اللد نِ ،وقـدٌ يهـوى عليـه الحَـمـام ؟
إذ ذراعى نطـاقــــــه ونطـاق الـ ـجـيـدِ منّى مـا تضـمـر الأكـمـام
ولقــــاءٌ كـــأنه رشــــفـــة الطيـ ـر وهـجـــــرٌ كـــأنّه الأعـــــوام
واختـيـالى على الزمـان بعطفٍ منك والحـــاســدون بُلهٌ نيـــام
أين أين الوشـاة والوصل والهـجـ ـرُ وأين الآمــــالُ والأحـــلام ؟
يا أليفَ الشبابِ هل تذكر العهـ ـدَ وحـــولى وحـــولك اللوّام ؟
أسىَ القلب منك للغـــابر الفـــا ئتِ من حـــسنك الذى لا يذام
أم نسـيـت الدلأل والـمُـلك والدو لة إذ أنـت آمـــــرٌ وإمــــــامُ؟
لنقـيـمن مـأتمًا حـول حـسنٍ اسـتـوى الصـمـتُ دونه والكلامُ
ثـم أكـســـوه من قـــريضىَ زهـراً مـــثلمــا حـــببٌ الزهورَ الرجــامُ
مـــثلمـــا جَـمَّل الأزاهر بيـــتــاً هـدمــــتـــه الأحـــداث والأيام
ذائعٌ حـــــولـه من الحبٍّ نفـح كـالشـذى والجمـالِ زهر يشـام
وكـــأنَّ الهـــيـــامَ هالةُ بدرٍ فـيـه وجـه الحـبـيبِ بدرٌ تمام!

سم الخسة وسعار الغرور

لو أنَّ كلبًـا عــضــه فى جلدته لمات كـلبٌ عـضّـه من خســتـهْ
وثائرٌ لطبــعــه الخــســيس من كل خلقٍ رائقٍ نفــــيس

وغـــافـــرٌ لنفـــســـه الجـــريرة ويأخـــذ الجليسَ بالصـــغـــيـــرة
وقلبُـــهُ جـــهنمُ الأحـــقـــاد وإن بدا فى الصـمـتِ كـالجـمـاد
إن رعـتـــه بجـانـب الـهـــجـاء لقـــيـت منه جـــانبَ الرجـــاء
فـــإن تلن ألفـــيـت جـــدّ نابى أو رمت منه صـــفـــوه فـــآبى
فـعـيـشُـه ونفـسُـه بضـاعـة وخلـقُـــه وودُّه رقـــاعـــة
إذا شـــهـــدت أمـــرَهُ فـمـادح أو غـــبـت عنه طرفـــة فـــقـادح
ولؤمـــه فى طبـــعـــه ديانة وعـيـشـه لصـحـبـه خـيـانة
طريد أهل الموتِ والقـــبـــور مـــشـــرداً من ثقل الغـــرور
مـــفـــاخـــراً بعَـــبثِ الكلام كـــأنما يهـــذى من الأســـقـــام
ويدعى من ســـفـــه نجـــابة وهو ضـئـيل الشـأن كـالذبابة
ووجـــهـــه من رقـــعـــةِ النعـال أو قطعـــة من أَخْـمَـصْى بلال
تخـــاله مـــزدرداً ثعـــبـــانا أو مـــاضـــغـــاً فى شـدقـــه أتانا
وعـــقلهُ كـــصـــررِ الأطفـــال تجـــمع بين التـــرب والنمـــال
ياصـافـعـيـه صـفـعـه مـبـرور وعـــملٌ فى خـــيـــره مـــشكور
إذا اشـــتـكى ممن شكاه أمـــرا كـــالهـــرّ أو كـــالكلب إمـــاهرا
إن قطع الغلمـــــان من آذانه يصـمُّ أهل الدار من جـــيـــرانه
يثـــأر من آذانهم لـســـمـــعـــه إذ ذاق مـــر فـــقـــده بقطعـــه
جـــــدّ به فى أهلـه الدلال (والقـــرد عند أمـــه غـــزال) !

قربان القلب

لا تخـجلن إذا علمت مـحـبـةً ... تحكى الصـلاةَ وتشـبـه القـربانا !
هل أنـت تخـجل أنَّ ربك راحم ... يهوى الجمالَ ويعشق الإحسانا ؟
أم من أب يحنو عليك مدافـعًا ... يهـوى لنفسـك فى الزمان أمـانا ؟

أذناب الخسة

ياعـا ئبـاً نفـسـه عندى بلا خـجل ... ذهبـت تـقـــدح فـى نـاءٍ بلا وَزَرِ
كى لا أصـدق فى قـولٍ تعـاب به ... وإنْ أتيـتُ بمـأثـور من الســور
مـا زلتُ أرجو لهذا الناس منصلحاً ... على استـفـالك فى لؤمٍ وفى نـكر
فـربما فـقـد الإنسـان خـسَّـتـه ... مـثل افـتـقـادك للأذناب والـوبر
يرى الحليم أخسَّ النفس إذ رفـعت ... عنهـا الرياءولم تقـصـده بـالحـذر

حقوق الفرائض

الحقُّ مـثل الشـمسِ يشـرق نورُها ... لتـغـايـر الألوان طىّ شـروقـهـا
وبلوغ أفق الفـرض يظهـر غـيـره ... أقـصى سـمـاءٍ تطبى لسـحيـقـهـا
فـذر الحـقـوق إلى الفـرائض إنهـا ... لذات مـعـبـود الخصـالِ عـريقـهـا
لـن يبـلغَ المرءُ العـلا بحـقـوقـه ... إلا إذا بلـغَ العـلا بحـقـوقـهـا !

درسى من الطبيعة - اللينوفر

زَهرٌ يعـبـد الشـمـوس فـلا تخـ ... ـدعــه لمعــة تضىء ســواها
يتـبـع الشـمـس لحظه أين دارت ... ويرى الضـوءَ حليـة وإلـهـا

غـيــر أنّا نرى الرياءَ كـمــالا ... ونرى الطهــر خـدعـةً وسـفـاها
هـل رأيـت الرياضَ وهى ظـمـــاءٌ ... ضلةً تحـسب الـسـرابَ مـيـاها ؟

نوح الحفيف

يا حفيفَ الغصونِ هل أنت تحكى الـ ... ـنوحَ أم أنـت مـشـبــه للغناء ؟
أنت قلب الأديبِ يشـدو ويبكى ... كـدمـوع الندى وقطر الـسـمـاء !

محارب الخرافات

نقـضـت خـرافـةً لتـشـيـد أخـرى ... وخلتَ الحقَّ أجـمـعـه مـشـيـدا
كـهــادم شـامخ الـعــرنين سـامٍ ... لـيــرفع عنده جــبــلاً جـديدا

يهوذا

لستَ من عــبــاد عــيــسى ... لا ولا تـعــــبــــد بـوذا
أنت فــيــمـــا جـئـت من عـ ... ـبـــاد ذى الخـبّ يـهـــوذا !

البطل

ترمى الحـوادث بالظلال أمـامـهـا ... فـيـرى خُطى الأمـر الذى هوآتى
حــتى كـــأنّ الـدهـرَ فى آباده ... يلقـــاه بين عــشـيـــة وغـــداة
كـشف الزمـانُ لك الخـفـيَّ وقلمـا ... يعـــصى المذلّل نافـــذ النظرات

سحرُ البصيرةِ رائضٌ ومحكم | بلواحظ للرأيِ مقتدراتِ
وخواطرٌ لك فى الأنام تجيلها | تجلو الشكوكَ وتبلغ الغايات
يا حكمة فاه الزمانُ بسرِّها | من بعد طول تصامٍ وصمات
فاه الزمانُ فكنت أصدق منطق | والناس أصداء بجوف فلاة
شتّان بين صدى يردد ضلة | ومقاولٍ مرضيةِ الأصوات
نظر الأنام الدهر فى أعقابه | ونظرتم الأيام فى الجبهات
ورموا مساعى المجد فى أقدامها | ورميتم المسعاة فى الهامات
بعزائم للشر تنقض أمره | وعزائم للخير مبتدرات
أفعال من صحت سريرة صدره | لا يعقد التدبير بالخدعات
إنَّ العظيمَ إلى الصراحة ينتمى | والغمر للتدليس فى الغفلات
سيرٌ كما شاء الكمال وضيئة | مثل الهداة وآية الآيات
والدهرُ ليلُ المدلجين ومجدكم | وفعالكم فى الدهرِ كالمشكاةِ (١)
ومعاقل النعماء إنْ هى أعوزت | كنتم معاقلَ منعة ونجاةِ
لا يصلح التدبير إلا أروع | ينأى به عن ضيعةٍ وشتاتِ
أعبقت فى الأيام أزكى نفحة | وخلعت من أردانها عطرات
والفضلُ مثل العرفِ يحيا نشره | بنسائم العبقات والنفحات (٢)
ترمى إلى الغرض البعيد بعزمة | تصميه بين تمهل وأناة
هيهات ما جاد الزمان بمثلها | عقم الزمان بتلكم الحسنات
فكأنها قد جمّعت لموفقٍ | من سالف الآبادِ والحقبات
لاتصلح التدبيرَ إلا أنفس | الحق يغلبها على النزعات

(١) المشكاة : ما يوضع فيه المصباح (٢) العرف : الرائحة الطيبة

إنَّ المقـــادرَ تنتــحـيك لأنهـــا
ريضت لديك بحكمةٍ وحصاة [1]

كـالخـيل تعـرف رائضـاً ومـذللاً
عند اقتعاد السرجِ والصهوات

يا راكب الأيامِ تجـرى تحـتـه
مـأمـونة الخطوات والعـدوات

العـقل أغلب والحـزامـة والنهى
بموفق فى العـدل والرحـمـات!

فى فكـه

ارفق بنفسٍ لك مـزّاحـة
لا تفلتن فى مزحةٍ شاردة !

واطوِ مـزاحـاً ليس ذا وقـتـه
فصـيـفـه أيامـه عائده !

كـانون أم قطب الثـرى أم أعـا
لى الشمّ أم أنفاسك الجـامـدة ؟

بردت حـتى صـرت ذا وقـدة
يا ثلج تكوى نارك البـارده !

والشيءُ إن أربى على حـدِّه
صـفـاته عن طبعه حائده !

فى شاب يدعى الفكاهة والظرف

ثقلت على النفوس فكنت سداً
وفـقـت سـوائلَ الأرواح بردا

فكلْ ناراً ولا تطعم سـواهـا
لـعـلّـك أن تحـبَّ وأن تُـودا

وكـلا لا تذق جـمـرات نارٍ
فـتـشـعل منك أضغاناً وحقدا

كـذاك الغـاز يخـفى منه جِرْمٌ
فـإن أجّـجت نيرانا تَبـدَّى

سـيظفـر منك إبليس بنفسٍ
تقـاطر من مخـازيهـا وتَنْدَى

---

(١) الحصاة العقل والرأى .

ويغسلُ بعدها يده بحمضٍ ويحرق حولها عوداً وندا
وإن النار تمحو كل نتن سوى نتنٍ عمدت إليه عمدا
لكان القردُ أكبر منك شأناً لو ان بجلده صلاً وقردا
ولو قول وجيع الذمّ مُرٌّ أريق على قفاك لعاد جمدا !
وعقلك مثل قطب الأرض فيهاً حكى أقطاره ظلما وبردا !

مر العمر

إن تباطأ ساعة طرقت فبما قد أوقرتّ حزنا
كم عدوتُ العمر منتهبا خلت أنيّ أسبق الزمنا
عدو أحلام أقاربها أججت من عوديَ الغصنا
أتبغّى العمر من أمَم فكأنى هارب جبُنا
يا بطىء العمر من وسنٍ قد هنيت السعدَ والوسنا
لهب الأطماع فى كبدى آض وخط الشيب والشجنا
كم خليل قد وثقتُ به عابىء فى خفةٍ إحنا
وحبيب كنت آمله لم أصب فى خلقه حسنا
نحن والأيام تنقلنا ونعيٌّ الموت ينذرنا
كرهين السجنِ مرتقباً قاتلاً يغتالُ من سُجنا
رقبتى للموت آن لذى لهفة أن يدرك السَكَنا
لا جديدٌ فى الحياةِ ولا أمل يجلو لى المننا
وأعدّ العمر إن دلفت ساعةٌ ألفيتها محنا

وهى بشـــرى الموتِ إن نفـــدت ... قـلـت : لـيـت الـدهـر زايـلـنـا
أغـــريم ذا الحـــمـــام فـــمـــا ... بـالـه بـالـســـعـــد يمـطـلـنا ؟

قصة هزّ الانوف

لقــد جـاء فى الأخـبـار أن مملكاً ... حمته العوالى والسيوف الشواجرُ
رأى فى يسـير الظلم خُبراً لخـابر ... فكان قــضــاءً أن تهــزَّ المناخــرُ
صباحاً إذا ما الشمس ذرّ شعاعها ... وليــلاً وفى وكـر الكرى منه طائر
ومن لم يرد فى يومــه هز أنفـــه ... مطيـعـاً تولتـه الـسـيـوفُ البـواتر
فقال جبان القوم فى الحزم عصمة ... ومن ذمّ شــراً أزعـجـتـه المقــادر
ومــاذا على مَن هزَّ ياقــوم أنفَـــه ... مطيـعـاً إذا لم يعص مـا سنَّ آمـر
فلمـا رأى الطاغى هوادةَ صبـرِهم ... أطلّ عليـهم جـارح منه كـاسـر
فـــقـــام إليـــه ناقمٌ هزَّ أنفـــه ... وقـال وقـد مـدت إليـه النواظر :
إذا نحن طامنَّا لكل صــغـــيـــرةٍ ... فـلا بد يومـاً أن تسـاغ الكبـائر !

تم

الجزء الثامن

ويتضمن القصائد التى نشرها الشاعر
فى الصحف والمجلات بعد عام ١٩١٩
ولم تجمع من قبل فى ديوان خاص

الطبعة الأولى للجزء الثامن

في ديـوان خـاص

عـام ١٩٦٠

الطفل[1]

من عالم الروحِ وهو الخلدُ والقدم ... وكان بالأمس يطوى جسمه العَدَمُ
سرُّ الحياةِ وسر الموت ما برحت ... تطويه عن فكرٍ هَمت به الظُّلمُ
يُطلُّ من عينه معنى يزاوله ... معنى التفهُّم لم ترصَدْ له كَلِمُ
وحيرةٌ هى بعض اللبِّ يبرزها ... صفوٌ من العين لا خبّ فتَنْكتِمُ
صفو الغرارة أبهى ما رأي بَشَرٌ ... ما رنَّق العين لا شر ولا ندم
ولم تَشِبْهُ تجاريب الحياة بما ... يدجو له اللحظ والأفكار والشِّيم
ضعف الوليد وهل فى القلب مبتعِثٌ ... نَبْعَ الحنان كضعف ليس يُتَّهمُ
لأىِّ أمر بدا يفْترُّ مبسمه ... وما حباه بزعم الأشْيب الفَهَمُ
وكلَّما بَدَرَت للشرِّ بادرة ... قلب المسنِّ لها حيران يضطرم
يودُّ كل رجيح العقل مكتهل ... أن لو يعود وليداً أمره أمَمُ
وليس يبصر أن الشَّر مُقْتَبَلٌ ... يعود منه إليه الهمّ والهرم
لكنها مهلةٌ للقلب ينْشُدُها ... حيث الصفاء وعيْش ماؤه شبم
فلا عداءٌ ولا مكر ولا حِيَلٌ ... ولا حقودٌ ولا غدرٌ ولا جُرُمُ
حيث الحياة كبيت الله طاهرة ... لدى الطفولة وهى المعبد الحَرَمُ
أو جنّة الخلد لا إثم لساكنها ... وما تجاوز ذو عجز ومُجتَرَمُ
إنَّ الأزاهر والأطفال ما اجتمعا ... صنوان والحسن فيها طهره عَمَمُ

---

(١) نشرت بمجلة الهلال فى عدد أول أغسطس ١٩٣٢ بتوقيع ع . ا . ش . ثم بمجلة الرسالة عدد ١٤٩ فى ١١ مايو ١٩٣٦ بتوقيع الشاعر كاملا .

مـرأى يُطهّـر مـا بـالنفس من دنسٍ | حـتى يعـود بهـا والخـيـر مُـغْـتـنَمُ
كـم ناقـمٍ سلّ منه الطفل عــادية | من الضـغـائن إذ يرنو ويبـتـسـم
قـد يحزن الزهرا إذ يَذْوى أمن شبهٍ | بمصـرع الطفلِ رائيـه له يجِمُ
ما أعظمَ الفقدَ لو أن الورى خُلِقُوا | خلق الرجال وكالأطفال ما وسموا
لما تَمَلّى أناسٌ طهْـرَ مـا فـقـدوا | ولا أحـبـوا ولا أحنوا ولا رحـمـوا

شهداء الإنسانية[1]

مقـدمة :

شهـداء العـلـم والإصلاح يزدحمون عـلى باب الحيـاة ويسألون كل هـالك : هل تحقّق الخير الذى بذلوا حياتهم من أجله ؟ فتدركه الحيرة ! أيكذب كى يدخل على قلوبهم الاطمئنان ، أم يصدق فيفجعهم فى آمالهم ، أم يغريهم بالصبر الطويل كصبر الأحياء على الشر ، أم يُغريهم بالعودة إن استطاعوا إلى كفاح الحيـاة . وإذا استطاع أن يُعزّى الشهداء الموتى فماذا يقول للشهداء الأحياء ؟ :

الناظم

* * *

على باب الحـيـاة أرى زِحـامًـا | من الأشـبـاح عجّ بهم وسـالا
من العـهـد القـديم إلى زمـانٍ | حـديث قـد مَضـوا زُمَـرًا تَوالى
هُمُ ضَـحّوْا بهـذا العيش كـيـمـا | يطيبَ العـيشُ للأحـيـاءِ حـالا

(١) نشرت بمجلة (الرسالة) – عدد ١٠٩ فى ٥ أغسطس ١٩٣٥

إذا مـــا هالـك الْفـــوهُ ظلّوا		على شغف يُعيدون السؤالا

* * *

بربّك هل مضى قــدرٌ بشـــرٍ		وخُبثُ النفس هل أودى وزالا ؟
وهل جَفَّت دمــوع الناس طُرّاً		وهل بلغوا من العيش الكمالا ؟
وذلّ الجوع هل قــد زال عنهم		وكان سوادهم هَمَلاً مذالا ؟
وجَهْلٌ يغتدى بالناس بَهْماً		يُصرّفها يميناً أو شمالا
وهل غلبوا من الشهوات ما قد		عدا سلطانه فيهم وغالا ؟
أصار العيشُ من مِقَةٍ وأمن		وكان العيش لؤما واقتتالا ؟
أعاد العيش عدلاً واعتدالا		وكان ا لعيشُ مكراً واغتيالا ؟
بربك لا تقُل إنا غُبِنّا		وإن هزئ الحِمَامُ بنا وصالا ؟

* * *

أيفجعهم بآمالٍ عِزَازٍ		وما نال الردى منها منالا ؟
يقول لهم : لقد رُمتم خيالا		وأسديتم وضحّيتم ضلالا
أيسكت والسكوت له معانٍ		أيخدعهم وما ألفوا احتيالا ؟
أيغريهم بصبر مثل صبر		لدى الأحياء دام لهم وطالا ؟
أيَأسَى أنّ مَوْتى لم ينالوا		من العرفان ما يرعى نوالا ؟
أيُغريهمْ ببْخع النفْس يأساً		إذا اسْطاعوا عن الأخرى انتقالا ؟
أيسخر أنهم - وهمُ رفات -		أبوْا للعيش سقماً واعتلالا ؟
فيا عيش الورى ماذا تراه		يقول لهم إذا ألْفَى مقالا ؟

* * *

يقول لهم : إذا اسْطَعْتم فعُودوا دفاعاً للنوائب أو صيالا

إذا الأحياءَ لم يرعوا عهوداً لأحياءٍ فلا تشكوا انخذالا

* * *

يقول لمعشر الأحياء منهم ليقضوا العيش صبراً أو نزالا

أيفدح أن تقاسوا العيش نحساً ليُسعد بعدكم صحباً وآلا

وكم من نعمةٍ لولا شقاء قديماً لم تكن إلا وبالا

فكم خبر الأوائلُ من شقاء فنلنا من شقائهمُ نوالا ؟

العصر الذهبى(١)

مقدمة :

أولع الناس من قديم الزمن بالتفكير فى عصر الإنسانية السعيد : عصر الخير العميم الشامل ، فبعضهم كان ينشده فى الزمن القديم ويبكى انقضاءه ، وبعضهم ينشده فى المقبل من العصور يُدنيه رقى الإنسان . وكثيرًا ما استخدم شعاره أهل الحرص لنيل أطماعهم واقتياد الناس لاستثمارهم واستذلالهم . وكثيراً ما علق الأذلاّء بكماله حتى إذا تحكموا ساروا على نهج الطغاة ، وهو مثل عال ، ولا تحلو حياة الإنسان إلا به . ولئن صدق ما يقوله بعض المفكرين الذين يزعمون تحققه نذير الفناء ، فمرحبا بالفناء يكون نذيره الخير والسعادة الشاملة والمثل العالى ، وقد لايصدق تشاؤمهم .

الناظم

عصرَ السلام تحية وسلام خلعت عليك رجاءها الأقوام

---

(١) نشرت بمجلة (الرسالة) – عدد ١١٠ فى ١٢ أغسطس ١٩٣٥

من كل عصرٍ فى نسيجك لُحمة	ألأجل صنعك تدلف الأعـوام ؟
إمّـا دنوت ومـا عـهـدتك دانيـا	عَـــفّى على نقص الأنام تمام
نسـتـقـبل الأيام وهى كـوالح	مـسـتـبـشـرين إذ التـمـام إمـام
خالوك فى الماضى – ولم تك ماضيا –	إذْ زان منهُ البُـعـد والأوهام
ويرون فى غـدهم سـراباً نائيـا	فـيطول نحس العـيش والإجـرام
تتـغـيـر المُثُل التى شـاقـتْـهم	تتـبـدّلُ الآمـالُ والأحـلام
حسب الورى من حُسْنِ عهدك قدوة	عليـاء مـا إن شـانهـا استِبْـهَـام
مـا فـاتهم طبّ الطبـيب وإنما	تتـبـاين الأرواح والأفـهـام
ولأنت فى سير النفوس إذا صَفَتْ	يدنى إليك البـرّ والأكـرام
عطف النفوس على النفوس ولن تُرى	أبداً ، ونفس فى الأنام تضـام
هيـهات يكرم فاضـلاً ذو خسّة	أو يغـفـر الجـانى شـآه كـرام
اسْـتَـبْطَأُوك وأنت بين جنوبهم	وتـنـظّـروك ودأبـك الإلمـام
ورأوك فى الدهر البعيد ولَوْ دروا	أنْ لو أرادوا كـان منك لِمَـام
لرأوا مـشيـئتهم تُشاء ولا تُشا	هامـوا وتحسب أنهم مـا هامـوا
ومن المشـيـئـة مـا يجئ فـجـاءة	ليـستْ تُجـزّئ أمـره الأيـام
ونأى بهم عن وِرد خيـرك أنهم	للحـرص حـادٍ بينهم وزمـام
أمـبـاغـتـاً بالخـيـر بعـد تمنّع	حبُّ الأنام لعـهـدك استـقـدام
ولقـد يَنُوب أخـو المجـانة بغتـة	من بعـد عـيشٍ كلّه آثام
ويتُـوب هذا الخلق من شـرٍّ ومِنْ	إثم فـتـحـمـد خـيـرك الأيام
كم فتنة أجّجت نار جحـيـمهـا	شـوقـاً لعـهـدك والأنامُ حُطامُ

وشـعـار حقّ كم غـدا أحـبـولة أثرى بحـقك فى الأنام لئـام
وإذا العـبـيـد تحكمـوا فى فـتنة سـارُوا على نهج الظلوم وضـامـوا
أتَرىَ العَـبـيـد ببـابل وبطيـبـة اغـرتْهم بـكمـالك الآلام
لو أنهم ملكوا لعـافـوا مـسلكا يُدنى إليك وطاشت الأحـلام
ولطالما حنّ اليـهـود لشـرعـه ودعـا المسيح لهُ وريـم سـلامُ
وتنظّر المهـديَّ قـومٌ أمَّلوا ركْـبـاً له يحـدُو به الإسـلام
ثار الفـرنسُ وخـيـرهم يبـغى له عـهـداًتَدين لشـرعـه الأحكام
يبكى ويعتنق الغـريب مـبـشِّراً بالشّـر زال وبالكمـال يشـام
مـا زال شـر - لا - ولم يمهـدْ به نهجَ السـلام الحكمُ والحكام
أنّى تكون وفى الأنام تفـاوت أُسْـدٌ لهـا فى الصّـاغرين سـوام
غـرٌّ وذو مكر فلست بكائن حـتى تَسَـاوى فى الأنام الْهَـام
فمتى يدينُ لسنةٍ لك جمعُهم ويراك خـيـراً شـرّهم فـتـرام
لا يصـدقُ الكهـان إنْ هـم انبـأوا بدوام مـا لم يُلْفَ فـيـه دوام
كم من عهود كان يحسب أهلها انْ زلّ عنـهـا النقضُ والإبرام
نسِيَ الأنام عـهـودهم فعُـهـودهم أقـصـى وأدنى منـهـمُ الأوهـام
فَقَـدَ الأنامُ صـفـات أجـداد لهم وتحـولتْ وتبـدلتْ أجـسـام
والطبعُ فى غـدد الجسُوم فعلُها يومـاً تصحّ فـلا يكون آثَام
وتعود من فرط الصفاء حياتهم ذهبـيـةً أيامُـهـا والعَـام
خيرٌ مَرَى الحرصُ الخسيسُ اقلّ من خـيـر لديك تروده الأحـلام
والنحس عدوى ليس يُقْصِى شرّها إلاَّ التـضـافـر شـادَه الأقـوام

كذبوا فما أبقى التقاتل بينهم ... إلاّ الضعيف وقد قضى المقدامُ
خلفت فى سير النفوس مباهجاً ... وتجمّلتْ بجمالك الأيامُ
كَغناءِ حَادى الركب رفّهُ عنهمُ ... نغمَ النشيدُ ونعمت الأنغامُ
حلم هو المثل الأجلّ ، وإنّهم ... لولا مثالُ كمالك ، الأنعامُ
ولعلّ عمرَ الشرٌ ليس بدائمٍ ... ينمُو سناك فينْمحى الإظلامُ
قالوا : إذا ما جاء خيرا كُلُّه ... لم يبق خيرٌ فى الحياة يشامُ
لولا جهادٌ فى الشرور تعطلت ... سُبُل المكارم واستنام أنامُ
إنْ لم يكن نقصٌ ففيمَ رجاحة ... وبضدّها تتميّزُ الأقوامُ
لا يطعم السعدَ الشهىّ وشُهده ... مَنْ لا تروُدُ فؤادَه الآلامُ
والوَهَن يسعى للفناء دبيبه ... إن لم يَكُنْ حذرٌ وعمَّ سلامُ
لغز الحياة وليس يفهم لغزها ... بين الأنام مُفَهَّمٌ علاّمُ
والشرُ أَهْوَنُ بعضه من بعضه ... فاطلب كمالاً كىْ يقلّ الذامُ
أهلاً بغائلة الفناء نذيرها ... عهد يشوق سلامُه وتمامُ
إنْ لم يصحّ العيش إلا أن ترى ... شَرْعَ التنافس فى الأنام يقامُ
فعسى التنافس فى المحامد ينثنى ... طبعاً وإن قيل الأنام لئامُ
يدنو إذا بطلت ضرورة كائدٍ ... يُزْجَى بها رزقٌ له وحطامُ
إن نال كلٌ مطمئناً رزقَه ... فعلام لؤم للورى وخصامُ ؟
دين التنافس فى ا لمكارم ربّما ... أنماه نصح فيهمُ وحسامُ
فترى الورى دينَ الورى وصلاحهُم ... فرضٌ يدين لشرعه الأقوامُ

الشــبـاب[1]

مقــدمـة :

مستقبل الإنسانية رهنٌ بطموح الشباب إلى المثل العليا ، وعزوفه عن حقيرات الأمور ، وإبائه الضيم للنّاس ولنفسه ، وبألا يقنع من الحياة بما يرى ، وبأن يحاول أن يبلغ من جليلات أمورها البعيد الداني إلى قلبه ونفسه وبأن يحاول أن يقهر طاغوت الأمور وجبروتها ، وأن يستنقذ الدهر من عبث العابثين الذين جعلوا الحياة مهزلة رخيصة ومأساة وضيعة .

(الناظم)

إنَّ الشـبـاب حـديقـة الأزمـانِ عَـطِـرُ الـروائـح نـاصـع الألـوانِ
مـثلُ الربيع إذا جَلَوْتَ بسـحـره نَوْرَ الربى وأطايب البـسـتـانِ
روحٌ من الفـردوس يُشمل نَشْرُه تغـدو الحـيـاةُ به رياضَ جنان
مـا راعـه حُكْمُ الحِمـام وصَوْلُه إنَّ الشـبـابَ من الخلود لَدانْى !
لا اليـأسُ يضنيـه ولا جـزعٌ إذا كَـثُـر العِـثـار وزلّت القـدمـان
ينسى الذى يمضى لينشد مقبلاً مـسـتـأنفـاً للعـيش بالنسـيـان
ولو انّ رفـضـاً للقـضـاء يذيقـه كـأسـاً تذيب القلب من ذيفـان
والشّيبُ بالتسليم يكسر سمّها حـيـث الشـبـاب لِغـرّةِ الأسـوان
وهو المغَـامـرُ فى الحـيـاة بنفسـه نشـوان لا من خـمـرة النشـوان
نشـوان من خمـر الحياة وكـأسهـا تغنيـه عن نشـوات بنت الحـان
فـكـأنما فكَّ الزمـانُ قـيـودَه عنـه ومـا للدّهـر من سلطان
ويَصُـوغ من أحـزانه نغـمـاً له فـكـأنّـه خِلْـوٌ مـن الأحـزان

(١) نشرت بمجلة (الرسالة) – العدد ١١١ فى ١٩ أغسطس ١٩٣٥

يسمو إلى الغرض البعيد طموحه ويردّ خطْبَ الدهر بالإيمانِ
مُتحصّنٌ منه بأمنع معقلٍ متكفّل إيمانُه بأمانِ
ويكَاد من فَرْطِ الهناءةِ والهوى يَدَعُ الثّرى ويهمّ بالطيران
والشيبُ يرسب فى الحضيضِ تخلفا وترى الشباب كذرورة الأكوان
ما أرّقتهُ ذكرة من أشيب جمّ التردد خطوهُ متدانى
وله على إدبار دهرٍ عزةٌ تنأى به عن ذلةٍ وهوان
كِبْرُ الشباب ولا اعتداد مُسَوَّدٍ بالجاه والأجناد والأعوان
إنْ كان صعلوكاً فليس بخانع فكأنَّه ذو التاج والإيوان
إنّ العزيز هو العزيزُ على الصِّبا والشيب مهما عزّ ذلّ جَنان
ذلّ الجَنَان لوهن جثمان ولا ذلٌّ كذلّ الوهن فى الأبدان
ورث المراح ذخيرةً لمبذّر خالَ الحياةَ رخيصةَ الأثمان
لذّاتُه دَيْنٌ يؤديه إذا حلّ المشيب وهدّ من جثمان
تتعادل اللذات فى ريعانه ولواعجٌ للشّيب فى ميزان
عهدُ الصراحة والمروءة والندى وتألّف الخلاّن بالخلاّن
عهدٌ المحبةِ والإخاء وربما تُلفيهما فى القلب يمتزجان
عهد إذا طلبَ الكرى لم يُعيِه وكرى المشيبِ مؤرّق الأحزان
عهد الصِّبا عهدُ المنى فإذا مضى لم يبق إلا مُرُّ سُؤْرِ دنانِ
وتكادُ ذكراه إذا فات الصَبا تحْيى الصّبا وترد غرب زمان
أطماعُه علويّة ، أحلامُه ذهبية الآمال كالعقيان
عهد الصيال ولا صيال لأشيب هابَ الحياةَ وصولة العدوان

والخطبُ أن يهوى المشيب بصائلٍ ... ما كان يخشى جولة الحدثان
حتى تراهُ بالحياة مُروَّعاً ... قلق الضلوع مؤرّق الأجفان
والخوفُ طبعٌ فى المشيب وقلّما ... تلقى الشباب على غرارِ جبان
ولربما جمحَ الشبابُ بسادرٍ ... عَبَدَ الحياةَ عِبادةَ الشيطان
ولربما عَبَدَ الحياة أخو النهى ... كعبادةِ لله والأوطان
قالَ المشيبُ وربُّ قولة صامتٍ ... تعظ المصيخ له بغير لسان
ما سَرَّنى أنى فطنت وإننى ... والحلم والتبيان فى أكفان
ونسيت ما نشْرُ الجنان وخلدُها ... وذكرتُ أن العيش مهلة فانى
ولقد علمتُ الآن ما عهد الصبا ... من بعدِ جَهْلى فيه والنسيان
والآن عالجتُ الحياةَ كما أرى ... لا ما أريد من البعيد الدانى
وعددت من سُنَنِ الحياةِ وحكمها ... ما يفعلُ الإنسانُ بالإنسان
فى حِرْصه أو قَسْوهِ أوْ رِقّه ... من فتكه بالروح والأبدان
وفزعت من ظُلْمِ الحياة وطالما ... ذَلَّلْتُ منها أيَّما طغيان
وتلوت فى التاريخ آيات الأسى ... مسطورةً بمدامع الأحزان
فعسى الشباب بمقبلٍ من دهره ... يبلو الحياة بعزمةٍ وأمانى
ويَسنُّ للدنيا الوسيعة سنّة ... لا سنةً للحرص والحرمان
يستنقذ الأزمان من عبث الورى ... ويطهِّر الأحشاءَ من أضغان
ويذلّ طاغوت الأمور فيحتذى ... شرعُ الحياة شريعةَ الرحمن
ويحُيلُ ظلم العيش عدلاً سائغاً ... يُنْسَى به ما كان من عدوان

نحو الفجر[1]

مقدمة :

إن الذى يأمل للإنسان فجراً تنجاب فيه ظلمة الضيم والشر ، يرى فى فجر كل نهار رمزاً له ووعداً به ، فيتعلل بهذا الرمز ، وينتظر إنجاز الوعد ، آملاً أن النومة التى يحدث فيها للإنسانية كابوس من الأضغان والأذى ، والتنابذ والكيد ، والاستهتار فى العبث بالحق ، يكون فيها أيضا نسيان لخصالها الوضيعة يدركها من طريق سنة النوم ، فتستيقظ فى خلق الحق والخير .

(الناظم)

* * *

أرقتُ فطال الليلُ أمْ طالَ بى عمرى ... كأن انجياب الليل فى موعد الحشرِ

كأنّىَ فى لجّ من الليل غارق ... سوى هداةٍ لم تُلْفَ فى لجج البحرِ

كأنّى غريبٌ من حراك لواعجى ... بعالِم صمت غاله الصمت من سحرِ

كأنّ غصون الدوح فى حندس الدجى ... رءوس ثكالى أرسلت أسود الشَّعر

كأنَّ النجومَ الغانيات تَرهَّبَتْ ... تبيت طوال الليل تعبد فى دير

أو الفلُّ مزروعاً بحقل بنفسج ... وكاللازوردِ الأفقُ رُصِّع بالدرّ

أو أنَّ ثقوباً فى جدار زبَرجد ... تطلّعُ منها الغيدُ بشرفن من خدر

أقلّبُ طرفى بينها مُتَفَهِّماً ... تَفَهُّمَ معْنى اللفظ فى صفحة السِّفر

كأن الدجى دَيْر به البدر راهب ... جميل المحيَّا حوله هالةُ الحبر

كان صقيعاً قد كسا الأرضْ نوره ... أو انَّ عليها أبيض الطهر ما يمْرِى

(١) نشرت بمجلة (الرسالة) – العدد ١١٢ فى ٢٦ أغسطس ١٩٣٥

كـأنّ فـراشـاً أبيـضـاً قـدّ نورُه	مهـاداً لروح أو شبـاكـا من السـحـرِ
أمَا يذهـل الراؤون من سحـر ضوئه	وقد تحسب الأحلام تسرى وما تسرى ؟
وإن تلك أحـلام فـأوهام خـاشعٍ	عراه جلال الحسن فى الليل والبدر
أيحلم هذا الدوح فى سحر ضوئه ؟	فقـد خلته من هدأة النوم فى أسر
كأن حفيف الدوح أضغاث حالم	أو انّ حـديثـاً بيْنَه خـافت السـر
أدورُ بعـينى لا أرى غـيـر سـاكن	فأين احتيال الناس بالغدر والمكر ؟
وأين نشـاط القـوم للهـو والهـوى	وأين مَساعى الناس فى الخير والشر ؟
ألا ليت نسيـاناً كذا النوم سافيـاً	يدير لهم كـأسـاً ألذّ من الخـمـر
لتـذهلهم عن كلّ شـرٍّ وفـتنةٍ	فـيستيـقظ النُّوَّامُ فى خلق الطهرِ
خـواطر آمـال أسلّى بهـا الذجى	وتمضى مُضىَّ الليل أو طيرة الطيرِ
فلما تقضّى الليل وانجاب جنحه	رأيت صباحاً يصبغ النّبت بالتبرِ
تشوبُ اخضرارَ الروض صفرةُ ساطع	من الضوء مثل الغيد فى حُلل خُضر
كما تينع الأثمار شاب اخضرارَها	لدى النّضج لونٌ فى غلائلها الصُّفر
كـأنَّ نبـات الروض من نبت جنةٍ	رمى مَلَكٌ من أفقها الأرضَ بالبذر
أظلّ وطرفى فى مـدى الأفق ذاهل	أحاك عليه الفجر وشياً من السحر ؟
ويرنو إلىّ الفجرُ من خلف ظلمةٍ	بنور كـمـا شفّ الرمادُ عن الجمر
كـأن مماتاً فى الدجى أهلك الدُّنا	فتبعث فيها الروح فى وضح الفجر
كـأن كيـان الكون يُخلق ثانيـاً	فإن انفجار الفجر كالخَلْق والنشر
تخـالُ تباشـيـر الصبـاح أزاهرا	إذا ما بدت فوق الشجيرات كالنَّوْر
فـيخـتلط الزهران حسناً ومنظراً	ويزدادُ نظْرُ الحسن من مشهد النَّظر

تحـدّثُ أنبـاء السـمـاء بمشـرق من الضوء مثل الرُسْل تُبْعَثُ بالخير
تُبـادُهنا منهـا مـحـاسنُ جـمّـةٌ كـمـا بادهَ الأذهان من حَسَن الفكر
تفضّ خـتـام النفس عن كلِّ ذكـرة وكم ذِكَرٍ فى الضوءِ والزهر والعطر
تذكـرنـا الآمـالَ والحب والصّـبـا كأن رُواء الصبح ضرب من الشعـر
كـذلك يـغـدو منظر الحـسن ذكـرةً وخاطرةً فى النفس تُسعِد فى الضّر
وتستيقظ الأرضُ النؤوم إذا حنـا الصـ ـبـاح عليـهـا ، يلمسُ الثغـر بالثغر
كما استيقظ الطرف المغمَّضُ بعدما أُريقَ عـليـه سـاطعٌ من سنا البـدر
تحنّ إليــه النفسُ من بعـد ظـلمـة فتحكى حنين الطير تهفو إلى الوكر
ترى الصبح يجلو النهر كالقيْن سيفه ويُذكى النّدى فوق الشجيرات كالدر
أُطلّ بأفكارى على النهـر مـثلمـا لَدُنْ هدأة يحنو النبات على النهر
تصبُّ عليه الشمسُ رقراق مسجد فـيـعلو لجينَ النهـر نهـرٌ من التّبـر
ترى تارة فى مـتنه المـاءَ راجـفـاً كـمـا ارْتعدت أبْشَارُ غيـدٍ من القُرِّ
وتحـسـب أن النهـر يشـعـر بالذى يعـالج من حَـاليْـهِ فى القـرِّ والحـر
ترى النهر مثل العين سحراً وبهجة ويمْـلأُ مـثل العين بالصـور الكُثْـر
يبـوح بسـرّ الحـسن لونٌ مـجـدد ولولاهُ ما الفَيتَ فى الكون ما يغرى
وأروعُـه مـا كـان منه فُـجـاءةً فجاءة صبغ النهر من سُحُبٍ حمرِ
وليس رُواء الكون فى الصيف وحدَه فـربّ شـتـاءٍ نـائر أيّمـا ذُخـر
جـلالٌ يـريح النفـس من بعـد رونق نَصيبك من سحريْن فى الحرِّ والقر
على أن ذكرى الصيف فيه جلية ففى النهر من ذِكرٍ وفى الروض من ذكر
وقـد يحلـم المحروم باليسـر واللّهى كذلك حلم الأرض بالصّيف واليسر

فلما تقضى الليل يحدو لواعجي وذكرى طيور الصيف تهزج فى صدرى
أخذتُ نصيبًا من جَدَى الفجر وافرًا فنهنهت آلامى وأرخيت من صبرى
وأملّتُ للدنيا صباحاً مؤجلا سيكشف عنها ظلمة الضيم والشر
فكلّ صباحٍ رمزه ومثالُهْ ووعدٌ به يحدو إلى الزمن النضرْ
نسرّ بنعماه وإن لم تكن لنا وننشده فيما يكون من الدهر

مناجاة الأمل (١)

الا عِدْ واخلفْ أنتَ بالوعد مانحُ فَمطْلك مغفور وخيرُك راجحُ
ولم تكُ مثلَ الآلِ فالآل مهلك ووحيك اسْخى ما تضم الجوانحُ
وكم ناقمٍ من خُلف وعدك لاغنىً له عنك أو تغنى المنايا اللوافحُ ؟
وأعشق من يهواكَ مَن هو ناقم وأمدحُ من يرجوكَ من هو قادحُ
نَشاوَى همومٍ قد تُدير عليهمُ كؤوسًا فتفترُ الثغورُ الكوالح
سلامٌ على الدنيا ورضوان راحمٍ إذا ضاء نجمٌ منك فى الأفق لائح
عفاءٌ على الدّنيا وهلكٌ ونقمةٌ إذاً لم تكنْ والمرءُ بالعيش رازح
وكم فى ثنايا اليأس منك كوامن إذا فنَيتْ فالعيش فانٍ وطائح
أيا بهجة العمران لولاك لم يكن فلا شيّد البانى ولا كدّ كادحُ
إذا اشتدت اللأواءُ زدتَ تألقًا كذاك سوادُ الليل للنجم قادح
وليس بعيبٍ أنْ تُراد لمحنةٍ فَمن ذا يريد النجمَ والصبحُ واضح ؟!

---

(١) نشرت بمجلة (الرسالة) العدد ١١٦ فى ٢٣ سبتمبر ١٩٣٥

أيا بلسمَ الأحزان لَولاك لم يَعشْ   على عَنت الدنيا لهيفٌ ونائحُ
مُعينٌ على البلوى ، مُعينٌ على الضنى   إذا لم يكن فيه معينٌ وناصحُ
ويا حادى الرّكبان فى العيش مثلما   حدا الركبَ فى الصحراء حادٍ وصادح
ويا رحمةَ الله التى عَمَّت الورى   ولَمْ يَخْلُ منها جارم النفس جامح
عَلَى صَاحِب الكُوخ المهدّم مشرق   ببُشرى وربّ القصر راجٍ وطَامِحُ
وأسعدُ ما تُلفىَ إذا كنتَ ماطلا   فكلّ طليبٍ شائقٌ وهو نازح
رَسَتْ بك فى لجّ الحياة نفوسُنا   فَلَمْ تتقاذَفْها الهموم السّوارحُ
لشيِّدت للإيمان فى قلب أملٍ   معابدَ قد ضُمت عليها الجوانح
ثباتٌ وصبر ، واعتزام وهمة   فضائلُ نفسٍ كلهّا أنت مانح
ولولا مساعٍ أنت عاقدُ أمرها   لآثر عقرَ الدار غادٍ ورائح
تكادُ تنير الليلَ إمَّا توقّدت   أمانىٌّ تذكو حينَ تخبو المصابحُ
تأرّجُ من ذكراك نفحة خاطر   أأنت أريجٌ من شذا الزهر فائح ؟
وإن غنىَّ الناس من أنتَ ذخره   وأى غنى تغنى وضوؤك نازح
وسائلُ من جدْواك أنت استثرتها   وتفتق إنْ لحتَ النُّهى والقَرائح
وكَمْ لكَ دونَ النّفس وحىٌ وهمةٌ   إذا نطقتَ تعيا اللغاتُ الفصائحُ
وكَمْ مِن غريق أسقط الجهدُ كّفه   فما لُحتَ إلاَّ وهو فى اليمّ سابح
منحت حياةً مرةً بعد مرة   وتبخلُ بالعيش النفوس الشحائح
ورُبَّ حبيسٍ أنزل السجنَ ظلمة   عليه ونورٌ منك فى السجن لائح
أيا طائراً يشدو وفى النفس أيكهُ   فيخفتُ فيها يأسُها المتناوح
ويا آسى الأحزان والظلم والضنى   ولولاك أعيا الطبّ مودٍ وطائح(١)

---

(١) الضنى : سوء الحال ، ومود : ميت .

تخلّل أنات الشقاء ونوحه | فتعذب فى الأسماع حتى المنائح
خلعت على الأيام أحسن خلعةٍ | فيخفى بعيش شرّه والمقابح
سقيتَ فأنسيت المؤجل من ضنى | ومن وخط شيبٍ فى غدٍ وهو واضح
وأنسيتَ أن الشر حتمٌ مقدر | وأن المنايا غاديات روائح
تضاحك فى يأس ونحسٍ وكربة | كأن الرزايا عابثات موازح
بها مؤنسٌ من طيب عهدك عامر | بشائرُ فى لأوائها ومفارح
وتخلق منك النفس دنيا سنية | وفى أفق منها النّجوم اللوائح
مباديك شتى كالأزاهر جمة | ففى كل حال موطن منك صالح
أيا سحر إن لمُ تْغنِ فالسحر كاذبٌ | مغاليقه فيما تريد مفاتح
تعللنا بالسعد من بعد ميتةٍ | فتحسن فى مرآك حتى الضرائح(١)

فن الحياة (٢)

مقدمة :

إن للإنسان فى الحياة نشوة كنشوة الفنان عند الصنع ، أو كنشوة المطلع على الفن عند الاطلاع عليه ، فإذا عدم هذه النشوة صعب عليه أن يسوغ الحياة ، وأن يلتذها . ولا يمنع عدة الحياة فناً جميلا من نقدها أو الرغبة فى إصلاحها ، كما ينقد المطلع على الفن ما يشاهده من الفن وكذلك لا تمنع الرغبة فى إصلاح الحياة من النظر إليها كأنها ممثلة حسناء تمثل الخير والشر ، فلا يكرهها من أجل

(١) الضرائح : جمع ضريح .
(٢) نشرت بمجلة « الرسالة » العدد ١١٧ فى ٣٠ سبتمبر ١٩٣٥

تمثيلها الشر ، وهذا خير من أن يظل يبكي ويندب ؛ لأن نمر الشر الذى فى كل نفس لم يتحول إلى هرّة وديعة كالتى نراها فى المنازل ، وهو لو تحول ما تجاوز أصله ولا فصيلته ، إذ النمر والهرة من فصيلة واحدة ! (الناظم)

أيا حُسن هذا العيش لو كان قصّةً يُسرّ بها سارى الورى وهو يسمرُ
على ما بها من ضجّة بين شقوة وكم عاشقٍ للنقص يهوى وينكرُ
فليت الفتى يبدو له صرفُ عَيْشِه كعيش غريبٍ قصةً تتدبّرُ
ويارُبّ مأساة إذا ما بدت له تُمثّلُ إنْ يحزن لها فهو يصبر
وفى فنّها ملهى وحسنٌ وسلوة ولولا فنون العيش ما كانَ يعذر
وإن كان ربّ الناس يقضى اقتتالهم فما شأن مثلى ، وهو أعلى وأقدر ؟
وما قصرت بى رغبة عن محاسن أريدُ لها عيشًا سوى العيش يُقْدر
حياةٌ كحسناء المسارح شرّها إذا ما حكّتهُ عاد بالفن يبهر
ممثلة حسناءكم مثّلت أذىً وغدرًا أجادتْ فنّها وهى تغدر
فما زادها إلاّ بهاءً وحظوة لدى عاشقيها وهى بالفن تأسر
تملّيتَها لما ولعتَ بفنها ولولاهُ تزرى بالحياة فتكدُرُ
حنانيك إنّ العيشَ فنٌّ فلا تُرَع وإن ناب خطبٌ فهو مَحْكَى ومخبرُ
تُعانُ بهذا الرأى إن كنتَ قادرا وإن أمكن الإصلاح لمَ تكُ تُقصر
يمثّل كلٌّ دوره فى حياته فإنْ راقَ فنٌّ فهو شأوٌ ومظهر
أإنْ نمرٌ فى النفس لمُ يمس هِرّةً تظلّ على الأسقام تبكى وتسخر
وما نمرٌ عن هِرّةٍ بمُبَاعدِ ويطغى وديع حين يبغى ويقدر

سر الحياة [1]

عبءُ لُغز الحياة يا قلبُ ما أفدح … عبئًا يُحثَى عليكَ وثقلا
لُغزُ عيشٍ ولُغز عقلٍ وما أعجبَ … لُغزًا يروم للُغز حلا
كلما رمتَ بالمجاهل خُبْرًا … زادكَ العيشُ بالمعالم جهلا
عبثُ العيش كلمّا قال لا سرًّا … أعَدْتَ السّؤالَ جدًا وهزلا
قد خبرتَ الأنامَ يا قلبُ هلْ تنشدُ … سرًا من بَعْد ذاك وسؤْلا ؟
وحياةٌ بالسّر أحجى حياة … هىَ أحلى ممّا تراه وأعلى
خدعةُ العيش أن يُلَوّح بالسر … إذا عاف عائشوه وملاً
فتزيد الحياةُ حسنًا ومأمولا … وتغوى الحياةُ نشأً وكهلا
مثلما حُجّبَتْ فتاة ليُرجىَ … سرّ حسن لها استَسرّ وقلا
لو بدتْ عاطلاً لما خَلبت لُبًّا … ولا استعبدتْ عشيقاً وخِلا
كم سعيد يلهو ويعمل لا ينقضُ … فعلاً وليس ينكر قولا
وعلى غدرها أحبُّ حياةً … وحباها فى الحب أهلاً ونسلا
عاشقًا للحياة بعضًا وكلا … راضيًا بالحياة فرعاً وأصلا
فإذا شاكه من العيش هَمٌّ … قَال قولاً ورام للّغز حلا
عبُءِ لغز الحياة يا قلب ما أفدحَ … عبئًا يُحثى عليك وثقلا
سرُّها أنك السعيدُ إذا لم … تَدْر أن لا سرًّا لديها فَيُجْلى
ضَلّةٌ ما أقول كم لاح من كَشْفٍ … وقد كان خافِيَ السرّ قبلا

---

(١) نشرت بمجلة (الرسالة) العدد ١١٩ فى ١٤ أكتوبر ١٩٣٥

ولعلّ الحـيـاة أكـبـر لولا مُـعْظِمٌ للحـيـاة غـالى وأغلى
فـهى من فـرطِ رفعـةٍ فى انخفـاض تلك عليـا إنْ يُعلِهـا فـهى سُـفلى
باءَ باليـأس من عُـلاها وقـد غـالى فـقـالَ الحـيـاة بالحطّ أولى
ويعـيـد الحـيـاة فـرضـاً وحـسـنًا ومتـاعًـا مَنْ يأخـذ العيش سـهلا

بعد الإخاء والعداء [1]

حنوتُ على الودّ الذى كـان بيْننا وإن صـدّ عنهُ مـا جنيْنا على الودّ
حنوتُ ولو أنى حنوتُ ومـا حنـا ولو أنه يبـغى هلاكى من الحـقـدِ
ولا أكـذبنّ الناسَ قلبى كـقلبـه له آنة مـيلٌ عن النّصف والقـصـدِ
كـلانا جنى شـرًا فـعـاد إخـاؤنا محالاً حكى ذكرى الشباب على بُعْد
فـيا طيبَ ذكـراه وَيا بُعْـدَ عـهـده وأينَ قـديمُ الودّ من حـاضـر الصّـد
مَضَى حيثُ يمضى عابر بعدَ عابر من الأهل والأصحاب والذخر والولْدِ
مضى حيث يمضى كلّ رأى ومذهب له أجلٌ كـالناسِ ظعنٌ بلا عَـوْدِ
إذا أنا أُنسـيـتُ الإسـاءة من أخٍ ذكـرتُ لـه منىّ إسـاءة ذى عـمـد
وأيقنتُ لا ينسى عدائى وما جنى عـدائى علـيه من عناءٍ ومن جـهـد
أيلتـئمُ الصّـخـران فى اليمّ بعد مـا تردّدَ مـوجُ اليـمّ بالصـدْع والهـدّ ؟
ويتـفق الخِـلاَّن من بعـد مـا بدت به بغـضـة من مين قول ومن نقـد ؟
وكنا على مـا كـانَ من قـرب أنفسٍ كنهـرين فى وادى الغضـارة والورد

---

(١) نشرت بمجلة (الرسالة) عدد ١٢٠ ، ٢١ أكتوبر ١٩٣٥

قد اقتربا مجرًى وماءً وعسجدا ... من الشمس لألاءً كلألأة الود
حياة شباب عسجدٌ أىّ عسجد ... وعهدُ إخاء لا يغيض ولا يكدى
إلى أن دعا داعى الحياة وإفنها ... فمال بنا قصدُ السبيل عن القصد
وغيرٌ منا القلبَ والنفسَ والمنى ... وزاد طماحُ النفس بعداً على بعد
هو البُغض مثلُ الحبِّ لحظٌ فمنطق ... فنارٌ لها بين الأضالع كالوقد
وإن كنت تدرى الحبّ كيف طروقه ... ولم تدره أيقنت ما جاء بالحقد
فياليتَ أنىّ قد غفرتُ جَفَاءه ... ونَبْوته حتى يصدّ عن الصد
ويذكر لى صبْرى على الضَيْم والأذى ... فيأسى على ما كان منه من الكيد
وتكسبنى منهُ الندامةُ ألفةً ... وإنْ كان لى من قبل كالحجر الصلد
أعيشُ بصفو منه يومًا فإن جنى ... على إثرِهِ غْدراً ذخرتُ له ودى
وأُذْكِرُ نفسى منه عند انصرافها ... شمائل تستدعى المغيظَ إلى الحمد
أبعد بلائى العيش أبغى مُبَراً ... وكيف ونفسى لى كما الضدُّ للضد
يروقك حسن الفجر والنجم فى الدجى ... ومرأى رياض من عرار ومن ورد
وأحسنُ منها البشر فى وجه صاحب ... حليفك منه ما استسرّ ولم يُبْدِ
فياليتَ لى دُنيا أبيعُ حطامها ... بودٍّ أخٍ لو يُشترى الود بالنقد
إذا الحبّ لم يخلص من البغض والأذى ... فكيف خلاص الود من عنت الحقد ؟
وخلأننا مثلُ الجوارح أيّهم ... فقدنا ، فبعضُ النفس فى ذلك الفقد
أحقٌّ طلاب الودّ من نقص طالب ... إذًا فَمنٌ نشدانك الودّ بالحمد
لتكمل بالخل الذى أنت ناشد ... كما كَملَ النصفان تجمع فى العد
ويا طيب قلب غرّه الودُّ حقبةً ... كما عظم المخدوع بالفضل والمجد

وإنك لا تدرى أقلب مـــــراوغ أســـرٌّ أم القلب المغـــرّرُ بالودّ
وإنّ ودادَ المرءِ من بعضِ غُنمــــه ولو أن مخلوف الوفا غاضَ لم يُجْد
تعـيش بمخلوف الرجـاءِ وكـذبه فَطامِنْ فـــإنَّ الودَّ يا قلبُ لم يُرْدِ
رحيق الحيـاة الودّ ، لوْ دام صـفوه – وكالخمر – أصفاه المعتَّق ذو العهد
وأحسنه ما كان من عصرة الصِّبا ولم يَحْلُ بعد الشّيب مُسْتَحدثُ الود
فمن لى بعود الدهر للودّ والصّبا أليـفينْ مـا كـانا كـمـا الندّ للند
يخال الصّبىَ ودّا وودّ الصّبا صبًا كيـانهـما الممزوجُ كالجوهر الفرد
وإن فـقـيـر الناس مَنْ خـان خِلّه وإن نالَ حظّاً من طريفٍ ومن تلد
أأبغى إخـاءً لم تـشـبـه عـداوة وأنقم عفو الغدر أو غدرة العَمْدِ ؟
كـــأنّىَ لم أدرِ الأنام وخلقـــه ولم أدر أن الضّــد يولع بالضــد
أبعـــد فـــراغى من جنازة ودّنا أروم خلود الودّ من عـادم الخلد ؟
متى أرتضى الخلان صحواً وغيمة فأمنحهم غيثى وأمنعهم رعدى
أُغـالط نفـسى فـيـهم وأغـرها وإن لاح منهم غـدر أعـدائىَ اللد
وأكــتم من آلام نفــسىَ عــزّةً إذا لم يُتَحْ لى مـا أُزيل به وجـدى
فيا ساقىَ النسيان عَاطِ صحابتى وهات لِىَ النسيان رفداً على رفد
وهيـهـاتَ مـا أمرٌ إذا جـدّ جـده ليُنْسَى ولو واروْه فى مُشبه اللحد
إذا انفلت السهم الطّليق فـمـا له ولو أنّه سـهم النّمـيـرىّ من رد
ويعجز هذا الدهر عن نقض فعله الا وهو الدّهر المصـرِّفُ ذو الأَيْدِ

وفي وصف الطبـاع (١)

مــــا ازدريتُ الأنام إلاّ وهـان الــ ـكيـدُ منهـم وهانَ منهم عـداءُ
وتـفــرّدت لا أصـــولُ بكيـــد وتزهدتُ واســتـقـــام العـزاءُ
ومن الناس مَنْ إذا مـــا ازدراهم كـــان منه الإجـرامُ والاعـتـداءُ
ولو أنّي أكــبـــرتُهم لم يرونى غـافـراً واحـتـوتنىَ البـغـضاءُ
ولو أنّي أكـبـرتُهم لم ترَ الرحـ ـمـة دينى ومـا بهم رُحـمـاءُ
وُدّهم مثل بُغضهم فيه عدوى مثل عدوى تسعى بها الثؤباء
ويَـرى المـرءُ أنّـه كـلُّ شـىءٍ هو تبـرٌ ومـا عــداه هبـاء
مــركـزُ الكونِ حوله دارة الأفـ ـق وبهـوٌ من فـوقـه وسـمـاء
ولقـد تحـمـد الخليل طويلا ثم يَبْـدُو مـا كـان منه انطواء
فـإذا الغـدرُ شـيـمـةٌ وطِبـاعٌ وإذا الـودّ والـوفـــــــاء ريـاء
وإذا النفسُ جـانـبٌ مُـدلُهِمٌ بـالـدنايا وجـــانـبٌ وَضّـــاء
وإذا المرءُ يحـمـد الصحب منه جـانبـاً والكريهُ منه خـفـاء
ومع الخُـبْـرِ بالأنام فـقـد يغْـ ـرو الفـتى عند غـدرهم إعـيـاء
كلُّ يومٍ يَخـال منه جـديداً وهو رثٌ ومـا طواه العـفـاء
قلبُـــه الآمل المضلّل بالـود يقــود الأسى إليـه الرجـاء
ومعَ اليـأس منهم كـرمُ الصفـ ـح إذ الحتْمُ مـا جـنـوْا والقـضـاءُ
كلُّهم يَشْـتَكى ويشـمـت بالشـا كى وكلٌّ كـمـا يسئ يسـاء

(١) نشرت بمجلة (الرسالة) العدد ١٢١ فى ٢٨ أكتوبر ١٩٣٥

كلُّهم يندبُ الوفاءَ وكلٌّ يتأذى وطَبْعُهُ الإيذاء
كلُّهم قانصٌ يرى فى وفاءِ الخلِّ صيداً ولَيْسَ منه وفاءُ
كلهم لا يودٌّ للناس ما يرغب فيه لنفسه ويشاء
ويُسَرُّ الفتى ويبدى اكتئاباً إن ألمتْ بصاحب بأساء
صادق العطف كان أو كاذب العطف ففى نحْسِ خلّه سراء
وارتياح أن لَمْ يُصَبْ مثل خلّ نزل الحزن دَارَه والشقاء
وسواءٌ خِبٌّ وغِرٌّ ولا غرْوَ فللغرّ صولة وعداء
كلّهم إن يرقْكَ منه ذكاء بعد حين يرعْك منه غباء
فكأنَّ الذكاءَ منه وميضُ البرقِ ، والعقل كله ظلماء
كلُّهم يبغض النقيصة حقا حذرَ الناس بغضه إخفاء
واكتساباً للحمد والربح يقلاها ولولاهما لعيف الرياء
كلُّهم يُلبْسُ النقيصة منه حلة الخير وهو منه بَراءُ
يغضب المرء للفضيلة كيما يحسب الناس أن ذاك نقاء
وسواء نقصٌ وفضلٌ لديه إن تدانت من كسبه النعماء
ومن الناس مَنْ يَبوح بنقصٍ وكثيرٌ من قوله إطراء
كالذى قال إنما أفقدته الحلمَ منه صراحةٌ وإباء
يمدح الحلم مغريا وهو يَسْطُو مغنم الخبّ فى الورى الحُلَماء
حذراً للشرور يمدح خيرا ذاك جبنٌ فى طبعه واتقاء
قسم النقصَ والمحامد بين الناس منه الأحقادُ والأهواء
فلئيم من كان منه جفاء وكريمٌ من كان منه إخاءُ

ذاك مـــيـــزانه ومـــا الحقُّ إلا ... مـــا رأى الحق يأســه والرجــاءُ

ويرى الأخـــرَق الذى يرحم النـ ... ـاس وإن ودّ أنهم رحـــمـــاءُ

كى يمدّوه بالذى ضنّ عنهم ... بجَـــداهُ وهكذا الأحـــيـــاءُ

كلُّ حىّ يصـــون منه حـــيـــاة ... ولئن غـــال مـــا عـــداه العـفـاءُ

حاطها بالصّيال والمكر والقسـ ... ـو ولو عمّ مـــا ســواه الشــقــاءُ

وبإنكار كـــيـــده وأذاه ... وبدعـــوى الكمـــال وهو طـلاءُ

يتــدنىّ يبـغى العـــلاء ولا يثـ ... ـنيـــه عَـــمَّـــا يحطّ منه إباءُ

غـــيـــر من آثروا على أنفس منـ ... ـهم نفوسَ الورى وقَدْ قِيلَ داءُ

وعجيبٌ أن كان أطْهَرُ ما فى النـ ... ـفس داءً والحرص منه الشـفـاءُ

وأشَـــدُّ القُـــسَـــاةِ ينكر لؤم النـ ... ـاسِ كـيـمـا يكون منه مـضـاءُ

وهو يُطْرِى الحياة بُقْيَا على الكيـ ... ـد وذعـــرًا يـكونُ منه الثناءُ

بين أمـــرَيْن يدرجُ النَّاس طرا ... جـــوع بطن أو أن يكون امـتـلاء

ومن الجـــوع أو حَـــذارا له أو ... خَشْيـة الموت كم قسـا الأحـيـاء

وامتلاء يصـيـر شـهـوة جسم ... يهتك الطهـرَ حـفـزها والمضـاء

هَيِّنٌ بعدها إذا مـــا الضـحـــايا ... نال منهـــا نحسٌ ونال شـــقـــاء

خـمصُ بطن ، ونهـمـة وحـذار ... واحـتـيـــال ، وقـسـوة ورياء

ذلك العيش ثم ما كان من خيـ ... ـرٍ بكىّ لولاه عـيـف البـقـــاء

وقـتـالٌ على الحيـاة دَعـاه الحـ ... ـىّ فـضـلا يبـغى به مـا يشـاء

ذاك فَـــضلٌ إذا أســـاء ولكن ... وهو نقصٌ فى الناس حين يُســـاء

ولو أنّ السـبـيل للمـوت سـهلٌ ... لم تكن عنه نجـــوة أو عـــزاء

فاحمد العيشَ إنَّ حبّك للعـ ـيش مُلحٌّ مَهْمَا تمادى العناءُ
إن أقوى الرجاء ما تعرف النفـ ـس وإن قبَّحَ الحياةَ الذكاء
لم يعفها وإنما شاء أن يُبـ ـصرَ قدما من حسنها ما يشاء
دائبٌ بَصَّر الأنام بماَ جَـ ـمّلَ عيشًا ووصفُه إغراء
والذى يَكْلأ الحياة على العلـ ـم بها لا تروعه الأشياء
يمدح المرء مثلَ ما حاز من فضـ ـلٍ فإن زاد كان منه هجاء
فقليلٌ ما نصدق النفس قولا وكثيرٌ من أجل ذاك المراء
مُهجةُ الحاسدين من سورة الأحـ ـقادِ والبُغْض مهجة هوجاء
ساء فعلٌ منهم فساءت ظنون والورى فى طباعهم شركاء
سوءُ ظنٍ الأنام طبعٌ ولكن مقلة الظن مقلة حولاء
كلُّ حيٍّ أمامه ما جنى الخصـ ـمُ يراه وما جناه وراء
وعجيب أن يحسد المرء حتى بعد أن لم تَدُم له النعماء
أىّ نفس من أنفسٍ الناس عافت حسداً للقلوب منه اكتواء
لابل الفضل إن تضاءل ما فى النـ ـفس منه ولم يكن إيذاء
كلهم ذلك الحسود ولكن هّينٌ ما بدت به الفضلاء
لو ينال الأنام ما حسدوه حسدوا ضدّه وليمَ القضاء
حسبوا اللؤم من ذكاءٍ وعقل فادّعاه الطغام والأعلياء
وتباهوا بقدرة اللؤم فيهم واستشاطوا إن قيل هم لؤماء
وقليل ما يندم المرء إن لم يك جرُم من بعده الازدراء

فـإذا الناسُ زَيَّنوا منه جـرمـا شـملتـه من مـدحـهم خـيـلاء
ومـضى سـادراً يرود من الآ ثـام مـرعى ودأبـه الكـبـرياءُ
يبـتـغى المرء أن يرى الناس طُرا حيث يرضى ، وخلقـهم ما يشاء
وهو لا يـستطيع تغـيـيـر مـا فى نفـسـه كى يكوَن منهم رضـاء
وحـقـيقٌ بالشك من رأيه يتـ ـبع مـا خـولجت به الحـوبْاء
رأيـه مـثل خلقـه وهـواه حـاكم فـيـه جـوهُ والغـذاء
فى قنوطٍ ومطمع ، وانقـبـاض وارتـيـاحٍ ، تـنـاكـرت آراء
لو بدا الشـر فى النفـوس تعـادت رحم الله فـاحـتـواه كـسـاء
وإذا الشـر أعـوز المرء عـجـزاً ادّعى أن عـجـزه اسـتـعـلاء
ومُـقـرٌ بالشـرُ كى يُغـفـر الشـ ـرُ وكـيـمـا يعـود منه اعـتـداء
واعـتـداءٌ بالجود حـرصٌ وكـسبٌ وهـو منه اسـتـزادة لا وفـاء
ولقـد يحـقـدُ العـشيـرُ إذا خـ ـلاّك رزء وكـان مـنـه رثـاء
يجـرؤ الفـرد بالجـميع على الشـ ـر ولولاه غـاله اسـتـخـذاء
شـدّ من أزر سـافـل أنّ شـراً جـمـعت فى مناله الجـبناء
فـجـبـانٌ يشـدُّ أزرَ جـبـانٍ وعـداءٌ يكونُ منهُ عـداء
ولقـد يفعلون خيـراً ليخف الشـ ـر منهـم وذاك مـنـهـم ريـاء
والشـقىّ الجَـزوعُ من شـر قـوم جـر نفـعـم منه إليـهـم رجـاء
مـسـتـنيمٌ إلى الولاء ويكوى قلبَـه أن يفـيض منهم ولاء
جـاهل بالأنام يخـدعـه المطـ ـرى نفـوساً لهـم وحق الهـجـاء
لـقّـنوهُ أنَّ المروءةَ أنْ يـغـ ـتـر بالنَّاس وهو منه غـبـاء

لابل الفضلُ خيره وهو يدرى ... إنْ بلاهم أنْ قد يعز الجزاءُ
مطمئناً بعدَ اصطناعِ جميلٍ ... عندهم إن دهاه منهم بلاءُ
كلهم ظالم وإن كان مظلو ... مًا رأى أن قَسْوَهُ استشفاء
يشتفى من لواعج الغيظ والذ ... لُّ بظلم الأذلّ ، بئس الدواء
يظلم الصاغر الضعيف كما يظ ... لمه من له عليه اعتلاء
طبقاتٌ مقدّرات من الطغ ... يان ما إن يُخال فيها انتهاء
ومعَ الشرُّ والأباطيل فى نف ... سٍ فللخير آنة سيماء

الصحراء [1]

أرحْبُك أم صمتٌ على الأرض غالب ... غدا مُصْحرٌ من روعه وهو هائب [2]؟
كَصمتِ الخشُوع المطرقين نزوعهم ... مقابرُ صرعى للردَى وخرائبُ
وصمت لذى المحراب فى بيت ربّه ... يقاربه فى صمته ويخاطبُ [3]
تَوقّعَ مَنْ قد غاله الصمتُ هاتفا ... يكلّمه من فرط ما الصمتُ راعب
كمخترقِ الظلماء لاحَ لعينه ... إذا جَال فيها اللحظ ما هو غائب
حرٍ أن يُناجي النفس فيك أخو الحجى ... ويخشع صمتًا راكب فيك ذاهب [3]

---

(١) نشرت بمجلة « الرسالة » عدد ١٢٦ فى ديسمبر ١٩٣٥ وفى كتاب « ديوان الاسكندرية » فى أكتوبر ١٩٣٥

(٢) الرحب : السعة . ومصحر : من أصحر خرج إلى الصحراء . (٣) نو المحراب : أى العاكف على الصلاة . والضمير فى يقاربه وصمته يعود على البيت ، ويخاطب أى مع صمته يخاطب ربه .

(٤) حرىً : جدير وخليق ، والحجى : العقل .

ويخشع من رَحْبٍ كأن لا مدى له — حكى أبداً ما حدّه الدهرَ حاسبُ
ويخشع أن لا شيءَ إلا مُجانسٌ — فلمْ يلفَ إلا مُشبهٌ أو مُناسبُ[1]
وكم راع رأى العين إن كان لا يُرى — سوى الشِّبه يتلوه الشَّبيه المصاقب[2]
حكى خدعة الآمال آلُكَ رافعًا — على الأفق بُشرى كذّبتها العواقب
سرابُ الأماني في الحياة خديعةٌ — وقد تهلك المرءَ المُنى والرغائب
وَمَنْ ضلَّ في خَرْقٍ من العيش لبّه — كمن خذلتْه في الفيافي المذاهب[3]
تَفتّحُ أبواب الجحيم عن اللظى — كأنّ شُوَاظ القيظِ يسْفيه دائب[4]
سموم كدفّاع البراكين أو لظى — الحرائق يصلاه الحصا والنجائب[5]
ويصلاه ركب خال دنيا تقلّصت — عن النار لو يسعى جحيم مقارب
ويسودُّ وجه الأفق حتى كأنما — ذُكاءُ دجت أو يكسف الشمس حاجب
وكم حَار ركب من فجاءة صحوة — كما راع مرأى الحسن والعُرْى سالب
إذ الجو كالبّلوْر أخلص لونه — وصبٌّ عليه من سناء الشمس ساكب
كذلك غبّ الغيث ريعان بهجة — كأن طلاءً قطره وهو صائب
كأنَّ ضياءً في سواد سحابةٍ — تكاثر حتى ثَقَّب الدجن ثاقب
تفجّر ينبوع من النور غامرُ — كما غمر الأرض المياهُ السوارب[6]
ضياءٌ ترى المألوف من كلَّ منظر — به فإذا المألوف منه الغرائب
وما فرحةُ الولهانِ عاد حبيبه — بأصدق منها فرحة وهو آيب

---

(١) مجانس : مشاكل ومشابه .
(٢) المصاقب : المقارب . (٣) الخرق : القفر . (٤) الشواظ : اللهب ، ويسفيه : يذروه
(٥) صلى بالنار : وجد حرها ، والنجب : القشر (٦) سرب الماء : جرى .

نهــارك أم ليــلُ الدّراريّ نــائل | من اللبّ نيــلاً لم تنله الكواعب
أديم سماءٍ يُبْرِزُ الشهبَ صفْوهُ | فأحسبها تدنو به وتقاربُ
أما يخشع السُّمَّارُ من كثرة الدنى | ويذهل من رحب الفضاء المراقب ؟
يَبيتُ يُناجِي النجم والنجم سامر | فتفضى إليه بالحوار الكواكبُ
كأنّ لحاظ النجم من لحظ عاقلٍ | وأنّ رقيباً فى السماء يراقب
يُسائلُهُ عن عيشه أيْن سرّه | كأنّ وراء النجم ما هو طالب
إذا خطّ فيك الدهر سطراً محوته | كذا اليمُّ لا يقوى على اليمّ كاتب
وترقل فيك اليعملات وإنما | سفائن لجّ البيد تلك الركائب[1]
وللبحر أمواجٌ ؛ وللبيد مثلها ، | إذا هبّ إعصارٌ على الركب كارب
فيغرق فى لجٍّ من الترب حائنٌ | كما احتشدت فوق السفين السوارب[2]
ورحبك رَحب البحر يطويك هائب | ويركبه ذو مطلب وهو هائب
بأفقكما للشهب رهب وروعة | جَلَا لكما شِبْهٌ وشِبْهٌ مقارب
وذى دولة فى اليمِّ قد دال أمره | وآخر أردتْه لديك المطالب
ويَصغر عيشُ المرء فى اليمِّ مثلما | تضاءل فيك عيشه والرغائب
لمحْلك يلقى مكرم الضيف ضيفه | بخيرٍ وأما خصمه فهو سالب
وتشحذُهُ الأخطارُ حتى كأنما | بَنُوك سيوف ينتضيها المحارب
لقد صقلتها نار قينٍ وصيقل | كما صقلتهم فى الحياة النوائب
تنسَّكْتِ فى بُردِ التقشف لم يكنْ | معاش ولا ترجى لديك الأطايب

(١) اليعملات : جمع يعملة أى الناقة السريعة ، وترقل : تسرع .
(٢) الحائن : الهالك .

الشاعر البابلى المجهول [1]

يا غـــريبَ الدارِ عن وطنى ... نـاظـراً فـى غـــابر الـزمـنِ :
هل سـمـعت اسـمى ومـا نقل الـ ... ـركـب عن شـعرى وعن فِطنى ؟
انـكـت الأطـلال علّ بـهــا ... أثـراً قـــد خـطَّ فـى الـدمـنِ
قـد وصـفتُ الحـسن أجـمـعـه ... لـم أدعْ فـى الـكـون من حـسـنِ
وبحــثتُ النفس قـــاطبــةً ... لـم يـفـــتْنى أيما شَـجـن
ولـكـم ألجـــمتُ مـــضطغـنـا ... عـــائبًـا قــولـى مـــن الإحـــن
سَــهـرَ الأقــوامُ واخـتــصـمـوا ... فـىّ مـن راضٍ ومـــضـطـغـن
كـلٌّ مـا قــد صـاغـه عــربٌ ... أو مـن الإفـــرنج ذو لَـسَـن
صُـغْـتُـه من قـبلهم فـعـفـا ... وكـــأنَّ الأمـــرَ لـم يـكـن
لـم يعشْ بـالصـيت شـاعـرهم ... عـمـرَ صـيتٍ كـان لـى وفنى
دُوَلٌ أودتْ بـهـــا غِـــيـــرٌ ... وَرَدَى اســـمـى بعـــدُ لم يحـن
لـم أدعْ مـــعـنى لـذى أدب ... عـــالقٍ بالشـــعـــر مـــرتهـن
فــاســتـبــاح الدهر من أدبـى ... مــا اسـتــبــاح الدهر من وطنى
بابلُ الأمـــلاك مـــا عـــمـرت ... مـــثلهـــا فـى ســـائر المـدن
درستْ من بعـــد مـــا لبـثَـتْ ... حـقـبًـا مـشـهـــورة الســنن
بعـد مـا كـانت خـمـائلُهـا ... فـــتـنةً تـربو عـلى الـفتن
بعـــد مـــا دان الزمــان لهـا ... فـكـأنّ الـدهـر لـم يـدن
واســتـــوى فـى التُّـرْب ذو لسن ... وذوو الإعـــيـــاءِ والـلـكـن

---

(١) نشرت بكتاب « ديوان الأسكندرية » لجامعه الأستاذ على البحراوى – أكتوبر ١٩٣٥ ص ١١١

نــم طـويلاً يـا أخـــا الـزمـن وادعًـا فى اللحـد والـكـفنِ
بعـــد آلاف من الحـــقب قـم وسلْ عـن صــولـة المحنِ
لا ترى اسـمـا كنـت تكبره سلْ عـن الأوطـان والسـكـن
سلْ عن المشـهـور من قـدمٍ وعـن المعـبـود كــالوثن
عن عظيمٍ كنت تحسبـه خـــالداً كـــالدهر والزمـن
فـــإذا أنـتـم وشـــأنـكـمُ حُـلُـم قـد كـان فى الوسن
يا غـــريبَ الـدارِ عن وطـن باحـثًـا فـى دارس المـــدن
هل سمعت اسمى وما نقل الـ ـركب عن شعرى وعن فطنى ؟

النشـوء والارتقـاء [1]

أراكَ فــريســة الجُــوعيْن سـغْـبـانا وشـهـوانا
بربِّك أيهـــا الإنســـا نُ لِمْ أصـبـحتَ إنســانا ؟
بعـــقلٍ يبلغ الشـــمسَ وأقــصى الكون عــرفـانا
وجـــدتَ لكلِّ مـــا كـــا ن من الأكـــوانِ مـــيزانا
كـــأنك خـــالق الخلْقَين أكـــــواناً وأزمــــانا
وســخّــرتَ الرياحَ مطيَّـ ـةً والبـــرق فـــرســانا
وقـــد أعليت عُـــمــرانا وقـــد قـــدَّستَ أديـــانا
وردْت العـــيشَ عُـــريانا وتـرجـع عنه عــــريـانا

(١) نشرت بمجلة (المقتطف) عدد أول نوفمبر ١٩٢٥ .

ومِلء حيـاتك الأحـزان والآلام ألـوانـا
وتُبليكَ الحيـاةُ كـمـا يفت الجـوُّ صـوَّانا
وتصـرعك الجـراثيمُ كـمـا لو كُنتَ ديدانا
وقـد تهلك غـرثانا وقـد تهلك مـبطانا[1]
وقـد تغـدو إلى اللـذات فـتَّـاكًـا وخَـزْيانا
فـبينَ الجـوع والشـهـو ة قـد أُجـريت مـيـدانا
ولِلتَـحْليلِ والتـحـريم قـد أعـددْتَ تبـيـانا
فـمـا أصلحتَ حـاليْك ولا طـهّـرت أدْرانا[2]
وفُـقْـتَ الطـيْـر والحـيـوان آثامـاً وأشـجـانا
وزنتَ الذّرة الصـغـرى ومـا أعـددتَ مـيـزانا
لعـيـشك كى يكـون العـيش إسـعـاداً وإحـسـانا
بربك أيهـا الإنسـا نُ لِمْ أصبحتَ إنسانا ؟ !

النجـاح[3]

أنت ربُّ الأوشـاب والأعليـاءِ وجمـاعُ الجهـود والأهواءِ
تلبس المرء منك حلة فـضل يلهج الناسُ حولها بالثناء
أىُّ فـضلٍ للمـرء إن لم تَحُكه وذكاءٍ إن لم تكن فى الذكاءِ

---

(١) الغرثان : الجوعان ، المبطان : الكبير البطن . (٢) الأدران : الأوساخ .

(٣) نشرت بمجلة « الرسالة » - عدد ١٢٣ فى ١١ نوفمبر ١٩٣٥ .

فُرَص العيش كلُّها لك جند والعطايا مواثلٌ كالإماءِ

وصروف الأقدار طرّا عبيد للذى تصطفيه للآلاءِ

لا يضيرُ الذى اصطفيتَ عداءٌ لا ولا يُزْدَرىَ لفرط الغباء

ويودّ الذكىُّ لو كان غِرّا ثم تكسوه خلّه الأذكياء

أنت سحرٌ يكسو القبيح جمالاً ويُنيلُ الوضيع أفقَ العلاء

وينيل القَمىءَ أجنحة النسر فيغدو لقومه كسماء

يرتجى الناس غيثها وعلاها بخشوعٍ وذلّةٍ ورياء

إيه يا مالك القلوب قلوبُ الناس طرًا طوع اللُّها والعطاء

رُبَّ قلبٍ مُماكسٍ لك فى البيع وذاكَ المِكاسُ غير الإباء

تنشر التبر مثلما تبعث الشمس بأضوائها على الأرجاء

فوق وغدٍ أو فوق غِرٌ حَظِىٌ أوْ على ظافرٍ من الفضلاء

لك ثوبٌ يخفى العيوبَ ويحبو الـ فضل فضلاً من روقة اللألاء

قَدَرٌ حاكه وليسَ صَناعٌ كصناع يدعونَه بالقضاء

معدنُ الخير والفضيلة والحكمة من يرتدى بذاك الرداء

أىّ فضل تعطى القوىّ قواه إن عداه النجاحُ فى الأحياء ؟

أىُّ صيت يجُدى الذكىَّ بيانٌ لم يُصبْ نهزةً من الإصغاء

أىُّ فضل تحبو الحكيمَ نُهاهُ وهو لولا الأنصار كالأغبياء ؟

سَرَفٌ أن أضاعه الدهر لا يفقر دهرًا أضاعه من ثراء

أترى التِّبر لو يظل دفينا كان يُجبى أطايب الأشياء ؟

أترى الحسن كان يعتد حسنًا وهو فى خفيةٍ عن البصراء ؟

يغنمُ الظافر السعيدُ وإن كذّب   منه النّقاد بُطْلَ الطلاءِ
وهو في أعين الأنام نضار   وسواه في الخلق كالدقعاءِ
يغفر الناس شرّه وأذاه   ويمدّونه بمحض الولاء
إنما الحقُّ ما رأى النّاسُ حقًّا   ثابتاً في عقيدة الأهواء
والشريف الذي يرون شريفاً   نال أو لم ينل مدى الشرفاء
والكريم الذي يرون كريما   حاز أو لم يحز هوى الخبراء
صاح لو يُنْبَذُ المزيَّفُ طُرّا   حَربَ الناسَ كلُّ هذا الإباء
ثم باءوا بحيرةٍ وضلالٍ   في دعاوى العقول والآراء
وإذا النجح لم يكنْ منه ميزانٌ فكلٌّ مزيف الأنباء
كنْ جديراً به وإن لم تنله   إنما الحقدُ آلة الأدْنياء
وَيَضيرُ الأنامَ كيدُ حقودٍ   صدَّ عن خير مطمح وعلاء
فدعِ النّاسَ يكلفون بما شاءوا وعشْ في حقيقة الأشياء
إن تجدْها أو لم تجدها فللسعيُ وللجدُّ نشوة الصهباء
نشوة النجح نشوة السعي والخاسر منْ لم يَفُزْ له بطلاء
ولعلّ الأحقاد ما صفّر النجح وانحنى عليه بالأزراء
ورجاءٌ للنجح خيرٌ من النجح فعشْ من طلابه في رخاء
إنّ بعدَ الرجاء أن تبلغ القصد ولا قصدَ بعد نيل الرجاء
ولقد ينكب النجاح أناسا   بالذي فاق نكبةً للشقاء
والسعيدُ المحرومُ من أسلم الأطماعَ طرًّا لصرف حكم القضاء
ويودّ الذي تودّ له الأقدار يبغي فيها رخاء الرضاء

ذاك خُبْر يغري الحكيم وإن شقَّ فَيُلْفِي رخاءَه في العزاءِ
ولقد يحبط الطموحُ إذا زحزحَه الهمُّ عنه بالإعياءِ
وفروضُ الحياة أخلق بالسعي وأحجى من اقتعاد السماء
إن أعلى من العلاءَ خليقًا بعلاء لا حائزًا للعلاء
والسعيد الحظيُّ من رزق الجدَّ وفي الجدِّ مصرع الثؤباء
هو طبّ الملال إنْ أعنتَ العيشُ وغالتْ غوائل البأساء
وسواء نجحٌ وَفَوتٌ إذا أحمدت ما في مسعاته من دواء
والشقيُّ المحروم من لا يَرى في العيش فرصاً ينأى به عن شقاء
ذاك من مات قلبه وهوَ حيٌّ وغدتْ نفسه كقفرٍ خلاءِ
خاصمتْه النعماء في كلّ أمرٍ وبدت فيه وحشة البيداء
خيبة المرءِ أن يمل مُناهُ لا تمادِي الحرمان والإبطاء
ولعلّ الإبطاء في النجح أهنَا وقصارى المبذول للأزراء
ويُملّ العطاء بعد أوانٍ كعزوف من بعد طول الغذاء
والذى لا يملّ فرصًا معادًا كلَّ يوم مُوَفَّقُ السعداء
لا ينال البعيدَ من لا يرى الأدنى سبيلاً يُدني إلى البعداء
خطوةٌ إثرَ خطوةٍ هكذا سُنَّةُ عيشٍ وسُنَّة في الجِراء
وامتناع الطليب أهونُ من أن يندب المرء خيبة الأهواء
هو خطبٌ أدهى من الفَوْتِ وقعا وهو داء أشدُّ من ذا الداء
كالذى يستطب بالخطب من خطب ويُقْصِي الأدواءَ بالأدواء
ليس يُدْعى الرضاء يأساً فكم راضٍ وفي سعيه دبيبُ الرجاء

والذى يستدر نُجْحًا من الخيبة أحجى برفعةٍ وعلاءِ

فإذا ما نكصت فى العيش فاعْلَمْ ليسَ فى العيش موطن للنجاءِ

يُدخِلُ المرء نفسه فى الرزايا كىْ يداوى من رعدة الجبناء

مثلما أسمعوا الجيادَ صليلا كى يَهون الصليلُ فى الهيجاء

صاحِ ، ما العيشُ بالمخلَّدِ فى الدهر ، فترتدّ ناكصاً للوراء

وإذا ما ارتخصتَ ما هو مبذو ل ويارُبّ مُرخَصٍ من سخاء

فالهواءُ الحياةُ وهو مُذَالٌ لو نأى كان مُنْيَةَ الأحياء

لا تقلْ خيبة الرجاء سموم فالشقىُّ الشقىُّ بالأسماء

إنّ بَعْضَ السمومِ منه دواء كدواء الرَّمداء بالظلماء

وإذا ما هممتَ بالخير لا تولعْ بكسبِ الإجلال والإطراء

ليْس بين الإطراء والذمّ إلا كانطباق الجفون فى الإغفاء

واللبيبُ العليم بالناس لا يغتر بالمدح منهمُ والهجاء

غايظوا الراجحَ السعيد بمن خاب ولو فاز كان فى البغضاء

يزعمون الخُيَّابَ أحجى بفوزٍ قد لواه القضاء ذو الأخطاء

زعموا الدهر يظلم الندبَ إذ يسمو بشأو اللئام والأدنياء

فإذا الندب نال شأواً أعدُّوا ما أعدُّوا له من الإيذاء

ولعمرى لو بُيِّن النقص والفضل لكانوا فى النقصِ كالشركاء

باتفاقٍ أو باقتدارٍ نجاح كان أو لم يكن لدى الفضلاء

ولو أن المفضولَ لم يُلفِ نُجحا ضاعف الفَوتُ غَبن صرف القضاءِ

نابَهُ النقصُ من قضاءٍ فإن خاب فَغبنٌ مضاعفٌ فى الجزاء

ليسَ فوزُ الأباة قدرَ شقاء هزم الذلُّ نخوةَ الأحياء

لا بل الفـوزُ صـحـةٌ واقـتـدار وبـبـذلٍ للـذّخـر أو للحـيـاءِ
وبـأن تـطّـبـى رضـــــاء ذوى الجـاه وأهلِ الجـدود والأقـويـاءِ
وبإحـبـاطِ مَنْ يكيـدُ بكيـد رُبَّ فـوز مـسـتـجلبٍ بالدهـاء
وبإطراء من ترى منه نفـعـا وبإرضـاء كـل دانٍ ونـائى
واحـتـذاءِ الحـيـاة ترضى الـذى ترضاه من شيمةٍ ومن سيماء
وبأنْ لا تعـاف كـسـبًـا ولا خُلْقـا يُدانى من مطلبٍ ورجـاء
فـإذا عِـفْتَ كـان سـعـدك فى الخـيـبـة والنجح من صنوف الشـقـاء
رُبَّ قُـوتٍ للمـرء منه سـقـامٌ وهو فى جـسم آخـرٍ كـالدواء
وكـذا النـجحُ منه عـزٌّ ونعـمـاءُ ونجـحٌ يُـلمّ بـالبُـرحـاء

الجبـل (١)

- ذكـرى -

جـلالُك أهدى من ضـيـاءِ المنائر ومـنـبـرُك الأعـلى أجلُّ المنـابرِ
لقد كنتَ عرشَ المجد فى الأرضِ عزَّةً ومـسـكن أربابِ الدهور الغـوابرِ
فيـا معـبدًا سـقفُ السـمـاءِ غطاؤهُ وعـمْـدانُه الدوحـات ملءُ النواظرِ
جـلالُك يُلهى المرءَ عن كلِّ زائلٍ فيخشع مسحور النهىّ الضـمائرِ
توحّـدت كـالرهبـان يارُبَّ راهب رأى عـصـمـة الأطوار طهر السـرائر

(١) نشرت بمجلة « الرسالة » - عدد ١٣٥ فى ٢٥ نوفمبر ١٩٣٥

تطلُّ على السهل الفسيح كأنما تفكّرُ فى عيش القرى والعمائرِ
ألا إنّ للأهرام مجداً وروعة ولكنّها إن لُحْتَ لَهوُ الأصاغرِ
فأنت بناء الله لم يَبْنِ مثلهُ قديرٌ ولم تعبث به يَدُ جائر
ومعتصمٍ فى معقل منك مانع كما اعتصم الملاحُ بين الجزائر
علوت برأس فى السماء مباعد أكيْمَا تُناجى السحب أم كبر قادر ؟
وينساب فيك الماء جذلان لاهيا وآناً له روعٌ كروعة هادر
عليك اعتراكٌ للعواصف رائع وبرقٌ ورعد طىّ سُحْب مواطر
وأنت وقورٌ لم تُرعْ من رعودها ولم تتهيّب دورةً للدوائر
يغيّر مَرّ الدهر حيًّا وهامدا سواك فهل أوقفتَ خطو المقادر
فيا مَلكا بُرْدُ الجليد كساؤه ومن فوقه تاجُ النجوم الزواهر
تشاهدُ جيلاً بعد جيلٍ كأنما تمرُّ بك الأجيال مرَّ العساكر
ترى مولدَ الدولات ثم مماتها وتبصر مجد اليوم بعد الغوابر
خلطتُ بك النفس الطموح إلى العلا ومرأى جلال منك ملء الخواطر

المستقبل (١)

كهانة

خطراتُ الأحلام ستُرى فى الأيام

(١) نشرت بمجلة (بالمجلة الجديدة) بالقاهرة فى عدد أول ديسمبر ١٩٣٥ ص ٢٥

أقوال وفعال هي رهن الأوهام

– الآن –

ويكونُ الممنوع هو حقٌّ مسموع

ويكونُ المنبوذ هو عرفٌ متبوع

– الآن –

وجهودٌ مشكورة ستغادى منكورة

آراءٌ ومعان حبات مبذورة

– الآن –

وترى في الأجيال من حالٍ ومآل

وسبيلاً مطروقا كخيالٍ ومحال

– الآن –

وأمورٌ مجهولة ستغادى مملولة

من فرطِ العرفان وتراها مأمولة

– الآن –

خطراتُ الأذهان وضروبُ العرفان

تهدى إن لم تصم فتكات الإنسان

– الآن –

وولوعٌ ببقاء ككفيلٍ بنجاء

مهما صال الموت في حرب وعداء ٠

حالتان للنفس [1]

-١-

طلب السكينة

يا ليت قلبى غـدا خـلاءً　　　كـعـالمٍ كلّه بِحـارْ
على انتفـاءِ الحيـاة منهـا　　　فى خـضـرم مـالـه قـرار
فـلا مـهـودٌ ولا قـبـورٌ　　　ولا سـفـينٌ ولا منـار
ولا حَـبـيـبٌ ولا عـدوٌّ　　　ولا نموٌّ ولا احـتـضـار
ولا رخـاءٌ ولا شـقـاءٌ　　　ولا رجـاءٌ ولا ادّكـار
أو كـان كـالنجم فى سُراه　　　الـوادع الـسـائر المـدار
أو كـان كـالليل فى هدوء　　　يُخـال فى صـمـتـه حـوار

-٢-

طلب القوة

يا ليتَ قلبى على أسـاه　　　أقـوى من الشـرِّ والشـقـاء
وليت نفـسى على هواها　　　أقـوى من الحبِّ والرجـاء
وليت لبّى على حـجـاه　　　أجلد من غـفـلة الغـبـاء
لا يضْطنيـه عـداء عـادٍ　　　وليس يغـتـرُّ بالإخـاءْ
يأخذ صـفـو الزمـان عـفـوا　　　ولا يُعنَّى من القـضـاء

---

(١) نشرت بمجلة (المقتطف) عدد أول ديسمبر ١٩٢٥

وليت صبرى على بلاء | أشدُّ من أروع البلاء
فداوِ داء الحياة فينا | لو تُسعد النفس بالدواء
بالصبر والسعى والأمانى | والحلم والعزم والوفاء

عجز التجارب (١)

مَازادَ مرُّ حياتى غير أشجانى | فَزَوَّدَتْنىَ رُجحانًا كنقصان
يَا دهر لا تُنْسِنىِ فى ضيق عادية | محاسِنَ العين من صبرٍ وغفرانٍ
وَقوِّنى بتجاريبٍ أزاولها | فإنها لم تزدنى غير عرفانِ
وكيف يُلْهِمُ خُبْرٌ صَبْرَ مصطبر | يَمْرِى له الخبر عرفانًا بإيهان
يزيدهُ العمر من وَهْيٍ ومِن كبَرٍ | مازاده العمر مِن خُبْرٍ بحِدْثانِ
فكيف ينفع تجريبٌ ومانحه | يُوهى جلادة أعصاب وجثمان
بعض التجارب ينسى ليذكر زمنًا | إذا تعاورَ لبَّ المرءِ ضِدَّان
فإن تيقظ فى تجريب طارقةٍ | فإنما هو يقظانٌ كوسنان
ضرورةُ العيش أن ينسى ليذكر ما | يغدو يعالج من أمرٍ له ثان
فالمرء ما عاش من حال لثانية | مُنَقَّلٌ بين نسيانٍ ونسيان
فإن تذكَّر أمرًا واحدًا أبدًا | قضى الحياة غريرًا جد غفلان
وإن تناسَ فلا نفعٌ لخبرته | وكيف يجديه منسىٌّ بِغُنيانِ
فإن تذكر منسيًا تبادهه | منه فجاءة ما يقضى الجديدان

---

(١) نشرت بمجلة (الرسالة) - العدد ١٢٧ فى ٩ ديسمبر ١٩٣٥

كـأنه مـسْـتَـجـدٌ لم يلمَّ بـه ... ولـم يـحـــوَّل إلـى طبـعٍ ودَيْدَانِ
وربَّ طبـع بلا خُـبـرٍ وتجـربةٍ ... اسْخى على المرءِ من خُبْرٍ وعرفان
ذُخـر التـجـاربِ ذخـرٌ لا رواج له ... ولـم يخص بأرباح وأثـمـانِ
ذخر الأقاصيص مسحوراً ومختزنًا ... فليس للعين منه غـيـر ريعـان
إلاَّ تجاربُ علمٍ يستجدُّ بها ... ما يملأ العيش من حسن وإحسان
لولا انتفاعُك من عَادٍ مُفَضَّلةٍ ... قد تجتبيها مع التجريب فى آن
لما خُدِعْتَ بأشباه إذا اختلطت ... فعادةُ المرء والتجريبُ أمْران
والخُبْرُ ليس بناف عادةً شَنَاتْ ... ولا يداوى به منَ وْهىِ أبدان
يزيدك الخُبْر علمًا بالحياة وما ... تغرى به الناس من شرٍّ وطغيان
حتى تسير على مجرى سجيتهم ... فلا يزيدك فيها غير إمعان
فإن أبيت سجايا الناس من شممٍ ... قضيت عيشك فى همٍّ وأحزان
إلا إذا ما لبست الدهر عافيةً ... فهيّات لك من صبرٍ وغفران

ليلة حوراء (١)

رقَّ الظلامُ بليلةٍ ... حوراء كالطَّرف الكحيلْ
سحرُ العيون كسحرها ... بين الشواهد والشكولْ
هى فتنة الحَدَق الملاح ونعمة الطرف العليل
رقّ الظلامُ كأنّه ... متفيّا الظل الظليل

(١) نشرت بمجلة (الرسالة) - العدد ١٢٨ فى ١٦ ديسمبر ١٩٣٥

فى روضــــةٍ فـــينانةٍ هجرَ الهجيرُ بها المقيل

وصـــفَـــا الدجـــا فكأنما مـــزج النهـــار به الأصـــيل

فـتمـــازجـا كـتمـــازج المـــ ـــاء المصـــفَّى والشَّـمـــول

فى جُنحـــهـــا وصـــفـــائهـــا قُـــرِنَ الجليل إلى الجـمـــيل

وتصـالحـا من بعـد مـا افـــتـــرقَ السـبـيل عن السـبـيل

تحنو علينا مـــثلمـــا يحنو الخليل على الخليل

وتخـالهـا حُلْمًـا بِسـعـدٍ جلَّ عن قـيـد العـقـول

ولـرُبَّ لـيـلٍ فـــاحـمٍ فـــيكادُ يُقْطَعُ أو يسـيل

لا مـــثـلَ لَيْلـتِـيَ التى تندى على الوجدِ الدخيل

فى سـحـرِها وصـفـائِها ونجـــومِـهـــا بُرْءُ الغليل

عـمَّ السـكونُ كـــأنّـه مَلَكٌ على الدُّنيـــا نَزيل

فـكأنَّـهـــا رسمٌ بَـــدَا وكـــأنَّهـا حُلْمٌ مـخِـيل

فى مـــثـلهـــا من هَدْأةٍ سَكَن القـضـاءُ فَلَا يَصـول

وكــهـــداةٍ فى مـعـبـدٍ للخَـاشِـعِين به مُـثُـول

وكـأنَّـمـا أَغْـفَى الهـواءُ كـغـضَّـة الـطـرف الـكـلـيـل

والبَـــدْرُ طَيْفٌ فـــى المـنـــام يُطيف كـالحِبِّ الوَصول

فى مـــثلهـــا من ليلة عـــبـــد الدُّنا أهـلُ الحلول

ورأوا تجـــلـــيَّ الله فـــى كـــونٍ عـــــراه لـه ذهـول

والزَهْـرُر كـالمســحـور وســنـــان المحـــاسن فى ذبـــول

والنهـــر غـــافٍ راكـــد نسَىَ التَـرَقْـرُقَ والمسـيـل
وسنـانَ يحـلـم بالـريـاض وظلّهــا فـيـــه الظليـل
في مـــثلهـــا من ليلةٍ يَقِفُ الزمـانُ فـلا يحـول
يُصْـــغِي إلى نجـــوى الـقـلـوبِ وذِكْـرِها العـهـدَ المحيل
كـوقـوف نجم سـمـائهـا يثنيـه من سـحـر ذهول
كـذهول مـسـحـورٍ بمـا تجلو من الحُلم الجـمـيـل
يا ليل بل يا سـحـر بل يا حُلْمُ ليـتـك لا تزول

الشـتـاء في إنجـلـترا (١)

مقـدمة :

يسقط الثلج فى إنجلتره شتاءً على شكل حبات الدقيق . فيعلو الأرض والمنازل والأشجار ، فيخيَّل للرائى كأنما قد كُسيت الدنيا كساء من القطن . وكأن النهار ليلة مقمرة ، وكأنما بياض الثلج من أثر بياض أشعة القمر . وتذكى النار في المواقد فى البيوت ، فكأَن ألوان النار ألوان الأزهار الزاهية فى جنّة الربيع ، وتذكى نار المواقد وجنات الوجوه فكأَن فى المواقد جمرًا وفى الوجوه جمرا ! وتبحث فى القلوب فترى نار الحياة وشرّتها ، وترى الحب والآمال لم يغضّ منها برد الشتاء وثلجه !

(الناظم)

* * *

(١) نشرت بمجلة « الرسالة » العدد ١٢٩ ، فى ٢٣ ديسمبر ١٩٣٥ .

نَشرَ الضَّريبُ على البسيطة حلةً بيضاء تمحو غبرة الغبراءِ
يسعى على وضح النهار كأنما يسرى الفتى فى ليلةٍ قمراءِ
فكأنَّ نور البدر ما حلَّى الثرى برواء تلك الحلَّة البيضاءِ
غلب البياض على اصفرار أشعة تَهَبُ النهار من اصفرار ذُكاءِ
وعلى المساكن كسوةٌ منه كما تعلو المفارقَ شيبة الشمطاء
فإذا مشابهة المشيب كدعوةٍ للنفس أن تنأى عن الأهواء
وإذا استبراح لمُقْمرٍ فى لونه راءٍ ترى الأحلامَ عينُ الرائى
وكأنما فى عالم الأرواح يسعى مَنْ سعى لا عالم الدقعاء
وكأنَّ زهرًا أبيضاً غطى الثرى برواء ثوب الروضة الغناء
ولكلٍّ لون حسنه كالليلة الليلاء أو كالقبّة الزرقاء
ولربما اختلف الجمال ، وفعله متشابهٌ فى أخذة الصهباء
وإذا المواقد فى البيوت تضاحكت من شدة الإيقاد والإذكاء
خِلْتَ الربيعَ سعى إليك بحفله والنارَ زهرَ الجنة الفيحاء
يذكى الوجوه لهيبها فتراهما جمريْن يشتعلان فى الظلماء
ما غضَّ من دفء الحياة ونارها ثلج الشتاءِ على ثرى الغبراء
الحبُّ والآمالُ فوق متونه كالحبِّ والآمال فى الصحراء
والقلبُ قلب حيث كان إذا ذكت نارُ الشباب وشِرَّةُ الأحياء

بحر الحسد [1]

مقدمة :

الحياة هى بحر الحسد . ويسعى الناس فى الحياة لأرزاقهم وجاههم بالكيد والمكر ، كأنما يسبحون فى بحر من الحسد . وقد يدفع بعضهم بعضا كى يظهر الدافع على متون أمواجه . وقد يعين بعضهم بعضا فى الأحايين . أما المجاملة فى الحياة والتحيات ، فقد تكون أشبه بلألاء الشمس على سطح الماء يخفى بجماله ما فى البحر من قبح وبلاء ! **(الناظم)**

* * *

يسبح الأحياء فى بحر الحسدْ ... فاعتصم بالصبر فيه والجلَدْ

واقتعد صهوته مستبشرا ... سابحًا فى الموج منهُ والزَّبدْ

ضاحكًا من عنت الأمواج ، لا ... يُدفَعُ الغائلُ منها بالكمدْ

انظر الأمواج فى الشط ، تَجدْ ... لُجَّها منهزم الأمر بددْ

إن علَت موجة حقد فاصطبر ... أىّ موجٍ فى ذرى اليمّ خَلَد ؟

وإذا ما رمَّةٌ لاحتْ ، فلا ... تحسب الرّمة فيه كالسَّند

وإذا لألاتِ الشمس على اليمِّ أخفتْ قبح ما دون الزبد

كمقالِ الخبِّ يخفى كيدَه ... إن سطًا فى العيش فى لُؤمٍ وحِقد

وإذا غارَ بك الماءُ فقل : ... كم حسام فى قراب قد غُمد !

---

(1) نشرت بمجلة « الرسالة » العدد ١٣٠ فى ٣٠ ديسمبر ١٩٣٥

رُبَّ درٍ فـيـه لاتـأمـلـه إنَّ مَن غـاص عـلى الدرّ وجَـدْ
درةٌ مـخـبـوءة أنتَ إذا مـا طفَـا باللؤم إن أُغـرِقْتَ وغـدْ
أنجـدِ السّـابحَ إن حـار وكـنْ للذى أشـفَى على الهُلْك عَضُـد
ليس مجد الغدر أحجى بالفتى أىُّ مجدٍ ناله الأوغاد مجد ؟
أحمقُ الناس جهولٌ خائف كُلّما لاحَ لهُ برقٌ رَعَد
ليس فى العيش ولا الموت أذى إنَّ من سار على الدرب ورد
لا يَلَذّ الموتَ إلاَّ مُتعَبٌ سهر العيش وفى الموت رقد
رقدة يا طيبها من رقدةٍ بعد أن عانى وأبلى وسهد !

الصدى (١)

أمازحٌ أم ساخرٌ يا صدى تردد الصوتَ ولفظ المقالْ ؟

الصدى : مقال – مقال – مقال !

أم قائلٌ ذو خبلٍ لا يعى أغراه بالترديد مسُّ الخبالْ ؟

الصدى : خبال – خبال – خبال !

أم أنت طفلٌ عابثٌ لا ينى يلهو ويحكى ما يرى من فعالْ ؟

الصدى : فعال – فعال – فعال !

أم ببغاء ما لها فطنة كم رددت من حكمةٍ أو مثالْ ؟

---

(١) نشرت (بالمجلة الجديدة) بالقاهرة ، عدد أول يناير ١٩٣٦ السنة الخامسة ص ٤٨

الصدى : مثال – مثال – مثال !

أم أنت روحٌ لا ترى تبتغى   أمراً لدى الأحياءِ صعب المنالْ ؟

الصدى : منال – منال – منال !

أم أنت بعضُ الجنِّ فى خدعةٍ   تسكن فى الأطلالِ أو فى الجبال ؟

الصدى : جبال – جبال – جبال !

أم أنت شيخٌ أَفِنٌ إن سها   ردّد ما قيل له من مقال ؟

الصدى : مقال – مقال – مقال !

أم كأصمٍ رامَ إخفاءَ ما   به فلا يطلب رجعَ السؤال ؟

الصدى : سؤال – سؤال – سؤال !

أم أنتَ مثل الناسِ فى غيِّهم   كم ردّد الجهال قولاً يقال ؟

الصدى : يقال – يقال – يقال !

يخشون إن شذوا بإنكار ما   قد ألفوا من ترهات الضلال !

الصدى : ضلال – ضلال – ضلال !

فرددوا بغْياً على ألفةٍ   بينهم ، أو رددوا من كلال !

الصدى : كلال – كلال – كلال !

فقولهم مثل الصدى رجعة   وعيشهم ما بين قيل وقال !

الصدى : وقال – وقال – وقال !

حكيتهم فى عيشهم ساخراً   أذلك العيش وعقبى ا لمآل !

الصدى : مآل – مآل – مآل !

صمت الشك [1]

علم أم ضعف ؟

ألا لا أبيحُ العْيش مدحًا ولا ذما ... سكتُّ فلا عذرًا نطقت ولا لَوما
ولا يستقيم القولُ إلا لُمنْتشٍ ... من العيش والآمال لا من صَحَا غما
مللتُ أساطير الحياة فإن أُفق ... فمن لى بحلْمٍ قد حلمت به قِدْما ؟
حلمتُ بحسن العيش والصدقِ والنهى ... أمانىّ لاصماً تبدَّت ولا بُكْمَا
وإن لم يكن عيشُ الفتى حلَم حالمٍ ... فما عُذرُ قولى إن حَسِبْتُ الدنى حلما
فإنْ شئت كان الشكُّ ضعفًا وخَيْبةً ... وإنْ شئت كان الشك منطقه علما
وإن كان أصلُ الوحش والناس واحدا ... فلمْ فَقَدُوا ظلفًا وقد كسبوا لؤما
وكيف أرى فى مستقبل الدهر للورى ... علاءً ومحْيًا يجمع الخلق والفهما ؟
إذا كان صدق الناس كذبًا وفضلهم ... رياءً ، وودٌّ منهم الغدرَ والسُّما
صحوت كصحو الموت من نوم عيشه ... أترجعنى للعيش ألْعَقه رغما ؟
كما يلعق الآسى العليلُ دواءَه ... وإن مجّ منه علقمًا قد نبا طعما
وهل ثقةٌ بالعيش والناس تشترى ... لأَنثرها نثرًا وأنظمها نظما ؟
وإن كان مدح المرءِ للعيش خَشْيَةً ... من اليأس كان المدحُ من وجلٍ ذماً
يسوغ بيان السخط إن كان من هوى الـ ... ـحياة وإن أغرى بك الأمل الجمّا
وإلا فإنّ الصمت أولى بقائلٍ ... إذا قال قَولاً جدّد اليأس والهمّا

---

(١) نشرت بمجلة « الرسالة » العدد ١٣٢ فى ١٣ يناير ١٩٣٦

على تافـــهٍ لا ينقعَ الدهرَ غلة ... ولم يك بين الناس ربحًا ولا غُنما
رأيت زوال الكائنات فــلا أسًى ... إذا لم أُخَلّدْ لى مـقـالاً ولا نظْمًـا
سـيحدث بعـد القـول قـول يُديلُه ... وإن زال أقـوام تجـدْ بعـدهـم قـومـا
ومــا الخلد إلا عِــزّةٌ وطمــاعــة ... وأنبل كـذْبٍ يخدع اللبَّ والفـهـمـا
يكون الفتى فى اليأس دهرًا وفى المنى ... (كأرجوحةٍ بين الشقاوة والنعمى)
وقـد حلّ بى دهر إذا مـا مـدحـتـه ... أظل كـحاسى المُرٌ يفتعل البسـمـا
وإن لم يُنلْك القــولُ إلاَّ مــذمـةً ... فمن برٌ نَفْسى أن ترى تركه حزما
فمن شاء فلينطق ومن شاء فليكنْ ... صموتاً فحسْبى أن أرى الحمق والحلما
مللتُ نضالَ الناس فى غيـر طائلٍ ... وإن كان شرًّا يصقل الذهن والفهما
وكم شبَّهوا فهمـا بسهم ومورد ... ويَا طالما أشْوَى الصواب وكم أظما
فيا ليت هذا العيش يبدو كصورةٍ ... لعينىَّ أو خطًّا على الطرس أو رسْما
كـمـا تهدأ الهيجاء فى رسم راسم ... تراها فـلا قـتْـلاً تـراها ولا كَلْمَـا
ترى حسن إحسان وتجويد صانع ... وقـــدرة فنَّان وجــهـــداً له تمَّـــا

سحر الطبيعة (١)

كئوسٌ من النور هذى الزهو ... ر أم هى أخـيلة الشـاعـرِ ؟
ولـيـسـت بحُلم ولكنهـــا ... أجلّ مـن الحُلْم البَـــاهـرِ
ومــا خلّفت لفنون الخـيــا ... ل فـتنة حـسنٍ لدى الخـابرِ
ومــاءُ الحـيـــاة ونبع الخلو ... د فى مـائهـا السـلسل المـائر

(١) نشرت بمجلة « الرسالة » العدد ١٣٣ فى ٢٠ يناير ١٩٣٦

وعشب قشيب وظلٌّ ظليل　　أدنْيـاً أرى أم مُنى الســاحـر ؟
ومما يــزيــد رواء الــزهــور　　أذى العــيش والقــدر الجــائر
لقد خفت أن تنطوى مثلما　　يزول الخــيــال عن النــاظر
فأسلمت نفسى لسحر الخيال　　لأخلد فى حُــسنهــا الزاهر
وغبتُ عن الحسنِ حسن الوجود　　كــأنى روح لدى العــابر
كــأنى نقلت إلى عــالم　　سَــيُنشــأ فى الدهر أو غــابر
كــأنى نُقلت إلى جنة　　نــأتْ عن سطا القــدر الدائر
ومما يــزيــد رواء الــزهــور　　أذى العــيش والقــدر الجــائر

الغــابة [1]

قد حكيتِ الآباد كالبحر والصحـ　　ـراء من طول أرضك الشجــراءِ
وحــجــبتِ الأفق البــعــيــد عن　　الطَّرف فأنسيت منتهى الأشياءِ
فكأنَّ لامــدى لدوحك يُرجى　　حين تُدْحيَ مطارحُ الغَبــراءِ
ورياح تشــدو على ورق الدو　　ح بألحــانِ شــدة أو رخــاء
منطق لم يدع لنفس شــجــونا　　لا يُحــاكى صفــاتهــا فى الغِناءِ
ثم تبدو الغصون فى هدأة الريـ　　ـح كنَاىٍ مــعــلّق بالهــواء
وكــأنى أصغى إلى غــابر الدهر　　ومــا كــان فــيك من أزراء
وكــأنّ المســاءَ ظلل دَوْحــا　　يتــســامى ولات حين مســاء
وكــأن الظلامَ دسٌ كــمــينًا　　رابضًــا فى آجــامك الدّكْناء

(١) نشرت بمجلة « الرسالة » العدد ١٣٤ فى ٢٧ يناير ١٩٣٦

خطرتْ فى ظلام دوحك أروا ... حٌ وناجت مسامع القدماءِ
لبث القوم فيك دهرًا فَناَجا ... هُمْ سرارُ الفنون بالإيحاءِ
عُمُداً شيّدوا وَسْقفًا لِبَهْوٍ ... واستمدّوا من غابةٍ وسماء
حين شادوا للدّين بيعةَ إيما ... نٍ تبدّت كالغابة اللفّاء
صِرْتِ ملهىً وكنت غيلا مخوفا ... وملاذَ اللصوص والطرداء
وارتضيت الأمان من بعد ذُعر ... لم يزل فى المدينة الشماء
غابة شادها ابن آدم نزلا ... دَوْحها من قصورها الزهراء
ربما عرّشتْ وضاقتْ فلا شمـ ... ـسٌ لديها ولا مراحُ الهواء
ومخوفٍ من الفجاءة فيها ... كمخوف فى الغابة القتماء
واحتيال ليُقْنَصَ الرزق والصّيْدُ ... سواء فى مكرةٍ كسواء
كم وحيد لا يعرف الأنس فيها ... أصْبَحت نفسه كقفرٍ خلاء
ضاقَ ذرعًا بنفسه فغدا ينـ ... ـشُدُ طيًّا فى معرض الأحياء
عذّبْته لواحظ الشمس حتى ... أخذتْه لواعج الظلماء
وأفاعٍ فى دُورها وقرود ... ووحوش من ناسها بالعَراء
وغريب ومُعدم وطريد ... قد عداه حتى خداع الرجاء
فكأنَّ الأقوام لم يخرجوا منك ... ولا زال عهدْكِ المتنائى
سُنَّةٌ قد سننتها فى نفوسٍ ... إن دَعتها كانت جواب النداء

الحق والحسن (1)

عصيت الحسنَ من همّ ونحس ... ينيخ على الورى فى الطارقات
وقلتُ الحق خير منه عقبى ... وأولى بالنفوس الساميات
وقلتُ أيا رُواء الزهر بُعدا ... ويا سحر العيون الساحرات
ويا مُلح الخمائل لا تكونى ... حبائل قانصات آخذات
ويا شمس اخبئى ضوءا صبيحا ... يغازل حسنه حسن النبات
أليس الناس فى عنت وشرٌ ... سلى الأيتام والمترملات
سلى أهل الشقاء ومادهاهم ... وهل طابت لهم خدع الحياة
رمى بالنسل للآفات طُرًّا ... نشاوى لذّة لا الواجبات
وقالوا النسل فرضٌ أىّ فرضٍ ... جديرٌ بالنفوس المؤمنات ؟
ديار النحس كالجنات حُسنا ... لدى العشاق فيها والهواة
ورنّق من مناقع آسنات ... ألذّ مع الغرام من الفرات
وحيث ترى نعيم الحسن داء ... ترى فقد النفوس الآبيات
وهل ترجوه لاستصلاح أمر ... صريع عقار حسن الفاتنات
فإن الحسن يلهى المرء عما ... يحاول من صلاح الحادثات
ولولا سلوة للحسن ، عِيفت ... حياة فى حضيض الهاويات
فقال الحسن هل أنا غير سلوى ... تعين على كفاح النائبات
أنا الأمل الذى لولاه كانت ... حياة المرء شرًا من ممات

---

(1) نشرت بمجلة « المقتطف » - عدد أول فبراير ١٩٣٦

أنا الحقُّ الذى تبـــغى جـــداه | وتنشـــد كـــونه فى الكائنات
أنا المثل الأجلّ ، إلىّ مَـــرْقى | خُطا الراقين من مـــاضٍ وآت
أنا الحادى الذى يحدو نفوسا | فتطرب طِرْبة المستـــوقـرات
أنا الصبـــر الذى يودى بنحس | ويسعد فى الهموم المضنيات
أنا الحبُّ الذى لولاه كـــانت | وجوه الكون أشبه بالرفات
فلمّـــا أن تبـــدّى منه سحـــر | أضـــاء بنوره وجه الحيـــاة
ولمّا أن تبـــدى منه ســـحـــر | أعاد النفس فى مثل السُّبات
خشعت وما ملكت قياد نفسى | وقلت : الحق حُـــسنٌ لو يؤاتى
وإن لم يزوِ نفس المرء عـــمـــا | يحاول من صلاح الحادثات

ما وراء الأمن [1]

« ولكن ما وراءك يا عصام ؟ »

(شاعر قديم)

أمـــــا فكّر هذا النا | سُ كم من قـــاتلٍ عـــاتى
لو أن لكلّ ذى حـــقـــدٍ | مناه فى الرمـــايات
لو أنَّ الأمـــرَ فـــوضى لا | حـــسيب على الجريرات
لكان الأمـــر مـــا كـــان | قـــديماً فى البـــداوات
إذ الأشـــــره فى الأرحـــ | ـــم مقضىٌّ المشيئـــات
ودامى النـــابِ من لحـــم | أخـــيه أو السخيمـــات

(١) نشرت بمجلة « بالمجلة الجديدة » بالقاهرة عدد أو فبراير ١٩٣٥ ص ١١ .

وغــرّ النـاسِ مـــا يخــد — غُ مـــن بـــذلِ المـــروءاتِ
وغـــــرّ الأمـنِ والـسـلـم — وآيات الـســـمـــــواتِ
ومـن يـصـــــغى لآيات — وأرواح رحـــيـــمـــات
وخـلـف الأمـن والـسـلـم — كـحـــرب الذئب والشـاة
قـــتـــال بالـنكـايات — وآخـــر بالـســـعـــايات
وبـــالـــكـذب وبـــالـلـؤم — وأرجـــاس الـغـــريزات
ســلاح كلّ مــا أســعـــ — ــف فى حـــرب المبـــاراة
ولـو تقـــتـــل ألحـــاظ — نمت قـــتلى العـــداوات
أســهمٌ مـــا بدا فى اللحـ — ــظ أم ســـهـم الحـــزازات
وقـــــوم الـزمـن المـاضـى — كـــقـــوم الزمن الآتـى

* * *

ســــألـت الله أن يخـلـــ — ــف ظنى عند مـيـقـات
بأن يـخـلـف أقـــوامـــاً — كـرامـاً فى الـسـجـيـات
فـمـن فـجـار مـهـواة — إلى أطهـــار مـــرقـــاة
ومـن رجـسِ المـبـــاراة — إلى طهـــر المؤاخـــاة

نذالة التعاسة (١)

كـــدتُ أنْسى دواعىَ الرّفْق ممـا — قـــد أرتْنى نـذالة التُّـعَـسَـاء
يقـضـمونَ اليـد التى تَنْتَحـيـهمْ — بســـخـــاءٍ ونجـــدة وإخـــاء

(١) نشرت بمجلة (الرسالة) العدد ١٣٦ فى ١٠ فبراير ١٩٣٦ .

ويكيدون فى الخفاء أو الجهـ ـرة أَلْئِمْ بِجَهرهم والخَفَاءِ
عشّش اللؤم حيثما عشش البؤ س سوى فى القليل من كرماءِ
ليس بدعاً ، أليس ما نغّص العيـ ـش من البؤس باعث الشحْنَاء
كل قلب تبيت من حَسَك البؤ س مليئاً بخسَّة الأدنياء
يتلظّى شراً ويرشح غدراً ويُداجى خوفاً بثوب رياء
يلؤم المرء وهو غير شقىّ كيف ينأى عن لؤمه فى الشقاء
ليزيدَنَّهُ اغتيالا وحقداً وافتراساً على حُطَام الرّخاء
وسُعَاراً لَوْ انّه نال من أرْ ضٍ لجُنَّتْ زلالزل الغَبْراء
وهو غلٌّ لو حاقَ بالشمس أمسَى مثل ذرّ الرماد وجهُ ذُكاءِ
ليس شر البأساء قصراً على النحْـ ـس ولكن كم أشعَلَت من عَدَاء
وحقودٍ وخسَّةٍ وسعار واغتيال ومكرة ورياء
تفسد الأنفس الكرائم حتى تَغتدى مثل أنفس اللؤماء
ضَاع عطف الرحيم إذ ضاع حسُن الـ ـخُلقْ فى خِيم أنْفُسِ التّعساء
وعظيمٌ ما أفسد النحسُ من خلـ ـق هضيم ورحمة الرحماء
كم شقاءٍ يمضى وفى النفس منه أثر واضح لغير فناء
من عوادى سخائم لست تدرى هى بالمرءِ علة الأدواء
أم هىَ النفسُ سقمُها مثل سقم الـ ـجسْم من إحنةٍ ومن شحناء
مثل ذل الشعوب خلّف لؤما بَعْدَ فوْتٍ من عهده وانتهاء
وصفات الشعب الضعيف لَتُلْفى فى جسومٍ صحيحةٍ أقوياء
من رياءٍ وإحنة واحْتيال وتعادِى تخاذلٍ وافتراء
شيمٌ يدرأ الذليل بها من عجزِه سطوةً من الأعداء
أصبحت شيمة النفوس وإن لم يك ذل ولم يكن من عداء

فـــمـــتى يـلبس الخـــلائق طراًّ طيب نفْسٍ فى شـمـلة النعـمـاءِ ؟
ليس إلا بـهـــا نجـــاء نفـــوس الـــ ـــناس طُرا من خـســّـة الغـبْـراء
فـاطلُبْنهُ فـيـهـا وإلا فـدَعْ نـشـد ان أمـــرٍ بَـغـــيـــر داعِى الرّجـــاء

بين الـثريا والـثرى [١]

الحمل الجدى والسرطان : هى الأبراج المعروفة بهذه الأسماء ، والمعنى هو أن الشباب لايهتم بما يخبئ له القدر ؛ كما يهتم من يرصد الأفلاك والأبراج ليعرف منها ما يُخبِّئهُ له القدر . (الناظم)

١ - الشـــبـــاب

تُذكـــرنى الشـبـــابَ وقـــد علونا به فـــوق المجـــرّة والنجـــومِ
ونحن الخـــالدون وكـــان حـــقـــاً خلوٌّ الخـــالدين من الهـــمـــومِ
سـوى الحزن الذى عُقبـاه ضِحْكٌ يرنّ صـداه فى ضـحك الهـزيمِ [٢]
وطِئنْا فـــــوق أطلال الدرارى وأشـــرفنا على بيـــد الســـديمِ
فـــلا حَـــمَلٌ ولا جـــدْىٌ رقـــينا ولا الســـرطان ذو البـــرج العَظيـم
ومـــا من صَـــوْلَةِ الأقـــدار خـــفْنَا ولا لاحَـتْ لنا مـــثـل الغـــيـــوم
بـأرواح لهـــا فى الأفق مـــســعى وتحليق على العـــيش البـــهـــيم

---

(١) نشرت بمجلة الرسالة - العدد ١٣٧ فى ١٧ فبراير ١٩٣٦
(٢) ضحك الهزيم : يُراد به صوت الرعد .

رَكَضْنا فى السماء لكل نجمٍ حُنُوَّ الطير للزهرِ العميمِ
وحَوَّلْنا وجوهَ الكون كأسا حسوْناها ولم تَك من كرومِ
ولم نعْبأ بما تُخفِى الليالى ولم نخْشَ المنيّة فى الهجوم
وأسْلَفَنا الزمان نعيم عيش ولم نحذر مقاضاة الغريم
وكنّا فى ائتلاف الشمل نحكى نظام الشهب والدرّ النظيم

٢ - المشيب

سكَنّا الأرض بعد الأفق دارا وأنزلنا إلى بطنِ الأديم
وأفْهمْنا القضاء وما فهمنا وقل ما شئت فى لغْوِ العليم
وكُسّرت القوادمُ والخوافى وهِيضَ العَظْمُ فى الجسم الكليم
صحونا للحياة وما تراه من الخلق المُقبَّح والذميم
فمن حذرٍ إلى بخل وذُلّ وسوء الظن بالخِلّ الحميم
أطلّ الموت من كثب علينا وظِلُّ الموت أصبح كالنديم
تُرَوِّعنا الصروف بكل خطبٍ وخطب الموت أهون للفهيم
وضاعت جِدَّة الدنيا وصارت كأطمارٍ على جسم العديم
يحُاربنا التذكّر والتمنى كلا الأمرين يُفْضى للهموم
وقدما قد نعمنا بالتمنى وأملنا الخلود على النعيم
وليت الذكر ، وهو نذير شجو يدوم بروقةِ العهد القديم
سننسى أننا كنا قديما على هَام الثريا والنجوم

بيان ماض وحاضر [1]

أنشـودة

عــهــدى بالعــيش على رَغـدِ   عــذباً كــالمـاءِ خَـسَـاهُ صـدى
نـغـمٌ والـدهـر يُـوَقِّـــعُـــهُ   يســرى كــالنَّشْـوَةِ فى الجـسـد
ياليـت الـدهـر كـــمـن يـشــدو   بــأغـــــــان إن يُـطْـربْ يَـزِدِ
إن قلـتُ أعــدْ نـعــمى عــادت   كــتــرنُّم ذى النَغَـم الفَــرِد
حــسنات كنت بـهــا ثمــلاً   ذهبتْ فى الـدهـر فـلـم تَـعُــد
آمــالٌ كنت بهــا شـغـفــاً   نـظرَ الـولـهـــان إلى الخُــرُدِ
أحــلامٌ كنت بهــا جــذلاً   قـــد شحَّ النـوم ولـم تجُـد
وشــبـــاب ذقت بـه خلـدا   فـى طرفــــة عـينْ مـن أبـدِ
لــو دام دوام الخــلــد لمــا   نقـع الظّمْــآن من الصَّــفَـدِ
لـو عـــاد بذلتُ لـه ذخـــرى   مـن مُـطَّـرَفـى أو مُـــتَّـلَـدى
بشــعــاعٍ منه أعـيش مـدى   دفءٌ للشــمـس علـى بُعـدِ
آبَ التــذْكــارُ لـه شـبـحــاً   أو قـبـراً شِـيـد لِمُـفْـتَـقَـدِ
مــا خَـلَّفَ لـى دهرٌ ثـقــةً   بمـآل فــيـــه أو أحـــد
يـانـبْـع المـاضـى لـو عــاد الـ   ـوُرَّادُ إليـك عـلـى جَــدد

(١) نشرت بمجلة (الرسللة) عدد ١٢٨ فى ٢٤ فبراير ١٩٣٦ .

لرجعتُ إليك رجوعَ صدٍ لم ينْهَلْ قَبلُ ولم يردِ
وغداً ماذا يادهرُ ترى قد قُدِّرَ لى بضمير غد ؟

صور الصداقة والعداوة[1]

وفيٌّ غادرٌ سمْحٌ حقود أرى الأضدادَ فيك إلى لقاءِ
أمدحُكَ لى انتقام من عدوٍّ أساءَ إليك أم محض الثناء
وفاؤك كى أبادلك التّحايا أذا سَبُبُ التقرُّب والتنائى؟
وكيما أصْطلى وأشنّ حربا على مَنْ مَدحُه لك كالهجاء
أتخدعُنى ولم تلحق بسنىّ ولم تظفرْ بخبرْىَ أو بلائى ؟
وتمذق لى إخاءك مذق حقد علىّ وما أصبتُك بالعداء[2]
تحاربنى وتحسب أن ستخفى، عداؤك ليس يظفر بالخفاء
كشأن نَعَامةٍ للرأس تخفى وتحسب ما لها فى الناس رائى
ولستَ بأول المُخْفين بُغْضاً نما بين المحبَّة والإخاء
عرفتُ الناس قبلَك ياخليلى وذقتُ الغدر من حلو الوفاء
فإنْ كان الولاء كما أراه فويْلى من وفائك والولاء
وبُعْداً للمديح وإن تغالى وسُحقا للمروءة والصفاء
سل الخلاّن ما فعلوا بقلبى وهل أبْقوْا لشدقك من غذاء

(١) نشرت بمجلة (الرسالة) العدد ١٤٠ فى ١٦ مارس ١٩٣٦
(٢) بمذق الإخاء : أى لا يخلص .

وهل أبقـــوا لبطنك منه شِلْواً مــريراً لا يســـاغ على عـــداءِ ؟
أعـيــذُكَ أن أراك شـبـيــه قـوم رجـولةُ بعـضـهـم فـقـد الحـيـاء
وهـمْ فـــقـــدُوه من ذلٍّ وعــارٍ وهـمْ فــقــدوه من فــقـــدِ الإباء
وكم أخــفَــوْا رخـاوتهم بهُـجْـرٍ كـمـن فـقـد الحـيـاء من النسـاء
وهـم مـــثـل الهلوك رمت رجـــالاً بما قــد صحّ فــيـهـا من هجـاء
علـى الأواب واقـــفـــة تَـنزَّى وتـرمـى القـــوم مـن دانٍ ونـائـى
وتحـسـبُ أنهـا نفـضـت خناها كــجلد الكلب هُزَّ لِنَفْضِ مـاء
فــلا يعــديك خلقُــهُـم فــإنى رأيت الخلق يُعـــدى كـــالوباء
صـفـحـتُ ولو أردتُ بـلغـتُ ثأرى وقـد عُـرف اقـتـدارى فى الرِّمـاء
فـــإن يأبوا وإن تـأبى سكـوتى فــمـا صـمـتى بعَىٍّ الأدعـيــاء
ولا يُعليك بين الناس خـفْـضى ولم تبـعـدْ بأفـقك عن مـسـائى
لتنزلنى إلى حـيـث اسـتـقـرتْ بك الدنيـــا تفَنُّ فى العــداء
تُخَـبِّـرُنى اللحـاظ بغلّ قــوم على مــا نلتُ من فُـرص الرخـاء
وكنتُ أظنّه حـســـداً لقــوْلى فـخلت الصـمت أقـرب للنجـاء
ولو سـمـعـوا بموتىَ مـا اسـتـراحـوا ولا يشــفـى حـقــودهم فنائى !
أرادوا لى المـمـــات ولو دهانى لفـرط الحـقـد أُحْـسَـدُ للفناء !
فـلا يُرضـيـهمُ عـيـشى رخـيّـا ولا يرضــيـــهمُ منى عــفـــائى
وفى الدنيا الدنيـئـة هان سـمحٌ تعـــالى عنْ سِـــلاح الأدنيـــاء
إذا مـا أحـرجـوا سـمـحـاً كـريما تدرَّع بالقـــواذع فى الرمـــاء
دعُونى صـامـتـاً فـالصـمت أوقى لكم إن لم تصـــولوا بالغـــباء

أداجي الناسَ ما داجوا وإني … لأزهدُ في الدّهان وفي الرياءِ
ولكنّ الحياة لها قضاء … فمن يأباه يزهد في البقاءِ
وما أدْري لدن أُلْفي عُدواً … أأَبْلَه أم تباله بالعداء ؟
أخَوَّفَه أذايَ أخو دهاء … أخَوَّفَهُ ذكائي واعتلائي ؟
أتمّقَ وعده بالخير إمّا … تمادى مَنْ تمادى في الجفاء؟
أسَعْيُ سعاية أم قولُ واشٍ … يحكِّمُه المُحَكَّم في الخفاء ؟
أرجّاه مُرَجِّي الخوف مني … ضلالاً نيل عونيِ أو ثنائي؟
أعَدْوي في التثاؤب من كسولٍ … كعدوي في العداوة والإخاء؟
أرَشحُ اللؤم في رهط وضيعٍ … يفيض بما يشاء من الأداء؟
ومن عرف الأنامَ رأى أمورا … مُرَعْبَلَةً كرعبلة الكساء(١)
أراها كلّها صوراً تنزّى … تنزِّي الآل في الخرْق الخواء
سرابٌ لست أتبعه فأخشى … هلاكاً لا ، ولا هوَ منْ رجائي
أنا المرء الذي عرف البرايا … فلا يردي لعادٍ أو لشائي
ومن خبرَ الأنام لصنع فنّ … فكل الخلق من صور الأداء
ترامَوا بالهجاء فإن أصابوا … فرهطهم الملَطَّخُ بالهجاء
أليسَ الرهط فَرْدا ثم فَرداً … وأوصافًا لها عدوى الوباء؟
نعتُّم رهطكم لما نعتُّم … نفوسكم بأوضار الرماء
نفوسكمُ معرّة كل رهطٍ … ومدرجة الشعوب إلى الفناء
ومهزلة المكارم والمعالي … وهل لؤم يئول إلى علاء؟
لعلكُم حسبتمْ كل شرّ … إلى عودٍ بخير وانتحاء

(١) الرعبلة : الثوب البالي .

الهاربون من القضاء[1]

أتظلُّ مــوهونَ الجنان مــروّعــا قلقــاً من الآفــات والأقــدار
تخشى الحياة ولست تخشى ميتة هبْها نصيب الموت فى الإصْغارِ
قلقــاً تظلّ على الحــيــاة كــأنما منها وقفت على الشفير الهارى
تخشى الحياة وكذبها وسفالهـا وصـيـالهـا فى قـسـوة الغـدّار
والحىّ يأكل من حـيـاة مـثـيله لَحْسَ الضـــوارى للدم المدرار
وتطاول المغـمـور ينحـو نابهـا كـتطاول الغـرقـان فى التـيـار
مـتـشـبـثـاً منه بعِطفىْ سـابح ليــجــرّه لمهـــالك وبوار
كلٌّ يخـال الدهر إن هو عـاقـه خطب الجميع بقاصم الأعـمار
والموتُ يعـصف بالدهور وأهلهـا فكأنهـا صـور الخـيـال السـارى
فـعـلام تخـضع للتناكص والأسى وتخـاف حكم الله فى المقـدار
والقلب يلمـسه الأسى فـيـهـزُّه وكـــأنه وتـرٌ من الأوتـار
وعـلام ترتقبُ الزمـان وصـرفـه والغـيبُ وهو مُـحـجَّبٌ مـتـوارى
عمرى لوان الغيب عاجل وانقضى لقـرأته خـبـراً من الأخـبـار
فمتى ترى صور الحياة صحائفاً وكـأنهـا سـفـر من الأسـفـار
لا إنهـا أمـرٌ تُزاوِل صـرفـه وتظل تعـدو منه فى مـضـمـار
أو تغـتـدى بين الأنام مـغـامـراً تسـعى على سنن لِهم وشـعـار
فـإذا أسـيتَ أسـيت طرفـة ناظر وإذا نسـيت نسـيت كل عـثـار

(١) نشرت بمجلة (الرسالة) العدد ١٤١ فى ١٦ مارس ١٩٣٦ .

وكذبتَ ما كذب الأنام ولم تجِدْ في قسوةٍ منْ خِسَّةٍ وشنارِ
ونسيت ما جلب الزمان لأهله من محنةٍ أو مهلك ودمار
فتقول للقلب المروع إذا نزا حذّر الحياة وصولة الأشرار:
يا هارباً من صولة المقدار أتُراك تفلت من يد الأقدار !
اهربْ إذا ما اسطعت في أزل الدُّنى أو في مدَى الآباد والأدهار
أو في المماتِ وما تُلاقى خلفه بين الفناءِ ومعقل الأسرار
تعدو ويدركك الذى خلّفته كالليّل ليس يفرّ منه السارى
كلٌّ من العيش المروَّع هارب لو فاز خَلْق فى الدنى بفرار
بالفنّ أو بالعلم أو بمجانة أو بالسّطا والجند والأنصار
فإذا القضاء مآلهم ونفاذه كحصادِ كل وسائل المختار
سَلْ صفحة التاريخ كم قوم به أجراه مجرى الدهر فى مضمار
أقوام أدهارٍ مضت بعضٌ لها ذكرى وبعضٌ مالها من دارى
قد أبدلواطبع السَّفالِ بأنفس من طبعها المتصاعد السَّوَّار
صاروا إذا غضبوا وإن سروا وإن درجوا لأمرٍ ثالثٍ بمدار
يتمرغُون مجانةً فنفوسهم وجسومُهم كمزابل الأقذار
وصموا الشباب ولم يكن من طبعه خلق اللئيم العاجز الغدَّار
إنّ الشباب مُروءةٌ وسذاجة وترفّعٌ ينبو عن الأوْضار
تخذوا السِّفَال مجنَّهم ليصونهم من صولة الغلاب والمغوار
فغدا السُّفَال سعادة ومسرة عبث الخنا ومجانة الفجار
نبذوا الحياء وكيف ترجو أمة للنائبات مجانة العُهّار

---

(١) الرعبلة الثوب البالى .

قد خِيلَ في فقدِ الحياة رجولة فقدُ الحياء رجولةُ الدُّعار
طبعُ الجبانة عمَّ حتى خلته كيداً يحاك عليهمُ بِسَرار
أمْ وُرِّثوه عن الجدود غنيمة يطفو الذليل بها على الأقدار
ويُذل من عنت الحياة وضيمها بسعادة الجّان والفجار
وتكايدوا كيد العبيد ولم يكن كتنابذٍ بطبائع الأحرار
واستَمرَءُوا مرعى الغبَاوة والخنا إلْفَ السجون لطول عهد إسار
هزموا الدهور الغازيات بهزلهم فمَضَت وظلُّوا رهن عقر الدار
فإذا الدهور جديدةٌ قهَّارة وإذا اللِّئام فريسة الأدهار
درجوا علىَ دَرج الحياة إلى الردى من بعد جهلٍ راقهم وصغار

صديق البلاء(١)

يغدرُ الناس في الشقاء ولكنْ عذرُه في الرّخاء لا في الشقاءِ
إنْ تفدْ نعمةٌ عليَّ تلظَّى حسداً لي وكان من أعدائي
فإذا الدهرُ مال بي كان بكا ءً على مِحنتي وطول بلائي
المُواسي في الحزن حتى إذا ما كنت في غبطة سَطا بالعداء
في سقامي حلو الحديث شَهيٌّ وهو يرجُو أنْ لو يُخلَّدُ دائي
فإذا ماصَحَحتُ عاودَ بُغضي ويله لوْ أُعدُّ في الأقوياء
لدهاه الأسى وطال عليه الـ ـهَمُّ حتى يموتَ بالبُرَحاء
إن هجاني العدّو أُحسن قولا دَافعاً فِرْيةَ العِدا بالثناء

(١) نشرت بمجلة (الرسالة) العدد ١٤٢ في ٢٣ مارس ١٩٣٦ .

فإذا ما مُدِحتُ همّ بقتلى ورمانى بقذعه والهجاءِ
ياصديقَ البلاء عطفُك فى النحـ ـس رياءٌ أبغضْ به من رياءِ
إيه ياقلب ماداهاك من الخـ ـلأن أدهى من صولة الأعداء
خلتَ أن الصديق مثل نسيمٍ نافع لازم قليل العَناء
لا تنال الحياةَ إن لم تنلهُ برُّه كالإخاء خير غذاء
إن تقدّمت لا يعوقك منه عائق فى منادح الأرجاء
ويعى ما تقوله ثم لا يلـ ـبثُ حتّى يذيع فى الأنحاء
من مديح تطرى به مجدك الأمْـ ـجد أولْبك السنىّ الذكاء
إن تُردْهُ تجدْهُ أو لم تردْهُ لم تخف منه زورة الثقلاء
ما اختفى فى دخيلةٍ منه إلاّ ما بَدا ظافراً به كل رائى
ويك إن النسيم قد يُرمِد الطر ف بسَافى التراب والأقذاء
وهو مثل الصديقِ حَراً وبردا فى اختلاف الحالات والأجواء
وله عذرهُ إذا اعتكر الجـ ـوّ وأنحى بالصَّرْصرَ الهوجاء
وعلى غِرَّةٍ يبلّك بالمطـ ـرِة من بعد رونق وصفاء
وهو خدن الممات واسطة العد وى رسول الوباءِ والأدواء

عجائب مألوفة[1]

أليس عجيباً أن أحدٌ بميتةٍ ورأيى أنىٌّ للخلود نظيرُ ؟

---

(١) نشرت (بالمجلة الجديدة) فى أول أبريل ١٩٣٦ ص ٦٠ .

وإنّى أقضّى العمر فى جدّ آمل ... وأعلم أنى للفناءِ أسيرُ
وإن دهوراً بعدنا ، ثم بعدها ... دهور ، توالى بعدهن دهور
وإن على هذا الثرى عاش قبلنا ... شقىٌّ بما نسعى له وأسير
ولست ترى من لايرى أن نفسه ... لبابٌ لهذا الكون وهو قشور
فلم يُجْدِه إعزازه النفس إن دنا ... رداه فلم ينجدْ عليه نصير
ويعلم كلٌّ الناس هذا ولم يكن ... ليردع عن بغى الحياة مغير
وأن أرتضى للطرس ما أنا قائل ... وإن راعنى أن الحياة غرور
واغضبُ إما سبنى فمُ هالك ... وأعلم ما يؤذى الغداة هرير
وأرهب صرف الدهر فى كل طارقٍ ... وأعلم أن الدائرات تدور
وأعلم لا يبقى سرور ولا أسى ... أحلّ حبور أم أناخ ثبور
أليس عجيباً أننى اليوم عاجب ... وعلّ حياة ما حكاه سمير ؟
وأن لا أرى الشرَّ الذى لايمسنى ... وأحسب أنى عالمٌ وخبير
وإن كان علمٌ فهو أنى أخاله ... دهانى وإلا فالبعيد يسير
وأنكر ما قد كنت فى السعد مادحاً ... به الناس إلا أن يعود حبور
أليس عجيباً أن نناط بمعجبٍ ... من الرأى والمزجى الفعال شعور ؟
وإنّ وجوه الكون فكرة ناظر ... سيفنَى ، وكنه الكائنات ستير
وأبغى صلاحَ الكونِ والناسِ مثلما ... مضى فى بناءٍ مالكٌ وأجير
كأنى خلقت الكائنات وأننى ... على الناس قاضٍ حاكمٌ وأمير !

عند بحر مويس شتاء[1]

كَمْ خشع العابرُ من قبلنا ... على ضفاف النهر وقت الأصيل
أوْ في مساءٍ إذ تُرى ظلمة ... قد عشّشتْ في الدوح دوْحا كفيلْ
وربما كنّا الأُلى قد مضوا ... وإن نأى الظنّ وعزّ الدليل
وما الذي ينأى بنا عنهمُ ... من منظرٍ أو خاطرٍ أو ميول؟
كم منظرٍ تحسَب إمّا بدا ... من أخذة الفكر ووهمِ الذهول
أنكَ – والقلبُ خبيرٌ به – ... أجلْتَ قدْما فيه لحظ المجيل
الدوحُ كالمفكر في هدأة ... إذْ سكن الجوّ سكون الكهول
أو ثاكلات طَال ثكلٌ بها ... فَسكّنَت من شجوها والعويل
أو صمتت من طولِ ما عمِّرت ... كصمتة الشيخ الوقور الجليل
والنهر كالزئبق في لمعةٍ ... وركْدَةٍ ما إن بها من مسيل
عهدتهُ في صيفه لؤلؤا ... لو أن للؤلؤ سيلاً يسيل
والسحبُ كالأشجار قد عرّشتْ ... في الأفق تبدو مثل ظلٍ ظليل
أوْ قطع من حُلم غامضٍ ... أو كمثار النقع أو كالطلول
والجو قد روّع من قرّه ... كأنه قرّ مات يصول
أنفاس ثغر الموت في قرّه ... تخرج من ثغر لجسمٍ محيل
والأرض غبراء سوى ما بدا ... من عشها منتشرا كالفلول
كأنما الدجن غدا تُربها ... وتربها الجَهْمُ كدجنٍ سديل

---

(١) نشرت بمجلة (الرسالة) العدد ١٤٤ في ٦ أبريل ١٩٣٦

وبحر مويس : ترعة كبيرة تمر بالزقازيق ومديرية الشرقية في مصر .

تشـابهتْ فى اللونِ عـهـدي بهـا ... فى صيـفـهـا ، واللون غيـر القـليل
عـهـدى بهـا كـالخـود فى غرسـهـا ... زاهيــة الأصــبــاغ شَـتـى الذُّيول
خـيلَ حـــداداً إذْ دَجَــا لونُهـــا ... وهو كـعـقـب العرس حتم البـديل
خـــلاعـــة للصّـــيف خـــلابة ... وفى الشـتـاء الحُسْنُ جم الفـصـول
تبـــاينَ الحُـــسْنان فى روقـــة ... لـكنـه زاد جـــلال الجـــمـــيـل
كـم مــتــعــة جــاءت بهــا رهبَـةً ... كـرهبـة البـرق وعـادى السّـيـول

قرب الموتى[1]

ياروحَ إلف أليف الموت والحــفــرِ ... قُومى اسألى عن أليف الهمّ والسهرِ
أوْ فـابْعثى هاتفـاً بالليل يُؤنسنى ... لو كـانَ للميْـت من شوقٍ ومن ذكـرِ
وَحَلِّقى فـوق قـوم كنتِ زينتــهـم ... كالطيْر تهبط فوق الوكر فى الشجرِ
فــإنَّ نورك نـور النـجم يرشـــدنا ... ورحلة العـيش تحكى رحلة السـفـرِ
أو كـالملائك تهـدى وهى خـافـيـة ... وتشعر النفس طهراً ليس فى السِّيرِ
عـجـزٌ عن الشـرِّ لم أبْصـرهُ فى نفـرٍ ... ياشـرَّ مـا خَلَّفَ الأحـبـاب من نفـرِ
غـرارَة ربما لو عـشت مـا بقـيـت ... إذا عـداك الرّدى عن مـهـبط البـشـر
هل تلك طبعُ الصـبـا تودى الحـيـاة به ... لا بل غـــرار فــؤادٍ غــيــر ذى نُـكرِ
فـصــانك الله فى أمن وفى كنفٍ ... وقُـدْسِ طـهْـرٍ كـصـون المرء للذّخـرِ
كـــأنما أنتِ ذخـــرٌ لا يـجـــود به ... على الدُّنى وهى من ضَيْرٍ ومن أشرِ

---

(١) نشرت بمجلة (الرسالة) العدد ١٤٥ فى ١٣ أبريل ١٩٣٦

ما أقربَ الميت من حيّ وإن بعدت ... مكانة بين هذا الوِرْدِ والصَّدرِ
إن الأولى خلفونا بعدهم ومضوا ... ما خلّفونا وإن غابوا عن النظر
همْ فى الأمانىِّ والأرواح والذُّكر ... منّا وفى القلب والأشجان والفكرِ
فكيف تجزعُ من فقدٍ وما انتقلوا ... إلا إلى النفسِ حرزاً ريم من غِير
يا قربَ دارهمُ من واصل لهم ... بالنفسِ إن لم يكن بالعين والأثر
ووحشة النفس من حىٍّ يُغايرها ... أشدّ من وحشة فى السمع والبصر
من حاضرينَ وإن ماتوا وإن بعدوا ... وإن غدوا كحديث الركب والسَّمَرِ
وربّ ذكرى تعيد الميْت فى شبحٍ ... يكادُ يُلْمَس لولا رادع الحذر
ماضٍ من الدهر والأقوام يُخبرنا ... أن لا مسافة بين المهدِ والحُفرِ

نحن والزمن (١)

مقدمة:

الزمن كما يفهمه الإنسان فكرةٌ من أفكاره ، ونسبة ومقياس من صنعه ، فهو يقيسه بإحساسه بأمور نفسه ، وبالمرئيات والمحسوسات وما يعتريها من تحوّل ، وفكرة الزمن هذه أمر نسبى شأنها شأن الإحساس بالحرارة والبرودة ، أو بالأبعاد والحجوم والألوان والأشكال ، ومن المستطاع أن يتصوّر العقل مخلوقاً آخر غير الإنسان يختلف فى حواسه ، فتختلف كل هذه الأمور فى نظره عنها فى نظر الإنسان ، وهى أيضا قد تختلف فى حواسه ، فتختلف كل هذه الأمور فى نظره عنها فى نظر الإنسان ، وهى أيضاً قد تختلف فى نظر الإنسان

(١) نشرت بمجلة (الرسالة) فى ٤ مايو ١٩٣٥ - العدد ١٤٨

فى حالاته المختلفة من شقاء أو سعادة ، أو مرض أو صحة ، والعجيب أن الإنسان فى خياله ينسب إلى الدهر مثل هرمه لقدمه ، فيصوّره كأنه شيخ مُفن فى يده منجل ، يحصد به الناس والخليقة ، جيلاً بعد جيل ، والدهر خليق أن يُمثل بفتى فى ريعان الشباب !

فالإنسان يهرم ، والدول تشيخ وتفنى ، والأجيال تنقرض ، والدهر هو الدهر . ومن أجل ذلك تصوّر بعض المفكرين الدهر كأنه زمن حاضر لا ماضى فيه ولا مستقبل ، وأما الماضى والمستقبل ففى الناس ، والحقيقة أن هذه الفكرة فى كنه الزمن لا تختلف عن الأولى ما دام الزمن نسبة يقيسها الإنسان بإحساسه .

وإذا كان الزمن كذلك فمعاداة الناس للزمن معاداة لأنفسهم ، ونسبتهم الحيف والظلم إليه هى نسبة الظلم إلى أنفسهم ! (الناظم)

* * *

ينشد البحر خرير الحقب أم خُفُوقُ القلب نَبْضُ الزمنِ[1]

أم ترى الأفلاك فى دوراتها رتّلتْ منهُ خفيّ اللّحَنِ ؟

فرش الناسُ له منهم وُجوهًا خَدَّدَ الدهرُ بها ما خَدَّدَا

أثرٌ فى سيره من قدمٍ جَعَّدَتْ ما كان بَضًّا أمردا[2]

زعمَ النّاسُ إذا أمضاهم الـ ـدَّهر أنْ أمضوا من الدهر سنين

(١) فى البيت تشبيه للدهر بالبحر ، وكأن له خريرا من تعاقب أجياله كخرير البحر من تعاقب أمواجه ، وكأن الدهر أيضا قلب ، نبضاته كدقات الساعة التى يقاس بها الزمن ، أو كنبضات قلب الإنسان الذى يقاس الزمن بإحساسه . (الناظم)

(٢) كأن أخاديد التجعد فى وجه الإنسان آثار قدم الدهر ، وهى كآثار قدم الإنسان فى الرمال.

يستطيع البذل مَنْ يقوى على خَزنه ، هيهاتَ ذا من هالكين
كم ملوك وَدَّهُمْ لو تُشْتَرَى منهُ عند الموت بالذّخرِ التليد
سنَةٌ ، أو ساعةٌ ، أو طرفةٌ، فإذا الدهر قضاءٌ لا يحيد
إيه يا دهرُ لقد شاطرك الـ ـحُكمَ فى الناس قضاءٌ لا يَحول(١)
أَرْدِهِ يا دهرُ واعقدْ غيره إنما القِرنُ على القِرنِ يصول
كم شقىٍّ أبطأ الموتُ له ودّهُ أنْ لو يكون الأسرعا
سَلَّمَ الدهر عليه مثقلا ثم ما أبطأ حتى هُرِعا
وسعيد يجتنى من عيشه زهراً يرْجو لو الدهر تأنَّى
فسواء مُتْعَسٌ أو مُسْعَدٌ أيْن من يَحمد خَطوَ الدهر أينا؟
نحن نبغى من زمان فُسْحَةً هل ربحْنا من زمان قد قضى؟(٢)
لو يعود الدهرُ مردود الخُطَى لفعلنا فعلنا فيما مضى(٣)
وصفُوا الدهرَ بشيخٍ حاصد أشيب فى يده كالمنجل
وَهِمُوا فى شيب دَهر يافعٍ ذى فتاءٍ خالد لم يَنْصَل
يسرق الدهر بهاءً رائعاً ويُعيد النَّوْىَ حُسْنًا أروَعا
فهُو كالرسَّام يمحو صورةً ثم يستنبطُ رسماً أبدعا
وتَرَى الدهر مُغيراً آسياً يدهُ تأسو وأخرى تَجرَحُ

---

(١) فالقضاء لا يحول عما يراد بالخليقة.

(٢) فسحة من الزمن : أى زيادة منه ، وقضى : أى مات واندثر ومضى .

(٣) كثيرا ما تمنى الإنسان نفسه بأنه لو عاد إليه ماضى عمره لفعل به غير ما فعل وهذا وهم ، ولا يغير أفعاله إلا إذا تغيرت نفسه . (الناظم)

والذى فى القوم بالرزء يصول   يمنحُ السلوان فيما يمنحُ
ولَعَلَّ المُضْمَرَ المخبوءَ من   مصرع الدهر يُرى بالأعين
مصرعُ الدهر مَمَاتٌ للدُّنى   كيف يبْغيهِ الورى بالإحَن ؟
موتُه موتٌ لمن قد قاسه   باتصال الفكر أو خفق القلوب
عجبًا نحن خلقناه فما   نسبةُ الظلم إليه والعيوب[1]

أقوام بادوا[2]

مفتاح القصيدة :

جعلوا لِطبع اللؤم كل قداسة   و تحرّزُوا من سنة المختار

المختار هو النبى صلى الله عليه وسلم ، وكل من نبذ سنة الله ورسوله ، لابد أن يصير إلى ما هو موصوف فى هذه القصيدة من الصفات ؛ ونعنى بالنبذ نبذ القلب وإن لم ينبذ اللسان ، ولا نعنى أحداً بالذات ، وإنما هى صفات يعرف كل متصف منها أنها شائعة حيث الاضمحلال والبوار .   (الناظم)

* * *

(١) خلقناه : بمعنى أنه فكرة نسبية يتخذ الإنسان لها مقياساً من حواسه وهى ليست كل ما يمكن أن يكون من الحواس .

(الرسالة) ربما كان لبعض العروضيين فى أبيات القصيدة رأى لايتفق مع حرية الناظم .

(٢) نشرت بمجلة « الرسالة » فى ١٤ فبراير ١٩٣٨ . وقد أضاف الشاعر فى ختام هذه القصيدة ١٩ بيتا كان قد نشرها من قبل فى قصيدته « الهاربون من القضاء » (ص ٦٥٧) لتشابه موضوع القصيدتين . فحذفت هنا لتكرارها دون أن يخل ذلك بالمعنى .

تركوا اللُّبابَ وشاقهم ماشانَهم ... من بهـرجٍ فى مطلب غـرّارِ
عاشوا عبيد كلامهم لم يدلفوا ... من خلفه لحقائق الأفكارِ
جعلوا حطام اللؤم أعلى مكسبا ... وأعزّ محمدةً ليوم فخارِ
يخفون أوزار النفوس بمنطقٍ ... فينمّ فاضح خافىَ الأوزار
حسبوا اغتياب الغائبين مطهّراً ... لنفوسهم من خزية أو عار
كلٌّ يغار من الإجادةِ جُهْدهُ ... مثل النساء تغار كل مغار[1]
يحكى عظيمُهم الحقيرَ سفالة ... متكثّرا بدناءة الأنصار
يخشى البرىء قضاءهم من خطةٍ ... لم تُعفِ ناسًا من هوى الأصهار
العدل فيهم أجر كل مملّق ... جعلَ النفاق عصابة الأبصار
كلٌّ يعاقب من يريد أليفه ... ضراًّ له لا الكره للأشرار
الكِذْب عجز فيهمُ وخساسة ... والصدق عبد مزدرى متوارى
ندم المجيد على إجادة قوله ... أو فعله من ضيعةٍ وضرار
الضيمُ ما يجزى اللئامُ مُجوِّدا ... فيصون كلٌّ عجزه لفخار
سبقٌ بمضمار الحياة يحوزه ... متخلِّفٌ بالغشّ فى المضمار
وتفرقوا إلا لدى التهويش والتضـ ... ـليل فهو مؤلف الدُّعّار
وتخالُهم حشرات روْثٍ مالهم ... إلا به حظٌ من الإكثارِ
وكأنّ كلّ إجادة قد دهورت ... من عقلهم فى بؤرة الأوضارِ[2]

---

(١) تغار النساء فى أمور الجمال واللباس ، أما ضعاف العقول من ذوى النفوس المسفة ، فتغار من كل إجادة فى القول والعمل ، وهذا أعظم أسباب تأخر الأمم ؛ لأنهم يحاربون كل مسببات التقدم ، ويهذر من يقول إنها لاتهزم فى أماكن الانحطاط . (الناظم)

(٢) الأوضار : الأوساخ .

فكأنما أذهانهم بالوعة ... أخفتْ نفيسَ الدرّ فى الأغوارِ
كلٌّ يلوذ بإثرَةٍ ويخالها الـ ... إيثارَ بئس مزيّف الإيثار
ففعاله ومقاله وسكوته ... للّؤم لا فضلاً وحسن جوار
دأبوا على إخفاء حقٍّ ، مالهم ... فى حجبه من مكسبٍ ونضار
لؤمٌ لعمرك لامدى لصياله ... وضؤولةٍ تحدو لسفل قرار
الطيش أغلب للتأمل فيهم ... حتى لدى العظماءِ والأخيار
سبق اللسان حصاتهم فكأنما ... سكر العقار لهم بغير عقار(١)
رانت على مهجاتهم وقلوبهم ... وعلى الحجا والسمع والأبصار
شيمٌ تُوَرَّثُ حقبةً عن حقبة ... كتخلف الأرجاس فى الأنهار(٢)
أومَا دهى أوصالَ جسم من ضنى ... يمضى ويترك باقى الآثار
جعلوا لِطبع اللؤم كلّ قداسةٍ ... وتحرّزوا من سنة المختار(٣)
هات المربِّى للكبار ولا تقلْ ... يَا أيْنَ مُعْوِزَ رشده لصغار
هيهات يصلح نشء قوم لم يجد ... خُلق الكِبار يضىء مثل منار
عدوى الضؤولة والخساسة فيهمُ ... عدوى الوباءِ تسير كل مسار
قومٌ إذا ابتدروا السباب رأيتهم ... يطلون موضع عُرِّهم بالقار(٤)
متعاظمين على نجاسة أنفس ... نتجت نتاج الدود فى الأقذار
ستر الخسيسُ خساسةً بخساسةٍ ... فى أنفس الأعوان والأنصار

---

(١) الحصاة : العقل والرأى .   (٢) الأرجاس : الأقذار

(٣) أخلاق اللؤم لم تعد نصيرا يبررها من مذاهب الفلسفة الحديثة فضلا، وإنما هو اللؤم الذى يبرر اللؤم بالفلسفة .

(٤) العر : هو الجرب ، والقار : هو الزفت .

متعظِّماً يبدو كريمًا سامياً　　متحلياً بفضائل الأطهار
وترى الوقار ولا وقار وإنما　　أخفوا دعارة أنفس بوقارِ
ودعوا إلى الإصلاح دعْوة مائق　　يسعى إلى الأرباح سعى تجارِ
هم يبتغونَ الجاه إن لم يبتغوا　　مالاً بدعْوة مصلح ثرثارِ
لم تدرِ وَحْىَ المصلحين حصاتُهم　　فتشبثوا بزوائف الأفكارِ
صارت وسائل عيشهم ما غاله　　من طبع لؤم سائق لبوار
فقد الحياءَ صغارُهم من ضيعة　　فغدوا كبار الفخر غير كبار
صنعوا الأذى من غير ما سبب ولا　　يُؤذى لغير القوت وحشٌ ضارى
ضلّت غرائز شرهم عن أصلها　　فى صون عيشٍ أو لدفع ضرار
فغدت دناءة أنفسٍ وخساسة　　كيداً بلا كسب ولا أوطار(١)
وحديثهم كالحك يهتك عرَّهم　　فأخو السفاهة منه كاسٍ عارى
العدل ما وهبَ السمير سميره　　والرأىُ للأوْشاب والأغمار(٢)
جرؤت صعاليك على مالم يكن　　فى فهمهم ، فقضوا بغير تمارى
فوضى لعمرك لاصلاح لشأنها　　كيف الصلاح لأمر هاو هارى؟(٣)
عادوا الذكاء خساسة فكأنما　　نبذ الذبالة فى الظلام السارى
إلا الدعاوى الباطلات فإنها　　عادت كعود مزيف الدينار(٤)
يتمرغون مجانةً ، فنفوسهم　　وجسومهم كمزابل الأوزار(٥)
كتمرغ المفلوك دغدغ جلده　　عض من البرغوث فى الأقذار(٦)

---

(١) الوطر : البغية والحاجة .　(٢) الأوشاب : أخلاط للناس وأوباشهم .

(٣) الهارى : السئ الخلق .

(٤) العملة المزيفة تطرد العملة الصحيحة من السوق كما يعرف الاقتصاديون ، وكذلك الذكاء المزيف كثيرا ما يطرد الذكاء الصحيح من سوق الحياة .

(٥) مزابل : جمع مزبلة .　(٦) المفلوك : هو الفقير المعدم .

العداء والفناء[1]

عـفـا الجـانى وقـد بلغ التـشـفّى وبعض العفـو من فـرح الشّـمات[2]

(للناظم)

قـد يُعـزّيك شـامت يتـشَـفّى باجـتـلاء الآلام لا بالعـزاء

(للناظم)

مقدمة :

إن العـفـو لا يكون من المظلوم المجنى عليـه وحـده ، بل قـد يكون أيضـاً من الجـانى الظالم إذا أقنع نفـسـه أنه المظلوم ، أو إذا أقنع الناس كى ينال عطفـهم ومساعدتهم له في ظلمه وشره . وكثيراً ما يساعد الناس الشرير فى شره ، اعتقاداً منهم أنه هو المظلوم . أو لأن مساعدته فى الشر ضد المظلوم فرصة لإراحة ميل كثير من الناس لالتذاذ القسوة ؛ كما هى الحال فى مرض « السادزم » عند إطلاق هذا المصطلح عليه فى المعنى الأعم . وهذا النوع من العفو الذى يجود به الظالم إنما هو من فرح الشماتة ، وهذا الشعور يشبه شعور الشامت الذى يعزى المصاب ، ويخفى فرح الشامت ويظهر الأسف . وهو إنما يعزي كى يرى آلام المصاب أثناء التعزية . وهذه القصيدة تصف النفس الإنسانية بين عواطف الخير والشر . وقد تجتمع الأضداد منها فى نفس واحدة من غفران وشمات ، ومن حقد الحياة وصفح الممات ، كما تصف عبث شقاء الحروب بين الأمم التى يتحالف بعدها الخصوم ويتعادى الأصدقاء . (الناظم)

(١) نشرت بمجلة « الرسالة » فى ٢٨ مارس ١٩٣٨ . (٢) الشمات : الشماتة .

إذا مـــا دنـا المـوت مـن هـالـكٍ وأيـقـن ألا يـطـول البـقـاءْ
وقـد زال مـا كـان مِنْ نـشـوةٍ ومـن شـرّةٍ نال عنهـا الـعـزاءْ[1]
ولاح لـه عـيـشـه مـائـلاً وقـد بزّ عـمـا جناه الرياءْ[2]
وأفـهِمَ مـا كـان من حـرصـه وأبُصـر مـا قـد طواه الخـفـاءْ
يُرَى أسـفـاً أنْ عَـدا أو جنى وإنْ كـان منه الأذى والعـداءْ
وليس يُرَى آسـفـاً لاغـتـفـار دعـاه قـديماً فلبّى الدّعـاء[3]
فليس على صـفـحـه آسـفـاً ولكن على النَّيْلِ ممّن أسـاء[4]
أيأسف أن ضـاع ثأر سُـدًى ومُـتِّعَ خـصـمٌ له بالبـقـاء ؟[5]
عـدوّان عـاشـا على إحنةٍ وباعـا السـمـاحـة بيع الإمـاء[6]
أباحـا النّفـاقَ وكـيـد اللئـام لنيل الحطام وكـسب الهـبـاء
إذا مـا دنا المـوت من واحـد أيشـمـت خـصـم له بالفناء ؟
أيفـرح مـثل الجـبـان اسـتـراح وبُشّـرَ بالأمن بعـد العـداء ؟
أيطعنه طعن نذل خـصـيـمـاً صـريع التـراب مُـراق الدمـاء ؟
ومـرأى الحِـمـام كـمـرأى السّقـام يذل العُـتُلّ ويُخـزِى الجـفـاء[7]
هو الموت يَشْـفِى قلوب العـدا ويخـتـم بالصلح حـرب البـقـاء
وقـد يُطْلَب الصلح من فـرحـة تعـيـر الشـمـاتة ثوب السخـاء[8]

(١) نشوة الحياة : سكرة غرورها ، والشرة بكسر الشين : نشاط الشباب الحيوى .

(٢) بز : خلع ونزع .

(٣) أى لا يأسف إذا فقد شرة الحياة على فلتات اغتفاره الماضى .

(٤) النيل من العدو وإصابته بالشر .

(٥) هذا التساؤل معناه هل يخالط اغتفاره أسف الحقد بضياع ثأره وبقاء خصمه وقد قلنا في المقدمة إن الصفات المتضادة قد تختلط فى النفس .

(٦) الإماء : الجوارى . الإحنة : الحقد .

(٧) السقام بفتح السين : السقم . العتل : الغليظ الشديد الجافى .

(٨) السخاء : الكرم ، أى أن الصلح قد يكون من فرحة الشامت بالظفر فيظن العفو كرما . (الناظم)

وكم من عــــداء غــــدا أُلْفــــةً فـيــــا عــبــثـًــا إذْ تـراق الدمــــاء
كـم احــتـــــربت أمم ثـم عـــادت كـأن لـم تـذق فى الحروب الشقـاء[1]
ألم تسـمـع الأرض نوح الجــريح يُـودِّع حـــتى جنون الرجـــاء ؟
أمـا اخـتلطت بالـصـديد الدمـاء أمـا أفـعـم الموت نتْنَ الهـواء ؟[2]
وكـم عنُـقٍ لقـــــتــيـل ، بـه عـضـاضُ عـدو صـريـع العـداء[3]
عــضــاض يحــاول خلد الضـّـ ـغـائـنِ فى جـسـد خَلْقُـه للفـناء
فــيـــاعــبــثـــا لجـهــود الأنـام سـيـمـضي الرخـاءُ ويمضى العناء
ويُصْـبح من كـان خـصـمـاً لدودًا عــزيزًا ويُبْــغَضُ إلـفُ المســاء[4]

مرأى الجمال وذكرى الجلال[5]

مقدمة :

لمناظر الطبيعة الرائعة الجليلة لذة فى النفوس مثل مناظر الجبال الشاهقة ، والهاويات العميقة ، والأعاصير وأثرها ، والبحار وأمواجها ، وهى تبعث اللذة فى النفس حتى فى مخاوفها إذا لم تتملك مخاوف مناظرها النفس بالذعر والرعب ، وقد ينقلب الحنين المقهور فى النفس إلى الجمال فيصير ولوعا بمناظر الجلال والروعة ، كما أن مناظر

(١) احتربت : تحاربت . قال البحترى : (إذا احتربت يوما ففاضت دماؤها) .
(٢) الصديد : هو القيح . وأفعم : ملأ وأترع ، والنتن : خبث الرائحة .
(٣) العضاض : العض . وقد لوحظ بين القتلى بعد المعارك قتيل أنشب أسنانه فى عنق قتيل آخر قبل الممات واستمر في الموت على هذه الحالة .
(٤) أى بين مساء وصباح يصير العدو صديقا والصديق عدوا ، وكأنما قد ضاع شقاء القتلى سدى .
(٥) نشرت بمجلة (الرسالة) فى ١٤ مارس ١٩٢٨

الجلال والروعة قد تشحذ الحنين إلى الجمال وتذكر المرء به ، وقد تطغى كل من العاطفتين على الأخرى ، ولهما أيضا صلات أخرى غير ما ذكرنا . ومن مسبرات التفكير والفنون أن يتتبع الإنسان صلات العاطفتين في نفسه . وهذه القصيدة من قبيل هذا التتبع . (الناظم)

* * *

ذكــرتك في البحـار الزاخـرات ... وفي مجـرى السـفين الجـاريات
كـأنَّ البحـرَ حيٌّ ذو جنان ... وموجُ اليمِّ نبض النابضـات[1]
وفي ذاك الجـلال بلاغ راءٍ ... وروّع للنفـوس الواعيـات
ولكنّي ذكـرتك ياحبيبي ... كما حَنَّ المريض وإلى الحيـاة
كما جنّ الهزار إلى ربيع ... وأفنان الرياض على الأضـاة[2]
وكم غلب الجمـالُ على جلالٍ ... كما غلب الرقادُ على التفات
ذكـرتك والقبـور تردّ طرفي ... وتسخر من هيام بالشيات[3]
وتخبـرني بأن الحب فانٍ ... وأن العيش صنو للممـات[4]
ولكني ذكـرتك ياحبيبي ... وذاك الذكـر خير الذكريات
ذكـرتك والسقام يبيد لبّي ... ويسلى النفس عن ماضٍ وآت
ويلهى النفس عن حبّ وشعر ... وعن سحر العيون الساحرات
ولكني ذكـرتك ياحبيبي ... كذكرى للسنين المقبلات
ذكـرتك في الطلول الدارسات ... وآثار العصور الغابرات[5]

---

(١) الجنان : القلب .
(٢) الهزار : طائر – الأفنان : الغصون – الأضاة : غدير الماء .
(٣) الشيات : ألوان الحيوانات .
(٤) الصنو بكسر الصاد : القريب من أصل واحد .
(٥) الطلول جمع طلل : آثار المباني .

أرى الأهرام كـالأعـلام تزهو | على عبث الصروف المهلكات[1]
فأبصر من مضوا وأرى اعتزازاً | لهم بالمصبيات الفانيات
فيضؤُل عيش هذا الناس حتى | لينسى المرء ذكر المصبيات
ولكنى ذكرتك ياحبيبى | كذكرى للأمور الخالدات

حواء الخالدة[2]

من شعر الصبا

أنتِ يا مَن ألّفتْ بين الفنون | وهى لولا ما جنتْ منك ظنون
دوحة الفن التى تحبو الورى | بجناها من قطوف القاطفين
كل لحنٍ أو قريضٍ أو دُمى | نُحِتَتْ أو صورة ، منك تكون[3]
كلّ من قد خلبتْ لبّ الرصين | من حِسَانٍ جمعتْ سحر الفتون
كُنتِها للناس حالاً بعد حال | تحفة فاتنةً للناظرين
فلبستِ الحسن شكلا بعد شكلٍ | وخبرتِ الحبّ حيناً بعد حين
ورأيْت الكونَ فى ضحوته | وفهمتِ الناسَ في ضيقٍ ولين
كنتِ أُمًّا ، كنتِ أختاً ، كنتِ زوجا، | كنتِ فى البؤس عزاء البائسين
فعلى صدرك يبكى همّه | وأساه موجع القلب حزين
كم نفوسٍ وقلوبٍ بسطتْ | لك ما تضمر فى ماضى السنين

---

(١) الأعلام : الجبال .

(٢) نشرت بمجلة « المقتطف » فى أول إبريل ١٩٣٨ - وقد خرج الشاعر فى هذه القصيدة على بعض القيود العروضية مع علمه بها رغبة فى التجديد .

(٣) الدمى : التماثيل .

فعرفتِ القلب ما ينشده | وعرفت النفس والسر الكمين
وقرأتِ الروح دهرا بعد دهرٍ | وبلوتِ الخلق في مر القرون
أي قلبٍ مغلق لم تفتحي | أي سرٌّ للورى لا تعرفين ؟
كنتِ حواء التي من أجلها | يندب الفردوس كل العالمين
وقليل لك يا حواء أن | يفقد الخلْق جنان الخالدين
آدمٌ كان بجهلٍ قانعا | ناعماً بالجهل في خفضٍ ولين[1]
ليس يستطلع أمراً غامضا | في ثمار العيش والسرّ المصون
بلك شام الكون غضًّا زاهيا | أكذا الغبْن ، فيا نعم الغبن
جذوة الفطنة في اللبّ وفي | نفسه من حسنك الغض ، شئون
كفّري في النّسل عن إثمٍ مضى | وثقي في الله خير الغافرين
لم يكن إثمك إلا قدرا | كي يلذّ الناسُ سعدَ الهالكين
لا يحسّ السّعدَ إلا هالك | قد أحسّ الهمّ في القلب الحزين
كنتِ هيلينَ التي من أجلها | خربتْ طروادةٌ ذات الحصون[2]
وقليل لك يا هيلين أن | يهلك الأبطال في الحرب الزبون
كنتِ شيرينَ التي قد ذلّلت | عنْق كسرى وهو ذو الملك المكين[3]
كنتِ تاييس إذا ما خطرت | خفق القلب كطير في وكون[4]

---

(١) خفض العيش : نعيمه ولينه ، والمراد بإثم حواء المذكور في القصيدة أكلها من الشجرة المحرمة وحث آدم على الأكل منها .

(٢) هيلين : الإغريقية الحسناء التى كانت سبب حصار طروادة وتخريبها .

(٣) شيرين : من حسان الفرس .

(٤) تاييس : ممثلة إغريقية فاتنة .

كنت سيفُو إذ رمت بالشعر كالـ   جَمْرِ تُذكِي لفْظَهُ للسامعين[1]
كنْتِ اسبزْيا التى قد فتنَتْ   باقتران الحسنِ والفهم الفطين[2]
كنتِ ليلى ، كنت بثْنا ، كنت عَزّا،   باعثات الوجد والشعر المبين[3]
كنت ما كنتِ ولكن أنتِ أنتِ   لك سحر الضوء والليل الدجين !
وغدا كيف تكونين وما اسمُك   بين الناس فى الآتى الشطون ؟[4]

جنون الأقوياء[5]

ملكوا الأرض واستباحوا حِمَاها   واستطالوا بجِنّة الأقوياءِ[6]
وسعوا ينشرون فى الأرض سرًّا   مُنكرا فى شريعة الأتقياءِ
تارة فى الخفاء بالمكر يَعْدُو   ن وطوراً فى جهرة العظماء
أهْوَنُ الوِزْر ما أتوْه جهارا   من صيالٍ وقسوة وبلاء
والذى فى الخفاء أقتلُ للنفـ   ـس وأقسى لصولهِ فى الخفاء
إن رأوا نقص أنفس فى خصوم   استزادوه بالأذى والدهاء

(١) سيفو (سافو) : شاعرة إغريقية اشتهرت بالغزل .

(٢) اسبزيا : حسناء فى عهد بركليز اشتهرت بالعقل .

(٣) ليلى : صاحبة قيس ، وبثينة : صاحبة جميل ، وعزة : صاحبة كثير ، وقد ألهمن عشاقهن الشعر الرفيع .

(٤) الشطون : البعيد .

(٥) نشرت بمجلة « الرسالة » فى ٢١ نوفمبر ١٩٣٨

(٦) جنة : أى جنون بكسر الجيم .

أفســدوا أمــرهم ودسـوا دُعَـاةً كى يهيجوا تشاحن الأشقياء[1]

واسـتـمــالوا سـمع اللئـيم بلؤمٍ زاده خـسَّـــةً على الأدنيــاء[2]

كـصـيـال الشـعـوب بالمكر والكيـ ـد وإن أحــرزت صـفـات العــلاء

حَلّلُوا لـلوشــاة أن تشـتـفى من لاعج الحـقـــد بالأذى والعــداء

خـدعـتـهم أرصـادهم أم رَأَوْا أنَّ سـمـاحـا بشـرهم كـالجـزاء؟[3]

مَـكّـنـوهـم ممــا أرادوا مــن الشَّــر جــزاء كـخــونـهم والرياء

ذاك أن العـــدوَّ أرخصُ شــأنًا من تَحامِى الإجحاف فى الإيذاء[4]

قـرَّظوا العلم والحـضـارة جـهـراً وتـقـــاةً لله أو للـقـــضـــاء[5]

ثم سـاسـوا بالختل فى السرّ ماشا ءوا وشـــاءت جـــوامح الأهواء

لا رقـيـبٌ على الخـفـاء ولا الصـو لة فـيــه ولا عـــديم الحـيـــاء

عَـــدمـــوه للكفـــر بالله والنا س ســوى مــارجــوا من الآلاء

عَـلِّمَ الـعـلْمُ صــائـلاً إنما النا س كنمْلٍ ســواؤهم كــسَــواء

زعــموا زعـمـهم وسـموه علمـاً واســتطـالوا بلؤم ذاك الـذكــاء

وأبـاحـــوا لحــقـــدٍ كل وَلِىٍّ مُـشْلجًـا نار إحنة الأحـشـاء[6]

---

(١) هؤلاء الدعاة هم عمال السياسة الذين يعملون فى السر .

(٢) أى يدرسون أماكن الضعف فى أخلاق الأمم ويحاربونهم ، ويستدرجونهم ، ويخدعونهم ، ويؤثرون فيهم بأساليب السياسة الخفية من طريق أوجه الضعف فى الأخلاق .

(٣) الأرصاد : الجواسيس .

(٤) تحامى الإجحاف : التفادى من الظلم . وتحامى متعدية وتفادى لازمة ، والمعنى : أن العدو أهون من أن يمنعوا عمالهم السياسيين من إرضاء شهوات أحقادهم .

(٥) تقاة : تقوى بضم التاء .

(٦) الولى : المناصر المخلص للوالى . أى أباحوا لعمالهم السياسيين أن يشتفوا بأعمالهم فى السر .

ثم قالوا وسَطّروا فى ضميرٍ ... إنه من ضرورة الأشياء
قسْ على مابدا من الشر جهراً ... فى حروب ونزوة وعداء
ما أجَنّوه وهو أبلغ في الكذْ ... ب وفى كل قسوةٍ واعتداء[١]
وقديمًا جُنّ القوىُّ بما طا ... ع له من تزلف الضعفاء[٢]
وضعوه فى منزل الله كُفْراً ... فطغى واستباح سفك الدماء[٣]
ورأى الخير والفضيلة ماشا ... ء وإن كان من أذى الأدنياء
ورأى الشر والكبائر ما عا ... ف وإن كان سيرة الأبرياء
وكذا المرء وهو ليس ولى الـ ... ـحكم يطغى بنصرة اللؤماء[٤]
وسواءٌ شعبٌ وفرد وذو السُّلـ ... ـطان أو سادر من الدهماء[٥]
صنعوا الشر حسْبةً ولوجه الله، ... شاهت وجوههم من رياء !
أو لحقد قد مَوَّهُوهُ بخير ... وتباهوا بحسن ذاك الطلاء
أو برأى الأحرار صاغوا قيودا ... واستباحُوا فى الناس سفك الدماء[٦]
وجنون القوىّ أقبح من قسْـ ... ـوة حسن يقسو بغير ذكاء
إيه لغز الحياة هل دورةٌ للـ ... ـشر والخير غير ذات انتهاء؟
لعبة ما أراه أم خبل الأنْـ ... ـفسِ أم نزوة من الحمْقاء
إحَنٌ فى الحياة مثل خطوط ... نسجوها فى البُرْدَة السِّيَرَاء[٧]

---

(١) أجنوه : أى أخفوه .

(٢) مثل بعض الفراعنة أو أباطرة الرومان مثل كاليجولا أو غيرهم . وطاع ثلاثى لازم بمعنى دان له أما أطاعه فرباعى متعد .

(٣) لأنهم يقدسونهم فى العبادة .

(٤) أى أن جنون الطغيان والقوة ليس مقصورا على الإمبراطورة والفراعنة بل يشمل كل من يجد نصراء يستعز بهم حتى ممن صغرت مرتبته .

(٥) ويستوى فى جنون القوة والطغيان الشعوب والأفراد ، والسادر : المستهتر الخليع ، والدهماء : عامة الناس .

(٦) برأى الأحرار : أى باسم الديمقراطية .

(٧) السيراء : المخططة بكسر السين وفتح الياء .

فـغـدت نهْزة الفنون ، هو الفنّ كنحل يَشتار أرْىَ الشقاء[1]

هل لسحْر الفنون أنْ دَلَف الدّهـ ـر وساغ الأنامُ لؤمَ البقاء[2]

سحرُها يترك اليَبَابَ عماراً حافلاً بالنعيم والآلاء[3]

ويُحيل الخسيسَ من معدن العيـ ـش شريفاً بصنعة الكيمياء[4]

خطرات فى الحياة والموت[5]

عند رؤية جمجمة

رحيقك ياكأسَ النهى والمشاعرِ ومهبطَ سر الله بين السرائرِ[6]

أكأس الحجا أين الرحيقُ ترشّفتْ علالاته نشوى النهى والبصائرِ[7]

أجُرّعهُ ثغرٌ من الموت ظامئٌ طوى ما طوى من فطنة وخواطر

حوتها عوادي الدهر إلا أقلها إذا خُطّ لفظ فى بطون الدفاتر

بدا الناس جيلا بعد جيلٍ كأنهم تهاويلُ سحر أو سمادير ناظر[8]

وما تدركُ الألباب منهم عديدهم إذا استجمَعتهم بين ماض وحاضر

---

(١) نهزة : فرصة ، ويشتار : يجمع العسل أو مادته . والأرى : العسل أو المادة التى تصير عسلا والمعنى هو أن الفنون فى الحياة تستخرج من آلام الحياة أقاصيص وعبر أو حكمة تصير لذة فنية تهون شقاء الحياة .

(٢) دلف : تقدم ، أى هل يسير الدهر أو العيش سيرتهما لكي تتمكن الفنون من ابتكار سحر جمالها ، وهل يرضى الأنام بلؤم الحياة من أجل لذة الفنون .

(٣) اليباب : القفر المجدب .

(٤) أى أن للفنون كيمياء تحول مظاهر الحياة الخسيسة إلى مظاهر رائعة جميلة ثمينة ، فكأن الفنون فى عالم المحسوسات والمعقولات فى حجر الفليسوف المنشود في عالم الماديات.

(٥) نشرت بمجلة « الرسالة » العدد ٢٨٤ فى ١٢ ديسمبر ١٩٣٨

(٦) الخطاب موجه إلى الجمجمة . والمراد بالرحيق رحيق الفكر والإدراك .

(٧) كأس الحجا : أى الجمجمة .

(٨) التهاويل : الصور والرسوم والنقوش . والسمادير : ما يرى الوسنان أو الأعشى من الأشباح .

كأن لم يَلُحْ منهم إذا الموتُ غالهم ... ومـيض الثنايا أو بكاء المحاجرِ
ولم يعرفوا الآلام تُحْسَبُ أنها ... ستخلد في جسمٍ إلى الموت صائرِ
فأين مضت أحقاد قوم كأنها ... لهيب جحيمٍ خالدٍ في السرائر؟
وأين ولوعٌ بالجمال كأنه ... زعيم بتخليد الوجوه النواضر؟[١]
وأين فِعالٌ يحسب الناس أنها ... على جبهة الأيام من وشم قادر؟
وأين جيوش دكت الأرض خيْلها ... مضت حيث لا تمضي خواطر شاعر؟
وأين الغزاة الفاتحون وقد بدوا ... كما تبعث الأشباحَ نفثةُ ساحر؟
فهل أنت ممن قد جنته سيوفهم ... وداسته خيلٌ تحتها بالحوافر؟
أم ازدان تاجٌ قد لبست بحكمة ... بها اسْطعْت صريف الصروف الدوائر
وهل أنتَ ممن دبّر الشرَّ لُبّهُ ... وأحكم زهرُ النفس جرّ الجرائر؟
أم الخيرُ ما حنت إليه نوازع ... لديك وإن لم تحتقب خير غادر[٢]
لقد كنتِ وكر اللبّ لو أن عادياً ... من الموت لم يهبط عليه بكاسر[٣]
بكِ ارتاع مسعود إذا ارتاح يائس ... بذكرى الردى يرجو عُلالَةَ صابر
قد اختلف الأقوام في العيش والردى ... فَمِنْ ظافر يهوى الحياة وخاسر
هنيئًا لكلٍّ ما يرى من عُلالَةٍ ... بحسن حياةٍ أو بنجوى المقابر
وما علّلَتْ نفس الفتى بمنيّةٍ ... ستطوى هموم العيشِ طيّ الدساكر[٤]
سوى رغبة في العيش يرهب صرفه ... فيعدو على البُؤْسى بذكرى الغوابر[٥]
بذكرى الحتوف الجاليات على الورى ... من الراحة الكبرى أجلَّ البشائر

---

(١) زعيم بكذا : أي كفيل به .
(٢) احتقب : ادخر أو حمل معه . يقال احتقب خيرا أو شرا .
(٣) الكاسر : الطائر المفترس ، والمراد بوكر اللب : الجمجمة . والوكر : عش الطائر .
(٤) الدساكر : جمع دسكرة وهي في هذا المعنى بيوت للهو والشراب ، وتأتي بمعنى القرى الصغيرة .
(٥) البؤسى بياء في آخر الكلمة : البؤس .

يوم مطير [1]

نهـار تدَانَى الدّجْنُ فى عُلْوِ أفْـقِـهِ ... مــبلَّلةٌ أرجـاؤه ومَنـاكـبُـهْ
خَبَتْ شمسه كالجمر يخبو لهيبه ... وعـاد رمـاداً حسنُهُ وعجـائبُـهْ
دجـا مـثل وجـه الهمِّ إلا جـلاله ... فللدجنِ سحر يحزن النفس خالبُهْ [2]
ثقيل على القلب البهيج عُبُوسُهُ ... ولكنه قـد يسْحر القلب كاربُه [3]
كما كان بعض الحزن للنفس شائقا ... تعَـاقِـرُه فى نشـوةٍ وتقـاربُهْ
ترى قطراتِ الغيث كالخيل أُطلقَتْ ... لكسب رهانٍ أحرز السبقَ كاسبهْ
وتحسبـهـا كـالطيـر تهـفُـو تنزِيًا ... تَنزِّى الدَّبىَ إن أهرق الغيث ساكبهْ [4]
كأن الصّلالَ الزاحفاتِ على الثّرى ... تجوس إذا ما الغيْث جاست سواربه [5]
كـمـا عـاج حيـرانٌ يمينًا ويسْـرة ... من الذعر ، شرُّ الذعر ماعاج صاحبه [6]
على الأرض والجدران والدوح قطرُهُ ... ويدفع فى وجـه المشَـرَّدِ حـاصبُـه
أيسطو عليه الغيث يغسل نحسه ... أم الغـيـث من لَهْـوٍ تَراه يداعـبـه؟
كلهْـوِ غـلام مُلّكَ القـسْـوُ قلْبَـهُ ... إذا حـيـوانٌ هابَه فـهْـوَ ضـاربه [7]
سجيـة كل الناس من هاب شرهم ... رَموْهُ ببأسِ اللؤم والخوفُ شائبه [8]
ويعـزو خـيـال المرء للكون رُوحَـهُ ... مناقـبـه تُجْلى به ومـثـالبـه

---

(١) نشرت بمجلة (الرسالة) عدد ٢٨٦ فى ٢٦ ديسمبر ١٩٣٨ .

(٢) أى الخالب منه الذى يأخذ القلب بالخلابة .

(٣) البهيج : هنا الدائم السرور وقد تأتى بمعنى الجميل . والكارب : مسبب الكرب .

(٤) التنزى : التذبذب والاهتزاز . والدبى : صغار الجراد .

(٥) الصلال ، جمع صل : الثعابين . فى البيت تشبيه انسراب مياه المطر على الأرض بسير الأفاعى .

(٦) الهارب الحيران يعوج يمينا وشمالا من الحيرة فسيره فى ميله يمينا وشمالا كسير مياه الأمطار على الأرض المنبسطة .

(٧) القسو معناها : القسوة .

(٨) شائبه : مخالطه .

إذا رنّق الترْبُ الهواء انبرى له		من الوَدْقِ طُهْرٌ يغسل الجو صائبهْ
ترى البرق فيه مُصْلِتًا سيف نقمة		لها الرعدُ صوت يذهل اللبّ راعبهْ[1]
إذا خف كان الغيث لهواً ونعْمة		وإن لجَّ لاحتْ للعيون خرائبه
ويطغى على الوادى بجيش عَرَمْرمٍ		مسالكه مذمومة وعواقبه
يخف على لوح الزجاج فصوته		طنين فراشٍ مَرّ باللوح حاصبه
وطوْراً يلحّ الودقُ منه فصوته		خريرٌ كما يستحْلِبُ الدَّرَّ حالبهْ[2]
ويرنو إليه المرءُ من ثقب بيته		كأنَّ غريبا يتقى منه هائبه
وطوْراً ترى الغلمان تلقط طَلّهُ		يداعب صنْوٌ صنْوَهُ ويلاعبه[3]
ترى كلَّ لَوْنٍ بعده قد زها به		كأنَّ طِلاَءً فوقه لجَّ خَاضبه
يُعَلِّق قرْطا فى ذُرى الدوح قطره		فتحسبه قد نَظَّم الدُّرَّ ثاقبه

السكون بعد النغم[4]

أفحمَ الشجوُ مقولَ النغم العذ		ب فأمسىَ هذا السكونَ المهيبا
مثلما تفحم الشجون خطيبا		صار فى صمته قؤولا خطيبا
كسكوتِ العشّاقِ فى نشوة الـ		ـحبٍّ تناجى فيه القلوب القلوبا

---

(١) مصلتا : شاهرا.
(٢) الدر : بفتحتين اللبن . والودق : قطر الغيث .
(٣) الطل : ضد الوابل والأول هو الخفيف من المطر ، الصنو : القريب النسب .
(٤) نشرت بمجلة « المقتطف » عدد يناير ١٩٣٩ .

أو سكوت اللهيف فوجئ بالبشرى ويخشى من حسنها أن تخيبا
أو سكوت الشباب فى حُلم الآ مالِ من قبل أن تُعانى المشيبا
أو سكوت الخشوع فى صلـ ـلوات القلب صار البعيد منه قريبا
أوسكوت الأم الرءوم حنانا وابنها نائم حمته الخطوبا
حلمت حلمها بما سوف يسعى فى مساعيه جيئة وذهوبا
من ثمار الحياة تختار أحلا ها له نعمة وسعداً وطيبا

* * *

نَغَمٌ خلَّفتْ بواراً للحنٍ دقَّ عن أن تصيبَ سمعًا طروبا
وكأن لم تزل بمسمع مسحو رٍ من اللحن آملٍ أن تؤوبا
فهو يُصغى لعودة الصوت منها وهى فى نفسه تدبُّ دبيبا
سحر القلب شدوها أم سكون خلّفته فكان سحراً حبيبا
عجب يسحر السكوت أم اللحن يناجى فى ذا السكون الغيوبا[1]
وكأنَّ الأصداء من بعدها فى النـ ـفس تشدو وتستثير الوجيبا
هامسات فى النفس همش مسرّ بائح بالهوى ويخشى الرقيبا
فى سكون كأنما هدأ الكون خشوعاً لها وسحراً عجيبا
هدأة الكون فى المساء وقد يخـ ـشع راءٍ والشمس تحدى غروبا
فكأنَّ الحياة عادت سكونا كسكون الردى رهيباً مهيبا

---

(١) وكان المسحور من أثر اللحن يناجى فى ذا السكون الغيوبا . (الناظم) .

تحسب الدهر ساعةً دقّها قد ... منع الصمت صوته أن يجوبا
ساعة توهم الورى أن هذا الـ ... ـكون قلب ما إن يحس وجيبا
تحسب الدهر مسقط الماء غا ... ل الماء فيه جموده أن يصوبا
فدويٌّ بالذكر في النفس منه ... وسكوت في الأذْن يسبي القلوبا

قيد الماضي[1]

أخذنا عن الماضي قليلاً من النّهى ... وأكثر ما نِلْنا الهواجس في النّفسِ
فمن غامض لا يدرك الفهمُ فهمَه ... ومن واضحٍ كالخطّ في صفحة الطرسِ
فمن قسو ذي خوف من الموت والأذى ... ومن ضغْن مهمومٍ من الفكر والحدسِ[2]
ومِن حقد ذي حقد يرى العيش كلّه ... ظلامة مغلوب على الغد والأمس
ومن كيد لاهٍ أشرب العيشُ قلبه ... لذاذة صنع الشرّ في الجهر والهمس
ونلْنا ، وما زال الذي كان كائنًا ... يدافع عنه المرء بالسيف والفلس
يدافع عنه المرءُ بالحق والهوى ... ويسعى له الأضداد ندباً إلى نكس[3]

* * *

(١) نشرت بمجلة « المقتطف » في مارس ١٩٣٩ .
(٢) الحدس : الظن والفراسة .
(٣) الندب : الشهم الذي ينتدب للأمور . والنكس : المرذول الذي لا خير فيه ، والهوى هنا : الميل للباطل .

ويغـرى به حـتّى الـذين شـقـاؤهـم		بأن يخذل الإصلاحَ ضغن ذوى النحسِ
حـقـودُ قلوبٍ لا يُداوَى فـسـادُهـا		فتدعو ذوى الآمال فيهم إلى اليأس

* * *

يريـدون منع الحـربِ والحـربُ سُنَّةٌ		إلى أن تُفيق النَّفسُ من إثرة النفس
فهل يـدركون الطهـر من قبل عمرةٍ		وطينتهـم معجونـة الدم بالرجس ؟
ويا ويلهـم شبّت عن الطوق حربهـم		وأزرت بفعل السيف والروح والترس
وظلُّوا حيـارى خشـية من دمـارهـا		وكلٌّ يرجّى نفع أحـداثهـا الحُـمْس(١)
وكلٌّ يعـاف العـدلَ إلاّ لنفـسـه		سـجـيـة لؤم هـل تزول من الجنس
وتأبى سـجـايا الشـرِّ طهـرةَ عـادل		تغـيّـر فـيـهم مـأتم العـيـش بالعُـرس
سـواء لعـمـرى طبـع فـرد وأمـةٍ		همُ الأنس ما أبدوا سوى نجس الغرس
وكـيـف تزول الحـرب ، والسلم بينهـم		كحربٍ طغت بالقهر والمكر والخلس ؟
وكم قـدّسـوا قُـدسـاً لتطهـر أنفس		فـأزرى جـوارُ النفس بالدين والقـدس
خـمـيرة عـيش شرُّهـم وحـقـودهم		فكيف يراد العـيش للأمن والأُنس ؟
بنـاء المعـالى كـان بالشـر قـائمـا		ومـــا طربوا إلا إلى نغـم النحـس
ومـا شـربوا من لذة العـيش شـربة		صفا ماؤها من كـدرة الهمِّ فى الكأس
غـفلنـا ونام الهـامـدون ، وفـوقنـا		نجـوم الدجى زَهر على قُبّـة الرمسِ

---

(١) الحمس : الشديدة .

فإنْ كان خلق الناس للعجز والأسى ... ولم يستطيعوا البرء من خطل المسِّ(١)
وأعجز أوصافَ الأطباءِ داؤُهم ... ولم يشفهم من شرّهم عمل النّطسِ(٢)
وإن قبسوا من شعلة القدس قبسه ... فما صانها العادى ولا فاز بالقبس
فإنَّ ارتهان المرء فى سجن شره ... إذا جدَّت الأحداث شر من الحبس
وإن انغماس المرءِ فى لُجّ أمسه ... كما يغرق الغواص من نهكة القمس(٣)
وإن رسيف النفس فى قيد شرها ... كما يخلد المحموم فى خطأ الحسِّ
يقولون إن الحق فى الناس قوة ... وأقوى من الحقِ الجهالة فى النفس

صوتك(٤)

صوتُك صوتُ السلامِ تألفه الأنـ ... ـفسُ بعدَ الكفاح والظَّفَرِ
أو مثل صوتِ الطيور في وَضَح الصبـ ... ـحِ نشاوَى من غير ما سُكُرِ
صوتك صوت الربيع يبعث فى الرو ... ضِ حياةَ الطيور والزهَرِ
أو مثل صوت الحياة ظافرةً ... عابثةً للجمال والصُّوَرِ
يُطربُ مثل الصَّدى الخلوبِ إذا ... ردَّدَه الريف فى سَنا القمرِ
أو مثل شدو الشَّجىِّ يسمعه السّا ... هرُ فى هَدأةٍ من السَّحرِ

---

(١) المس : الجنون .
(٢) النطس بفتح وسكون : المجرب .
(٣) القمس : الغمس فى الماء .
(٤) نشرت بمجلة « الهلال » عدد أول سبتمبر ١٩٥٠ ص ١٧ .

من عـالـم الخُلد خِـيلَ منبـعـثـاً لعـالـم الفـانيـات والغِـيَـرِ[1]
تـنال منه الأسـمـاعُ فـتـنتَـهُ وتقـتـضى مـثلهـا من الأشَـرِ[2]
فـهـو كـمـعنى يُضْـفِى لسـامـعه مـواردًا ثـرَّةً مـن الـفِـكَـرِ[3]
أو عَـيْنِ دعـجاءَ ، فى مـحـاسنهـا عـمقٌ كـعـمق البـحـارِ والـدُّرَرِ
تأخـذ منهـا العـيـون أقـربَهـا وأبعـدُ الحـسن أطيب الأثرِ
صوتكِ صوت الشباب والعمر مادا مَ فـان فـاتَ فـات بالعُـمـر
أو مـثل صـوت الـمُنى السحيـقـة والحبِّ و صـوتُ الداعى من القَـدَرِ
كـلاهـمـا نافـذ يُلبِّى علـى مـا كـان من قِـسـمـةٍ لمؤتَـمِـرِ[4]

شفق الغروب[5]

شـفـقُ الـغـروبِ وإنـه سـحـرٌ تُراح لـه الـقـلوبْ
وكـأنّـه الأنمـاط أعْـلَـى صُنْعـهـا فنٌّ عـجـيـب[6]
خـدرت ذُكـاءُ كـأنهـا الحـسناء يرقـبـهـا الرقـيـب[7]

---

(١) الفانيات : الأمور الفانية . الغير : تقلبات الدهر وصروفه .
(٢) الأشر : الشره والطمع .
(٣) يضفى ما ضفا الحوض : أى امتلأ ماء . وثرة : أى يفيض مياهها .
(٤) يلبى : أى يطاع . المؤتمر : الذى يطيع الأمر .
(٥) نشرت بمجلة « الهلال » فى أول نوفمبر ١٩٥٠
(٦) النمط هنا : شبيه بالبساط والسجاد .
(٧) خدرت ذكاء : دخلت الشمس خدرها ، والمراد الشفق .

وكـأنهـا الملك المحجَّبُ في تحجّبه رهيبْ
بستار مُلْكٍ حاك رو نق حسنه الحذقُ الأريبْ
عباتْ مفاتن لونها والحسن معشوق مهيب
والحسن أبهى حين رَوْ قُ الحسن رَوْعٌ لا يريب
رَوْعٌ لمهلك كل يومٍ لا يُقيم ولا يؤوب
كم مرَّ في يوم مضى أملٌ يحققُ أو يخيب
وأسىً يُخال مُخلّدا فإذا به ذكرى تنوب
والعيش ألوانٌ وبعض الـ عيش من بعض قريب

* * *

شفقٌ على أفق البحا رِ به سفائنه تغيبْ
سود تشابه عنبراً في يمّه ذهبٌ صبيبْ
وكأنَّ صفحة مائه نور على نور يذوب
من منبع الذهب استقى أم أنّه ورد يصوب(1)
أسفائنًا قد حمّلتْ ما يحمل الرائى الطروب
شوقًا إلى وهجٍ على أفق كما حنّ الغريب
والنفس تنشد مرتقىً كلٌّ على وطنٍ يلوب(2)

* * *

وعوالم للسِّحر تعر فها وتنشدها القلوبْ
لاحت على شفق الغر وب كأنّها الحلم الحبيبْ
نارٌ تؤجج في الغد ير وحلية المرجِ العشيب
والشمسُ تبدو في المنا قع ماسةً مثل اللهيب

---

(1) يصوب : يسيل .

(2) يلوب : يحوم .

مـــــاءٌ ونـارٌ جُـــــمِّـــعـــا في المنظرِ العـــجبِ العـــجـــيبْ
وتــوهّــجٌ كـــــــدمٍ يـلـو ح بلا قـــتـــيلٍ أو حـــريب[1]
كـــدم الرحـــيقِ بنشـــوةٍ ردّ الكُهُـــولَ عن المشـــيب

* * *

وعـــلـــى المـــزارع هـــابـــطٌ بجناح ذى الريِّش الخـــضـــيبْ[2]
وهدوء ذى الســـمع المُـــصيخ وراحــــــة القـلـب المجـــيب[3]
وعـنـاق أرض والســـمــــــاء به وبالدّغَش العـــقـــيب[4]
وعلى البـــهـــائم وحـــشـــة من غـــيـــر مكروب كـــئـــيب

مفتاح القلوب[5]

هـل عندك الخُـــبْـــرُ والخَـــبَـــرْ عن مـــعلن الســـرِّ يا قـــدَرْ؟
فـــهـــبـــه لِى أتقّ الأعـــادى واعـــــرف الصـــــادقَ الأبَرّ
من قـــبـل أن أنقم العـــوادى والعقَ الصّـــابَ والصَّـــبـــر
فـــأعـــرف الحـــافـــزات طراً إلى المودّات والســـيـــرْ
يا طالما غـــرّنى ابتـــســـامٌ كم باسمٍ قلبُـــه كـــشـــر
قـــد حـــرتُ دهراً وحـــارَ منى قـــوم تهـــابُ الذى اسْـتَـــســـرْ
هـل عندك الـخُـــبْـــرُ والخَـــبـــرْ عن مـــعلن السّـــر يا قـــدَرْ ؟
لـيـــقـــرأ العـــاذلون غـــيـــبى ويـأمـنَ الحـبُّ إن نـفـــر
واحـــــرّ قـلـبِـى إذا تـنـاءتْ وخـــــالنىِ الغـــادرَ المكر

(١) الحريب : هو السّليب
(٢) الإشارة إلى اختلاف ألوان الشفق فى أفق المزارع .
(٣) المصيخ : المصغى .
(٤) الدغش : ظلمة المساء .
(٥) نشرت بكتاب « مشاهير شعراء العصر » للأستاذ أحمد عبيد .

فيعرف الخلّ أنّ قلبي أصفى من العذب في الغُدُر
قد أخفق الحبّ في بيانٍ وأخفق اللحظ والبصر
وأخفق العيش وهو سفر تبلى على الحازم الحذر
هل عندك الخبر والخَبَرْ عن معلن السرِّ يا قَدَرْ ؟

الأندلس العربية[1]

جنةٌ لم يظفر الدهرُ لها بمثيلٍ ، جنة الأندلسِ
إذ دَجَت أقطارُ أوربا بَدت في ظلامِ الدهر مثل القَبَسِ
أو كنجمٍ يهتدى السارى به في ضلالِ المسلك الملتبسِ
أو كنادٍ يأنسُ الضيفُ به موحشاً في البيدِ وسط الحندسِ
أهلُها الغرُّ الأُلى قد ملكوا بالنُّهى منهم عنانَ الشُّمُس
عمروا الأرضَ وأجروا ماءَها وزَها كالسحرِ نبتُ اليبسَ
لم يهابوا بهجةَ العيشِ ولا جعلوا الطهرَ قرينَ الدنس
أفسحوا للفكرِ فيهم موطناً موطنَ الفضلِ الشهى الأنس
كللوا بالمجد هاماتهم في نعيم العزِّ أو في الأبؤس
في خلال البحرِ أو في المصنعِ في لظى الحربِ وطيبِ المغرس
لم يكونوا مثل قومٍ أنفوا أن ينالوا منه أعلى منفس
نجدةُ الفارسِ فيهم شيمةٌ علمت قوماً صفاءَ الأنفس
ووفاء بعهودٍ وثقت في ظلالِ السعدِ أو في التعس
أخذ الإفرنجُ عنهم فكرَهم وابتكاراً لم يكن بالأوكس
نهضةُ الأحياءِ لولا صحف صنعوا ، عزّت على الملتمس

---

(١) أو « حلم بالأندلس » – لم ينشرها الشاعر فى حياته .

لم يكن مصرعُهم من وهنٍ | لا ولا من لذةٍ لم تحبسِ
شجعوا في ضحوةِ المجدِ كما | شجعوا في أُخرياتِ الغَلَسِ
دبَّت الفرقةُ فيهمْ كاللظى | تتلظى في الهشيمِ اليبسِ
صيِّرت بهجةَ أيامٍ لهم | مأتمًا من بعد حسنِ العرس
وإذا شمْلُ أناسٍ لم يكن | معقلاً هانوا على المفترس
قاتلوا قوماً بقومٍ منهم | عن قلوبٍ نفرت لم تسلس
بربرٌ من تحتهم والقوط من | فوقهم مثل رحى المندرس
تأنسُ النفسُ إلى عهدك يا | حلم الأحلامِ بالأندلس !
كنت أوحى من خيالٍ طارقٍ | في الكرَى أو قبلة المختلس
فعلى القومِ سلامٌ إنهم | حملوا شعلةَ نارِ القدس
وهى أعباءُ حياةٍ ونهى | وكفاحٌ ثم نومُ المرمسِ !!

بهاء الحياة[1]

كم أسينا على زوال بهاءٍ | كان أُنساً وكان للنفسِ أهلا
وودناه خالداً ليس يفنى | فنرى الزهرَ في الحدائق حولا
ونرى بهجةَ الربيعِ دواما | ليس يفنى الربيع ضوءاً وظلا
ونرى عارمَ الشبابِ جديداً | أبداً سادرا إذا الشيخ غَلاَّ
ونرى كل ما نودُّ ونهوى | خالداً لا يزول رسماً وشكلا
فأسينا إذ الفناء طريق الـ | ـحسنِ والعيش يتبع اليوم ليلا
كل آنٍ يجدد الكون وجها | من حلاه يحلو إذا الرث ملاَّ
لذةُ العيشِ في التقلب في العيـ | ـشِ ونيل الجديدِ حلواً مُحلَّى

---

(١) لم يسبق نشر هذه القصيدة .

أبداً يبسط الزمان ويطوى مُلحًا لا تدوم إلا لتُسْلَى

جدةُ الحسنِ رونقٌ تأخذ الطر فَ طَريفا وما استجد ليقلى

ورأينا مفاتنا ربما مرّ ت سراعًا كالطيفِ حين اضمحلا

غفل الطرفُ عن سناها فلما غربت ضاء حسنها وتجلى

أعجمت فى حياتها ثم عادت فى ضميرِ الآباد أشهى وأحلى

ثم عادت يحبو البيان حلاها حجة توضح البهاء وقولا

حسرة للبيان بعد فوات الـ حسن لو قد غدا اليفا وخلاّ

وإذا بالفناءِ فينا ينادى لو يدوم الجمالُ هان وقلا

بهجةُ العيشِ فى زوال بهاءٍ ملأ النفسَ طرفةً ثم ولّى

وإذا خافت النفوسُ على فا نِ تحلى وكان أشهى وأغلى

فوددنا الزمانَ حبًا عليه لا جديداً يرجى ورثًا أملا

أبداً واردين ورداً زلالا نَهَلا جارعين منه وعلا

غير ما قانعين أن حياةً وقفت فى الزمان تعتد بُطلا

وقفةُ الكون ميتةٌ وفناءٌ لا حياةٌ به ولا حُسن يقلى

فرضينا وما رضينا ولـ كنا عرفنا الأمور فهماً وعقلا

ثم عدنا إلى الأسى والتمنى أبداً غالبين فرعاً وأصلا

وودنا خلودَ كل مراد ودوام الجمال شكلاً وشكلا

واستطبنا المحال من بعد مالا ح بنور اليقين بطلاً وجهلا

وأسينا على زوال بهاء كان أنسًا وكان للنفسِ أهلاً !

مقطوعات شعرية[1]

صلاح الحياة أم غايتها

قل كـيف نحْـيـا ولا تقُلْ لى : مـا حكمـة العَـيش والبـقـاء
فـمطلب للعـلاء يحـدو وآخـر كـلـه عـنـاء
كم سـأل السـائلون قـدمـا ما الكون ، ما العيشُ ، ما الفناء ؟
مـسـألةٌ مـالهـا جـوابٌ وليـس يُـلْـفى لـهـا غـنـاء
كـسـاخطٍ من طروق داءٍ وتـارك خـلـفـه الـدّواء

ود الأسى

يارفـاقـاً طالما أنسـتْـهـمُ لـذة العـيش حـزيناً يارفـاق
قد وجدت الصّدق فى ود الأسى مـقَـةُ اللذات كـسـبٌ ونفـاق

غبى ذكى

يا غـبـيًّـا رأى الذكـاءَ شـقـاء ورأى النّحس أن يكـونا أريبـا
أنت أذكى من الذكـىّ الذى يحـيـا شـقـيًّـا لكىْ يكون أديبـا
وإذا كـانت الغـبـاوة نعـمـى فـمن الحمق أن تكون لبـيـبـا[2]

البصير الأعمى

ياقلب صَبْراً ولاتعتب على قِسَم قد استوى الناس فى عتب على القسم
الحظُّ أعـمى لدى من لـم ينـل أربا وهو البـصـير لدى من فـاز بالنعم

خطة الضعة

فى كلّ نفسٍ من نفـوس الورى شىءٌ مِنَ الحـقـد وسـوء الظنون
إنْ كـذّبَ المُـثْنى على نفسـه صـدّق من يزرى بفـضل القـرينِ

---

(١) نشرت بمجلة « الرسالة » العدد ١٦٠ فى ٢٧ يوليو ١٩٣٦

(٢) للمعرى ولإسكندر بوب مثل هذا المعنى . (الناظم)

لذاك يعلى الخبّ من نفســـــه إن هدَّ من فضلٍ بمدح قــمين[1]

أكـــثـــر من إعـــلائه نفـــســـه بـأن يزكّى النفس عند الفطين

ناجح

كـل بشـــــــــر مـنـه فـخٌ كـل لـفـظ مـنـه غـــــــدرُ

بـــلــغ الـــنُّـجـــحَ بـــلـــؤمٍ إنَّ بـــعـــض الـــنـــجـــح وزرُ

الكذب

للكذب فى الناس أوساط مجنحة والصدق يسعى لديهم كالسلحفاة

يهوون ما لا يسيغ العقل من كذب وينبـــذ الحق من حِـرص المجـــاراة

كـــأنما الكذب ملح يســـتلذ به طهيُ الحديث وإشباع السخيمات[2]

إخفاء السريرة بالنطق

أتحـــســب أن الله أعطاك منطقـــا لتبسط من لغو الكلام على الصدقِ

وأنَّ لســـانًا بين فكيك ناطقـــا لإخـفـاء مـا دون الســريرة بالنطقِ

وتكتم مـا قـد يظهر الوجه أمره بقـــولك قـــولا باطلا شَـــبَـــهَ الحقِّ

عجائب الحقد

عجبتُ للمرء فى بُغضٍ وفى مقة هما العجيبان إن آخى وحين عَدا

يرمى النّفـاية لا يبـغى لهـا ثمنا حتى إذا ما حداها راغب حسدا

ويغفر الذنب من إحسان فـاعله حـــتى إذا نفـــدْت آلاؤه حـــقـــدا

---

(١) جدير

(٢) الأحقاد .

فخر الناجح

قبيحٌ نجاحُ المرءِ إن هوَ شانَهُ ... بفخرٍ فلا يقبحْ نجاحُك بالفخرِ
كأن لم يكنْ أهلا له حين ناله ... هو الصمت قد يطرى إذ الفخر لأيطرى
جلا منه عيبَ النفس من بعد ستره ... كذاك حديث العهد بالمال واليُسر
ويارب نجح يسلبُ المرء رشده ... ويبدى خصالاً منه تقتل أو تزرى

نذالة الحسد

عدوُّك مرجوٌّ فإن كان حاسدا ... فلا رحمةٌ ترجى لديه ولا عدلُ
وليس بنذلٍ كلُّ من صال أو عدا ... وتابَ ولكنّ الحسود هو النذل

مغفل لمغفل

قالوا الأنام إذا اختبرت أمورهم ... وبلوتَ من أحوالهم ما يبتلى :
غرّ يخادعه لئيم عاقل ... ولبئس حَظّ المرءِ إن لم يعقل
كذبوا ، فما عيش الأنام وهزله ... إلا خداع مغفلٍ لمغفل !
يتهارشون على الحياةِ ورجسها ... فعلَ الكلاب على خبيث المآكل !

باقة غزل من شعر الصبا[1]

يا أيُّها الخاذل النائى بجفوته   خلفت فى العيش سحر المنظر البهج
خلعت حسناً على عيش كما خلعت   شمس الغروب على الآفاق من وهج

* * *

فرص الحياة قليلة   فإلى مَ صدك ياحبيبى
بينا جمالك يانع   فينان كالغصن الرطيب
إذ لا جمال ولا صبا   يصبى القلوب إلى الوجيب
والعيش خلد فى الشبا   ب فإن دنوت من المشيب
أحسست إقبال الردى   كخشوع قلبك فى المغيب
فترى الحياة قصيرة   كتلألؤ البرق الخلوب
وإذا الحياة كنغبة الـ   ـعصفور رُوّع بالرقيب
متلفتاً يحسو ويخـ   ـشى أن يفاجأ من قريب
بينا تراه على الغديـ   ـر تراه في الأفق الرحيب

* * *

خلفت فى القلب يا معذبه   ما خلفت نغمة من الجرس
ذكراك فى نفس منصت يقظ   ذكرى غناء فى الأذن كالهمس
كأنما القلب نحوكم أبدا   لينوفر دائر مع الشمس

* * *

---

(١) نشرت بمجلة (الرسالة) العدد ٢٥٦ فى ٣٠ مايو ١٩٣٨ - وقد أضاف إليها الشاعر مختارات أخرى من دواوينه السابقة فحذفت هنا لتكرارها .

كنت روضي والعيش صيف وفيّ حـــافل بالنعـــيم والآلاءِ
فلئن عـادت الحـيـاةُ شـتـاءً أنت فـيـهـا كـزهرة في الشـتـاءِ
فـهي مـحـبـوبة وأندادها كـثـر ومـحـبـوبة بقـفـر عـراء
وهي أشـهى إلى النفـوس وأحلى لافـتـقـاد الأنداد والأكـفـاء

أَعِـرْ الـبـدر طلعـتك علِّم الـنـجمَ نـظـرتـك
وامنحِ الصـيفَ من روا ئـك والـزهـرَ نـضـرتـك
وهب الطيـر شـدو صـو تك والـفـجـرَ غـرتـك
وإذا مـا هفـا الـنسـيـمُ فَـعـلِّمْـهُ خطرتك
امنحِ الكون نشـوتـك علِّم السـحـرَ قـدرتَكْ

ملاحظـــــات

* ١ - طبع الشاعر عبد الرحمن شكرى ، الجزء الأول من ديوانه : « ضوء الفجر » عام ١٩٠٩ ، ثم أعاد طبعه عام ١٣٣٣ هـ (١٩١٤ م) فى ثمانين صفحة - بلا مقدمات .

٢ - وطبع الجزء الثانى عام ١٩١٣ فى ١٠٨ صفحة مع شرح للكثير من الألفاظ والأبيات فى الهوامش . وكتب مقدمته الأستاذ عباس محمود العقاد .

٣ - ونشر الجزء الثالث عام ١٩١٥ فى ٧٦ صفحة . وصدره بعبارة إهداء إلى صديقه الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازنى . وكتب الشاعر مقدمة عن « العاطفة فى الشعر » .

٤ - ونشر الجزء الرابع عام ١٩١٦ بعنوان « زهر الربيع » - فى ٦٤ صفحة . وصدره بمقدمة : « فى الشعر » .

٥ - ونشر الجزء الخامس عام ١٩١٦ فى ٦٤ صفحة . وصدره بمقدمة : « فى الشعر ومذاهبه » .

٦ - وظهر الجزء السادس عام ١٩١٨ فى ٦٤ صفحة ، بعنوان : « ديوان الأفنان » وصدره بفصل « فى أن الشعراء كماليون » .

٧ - وظهر الجزء السابع عام ١٩١٩ بعنوان : «ديوان أزهار الخريف » فى ٦٤ صفحة . وصدره بعبارة إهداء ، وبمقدمة ، رداً على بعض الحملات التى اعتاد البعض كتابتها عنه فى الصحف .

وقد طبعت الأجزاء الستة الأولى بمطبعة غرزوزى بالإسكندرية . وطبع الجزء السابع بالمطبعة المصرية بشارع فرنسا بالإسكندرية سنة ١٩١٩ .

ولم يضع الشاعر أسماء للأجزاء : الثانى ، والثالث ، والخامس ، كما وضع للأجزاء : الأول ، والرابع ، والسادس ، و السابع ، ولكنه أعلن على غلاف كتابه النثرى « الثمرات » المطبوع عام ١٩١٦ مايلى :

ديوان عبد الرحمن شكرى : الجزء الأول : « ضوء الفجر » - والجزء الثانى : « لآلئ الأفكار» ، والجزء الثالث : « أناشيد الصبا » ، والجزء الرابع : « زهر الربيع » والجزء الخامس : « الخطرات » - وقد وضعت هذه الأسماء على دواوينه كما سماها هو .

وكان الشاعر قد أشرف على طبع هذه الدواوين السبعة الأولى بنفسه . ووضع لكل جزء منها فهرساً وكشفاً بالأخطاء المطبعية ، صححت فى هذه الطبعة .

ولم يهتم الشاعر بوضع الشكل على الحروف ، أو بتفسير الكثير من الكلمات والأبيات .

٨ - أما الجزء الثامن فلم يجمعه الشاعر أو يفكر فى طبعه ونشره فى حياته ، وتركه للزمن . وقد سبق أن قال :

أرمى بشعرى فى حلق الزمان ولا   أبيت منه على هم وبلبال

ويتضمن هذا الجزء « الثامن » ما نشره الشاعر فى حياته من القصائد فى الصحف والمجلات بعد عام ١٩١٩ . ومعظمها فى الواقع نشر بعد عام ١٩٣٥ . ولو أنه نظم قبل هذا التاريخ . وقد جمع منها هنا ٥٣ قصيدة . وقد تكون هناك أبيات أو قصائد أخرى مطوية فى بعض الصحف القديمة . وللزمن أن يظهرها للطبعات القادمة . فقد علمنا أن الشاعر نشر قصيدة بعنوان : « فى القافلة » بجريدة عكاظ عدد ٦١ فى ١٩٢٠/٤/١٢ . كما علمنا أنه نشر بالمقطم قصائد : « الإنسان والكون » و « الأبد فى ساعة » و « الخلق العظيم » و « إلى المجهول » . وبالأهرام : « المثل الأعلى » . وأن له قصيدة بعنوان « سنة ١٩١٩ » بأحد الكتب . وبعض هذه القصائد منشور فى هذا الديوان بالعناوين نفسها .

وكان الشاعر قد نشر قصيدة « الطفل » بمجلة « الهلال » فى ١٩٣٢/٨/١ . ثم أعاد نشرها بلا تبديل بمجلة الرسالة فى ١٩٣٦/٥/١١.

كما نشر له ثلاث قصائد بكتاب : « ديوان الإسكندرية » لجامعه الأستاذ على محمد البحراوى ، والذى صدر منه الجزء الأول فى أكتوبر ١٩٣٥ . وهى : « الصحراء » و « الأمل » و « الشاعر البابلى المجهول » . وأعاد الشاعر نشر القصيدتين الأولى والثانية بمجلة الرسالة عام ١٩٣٥ ، وكلها منشورة هنا .

وكذلك نشر له ثلاث قصائد بكتاب : « مشاهير شعراء العصر » للأستاذ أحمد عبيد . وهى : « البحر » و « مرأى الجمال وذكرى الجلال » و « مفتاح القلوب » . وأعاد نشر الأولى والثانية بالرسالة . وكلها منشورة هنا أيضا .

وكان الشاعر قد بدأ ينشر قصائده المنشورة فى الجزء الثامن متلاحقة بمجلات : الرسالة ، والمقتطف ، والهلال ، والمجلة الجديدة ، والمقطم ، والأهرام فيما بين ١٩٣٥ ، ١٩٥٠ : منها ٣٥ قصيدة بمجلة الرسالة و ٦ بالمقتطف و ٤ بالمجلة الجديدة و ٣ بالهلال . ثم كف عن النظم والنشر منذ عام ١٩٥٢ لإصابته بالشلل النصفى .

وبين قصائد الجزء الثامن قصيدتان لم ينشرهما الشاعر فى حياته وهما : « الأندلس العربية » (أو حلم بالأندلس) ، و « بهاء الحياة » . وكان فى خلال مرضه الأخير قد أعارهما لآنسة بجامعة عين شمس ، كانت تنوى إعداد « ماجستير » فى شعر شكرى ، ثم عدلت عن ذلك وتزوجت ، واحتفظت بالقصيدتين حتى عثرنا عليهما ، وهما منشورتان فى هذا الديوان (ص ٦٦٧ ، ٦٦٨) . كما أنه أعارهما مع كثير من الصحف والمجلات التى نشرت قصائده ، لأديب آخر بالقاهرة كان ينوى إعداد رسالة جامعية عنه ، ولم يعدها للآن . ولهذا خلت مكتبة الشاعر قبيل وفاته من جميع آثاره .

* * *

* أعاد الشاعر نشر تسع من قصائد دواوينه السابقة ، وذلك بمجلة الرسالة ، ولم يدخل عليها غير قليل من التعديل فى بعض الألفاظ . وقد أشير إلى ذلك فى هوامش تلك القصائد . وهى :

١ - « هرم خوفو » - أعيد نشرها بالرسالة (عدد ١٥٧ فى ١٩٣٦/٧/٦) من ديوانه الجزء السادس ص ١٠ ط - ١ و ص ٤٤٤ هنا)

٢ - « أبو الهول » - الرسالة (عدد ١٥٩ - ١٩٣٦/٧/٢٠) عن الجزء السادس ص ٧ و ص ٤٤٠ هنا .

٣ - « الشلال » - الرسالة عدد ١٦٣ - ١٩٣٦/٨/١٧ عن الجزء السابع ص ١٤ - وص ٥١٢

٤ - « ياضوء » - الرسالة عدد ١٦٥ - ٩٣٦/٨/٣١) عن الجزء السابع ص ٣٤ و ٥٣٣ - وحذف منها أربعة أبيات أعيدت إلى مكانها هنا .

٥ - « وصف البحر » - نشرت بالرسالة بعنوان « البحر » - عدد ١٦٢ - ١٩٣٦/٨/١٠ (عن الجزء الثانى ص ٢٠ - وص ١١٨ هنا) - وأضاف الشاعر إلى القصيدة القديمة ٢٥ بيتا جديداً فى أولها - ذكرت هنا كلها (ص ١١٨) .

٦ - « الفصول » - الرسالة عدد ٢٤٩ - ١٩٣٨/٤/١١ (عن الجزء السادس ص ٢٧ - وص ٤٦٢ هنا - وكان عنوانها الأول : « الصيف » وحذف من الأول ستة أبيات أعيدت إلى موضعها هنا .

٧ - « الباحث الأزلى » - الرسالة عدد ٢٥٠ - ١٩٣٨/٤/١٨ عن الجزء الرابع ص : ى وهنا ص ٢٩٢ - ونشرت بالرسالة بعنوان « الباحث ش فقط .

٨ - « إلى المجهول » - الرسالة عدد ٢٥٢ فى ١٩٣٨/٥/٢) عن الجزء الخامس ص ٣١ وهنا ص ٣٩٦ - وحذف منها البيت التالى :

قليتهن خفافيش تلوح لها مجاهل الحق خافيه وباديه

وذلك بعد البيت الذى يبدأ : « ليل مهيب كموج البحر »

وختمها بهذا البيت :

هيهات ما كشفت لي الحق خاطرة ولم يجب لي سؤالا ما أناديه

٩ - « الملك الشائر » - بفتح الميم واللام - بالرسالة (عدد ٦٨٠ - ١٥ / ٧ / ١٩٤٦) عن الجزء السابع ص ٣٧ - و ص ٥٣٧ هنا - وأضاف إليها مقدمة وبعض الشرح في الهوامش .

١٠ - أما « باقة غزل من شعر الصبا » - ص ٦٧٣ فهي أبيات مختارة من بعض قصائده المنشورة في دواوينه السابقة . وقد حذف منها ما سبق نشره في الديوان .

* * *

* أعلن الشاعر على غلاف كتابه : « الثمرات » المطبوع عام ١٩١٦ أن له كتبا (تحت الطبع) وهي : « رسائل الحب » و « مظاهر القوة في الحياة » و « أدب الشعر » . كما أضاف إليها عام ١٩١٨ على غلاف كتابه : « الصحائف » أن له كتاب « المدارس » (تحت الطبع) . وجاء على غلاف ديوانه السادس (الأفنان) عام ١٩١٨ ما يلي : « سيطبع بعد قليل الجزء الثاني من « حديث إبليس » و « كتاب المدارس » - وهو آراء في التعليم والقائمين به ، وفي المدارس ونظارها » . ثم كتب في مقدمة الجزء السابع من ديوانه عام ١٩١٩ (ص ٥٠٤) ما يأتي : « ... وقصيدة (سم الخسة) مأخوذة من مسودات كنت قد ألفتها في كتاب اسمه (مجالي الأخلاق) لم ينشر ، وكثيراً من قصائد الغزل في هذا الديوان خواطر كانت تخطر لي فأقيدها في رسائل سميتها « رسائل الحب لم تنشر .. » .

والواقع أن الشاعر كان يعد فصول هذه الكتب لينشرها ، ولكنه لما توقف عن طبع الدواوين والكتب النثرية بعد عام ١٩١٩ عدل عن إتمامها أو تأليفها ثم اكتفى بنشر فصولها فيها بعد في الصحف والمجلات ، ومنها الرسالة والثقافة والمقتطف والهلال ، وعدل فيها بحيث خرجت كتباً جديدة بأسماء أخرى ، كما يرى في قائمة مؤلفاته المنشورة في أول الديوان ...

* نشر الشاعر في آخر كتابه من حديث إبليس » - ١٩١٦ - مختارات من شعره بعنوان « حكم وأمثال » استغرقت ٢٣ صفحة . وكلها من دواوينه الخمسة الأولى » ، ونشر في آخر كتابه « الثمرات » - ١٩١٦ - قصيدة « وصف البحر » المنشورة من قبل في الجزء الثاني من كتابه .

* الأبيات الشعرية التي على وجوه بعض الدواوين ، وضعها الشاعر بنفسه واختارها من بعض قصائده السابقة .

* الهوامش المذكورة في هذا الديوان أكثرها بقلم الشاعر ، وأقلها أضيف في هذه الطبعة لتفسير بعض الألفاظ .

* لم نعثر على قصائد للشاعر بمجلة « أبو للو » التي أنشأها الشاعر أحمد زكي أبو شادي ، وإن كان قد نشر بها مقالة عن الرمزية ، كما أن له بها حديثا عن مطران أفضى به إلى أبي شادي . كما نشر بها أبو شادي كلمة عن شكري . ونشر بها الدكتور رمزي مفتاح عدداً من المقالات عن شكري والعقاد . (١٩٣٣ - ١٩٣٤)

* نشر الشاعر بمجلة « المقتطف » - مجلد ٧ سنة ١٩٤٧ - مقالات بامضاء ع . ش. وهي : « الحضارة واختلاف الطبائع » و « السلم الدائم والحلف العام » و « الحرب تؤدي إلى الحرب » وقصة مترجمة بتصرف عن جوزيف كونراد بعنوان « جريمة أم قصاص » (مايو ١٩٤٧) . وهذا غير فصول كتابه : « نظرات في النفس والحياة » بقلم ع . ش . الذي نشره مسلسلا فيما بين أغسطس ١٩٤٧ وسبتمبر - ١٩٥١ وكلمة عن « انتحال المعاني الشعرية » وغير القصائد الست التي نشرت بالمقتطف عام ١٩٣٩ .

* نشر الشاعر بمجلة الرسالة نحو ٤٠ مقالة نثرية في النقد والأدب والدراسات النفسية ، وذلك فيما بين ١٩٣٦ و ١٩٣٩ .

* نشر الشاعر بمجلة الهلال - إلى جانب قصائده الثلاث - ثلاث مقالات ; هل تنجح

الدكتاتورية عندنا (مارس ١٩٣٥) وعبقرية الفنون (نوفمبر ١٩٣٥) والمعرى : هل كان سابقاً لعصره (يونيه ١٩٣٨) وبين المطرقة والسندان ١٩٣٥ .

* نشر بمجلة الثقافة (السنة الأولى ١٩٣٩) سلسلة مقالات بعنوان : « الرثاء فى شعر العرب » ، ومقالة عن عواقب النصيحة ، وعن جهاد النفس .

* نشرت بعض الصحف أن الشاعر أحرق كل ما نظم من شعر ، وما كتب من نثر بعد عام ١٩١٩ فى نوبة من نوبات اليأس . وهذا غير صحيح فإن ما نظم وما كتب بعد ذلك التاريخ منشور فى الصحف والمجلات كما سلف . كما نسبت إليه بعض الصحف أيضا قبيل وفاته أحاديث وكلمات قالها قبل موته ، وجلها غير صحيح .

* * *

دراسات عن عبد الرحمن شكرى

الكاتب		الجريدة أو المجلة أو الكتاب	التاريخ
إبراهيم عبد القادر المازنى	:	جريدة « عكاظ » الأسبوعية	١٩١٤
»	:	ديوان المازنى جـ ١ ص ١٠٦ - (قصيدة)	١٩١٤
»	:	ديوان المازنى جـ ٢ ص ٢٦٩ و ٣٢٢	١٩١٧
»	:	كتاب « شعر حافظ » ص ٨ - ١٠	١٩١٥
»	:	كتاب « الديوان » جـ ١ و جـ ٢	١٩٢١
»	:	جريدة « السياسة الأسبوعية »	١٢.٥ أبريل ١٩٣٠
»	:	جريدة « البلاغ »	١٩٣٤/٩/١
أحمد زكى أبو شادى	:	مجلة « المقتطف »	١٩١٧ - ويولية ١٩٥٢
»	:	كتاب « قضايا الشعر المعاصر »	١٩٥٥
»	:	مجلة « أبولو » (مقالة - وحديث)	
أديب كدوانى	:	مجلة « العالم العربى » - بالقاهرة	١٩٥٦/٩/١٥
أسعد حسنى	:	مجلة « العالم العربى » - بالقاهرة	١٩٥٦/٩/١٥
إسماعيل أدهم	:	مجلة « المقتطف» - مقالات عن مطران وشكرى	
حسن كامل الصيرفى	:	مجلة « المجلة » ص ١١	١٩٥٩/١/١
حسن ماهر فهمى	:	مجلة « المجلة »	١٩٥٩
رمزى مفتاح	:	مجلة « أبوللو »	أبريل ١٩٣٣ ويونيه ١٩٣٤
»	:	كتاب « رسائل فى النقد »	
شوقى ضيف	:	كتاب « دراسات فى الشعر العربى المعاصر»	١٩٥٦
صديق شيبوب	:	جريدة « البصير »	١٩٥٩/٢٠.١٩
عباس محمود العقاد	:	مقدمة الجزء الثانى من ديوان شكرى	١٩١٣
»	:	جريدة « الجهاد »	١٩٣٤/٩/٤
»	:	جريدة « الأخبار »	١٩٥٨/١٢/٢٢
»	:	جريدة « الأخبار »	١٩٥٨/١٢/١٨
»	:	مجلة « الهلال »	١٩٥٩/٢/١
»	:	مجلة « الشعر »	١٩٥٩/٣/١
عبد اللطيف السحرتى	:	كتاب « شعراء مجددون »	١٩٥٩
»	:	كتاب « الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث »	

عبد المنعم عواد يوسف :	مجلة « العالم العربى »	١٩٥٦/٩/١٥
على أدهم :	« المجلة » ص ١٣	١٩٥٩/٢/١
عمر الدسوقى :	كتاب « دراسات فى الأدب الحديث » ص	٢٢٠ - ٢٣٠ (١٩٥٤)
محمد مندور :	كتاب « الشعر بعد شوقى »	١٩٥٩
محمد مندور :	جريدة « الجمهورية »	ديسمبر ١٩٥٨
محمد مندور :	« المجلة » ص ٤١	١٩٥٩/٦/١
محمود الخولى :	مجلة « أبولو »	يونيه ١٩٣٤
مختار الوكيل :	كتاب « الشعراء المجددون »	١٩٣٤
محمد رجب البيومى :	مجلة « العالم العربى »	١٩٥٨/٣/١
محمد رجب البيومى :	مجلة « الأدب »	يولية ١٩٥٨
محمد عبد المنعم خفاجى :	كتاب « الشعر والتجديد »	
محمد عبد المنعم خفاجى :	كتاب « رائد الشعر الحديث »	
نقولا يوسف :	مجلة « العالم العربى »	١٩٥٦/٩/١٥

* * *

فهـــرس

المشروع القومى للترجمة

اللغة العليا (طبعة ثانية)	جون كوين	ت : أحمد درويش
الوثنية والإسلام	ك. مادهو بانيكار	ت : أحمد فؤاد بلبع
التراث المسروق	جورج جيمس	ت : شوقى جلال
كيف تتم كتابة السيناريو	انجا كاريتنكوفا	ت : أحمد الحضرى
ثريا فى غيبوبة	إسماعيل فصيح	ت : محمد علاء الدين منصور
اتجاهات البحث اللسانى	ميلكا إفيتش	ت : سعد مصلوح / وفاء كامل فايد
العلوم الإنسانية والفلسفة	لوسيان غولدمان	ت : يوسف الأنطكى
مشعلو الحرائق	ماكس فريش	ت : مصطفى ماهر
التغيرات البيئية	أندرو س. جودى	ت : محمود محمد عاشور
خطاب الحكاية	جيرار جينيت	ت : محمد معتصم وعبد الجليل الأزدى وعمر حلى
مختارات	فيسوافا شيمبوريسكا	ت : هناء عبد الفتاح
طريق الحرير	ديفيد براونيستون وايرين فرانك	ت : أحمد محمود
ديانة الساميين	روبرتسن سميث	ت : عبد الوهاب علوب
التحليل النفسى والأدب	جان بيلمان نويل	ت : حسن المودن
الحركات الفنية	إدوارد لويس سميث	ت : أشرف رفيق عفيفى
أثينة السوداء	مارتن برنال	ت : لطفى عبد الوهاب / فاروق القاضى / حسين الشيخ / منيرة كروان / عبد الوهاب علوب
مختارات	فيليب لاركين	ت : محمد مصطفى بدوى
الشعر النسائى فى أمريكا اللاتينية	مختارات	ت : طلعت شاهين
الأعمال الشعرية الكاملة	جورج سفيريس	ت : نعيم عطية
قصة العلم	ج. ج. كراوثر	ت: يمنى طريف الخولى / بدوى عبد الفتاح
خوخة وألف خوخة	صمد بهرنجى	ت : ماجدة العنانى
مذكرات رحالة عن المصريين	جون أنتيس	ت : سيد أحمد على الناصرى
تجلى الجميل	هانز جيورج جادامر	ت : سعيد توفيق
ظلال المستقبل	باتريك بارندر	ت : بكر عباس
مثنوى	مولانا جلال الدين الرومى	ت : إبراهيم الدسوقى شتا
دين مصر العام	محمد حسين هيكل	ت : أحمد محمد حسين هيكل
التنوع البشرى الخلاق	مقالات	ت : نخبة
رسالة فى التسامح	جون لوك	ت : منى أبو سنه
الموت والوجود	جيمس ب. كارس	ت : بدر الديب
الوثنية والإسلام (ط٢)	ك. مادهو بانيكار	ت : أحمد فؤاد بلبع
مصادر دراسة التاريخ الإسلامى	جان سوفاجيه - كلود كاين	ت : عبد الستار الحلوجى / عبد الوهاب علوب
الانقراض	ديفيد روس	ت : مصطفى إبراهيم فهمى
التاريخ الاقتصادى لإفريقيا الغربية	أ. ج. هوبكنز	ت : أحمد فؤاد بلبع
الرواية العربية	روجر آلن	ت : د. حصة إبراهيم المنيف

الأسطورة والحداثة	پول . ب . ديكسون	ت : خليل كلفت
نظريات السرد الحديثة	والاس مارتن	ت : حياة جاسم محمد
واحة سيوة وموسيقاها	بريجيت شيفر	ت : جمال عبد الرحيم
نقد الحداثة	ألن تورين	ت : أنور مغيث
الإغريق والحسد	بيتر والكوت	ت : منيرة كروان
قصائد حب	آن سكستون	ت : محمد عيد إبراهيم
ما بعد المركزية الأوربية	بيتر جران	ت : عاطف أحمد / إبراهيم فتحى / محمود ماجد
عالم ماك	بنجامين باربر	ت : أحمد محمود
اللهب المزدوج	أوكتافيو باث	ت : المهدى أخريف
بعد عدة أصياف	ألدوس هكسلى	ت : مارلين تادرس
التراث المغدور	روبرت ج دنيا – جون ف أ فاين	ت : أحمد محمود
عشرون قصيدة حب	بابلو نيرودا	ت : محمود السيد على
تاريخ النقد الأدبى الحديث (١)	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
حضارة مصر الفرعونية	فرانسوا دوما	ت : ماهر جويجاتى
الإسلام فى البلقان	هـ . ت . نوريس	ت : عبد الوهاب علوب
ألف ليلة وليلة أو القول الأسير	جمال الدين بن الشيخ	ت : محمد برادة وعثمانى الميلود ويوسف الأنطكى
مسار الرواية الإسبانو أمريكية	داريو بيانويبا وخ. م بينياليستى	ت : محمد أبو العطا
العلاج النفسى التدعيمى	بيتر . ن . نوفاليس وستيفن . ج . روجسيفيتز وروجر بيل	ت : لطفى فطيم وعادل دمرداش
الدراما والتعليم	أ . ف . ألنجتون	ت : مرسى سعد الدين
المفهوم الإغريقى للمسرح	ج . مايكل والتون	ت : محسن مصيلحى
ما وراء العلم	چون بولكنجهوم	ت : على يوسف على
الأعمال الشعرية الكاملة (١)	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمود على مكى
الأعمال الشعرية الكاملة (٢)	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمود السيد ، ماهر البطوطى
مسرحيتان	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمد أبو العطا
المحبرة	كارلوس مونييث	ت : السيد السيد سهيم
التصميم والشكل	جوهانز ايتين	ت : صبرى محمد عبد الغنى
موسوعة علم الإنسان	شارلوت سيمور – سميث	مراجعة وإشراف : محمد الجوهرى
لذّة النّص	رولان بارت	ت : محمد خير البقاعى .
تاريخ النقد الأدبى الحديث (٢)	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
برتراند راسل (سيرة حياة)	آلان وود	ت : رمسيس عوض .
فى مدح الكسل ومقالات أخرى	برتراند راسل	ت : رمسيس عوض .
خمس مسرحيات أندلسية	أنطونيو جالا	ت : عبد اللطيف عبد الحليم
مختارات	فرناندو بيسوا	ت : المهدى أخريف
نتاشا العجوز وقصص أخرى	فالنتين راسبوتين	ت : أشرف الصباغ
العالم الإسلامى فى أوائل القرن العشرين	عبد الرشيد إبراهيم	ت : أحمد فؤاد متولى وهويدا محمد فهمى
ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية	أوخينيو تشانج رودريجث	ت : عبد الحميد غلاب وأحمد حشاد

السيدة لا تصلح إلا للرمى	داريو فو	ت : حسين محمود
السياسى العجوز	ت . س . إليوت	ت : فؤاد مجلى
نقد استجابة القارئ	چين . ب . توميكنز	ت : حسن ناظم وعلى حاكم
صلاح الدين والمماليك فى مصر	ل . ا . سيمينوڤا	ت : حسن بيومى
فن التراجم والسير الذاتية	أندريه موروا	ت : أحمد درويش
چاك لاكان وإغواء التحليل النفسى	مجموعة من الكتاب	ت : عبد المقصود عبد الكريم
تاريخ النقد الأدبى الحديث ج ٣	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
العولمة : النظرية الاجتماعية والثقافة الكونية	رونالد روبرتسون	ت : أحمد محمود ونورا أمين
شعرية التأليف	بوريس أوسبنسكى	ت : سعيد الغانمى وناصر حلاوى
بوشكين عند «نافورة الدموع»	ألكسندر بوشكين	ت : مكارم الغمرى
الجماعات المتخيلة	بندكت أندرسن	ت : محمد طارق الشرقاوى
مسرح ميجيل	ميجيل دى أونامونو	ت : محمود السيد على
مختارات	غوتفريد بن	ت : خالد المعالى
موسوعة الأدب والنقد	مجموعة من الكتاب	ت : عبد الحميد شيحة
منصور الحلاج (مسرحية)	صلاح زكى أقطاى	ت : عبد الرازق بركات
طول الليل	جمال مير صادقى	ت : أحمد فتحى يوسف شتا
نون والقلم	جلال آل أحمد	ت : ماجدة العنانى
الابتلاء بالتغرب	جلال آل أحمد	ت : إبراهيم الدسوقى شتا
الطريق الثالث	أنتونى جيدنز	ت : أحمد زايد ومحمد محيى الدين
وسم السيف	ميجل دى ثربانتس	ت : محمد إبراهيم مبروك
المسرح والتجريب بين النظرية والتطبيق	باربر الاسوستكا	ت : محمد هناء عبد الفتاح
أساليب ومضامين المسرح الإسبانوأمريكى المعاصر	كارلوس ميجل	ت : نادية جمال الدين
محدثات العولمة	مايك فيذرستون وسكوت لاش	ت : عبد الوهاب علوب
الحب الأول والصحبة	صمويل بيكيت	ت : فوزية العشماوى
مختارات من المسرح الإسبانى	أنطونيو بويرو باييخو	ت : سرى محمد محمد عبد اللطيف
ثلاث زنبقات ووردة	قصص مختارة	ت : إدوار الخراط
هوية فرنسا	فرنان برودل	ت : بشير السباعى
الهم الإنسانى والابتزاز الصهيونى	نماذج ومقالات	ت : أشرف الصباغ
تاريخ السينما العالمية	ديفيد روبنسون	ت : إبراهيم قنديل
مساءلة العولمة	بول هيرست وجراهام تومبسون	ت : إبراهيم فتحى
النص الروائى (تقنيات ومناهج)	بيرنار فاليط	ت : رشيد بنحدو
السياسة والتسامح	عبد الكريم الخطيبى	ت : عز الدين الكتانى الإدريسى
قبر ابن عربى يليه آياء	عبد الوهاب المؤدب	ت : محمد بنيس
أوبرا ماهوجنى	برتولت بريشت	ت : عبد الغفار مكاوى
مدخل إلى النص الجامع	چيرار چينيت	ت : عبد العزيز شبيل
الأدب الأندلسى	د. ماريا خيسوس روبييرامتى	ت : د. أشرف على دعدور

صورة الفدائي في الشعر الأمريكي المعاصر	نخبة	ت : محمد عبد الله الجعيدى
ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسي	مجموعة من النقاد	ت : محمود على مكى
حروب المياه	جون بولوك وعادل درويش	ت : هاشم أحمد محمد
النساء في العالم النامي	حسنة بيجوم	ت : منى قطان
المرأة والجريمة	فرانسيس هيندسون	ت : ريهام حسين إبراهيم
الاحتجاج الهادئ	أرلين علوى ماكليود	ت : إكرام يوسف
راية التمرد	سادى بلانت	ت : أحمد حسان
مسرحيتا حصاد كونجي وسكان المستنقع	وول شوينكا	ت : نسيم مجلى
غرفة تخص المرء وحده	فرچينيا وولف	ت : سمية رمضان
امرأة مختلفة (درية شفيق)	سينثيا نلسون	ت : نهاد أحمد سالم
المرأة والجنوسة في الإسلام	ليلى أحمد	ت : منى إبراهيم ، وهالة كمال
النهضة النسائية في مصر	بث بارون	ت : لميس النقاش
النساء والأسرة وقوانين الطلاق	أميرة الأزهرى سنبل	ت : بإشراف/ رؤوف عباس
الحركة النسائية والتطور في الشرق الأوسط	ليلى أبو لغد	ت : نخبة من المترجمين
الدليل الصغير في كتابة المرأة العربية	فاطمة موسى	ت : محمد الجندى ، وايزابيل كمال
نظام العبودية القديم ونموذج الإنسان	جوزيف فوجت	ت : د/ منيرة كروان
الإمبراطورية العثمانية وعلاقاتها الدولية	نينل الكسندر وفنادولينا	ت: أنور محمد إبراهيم
الفجر الكاذب	چون جراى	ت : أحمد فؤاد بلبع
التحليل الموسيقى	سيدريك ثورب ديڤى	ت : سمحه الخولى
فعل القراءة	ڤولفانج إيسر	ت : عبد الوهاب علوب
إرهاب	صفاء فتحى	ت : بشير السباعى
الأدب المقارن	سوزان باسنيت	ت : أميرة حسن نويرة
الرواية الاسبانية المعاصرة	ماريا دولورس أسيس جاروته	ت : محمد أبو العطا وآخرين
الشرق يصعد ثانية	أندريه جوندر فرانك	ت : شوقى جلال
مصر القديمة (التاريخ الاجتماعى)	مجموعة من المؤلفين	ت : لويس بقطر
ثقافة العولمة	مايك فيذرستون	ت : عبد الوهاب علوب
عالم التليفزيون بين الجمال والعنف	إيڤلينا تارونى	ت : وجيه سمعان عبد المسيح

(تحت الطبع)

المختار من نقد ت . س . إليوت
الشعر الأمريكي المعاصر
الجانب الديني للفلسفة
الولاية
حيث تلتقي الأنهار
النظرية الشعرية عند إليوت وأدونيس
المدارس الجمالية الكبرى
الإسكندرية : تاريخ ودليل
مختارات من الشعر اليوناني الحديث
بارسيفال
اثنتا عشرة مسرحية يونانية
الخوف من المرايا
العلاقات بين المتدينين والعلمانيين في إسرائيل
عدالة الهنود
چان كوكتو على شاشة السينما
الأرضة
مذكرات ضابط في الحملة الفرنسية
غرام الفراعنة
نحو مفهوم للاقتصاديات البيئية والقوانين المعالجة
القصة القصيرة (النظرية والتقنية)
صاحبة اللوكاندة
التجربة الإغريقية : حركة الاستعمار والصراع الاجتماعي
العنف والنبوءة
خسرو وشيرين
العمى والبصيرة (مقالات في بلاغة النقد المعاصر)
وضع حد

التليفزيون في الحياة اليومية
أنطوان تشيخوف
من المسرح الإسباني المعاصر
فلاحو الباشا
خطبة الإدانة الطويلة
تاريخ النقد الأدبي الحديث (الجزء الرابع)
تشريح حضارة
حكايات ثعلب
شامبوليون (حياة من نور)
الحورية الهاربة
الإسلام في السودان
العربي في الأدب الإسرائيلي
آلة الطبيعة
ضحايا التنمية
المسرح الإسباني في القرن السابع عشر
أيديولوجي
تاريخ الكنيسة
فن الرواية
ما بعد المعلومات
الورقة الحمراء
موت أرتميد كروث
علم الجمالية وعلم اجتماع الفني
المهلة الأخيرة
الهيولية تصنع علماً جديداً
قضايا التنظير في البحث الاجتماعي
مدرسة فرانكفورت نشأتها ومغزاها

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رقم الإيداع ١٠٤٥٦ / ١٩٩٨

الترقيم الدولى (I. S. B. N. 977 - 305 - 046 - 7)

المجلس الأعلى للثقافة

عبد الرحمن شكري

إن «عبد الرحمن شكري» شاعر رومانسي حتى النخاع، فهو من «الأنا» يبدأ وإلى «الأنا» يعود، وعنده «.. إنما الشاعر، شاعر القلب: فهو الذي يصف عواطف النفس وأطوارها، فيصف عواطف الحب والجمال والجلال، والخوف والفزع والأمل، واليأس والرحمة والكره، والحقد والبخل والجود، والشجاعة والجبن، وغيرها من عواطف النفس وأحوالها. وهو الذي يصف أساليب الحياة التي تجول فيها هذه العواطف كل مجال، ومظاهر الوجود التي تتعلق بها العواطف. فهو الشاعر الذي عواطفه مثل عواطف الوجود، مثل الأمواج أو الرياح أو الضياء أو النار أو الكهرباء، فإن هذه عواطف الكون. وهو الذي يحكي قلبه الأوركستر الكثير الآلات، الكثير الأنغام»:

وإنَّما الشِّعرُ تصويرٌ وتذكرة
ومتعةٌ وخيالٌ غيرُ خوّان
وإنَّما الشِّعرُ مرآةٌ لغانيةٍ
هي الحياة فمن سوءٍ وإحسان
وإنَّما الشِّعرُ إحساسٌ بما خفقتْ
له القلوبُ كأقدارٍ وحدثان